شرح الأشموني

على ألفية ابن مالك

المسمى « منهج السالك إلى ألفية ابن مالك »

حققه ، وشرح شواهده ، وأتمّ مباحثه

محمد محيي الدين عبد الحميد

مفتش العلوم العربية والدينية بالجامع الأزهر

والمعاهد الدينية

الجزء الرابع

الطبعة الثانيـــة

مزيدة ومنقحة

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م / ٨٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى

إعمال المصدر[1]

(بفِعْـلِهِ الْمَصْدَرَ أَلْحِقْ فِي الْعَمَلْ) تعدِّيًا ولُزومًا ، فإن كان فعلُه المشتقُّ منه لازمًا فم لازم ، وإن كان متعديا فهو متعدٍّ إلى ما يتعدَّى إليه : بنفسه ، أو بحرف جر[2] .

﴿ تنبيه ﴾ : يُخالف المصدرُ فعلَه فى أمرين : الأول : أنَّ فى رفعِهِ النائبَ عن الفاعل خلافًا ، ومذهبُ البصريين جوازُه ، وإليه ذهب فى التسهيل[3] . الثانى : أنَّ فاعلَ المصدر يجوز حذفُه بخلاف فاعل الفعل ، وإذا حُذف لا يتحمَّل ضميرَهُ ، خلافا لبعضهم .

(١) تقدم للشارح العلامة تعريف المصدر ، فى باب المفعول المطلق ، وتقدم لنا — فى هذ الموضوع — بحث مستفيض فيــه لبيان اختلاف النحويين فى أصل الاشتقاق أهو المصدر أم هو الفعل ، فارجع إلى ذلك كله فى (ج ٢ ص ٣٤١ من كتابنا هذا) .

(٢) يؤخذ من عبارة الشارح أنه يقسم الفعل أولا إلى لازم ومتعد ، وأنه يقسم المتعدى إلى متعد بنفسه ومتعد بحرف جر. وعلى هذا الكلام مؤاخذة من وجهين : الأول : أنه يلزمه أن يكون لنا فعل لازم لزوما مطلقا ، فلا هو متعد بنفسه ولا هو متعد بحرف الجر ، وذلك غير موجود ، وماقيل من أنه موجود ، مع التمثيل له بحدث وعرض كما فعل ابن الناظم ، أو التمثيل له بظرف وشرف كما فعل بعض أرباب الحواشى ، لم يصح ؛ لأنه يقال : حدث لفلان كذا ، وعرض لفلان كذا ، كما يقال : ظرف فلان فى معاملته ، وشرف فلان فى خلقه ، ونحو ذلك . ووجه ورود هذه المؤاخذة أنه ينبغى فى التقسيم أن يكون كل قسم مباينا تمام المباينة لما عداه من الأقسام . والوجه الثانى أنه يلزم — على مايفهم من كلام الشارح — أن يطلق على الفعل المتعدى بحرف الجر أنه متعد ، بالإطلاق ، نعنى من غير تقييد بقولنا بحرف الجر ، وذلك مما لا يرتضيه الأثبات من العلماء ، بل عندهم أن كلمة « المتعدى » عند إطلاقها من غير قيد إنما تصدق على الفعل المتعدى بنفسه ، ووجه ورود هذه المؤاخذة أنه يجب فى مثل هذا النوع من التقسيم أن يصح إطلاق لفظ المقسم على كل واحد من الأقسام وحمله على كل واحد منها أيضا ، والمقسم هنا هو «المتعدى» وأقسامه « المتعدى بنفسه » و «المتعدى بحرف الجر » ألا ترى أنك إذا قسمت « الـكلمة » إلى « الاسم » و « الفعل » و « الحرف » يصح أن تقول : الاسم كلمة ، والفعل كلمة ، والحرف كلمة ، ويصح أن تقول «هذه كلمة» وأنت تعنى اسما أو فعلا أو حرفا ، فكان مقتضى ذلك أنه يجوز لك أن تقول « المتعدى بحرف الجر متعد » وأن تقول « هذا فعل متعد » وأنت تقصد ظرف مثلا ، وهذا لا يجوز .

(٣) فى هذه المسألة أربعة أقوال : الأول ، لا يجوز مطلقا ، نعنى سواء أكان فعل هذا المصدر

واعلم أنه لا فَرْق فى إعمال المصدر عَمَلَ فعله بين كونه (مُضَافًا أوْ مُجَرَّداً أوْ مَعَ أَلْ) لكن إعمالُ الأول أكثر ، نحو « وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ » والثانى أقْيَسُ ، نحو «أوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيماً » وقوله :

٦٧٧ — * بِضَرْبٍ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَ قَوْمٍ *

مما لزم البناء للمجهول مثل جن وزكم أم كان يبنى للمعلوم تارة ويبنى للمجهول تارة أخرى كأكثر الأفعال ، وسواء أمن اللبس أم لم يؤمن ، وهذا رأى الأخفش والشلوبين وغيرهما ، ووجهه فيما زعموا أن الغالب أن لايؤمن اللبس ، ألا ترى أنك لوقلت « عجبت من ضرب زيد » تبادر إلى ذهن السامع أن الضرب مصدر الفعل المبنى للفاعل وأن زيداً ضارب ، وليس مضروبا . والثانى — وهو رأى جمهور البصريين ، واختاره ابن مالك فى التسهيل — يجوز مطلقا . والثالث — وهو رأى ذكره أبو حيان — يجوز فى مصدر الفعل اللازم للبناء للمجهول ، نحو أن تقول « ضايقنى زكام خالد » و « آلمنى جنون بكر » . والرابع — وهو رأى حكاه الدمامينى عن ابن خروف ، واستظهر عليه بالنقل عن سيبويه — يجوز بشرط أن يؤمن اللبس ، فإذا لم يؤمن اللبس لم يجز . وأنت إذا تدبرت فى هذه الآراء يتبين لك أن جمهور البصريين لم يبالوا باللبس فى هذه المسألة ، وأن من عداهم قصد إلى التحرز عن اللبس : فأما الأخفش ومن معه فقد رأوا أن اللبس واقع فى أغلب المثل فطردوا الرأى طردا ، إعطاء للجميع حكم الغالب الكثير ، وأما ماحكاه الدمامينى عن ابن خروف فقد نظر إلى العلة التى اقتضت المنع فقضى بأنه حيث وجدت هذه العلة وجب أن يوجد الحكم ، ولم يحدد موضعا معينا توجد فيه العلة ، وأما ماحكيناه عن أبى حيان فقد نظر فيه هذه النظرة التى عللنا بها ماحكاه الدمامينى عن ابن خروف ، ولكنه زاد عن ذلك تحديد موضع اللبس ، ومع ما اشتمل عليه من التحديد لانرى لك أن تقتصر عليه ؛ لأن موطن اللبس غيرمقصور على ماذكر .

٦٧٧ — هذا صدر بيت من الوافر ، وعجزه قوله :

* أَزَلْنَا هَامَهُنَّ عَنِ الْمَقِيلِ *

وهذا البيت من شواهد سيبويه (١ / ٩٧) ولم ينسب فى صلب الكتاب ، ولا نسبه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده . وهومن كلام المرار — بفتح الميم وتشديد الراء — ابن منقذ التميمى .

اللغة : « بالسيوف » السيوف : جمع سيف ، والباء الداخلة عليه هى الباء التى تدخل على آلة الفعل كقولك : قطعت بالسكين « رؤوس » جمع رأس « هامهن » الهام : جمع هامة ، ويقال : هى الرأس كلها ، وقال ابن منظور : « الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس » اهـ . والضمير المتصل به يعود إلى الرؤوس ، قال العلامة الصبان : « والهام : جمع هامة ، وهى الرأس ، فإضافته إلى

... ...

ضمير الرؤوس للتأكيد ، وتطلق الهامة على جمجمة الدماغ ، والإضافة عليه من إضافة الجزء إلى الكل » اهـ . وقال الأعلم : « وأضاف الهام إلى الرؤوس ـ والهام هى الرؤوس ـ اتساعا ومجازاً وسوغ ذلك اختلاف اللفظين ، وربما وقع مثل هذا فى كلامهم ، كقولهم : مسجد الجامع ، ودار الآخرة ـ والجامع هو المسجد ، والآخرة هى الدار ـ » اهـ . وقوله فى بيت الشاهد « المقيل » فالمقيل فى الأصل : موضع النوم فى القائلة ـ وهى نصف النهار ـ فنقل من هذا المعنى إلى الموضع المستقر فيه الرأس تشبيها له بمعناه الأصلى ، قال الصبان : « وأراد بالمقيل العنق ، لأنها مقيل الرأس أى مستقره » اهـ . وقال الأعلم : « وأراد بالمقيل الأعناق لأنها مقيل الرؤوس وموضع مستقرها » اهـ . وقال ابن منظور : « وفى شعر ابن رواحة :

الْيَوْمَ نَضْرِبْكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ

الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس ، ومقيله : موضعه ، مستعار من موضع القائلة . وسكون الباء من نضربكم من جائزات الشعر ، وموضعها الرفع » اهـ .

المعنى : يصف قومه بالقوة والجلادة ، وبأنهم يقهرون أعاديهم وينتصرون عليهم ، فيقول : أزلنا هام هؤلاء الأعداء عن مواضع استقرارها بضربنا بسيوفنا رؤوسهم .

الإعراب : « بضرب » جار ومجرور متعلق بقوله أزلنا الآتى « بالسيوف » جار ومجرور متعلق بضرب أو بمحذوف صفة له « رؤوس » مفعول به لضرب ، وهو مضاف و « قوم » مضاف إليه « أزلنا » فعل وفاعل « هامهن »هام : مفعول به لأزلنا ، والضمير مضاف إليه «عن المقيل» جار ومجرور متعلق بقوله أزلنا .

الشاهد فيه : قوله « بضرب ... رؤوس » حيث نصب المفعول به ـ وهوقوله « رؤوس » ـ بالمصدر المنون وهو قوله « ضرب » كما ينصبه بالفعل ، وهذا المصدر مستكمل لشرط العمل ، فإنه حال محل الفعل المسبوق بأن المصدرية ، ألا ترى أن قوله « بضرب بالسيوف رؤوس قوم » موضوع موضع قولك : بأن ضربنا بالسيوف رؤوس قوم . ونظيره قول الشاعر :

فَلَوْلاَ رَجَاءُ النَّصْرِ مِنْكَ وَرَهْبَةٌ عِقَابَكَ قَدْ صَارُوا لَنَا كَالْمَوَارِدِ

وقول الآخر :

أَخَذْتُ بِسَجْلِهِمْ فَنَفَحْتُ فِيهِ مُحَافَظَةً لَهُنَّ إِخَا الذِّمَامِ

الشاهد فى أول هذين البيتين قوله « ورهبة عقابك » حيث نصب المفعول به ـ وهو قوله « عقابك » ـ بالمصدر المنون الذى هو قوله « ورهبة » . والشاهد فى ثانيهما قوله « محافظة إخا

وإعمالُ الثالث قليلٌ ، كقوله :

٦٧٨ — * ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ *

الدمام » حيث نصب المفعول به ـ وهو قوله « إخا الدمام » ـ بالمصدر المنون الذى هو قوله « محافظة » بعد أن ضمنه معنى مراعاة أو تقدير أو نحوهما .

واعلم أن تجويز إعمال المصدر المنكور هو مذهب جمهور البصريين وأكثر النحاة ، وذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز إعماله ، وقالوا : إن وقع بعده مرفوع أو منصوب فالعامل فعل يفسره هذا المصدر ، فتقدير البيت عندهم : نضرب رؤوس .

٦٧٨ — هذا صدر بيت من المتقارب ، وعجزه قوله :

* يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاخِى الْأَجَلْ *

وهذا البيت من شواهد سيبويه (١/٩٩) ولم ينسب فى صدر الكتاب ، ولا نسبه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده .

اللغة : « النكاية » بكسر النون ـ مصدر قولك : نكى العدو ـ مثل رمى ـ إذا أصاب منه . قال الجوهرى : « نكيت فى العدو نكاية ، إذا قتلت فيهم وجرحت ، قال أبو النجم :

نَحْنُ مَنَعْنَا وَادِيَىْ لِصَافَا نَنْكِى الْعِدَا وَنُكْرِمُ الْأَضْيَافَا » اهـ

وفى الحديث « أو ينكى لك عدوا » وقال ابن الأثير فى بيان معناه : « يقال : نكيت فى العدو أنكى ـ مثل رميت أرمى ـ إذا أكثرت فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك » اهـ .

وبالتأمل فى هذه العبارات تجد الجوهرى وابن الأثير يجعلون هذا الفعل متعديا بفى ، ولكن عبارة الأعلم التى ستسمعها فى بيان معنى البيت ، وبيت أبى النجم الذى أنشده الجوهرى ، والحديث الذى أثرناه وشرحه ابن الأثير ، وبيت الشاهد الذى نحن بصدد شرحه ، كل أولئك يدل على أن هذا الفعل يتعدى بنفسه ، والذهاب إلى أن هذه النصوص كلها من باب الحذف والإيصال مما يقطع الثقة بدلالة النصوص على ماتتعدى به الأفعال « يخال » يظن « الفرار » بكسر الفاء ـ النكول ، والتولى عن اقتحام الأهوال ، والهرب من منازلة الأقران « يراخى » يؤخر ويؤجل ، والأصل فى هذه المادة إرخاء عنان الفرس ، وهو توسيعه وعدم تضييقه ليكون له وسعة فى التصرف ، قال ابن منظور : « قال أبو منصور : ويقال : راخ له من خناقه ، أى رفه عنه . وأرخ له قيده ، أى وسعه ولا تضيقه . ويقال : أرخ له الحبل ، أى وسع عليه الأمر فى تصرفه حتى يذهب حيث شاء » اهـ .

المعنى : قال الأعلم الشنتمرى : « يهجو رجلا فيقول : هو ضعيف عن أن ينكى أعداءه ، وجبان عن أن يثبت لقرنه ، ولكنه يلجأ إلى الفرار ، ويخاله مؤخراً لأجله » اهـ .

الإعراب : «ضعيف» خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : هو ضعيف ، وهو مضاف و«النكاية»

... ...

مضاف إليه «أعداءه» أعداء: مفعول به عامله هو المصدر المذكور، ويقال عامله مصدر منكور يدل عليه هذا المصدر المذكور، وستعرفه في بيان الاستشهاد بالبيت، وأعداء مضاف وضمير الغائب العائد إلى المحدث عنه مضاف إليه «يخال» فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو «الفرار» مفعول أول ليخال «يراخى» فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى الفرار «الأجل» مفعول به ليراخى منصوب بالفتحة الظاهرة، وسكن لأجل الوقف، وجملة يراخى وفاعله ومفعوله في محل نصب مفعول ثان ليخال، وجملة يخال وفاعله ومعموليه في محل رفع خبر ثان للمبتدأ المحذوف، أو معطوفة بحرف عطف محذوف على جملة الخبر.

الشاهد فيه: قوله «النكاية أعداءه» حيث نصب المفعول به — وهو قوله «أعداءه» — بالمصدر المقترن بأل الذي هو قوله «النكاية».

وقد اختلف النحاة في جواز إعمال المصدر المقرون بأل، ولهم في ذلك أربعة أقوال: الأول يجوز من غير قبح، وهو مانسبه العلماء إلى سيبويه، والثاني: لا يجوز مطلقا، وهو مذهب البغداديين وجماعة من البصريين، ووجهه عندهم أن المصدر إنما عمل بالحمل على الفعل، وأل تبعد شبهه بالفعل لكونها من خصائص الأسماء، وعندهم أنه إذا وجد ماظاهره ذلك كان مؤولا على أن العامل فعل أو مصدر منكور محذوف يدل عليه المصدر المذكور، والثالث: يجوز مع القبح، وهو رأى أبي على الفارسي، والرابع: يجوز إذا كانت أل فيه معاقبة للتنوين كما في بيت الشاهد، وهو رأى ابن طلحة، ووافقه على هذا أبو حيان، ويمكن أن يكون هذا رأى سيبويه والأعلم على مايفهم من عبارتهما التي ستسمعها. والرأى الأول أرجح دليلا، وذلك لثلاثة أمور: أولها وروده في الكلام العربي المنقول إلينا عن الأثبات من العلماء كما في هـــذا البيت والبيتين بعده، وكما في قول الآخر:

تَعَجَّبْتُ مِنَ الرِّزْقِ الْمُسِيءِ إِلٰهَهُ وَلِلتَّرْكِ بَعْضَ الصَّالِحِينَ فَقِيرَا

وثانيها: أن ترك مايصلح للعمل ولو مع ضعف — مع ذكره في الكلام — والبحث عن عامل غيره مذكور خلاف الأصل ورفع للثقة بدلالة النصوص، وثالثها: أن التنوين يبعد شبه المصدر بالفعل كما أن أل فيما تزعمون تبعد شبهه بالفعل، لأن أل والتنوين جميعاً من خصائص الأسماء فلماذا جوزتم إعمال المنون ولم تجوزوا إعمال المقرون بأل؟، وهذا إنما يصلح دليلا في مواجهة من يجيز عمل المصدر المنكور.

قال سيبويه: «وتقول: عجبت من الضرب زيداً، كما قلت: عجبت من الضارب زيداً، تكون الألف واللام بمنزلة التنوين، وقال الشاعر: * ضعيف النكاية أعداءه * وقال المرار الأسدى * لقد علمت أولى المغيرة ... * » اهـ

وقوله :

لَقَدْ عَلِمَتْ أُولَى الْمُغِيرَةِ أَنَّنِي كَرَرْتُ فَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعَا(١)

وقوله :

٦٧٩ — فَإِنَّكَ وَالتَّأْبِينَ عُرْوَةَ بَعْدَمَا دَعَاكَ وَأَيْدِينَا إِلَيْهِ شَوَارِعُ

وقد أشار إلى ذلك فى النظم بالترتيب .

وقال الأعلم : « الشاهد فى نصب الأعداء بالنكاية ، لمنع الألف واللام من الإضافة ، ومعاقبتها للتنوين الموجب للنصب . ومن النحويين من ينكر عمل المصدر وفيه الألف واللام لخروجه عن شبه الفعل ، فينصب مابعده بإضمار مصدر منكور ، فتقديره ضعيف النكاية نكاية أعداءه ، وهذا يلزمه مع تنوين المصدر ؛ لأن الفعل لاينون ، فقد خرج المصدر عن شبه الفعل بالتنوين ، فينبغى على مذهبه ألا يعمل عمله » اهـ .

(١) هذا هو الشاهد رقم (٤٠٩) وقد تقدم مشروحا فى باب التنازع فى العمل (ج ٢ ص ٣٠٠ وما بعدها من هذا الكتاب) والذى ذكره الشارح هنا إحدى روايتين فى البيت ذكرناها هناك وبينا وجه الاستشهاد بالبيت على كل واحدة منهما . والذى نريد أن ننبهك إليه هنا هو أن هذه الرواية التى ذكرها الشارح فى هذا الباب هى التى قلنا عند شرح البيت فى باب التنازع إنه يتعين عليها تقدير نصب « مسمعا » بالمصدر المقرون بأل وهو قوله « الضرب » .

٦٧٩ — هذا بيت من الطويل ، ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، وقد أنشده ابن منظور فى لسان العرب (و ق ع) مهملا ، وأنشد معه بيتا تاليا له وهو قوله :

لَكَالرَّجُلِ الْحَادِي وَقَدْ تَلَعَ الضُّحَى وَطَيْرُ الْمَنَايَا فَوْقَهُنَّ أَوَاقِعُ

اللغة : « التأبين » هو الثناء على الإنسان وتعداد مناقبه والإشادة بمحاسنه بعد موته ، فأما فى حياته فمدح أو ثناء ، وذكر الصبان أنه يروى « التأنيب » ومعناه التوبيخ والتقريع ، والبيتان لايدلان عليه « عروة » بضم فسكون — اسم رجل « دعاك » استصرخك واستغاث بك وناداك لتنصره وتأخذ بيده « وأيدينا إليه شوارع » جملة حالية ، وشوارع : جمع شارعة ، أى ممتدة بالرماح — مثلا — مصوبة إليه لتنفذ فيه ، وتقول : شرع فلان رمحه أو سيفه نحو عدوه وأشرعه نحوه أيضا — إذا أقبلهما إياه وسددهما له ، وتقول : شرع الرمح أو السيف ، إذا امتد قبالة العدو ، فالثلاثى لازم ومتعد ، ومن تعديه قول الشاعر :

أَفَاجُوا مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ لَمَّا رَأَوْنَا قَدْ شَرَعْنَاهَا نِهَالَا

ومن لزومه قول الآخر :

... ...

غَدَاةَ تَعَاوَرَتْهُ ثَمَّ بِيضٌ شَرَعْنَ إِلَيْهِ فِي الرَّهَجِ الْمُكِنِّ

« الحادى » السائق ، تقول : حدا إبله يحدوها ، إذا ساقها ، والحداء ـ بالضم ـ ضرب من الغناء كانوا يسوقون به الإبل تنشيطا لها ، « تلع الضحى » انبسط ضوء النهار وارتفع ، وتقول : تلع النهار ، وأتلع ، وتلعت الضحى ، وأتلعت ، وقال الشاعر :

أَأَنْ غَرَّدَتْ فِي بَطْنِ وَادٍ حَمَامَةٌ بَكَيْتَ وَلَمْ يَعْذِرْكَ بِالْجَهْلِ عَاذِرُ

تَعَالَيْنَ فِي عُبْرِيَّةٍ تَلَعَ الضُّحَى عَلَى فَنَنٍ قَدْ نَعَّمَتْهُ السَّرَائِرُ

و « المنايا » جمع منية وهى الموت ، وأصلها فعيلة من منى الله الشىء يمنيه ـ مثل رماه يرميه ـ إذا قدره وهيأ أسبابه لأنها مقدرة « أواقع » جمع واقع ، وهو اسم فاعل فعله وقع ، والأصل وواقع فأبدلوا الواو الأولى همزة كما قالوا « أواقى » فى جمع واقية وأصله وواقى ، وكما قالوا « أواصل » فى جمع واصلة وأصله وواصل ، قال المهلهل :

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَتْكَ الْأَوَاقِي

وتقول : وقع الطائر يقع وقوعا فهو واقع ، إذا نزل عن طيرانه .

المعنى : يندد برجل كان له صديق خاض معركة القتال فلما رأى أن لاقبل له بعدوه استغاث به لينقذه فلم يغثه ، فلما مات وقف يبكيه ويعدد مآثره بعد أن فاتت الفرصة ، ويقول : إنك فى تأبينك عروة صديقك وتعدادك لمحاسنه وجميل صفاته بعد ما مات وقد كان دعاك لتغيثه فى حال حياته وحين كانت شفقتك به وعطفك عليه مجديا فلم تستجب له ـ تشبه رجلا يحدو بإبله وهى ميتة فهو لا يأتى بثمرة ولا يحصل من عمله على نتيجة .

الإعراب : « إنك » إن : حرف توكيد ونصب ، وضمير المخاطب اسمه « والتأبين » الواو يجوز أن تكون عاطفة فالتأبين معطوف على اسم إن ، ويجوز أن تكون واو المعية فالتأبين مفعول معه « عروة » مفعول به للتأبين منصوب بالفتحة الظاهرة « بعد ما » بعد : ظرف زمان متعلق بالتأبين ، وما : مصدرية « دعاك » دعا : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى عروة ، وضمير المخاطب مفعول به ، وما المصدرية مع الفعل وفاعله فى تأويل مصدر مجرور بإضافة بعد إليه « وأيدينا » الواو واو الحال ، أيدى : مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الياء ، والضمير مضاف إليه « إليه » جار ومجرور متعلق بقوله شوارع الآتى « شوارع » خبر المبتدأ ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب حال ، وخبر إن فى البيت التالى الذى أنشدناه فى صدر الكلام على هذا البيت وهو متعلق قوله « كالرجل » .

الشاهد فيه : قوله « التأبين عروة » حيث نصب المفعول به ـ وهو قوله « عروة » ـ بالمصدر

﴿ تنبيه ﴾ : لا خلاف فى إعمال المضاف ، وفى كلام بعضهم ما يُشعر بالخلاف[1] ،

المقترن بأل الذى هو قوله « التأبين » . وفيه خلاف النحاة الذين ذكرناهم وذكرنا مقالاتهم ووجه كل واحدة منها فى شرح الشاهد المتقدم (رقم ٦٧٨) .

(١) قال صاحب التصريح (٢/٧٩ بولاق) : « وعمل المصدر مضافا أكثر من عمله غير مضاف ، وهو متفق عليه ، ويضاف إلى الفاعل تارة وإلى المفعول أخرى ، فالأول نحو (ولولا دفع الله الناس) والثانى كقوله :

أَلاَ إِنَّ ظُلْمَ نَفْسِهِ الْمَرْء بَيِّنٌ إِذَا لَمْ يَصُنْهَا عَنْ هَوًى يَغْلِبُ الْعَقْلاَ » اهـ

وقال سيبويه (١/٩٧) : « وإن شئت حذفت التنوين كما حذفت فى الفاعل ، ويكون المعنى على حاله ، إلا أنك تجر الذى يلى المصدر ، فاعلا كان أو مفعولا ؛ لأنه اسم قد كففت منه النون ، كما فعلت ذلك بفاعل ، ويصير المجرور بدلا من التنوين معاقبا له ، وذلك قولك : عجبت من ضربه زيدا ، إن كان فاعلا ، ومن ضربه زيد ، إن كان المضمر مفعولا ، وتقول : عجبت من كسوة زيد أبوه ، وعجبت من كسوة زيد أباه ، إذا حذفت التنوين ، ومما جاء لاينون قول لبيد :

عَهْدِى بِهَا الْحَىَّ الْجَمِيعَ وَفِيهِمُ قَبْلَ التَّفَرُّقِ مَيْسِرٌ وَنِدَامُ

ومنه قولهم : سمع أذنى زيداً يقول ذلك ، قال رؤبة .

وَرَأْىُ عَيْنَىَّ الْفَتَى أَبَاكَا يُعْطِى الْجَزِيلَ فَعَلَيْكَ ذَاكَا

وتقول : عجبت من ضرب زيد وعمرو ، إذا أشركت بينهما . ومن قال : هذا ضارب زيد وعمرا ، قال : عجبت من ضرب زيد وعمراً » اهـ ، ونرى أن نحيلك فى فهم بيتى لبيد ورؤبة اللذين وردا فى عبارة سيبويه إلى ماذكرناه بتوسع فى مباحث حذف الخبر وجوبا من باب المبتدأ والخبر (١/٣٠٣) . وقال صاحب الهمع (٢/٩٣) : « وإعماله مضافا أكثر من إعماله منونا ، استقراء ، وعلله ابن مالك بأن الإضافة تجعل المضاف إليه كجزء من المضاف كما يجعل الإسناد الفاعل كجزء من الفعل وتجعل المضاف كالفعل فى عدم قبوله أل والتنوين ، فقويت بها مناسبة المصدر للفعل ، ثم إعماله منونا أكثر من إعماله معرفا بأل ، لأن فيه شبها بالفعل المؤكد بالنون الخفيفة ، وأنكر الكوفية إعماله منونا ، وقالوا : إن وقع بعده مرفوع أو منصوب فباضمار فعل يفسره المصدر من لفظه ، كقوله تعالى : (أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما) التقدير : يطعم يتيما . ورد بأن الأصل عدمه . ثم يليه إعماله معرفا بأل كقوله * ضعيف النكاية أعداءه * وقوله * فلم أنكل عن الضرب مسمعا * وأنكره كثيرون والبغداديون وقوم من البصريين وقدروا له عاملا » اهـ كلامه ، وقال بعد ذلك « وقال الزجاج إعمال المنون أقوى من إعمال المضاف ، لأن ماشبه به — يريد الفعل — نكرة فكذا ينبغى أن يكون — يريد المشبه الذى هو المصدر — نكرة . ورد بأن إعماله ليس للشبه ، بل بالنيابة

والثانى أجازه البصريون ومنعه الكوفيون ، فإن وقع بعده مرفوعٌ أو منصوبٌ فهو بفعلٍ مضمر . وأما الثالث فأجازه سيبويه ومَنْ وافقه ، ومنعه الكوفيون و بعضُ البصريين.

(إنْ كَانَ فِعْلٌ مَعَ « أنْ » أوْ « مَا » يَحُلُّ * مَحَلَّهُ) أى : المصدرُ إنما يعملُ فى موضعين : الأول : أن يكون بدلاً من اللفظ بفعله ، نحو « ضَرْبًا زَيْدًا » وقوله :

* فَنَدْلاً زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ(١) *

وقوله :

٦٨٠ — يَاقَابِلَ التَّوْبِ غُفْرَانًا مَآثِمَ قَدْ أَسْلَفْتُهَا أنَا مِنْهَا خَائِفٌ وَجِلُ

عن حرف مصدرى والفعل ، والمنوب عنه فى رتبة المضمر . وقال ابن عصفور : إعمال المعرف أقوى من إعمال المضاف فى القياس ، وقيل . المضاف والمنون فى الإعمال سواء . قال أبو حيان : وترك إعمال المضاف وذى أل عندى هو القياس ؛ لأنه قد دخله خاصة من خواص الاسم ؛ فكان قياسه ألا يعمل ، فكذلك المنون لأن الأصل فى الأسماء ألا تعمل فاذا تعلق اسم باسم فالأصل الجر بالإضافة » اهـ .

(١) هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ *

وهذا هو الشاهد رقم (١٤) وقد تقدم مشروحا بما لا حاجة معه إلى إعادة شىء منه ، فارجع إلى ذلك فى (ج ١ ص ٢٦ من هذا الكتاب) ثم انظر (ج ٢ ص ٣٥٧ من هذا الكتاب) .

٦٨٠ — هذا بيت من البسيط ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به ، والظاهر أنه من صنع بعض المؤلفين .

اللغة : « التوب » بفتح التاء وسكون الواو — أحد مصادر تاب . وتقول : تاب فلان من ذنبه يتوب توبا وتوبة ومتابا ، إذا رجع إلى ربه « غفرانا » بضم فسكون — أحد مصادر غفر . وتقول : غفر الله ذنب فلان يغفره غفرا — مثل ضرب يضرب ضربا — ومغفرة وغفرانا ، إذا صفح عنه ، وأصل الغفران التغطية والستر فكأن الله تعالى بتجاوزه عما يستحقه عبده من العقوبة على ما أزلف من ذنب قد غطاه له وستره عليه « مآثم » جمع مأثم ، وهو والإثم — بكسر فسكون — بمعنى الذنب . وتقول : أثم فلان يأثم إثما — مثل علم يعلم علما — ومأثما ، فهو آثم وأثيم وأثوم ، إذا وقع فى الإثم . وتقول : أثمه الله يأثمه — مثل ضربه يضربه — إثما وأثاما فالعبد مأثوم ، وذلك إذا جازاه الله جزاء الإثم ، قال نصيب بن رباح الأسود الحبكى مولى بنى الحبيك بن عبد مناة ، وهو غير نصيب الأسود المروانى :

فزيداً والمـالَ ومآثِمَ : نصبٌ بالمصدر لابالفعل المحذوف على الأصح . والثانى : أن يصحَّ تقديرُه بالفعل مع الحرف المصدرى : بأن يكون مُقَدَّراً بأنْ والفعل ، أو بمـا والفعل ، وهو المراد هنا ، فيقدَّر بأنْ إذا أريد المضىُّ أو الاستقبال، نحو : عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِكَ زَيْدًا ــ أمْسِ ، أو غَدًا ، والتقدير : مِنْ أنْ ضَرَبْتَ زيداً أمسِ ، أو من أن تَضْرِبه غداً ، ويُقَدَّر بمـا إذا أريدَ الحالُ ، نحو : عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِكَ زَيْدًا الآنَ ، أى مِمَّـا تَضْرِبه(١) .

وَهَلْ يأْثَمَنِّى اللهُ فِى أنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّلْتُ أَصْحَابِى بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ

« أسلفتها » قدمتها ، والسلف ــ بفتحتين ــ كل عمل قدمه العبد « وجل » بفتح الواو وكسر الجيم ــ صفة مشبهة معناها شديد الخوف ، وتقول : وجل يوجل وجلا فهو وجل ــ بزنة فرح يفرح فرحا فهو فرح .

المعنى : هذا البيت يقوله قائله دعاء لله تعالى ، واستغفاراً عما قدم من الذنوب ، يقول : ياربنا ، يامن يقبل التوبة من عباده ، اغفر لى ذنوبا كثيرة قد جنتها يدى فيما مضى ، وأنا من عقوبتك عليها خائف شديد الخوف .

الإعراب : « يا » حرف نداء « قابل » منادى منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « التوب » مضاف إليه « غفرانا » مفعول مطلق لفعل محذوف وجوبا ، والتقدير : اغفر غفرانا « مآثم » مفعول به لغفران منصوب بالفتحة الظاهرة « قد » حرف تحقيق « أسلفتها » فعل ماض ، وتاء المتكلم فاعله ، وضمير الغائبة العائد إلى المآثم مفعول به ، والجملة من الفعل الماضى وفاعله ومفعوله فى محل نصب صفة لقوله « مآثم » السابق « أنا » ضمير منفصل مبتدأ « منها » جار ومجرور متعلق بخائف الآتى « خائف » خبر المبتدأ « وجل » خبر ثان ، وجملة المبتدأ وخبره يجوز أن تـكون فى محل نصب صفة ثانية لقوله « مآثم » ويجوز أن تـكون استئنافية يقصد منها التعليل لطلب الغفران فلا محل لهـا من الإعراب .

الشاهد فيه : قوله « غفرانا مآثم » حيث نصب المفعول به ــ وهو قوله « مآثم » ــ بالمصدر الآتى بدلا من اللفظ بفعله الذى هو قوله « غفرانا » فإن هذا المصدر نائب مناب فعل الدعاء وهو قولك « اغفر » . وهذا يدل على أن المصدر الآتى بدلا من التلفظ بفعله ينصب المفعول به ، ونظيره البيت المذكور قبل هذا وهو الذى أحلناك فى شرحه على مكان سابق من هذا الـكتاب .

(١) اقتصر الشارح تبعاً للناظم فى التسهيل على أن تقدير المصدر بأن المصدرية والفعل يكون عند إرادة المضى أو الاستقبال ، وتقديره بمـا المصدرية والفعل يكون عند إرادة الحال ، وظاهره أنه لاتقدر « ما » مع الفعل عند إرادة الماضى ولا عند إرادة المستقبل ، وقد وجه العلامة الصبان

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : ذكر فى التسهيل مع هذين الحرفين « أن » المخففة نحو : عَلِمْتُ ضَرْبَكَ زَيْداً ، فالتقدير : علمت أنْ قَدْ ضربت زيدا ، فأنْ مخففة لأنها واقعة بعد عِلْم ، والموضع غير صالحٍ للمصدرية .

الثانى : ظاهرُ قوله « إنْ كان » أنَّ ذلك شرطٌ لازم ، وقد جعله فى التسهيل غالبا . وقال فى شرحه : وليس تقديره بأحد الثلاثة شرطًا فى عمله ، ولكن الغالب أن يكون كذلك ، ومِنْ وُقوعِهِ غيرَ مقدَّر بأحدها قولُ العرب : « سَمْعُ أُذُنِى أَخَاكَ يَقُولُ ذلِكَ(١) » .

ذلك بأنه إيثار للأدل على المراد ، وبيان ذلك أن « أن » المصدرية إذا دخلت على فعل ماض كان معها دالا على المضى أيضاً ، وإذا دخلت على فعل مضارع كان معها دالا على الاستقبال ليس غير ، وأن « ما » المصدرية إذا دخلت على فعل ماض كان معها دالا على المضى ، وإذا دخلت على فعل مضارع بقى معها صالحا للحال وللاستقبال كما هو شأنه قبلها ، فاذا أردنا تقدير المصدر بفعل وحرف مصدرى نظرنا فإن كان المراد — مع ذلك — الدلالة على الزمن الماضى جئنا بأن المصدرية مع فعل ماض فيتعين المراد ، وإن أردنا الدلالة على الزمن المستقبل جئنا بأن المصدرية مع فعل مضارع فيتعين المراد أيضا ، وإذا أردنا الدلالة على الزمن الحاضر جئنا بما المصدرية مع فعل مضارع ، وإذا كنا لا نستعمل « ما » إلا فى هذا الموضع للدلالة على ذلك فإنه يتعين المراد ، لا من جهة الوضع وصلاحية اللفظ فإن « ما » على ما علمت صالحة للاستعمال مع الدلالة على جميع الأزمنة ، ولكن من جهة الاستعمال . وقد أجاز صاحب همع الهوامع تقدير المصدر بما والفعل عند إرادة الماضى أيضاً ، قال : « ويقدر بأن غير المخففة للماضى كقوله :

* أَمِنْ بَعْدِ رَمْىِ الْغَانِيَاتِ فُؤَادَهُ *

والمستقبل كقوله :

فَرُمْ بِيَدَيْكَ هَلْ تَسْطِيعُ نَقْلاً ... جِبَالاً مِنْ تِهَامَــةَ رَاسِيَاتِ

و « ما » للماضى والحال ، كقوله تعالى : (كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ) وقوله : (تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِــكُمْ أَنْفُسَــكُمْ) وأن المخففة للثلاثة . . . » اهـ .

(١) « سمع » مبتدأ خبره محذوف وجوبا ، وجملة : « يقول ذلك » فى محل نصب حال من « أخاك » وهو من باب قولهم « ضربى العبد مسيئا » الذى سبق شرحه فى باب المبتدأ والخبر ، وقد مضت هذه العبارة فى كلام سيبويه الذى أثرناه لك آنفاً (انظر الحاشية رقم ١ فى ص ١١) ومثلها البيتان الواردان فى كلامه هناك ، ومثل ذلك كله قول أعرابى : اللَّهُمَّ إنَّ اسْتِغْفَارِى إيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِى لَلُؤْمٌ ، وَإنَّ تَرْكِى الِاسْتِغْفَارَ مَعَ عِلْمِى بِسَعَةِ عَفْوِكَ لَعِىٌّ . وقد حدد

... ...

العلماء المواضع التى لايقدر فيها المصدر العامل بحرف مصدرى وفعل ؛ فالأول : أن يكون المصدر قد وقع مبتدأ حذف خبره وجوبا لسد حال لاتصلح للإخبار بها مسده كالمثال الذى ذكره الشارح والبيتين الواردين فى كلام سيبويه ، ووجه عدم صحة تقدير المصدر فى هذا الموضع – على ماذهب إليه جمهور البصريين – أن العرب قد التزموا فيه وقوع المصدر الصريح أو أفعل التفضيل المضاف إليه أو إلى المصدر المؤول ، ولم يرد عنهم وقوع المصدر المؤول مبتدأ بهذه الصفة ، فالكلام به كلام بما لم ينطق به العرب . والموضع الثانى : أن يكون المصدر اسما لإن المؤكدة متصلا بها كقول الأعرابى « إن استغفارى إياك – الخ » ووجهه أن العرب لايوقعون « أن » وصلتها بعد إن إلا أن يفصلوا بينها وبين المصدر بالخبر كما فى قوله تعالى : (إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى) وكما فى قول الشاعر :

إِنَّ عَلَيَّ اللهَ أَنْ تُبَايِعَا تُؤْخَذَ كَرْهاً أَوْ تَجِيءَ طَائِعَا

والموضع الثالث : أن يكون المصدر اسما لكان ، كما تقول : كان ضربك زيداً أليما ، وكان توقيرك أستاذك حسنا ، وكانت يقظتك إلى مادبر لك منجاة ، ووجهه ماذكرناه فى إن . والموضع الرابع : أن يكون المصدر اسما للا النافية للجنس غير التكررة نحو أن تقول : لا إعراض عن أحد ، أو تقول لا التفات إلى مالايفيد ، ووجهه أن العرب لم تستعمل المصدر المؤول بعد لا إلا أن يجيئوا بها مكررة والموضع الخامس : أن يكون المراد بالمصدر اسم العين ، كأن تقول «قول أخيك مستقيم» وأنت تريد بالقول الكلام الذى نطق به ، ووجه ذلك فى هذا الموضع أنك لو قدرت المصدر بالفعل لفات عليك ماقصدت إليه من الدلالة بالمصدر على المفعول لأن الفعل إنما يدل على الحدث . والموضع السادس : أن يكون المصدر غير مراد به الحدوث نحو قولهم « مررت بزيد فإذا له صوت صوت حمار » ألا ترى أن المعنى أنك مررت به وهو فى حال تصويت لاأنه أحدث تصويتا حين مررت به ، ووجه ذلك فى هذا الموضع مفهوم من تعليل الموضع الذى قبله . الموضع السابع : أن يكون المصدر مؤكدا لعامله ، ووجه ذلك فى هذا الموضع أن تأويل المصدر بالفعل وحرف المصدر يجعله مبينا للنوع وذلك بسبب إسناد الفعل إلى فاعله مع أن القصد من الإتيان بهذا المصدر هو مجرد التأكيد. الموضع الثامن : أن يكون المصدر مبينا للعدد ، ووجه ذلك فى هذا الموضع أنك لو أولت المصدر بالفعل والحرف المصدرى لم يبق فى الكلام مايدل على العدد فيفوت الغرض من استعمال المصدر . وبعد ، فقد اختلفت كلمة العلماء فى أنه هل يشترط لإعمال المصدر غير النائب عن فعله صحة إحلال الفعل مع حرف المصدر محله : فذهب ابن مالك فى التسهيل إلى أن ذلك ليس بشرط ، ولكن الغالب أنه حين يعمل يصح إحلال الفعل محله ، وهذا هو المفهوم من كلام سيبويه فى عدة مواضع من كتابه. وقد نص رضى الدين الاستراباذى فى شرح الكافية على أن ظاهر كلام سيبويه أن المصدر الثانى

الثالث : لإعمال المصدر شروطٌ ذكَرَها فى غير هذا الكتاب : أحدها : أن يكون مُظْهَرًا ، فلو أُضمِر لم يعمل خلافا للكوفيين ، وأجاز ابنُ جِنِّى فى الخصائص والرُّمَّانى إعماله فى المجرور وقياسه فى الظرف . ثانيها : أن يكون مُكَبَّرًا ، فلو صُغِّر لم يعمل . ثالثها : أن يكون غَيْرَ محدودٍ ، فلو حُدَّ بالتاء لم يعمل ، وأما قولُه :

٦٨١ — يُحَايِى بِهِ الجَلْدُ الَّذِى هُوَ حَازِمٌ   بِضَرْبَةِ كَفَّيْهِ المَلَا نَفْسَ رَاكِبِ

المنصوب فى قولهم « مررت به فإذا له صوت صوت حمار » منصوب بالمصدر الأول الذى هو صوت لا بفعل مقدر ، وذلك حيث يقول بعد ذكر هذا المثال : « وإنما انتصب لأنك مررت به فى حال تصويت ومعالجة » . وهذا هو الذى تؤيده النصوص الواردة عنهم كالعبارة التى ذكرها الشارح والعبارة الأخرى التى أثرناها فى صدر هذا البحث والبيتين الواردين فى عبارة سيبويه التى أشرنا لها من قبل وذهب أبو حيان — تبعاً للجمهور من النحاة — إلى أن هذا شرط لازم فمتى لم يصح إحلال الفعل مع الحرف المصدرى محل المصدر لم يجز أن يعمل ، وهذا هو مقتضى ظاهر عبارة الناظم فى الألفية على ما ذكر الشارح ، ويلزمهم أن يقدروا ناصبا للأخ فى قولهم « سمع أذنى أخاك يقول ذلك » وما أشبهه ، وهو تكلف لاداعى له ، مع أنهم لم يقولوا بموجبه فى الموضع الأول ، وهو المصدر الواقع مبتدأ وخبره محذوف ، بل عبارتهم تنادى بأن هـذا المصدر عامل ، ألا ترى أن العلماء قد ذكروا أن ضابط حذف الخبر وجوبا هو « أن يكون مصدراً عاملا فى اسم ظاهر مفسر لضمير ذى حال بعده لاتصلح لأن تكون خبراً عن ذلك المبتدأ » فقولهم « عاملا فى اسم ظاهر » صريح الدلالة على أن هذا المصدر عامل، مع أنا قررنا أنه لا يحل محله الفعل، فاحفظ هذا البحث فإنه من بديع التحقيق ، والله يسددك ويرشدك .

٦٨١ — هذا بيت من الطويل ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، والعلماء يروونه ثانى بيتين ، وأولهما — وبه يظهر المعنى — هو قوله :

وَدَاوِيَةٍ قَفْرٍ يَحَارُ بِهَا القَطَا   أَدِلَّةُ رَكْبِيها بَنَاتُ النَّجَائِبِ

اللغة : « داوية » يجوز أن يكون بتشديد الياء وأن يكون بتخفيفها ، والدو ، والدوية ، والداوية ، كل ذلك بمعنى ، وهو الفلاة الواسعة ، وقيل : إذا كانت بعيدة الأطراف مستوية واسعة ، والداوية إنما سميت بذلك لدوى الصوت الذى يسمع فيها ، وقيل : لأنها تدوى بمن صار فيها، أى تذهب بهم ، مأخوذ من قولهم «قد دوى فى الأرض » أى ذهب . وقيل : فى بلاد العرب أرض اسمها الدو مسيرتها أربع ليال خاوية يسار فيها بالنجوم ويخاف فيها الضلال وهى على طريق البصرة متياسرة إذا أصعدت إلى مكة شرفها الله ، وسميت الدو لأن الفرس كانوا يسلكونها بلطائمهم فإذا كانوا فيها

... ...

تحاضوا على الجد فى السير وقالوا بالفارسية : دو ، دو ، ومعناه أسرع أسرع . والدوية منسوبة إلى الدو ، والداوية ـ بالتخفيف ـ فاعلة منه ، والداوية بالتشديد ـ المنسوب إلى فاعل منـه بحذف لامه « يحاربها القطا » القطا : طائر يضرب به المثل فى الاهتداء ، يقال : فلان أهدى من القطا ، وقال الشاعر :

تَمِيمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ سُبْلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتِ

« أدلة » جمع دليل ، وهو الذى يسير أمام القوم ليرشـدهم إلى السبيل « ركبيها » هكذا يروى بالتثنية ، وواحده ركب ، وهو اسم جمع ، ويقال لركاب الإبل خاصة « النجائب » جمع نجيبة ، والنجائب : عتاق الإبل التى يسابق عليها « يحابى » قال الصبان تبعا للعينى إن معناه يحيى ، وهو تفسير لا بأس به لوساعدته اللغة ، ولـكن الموجود فى كتب اللغة التى بأيدينا أن المحاباة هى غذاء الصبى بما به حياته ، وفى اللسان عن المحكم « المحاباة : الغذاء للصبى لأن حياته به » اهـ . يقولون : حايا الصبى ، إذا غذاه ، وحايا النار بالنفخ ، إذا أشعلها وأحياها ، وحايا زيدا ، إذا كلفه الحياء ، والمتجه عندنا أن يكون المراد هنا بيحابى أنه يعطى قليلا قليلا كل مايمسك عليه رمقه ويحفظ حياته من ماء وطعام ، وذلك مأخوذ من قولهم «حايا الصبى» على مابيناه «به» هكذا وقع فى روايات النحويين ، وفسره الصبان بقوله « أى بالماء » ولم يتقدم للماء ذكر ، والرواية الصحيحة « بها » والضمير للداوية ، والباء ظرفية بمعنى فى ، أى فيها « الجلد » بفتح الجيم وسكون اللام ـ هو القوى الاحتمال للمشاق ، وأصله الجلد ـ بفتحتين ـ وهو القوة والشدة « حازم » هو الذى يأخذ أموره بالثقة والضبط «الملا » فسره الصبان تبعاً للعينى بقوله «والملا ـ مقصور ـ هو التراب» وفى كتب اللغة أن الملا يطلق على الأرض الواسعة «نفس راكب» هو عندنا من وضع الظاهر موضع المضمر وأصل العبارة على مارجحنا « يحابى بها الجلد الذى هو حازم نفسه بضربة كفيه الملا » فوضـع « نفس راكب » موضع « نفسه » .

المعنى : قال الصبان تبعا للعينى : « يصف الشاعر مسافراً معه ماء فتيمم وأحيا بالماء نفس راكب كاد يموت عطشا » اهـ . وبعد أن ذكرنا لك البيت السابق على بيت الشاهد ، وذكرنا معانى مفردات البيتين ، وبينا أن صحة الرواية « بها » فى مكان ماذكروه ، وأن هذا الضمير يعود إلى الداوية لا إلى الماء الذى لم يتقدم له ذكر ـ بعد كل هـذا لا يعسر عليك أن تدرك أن الشاعر يصف فلاة واسعة الأرجاء لاتدرك العين مداها وأنها مما يضل فيها الهداة ، ويصف أنه اجتاز هذه الصحراء مع رفقة له وليس لهم دليل إلا نجائب إبلهم وأن الجلد الصبور القوى على احتمال المشقات والذى كان يأخذ بالحزم منهم كان يقتصد فى الطعام والشراب ، ولم يكن ليتناول إلا الشىء بعد الشىء يعالل به نفسه ، ولهذا عدل عن الوضوء إلى التيمم ليبقى على الماء الذى معه خوفا على نفسه من الهلاك .

فشاذ . رابعها : أن يكون غَيْرَ منعوت قبلَ تمـام عمله ، فلا يجوز أَعْجَبَنِي ضَرْبُكَ الْمُبَرِّحُ زَيْدًا ؛ لأن معمول المصدر بمنزلة الصلة من الموصول فلا يُفْصَلُ بينهما . فإن ورد مايُوهِم ذلك قُدِّرَ فعلٌ بعد النعت يتعلق به المعمول المتأخر ، فلو نعت بعد تمـامه لم يمنع ، والأولى أن يُقَال « غير متبوع » بدَلَ « غير منعوتٍ » ؛ لأن حُكْمَ سائر التوابع حُكْمُ النعتِ فى ذلك . خامسها : أن يكون مُفْرَدًا . وأما قوله :

٦٨٢ — قَدْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ أَبَا قُدَامَـــةَ إِلاَّ الْمَجْدَ وَالْفَنَعَا

فشاذ .

الإعراب : « يحابى » فعل مضارع مرفوع بضمه مقدرة على الياء « بها » جار ومجرور متعلق بيحابى « الجلد » فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة « الذى » نعت للجلد ، مبنى على السكون فى محل رفع « هو » ضمير منفصل مبتدأ « حازم » خبر المبتدأ مرفوع بالضـمة الظاهرة ، والجملة من المبتدأ وخبره لامحل لها من الإعراب صلة الموصول « بضربة » جار ومجرور متعلق بيحابى أيضا وضربة مضاف وكفى من « كفيه » مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه مثنى ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد إلى الجلد مضاف إليه « الملا » مفعول به لضربة « نفس » مفعول به ليحابى ، وهو مضاف و « راكب » مضاف إليه .

الشاهد فيه : قوله «ضربة كفيه الملا» حيث نصب المفعول به — وهو قوله «الملا» — بالمصدر المحدود الذى هو قوله « ضربة» بعد أن أضاف هذا المصدر إلى فاعله على ماتبين لك من إعراب البيت . وإعمال المصدر فى هذه الحال شاذ ؛ لأن صيغته المقترنة بالتاء ليست هى الصيغة التى هى أصل الفعل ، والمصدر المحدود هو الدال على المرة بواسطة اقترانه بتاء الوحدة . وهـذا يدل على أنه لو كانت التاء فى بناء المصدر من أول الأمر كرغبة ورحمة ورهبـة لم يكن إعماله شاذاً ؛ لأنه حينئذ غير دال على الوحدة فلا يكون محدوداً ، فاعرف ذلك .

٦٨٢ — هذا بيت من البسيط ، وهو البيت الثالث والخمسون من قصيدة للأعشى ميمون ابن قيس يمدح فيها هوذة بن على الحنفى ، وأولها قوله :

بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا وَاحْتَلَّتِ الْغَمْرَ فَالْجُدَّيْنِ فَالْفَرَعَا

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلاَّ الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا

وقبل البيت المستشهد به قوله :

يَا هَوْذَ إِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ لاَ يَفْشَلُونَ إِذَا مَا آنَسُوا فَزَعَا

هُمُ الْخَضَارِمُ إِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا وَلاَ يُرَوْنَ إِلَى جَارَاتِهِمْ خُنُعَا

... ...

قَوْمٌ بُيُوتُهُمُ أَمْنٌ لِجَارِهِمُ ... يَوْمًا إِذَا ضَمَّتِ الْمَحْضُورَةُ الْفَزَعَا
وَهُمْ إِذَا الْحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا ... مِثْلُ اللُّيُوثِ وَسُمٌّ عَاتِقٌ نَقِعَا
غَيْثُ الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ كُلِّهِمُ ... لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا
مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ ... إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ زَيَّنَهَا ... صُـوَّاغُهَا لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبَعَا
وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيبَاجِ يَلْبَسُهُ ... أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوًّا بِذَاكَ مَعَا
لَمْ يَنْقُصِ الشَّيْبُ مِنْهُ مَا يُقَالُ لَهُ ... وَقَدْ تَجَاوَزَ عَنْهُ الْجَهْلُ فَانْقَشَعَا
أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ ... لَوْ صَارَعَ النَّاسُ عَنْ أَحْلَامِهِمْ صَرَعَا
قَدْ حَمَّـلُوهُ فَتِيَّ السِّنِّ مَا حَمَلَتْ ... سَادَاتُهُمْ فَأَطَاقَ الْحِمْلَ وَاضْطَلَعَا
وَجَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ ... أَبَا قُدَامَةَ ... البيت ، وبعده :
مَنْ يَرَ هَوْذَةَ أَوْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهِ ... يَكُنْ لِهَوْذَةَ فِيمَا نَالَهُ تَبَعَا
تَلْقَى لَهُ سَادَةَ الْأَقْوَامِ تَابِعَةً ... كُلٌّ سَيَرْضَى بِأَنْ يُرْعَى لَهُ تَبَعَا

اللغة : « قدجربوه » قد رأيت أن رواية الديوان « وجربوه » ويرويه ابن منظور فى اللسان (ج ر ب) « كم جربوه » ورواه كرواية الديوان فى (ف ن ع) ونقول : جرب الرجل يجربه تجربة ــ مثل قدمه يقدمه تقدمه ــ إذا اختبره ، ورجل مجرب ــ على زنة اسم المفعول ــ قد اختبر ماعنده ، ورجل مجرب ــ على زنة اسم الفاعل ــ قد عرف الأمور وجربها ، ومثل المجرب ــ بفتح الراء ــ المضرس والمجرس والمنجذ ، كل هذا يقال للذى أحكمته الأمور وقواه الابتلاء ، والتجارب جمع التجربة ، وهو أحد المصادر التى جمعت ، والقياس ألا تجمع ، وذلك لأن المصدر دال على جنس الحدث وهو صادق بالقليل والكثير بلفظ واحد ، ولهذا إذا أريد بالمصدر النوع وكان ثمة أنواع جاز أن يجمع « أبا قدامة » هذه كنية هوذة الممدوح بهذه القصيدة « المجد » هو اسم جامع لخصال المروءة والسخاء والشرف ، وقيل : المجد كرم الآباء خاصة ، وقيل : المجد أن تأخذ من خصال الشرف والسودد مايكفى ، وقدمجد يمجد مجداً فهوماجد ــ مثل نصر ينصر نصراً فهو ناصر ــ ومجد يمجد ــ مثل كرم يكرم ــ مجادة فهو مجيد « والفنع » بفتح الفاء والنون جميعاً ــ الكرم والعطاء والجود الواسع والفضل الكثير .

الإعراب : « قد » حرف تحقيق « جربوه » فعل ماض ، وواو الجماعة فاعله ، وضمير الغائب

... ...

العائد إلى الممدوح مفعول به « فما » الفاء حرف عطف . ما : حرف نفى « زادت » زاد : فعل ماض ، والتاء علامة على تأنيث الفاعل « تجاربهم » فاعل زادت ، وضمير الغائبين مضاف إليه « أبا » مفعول به لتجارب لأنه مصدر الفعل المتعدى ، وستعرف لنا رأيا فى هذا الإعراب ، وهو مضاف و « قدامة » مضاف إليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه لا ينصرف للعلمية والتأنيث « إلا » أداة استثناء ملغاة لاعمل لها «المجد» مفعول به لزادت منصوب بالفتحة الظاهرة «والفنعا» الواو حرف عطف ، الفنع : معطوف على المجد ، والألف فى آخره للاطلاق .

الشاهد فيه : اعلم أنه قد اجتمع فى هذا البيت عاملان أحدهما فعل ــ وهو قوله « زادت » ــ وثانيهما اسم هو مصدر ــ وهو قوله «تجاربهم» ــ وتأخر عنهما معمولان أحدهما يصح فى الظاهر أن يكون مطلوبا لكل منهما وهو قوله «أبا قدامة» ــ وثانيهما ليس مطلوبا إلا لواحد من العاملين ــ وهو قوله « المجد والفنعا » المطلوب من حيث المعنى لزادت دون غيره ــ فلما كان قوله « أبا قدامة » من حيث الظاهر يصح أن يكون مطلوبا لكل واحد من العاملين اللذين هما قوله زادت وقوله تجاربهم على أنه مفعول به لأيهما ــ اعتبره العلماء من باب التنازع فى لفظ المعمول ، واعتبروه من إعمال العامل الثانى فى لفظ المعمول مع حذف ما يقتضيه العامل الأول لكونه فضلة ، ولم يجوزوا أن يكون من إعمال العامل الأول لأنه لو أعمل الأول لكان يجب أن يعمل العامل الثانى فى ضمير المعمول ولا يحذفه كما هى قاعدة باب الاشتغال، فكان يقول : قد جربوه فما زادت تجاربهم أبا قدامة إياه، والأصل فما زادت أبا قدامة تجاربهم إياه ، فلما لم يقل ذلك تبين لنا أنه قد أعمل العامل الثانى . وعلى هذا جرى العلماء من قدامى النحاة ومتأخريهم ، وأقدم من وقفنا له على تخريج فى هذا البيت هو ابن الأعرابى ، قال ابن منظور فى اللسان عنه (ج ر ب) « والتجربة من المصادر المجموعة ، قال النابغة ✲ إلى اليوم قد جربن كل التجارب ✲ وقال الأعشى ✲ كم جربوه فما زادت تجاربهم . . . البيت ✲ فإنه مصدر مجموع معمل فى المفعول به وهو غريب » اهـ . وقد بين أبو الفتح بن جنى ماذكرناه لك فى قوله «وقد يجوز أن يكون أبا قدامة منصوبا بزادت : أى فما زادت أبا قدامة تجاربهم إياه إلا المجد ، قال : والوجه أن تنصبه بتجاربهم ؛ لأنها العامل الأقرب ، ولأنه لو أراد إعمال الأول لكان حرى أن يعمل الثانى أيضا فيقول : فما زادت تجاربهم إياه أبا قدامة إلا كذا ، كما تقول : ضربت فأوجعته زيداً، ويضعف أن تقول : ضربت فأوجعت زيداً ــ على إعمال الأول ــ وذلك أنك إذا كنت تعمل الأول على بعده وجب إعمال الثانى أيضا لقربه ؛ لأنه لايكون الأبعد أقوى حالا من الأقرب . فان قلت : أكتفى بمفعول العامل الأول من مفعول الثانى . قيل لك : فإذا كنت مكتفيا مختصراً فاكتفاؤك بإعمال الثانى الأقرب أولى من اكتفائك بإعمال الأول الأبعد، وليس لك فى هذا مالك فى الفاعل لأنك تقول : لاأضمر على غير تقدم ذكر إلا مستكرها ، فتعمل الأول فتقول: قام وقعدا أخواك ، فأما المفعول فمنه بد ، فلا ينبغى أن يتباعد بالعمل إليه ويترك ماهو أقرب إلى المعمول

وليس من الشروط كونُه بمعنى الحال أو الاستقبال ؛ لأنه يعمل لا لشبهه بالفعل بل لأنه أصلُ الفعلِ ، بخلاف اسم الفاعل فإنه يعمل لشبهه بالمضارع ، فاشتُرِط كونُه حالاً أو مستقبلا ؛ لأنهما مدلولا المضارع .

* * *

(وَلِاسْمِ مَصْدَرٍ عَمَلْ) واسمُ المصدر هو : ماسَاوَى المصدَرَ فى الدلالة على معناه وخَالَفَهُ بخُلُوِّهِ — لفظاً وتقديرًا دون عِوَضٍ — مِنْ بعض مافى فعله ، كذا عَرَّفَه فى التسهيل .

فيه منه » اهـ كلامه بحروفه. وعلى هذا الذى ذكره ابن جنى تضافرت كلمة متأخرى النحاة . قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : والذى يظهر لى أن هؤلاء العلماء اعتبروا « زاد » فعلا متعديا إلى مفعول واحد ، واعتبروا مع ذلك « تجاربهم » مصدراً لفعل متعد إلى واحد متوجهاً وطالباً لذلك المفعول الذى يقتضيه ، فلزم على هذين الاعتبارين أن يكون البيت من باب التنازع ولزم أن يعتبر من باب إعمال الثانى من العاملين فى لفظ المعمول المتأخر وحذف مايقتضيه العامل الأول لكونه فضلة ، لأن عكس ذلك — وهو إعمال أول العاملين فى لفظ المعمول مع حذف مايقتضيه العامل الثانى — من الضرورات الشعرية ، وحمل الكلام على ماهو سائغ جائز من غير ضرورة أولى من حمله على ما لا يجوز إلا فى ضرورة الشعر ، على ماذكرناه غير مرة . وعندى أن « زاد » فى هذا البيت فعل متعد إلى مفعولين ، مثله فى قوله تعالى (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) وقوله سبحانه (وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) ، وأن « تجاربهم » مصدر الفعل المتعدى بحسب أصله ، ولكنه هنا منزل منزلة اللازم فهو غير طالب لمفعول ولا متوجه إليه ، وعلى ذلك يكون قوله « أبا قدامة » مفعولا أول لزادت ، وقوله « المجد » مفعولا ثانيا له . وبهذا التخريج يسقط الاستشهاد بالبيت على إعمال المصدر المجموع ، ولا يكون البيت من باب التنازع أصلا ؛ وذلك لأن من شرط التنازع أن يكون كل واحد من العاملين بحيث لو سلط على المعمول لأثر فيــــه ، والعامل الثانى — على ماذكرنا — لا ينصب المفعول به لأنه منزل منزلة اللازم ، وهذا الوجه يجعل للكلام رونقاً وبهاء ويدنيه من البلاغة . وللبيت تخريج آخر سنح للخاطر وبه يخرج عن الاستشهاد به ، وذلك أن يكون قوله « أبا قدامة » منادى بحرف نداء محذوف ، وكأنه قال فما زادت تجاربهم ياأبا قدامة إلا المجد والفنعا ولكن هذا التخريج ليس فى منزلة ماذكرناه من قبل .

هذا ، ومن إعمال المجموع من المصدر أو اسم المصدر قول الشاعر الأشجعى :

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبِ

فإن « مواعيد » جمع موعد ، وهو مصدر ميمى أضيف إلى فاعله . ثم نصب قوله « أخاه » على أنه مفعول به ، والنحاة يسمون المصدر الميمى اسم مصدر على ما ستعرف .

نخرج نحوُ « قِتَالٍ » فإنه خَلاَ من ألف قَاتَلَ لفظا لا تقديرا ، ولذلك نُطق بها فى بعض المواضع نحو : قاتل قِيتَالاً ، وضَارَبَ ضِيرَاباً ، لكنها انقلبت ياء لانكسار ما قبلها ، ونحوُ « عِدَةٍ » فإنه خلا من واو وَعَدَ لفظا وتقديراً ، ولكن عُوِّض منها التاء ؛ فهما مصدران لا اسما مصدر ، بخلاف الوُضُوء والْكَلاَم من قولك تَوَضَّأَ وُضُوءا وتَكَلَّمَ كلامًا فإنهما اسما مصدرٍ ، لا مصدران ، لخلوهما لفظا وتقديراً من بعض ما فى فعلهما ، وحَقُّ المصدر أن يتضمَّنَ حروفَ فعله بمساواةٍ نحو تَوَضَّأَ تَوَضُّؤًا ، وبزيادةٍ نحو أَعْلَمَ إِعْلاَمًا .

ثم اعلم أن اسم المصدر على ثلاثة أنواع : عَلَمٍ نحو يَسَارِ وفَجَارِ وَبرَّة ، وهذا لا يعمل اتفاقا . وذى مِيمٍ مَزِيدةٍ لغير مُفَاعلة كالمَضْرِبِ والمَحْمَدَة، وهذا كالمصدر اتفاقا . ومنه قوله :

٦٨٣ — أَظَلُومُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً أَهْدَى السَّلاَمَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

٦٨٣ — هذا بيت من الكامل، وقد نسبه أبو محمد القاسم بن على الحريرى فى كتابه « درة الغواص » رواية عن أبى العباس محمد بن يزيد المبرد إلى العرجى — وهو عبد الله بن عمر بن عمرو ابن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية، وقيل له العرجى لأنه كان يسكن عرج الطائف ، وكان من شعراء قريش ، وممن اشتهر بالغزل منهم ، ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك وتشبه به فأجاد — ونسبه غير الحريرى إلى الحرث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى ، أحد بنى مخزوم ابن يقظة بن مرة ، وهو أحد شعراء قريش المعدودين الغزلين ، وكان أيضا يذهب مذهب عمر بن أبى ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبب بها ، وقد ولاه عبد الملك بن مروان مكة ، وكان ذا قدر وخطر ومنظر فى قريش ، وقد ذكر صاحب اللسان (ص و ب) نقلا عن ابن برى ما يؤيد صحة هذا ، قال : «قال ابن برى : هذا البيت ليس للعرجى كما ظنه الحريرى فقال فى درة الغواص هو للعرجى ، وصوابه أظليم ، وظليم : ترخيم ظليمة ، وظليمة : تصغير ظلوم تصغير الترخيم ، وظليم : هى أم عمران زوجة عبد الله بن مطيع ، وكان الحرث ينسب بها ، ولما مات زوجها تزوجها » اهـ كلامه ، وقد رأيت بيت الشاهد ثامن تسعة أبيات يقولها الحارث فى التغزل ، وقال أبو الفرج : إنه يتغزل فيها بأمة الملك بنت عبد الله بن خالد ابن أسيد ، وقبله قوله :

أَقْوَى مِنَ آلِ ظُلَيْمَةَ الْحَزْمُ فَالْغَمْرَتَانِ فَأَوْحَشَ الْخَطْمُ
فَجَنُوبُ أَثْبِرَةٍ فملحدها فَالسِّدْرَتَانِ فَمَا حَوَى رَسْمُ
وَبِمَا أَرَى شَخْصاً بِهِ حَسَناً فِى الْقَوْمِ إِذْ حَيَّتْكُمُ نُعْمُ
إِذْ وُدُّهَا صَافٍ وَرُؤْيَتُهَا أُمْنِيَّةٌ ، وَكَلاَمُهَا غُنْمُ

... ...

هَيْفَاءُ مَمْلُوءٌ مُخَلْخَلُهَا عَجْزَاءُ لَيْسَ لِعَظْمِهَا حَجْمُ

خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُهَا رُودُ الشَّبَابِ عِلاَبُهَا عَظْمُ

وَكَأَنَّ غَالِيَةً تُبَاشِرُهَا تَحْتَ الثِّيَابِ إِذَا صَفَا النَّجْمُ

أَظُلَيْمُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً ... ... البيت ، و بعده :

أَقْصَيْتِهِ وَأَرَادَ سِلْمَكُمُ فَلْيَهْنِهِ إِذْ جَاءَكِ السِّلْمُ

اللغة : « أظلوم » هكذا وقع فى عامة كتب النحاة وفى رواية الحريرى فى الدرة عن المبرد وفى كثير من كتب الأدب ، وقد رأيت فى الأبيات التى أثرناها لك وفى كلام ابن برى أنه يروى « أظليم » وصرح بأنه خير ، وقد ذكروا ـ أيضا ـ أن اسم التى كان يتغزل فيها ظلمة ، وعلى هذا يكون « ظليمة » تصغير اسمها ، وأما « ظلوم » فالأحسن فيه عندنا أنه وصف للمبالغة من الظلم ، ومن الناس من يقول إنه من تغيير الأعلام ، وليس بشىء فيما نرى وفى اللسان « أسليم » «مصابكم» مصاب : مصدر ميمى بمعنى الإصابة،وتقول : أصاب فلان فلانا بكذا، إذا ضره به «أهدى السلام» أراد ألقاه عليها ، وإنما جعله هدية تلطفا معها لأن مقام النسيب يقتضى ذلك « تحية » التحية : مصدر حياه ـ بتضعيف الياء ـ وأصل معناه دعا له بالحياة ، ثم عم فى كل كلام يلقيه بعض الناس على بعض بقصد الدعاء كقولهم : أبيت اللعن ، ثم خصته الشريعة الإسلامية بكلام معين وهو قول القائل « السلام عليكم » .

الإعراب : « أظلوم » الهمزة حرف لنداء القريب أو ماهو بمنزلته ، ظلوم : منادى مبنى على الضم فى محل نصب « إن » حرف توكيد ونصب « مصابكم » مصاب : اسم إن منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه من إضافة اسم المصدر إلى فاعله « رجلا » مفعول به لاسم المصدر « أهدى » فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود على رجل « السلام » مفعول به لأهدى ، وجملة الفعل وفاعله ومفعوله فى محل نصب صفة لرجل « تحية » مفعول لأجله عامله أهدى منصوب بالفتحة الظاهرة « ظلم » خبر إن مرفوع بالضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « مصابكم رجلا » حيث نصب المفعول به ـ وهو قوله « رجلا » ـ بما سماه الشارح تبعا لابن الناظم باسم المصدر الذى هو المصدر الميمى المضاف إلى فاعله وهو « مصابكم » وكان بعض النحاة يروى هذا البيت برفع « رجل » ويجعل « مصابكم » اسم مفعول من الإصابة مضافا إلى مرفوعه ، ويجعله اسم إن ، و « رجل » خبرها ، ويكون « ظلم » فى آخر البيت خبراً لمبتدإ محذوف . وتقدير البيت على هذا الوجه : إن الذى أصبتموه بهجركم له وتجنيكم عليه رجل

والاحتراز بغير مفاعلة من نحو مُضَارَبة من قولك ضَارَبَ مُضَارَبَةً فإنها مصدر . وغَيْرُ هذين — وهو مراد الناظم — فيه خلاف ، فمنعه البصريون ، وأجازه الكوفيون والبغداديون ، ومنه قوله :

٦٨٤ — أَكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ المِائَةَ الرِّتَاعَا

موصوف بأنه أهدى السلام لأجل التحية ، وهذا ظلم . قال الحريرى : « روى أبو العباس المبرد أن بعض أهل الذمة سأل أبا عثمان المازنى أن يقرئه كتاب سيبويه ، وبذل له فى ذلك مائة دينار ، فامتنع أبو عثمان من ذلك ، فقال له المبرد : جعلت فداك ! أترد هذه النفقة مع فاقتك واحتياجك إليها ؟ فقال أبو عثمان : هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة وكذا آية من كتاب الله ، ولست أرى أن أمكن منها ذميا ، غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له . قال : واتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجى ☆ أظلوم إن مصابكم رجلا ☆ فاختلف من بالحضرة فى إعراب « رجلا » فمنهم من نصبه وجعله اسم إن ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازنى لقنها إياه بالنصب ، فأمر الواثق بإشخاصه ، قال أبو عثمان : فلما مثلت بين يديه قال : ممن الرجل ؟ قلت : من مازن يا أمير المؤمنين ، قال : أى الموازن ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلمنى بكلام قومى وقال : با اسمك ؟ — لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما إذا كانت فى أول الأسماء — فكرهت أن أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر ، فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ، ففطن لما قصدته ، وأعجبه منى ذلك . ثم قال ماتقول فى قول الشاعر ☆ أظلوم إن مصابكم رجلا ☆ أترفع رجلا أم تنصبه ؟ فقلت : الوجه النصب يا أمير المؤمنين ، قال : ولم ذلك؟ قلت : إن «مصابكم» مصدر بمعنى إصابتكم ، فأخذ اليزيدى[1] فى معارضتى ، فقلت : هو بمنزلة قولك : إن ضربك زيدا ظلم ، فالرجل مفعول مصابكم ومنصوب به ، والدليل عليه أن الكلام متعلق إلى أن تقول ظلم فيتم . فاستحسنه الواثق ، وأمر له بألف دينار . قال أبو العباس المبرد : فلما عاد أبو عثمان إلى البصرة قال لى : كيف رأيت ؟ رددنا مائة لله فعوضنا ألفا » اه .

٦٨٤ — هذا بيت من الوافر ، وهو من قصيدة طويلة للقطامى ، واسمه عمير بن شييم ، يمدح فيها زفر بن الحارث الكلابى ، وأولها قوله :

قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا وَلاَ يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ الْوَدَاعَا
قِفِي فَادِي أَسِيرَكِ إِنَّ قَوْمِي وَقَوْمَكِ لاَ أَرَى لَهُمُ اجْتِمَاعَا
وَكَيْفَ تَجَامُعٌ مَعَ مَا اسْتَحَلاَّ مِنَ الْحُرَمِ الْعِظَامِ وَمَا أَضَاعَا
أَلَمْ يَحْزُنْكِ أَنَّ حِبَالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتِ انْقِطَاعَا

(١) يروى أن الذى كان يعارض أبا عثمان المازنى فى ذلك هو يعقوب بن السكيت . واليزيدى : أحد أبناء أبى محمد اليزيدى مؤدب المأمون .

... ...

يُطِيعُونَ الْغُوَاةَ ، وَكَانَ شَرًّا ... لِمُؤْتَمِرِ الْغَوَايَةِ أَنْ يُطَاعَا

أَلَمْ يَحْزُنْكِ أَنَّ ابْنَيْ نِزَارٍ ... أَسَالَا مِنْ دِمَائِهِمَا التِّلَاعَا

والبيت المستشهد به ههنا هو البيت الثامن والثلاثون فى هذه القصيدة ، وقبله قوله :

وَمَنْ يَكُنِ اسْتَلَامَ إِلَى ثَوِيٍّ ... فَقَدْ أَكْرَمْتَ يَا زُفَرُ الْمَتَاعَا

أَكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي ... وَبَعْدَ ... ... البيت ، وبعده :

فَلَوْ بِيَدَيْ سِوَاكَ غَدَاةَ زَلَّتْ ... بِيَ الْقَدَمَانِ لَمْ أَرْجُ اطِّلَاعَا

إِذًا لَهَلَكْتُ لَوْ كَانَتْ صِغَارٌ ... مِنَ الْأَخْلَاقِ تُبْتَدَعُ ابْتِدَاعَا

اللغة : « قفى قبل التفرق ــ البيت » ضباع : ترخيم ضباعة ، قالوا : هى ابنة زفر بن الحارث، ونحن نستبعد أن يتغزل بابنة ممدوحه . يريد لايكون ذلك منك وداعا : أى آخر مايكون منك من اللقاء « قفى فادى أسيرك ــ البيت » قومى وقومك أراد بهم قيسا قومها وتغلب قومه ، وكانت بينهم حروب طاحنة « يطيعون الغواة ــ البيت » مؤتمر الغواية : هو الذى يحدث نفسه بالشر أو يأمر به . يريد أنهم يطيعون جهالهم ، وأن شر مايفعله الإنسان طاعته الجاهل فيما يأمره به « ألم يحزنك أن ابنى نزار ــ البيت » أراد بابنى نزار مضر وربيعة ، والتلاع ــ بكسر التاء ــ جمع تلعة ــ بفتح فسكون ، مثل جفنة وجفان وقصعة وقصاع ــ وهى مسيل من مكان مشرف إلى الوادى « ومن يكن استلام إلى ثوى ــ البيت » استلام : فعل مايلام عليه ، والثوى : الضيف المقيم ، والمتاع : الزاد ، يريد أنه زود وأحسن « أكفرا بعد رد الموت عنى ــ البيت » الكفر : جحد النعمة التى أسديت إليك وإنكارها على مسديها ، إما بالقول وإما بالعمل على غير مايوجبه الشكر ، وكان القطامى قد أسر فى هذه الحروب التى يشير إليها فأطلقه زفر بن الحارث ووهب له مائة من الإبل ففى ذلك يقول هذه القصيدة ، والرتاع ــ بكسر الراء ــ التى تستام وترتع وترعى ولا من يردها ، وذلك مما يورثها سمنا ، ويروى فى مكان هذه الكلمة « الرباعا » وهى التى تنتج فى زمن الربيع .

المعنى : يقول : أأجزيك جحداً لنعمتك ونكرانا لجميلك وأنت الذى مننت على بالحياة ووهبتنى العمر بعد ما كاد ينقضى ، ولم تكتف بذلك ، وإنما زدت تفضلا وأربيت فى المنة على ، وذلك غاية ما يرجى من الكريم .

الإعراب : « أكفرا » الهمزة للاستفهام الإنكارى ، كفراً : مفعول مطلق لفعل محذوف والتقدير : أأكفر كفرا « بعد » ظرف زمان منصوب بالفعل المحذوف العامل فى المصدر ، وهو

... ...

مضاف و « رد » مضاف إليـه ، ورد مضاف و « الموت » مضاف إليه « عنى » جار ومجرور متعلق برد « وبعد » الواو حرف عطف ، بعد : معطوف على بعد السابق ، وهو مضاف وعطاء من « عطائك » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه ، من إضافة اسم المصدر إلى فاعله ، مبنى على الفتح فى محل جر بالإضافة وله محل آخر هو الرفع بالفاعلية « المائة » مفعول به لاسم المصدر ، منصوب بالفتحة الظاهرة « الرتاعا » نعت للمائة ، ونعت المنصوب منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « عطائك المائة الرتاعا » حيث نصب المفعول به ــ وهو قوله « المائة الرتاعا » ــ باسم المصدر المضاف إلى فاعله الذى هو قوله « عطائك » .

واعلم أولا أن اسم المصدر على ثلاثة أنواع ــ كما ذكر الشارح تبعاً للناظم وابنـه ، وموافقة للرضى فى شرح الكافية وإن لم يذكر النوع الثانى للاتفاق فيه على عدم جواز الإعمال ــ الأول : المبدوء بالميم ، وتسمية هذا النوع اسم مصدر تسمية مجازية ، وهو عند التحقيق مصدر . والثانى : أعلام وضعت للدلالة على معنى المصدر ــ وهو الحدث ــ نحو يسار ، وبرة ، وفجار . والثالث : ألفاظ نكرات تدل على معنى المصدر وتنقص عن حروف الفعل لفظا وتقديراً من غير تعويض ، نحو أثابه ثوابا ، وكلمه كلاما ، وسلم عليه سلاما ، وأعطاه عطاء ، وتوضأ وضوءا ، واغتسل غسلا ، وتطهر طهراً .

واعلم ثانيا أنه لاخلاف بين أحد من النحاة فى جواز إعمال النوع الأول مما سمى باسم المصدر لأنه ــ كما ذكرنا ــ مصدر فى الحقيقة ، ولا خلاف بين أحد من النحاة فى أنه لايجوز إعمال النوع الثانى ؛ لأنه خالف المصدر مخالفة تامة ، ألا ترى أنه لا يقصد بلفظ منها ما يقصد بالمصدر من الشيوع ، وأن هذا النوع لايضاف كما يضاف المصدر ، ولا يوصف كما يوصف المصدر ، ولا يقع موقع الفعل ، ولا يقبل أل ، ولما كان هذا النوع من اسم المصدر مخالفاً للمصدر هذه المخالفة لم يستعملوه فى توكيد الفعل ولا فى بيان نوع الفعل ولا فى بيان مرات الحدث . واختلف النحاة فى جواز إعمال النوع الثالث من اسم المصدر ، ولهم فى ذلك ثلاثة أقوال : الأول ــ وهو قول البصريين ــ لا يجوز إعماله إلا فى ضرورة الشعر ، والثانى ــ وهو قول الكوفيين والبغداديين ــ يجوز إعماله قياسا مطردا إلحاقا له بالمصدر ، واستدلوا على ذلك بوروده معملا فى كثير من شواهد العربية منها ما ذكره الشارح هنا ، والقول الثالث ــ وهو قول إمام الكوفيين الكسائى ــ يجوز إعماله قياسا إلا ثلاثة ألفاظ منه ، وهى : الخبز ، والدهن ، والقوت ، فإنه لايجوز إعمالها ، فلا يقال على مذهبه : عجبت من خبزك الخبز ، ولا تقول : عجبت من دهنك

وقوله :

٦٨٥ — * بِعِشْرَتِكَ الْكِرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ *

رأسك ، ولاتقول : عجبت من قوتك عيالك . وخالفه فى ذلك الفراء وبقية الكوفيين ، وحكى الفراء عن العرب مثل أعجبنى دهن زيد لحيته . وقد ادعى أبو حيان فى الشواهد التى استدل بها الكوفيون التأويل ، قال : « والذى أذهب إليه فى المسموع من هذا النوع أن المنصوب فيه بمضمر يفسره ماقبله ، وليس باسم المصدر ، ولا يجرى اسم المصدر مجرى المصدر فى العمل لافى الضرورة ولا فى غيرها » اه كلامه وهو تكلف لامقتضى له . وستسمع فى شرح الشواهد الآتية تتمة لهذا الموضوع .

٦٨٥ — هذا صدر بيت من الوافر ، وعجزه قوله :

* فَلَا تَرَيَنْ لِغَيْرِهِمُ الْوَفَاءَ *

وبعض الناس يروى عجزه هكذا :

* فَلَا تُرَيَنْ لِغَيْرِهِمُ أُلُوفَا *

ولم أعثر لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به

اللغة : « بعشرتك » العشرة — بكسر العين وسكون الشين — اسم مصدر بمعنى المعاشرة ، وهى المخالطة . ومنهم من حكى : عشر فلان فلانا ، بمعنى خالطه وصاحبه ، ومن بابه : الخلطة بمعنى المخالطة والجيرة بمعنى المجاورة ، والصحبة بمعنى المصاحبة ، والألفة بمعنى الإلاف «الكرام» جمع كريم « تعد » هو من الأفعال التى تتعدى إلى مفعولين ، كما فى قول الشاعر (وهو الشاهد رقم ٣٢١ الذى مضى شرحه فى باب ظن وأخواتها) :

فَلَا تَعْدُدِ الْمَوْلَى شَرِيكَكَ فِى الْغِنَى ... وَلَكِنَّمَا الْمَوْلَى شَرِيكُكَ فِى الْعُدْمِ

« ترين » هو فى الرواية الأولى بالبناء للفاعل ، ومعناه لاتعتقد الوفاء واجبا عليك لغير الكرام ، وفى الرواية الأخرى بالبناء للمفعول ، ومعناه لاتقع عين أحد عليك وأنت مخالط لغير الكرام ، و « ألوفا » فى الرواية الثانية وصف من الألفة للدلالة على المبالغة ، والإلف — بكسر فسكون — والآلف — بوزن الفاعل — العشير المؤالف .

الإعراب : « بعشرتك » الباء جارة ، عشرة : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة والجار والمجرور متعلق بقوله تعد الآتى ، وعشرة مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه من إضافة اسم المصدر إلى فاعله ، مبنى على الفتح فى محل جر بالإضافة ، وله محل آخر هو الرفع بالفاعلية «الكرام» مفعول به لاسم المصدر منصوب بالفتحة الظاهرة «تعد» فعل مضارع مبنى للمجهول مرفوع بالضمة الظاهرة ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، وهو مفعوله الأول « منهم » جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان لتعد « فلا » الفاء دالة على التفريع ، لا : حرف نهى

وقوله :

٦٨٦ — قَالُوا : كَلَامُكَ هِنْدًا وَهْيَ مُصْغِيَةٌ يَشْفِيكَ؟ قُلْتُ : صَحِيحٌ ذَاكَ لَوْ كَانَا

«ترين» على الرواية الأولى ــ فعل مضارع مبنى للمعلوم ، مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة فى محل جزم بلا الناهية ، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، ونون التوكيد حرف لا محل له من الإعراب « لغيرهم » الجار والمجرور متعلق بترى أو بالوفاء الآتى ، وغير مضاف وضمير الغائبين العائد إلى الكرام مضاف إليه « الوفاء » مفعول به لترى .

الشاهد فيه : قوله « بعشرتك الكرام » حيث نصب المفعول به ــ وهو قوله « الكرام » ــ باسم المصدر الذى هو قوله « عشرة » بعد أن أضاف اسم المصدر إلى فاعله ، وهو يؤيد ماذهب إليه الكوفيون من جواز إعمال اسم المصدر عمل المصدر إذا كان بمعناه ، وهو ما اختاره العلامة رضى الدين فى شرح الكافية ، واختاره شيخ النحاة ابن مالك وتبعهما على ذلك جمهرة المتأخرين من النحاة ، قال العلامة الرضى : « ويعمل اسم المصدر عمل المصدر، وهو شيآن : أحدهما مادل على معنى المصدر مزيداً فى أوله ميم كالمقتل والمستخرج ، والثانى اسم العين مستعملا بمعنى المصدر ، كقوله * أكفرا بعد رد الموت عنى ... البيت السابق * أى إعطائك ، والعطاء فى الأصل اسم لما يعطى » اهـ . ولم يذكر النوع الثالث من اسم المصدر الذى هو الأعلام الدالة على معنى المصدر ــ على مانبهنا إليه فى شرح الشاهد السابق ــ لكونه لايعمل بالاتفاق وهو فى صدد بيان مايرى جواز إعماله من اسم المصدر ، فتنبه لذلك .

٦٨٦ — هذا بيت من البسيط ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : «كلامك» أراد به ههنا تكليمك ، وستعرف فى بيان الاستشهاد بالبيت أن الكلام يطلق على ثلاثة معان وأنه إنما يعمل عمل فعله الذى هو « تكلم » إذا كان بمعنى الحدث الذى يدل عليه لفظ التكليم « هندا » اسم امرأة « مصغية » اسم فاعل مؤنث فعله أصغى ، وتقول : أصغى فلان إلى حديث فلان ، إذا أنصت له وأرعاه سمعه ، وأصل هذه المادة تدل على الميل . وانظر إلى قوله تعالى : (فقد صغت قلوبكما) وكأنهم لحظوا أن المستمع يميل إلى جهة المتكلم إذ لو انحرف عنه لكان معرضا عن حديثه « يشفيك » يبرئك من سقام الحب وآلامه ، وتقول : شفى الله مريضنا يشفيه شفاء ، إذا أزال عنه وجعه وأبرأه «لوكان» لو ههنا يجوز أن تكون للتمنى وهو الأحسن، ويجوز أن تكون شرطية .

المعنى : يخبر الشاعر عن نفسه وقد تخيل أن سائلا سأله فقال له : أإذا حدثت هذه المحبوبة فأرعتك سمعها وأنصتت لك تبل من سقم الحب الذى نزل بك ؟ فأجاب عن هذا السؤال بأنه حقيقة يعتقد أن أسقام الحب تزول عنه لو حدث مايقولون .

... ...

الإعراب : « قالوا » فعل وفاعل « كلامك » كلام : مبتدأ ، مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه من إضافة اسم المصدر إلى فاعله « هندا » مفعول به لكلام منصوب بالفتحة الظاهرة « وهى » الواو واو الحال ، هى : ضمير منفصل مبتدأ « مصغية » خبر مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة المبتدإ وخبره فى محل نصب حال « يشفيك » يشفى : فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الكلام ، وضمير المخاطب مفعول به ليشفى مبنى على الفتح فى محل نصب ، وجملة الفعل المضارع وفاعله ومفعوله فى محل رفع خبر المبتدإ ، وجملة المبتدإ وخبره فى محل نصب مقول القول « قلت » فعل ماض وفاعله « صحيح » خبر مقدم « ذاك » اسم الإشارة مبتدأ مؤخر والكاف حرف خطاب ، وجملة المبتدإ وخبره فى محل نصب بقلت « لو » حرف تمن لا جواب له « كانا » فعل ماض تام بمعنى حصل أو ثبت ، وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود إلى مرجع اسم الإشارة ، والألف للإطلاق ، ويجوز أن تكون لو شرطية فيكون جوابها محذوفا لدلالة ماسبق عليه ، وكأنه قد قال : لو كان لشفانى .

الشاهد فيه : قوله « كلامك هندا » فإن « كلام » اسم مصدر دال على الحدث ، وقد أعمله الشاعر فى المفعول به ـ وهو قوله « هندا » ـ فنصبه به بعد أن أضافه إلى فاعله الذى هو ضمير المخاطب فى قوله « كلامك » ؛ فدل هذا على أن اسم المصدر إذا كان بمعنى الحدث الذى يدل عليه المصدر عمل ـ كما يعمل المصدر ـ عمل الفعل .

واعلم أولا أن لفظ الكلام فى الاستعمال اللغوى يدل على أحد ثلاثة أمور : أولها : الحدث الذى يدل عليه لفظ التكليم ، فتقول : أعجبنى كلامك زيدا ، تريد تكليمك إياه ، ومنه بيت الشاهد الذى نحن بصدد شرحه . وهو حين يدل على ذلك اسم معنى . وثانيها : مافى النفس من خواطر وهواجس وكل مايعبر عنه باللفظ لإفادة السامع ماقام بنفس المخاطب ، وذلك كأن يقوم بنفسك أنك تريد الانصراف الذى تعبر عنه لتفيد مخاطبك بقولك « أريد الانصراف » فيسمى هذا الذى تخيلته فى نفسك كلاما فى اللغة العربية ، وتأمل فى قول الأخطل التغلبى :

لاَ يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ خُطْبَةٌ ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلاَمِ أَصِيلاَ

إِنَّ الْكَلاَمَ لَفِى الْفُؤَادِ ، وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلاَ

وثالثها : كل ماتحصل به الفائدة ، سواء أكان ماحصلت به الفائدة ، لفظا أو خطا أو إشارة أو دلالة حال ، وانظر إلى قول العرب « القلم أحد اللسانين » وانظر إلى تسمية المسلمين ما بين دفتى المصحف « كلام الله » . ثم انظر إلى قوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره

وقوله :

٦٨٧ — لِأَنَّ ثَوَابَ اللهِ كلَّ مُوَحِّدٍ جِنَانًا مِنَ الفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ

وقول عائشة رضى الله عنها : « مِنْ قُبْـلَةِ الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ الْوُضُوءُ » .

حتى يسمع كلام الله) وإلى قوله جلت كلمته : (آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) ثم انظر إلى قول ذلك الشاعر الذى نفى الكلام اللفظى عن محبوبته وأثبت لعينها القول ، وذلك فى قوله :

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَيَّمِ

ثم انظر إلى قول نصيب بن رباح :

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِى أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فإنك إذا تأملت فى ذلك كله علمت أن « الكلام » يطلق فى الاستعمال العربى على كل ماذكرنا من كل مايفيد فائدة . وهو فى هذا الاستعمال وفى الاستعمال الذى قبله اسم عين لا اسم معنى .

ثم اعلم ثانيا أن لفظ الكلام حين يستعمل بأحد الاستعمالين الثانى والثالث لايعمل عمل الفعل ، وإنما يعمل عمل الفعل إذا كان مستعملا بالاستعمال الأول ، وذلك من قبل أن اسم المصدر — عند من قال إنه يعمل — إنما عمل بالحمل على المصدر ، وإنما يحمل على المصدر إذا دل على المعنى الذى يدل عليه المصدر وهو الحدث ، فأما إذا دل على أحد المعنيين الآخرين فانه يكون كالرجل والفرس وغيرهما من أسماء الذوات ولا عمل لشىء من ذلك .

٦٨٧ — هذا بيت من الطويل ، وهو ثامن ثمانية أبيات لحسان بن ثابت الأنصارى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول هذه الأبيات قوله :

وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ كَىْ يُجِلَّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهٰذَا مُحَمَّدُ

نَبِىٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ مِنَ الرُّسْلِ وَالْأَوْثَانُ فِى الْأَرْضِ تُعْبَدُ

فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا وَهَادِيًا يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنَّدُ

وَأَنْذَرَنَا نَارًا ، وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ ، فَاللهَ نَحْمَدُ

وَأَنْتَ إِلٰهَ الْخَلْقِ رَبِّى وَخَالِقِى بِذَلِكَ مَا عُمِّرْتُ فِى الْأَرْضِ أَشْهَدُ

... ...

تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلِ مَنْ دَعَا ... سِوَاكَ إلَهاً ، أَنْتَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ
لَكَ الْخَلْقُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ ... فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِى ، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ
لِأَنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ ... جِنَانٌ ... ... البيتَ

هكذا وقع فى ديوانه المطبوع فى لندن (ص ٦٦) ولم يرد بيت الشاهد فى نسخة ديوانه المطبوعة فى مصر فى عام ١٩٢٩ وورد فيها قبل ماذكرنا من الأبيات بيتان ، وهما قوله :

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ
وَضَمَّ الْإِلٰهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِى الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ

اللغة : « وشق له من اسمه ــ الخ » هذا البيت ــ وإن ذكر فى نسخ الديوان ــ ليس من كلام حسان بن ثابت ، ولكنه من شعر أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم « نبى أتانا بعد يأس ــ الخ » الفترة ــ بفتح فسكون ــ الزمان الذى ينقضى بين كل رسولين من رسل الله تعالى . والأوثان : جمع وثن . وأصل الوثن عند العرب كل تمثال يتخذ من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحو ذلك ، وكانت العرب تنصبها وتعبدها . وقد سمى الأعشى الصليب وثنا لأنه رأى النصارى يعظمونه تعظيم العرب أوثانها ، قال الأعشى ميمون بن قيس :

تَطُوفُ الْعُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ ... كَطَوْفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الْوَثَنْ

وقوله « فأمسى سراجا مستنيراً ــ الخ » هذا مأخوذ من قوله تعالى فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم : (وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً) أى أنه مثل السراج الذى يستضاء به . والصقيل : السيف « وأنذرنا ناراً وبشر جنة ــ الخ » صدر هذا البيت مأخوذ من قوله تعالى : (فأنذرتكم نارا تلظى) والإنذار : الإعلام مع التخويف والتحذير مما تسوء عاقبته ، وقوله « فالله نحمد » هو منصوب بالفعل المتأخر ، وقدم ليفيد القصر « لأن ثواب الله كل موحد ــ الخ » ثواب : اسم مصدر بمعنى الإثابة ، تقول : أثاب الله عبده يثيبه إثابة ــ مثل أقام يقيم إقامة ــ إذا جازاه بالخير على فعله ، ونظيره الجواب بمعنى الإجابة ، والموحد ــ بكسر الحاء المهملة مشددة ــ الذى يفرد الله تعالى بالعبادة ولا يشرك معه أحداً ، والجنان ــ بكسر الجيم ــ جمع جنة ــ بفتحها ــ وهى دار النعيم التى وعد المتقون ، ومثل هذا الجمع قصاع وجفان وصحاف فى جمع قصعة وجفنة وصحفة بفتح أوائلهن . والفردوس ــ بكسر أوله وسكون ثانيه ــ فى الأصل مأخوذ من الفردسة وهى السعة . قال الزجاج : الفردوس الوادى ينبت ضروبا من النبت . وقال ابن الأنبارى : هو البستان فيه كروم .

الإعراب . « لأن » اللام حرف جر دال على التعليل ، أن : حرف توكيد ونصب « ثواب »

﴿ تنبيه ﴾ إعمالُ اسم المصدر قليلٌ ، وقال الصيمرى : إعمالُهُ شاذ ، وقد أشار الناظم إلى قلته بتنكير « عَمَلْ » .

* * *

وَبَعْدَ جَرِّهِ الَّذِى أُضِيفَ لَهْ كَمِّلْ بِنَصْبٍ أَوْ بِرَفْعٍ عَمَلَهْ

اعلم أن المصدر المضاف خمسةَ أحوالٍ :

الأول : أن يضاف إلى فاعله ثم يأتى مفعوله ، نحو «وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ» .

الثانى : عكسُه ، نحو أَعْجَبَنِى شُرْبُ الْعَسَلِ زَيْدٌ .

اسم أن منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « الله » مضاف إليه من إضافة اسم المصدر إلى فاعله « كل » مفعول به لاسم المصدر ، وهو مضاف و « موحد » مضاف إليه « جنانا » رواية الشارح الأشمونى فى هذه اللفظة بالنصب ، وعليها يتم الاستشهاد بالبيت على ماستعرف ، وتخريجها على أن يكون مفعولا ثانيا لثواب كما قاله الصبان ، ومن الناس من يرويه بالرفع على أنه خبر أن ، ـ وهو كذلك فى نسخ الديوان ـ وفيه قصور «من الفردوس» جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لجنان « فيها » جار ومجرور متعلق بقوله يخلد الآتى « يخلد » فعل مضارع مبنى للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو ، والجملة من الفعل ونائب فاعله فى محل نصب صفة ثانية لجنان ، وخبر أن محذوف ، وتقدير الكلام : لأن ثواب الله كل موحد جنانا موصوفة بأنها من الفردوس وبأنها مكان تخليده حاصل ، وأن مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بلام التعليل .

الشاهد فيه : قوله « ثواب الله كل موحد جنانا » حيث نصب باسم المصدر الدال على الحدث وهو قوله « ثواب » مفعولين : أحدهما قوله « كل موحد » وثانيهما قوله «جنانا من الفردوس » بعد أن أضاف اسم المصدر إلى فاعله وهو لفظ الجلالة ، وإنما نصب به مفعولين لأن الفعل الذى يجىء هذا اسم مصدره يتعدى إلى مفعولين ، انظر إلى قوله تعالى: (وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) وقوله جل شأنه : (فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) وقوله : (فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ) وإنما نصب باسم المصدر لكونه دالا على الحدث الذى يدل عليه المصدر وهو الإثابة وهذا إنما يتم على رواية الشارح الأشمونى « جنانا » بالنصب ، فأما على رواية غيره بالرفع فإن الثواب فيها يكون بمعنى الشىء الذى يثاب به فيكون اسم عين لا اسم حدث ، ومن حقه حينئذ ألا يعمل أصلا ـ على ما ذكرنا فى شرح الشواهد السابقة ـ لاجرم كانت رواية شارحنا المحقق أدعى إلى القبول وأحق بالاتباع .

ومنه قوله :

٦٨٨ — * قَرْعُ الْقَوَاقِيزِ أَفْوَاهُ الأَبَارِيقِ *

٦٨٨ — هذا عجز بيت من البسيط ، وصدره قوله :

* أَفْنَى تِلاَدِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ *

وهذا البيت من قصيدة للمغيرة بن عبد الله بن معرض أحد بنى عمرو بن أسد الملقب بالأقيشر ، الأسدى ، وقبل البيت المستشهد بعجزه قوله :

أَقُولُ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّي أُقَبِّلُهَا ... أُخَاطِبُ الصِّيدَ أَبْنَاءَ الْعَمَالِيقِ

أَنى تُذَكِّرُنِي هِنْداً وَجَارَتَهَا ... بِالطَّفِّ صَوْتُ حَمَامَاتٍ عَلَى نِيقِ

أَفْنَى تِلاَدِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ ... قَرْعُ الْقَوَاقِيزِ ... البيت ، و بعده :

لاَ أَشْرَبَنْ أَبَداً رَاحاً مُسَارَقَةً ... إِلاَّ مَعَ الْغُرِّ أَبْنَاءِ الْبَطَارِيقِ

والأقيشر معروف بوصف الخمر وفيها له شعر كثير .

اللغة : « الصيد » جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبرا ، وهو أيضا الذى لا يلتفت يمينا أو شمالا لزهوه وخيلائه « العماليق » جمع عملاق ، وهو الرجل الذى يخدعك بظرفه والعماليق : قوم من فلسطين تفرقوا فى البلاد « نيق » النيق — بكسر النون — أرفع موضع فى الجبل ، وجمعه نياق ، وأنياق ، ونيوق « تلادى » التلاد — بكسر التاء ، بزنة كتاب — المال القديم الذى ورثته عن آبائك ، وهو التالد أيضاً ، والتليد — كظريف — والتلد — كفلس — والتلد كقفل — والتلد — كجمل — فأما ما استحدثته من المال فهو طارف وطريف « وما جمعت من نشب » النشب — بفتح النون والشين جميعاً — العقار ، أو المال الأصيل من ناطق وصامت ، ويقال: لهؤلاء القوم نسب ، وما لهم نشب ، إن هم إلا خشب « قرع القواقيز » القرع — بفتح فسكون — مصدر قولك : قرعت الشىء أقرعه — من باب فتح — إذا ضربته ، ولا يستعمل إلا فى ضرب شىء يابس صلب بآخر مثله ، والقواقيز : جمع قاقوزة — بقافين وزاى — وهى القدح الذى يشرب فيه الخمر ، ويروى « القوارير » جمع قارورة — بقاف واحدة وراءين مهملتين — وهى الزجاجة ، « الأباريق » جمع إبريق ، وهو ما كان له عروة ، فإن لم يكن له عروة فهو كوز « الغر » جمع أغر ، ويعنى به الأبيض ، وأصله من كان فى وجهه غرة « البطاريق » جمع بطريق — بكسر الباء وسكون الطاء — وهو القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، ويليه الطرخان وهو من كان تحت يده خمسة آلاف رجل ، ويجمع على بطارق وبطارقة ، والكلمة معربة .

الإعراب : « أفنى » فعل ماض « تلادى » مفعول مقدم على الفاعل منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم ، وياء المتكلم مضاف إليه « وما » الواو حرف عطف ، ما : اسم موصول

... ...

معطوف على التلاد مبنى على السكون فى محل نصب « جمعت » فعل وفاعل ، والجملة لامحل لها من الإعراب صلة الموصول ، والعائد محذوف ، والتقدير : وما جمعته « من نشب » جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ما الموصولة « قرع » فاعل أفنى مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « القواقيز » مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله « أفواه » فاعل المصدر مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « الأباريق » مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « قرع القواقيز أفواه » حيث أضاف المصدر الذى هو قوله « قرع » إلى مفعوله وهو قوله « القواقيز » ، ثم جاء بفاعل المصدر بعد ذلك وهو قوله « أفواه الأباريق » والاستشهاد على ذلك لايتم إلا على رواية من روى « أفواه الأباريق » بالرفع ، فأما من روى بنصب « أفواه » فإنه يكون شاهداً على إضافة المصدر إلى فاعله ثم الإتيان بمفعوله بعد ذلك .

واعلم أنه لاخلاف بين أحد من العلماء فى أنه تجوز إضافة المصدر إلى فاعله مطلقا ونعنى هنا بالإطلاق أن يؤتى بالمفعول بعد ذلك وأن يترك المفعول بتة ، وأن ذلك بوجهيه واقع فى كلام العرب شعره ونثره ، ومما ورد فيه إضافة المصدر إلى فاعله ثم يذكر مفعوله بعد الإضافة قول الله تعالى : (كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ) فذكر : مصدر مضاف إلى ضمير المخاطبين وهو فاعله ، وآباءكم : مفعول بالمصدر ، ومما ورد فيه إضافة المصدر إلى فاعله وترك المفعول بتة قوله جلت كلمته (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) فنصر : مصدر مضاف إلى لفظ الجلالة وهو فاعله ، ولم يذكر مفعول المصدر فى هذه الآية كما ذكر فى الآية السابقة ؛ كما أنه لاخلاف بين أحد من العلماء فى جواز إضافة المصدر إلى مفعوله وترك فاعل المصدر من الكلام بتة ، وأن ذلك واقع فى كلام العرب نثره وشعره ، ومن ذلك قول الله تعالى (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) فدعاء : مصدر مضاف إلى الخير الذى هو مفعول به للمصدر ولم يذكر فى الكلام فاعل هذا المصدر ، وقد اختلفوا فيما وراء ذلك ، فقال البصريون : فاعل المصدر فى هذه الصورة محذوف ، وبهذا فارق المصدر الفعل ، ووجه التفرقة أن الفاعل منزل من الفعل منزلة جزء الكلمة من الكلمة ، ألا ترى أنه يسكن آخر الفعل للفاعل إذا كان ضميراً متصلا كضربت وضربنا ، وأنه يفصل بين الفعل وحرف إعرابه بالفاعل فى نحو يضربان ويضربون ، وحذف جزء الكلمة لايجوز بقياس ، والمصدر مع فاعله ليس بهذه المنزلة فلا يتصل به ضمير رفع ، فمن أجل ذلك جاز حذف فاعله ، وهم يعدون هذا الموضع من المواضع التى يحذف فيها الفاعل قياسا . وذهب الكوفيون إلى أن الفاعل وإن لم يذكر فى الكلام مضمر فى المصدر كما يضمر فى الظروف والصفات . وأمر الكوفيين فى هذه المسألة عجيب كل العجب ؛ فإنهم يجيزون حذف فاعل الفعل مع ما بين الفعل وفاعله من قوة الارتباط على نحو مابينا لك ،

وقوله :

٦٨٩ — * نَفْيَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ *

ثم هم لا يرتضون حذف فاعل المصدر مع ضعف الارتباط بين المصدر وفاعله . واختلف العلماء في : هل تجوز إضافة المصدر إلى مفعوله ثم ذكر فاعله ؟ فالجمهور على أن ذلك يجوز وأنه واقع في كلام العرب نثره ونظمه ، فمن النظم البيت الذي نحن بصدد شرحه ومن النثر قوله تعالى : (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) في قراءة يحيى بن الحارث عن ابن عامر ؟ فذكر : مصدر مضاف إلى رحمة ربك وهو مفعوله ، وعبده : فاعل بالمصدر وهو مذكور ، وقوله صلى الله عليه وسلم « وحجّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » فحج : مصدر مضاف إلى البيت وهو مفعوله ، ومن استطاع : فاعل بالمصدر وهو مذكور في الكلام . وذهب قوم إلى أن ذلك لا يجوز إلا في ضرورة الشعر ، وهم محجوجون بما تلونا من الآية الكريمة وبالحديث وبهذا البيت ، وبالقياس على جواز إضافته إلى الفاعل ثم ذكر المفعول وهو فضلة مستغنى عنه في هذا وفي غيره

قال الشيخ خالد : « ويكثر أن يضاف المصدر إلى فاعله لشدة اتصاله به ثم يأتي مفعوله منصوبا نحو قوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس) فدفع : مصدر مضاف إلى فاعله — وهو الله — والناس : مفعوله ، والمعنى : ولولا أن دفع الله الناس بعضهم ببعض لغلب المفسدون وتعطلت المصالح . ويقل عكسه — وهو أن يضاف المصدر إلى مفعوله ثم يأتي فاعله مرفوعا ، كقول الأقيشر الأسدي * قرع القواقيز أفواه الأباريق * فقرع — بالقاف والعين المهملة — مرفوع على الفاعلية بأفنى ، وهو مصدر مضاف إلى مفعوله — وهو القواقيز — وأفواه : فاعل المصدر . . . وقيل : تختص إضافة المصدر إلى مفعوله — يعني ثم يذكر الفاعل — بالشعر كهذا البيت ، ورد بالحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم : وحج البيت من استطاع إليه سبيلا ، فحج : مصدر يحل محله أن والفعل ، وهو مضاف إلى مفعوله وهو البيت — ومن الموصولة فاعله : أي وأن يحج البيت المستطيع ، وللمانع أن يجيب بأن الحديث يحتمل أن يكون مرويا بالمعنى فلا دليل فيه ، وأما إضافة المصدر إلى الفاعل ثم لا يذكر المفعول في اللفظ وبالعكس — وهو أن يضاف إلى المفعول ثم لا يذكر الفاعل في اللفظ — فكثير فيهما : فالأول نحو قوله تعالى (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي) والثاني نحو قوله سبحانه : (لاَ يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) فدعائي : مصدر مضاف إلى الفاعل وهو ياء المتكلم ، ودعاء الخير : مصدر مضاف إلى المفعول وهو الخير ، وحذف من الأول المفعول ومن الثاني الفاعل ، ولو ذكر لقيل : دعائي إياك ، ومن دعائه الخير ، وهو أحد المواطن التي يطرد فيها حذف الفاعل » اهـ كلامه بقليل من التصرف .

٦٨٩ — هذا عجز بيت من البسيط ، وصدره قوله :

* تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ *

... ...

وينسب هذا البيت إلى الفرزدق همام بن غالب ، وقد وجدته مذكوراً فى ديوانه بيتا مفرداً ليس له سوابق ولا لواحق ، وقد أنشده سيبويه فى باب مايحتمل الشعر (١/١٠) ونسب فى الكتاب وفى شرح شواهد الأعلم إلى الفرزدق ، وأنشده الجوهرى وابن منظور (ص ر ف) فأما ابن منظور فنسبه إلى الفرزدق ، وأما فى الصحاح فوقع فى نسخة منه نسبته إلى الفرزدق ووقع فى نسخة أخرى نسبته إلى ذى الرمة .

اللغة : « تنفى » تبعد وتطرد « يداها » أراد يدى الناقة التى يصفها « هاجرة » الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر « نفى الدراهم » هو مصدر نفاها ينفيها ـ مثل رمى يرمى ـ إذا أثارها للنقد ونحى زيوفها « تنقاد » بفتح التاء وسكون النون ـ مصدر نقد الدراهم ينقدها ـ من باب نصر ـ إذا ميز رديئها من جيدها « الصياريف » جمع صيرف ـ بوزن جعفر ـ وهو الخبير بالنقد الذى يبادل على بعضه ببعض . وكان من حقه أن يقول « الصيارف » بغير ياء ، أو يقول « الصيارفة » بزيادة التاء فى آخره للدلالة على النسبة كما قالوا « الأشاعرة » و « المهالبة » و « الأزارقة » ولكنه أشبع كسرة الراء فتولدت عنها ياء كما قال امرؤ القيس :

كَأَنِّى بِفَتْخَاءِ الْجَنَاحَيْنِ لِقْوَةٍ عَلَى عَجَلٍ مِنِّى أُطَأْطِئُ شِمَالِى

فإنه أراد شمالى فأشبع كسرة الشين فتولدت عنها ياء ، وكما قال الآخر :

لَمَّا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ وَفَارَ لِلْقَوْمِ بِاللَّحْمِ الْمَرَاجِيلُ

أراد المراجل جمع مرجل ـ بزنة منبر ـ فأشبع كسرة الجيم فتولدت عنها ياء .

المعنى : قال الأعلم : « وصف ناقة بسرعة السير فى الهواجر ، فيقول : إن يديها لشدة وقعهما فى الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصليل الدنانير إذا انتقدها الصيرف فنفى رديئها عن جيدها . وخص الهاجرة لتعذر السير فيها » اهـ .

الإعراب : « تنفى » فعل مضارع « يداها » يدا : فاعل تنفى مرفوع بالألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، وهو مضاف وضمير الغائبة العائد إلى الناقة مضاف إليه « فى كل » جار ومجرور متعلق بتنفى ، وكل مضاف و « هاجرة » مضاف إليه « نفى » مفعول مطلق عامله تنفى منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهومضاف و « الدراهيم » مضاف إليه ، من إضافة المصدر إلى مفعوله « تنقاد » فاعل بالمصدر الذى هو قوله نفى ، وهو مضاف و « الصياريف » مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله .

الشاهد فيه : قوله « نفى الدراهيم تنقاد » حيث أضاف المصدر الذى هو قوله نفى إلى مفعوله وهو الدراهيم ثم أتى بعد ذلك بفاعل المصدر وهو قوله « تنقاد الصياريف » على ما اتضح لك من إعراب البيت . وقد بينا فى شرح الشاهد السابق منزلة هذا الأسلوب فى الكلام العربى ، كما بينا

... ...

اختلاف العلماء فى جواز استعمال هذا الضرب من الأسلوب فى سعة الكلام ، فلا حاجة بك إلى إعادة شىء منه .

هذا ، وفى قوله « تنقاد الصياريف» شاهدان للنحاة : أما أولهما فيدخل فى شواهدهذا الباب ــ وهو باب إعمال المصدرــ وذلك حيث أضاف الشاعر المصدر الذى هوقوله تنقاد إلى فاعله وهوقوله الصياريف ، ولم يأت له بمفعول ــ وإن كان هذا المفعول مفهوما من سابق الكلام ــ ولو أنه أتى بالمفعول لكان سائغا جائزا عندالعلماء كافة ، فكان يقول حينئذ : تنقاد الصياريف إياها ، مثلا . وأما الشاهد الثانى ففى زيادة الياء فى قوله « الصياريف» الذى هو جمع صيرف كجعفر ، وإنما تجىء هذه الياء قياسا لاشذوذ فيه فى أحد موضعين : أولهما أن يكون قبل الحرف الأخير فى المفرد حرف مد : ألف كمصباح ومفتاح وقرطاس ، أو واو كعصفوروينبوع وملمول ، أوياء كقنديل وصهريج وشمليل ؛ فيقلب هذا المد فى الجمع ياء ــ إن لم يكنها ــ لانكسار ما قبله فى الجمع ، فيقال : مصابيح ومفاتيح وقراطيس،وعصافيروينابيع وملاميل ، والياء فى هذا الموضع واجبة لاتحذف إلا للاضطرار، وثانيهما : أن تكون المحافظة على صيغة الجمع قد اقتضت حذف حرف من حروف المفرد إما الرابع أو الخامس كما فى جمع سفرجل وفرزدق فإنه يجوز لك حينئذ أن تعوض عن ذلك الحرف المحذوف من المفرد ياء قبل ماجعلته آخر حروف الجمع ، فتقول ، سفارج أو سفاريج ، وفرازد أو فرازيد أوفرازق أوفرازيق ، وسيأتى شرح ذلك تفصيلا فى باب جمع التكسير . وقد اختلف العلماء فى تخريج زيادة هذه الياء التى فى نحو الصياريف ، ولهم فى ذلك تخريجان : الأول أن يقدروا مفردا فيه حرف مد قبل الآخر فتكون هذه الياء التى فى الجمع منقلبة عن حرف المد الذى قبل آخر المفرد المتوهم ، وهذا هو الذى قرره سيبويه شيخ النحاة فى جمع خاتم على خواتيم ، قال : « الذين قالوا خواتيم إنما جعلوه تكسير فاعال وإن لم يكن فى كلامهم » اﻫ . والتخريج الثانى : أن يدعوا أن الشاعر حين اضطر لإقامة الوزن أشبع الكسرة التى قبل الحرف الآخر فى الجمع ككسرة الراء فى الصيارف فتولدت عنها ياء ، وهذا هو الذى قرره الجوهرى فى جمع صيرف على الصياريف ، قال « فأما قول الفرزدق * تنفى يداها . . . . تنقاد الصياريف * فعلى الضرورة : لما احتاج إلى تمام الوزن أشبع الحركة ضرورة حتى صارت حرفا » اﻫ .

قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : وأنت إذا تأملت فى هذين التخريجين تبين لك أنهما يرجعان إلى شىء واحد ، وهو إشباع الحركة حتى يتولد عنها حرف ، فأما أهل التخريج الأول فأشبعوا الحركة فى المفرد حتى تولد عنها فيه حرف ثم قدروا أنهم جمعوا هذا المفرد بعد إشباع حركة ما قبل آخره ، وأما أهل التخريج الثانى فاختصروا الطريق وقدروا أن المفرد المعروف جمع على ما يستحقه ثم أشبعت كسرة الحرف الذى قبل الآخر فى الجمع فتولدت عنها ياء ، وإشباع الحركة

... ...

كالاكتفاء بالحركة عما يليها من حرف العلة ، كلاهما وارد فى العربية : فقد أشبعوا الفتحة حتى تولدت منها ألف ، وأشبعوا الضمة حتى تولدت منها واو ، وأشبعوا الكسرة حتى تولدت منها ياء . وقد حذفوا الواو المضموم ما قبلها اجتزاء بالضمة ، وقد حذفوا الياء المكسور ما قبلها اكتفاء بالكسرة ، وقد حذفوا الألف اكتفاء بدلالة الفتحة التى قبلها عليها . ولكل ضرب من هذه الضروب أمثلة ، فمن الأول قول عنترة بن شداد العبسى فى معلقته :

يَنبَاعُ مِنْ ذِفْرَى أَمُونٍ جَسْرَةٍ زَيَّافَةٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُكْدَمِ

فإنه أراد « ينبع » مثل يفتح فأشبع فتحة الباء الموحدة فتولدت الألف ، ومثله قول الآخر :

وَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ

فإنه أراد « بمنتزح » اسم مكان من الانتزاح وهو الابتعاد فأشبع فتحة الزاى فتولدت منها ألف ، وخرجوا عليه قول الراجز :

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ وَلاَ تَرَضَّاهَا وَلاَ تَمَلَّقِ

أراد « ولا ترضها » لأن لا ناهية توجب حذف لام الكلمة ، ولكنه لما اضطر أشبع فتحة الضاد فتولدت عنها ألف . وهذا أحد وجهين فى تخريج هذا البيت ، وقد ذكرنا ما فيه . ومن النوع الثانى قول الشاعر :

وَأَنَّنِي حَيْثُمَا يَثْنِي الْهَوَى بَصَرِي مِنْ حَيْثُمَا سَلَكُوا أَدْنُو فَأَنْظُورُ

أراد « فأنظر » إلا أنه لما اضطر أشبع ضمة الظاء فتولدت عنها الواو ، ومن ذلك قول الراجز :

* كَأَنَّ فِي أَنْيَابِهَا الْقَرَنْفُولْ *

أراد « القرنفل » فأشبع ضمة الفاء فتولدت عنها واو ، وخرجوا على ذلك قول الشاعر :

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِرًا مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ

قالوا : أراد « لم تهج » بحذف الواو لأجل الجازم فلما اضطر أشبع ضمة الجيم فتولدت عنها واو ، وهو نظير « ولا ترضاها » فى الوجهين . ومن النوع الثالث قول الراجز :

لاَ عَهْدَ لِي بِنِيضَالْ أَصْبَحْتُ كَالشَّنِّ الْبَالْ

فإنه أراد « بنضال » لكنه أشبع كسرة النون فتولدت عنها ياء . وخرجوا عليه قول الشاعر :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

قالوا : أراد « ألم يأتك » بحذف حرف العلة كما يقتضيه الجازم ، إلا أنه اضطر فأشبع كسرة التاء

... ...

فتولدت عنها ياء ، وهو نظير « ولا ترضاها » أيضا فى الوجهين ، ومن النوع الرابع ما أنشده سيبويه من قول الشماخ (١١/١) يصف حمار وحش :

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ إذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ

فإنه أراد « كأنهو » فحذف الواو التى يتلفظ بها وإن لم تكتب ، اجتزاء بضم ما قبلها ، ومثله قول حنظلة بن فاتك يصف جبانا :

وَأَيْقَنَ أَنَّ الْخَيْلَ إِنْ تَلْتَبِسْ بِهِ يَكُنْ لِفَسِيلِ النَّخْلِ بَعْدَهُ آبِرُ

أراد « بعدهو » فحذف الواو ، ومثله قول الأعشى يهجو رجلا بلؤم الأصل :

وَمَالَهُ مِنْ مَجْدٍ تَلِيدٍ وَمَالَهُ مِنَ الرِّيحِ حَظٌّ لاَ الْجَنُوبِ وَلاَ الصَّبَا

أراد « وما لهو من مجد » لكن لما كان وزن البيت لا يستقيم حذف الواو مكتفيا بضم ما قبلها ، ونظيره قول الآخر :

بَيْنَاهُ فِي دَارِ صِدْقٍ قَدْ أَقَامَ بِهَا حِيناً يُعَلِّلُنَا وَمَا نُعَلِّلُهُ

أراد « بينا هو » فحذف الواو حين اضطر لإقامة الوزن مكتفيا بالضمة التى قبلها ، وهذا أقبح فى الضرورة مما قبله لأن الواو متحركة ههنا . ومن النوع الخامس قول الأعشى :

وَأَخُو الْغَوَانِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ وَيَكُنَّ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ

أراد « وأخو الغوانى » فحذف الياء اكتفاء بكسر ما قبلها ، ومثله قول خفاف بن ندبة السلمى :

كَنَوَاحِ رِيشِ حَمَامَةٍ نَجْدِيَّةٍ وَمَسَحْتِ بِاللِّثَتَيْنِ عَصْفَ الْإِثْمِدِ

أراد « كنواحى » فحذف الياء اكتفاء بكسر ما قبلها ، ومثله قول الآخر :

فَطِرْتُ بِمُنْصُلِي فِي يَعْمَلاَتٍ دَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطْنَ السَّرِيحَا

حذف الياء من « الأيدى » مضطرا مجتزئا بكسر ما قبلها ، وفى التنزيل : (ذلك ما كنا نبغ) وقالوا فى النداء ، يا غلام ، ويا أبت ، وهم يريدون يا غلامى ويا أبى ، مكتفين بالكسرة عن الياء . وقالوا فى مصدر قاتل « قتالا » مكتفين بكسر القاف عن الياء المنقلبة عن ألف قاتل وقد خرجوا عليه قول الشاعر :

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ تَبَالاَ

قالوا : أراد تفدى ، فحذف الياء اكتفاء بكسر ما قبلها ، وهذا أحد تخريجين فى هذا البيت . ومن النوع السادس قولهم فى النداء ، يا غلام — بفتح الميم — وهم يريدون يا غلاما ، مكتفين بالفتحة عن الألف ، وورد من هذا قول الشاعر :

وليس مخصوصا بالضرورة ، خلافا لبعضهم ، ففى الحديث « وَحَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » أى : وأن يَحُجَّ البيتَ المستطيعُ ، لـكنه قليل .

الثالث : أن يُضاف إلى الفاعل ثم لا يذكر المفعول ، نحو «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ» « رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِى » .

الرابع : عكسه ، نحو « لاَ يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ » .

الخامس : أن يُضَاف إلى الظرف فَيَرْفَعَ ويَنْصِب كالمنوّن ، نحو : أعجبنى انتظارُ يومِ الجمعةِ زيدٌ عمرًا .

﴿تنبيه﴾ : قوله « كمل بنصبٍ إلى آخره » يعنى إن أردت ، لما عرفت من أنه غير لازم .

(وَجُرَّ مَا يَتْبَعُ مَاجُرّ) مراعاةً للفظه وهو الأحسن (وَمَنْ * رَاعَى فِى الْأَتْبَاعِ الْمَحَلَّ فَحَسَنْ) فالمضاف إليه المصدرُ إن كان فاعلا فمحله رفع ، وإن كان مفعولا فمحله نصب إن قدر بأنْ وفعلِ الفاعل ، ورفع إن قدر بأنْ وفعلِ المفعول ، فتقول : عجبتُ من ضربِ زيدٍ الظريفِ ، بالجر ، وإن شئت قلت « الظريفُ » بالرفع ، ومنه قوله :

٦٩٠ — حَتَّى تَهَجَّرَ فِى الرَّوَاحِ وَهَاجَهَا طَلَبَ الْمُعَقِّبِ حَقَّــهُ الْمَظْلُومُ

وَلَسْتُ بِرَاجِعٍ مَافَاتَ مِــنِّى بِلَهْفَ وَلاَ بِلَيْتَ وَلاَ لَوَ انِّى

وقد سبق شرحه فى آخر باب الإضافة ، وقلنا إنه أراد « بقولى يالهفا ويا ليتا » بقلب ياء المتكلم ألفا بعد قلب كسر ماقبلها فتحة ، ثم حذف هذه الألف اجتزاء بانفتاح ما قبلها . وقد أطلنا عليك فى هذه المسألة رجاء أن تظهر لك أسرار هذه اللغة الشريفة .

٦٩٠ — هذا بيت من الطويل ، وهــو من قصيدة للبيد بن ربيعة العامرى ، والبيت المستشهد به قد أنشده الجوهرى فى الصحاح وابن منظور فى اللسان (ع ق ب) وهو فى وصف حمار وحش وأتانه شبه به ناقته ، وهاك أبياتا من قبله يتضح بها المعنى ، قال :

لَوْلاَ تُسَلِّيكَ اللُّبَانَةَ حُــرَّةٌ حرجٌ كأَحْنَاءِ الْعَبِيطِ عَقِيــمُ
حَرْفٌ أَضَرَّ بِهَا السِّفَارُ كَأَنَّهَا بَعْدَ الْكَلاَلِ مُسَدَّمٌ مَحْجُومُ
أَوْ مِسْحَلٌ شَنِــجٌ عضادة سَمْحَجٍ بِسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومُ

إلى أن قال :

يُوفِى وَيَرْتَقِبُ النِّجَادَ كَأَنَّهُ ذُو إِرْبَةٍ كُلَّ الْمَرَامِ يَرُومُ
حَتَّى تَهَجَّرَ فِى الرَّوَاحِ وَهَاجَهَا طَلَبَ الْمُعَقِّبِ حَقَّــهُ الْمَظْلُومُ

... ...

اللغة : « تهجر » بتشديد الجيم مفتوحة ـ سار فى الهاجرة ، وهى نصف النهار عند اشتداد الحر «الرواح» هو اسم للوقت من زوال الشمس إلى دخول الليل «وهاجها» أثارها وأزعجها ، وتقول : هاجه يهيجه هيجا وهيجانا ، إذا أزعجه وأثاره «المعقب» هو الذى يتردد فى طلب الأمر مرة بعد مرة مجدا فى التماسه ، ويقال : المعقب هو الغريم الماطل ؛ تقول منه : عقبنى فلان حقى ـ بتشديد القاف مفتوحة ـ تريد أنه مطلك به ولواك عن طلبه ولم يؤده إليك ، وستعرف فى بيان الاستشهاد بالبيت ما يترتب على هذا التفسير ، وسيأتى الاستشهاد بالبيت الثالث من هذه الأبيات التى رويناها لك هنا ، قريبا فى باب إعمال أسماء الفاعلين (أمثلة المبالغة) .

المعنى : شبه ناقته التى أطال عليها الرحلة بحمار وحش فى سرعة السير ، ووصف أن هذا الحمار كان يرتاد مع أتانه أخصب الأرضين وأكثرها كلأ حتى إذ ذوى نبات المكان الذى كانا يرعيان فيه ونضب ماؤه سار فى وقت الهاجرة وأثار أتانه لتسير أمامه يطلبان مكانا غير هذا المكان ، فهذا الحمار يسوق أتانه أمامه سوقا عنيفا وهو ملازم لها من خلفها كأنه طالب دين مظلوم بسبب مطل مدينه فهو ما يزال يلح فى الطلب ويفعله المرة بعد المرة .

الإعراب : « حتى » حرف غاية وجر مبنى على السكون لا محل له « تهجر » فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى حمار الوحش « فى الرواح » جار ومجرور متعلق بقوله تهجر « وهاجها » الواو حرف عطف ، هاج : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الحمار أيضا ، وضمير المؤنثة الغائبة العائد إلى الأتان مفعول به « طلب » مفعول مطلق منصوب بما دل عليه معنى الكلام ، وكأنه قال : لازمها ملازمة كملازمة المعقب ـ إلخ ، وأجاز ابن الأنبارى أن يكون هذا المصدر منصوبا على أنه مفعول لأجله ، أى هاجها لأجل الطلب ، وطلب مضاف و « المعقب » مضاف إليه من إضافة المصدر إلى فاعله ، وستعرف فيه وجها آخر عند بيان الاستشهاد بالبيت « حقه » حق : مفعول به للمصدر الذى هو طلب ، منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد إلى المعقب مضاف إليه ، مبنى على الضم فى محل جر « المظلوم » نعت للمعقب باعتبار محله الذى هو الرفع بالفاعلية ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « المظلوم » فإنه مرفوع كما هو واضح من قوافى هذه القصيدة ، وللعلماء فى تخريج ذلك وجهان يرجعان إلى اختلافهم فى تفسير « المعقب » فأما من فسر المعقب بأنه الذى يجد فى طلب الأمر ويأتيه مرة عقب مرة فقد جعل إضافة « طلب » إلى « المعقب » من إضافة المصدر إلى فاعله ـ على ما ذكرنا فى إعراب البيت ـ وجعل « المظلوم » نعتا للمعقب تابعا له على المحل لأنه من جهة كونه مضافا إليه مجرور ، ومن جهة كونه فاعلا مرفوع ، والمعقب على هذا من

فرفع « المظلوم » على الإتباع لمحل المعقِّب .

وقوله :

٦٩١ — السَّالِكُ الثُّغْرَةَ الْيَقْظَانَ سَالِكُهَا مَشْىَ الهَلُوكِ عَلَيْهَا الْخَيْعَلُ الْفُضُلُ

من أوصاف الدائن الذى ابتلى بمدين شديد المطل والتسويف ، وعلى هذا كلام شراح الألفية جميعا . وأما من فسر المعقب بأنه الذى يمطل الحق ويلويه ولا يؤديه فقد جعل إضافة «طلب» إلى « المعقب » من إضافة المصدر إلى مفعوله ، وجعل « المظلوم » فاعل المصدر ، فيكون البيت — على هذا — من بابة الحديث « حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ومن بابة الشاهد (رقم ٦٨٩) الذى سبق شرحه ، وهذا وجه ذكره صاحب اللسان نقلا عن الجوهرى فى صحاحه ، قال : « وهذا البيت استشهد به الجوهرى على قوله عقب فى الأمر إذا تردد فى طلبه مجدا ، وأنشده ، قال : رفع المظلوم — وهو نعت للمعقب — على المعنى ، والمعقب خفض فى اللفظ ومعناه أنه فاعل . ويقال أيضا : المعقب الغريم المماطل ، عقبنى حقى : أى مطلنى ، فيكون المظلوم فاعلا ، والمعقب مفعولا » اهـ .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : وهـذا الذى قاله الجوهرى ونقله عنه ابن منظور كلام غير مبنى على تحقيق ، وإنما هو كلام ظاهرى قصد منه إخراج البيت عن استمساك النحاة به لتجويز أن يتبع ما أضيف المصدر إليه بالنظر إلى معناه . والذى يدل على خلو هذا الكلام من التحقيق أن « طلب » فعل يتعدى إلى مفعول واحد ، غير أن هذا المفعول يجوز أن يكون هو هو المطلوب منه ويجوز أن يكون هو الشىء المطلوب ، فإن نصبت به المطلوب منـه وأردت أن تذكر المطلوب عديته إليه بالحرف فقلت : طلبت فلانا بحقى ، وإن نصبت به الشىء المطلوب وأردت أن تذكر المطلوب منه عديته إليه بالحرف أيضا فقلت : طلبت حقى من فلان ، وقد علمت فى أول الباب أن حال المصدر فى التعدى واللزوم كحال فعله ، فإذا جعلت إضافة « طلب » إلى « المعقب » من إضافة المصدر إلى مفعوله لزم على هذا محظوران : أحدهما ألا يكون ثمة ناصب لقوله « حقه » الواقع بعده أو أن يكون نصبه على نزع الخافض والأصل طلب المعقب بحقه ، وفى جواز ذلك مقال ، وثانيهما أن تعود الهاء فى قوله « حقه » على متأخر لفظا وإن كان متقدما فى الرتبة وهو من مواطن الخلاف عند النحاة ، فإن جريت على ماذكر النحاة وبيناه فى صدر هذه العبارة لم يلزم شىء مما ذكر ، ولا شـك أن حمل الكلام على المتفق على جوازه أولى من حمله على المختلف فيه .

٦٩١ — هذا بيت من البسيط ، وهو من قصيدة للمتنخل الهذلى يرثى فيها ابنه أثيلة — بزنة التصغير — واسم المتنخل مالك بن عويمر — وأول هـذه القصيدة — على مافى ديوان المتنخل من مجموع شعر الهذليين — قوله :

... ...

مَا بَالُ عَيْنِكَ أَمْسَتْ دَمْعُهَا خَضِلُ ... كَمَا وَهَى سَرِبُ الْأَخْرَاتِ مُنْبَزِلُ
لاَ تَفْتَأُ الدَّهْرَ مِنْ سَحٍّ بِأَرْبَعَةٍ ... كَأَنَّ إِنْسَانَهَا بِالصَّابِ مُكْتَحِلُ
تَبْـكِي عَلَى رَجُلٍ لَمْ تَبْلَ جِدَّتُهُ ... خَلَّى عَلَيْكَ فِجَاجًا بَيْنَهَا سُبُلُ
فَقَدْ عَجِبْتُ وَمَا بِالدَّهْرِ مِنْ عَجَبٍ ... أَنَّى قُتِلْتَ وَأَنْتَ الْحَازِمُ الْبَطَلُ
وَيْلُمِّهِ رَجُـلاً تَأْبَى بِهِ غَبَنًا ... إِذَا تَجَرَّدَ لاَ خَالٌ وَلاَ بَخَلُ
السَّالِكُ الثُّغْرَةَ الْيَقْظَانَ كَالِئُهَا ... مَشْيَ الْهَلُوكِ ... البيت ، و بعده :
التَّارِكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِـلُهُ ... كَأَنَّهُ مِنْ عُقَارٍ قَهْوَةٍ ثَمِلُ
مُجَدَّلاً يَتَسَقَّى جِـلْدُهُ دَمَهُ ... كَمَا يُقَطَّرُ جِذْعُ النَّخْلَةِ الْقَطِلُ

اللغة : « مابال دمعك ــ البيت » السرب ــ بكسر الراء ــ وصف من قولهم : سرب الماء يسرب سربا ــ مثل فرح يفرح فرحا ــ إذا سال ، فهو سرب ، ومنه قول ذى الرمة :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ

والأخرات ــ بالتاء المثناة ــ جمع خرت ــ بزنة قفل ــ وهو الثقب ، ويروى « الأخراب » بالباء الموحدة ــ وهى العرى ، واحدته خربة ، يقول : ماشأن عينك مبتلة تبل كل شىء من كثرة دموعها «لاتفتأ الدهر تبكى ــ البيت» الصاب : شجرة إذا ذبحت يخرج منها لبن إذا أصاب شيئا أحرقه ، وإذا أصاب العين انهملت بالدموع ، يريد إنك لاتنفك أبد الدهر تبكى «تبكى على رجل ــ إلخ » لم تبل جدته : أراد أنه مات شابا ولم يستمتع به . وخلى عليك فجاجا : يريد أنه كان يسد عنك كل مسد من المكروه ويدفع فى وجه العوادى حذر أن تصيبك ، فلما مات ترك لك فجاجا وطرقا يأتيك الشر منها ولا تستطيع لها مسدا « فقد عجبت وما بالدهر ــ البيت » أنى قتلت : معناه كيف قتلت وأنت شجاع بطل تقدر للأمور مقاديرها فتتجنب مكروهها «ويلمه رجلا» كلمة يتعجب بها ولا يراد بها الدعاء عليه «لاخال» الخال ههنا : المخيلة والخيلاء « بخل » بفتح الباء والخاء جميعا ــ لغة فى البخل ، يقول : لم يكن فيه كبرياء ولم يكن بخيلا « السالك » اسم فاعل فعله سلكت الطريق أسلكه ــ إذا سرت فيه « الثغرة » بضم الثاء المثلثة وسكون الغين ــ فسره شراح الشواهد بالثنية المخوفة ، وفى القاموس : « الثغرة : الطريق السهلة » وتفسير الجماعة أولى ، لأن الغرض وصفه بالشجاعة وجراءة القلب وأنه يقتحم المخاطر ولايبالى بالشدائد « اليقظان كالئها » هكذا وقع فى رواية الديوان ، والكالىء : الراعى والحافظ ، وفى رواية الشارح وغيره « اليقظان سالكها » وما فى الديوان أحسن ، ومعناه

... ...

أنه يسلك الطرق المملوءة بالمخاوف والتى امتلأت حرسا أيقاظا يترصدون من يسلكها ليوقعوا به الشر « مشى الهلوك » المرأة المتكسرة لينا « الخيعل » بزنة جعفر ــ الدرع ، وهو قميص تلبسه المرأة قد خيط أحد شقيه وترك الآخر « الفضل » بضم الفاء والضاد جميعاً ــ من يبقى فى ثوب واحد من رجل أو امرأة ليعمل عملا أو لينام ، وقال أبو سعيد فى شرح ديوان المتنخل : « الفضل التى ليس فى درعها إزار » اهـ .

الإعراب : « السالك » خبر مبتدإ محذوف جوازا ، وتقدير الكلام : هو السالك ، وهو مضاف و « الثغرة » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، ويجوز نصب « الثغرة » على أنه مفعول به للسالك « اليقظان » نعت للثغرة يجوز فيه النصب والجر على حسب ماذكرنا من الوجهين فى إعراب المنعوت « كالئها » فاعل لليقظان مرفوع بالضمة الظاهرة ، وضمير الغائبة العائد إلى الثغرة مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « مشى » مفعول مطلق يجوز أن يكون عامله قوله السالك ويجوز أن يكون عامله فعلا من لفظه محذوفا كما تقول فى نحو : أحببته مقة ، وهو مضاف و « الهلوك » مضاف إليه ، من إضافة المصدر إلى فاعله « عليها » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « الخيعل » مبتدأ مؤخر ، وجملة المبتدإ وخبره فى محل نصب حال من الهلوك وساغ مجىء الحال من المضاف إليه لأن المضاف عامل فيه « الفضل » نعت للهلوك باعتبار محله لأنه فاعل بالمصدر على ما علمت .

الشاهد فيه : استشهد النحاة بهذا البيت لمثل ماذكرنا عنهم فى شرح الشاهد السابق على أنه يجوز نعت فاعل المصدر الذى أضيف المصدر إليه فجر لفظه ، بالرفع تبعا لمعنى المضاف إليه المنعوت ، فإنه لما كان فاعلا والفاعلية تقتضى الرفع كان مرفوعا فى المعنى حين لم يتيسر رفعه فى اللفظ لاشتغال اللفظ بالحركة التى اقتضتها الإضافة وهى الكسرة . والمصدر ههنا هو قوله « مشى » والفاعل المجرور باضافة المصدر إليه هو قوله « الهلوك » والنعت المرفوع تبعا لمعنى المنعوت لا لفظه هو قوله « الفضل » .

وهذا كله إنما يتم إذا فسرت « الفضل » بما يجعله من أوصاف المرأة التى عبر عنها بقوله « الهلوك » وذلك كأن تجعل « الفضل » بمعنى التى تخلع ثيابها جميعاً إلا قميصاً واحدا هو الذى يسمى « لبسة المتفضل » . وهذا هو مادرج عليه أكثر النحاة وأكثر شراح الشواهد . فأما إذا فسرت « الفضل » بما يجعله وصفا للثوب وذلك كأن تجعل « الفضل » هو الذى ليس تحته شىء من الثياب ، فإنه لايكون فى البيت شاهد لما نحن فيه ، بل يكون قوله « الفضل » نعتا لقوله « الخيعل » المرفوع على أنه مبتدأ مؤخر ، وكأنه قد قال : عليها القميص الذى ليس تحته شىء .

هذا ، وقد أغرب أبو سعيد فى شرح ديوان المتنخل حيث جعل « الفضل » من أوصاف

الْفُضُلُ : اللابسةُ ثوبَ الخلوة ، وهو نعتٌ للهَلُوكِ على الموضع لأنها فاعل المَشْي ، وتقول : عَجِبتُ من أكلِ الخبزِ واللَّحْمِ واللَّحْمَ ، فالجر على اللفظ والنصب على المحل كقوله :

٦٩٢ — قَدْ كُنْتُ دَايَنْتُ بِهَا حَسَّانَا مَخَافَةَ الإفْلاَسِ وَاللَّيَّانَا

المرأة ، وجعله نعتا للهلوك ، ولكنه زعم أن رفع النعت لأنه جاور الاسم المرفوع وهو «الخيعل» قال : « والفضل امرأة ، ولكنه على الجوار ، على حد قولهم : هـذا جحر ضب خرب » اه بحروفه . ووجه الإغراب فيما قاله أبو سعيد من ناحيتين : الأولى أن العلماء نصوا على أن الإتباع بالمجاورة شاذ ، وقد علم أن التخريج على الشاذ لا يجوز ماأمكن التخريج على غيره ، وقد ذكرنا لك ذلك مراراً ، والثانية أنهم نصوا أيضا على أن الإتباع بالمجاورة لم يقع — مع شذوذه — إلا في الجر في بابي النعت والتوكيد ، أما وقوعه في باب النعت فكالمثال الذي ذكره أبو سعيد وهو قولهم « هذا جحر ضب خرب » فإنه يروى بجر « خرب » وهو نعت لجحر لا للضب ، وجحر مرفوع ، فكان من حق نعته أن يجيء مرفوعا مثله ، إلا أنه جر لوقوعه مجاورا للمجرور وهو « ضب » وأما وقوعه في باب التوكيد فكقول الشاعر :

يَاصَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلِّهِمِ أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ

فإنه يروى بجر « كلهم » وهو توكيد لذوى المنصوب على المفعولية بالياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم ، وليس توكيدا للزوجات المجرور بإضافة ذوى إليه ؛ إذ لو كان توكيدا للزوجات لوجب أن يقول « كلهن » لما تعلم من أنه يشترط في التوكيد بكل أن يضاف إلى ضمير يعود إلى المؤكد مطابق له في إفراده وتذكيره وفروعهما . وإذ قد علمت أنه توكيد لذوى لا للزوجات فقد كان ينبغي أن يأتي به منصوبا لأن التوكيد يتبع المؤكد في إعرابه ، لكنه أتى به مجرورا — كما صحت الرواية — لوقوعه في مجاورة المجرور وهو الزوجات ، فافهم ذلك واحرص عليه .

٦٩٢ — هذا بيت من الرجز أو بيتان من مشطوره ، ويروى بعد ماذكره الشارح قوله ، وفيه شاهد لما نحن بسبيله على ماستعرف :

* يُحْسِنُ بَيْعَ الْأَصْلِ وَالْقِيَانَا *

وهذه الأبيات من شواهد سيبويه (١/٩٨) وقد نسبت في صدر الكتاب إلى رؤبة بن العجاج ، ونسبها العيني في شرح الشواهد والشيخ خالد في التصريح لزياد العنبرى .

اللغة : « داينت بها حسانا » قال العلامة الصبان : « الضمير للقينة ، أي أخذتها في دين لي على حسان » اه . وقال العليمي في حواشي التصريح : « المراد أنه داين حسان خشية من إفلاس غيره ومطله » اه . فالعلامة الصبان يجعل الإفلاس والمطل من فعل حسان وأن الشاعر خاف ذلك منه فأخذ القينة في مقابل مادانه به من المال ، أي لتكون القينة رهنا ، والعليمي يجعل الإفلاس

... ...

والمطل من فعل غير حسان من المدينين وأن الشاعر آثر أن يدين حسان دون غيره مخافة إفلاس المدينين ومطلهم ، والذى ذكره الصبان معنى صحيح وارد فى اللغة ، قال فى اللسان : « وداينت فلانا ، إذا أقرضته وأقرضك ، قال رؤبة :

دَايَنْتُ أَرْوَى والدُّيُونُ تُقْضَى فَمَاطَلَتْ بَعْضاً وَأَدَّتْ بَعْضَا

وداينت فلانا : إذا عاملته فأعطيت دينا وأخذت بدين » اه . وهذا هو المعنى الذى قصده الصبان رضى الله عنه ، وأما المعنى الذى ذكره العليمى فيبطل المفاعلة التى تدل عليها الصيغة ويصبح معنى داين هو معنى دان « الإفلاس » مصدر قولهم : أفلس الرجل ، إذا صارت أمواله فلوسا بعد أن كانت دنانير ودراهم ، وذلك هو الفقر « الليان » بفتح أوله أو بكسره ــ مصدر لوى فلان فلانا دينه ، ولواه بدينه ، يلويه ليا وليا وليانا ــ اللام مفتوحة أو مكسورة والياء فى الجميع مشددة ــ قال الأعشى :

يَلْوِينَنِي دَيْــنِي النَّهَارَ وَأَقْتَضِي دَيْنِي إذَا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدَا

وقال ذو الرمة :

تُطِيلِينَ لَيَّانِي وَأَنْتِ مَلِيئَةٌ وَأُحْسِنُ يَاذَاتَ الْوِشَاحِ التَّقَاضِيَا

قال ابن منظور : « قال أبو الهيثم : لم يجىء من المصادر على فعلان ــ يعنى بفتح فائه وسكون عينه ــ إلا ليان » اه . وقال الأعلم الشنتمرى : « والليان : مصدر لويته بالدين ليا وليانا ، إذا مطلته . وهذا المثال قليل فى المصادر ، لم يسمع إلا فى هـــذا وفى قوله شنئته شنآنا فيمن سكن النون » اه . ولقلة الفعلان ــ بسكون العين ــ فى المصادر وكثرته فى الصفات كاليقظان والظمآن والعطشان حمل الفارسى الليان فى بيت الشاهد على أنه صفة لامصدر ، يقال : رجل ليان ، إذا كان يلوى بما عليــه من الديون ويمطلها ، وعندنا أن حمله على المصدرية أولى لموافقة الإفلاس «الأصل» لم يظهر لنا معنى خاص يريده الشاعر بالأصل ، ويمكن حمله على أنه أراد به أصل الأموال التى يعطى القيان رهنا بها « القيان » جمع قينة ، وهى المرأة مغنية كانت أو غير مغنية .

الإعراب : « قد » حرف تحقيق « كنت » كان : فعل ماض ناقص ، وتاء المتكلم اسمه « داينت » فعل وفاعل « بها » جار ومجرور متعلق بداين « حسانا » مفعول به لداين ، وجملة الفعل وفاعله ومفعوله فى محل نصب خبر كان « مخافة » مفعول لأجله عامله داين ، منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « الإفلاس » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهــذه الإضافة من إضافة المصدر إلى مفعوله « والليانا » الواو حرف عطف ، الليان : معطوف على الإفلاس بالنظر إلى معناه ، لأنه من جهة كونه مفعولا به للمصدر منصوب ، والألف للإطلاق .

ولو قلت « واللَّحْمُ » بالرفع جاز على معنى من أن أُكِلَ الخبزُ واللَّحْمُ .

﴿ تنبيه ﴾ : ظاهر كلامه جوازُ الإتباعِ على المحل فى جميع التوابع ، وهو مذهب الكوفيين وطائفةٍ من البصريين ، وذهب سيبويه ومَنْ وافقه من أهل البصرة إلى أنه لايجوز الإتباع على المحل ، وفَصَّل أبو عمرو فأجاز فى العطف والبدل ومَنَعَ فى التوكيد والنعت ، والظاهرُ الجواز ؛ لورود السماع ، والتأويلُ خلافُ الظاهر .

﴿ خاتمة ﴾ : قد تقدّمت الإشارة إلى أن المصدر المقدّر بالحرف المصدرى والفعل مع معموله كالموصول مع صلته ، فلا يتقدم مايتعلق به عليه كما لايتقدم شىء من الصلة على الموصول ، ولا يُفْصَل بينهما بأجنبى كما لايفصل بين الموصول وصلته ، وأنه إن وَرَدَ ما يُوهِم ذلك أُوِّل ،

الشاهد فيه : قوله « مخافة الإفلاس والليانا » حيث عطف قوله « الليانا » بالنصب ، على قوله « الإفلاس » المجرور بإضافة المصدر إليه ، لأن المعطوف عليه ــ وإن كان مجرورا لفظا ــ منصوب معنى على المفعولية للمصدر . وفى قوله « يحسن بيع الأصل والقيانا » شاهد ثان لهذه المسألة أيضاً ، فقد عطف قوله « والقيانا » بالنصب على قوله « الأصل » المجرور لفظا باضافة المصدر الذى هو قوله « بيع » إليه ، لأنه من جهة المعنى منصوب لكونه مفعولا به للمصدر ، قال الأعلم : «الشاهد فيه نصب الليان والقيان على معنى الأول ، والتقدير : داينت بها من أجل أن خفت الإفلاس والليان ويحسن أن يبيع الأصل والقيان » اهـ كلامه . ونريد أن ننبهك إلى أن سيبويه ــ على رغم أنه استشهد بهذا البيت ــ لايرى أن المنصوب معطوف على المخفوض بالنظر إلى محله ومعناه كما تفيده عبارة الأعلم ، ولكنه يقدر للمنصوب فعلا يعمل فيه ، قال : « ومن قال هذا ضارب زيد وعمرا قال : عجبت من ضرب زيد وعمرا ، كأنه أضمر ويضرب عمرا ، أو وضرب عمرا » اهـ كلامه . وهذا هو الذى رده الشارح بقوله « والتأويل خلاف الظاهر» اهـ ، ويظهر أن جماعة من النحاة قد أبوا إلا الانتصار لمذهب سيبويه فأولوا هذا البيت ولكن على غير ما أوله سيبويه ؛ فمنهم من جعل الواو فى « والليانا » واو المعية والليان مفعولا معه ، ومنهم من جعل الواو عاطفة لكن جعل الليان مفعولا لأجله على تقدير مضاف محذوف ، والأصل : مخافة الإفلاس ومخافة الليان ، فلما حذف المضاف أقام المضاف إليه مقامه فانتصب انتصابه . ولا داعى لهذه التأويلات التى هى خلاف الظاهر ، وقد رجح غير مذهب سيبويه كثير من العلماء ، قال الشيخ خالد: «وجواز مراعاة المحل مذهب الكوفيين وبعض البصريين . وذهب سيبويه والجمهور إلى منع الإتباع على المحل ، وما جاء عنهم مما ظاهره ذلك مؤول . قال المرادى : والظاهر الجواز ؛ لكثرة الشواهد على ذلك ، والتأويل خلاف الظاهر » اهـ .

فمما يوهم التقدمَ قوله :

٦٩٣ - * وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْـ لِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ *

٦٩٣ — هذا بيت من الهزج ، وهو ثامن تسعة أبيات رواها أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى مطلع الحماسة ، ونسبها إلى الفند الزمانى ، واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان ابن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وأول هذه الأبيات قوله :

صَفَحْنَا عَنْ بَنِى ذُهْلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمُ إِخْوَانُ
عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعْـ نَ قَوْمًا كَالَّذِى كَانُوا
فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ وَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَا نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا
مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِينٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانُ
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقِّ غَدَا وَالزِّقُّ مَلْآنُ
وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْـ لِ . . . البيت ، وبعده :
وَفِى الشَّرِّ نَجَاةٌ حِيـ نَ لاَ يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

وانظر شرح التبريزى على الحماسة (٢١/١ وما بعدها) والفند : بكسر الفاء وسكون النون ، والزمانى : نسبة إلى زمان بن مالك بن صعب ، وهو بكسر الزاى وتشديد الميم . وأصل الفند القطعة العظيمة من الجبل ، ويقال : إنما لقب به شهل بن شيبان لعظم شخصه ، ويقال : لقب به لأنه قال لقومه فى يوم حرب : استندوا إلى فإنى لكم فند .

اللغة : « صفحنا عن بنى ذهل ــ البيت » الصفح : العفو ، وأصله من قولهم : أعرض عن هذا الأمر صفحا ، وقولهم : أصفح عنه ، إذا ولاه صفحة عنقه ووجهه ، وهى جانبه ، وإنما يفعل ذلك من ترك الأمر ولم يعبأ به ، ويروى « صفحنا عن بنى هند » وهى هند بنت مر بن أد أخت تميم وهى أم بكر وتغلب ابنى وائل . يقول : أعرضنا عنهم ووليناهم صفحة أعناقنا ووجوهنا فلم نؤاخذهم بما أزلفوا لنا من إساءة «عسى الأيام أن يرجعن ــ البيت » يرجعن : يرددن ، ونون النسوة تعود إلى الأيام ، ورجع : لازم ومتعد ، تقول : رجع فلان يرجع رجوعا ومرجعا ورجعى ورجعانا ،

... ...

إذا ارتد ، وتقول : رجعته رجعا — مثل ضرب ضربا — وتعديته بالهمزة لغة ضعيفة ، وخبر كان في قوله « كالذى كانوا » محذوف ، وتقدير الكلام : كالذى كانوه ، ونكر « قوما » لأن فائدته هنا مثل فائدة المعارف . ألا ترى أنه لافرق بين أن تقول : عفوت عن زيد فلعل الأيام أن ترد رجلا كالذى كان ، وبين أن تقول : فلعل الأيام أن ترد الرجل كالذى كان ؟ لأنك تريد فى الموضعين بقولك « رجلا » وبقولك « الرجل » شيئا واحدا . والمعنى : فعلنا ذلك رجاء أن تردهم الأيام إلى ما كانوا عليه من قبل من صفاء وود « فلما صرح الشر — البيت » تقول : صرحت الشىء ، إذا كشفته ، وأوضحته ، وتقول : صرح الشىء نفسه ، إذا وضح وانكشف ، ونظيره : بينت الشىء وبين الشىء نفسه ، وفعل هنا بمعنى تفعل ، وله نظائر كثيرة فى العربية : منها قدم ، ووجه ، ونبه ، ونكب ، بمعنى تقدم وتوجه وتنبه وتنكب . وأصل مادة « صرح » من قولهم : لبن صريح ، إذا ذهبت رغوته ، وإذا ذهبت الرغوة فاللبن عريان ، أى منكشف لاستر دونه « ولم يبق سوى العدوان — البيت » العدوان — بضم العين وسكون الدال المهملتين — الظلم ومجاوزة الحد . وتقول : عدا يعدو ، واعتدى يعتدى ، إذا جار وظلم وجاوز حده . و « دناهم » جازيناهم وفعلنا بهم مثل فعلهم بنا ، وهو جواب « لما » فى البيت الذى قبله ، وهذا هو الشاهد (رقم ٤٥٩) الذى تقدم فى باب الاستثناء (٢/٤٨٦ من هذا الكتاب) « مشينا مشية الليث — البيت » كرر الليث فى هذا البيت ولم يأت بالضمير ، وكان حق ظاهر الكلام أن يقول : مشينا مشية الليث غدا وهو غضبان ، وإنما دعاه إلى ذلك قصده إلى إدخال الروع فى نفس السامع وتربية المهابة منهم عنده ، وهم يضعون الظاهر فى موضع المضمر كثيراً ، ويجىء ذلك فى أسماء الأجناس وفى الأعلام ، ومنه قول عدى بن زيد العبادى ، ويقال : هو لسوادة بن عدى ، ويقال : هو لأمية بن أبى الصلت :

لاَ أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَىْءٌ   نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

ومثله قول الفرزدق :

لَعَمْرُكَ مَا مَعْنٌ بِتَارِكِ حَقِّهِ   وَلاَ مُنْسِىءٌ مَعْنٌ وَلاَ مُتَيَسِّرُ

وقوله « وبعض الحلم — البيت الشاهد » الحلم — بكسر فسكون — الأناة والروية والعقل ، ومقابلة السفه والطيش بالصبر والصفح ، وتقول : حلم الرجل — بضم اللام — يحلم حلماً ، إذا صار حليما ، وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

مُجَرِّبُ الحَزْمِ فِى الأُمُورِ ، وَإِنْ   خَفَّتْ حُلُومٌ بِأَهْلِهَا حَلُمَا

والحليم فى صفات الله تعالى معناه الصبور ، وقيل : معناه الذى لايستفزه عصيان العصاة ولا يستثيره

... ...

جحود الجاحدين . و « الجهل » أراد به هنا السفه والطيش وهما مقابل الحلم ، وأصل الجهل ضد العلم ، قال شمر : « والمعروف فى كلام العرب جهلت الشىء إذا لم تعرفه » اه . وقد ورد فى حديث ابن عباس أنه قال « من استجهل مؤمنا فعليه إثمه » قال ابن المبارك : « يريد بقوله من استجهل مؤمنا أى حمله على شىء ليس من خلقه فيغضبه فإنما إثمه على من أحوجه إلى ذلك » وفى حديث الإفك « ولكن اجتهلته الحمية » ومعناه حملته الأنفة والغضب على الجهل . والإذعان : الانقياد . وتقول : أذعن فلان لكذا ، تريد أنه انقاد وخضع له ، وتقول : أذعن به ، تريد أقر وسلم به . ومعنى البيت : إذا حلمت عن الجاهل ركبك فلحقتك بذلك مذلة . قال التبريزى : « رصف هذا البيت ردىء ، والجيد فى هذا المعنى قول الآخر :

* إِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَنْفَعْكَ فَالْجَهْلُ أَحْزَمُ *

وقول الآخر :

تَرَفَّعْتُ عَنْ شَتْمِ الْعَشِيرَةِ ؛ إِنَّنِي ... رَأَيْتُ أَبِي قَدْ كَفَّ عَنْ شَتْمِهِمْ قَبْلِي

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ كَانَ جَلَالَةً ... وَأَجْهَلُ أَحْيَانًا إِذَا الْتَمَسُوا جَهْلِي » اه

الإعراب : « وبعض » الواو للاستئناف ، بعض : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « الحلم » مضاف إليه « عند » ظرف متعلق بالحلم ، وهو مضاف و « الجهل » مضاف إليه « للذلة » جار ومجرور يتعلق بقوله إذعان الآتى « إذعان » خبر المبتدأ الذى هو بعض الحلم وهذا الإعراب هو الذى يترجح عندنا وإن كان جمهرة النحاة لايقرونه ، وستعرف مافيه من مقال .

الشاهد فيه : أنشد الشارح هذا البيت ليبين أنه إذا ورد فى كلام العرب مايوهم أن معمول المصدر ــ ولو كان ظرفا أو جارا ومجرورا ــ قد تقدم عليه ، فالكلام مؤول على غير الظاهر منه ، وبيان ذلك أن فى هذا البيت مصدراً هو قوله « إذعان » وفيه جار ومجرور وهو قوله « للذلة » والظاهر أن هذا الجار والمجرور متعلق بهذا المصدر ؛ فيلزم عليه تقدم معمول المصدر عليه ، والجمهور يأبون جواز ذلك ؛ لأن المصدر بمنزلة الموصول ، ألا ترى أنه مؤول بموصول حرفى وفعل وهذا الفعل هو صلة الحرف ، والمعمول بمنزلة معمول الصلة ، ولما كانت الصلة لاتتقدم هى ولا شىء من معمولاتها على الموصول لزم ألا يتقدم معمول المصدر على المصدر تحقيقا للمشابهة ، وعندهم أن هذا الجار والمجرور متعلق بمصدر محذوف هو الذى يكون خبر المبتدأ ، والمصدر المذكور مفسر ودليل على ذلك المحذوف ، وكأنه قد قال : وبعض الحلم عند الجهل إذعان للذلة إذعان .

قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : وهذا الذى ذهب إليه الجمهور فى هذه المسألة ليس بسديد، وذلك لوجوه : الأول : أنه قد وردت جملة صالحة من الكلام الفصيح والشعر ظاهرها يدل على

... ...

الجواز كالبيت المستشهد به ، وكقوله تعالى : (ولا تأخذكم بهما رأفة) وقوله جلت كلمته : (فلما بلغ معه السعى) وترك الظاهر مع وجود العامل ثم البحث عن عامل آخر تكلف لاداعى له ورفع للثقة بدلالة النصوص كما قلنا مراراً ، والوجه الثانى : أن هـذا المعمول جار ومجرور ، وقد تقرر فى غير موضع من النحو أن الظرف والجار والمجرور يتوسع فيهما مالا يتوسع فى غيرهما . والوجه الثالث : أن كون الشىء بمنزلة الشىء لايستلزم أن يأخذ جميع أحكامه ، وإنما يستلزم أن يأخذ أقرب الأحكام وهو مايتناسب مع المشابهـة التى بينهما ، وذلك مقرر فى أصول النحو . والوجه الرابع : أنا ــ مع تسليمنا بأن هذا المصدر مقدر بالفعل والحرف المصدرى ، ومع تسليمنا بأنه لايجوز فى الـكلام الفصيح تقديم معمول الفعل المسبوق بحرف مصدرى عليـه ولا على الحرف المصدرى ــ لا نلتزم أن كون الشىء مقدراً بشىء آخر يستلزم أنه لايصح النطق مع المقدر إلا بما يصح النطق به مع المقدر به .

وبعد فى هــذه المسألة قولان آخران للنحاة غير قول الجمهور : أولهما قول ابن السراج ، وحاصله أنه يجوز تقديم المفعول الصريح على المصدر المؤول بالفعل والحرف المصدرى ، فأجاز أن تقول : يعجبنى عمراً ضَرْبُ زيدٍ ، وثانيهما قول المحقق الرضى ، وحاصله أنه يجوز تقديم معمول المصدر إذا كان ذلك المعمول ظرفا أوجارا ومجرورا ، وهذا هوالذى نرجحه وهوالذى أعربنا البيت عليه كما سبقت الإشارة. قال المحقق الرضى فى شرح الـكافية (١٨١/٢) «قالوا: ولا يتقدم معموله ، لأنه عندالعمل مؤول بحرف مصدرى مع الفعل ، والحرف المصدرى موصول ، ومعمول المصدر فى الحقيقة معمول الفعل الذى هو صلة الحرف ، ومعمول الصلة لايتقدم على الموصول . . . هذا ماقالوا! . وأنا لا أرى منعا من تقدم معموله عليه ، إذا كان ظرفا أو شبهه ، نحو قولك : اللهم ارزقنى من عدوك البراءة وإليك الفرار ، قال تعالى : (ولاتأخذكم بهما رأفة) وقال (بلغ معه السعى) وفى نهج البلاغة : قلت عنكم نبوته . ومثله فى كلامهم كثير ؛ وتقدير الفعل فى مثله تكلف ، وليس كل مؤول بشىء حكمه حكم ما أول به ؛ فلا منع من تأويله بالحرف المصـدرى من جهة المعنى مع أنه لاتلزمه أحكامه ، بل لايتقدم عليه المفعول الصريح لضعف عمله ، والظرف وأخوه تـكفيهما رائحة الفعل حتى إنه يعمل فيهما ماهو فى غاية البعد من العمل كحرف النفى فى قوله تعالى : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) فقوله بنعمة ربك متعلق بمعنى النفى ، أى : انتفى بنعمة ربك وبحمده منك الجنون ، ولا معنى لتعلقه بمجنون . . . . » اهـ .

فليست اللام من قوله « للذلة » متعلِّقة بإذعان المذكور ، بل بمحذوف قبلها يدل عليه المذكور ، والتقدير : و بعض الحلم عند الجهل إذعان للذلة إذعان . وهذا التقدير نظير ما فى نحو «وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» . ومما يُوهِم الفصل بأجنبي قولُه تعالى : « إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ » فليس « يوم » منصوبا برَجْعه كما زعم الزمخشرى ، وإلا لَزِم الفَصْلُ بأجنبى بين مصدر ومعموله ، والإخبارُ عن موصولٍ قبل تمام صلته . والوجه الجيد أن يُقدَّر ليوم ناصبٌ ، والتقدير يَرْجِعهُ يوم تبلى السرائر ، ومنه أيضاً قولُه :

٦٩٤ — المَنُّ لِلذَّمِّ دَاعٍ بِالْعَطَاءِ فَلاَ تَمْنُنْ فَتُلْفَى بِلاَ حَمْدٍ وَلاَ مَالِ

---

٦٩٤ — هذا بيت من البسيط ، ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « المن » بفتح الميم وتشديد النون ـ هو تعداد مآثرك على من أنعمت عليه ، وليس من حميد الخصال أن تسدى معروفا إلى إنسان ثم تذكر ذلك ممتنا به عليه ، وقد وصف الله تعالى الصالحين بأنهم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى ، وأوصى نبيه بقوله : (ولا تمنن تستكثر) « الذم » هو إحصاء معايب الشخص وتعداد نقائصه وذكر مافيه من خصال السوء « داع » اسم فاعل فعله دعا ، وهو واوى اللام ، وأصله داعو ، فلما وقعت الواو متطرفة إثر كسرة انقلبت ياء وحذفت الياء لما التقت ساكنة بالتنوين للتخلص من التقاء الساكنين ، والمراد بداع هنا جالب « فتلفى » مضارع مبنى للمجهول وماضيه المبنى للمعلوم ألفى ، ومعناه وجد ، وفى التنزيل : (إنهم ألفوا آباءهم ضالين) « حمد » الحمد ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الميم ـ هو الذكر بالجميل .

المعنى : يريد أن تعداد الإنسان مآثره على من أسداها إليه وذكر صنائعه فى مواجهة من صنعها معه يستدعى من الناس ذمه وانتقاصه، وأن من فعل ذلك أصبح بغير مال لأنه بذله فى صنائع المعروف ، وبغير حمد لأنه كدر الصنيعة بالمنة ، فلا هو وفر على نفسه المال ، ولا هو استجلب حمد الناس على البذل ، وينصح الشاعر بألا يكون منك ذلك . وفى الكلم النوابغ : نقل المن من قلل الجبال ، أهون من حمل المن على الرجال ، وفى شواهد النحاة أيضاً :

إِذَا الجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاَصًا مِنَ الْأَذَى فَلاَ الحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلاَ المَالُ بَاقِيَا

الإعراب : « المن » مبتدأ ، مرفوع بالضمة الظاهرة « للذم » جار ومجرور متعلق بقوله داع الآتى «داع» خبر المبتدأ الذىهوقوله المن «بالعطاء» جار ومجرور يتعلق عندهم بمحذوف يقع بدلا من المبتدأ ، وتقدير الكلام : المن داع للذم المن بالعطاء « فلا » الفاء فاء الفصيحة ، ولا : حرف نهى مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « تمنن » فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وفاعله

... ...

ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت « فتانى » الفاء فاء السببية ، تلفى : فعل مضارع مبنى للمجهول منصوب بأن المضمرة بعد فاء السببية ، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت «بلا» الباء حرف جر ، ولا : اسم بمعنى غير ظهر إعرابه على ما بعده مبنى على السكون فى محل جر بالباء ، ولا مضاف و«حمد» مضاف إليه والجار والمجرور متعلق بتانى « ولا » الواو عاطفة ، ولا : زائدة لتأكيد النفى ، أو اسم بمعنى غير كالسابق وهو معطوف عليه ، وعليه يكون لامضافا و «مال» مضافا إليه مجرور بالكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « المن للذم داع بالعطاء » فان ظاهر هذا الكلام يوهم أن الجار والمجرور الذى هو قوله « بالعطاء » متعلق بالمصدر المذكور وهو قوله « المن » فيلزم على ذلك محذوران : أحدهما الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى ـ وهو قوله « للذم داع » ـ وثانيهما : أن يخبر عما هو بمنزلة الموصول قبل استكمال ما هو بمنزلة الصلة ، وبيان ذلك أن المصدر ـ على ما علمت فى شرح الشاهد السابق ـ بمنزلة حرف مصدرى وصلته ، ومعمول المصدر بمنزلة معمول الصلة ، ومعمولات الصلة من تمام الصلة ، فاذا أخبرت بداع عن المصدر وجعلت قوله « بالعطاء » متعلقاً بالمصدر المذكور كنت قد ذكرت ما أخبرت به عنه قبل أن تذكر معمولاته ، وهذا هو الإخبار عما هو كالموصول قبل استكمال ما هو بمنزلة الصلة ، وجمهور النحاة لا يجيزون ذلك ، فلما لزم هذان المحظوران على جعل الجار والمجرور متعلقاً بالمصدر المذكور فى الكلام ، أراد النحاة أن يتخلصوا منهما جميعاً ، فقدروا للجار والمجرور متعلقاً وهو فعل أو مصدر آخر يأتى قبل الجار والمجرور وبعد الخبر ؛ فلا يكون لهذا المصدر المذكور فى الكلام متعلق ، وحينئذ لا يقال إن خبره قد وقع قبل استيفاء معمولاته . هذا إيضاح كلام الشارح العلامة . وقد أجاز المحقق الرضى أن يفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى وجعل قوله تعالى (أياما معدودات) متعلقاً بالصيام فى قوله سبحانه : (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات) مع الفصل بينهما بأجنبى متعدد .

فان قلت : فما حد الأجنبى الذى لا يجيز الجمهور أن يفصل به بين المصدر ومعموله ؟

قلت : الأجنبى فى هذا الموضع هو : كل ما ليس متعلقاً بالمصدر ولا متمما له ، كالمبتدأ والخبر وفاعل غير المصدر ومفعوله ، وعلى هذا يكون غير الأجنبى : كل ما كان متمماً للمصدر أو متعلقاً به كفاعل المصدر ومفعوله والظرف والجار والمجرور المتعلقين به ، وقد ألحقوا الجملة المعترضة بغير الأجنبى ، فاذا قلت : ضربى زيداً فى الدار يوم الخميس أمام أبيه حسن ، كان كلاماً سائغاً مقبولا ، وإذا قلت : ضربى حسن زيداً فى الدار ، كان كلاماً غير سائغ ولا مرضى ، فاحفظ ذلك ولا تغفل عنه

فليست الباء الجارة للعطاء متعلقة بالمنّ ليكون التقدير المنُّ بالعطاء داعٍ للذم – وإن كان المعنى عليه – لفساد الإعراب ، لأنه يستلزم المحذورين المذكورين ، فالمخلّص من ذلك تعلقُ الباء بمحذوف ، كأنه قيل : المنّ للذم داع المن بالعطاء ، فالمن الثانى بدل من المن الأول ، فحذف وأبقى ما يتعلق به دليلا عليه .

أما المصدر الآتى بدلا من اللفظ بفعله فالأصح أنه مُسَاوٍ لاسم الفاعل فى تحمُّل الضمير وجَوَاز تقديم المنصوب به والمجرور بحرف يتعلَّق به عليه ، لأنه ليس بمنزلة موصول ولا معموله بمنزلة صلته ، والله أعلم .

إعمال اسم الفاعل

(كَفِعْلِهِ اسْمُ فَاعِلٍ فِي الْعَمَلِ) واسمُ الفاعل هو : الصفةُ الدالَّةُ على فاعل جارية فى التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضى ، كذا عرفه فى التسهيل .

فالصفة : جنس ، والدالَّةُ على فاعل : لإخراج اسم المفعول وما بمعناه ، وجارية فى التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها : لإخراج الجاريةِ على الماضى نحو فَرِحٍ ، وغيرِ الجاريةِ نحو كَرِيمٍ ، وفى التذكير والتأنيث : لإخراج نحو أهْيَف فإنه لايجرى على المضارع إلا فى التذكير ، ولمعناه أو معنى الماضى : لإخراج نحو ضَامِرِ الْكَشْحِ من الصفة المشبهة .

ويعمل اسم الفاعل عمل فعله فى التعدى واللزوم (إِنْ كَانَ عَنْ مُضِيِّهِ بِمَعْزِلِ) بأن كان بمعنى الحال أو الاستقبال ؛ لأنه إنما عَمِلَ حَمْلاً على المضارع ، وهو كذلك (وَوَلِيَ) مَا يُقَرِّبُهُ من الفعلية : بأن ولى (اسْتِفْهَامًا) ملفوظا به نحو : أضَارِبٌ زَيْدٌ عَمْرًا ؟ وقوله :

* أَمُنْجِزٌ أَنْتُمُ وَعْداً وَثِقْتُ بِهِ[1] *

أو مُقَدَّرًا نحو : مُهِينٌ زَيْدٌ عَمْرًا أمْ مُكْرِمُه ؟ (أَوْ حَرْفَ نِدَا) نحو : يَاطَالِعاً جَبَلاً ، والصواب أن النداء ليس من ذلك ، والمسوّغ إنما هو الاعتماد على الموصوف المقدر ، والتقدير : يا رَجُلاً طَالِعاً جبَلاً (أوْ نَفْياً) نحو : مَاضَارِبٌ زَيْدٌ عَمْرًا (أوْ جَا صِفَةً) إما لمذكورٍ نحو : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ قَائِدٍ بَعِيرًا ، ومنه الحال نحو : جَاءَ زَيْدٌ رَاكِباً فَرَسًا ،

(١) هذا صدر بيت من البسيط ، وعجزه قوله :

* أَمِ اقْتَفَيْتُمْ جَمِيعًا نَهْجَ عُرْقُوبِ *

وقد تقدم هذا البيت مشروحاً فى باب المبتدأ والخبر ـ وهو الشاهد (رقم ١٣٥) ـ وإنما أعاده الشارح العلامة فى هذا الموضع ليستدل به على أن اسم الفاعل إذا تقدم عليه استفهام ملفوظ به عمل عمل فعله فرفع فاعلا ونصب مفعولا إن كان فعله متعديا ، واسم الفاعل هنا هو قوله «منجز» وفعله أنجز ، وتقول : أنجز فلان وعده ، وفى أمثالهم : أنجز حر ماوعد ، وقد تقدمت على اسم الفاعل همزة الاستفهام ، وقد رفع اسم الفاعل فى هذا البيت فاعلا أغنى عن الخبر ، وهو قوله « أنتم » ونصب مفعولا وهو قوله « وعدا وثقت به » .

أو محذوفٍ ، وسيأتى (أَوْ مُسْنَدًا) لمبتدإ أو لما أَصْلُه المبتدأ ، نحو : زَيْدٌ مُكْرِمٌ عَمْرًا ، وإِنَّ زَيْدًا مُكْرِمٌ عَمْرًا .

فإنْ تخلَّف شرط من هذين لم يعمل ، بأن كان بمعنى الماضى خلافا للكسائى ، ولا حُجَّة له فى « وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ » فإنه على حكاية الحال ، والمعنى يَبْسُطُ ذراعيه ، بدليل ماقبله وهو « ونُقَلِّبهمْ » ، ولم يقل وقلَّبناهم ، أو لم يعتمد على شيء مما سَبَقَ خلافاً للكوفيين والأخفش ؛ فلا يجوز : ضاربٌ زيداً أمْسِ .

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : هذا الخلاف فى عمل الماضى دون أل بالنسبة إلى المفعول به ، وأما رَفْعُه الفاعلَ فذهب بعضُهم إلى أنه لا يرفع الظاهر ، وبه قال ابنُ جنّى والشلوبينُ ، وذهب قوم إلى أنه يرفعه ، وهو ظاهر كلام سيبويه واختاره ابن عصفور ، وأما المضمر فحكى ابنُ عصفور الاتفاقَ على أنه يرفعه ، وحكى غيره عن ابن طاهر وابن خروف المنعَ ، وهو بعيد .

الثانى : مِنْ شروط إعمال اسم الفاعل المجرَّد أيضاً : أن لا يكون مُصَغَّرًا ، ولا موصوفاً ، خلافا للكسائى فيهما ، لأنهما يختصان بالاسم فيُبْعِدانِ الوصفَ عن الفِعْلية ، ولا حجة له فى قول بعضهم : أَظُنُّنِي مُرْتَحِلاً وَسُوَيِّرًا فَرْسَخًا ، لأن فرسخاً ظرف يكتفى برائحة الفعل . وقال بعض المتأخرين : إن لم يُحفظ له مُكَبَّر جاز كما فى قوله :

٦٩٥ * تَرَقْرَقُ فِي الْأَيْدِي كُمَيْتٍ عَصِيرُهَا *

---

٦٩٥ — هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* فَمَا طَعْمُ رَاحٍ فِي الزُّجَاجِ مُدَامَةٍ *

وقد نسبوا هذا البيت إلى مضرس بن ربعى الأسدى ، وبحثت كثيرا لعلى أعثر على ما يتم به معنى البيت فوجدت فى كثير من مجاميع الشعر أبياتا مختارة لمضرس بن ربعى من بحر هذا البيت ورويه، أذكر من ذلك حماسة البحترى (ص١٧١ بيروت) وحماسة ابن الشجرى (ص ٢١٠ حيدر أباد الهند) ولكنى لم أجد بينها بيت الشاهد .

اللغة : « راح » هى الخمر ، ولعلهم سموها بذلك من الراح الذى هو أحد مصادر راح فلان للأمر يراح رواحا وراحة وراحا ، إذا أخذته له خفة وأريحية ، قال الشاعر :

... ...

إنَّ الْبَخِيلَ إذَا سَأَلْتَ بَهَرْتَهُ   وَتَرَى الْكَرِيمَ يَرَاحُ كالمخْتَالِ

« الزجاج » جمع زجاجة ، وأراد بها الأكواب التي تشرب فيها الخمر « مدامة » المدامة ، والمدام ــ بضم الميم فيهما ــ الخمر ، قال فى اللسان : « قال ابن جنى : سميت مدامة لأنه ليس شىء تستطاع إدامة شربه إلا هى ، وقيل : لإدامتها فى الدن زمانا حتى سكنت بعد ما فارت ، وقيل : سميت مدامة إذا كانت لا تنزف من كثرتها ، وقيل : سميت مدامة لعتقها » اه « ترقرق » أصله تترقرق ، فحذف إحدى التاءين ، ومعنى « ترقرق فى الأيدى » تمزج بالماء عند الشرب « كميت » هو فى الأصل تصغير أكمت وكمتاء تصغير الترخيم بحذف الزوائد ، وهما وصفان من الكمتة ــ بضم الكاف وسكون الميم ــ وهى لون بين السواد والحمرة ، وقد قالوا : فرس كميت ، وبعير كميت ، وسموا الخمر بالكميت ، ولم يستعملوا المكبر ، قال فى اللسان : « قال سيبويه : وسألت الخليل عن كميت ، فقال : هو بمنزلة جميل ــ يعنى الذى هو البلبل ــ وقال : إنما هى حمرة يخالطها سواد ولم تخلص ، وإنما حقروها لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال له أسود أو أحمر فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب ، وإنما هــذا كقولك : هو دوين ذاك » اه . وانظر كتاب سيبويه (٢ / ١٣٤) .

المعنى : لم أقف على لواحق لهذا البيت يتم بها معناه ويظهر منها مراد الشاعر ، ولكن هذه العبارة التى صيغ عليها البيت مما اعتاد الشعراء الغزلون أن يذكروه فى وصف رضاب أحبتهم وتفضيله على ماء المزن وعلى رضاب النحل وعلى الخمر ، ونحو ذلك . ومن هــذه البابة قول حرملة بن مقاتل :

وَمَا ضَرَبٌ فِي رَأْسِ نِيقٍ مُمَنَّعٍ   بِتَيْهَاءَ قَدْ يَسْتَنْزِلُ الْعُصْمَ نِيقُهَا
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ   وَقَدْ طَابَ بَعْدَ النَّوْمِ فِي الْفَمِ رِيقُهَا

ومن ذلك قول ابن الدمينة :

وَمَا نُطْفَةٌ صَهْبَاءُ صَافِيَةُ الْقَذَى   بِجَلْاَءَ تَجْرِى تَحْتَ نِيقٍ حَبَابُهَا
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا وَلاَ قَرْقَفِيَّةٌ   يُشَابُ بِمَاءِ الزَّنْجَبِيلِ رُضَابُهَا

ومن ذلك قول ساعدة بن جؤية :

وَمُنَصَّبٍ كالْأُقْحُوَانِ مُنَطَّقٍ   بِالظَّلْمِ مَصْلُوتِ الْعَوَارِضِ أَشْنَبُ
كَسُلاَفَةِ الْعِنَبِ الْعَصِيرِ ، مِزَاجُهُ   عُودٌ وَكَافُورٌ وَمِسْكٌ أَصْهَبُ

... ...

خَصِرٌ كَأَنَّ رُضَابَهُ إِذْ ذُقْتَهُ بَعْدَ الهُدُوءِ وَقَدْ تَعَالَى الْكَوْكَبُ
أَرْىُ الجَوَارِسِ فِى ذُؤَابَةِ مُشْرِفٍ فِيهِ النُّسُورُ كَمَا تَحَنَّى المَوْكِبُ

ومن ذلك قول القطامى :

مُنَعَّمَةٌ تَجْلُو بِعُودِ أَرَاكَةٍ ذُرَى بَرَدٍ عَذْبٍ شَنِيبِ المَنَاصِبِ
كَأَنَّ فَضِيضاً مِنْ غَرِيضِ غَمَامَةٍ عَلَى ظَمَإٍ جَادَتْ بِهِ أُمُّ غَالِبِ

وقد لحظ البحترى هذا المعنى فى قوله :

وَأَهْيَفَ مَأْخُوذٌ مِنَ النَّفْسِ شَكْلُهُ تَرَى الْعَيْنُ مَا تَخْتَارُ أَجْمَعَ فِيهِ
وَلَمْ يُنْسِ نَفْسِى مَاسُقِيتُ بِكَفِّهِ مِنَ الرَّاحِ إِلَّا مَاسُقِيتُ بِفِيهِ

الإعراب : « ما » نافية « طعم » مبتدأ ، أو اسم ما إن جعلتها حجازية ، وهو مضاف و « راح » مضاف إليه « فى الزجاج » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لراح « مدامة » صفة ثانية لراح « ترقرق » فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هى يعود إلى الراح ، وجملة الفعل وفاعله فى محل جر صفة ثالثة لراح « فى الأيدى » جار ومجرور متعلق بترقرق « كميت » بالجر ــ صفة رابعة لراح « عصيرها » عصير : فاعل بكميت مرفوع بالفتحة الظاهرة ، والضمير مضاف إليه ، وخبر المبتدأ أو خبر ما فى كلام بعد هذا البيت يحتمل أنه « بأطيب من فيها » كما ورد فى بعض ما ذكرنا من الأبيات .

الشاهد فيه : قوله « كميت عصيرها » واعلم أولا أن هذه الكلمة تروى بروايتين : الأولى بجر كميت ، وهذه الرواية هى التى يتم عليها استشهاد الشارح بالبيت تبعاً لجماعة من النحاة ، وذلك بأن يكون « كميت » صفة لراح ، ويكون « عصيرها » فاعلا به كما ذكرنا فى إعراب البيت ، ويكون ذلك دليلا على إعمال اسم الفاعل المصغر الذى لم يسمع له مكبر ، فقد بينا لك فى لغة البيت أن « كميت » وصف من الكتة وأنه مصغر لأكت أوكتاء على طريق تصغير الترخيم ، وأنه لم يستعمل مكبره . والرواية الثانية برفع كميت ، وإعرابها على أن يكون « كميت » خبراً مقدما ، و« عصيرها » مبتدأ مؤخراً ومضافا إليه ، والجملة فى محل جر صفة لراح ، وعلى هذه الرواية لا يكون فى البيت شاهد لما نحن فيه .

واعلم ثانيا أن النحاة يختلفون فى جواز إعمال اسم الفاعل المصغر ، ولهم فى ذلك ثلاثة أقوال :
القول الأول : لا يجوز إعماله مطلقاً ، سواء أكان قد استعمل مكبره نحو ضويرب وقويتل

حيث رُفع عصيرها بكُمَيْتٍ ، ولا حُجَّة له أيضاً على إعمال الموصوف فى قوله :

٦٩٦ — إِذَا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الْخَلِيطِ الْمُزَايِلِ

تصغير ضارب وقاتل أم لم يستعمل مكبره نحو كميت ، وهذا رأى جمهرة البصريين ، قالوا : والدليل على ذلك من وجهين : الأول أنه لم يرد عن العرب إعمال اسم الفاعل مصغراً ، والثانى أن وجود ما هو من خواص الاسم ـ وهو التصغير ـ يبعد الشبه بينه وبين المضارع فى البنية التى هى عمدة التشابه بينهما .

والقول الثانى : يجوز مطلقاً ، وهذا رأى قد نسبه الشارح إلى الكسائى ، ونسبه غيره إلى الكوفيين إلا الفراء ، ووافقهم على ذلك النحاس ، فأما النحاس فقاس اسم الفاعل المصغر على المجموع جمع تكسير ، وأما الكوفيون فلأن المعتبر عندهم شبه اسم الفاعل للفعل فى المعنى دون البنية ، وقد أيد ابن مالك مذهبهم بأن اسم الفاعل يعمل عند البصريين إذا حولت صيغته للمبالغة ، وذلك يدل على أن المعتبر هو المعنى دون الصورة .

القول الثالث : يعمل المصغر الذى لم يلفظ به مكبرا ، وقد نسبه الشارح إلى بعض المتأخرين .

واعلم ثالثاً أن هذا البيت يستشهد به من أجاز إعمال المصغر مطلقا ومن أجاز إعمال المصغر الذى لم يلفظ به مكبراً ، وهو غير صالح للاستدلال لأحد الفريقين ، لما ذكرنا من أنه يروى برفع « كميت » وقد ذكرنا تخريج هذه الرواية ؛ فالمنكرون للإعمال يتمسكون بهذه الرواية .

٦٩٦ — هذا بيت من الطويل ، وينسبونه إلى بشر بن أبى خازم ، وقد رواه ابن منظور فى لسان العرب (ف ق د) عن الفارسى على وجه آخر ، وهو :

إِذَا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الْخَلِيطِ الْمُبَايِنِ

ولم ينسبه إلى قائل معين .

اللغة : « فاقد » المراد حمامة فقدت فرخها ، أى عدمته ، يقال : فقد الشىء يفقده فقدا ـ مثل ضربه يضربه ضربا ـ وفقدانا وفقوداً ، فالشىء مفقود وفقيد ، إذا عدمه ، والفاقد من النساء : التى يموت زوجها أو ولدها أو حميمها ، وأنشد الليث شاهداً على ذلك قول الشاعر :

كَأَنَّهَا فَاقِدٌ شَمْطَاءُ مُعْوِلَةٌ نَاحَتْ وَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَنَاكِيدُ

وقالوا : ظبية فاقد ، وبقرة فاقد ، وحمامة فاقد . ومن كلامهم : لا تتزوج فاقداً وتزوج مطلقة «خطباء» وصف من الخطبة ـ بضم فسكون ـ وهى لون يضرب إلى الكدرة مشرب حمرة فى صفرة ، وقيل : الخطبة غبرة ترهقها خضرة ، وقيل : الخطبة الخضرة يخالطها سواد ، والفعل من ذلك : خطب خطبا ـ كفرح فرحا ـ فهو أخطب وهى خطباء « فرخين » مثنى فرخ ـ بفتح فسكون ـ وهو ولد الطائر ، وقد يستعمل فى كل صغير من الحيوان والنبات والشجر ، ويجمع فى القلة على

... ...

أفرخ وأفراخ وأفرخة ، وفى الكثرة على فراخ « رجعت » أراد صوتت وكررت صوتها « سليمى » بضم السين وفتح اللام ــ اسم امرأة « الخليط » القوم يكون أمرهم واحداً ، ويقال للواحد وللكثير بلفظ واحد « المزايل » المفارق ، تقول : زايل فلان فلانا يزايله ، مثل فارقه يفارقه وزنا ومعنى ، وقد رأيت أنه يروى « المباين » وهو اسم الفاعل من باينهُ يباينه بمعنى فارقه أيضاً .

المعنى : يقول : إنه عند مايسمع صوت حمامة تنوح على فرخين لها قد فقدتهما ، وهى تكرر هذا النواح وتردده المرة بعد المرة ، يتذكر سليمى حبيبته التى فارقته وبعدت عنه فى قوم كانوا له خلطاء . والعرب تذكر هذا المعنى كثيراً فى أشعارها ، ويتأسون فى بكاء أحبتهم ببكاء الحمام ، انظر إلى قول عوف بن محلم وسمع حمامة تنوح :

أَلاَ يَاحَمَامَ الْأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ … وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ ؟
أَفِقْ لاَتَنُحْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ فَإِنَّنِى … بَكَيْتُ زَمَاناً وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ
وَلُوعًا فَشَطَّتْ غَرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ … فَهَا أَنَا أَبْكِى وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ

ثم انظر إلى قول حميد بن ثور الهلالى :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ إِلاَّ حَمَامَةٌ … دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرْحَةً وَتَرَنُّمَا
إِذَا شِئْتُ غَنَّتْنِى بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ … أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أَوْ بِيَلَمْلَمَا
مُطَوَّقَةٌ خَطْبَاءُ تَسْجَعُ كُلَّمَا … دَنَا الصَّيْفُ وَانْجَالَ الرَّبِيعُ فَأَنْجَمَا
مُحَلاَّةُ طَوْقٍ لَمْ يَكُنْ بِتَمِيمَةٍ … وَلاَ ضَرْبِ صَوَّاغٍ بِكَفَّيْهِ دِرْهَمَا
تَغَنَّتْ عَلَى غُصْنٍ عِشَاءً فَلَمْ تَدَعْ … لِنَائِحَةٍ فِى شَجْوِهَا مُتَلَوَّمَا

ثم انظر إلى قول عدى بن الرقاع :

وَمِمَّا شَجَانِى أَنَّنِى كُنْتُ نَائِمًا … أُعَلَّلُ مِنْ بَرْدِ الْكَرَى بِالتَّنَسُّمِ
إِلَى أَنْ بَكَتْ وَرْقَاءُ فِى غُصْنِ أَيْكَةٍ … تُرَدِّدُ مَبْكَاهَا بِحُسْنِ التَّرَنُّمِ
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً … بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِى فَهَيَّجَ لِى الْبُكَى … بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

ثم انظر إلى قول قيس بن معاذ :

وَلَوْلَمْ يَشُقْنِى الظَّاعِنُونَ لَشَاقَنِى … حَمَائِمُ وُرْقٌ فِى الدِّيَارِ وُقُوعُ

... ...

تَجَاوَبْنَ فَاسْتَبْكَيْنَ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى نَوَائِحُ مَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ

قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : وإنما أكثرت من الاستشهاد لهذا المعنى — على خلاف ما جرت به العادة — لأبين لك ما فى كلام العلامة الصبان رحمه الله من السهو فى هذا الموضوع فقد جعل الفاقد امرأة ، وفسر الخطباء بالبينة الخطب ، أى الكرب ، وجعل رجعت من الترجيع وهو أن يقال عند الصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وكل هذا بمعزل عن الصواب ، ومما دعا إلى الإكثار من الاستشهاد الرغبة فى أن تقع على أكثر ألفاظ البيت الشاهد فى كلام العرب الوارد فى هذا المعنى لتدرك أن تفسيره — الذى تبع فى أكثره العينى — ليس بصواب . والعرب تذكر فى أشعارها أن المحبين المفارقين يهتاجون لحنين النجائب ، ولنوح الحمائم ، ولالتياح البروق ، فاعرف ذلك .

الإعراب : « إذا » ظرف لما يستقبل من الزمان مبنى على السكون فى محل نصب بقوله ذكرت الآتى « فاقد » فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده ، أى إذا رجعت فاقد خطباء — إلخ ، وفى فاقد ضمير مستتر تقديره هى فاعل « خطباء » نعت لفاقد مرفوع بالضمة الظاهرة « فرخين » مفعول به لفاقد منصوب بالياء نيابة عن الفتحة لأنه مثنى ، هذا هو الظاهر وستعرف مافيه ، وجملة الفعل المحذوف وفاعله فى محل جر بإضافة إذا إليها «رجعت» رجع : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والتاء علامة على تأنيث الفاعل ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هى يعود إلى فاقد ، وجملة الفعل وفاعله لا محل لها من الإعراب مفسرة « ذكرت » فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها من الإعراب جواب إذا « سليمى » مفعول به لذكرت « فى الخليط » جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من سليمى « المزايل » صفة للخليط ، وصفة المجرور مجرورة .

الشاهد فيه : قوله « فاقد خطباء فرخين » حيث أعمل اسم الفاعل — وهو قوله «فاقد» — فى مفعول به — وهو قوله « فرخين » — مع كون اسم الفاعل موصوفاً بقوله « خطباء » ومع كون هذا الوصف قد وقع فى الكلام قبل معمول اسم الفاعل ، وهذا ظاهر ، وقد تمسك بظاهر هذا البيت جماعة من النحاة منهم الكسائى فاستدلوا به على أن اسم الفاعل ينصب المفعول به ولو كان موصوفاً ، ولو كان الوصف قبل العمل .

واعلم أولا أن فى هذه المسألة ثلاثة مذاهب : أولها ، إذا وصف اسم الفاعل فى كلام ما لايجوز أن ينصب المفعول به مطلقا ، نعنى سواء أقدم المفعول على الوصف وعلى اسم الفاعل جميعاً أم قدم على الوصف وحده أم تأخر عنهما جميعاً ، وهذا مذهب جمهرة النحاة ، وعندهم أن ماورد من كلام العرب مما يخالف ظاهره هذا الرأى كبيت الشاهد الذى معنا فهو مؤول أو شاذ لا يقاس عليه ، فأما تأويله فبأن تجعل المنصوب على أنه مفعول به معمولا لفعل محذوف يفسره اسم الفاعل ،

إذ « فَرْخَيْنِ » نصبٌ بفعل مضمر يفسره فاقد ، والتقدير : فَقَدَت فرخين ؛ لأن فاقد ليس جاريا على فعله فى التأنيث فلا يعمل ، إذ لا يقال : هٰذهِ امرأة مُرْضِـعٌ وَلَدَهَا ، لأنه بمعنى النسب ، قال فى شرح التسهيل : ووافق بعضُ أصحابنا الـكسائىَّ فى إعمال الموصوف قبل الصفة ، لأن ضعفه يَحصلُ بعدها لا قَبْلها ، ونقل غيره أن مذهب البصريين والفراء هو هذا التفصيل ، وأن مذهب الـكسائى وباقى الـكوفيين إجازة ذلك مطلقاً (وَقَدْ يَـكُونُ) اسمُ الفاعل (نَعْتَ مَحْـذُوفٍ عُرِفْ فَيَسْتَحِقُّ الْعَمَلَ الَّذِى وُصِفْ)

وتقدير الـكلام على هذا الرأى فى بيت الشاهد : إذا رجعت فاقد خطباء فقدتْ فرخين ــ إلخ .
والمذهب الثانى : إذا وُصف اسم الفاعل لا يجوز أن ينصب بعد الوصف المفعول به ، فأما قبل أن يتكلم بالوصف فيجوز سواء أقدمت المفعول به عن الوصف وحده أم قدمته عن الوصف واسم الفاعل الموصوف جميعاً ، وأصحاب هذا الرأى يوافقون أصحاب الرأى الأول فى تأويل بيت الشاهد أو الحـكم بشذوذه لوقوع المعمول بعد الوصف ، فلو قلت « إذا فاقد فرخين خطباء » جاز عند أصحاب الرأى الثانى دون أصحاب الرأى الأول ، وكذا لو قلت « هذا زيدا ضارب أى ضارب » جاز عند أصحاب الرأى الثانى دون أصحاب الرأى الأول ، وقد اختلف كلام العلماء فى نسبة هـذا القول : فنسبه ابن مالك إلى « بعض أصحابنا » ولم يعينه ، ونسبه قوم إلى البصريين والفراء .
والمذهب الثالث : إذا وصف اسم الفاعل جاز أن ينصب المفعول به مطلقا ، سواء أتقدم الوصف على المفعول به أم تأخر عنه ، ويتمسك أصحاب هذا الرأى بظاهر البيت المستشهد به ، وينسب هذا الرأى إلى الـكسائى وحده ، أوله ولبقية الـكوفيين .

واعلم ثانيا أن أعدل هذه المذاهب هو مذهب التفصيل ، فيجوز أن ينصب اسم الفاعل الموصوف المفعول به ، إذا كانت الصفة متأخرة عن المفعول به ، وقد خرج جماعة من النحاة ــ منهم ابن هشام فى المغنى ــ على هـذا قول الله تعالى : (ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا) جعلوا « البيت الحرام » مفعولا به لآمين وهو جمع آم الذى هو اسم فاعل فعله أم بمعنى قصد ، وقوله سبحانه « يبتغون فضلا » جملة فى محل نصب صفة لآمين .

واعلم ثالثاً أن ابن منظور نقل فى اللسان عن ابن سيده فى بيت الشاهد قوله « هكذا أنشده سيبويه بتقديم خطباء على فرخين مقويا بذلك أن اسم الفاعل إذا وصف قرب من الاسم وفارق شبه الفعل » اه . وأبادر فأذكر لك أنى بحثت كتاب سيبويه من أوله إلى آخره فلم أجد فيه هذا البيت لا بتقديم خطباء ولا بتأخيره . ثم أقول : إنه يؤخذ من هذا الـكلام أن الرواية المعروفة عند العلماء بتقديم فرخين على خطباء فيكون البيت حينئذ دليلا على المذهب الذى اخترناه .

مع المنعوت الملفوظ به ، نحو « مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ » أى صنف مختلف ألوانه ، وقوله :

٦٩٧ — * كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهَا *

---

٦٩٧ — هذا صدر بيت من البسيط ، وعجزه قوله :

* فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ *

وهذا البيت من قصيدة طويلة للأعشى ميمون ، وبعض الناس يعدها فى المعلقات ، وأولها قوله :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ   وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

وقيل البيت المستشهد بصدره قوله :

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً   أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا   وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهَا   فَلَمْ يَضِرْهَا ... البيت ، وبعده :

تُغْرِى بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتِهِ   عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِى ثُمَّ تَعْتَزِلُ

لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا   وَالْتُمِسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تُحْتَمَلُ

اللغة : « أبلغ يزيد بنى شيبان ــ البيت » المألكة : الرسالة ، وتأتكل : تفسد وتسعى بالشر ، وقيل : معناه تحتك من الغيظ ، وفى اللسان : « وتأكل الرجل وائتكل : غضب وهاج وكاد يأكل بعضه بعضاً » وقال أبو نصر : معناه تأكل لحومنا وتغتابنا ، وهو تفتعل من الأكل « ألست منتهيا ــ البيت » أثلتنا : عزنا وأصلنا ومجدنا الرفيع ، ومنه قالوا : مجد مؤثل ، إذا كان له أصل راسخ ، وقالوا : تأثل فلان مالا ، إذا اتخذ أصول أموال ، وأطت الإبل : حنت وأنت وأرزمت « كناطح صخرة يوما ــ البيت » الوعل ــ بفتح فكسر ، وفيه لغة أخرى حكاها الليث بضم الواو وكسر العين ــ تيس الجبل ، وأكثر أهل اللغة على أن أنثاه يقال لها : أروية ، وحكى فى اللسان أنه يقال للأنثى : وعلة ، وجمع الوعل : أوعال ، ووعول ، ووعل ــ بضم فسكون « تغرى بنا رهط مسعود ــ البيت » تغرى : أى تضرب بيننا وبينهم العداوة ، وكأنه قال : تلصق بيننا وبينهم العداوة ، وتردى ــ بضم تاء المضارعة ــ أى تهلك ، وتعتزل : تصير فى عزلة لا تشاركهم فى نتائج ما أثرته من حفائظهم « لا أعرفنك إن جدت ــ البيت » جدت عداوتنا : صارت جداً وقامت قيامتها ، وعوض ــ بفتح العين وسكون الواو ، وآخره بالحركات الثلاث ــ معناه : الأبد ، وهو ظرف للزمان المستقبل ، كما أن قط ظرف للزمان الماضى ، تقول : لا أفارقك عوض ، وتقول : ما فارقتك قط ، ولا تستعمل أحدهما فى مكان الآخر ، وقال الأعشى فى مدحة المحلق :

أى كَوَعِلٍ ناطحٍ ، ومنه « ياطالعا جبلا » ، أى يارجُلاً طَالِعاً جَبَلاً .

﴿ تنبيه ﴾ : الاستفهام المقدَّر أيضاً كالملفوظ ، نحو : مُهِينٌ زَيْدٌ عَمْرًا أمْ مُكْرِمُهُ ؟ أى : أمُهِينٌ .

(وَإنْ يَكُنْ) اسم الفاعل (صِـلَةَ أَلْ فَفِي الْمُضِي وَغَيْرِهِ إعْمَالُهُ قَدِ ارْتُضِي)

قال فى شرح الكافية : بلا خلاف ، وتبعه ولده ، لكنه حكى الخلافَ فى التسهيل فقال : وليس نصبُ مابعد المقرون بأل مخصوصاً بالمضىّ خلافا للمازنى ومَنْ وافقه ، ولا على التشبيه

رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيِ أُمٍّ تَحَالَفَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لاَنَتَفَرَّقُ

وتحتمل : أى تذهب وتخلى قومك .

المعنى : يقول فى البيت المستشهد بصدره : إنك تكلف نفسك مالا قبل لك به ، وتجشمها مالا تصل إليه ولا يعود ضرره إلا عليك ، وإنما مثلك فيما تصنع مثل وعل يضرب صخرة بقرنيه يظن أنه يفلقها فلا ينال منها وينكسر قرنه أو يهن .

الإعراب : « كناطح » الكاف حرف جر ، وناطح : مجرور بالكاف ، وأصله صفة لموصوف محذوف ، أى كوعل ناطح ، فلما حذف الموصوف أقام الصفة مقامه ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أنت كناطح ، وفى ناطح ضمير مستتر تقديره هو ، وهو فاعله ؛ لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله « صخرة » مفعول به لناطح منصوب بالفتحة الظاهرة « يوما » ظرف زمان منصوب بناطح « ليوهنها » اللام لام العليل ، يوهن : فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى ناطح وضمير الغائبة المتصل مفعول به ، وأن المصدرية والفعل المضارع فى تأويل مصدر مجرور بلام التعليل ، والجار والمجرور متعلق بناطح « فلم » الفاء حرف عطف ، لم : حرف نفى وجزم وقلب « يضرها » يضر : فعل مضارع مجزوم بلم ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى ناطح ، وضمير الغائبة العائد إلى الصخرة مفعول به « وأوهى » الواو حرف عطف ، أوهى : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف « قرنه » قرن : مفعول به لأوهى تقدم على فاعله منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد إلى الفاعل المتأخر مضاف إليه « الوعل » فاعل بأوهى مرفوع بالضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « كناطح صخرة » حيث أعمل اسم الفاعل الذى هو قوله ناطح فى المفعول به الذى هو قوله « صخرة » لكون اسم الفاعل معتمدا على موصوف محذوف يرشد إليه السياق ، وأصل الكلام « كوعل ناطح صخرة » على ما بيناه فى إعراب البيت .

بالمفعول به خلافا للأخفش ، ولا بفعل مضمر خلافا لقوم ، على أن قوله « قد ارتضى » يشعر بذلك . والحاصل أربعةُ مذاهبَ ، المشهورُ أنه يعمل مطلقاً لوقوعه موقعاً يجب تأويله بالفعل .

* * *

(فَعَّالٌ أَوْ مِفْعَالٌ أَوْ فَعُولُ فِي كَثْرَةٍ عَنْ فَاعِلٍ بَدِيلُ)

أى : كثيراً مايُحَوَّلُ اسمُ الفاعل إلى هذه الأمثلة لقصد المبالغة والتكثير (فَيَسْتَحِقُّ مَا) كان (لَهُ مِنْ عَمَلٍ) قبل التحويل ، بالشروط المذكورة ، كقوله :

٦٩٨ — * أَخَا الحَرْبِ لَبَّاساً إلَيْهَا جِلاَلَهَا *

٦٩٨ — هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه قوله :

* وَلَيْسَ بِوَلاَّجِ الخَوَالِفِ أَعْقَلاَ *

وهــذا البيت من كلام القلاخ بن حزن بن جناب المنقرى السعدى ، والقلاخ : بضم القاف وفتح اللام مخففة ، بزنة غراب ، وأصل اشتقاقه : قلخ البعير ، أى هدر ، والقلاخ هو الذي يقول عن نفسه :

أَنَا القُلاَخُ بْنُ جَنَابِ بْنِ جَــلاَ أَخُو خَنَاثِــيرَ أَقُودُ الجَمَلاَ

وقد نسب نفسه إلى جده كما ترى ، فقد علمت أنه القلاخ بن حزن بن جناب .

وقبل البيت المستشهد بصدره قوله :

فَإنْ تَكُ فَاتَتْكَ السَّمَاءُ فَإنَّنِي بِأَرْفَعِ مَاحَوْلِى مِنَ الأَرْضِ أَطْوَلاَ

وَأَدْنَى فُرُوعًا لِلسَّمَاءِ أَعَالِياً وَأَمْنَعُهُ وِرْداً إلَى الحَوْضِ أَنْهَلاَ

اللغة : « أخا الحرب » أراد صاحبها الذى يلازمها ولا يفر منها ، وذلك كما يقولون : أخو العرب ، وأخو الإحسان ، ونحو ذلك « لباسا » صيغة المبالغة للابس الذى هو اسم الفاعل من لبس فلان ثوبه يلبسه — مثل علم يعلم — « جلالها » الجلال — بكسر الجيم — جمع جل — بضمها أو فتحها — وأصل الجل ما يوضع فوق الدابة لتصان به ، وفى أمثلة النحاة « الجل للفرس » وأراد الشاعر هنا بالجلال ما يلبسه المحارب من درع ونحوه ، وإلى فى قوله « إليها » بمعنى اللام « ولاج » صيغة المبالغة لوالج الذى هو اسم الفاعل من ولج يلج ولوجا بمعنى دخل يدخل دخولا « الخوالف » جمع خالفة ، والخالفة : العمود الذى يكون قدام البيت ، وقيل : الخالفة عمود من أعمدة الخباء ، وقيل : الخالفة زاوية البيت ، ومهما يكن فإنه أراد ههنا بالخالفة البيت كله من باب إطلاق اسم الجزء على الكل ، وكنى بذلك عن طهارته من الفجور وأنه لايدخل على النساء ، أو كنى عن أنه لايفر ولا يختفى « أعقلا » هو وصف من العقل — بفتح العين والقاف جميعا — وهو اصطكاك الركبتين ، وقيل : التواء فى الرجل ، ويكون ذلك عند الفزع ، يريد أنه قوى النفس ثابت القدم عند الزلل ووقت حدوث الذعر .

... ...

المعنى : يقول : إنك لا ترانى إلا متقحما حومات الحروب ، كثير لبس الدروع لكثرة ما أخوض المعارك . ولست بفرار إذا استعرت نار الحرب ولا يعترينى الخوف من لقاء الأقران.

الإعراب : « أخا » حال من ضمير المتكلم الواقع فى البيت الأول من الأبيات التى رويناها ، منصوب بالألف نيابة عن الفتحة لأنه من الأسماء الخمسة ، وهو مضاف و « الحرب » مضاف إليه « لباسا » حال ثانية من ضمير المتكلم الذى أشرنا إليه ، وفى لباس ضمير مستتر هو فاعله « إليها » جار ومجرور متعلق بلباس « جلالها » جلال : مفعول به للباس ، وهو مضاف وضمير الغائبة الذى يعود إلى الحرب مضاف إليه « وليس » الواو حرف عطف ، ليس : فعل ماض ناقص ، واسمه ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعو إلى أخى الحرب الذى أراد به نفسه ، ولكنه التفت إلى الغيبة «بولاج» الباء حرف جر زائد ، ولاج : خبر ليس منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، وولاج مضاف و «الخوالف» مضاف إليه «أعقلا» يجوز أن يكون حالا من اسم ليس ، ويجوز أن يكون خبرا ثانيا منصوبا بالفتحة الظاهرة ، ويجوز أن يكون نعتا لولاج أو معطوفا عليه بعاطف مقدر فهو مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل ، أو هو — على الأخيرين — منصوب بالفتحة الظاهرة لأنك تعلم أن تابع خبر ليس المجرور بالباء الزائدة يجوز نصبه كما فى قوله :

* فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلاَ الْحَدِيدَا *

الشاهد فيه : قوله «لباسا جلالها» حيث أعمل صيغة المبالغة وهى قوله «لباسا» عمل اسم الفاعل، فرفع بها الفاعل وهو الضمير المستتر ، ونصب بها المفعول به وهو قوله « جلالها » وقد استكملت هـذه الصيغة شرط ذلك الإعمال ، فإنها معتمدة على صاحب حال من قبل أنها — على ما علمت — حال من ضمير المتكلم .

واعلم أولا أن فى إعمال صيغ المبالغة الخمس عمل الفعل خلافا بين العلماء ، وأن لهم فى ذلك ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : يجوز فى خمستها ، وهذا مذهب سيبويه وأصحابه ، واستدلوا له بالسماع وبالقياس ، فأما السماع فهذه الشواهد التى حكاها الشارح ونحوها ، وأما القياس فلأنها واقعة موقع اسم الفاعل الذى فعله على مثال فعل — بتشديد العين — ألا ترى أن صيغة فعل — بتضعيف العين — تدل على التكثير والمبالغة نحو صدق وغلق الأبواب ونحوهما .

والمذهب الثانى : لا يجوز إعمال واحدة من هـذه الصيغ عمل الفعل ، وهذا مذهب جمهور الكوفيين ، وعندهم أنه إذا ورد فى كلام العرب ما ظاهره إعمال صيغة منها كما فى بيت الشاهد

وحكى سيبويه : « أَمَّا الْعَسَلَ فَأَنَا شَرَّابٌ » وكقول بعض العرب : إِنَّهُ لَمِنْحَارٌ بَوَائِكَهَا ، حكاه أيضا سيبويه ، وكقوله :

٦٩٩ — * ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمَانِهَا *

فإنه مؤول ، وتأويله أن يقدر للاسم المنصوب فعل يعمل فيه ، فنحو « لباسا إليها جلالها » يقدر « لباسا إليها ألبس جلالها » ونحوه ، وعندهم أنه لا يجوز أن يتقدم المعمول على اسم المبالغة .

وهـذا مذهب ضعيف من وجوه : الأول أنه ورد الإعمال فى جملة صالحة من الكلام العربى الموثوق بصحته ، والتأويل خلاف الأصل ، ولو جوزناه لارتفعت الثقة بدلالة النصوص العربية على وجوه الاستعمال ، والوجه الثانى أن مثال المبالغة كاسم الفاعل على ما بينا فالذى يجيز إعمال اسم الفاعل يجيز إعمال مثال المبالغة ، والوجه الثالث أن بعض ما ورد من كلام العرب لا يتأتى فيه تقدير الفعل ، وذلك كقولهم « أما العسل فأنا شراب » بنصب العسل على أنه مفعول به لشراب ، ولو قدرنا فعلا للزم عليه الفصل بين « أما » والفاء بجملة هى الفعل المقدر وفاعله ، وقد علمنا أنه لا يجوز أن يفصل بين أما والفاء إلا بمفرد .

والمذهب الثالث : يجوز الإعمال فى بعض الصيغ دون بعض ، ولهذا المذهب فروع ، فمنها أن بعض البصريين يجيز إعمال فعال ومفعال وفعول ، ويمنع إعمال فعيل وفعل ــ بكسر العين ــ ومنها أن أبا عمر الجرمى يجيز إعمال أربع صيغ منها ، ويمنع إعمال فعيل . وسنتحدث إليك عن هـذه الأقوال الفرعية مع الكلام على الشواهد الآتية إن شاء الله تعالى .

واعلم ثانيا أن هذه الصيغ إنما تبنى قياسا من مصدر الفعل الثلاثى المتعدى . وربما بنى فعال ومفعال وفعول وفعيل من مصـدر أفعل ، فمثال فعال دراك فإن فعله أدرك ومثال مفعال معوان ومهوان فإن فعلهما أعان وأهان ، ومثال فعيل نذير فإن فعله أنذر ، ومثال فعول زهوق فإن فعله أزهق لأن زهق لازم .

٦٩٩ — هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه قوله :

* إِذَا عَدِمُوا زَاداً فَإِنَّكَ عَاقِرُ *

وهـذا البيت من كلمة لأبى طالب بن عبد المطلب عم سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يرثى بها زوج أخته عاتكة بنت عبد المطلب ، أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم وكان قد خرج فى تجارة إلى الشام فمات بموضع يقال له سروسحيم ، ومطلع هذه القصيدة قوله :

أَلاَ إِنَّ زَادَ الرَّكْبِ غَيْرَ مُدَافَعٍ بِسَرْوِ سُحَيْمٍ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ

وبعد البيت المستشهد بصدره قوله :

... ...

وَإِلاَّ يَكُنْ لَحْمٌ غَرِيضٌ فَإِنَّهُ تُكَبُّ عَلَى أَفْوَاهِهِنَّ الْغَرَائِرُ

اللغة: « ضروب » صيغة مبالغة من الضرب ، وأراد به ههنا العرقبة ، وهى ضرب قوائم الناقة . وكان ذلك من عادتهم إذا أرادوا نحر النوق لئلا تزايل مكانها ليتمكنوا من نحرها « بنصل السيف » بفتح النون وسكون الصاد المهملة ــ شفرته ، وقد يطلق النصل على السيف كله ، وليس ذلك مراداً هنا لإضافة النصل إلى السيف وإضافة الشىء إلى ما اتحد به معنى مما لايلجأ إليه إلا عند الاضطرار «سوق» جمع ساق « سمانها» السمان ــ بكسر السين ــ جمع سمينة «عدموا زادا» فقدوه ولم يجدوه ، وأراد إذا اشتدت بالناس المجاعة ونزل بهم الجدب ، أوإذا ضلوا طريقهم فلم تكن لهم وسيلة إلى الزاد ، وخص ذلك الوقت لأنه وقت تضن فيه النفوس بالتافه القليل « عاقر » يريد فإنك تذبح لهم ، والعاقر : الذابح ، والعقير : الذبيح ، وقيل : العقر قطع أحد قوائم البعير عند إرادة ذبحه ، وهذا يتفق مع صدر البيت . قال ابن منظور : « كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه أى قطعوا أحد قوائمه ، ثم نحروه ، يفعل ذلك به كيلا يشرد عند النحر ، وعقر الناقة يعقرها ويعقرها ــ من بابى ضرب ونصر ــ عقرا ، إذا فعل بها ذلك حتى تسقط فنحرها مستمكنا منها » اهـ . ومن استعمال العقر فى النحر قول امرىء القيس بن حجر الكندى :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ كُورِهَا الْمُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ الْمُفَتَّلِ

المعنى : يصف أبا أمية بالكرم والجود فى وقت العسرة الذى تضن فيه النفوس وتمسك الأيدى ، وأنه لايكتفى بالقليل من الجود ، وإنما يبذل بأوسع معنى البذل .

الإعراب : « ضروب » هو خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أنت ضروب « بنصل » جار ومجرور متعلق بضروب ، ونصل مضاف و « السيف » مضاف إليه ، وفى ضروب ضمير مستتر تقديره هو ، وهو فاعله « سوق » مفعول به لضروب منصوب بالفتحة الظاهرة ، وسوق مضاف وسمان من « سمانها » مضاف إليه ، وهو مضاف وضمير الغائبة العائد إلى الإبل مضاف إليه «إذا» ظرف لما يستقبل من الزمان « عدموا » فعل وفاعل « زادا » مفعول به ، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله فى محل جر بإضافة إذا إليها « فإنك »الفاء واقعة فى جواب إذا ، إن : حرف توكيد ونصب ، وضمير المخاطب اسم إن مبنى على الفتح فى محل نصب « عاقر » خبر إن مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة إن واسمها وخبرها لامحل لها من الإعراب جواب إذا لأنها أداة شرط غير جازمة

الشاهد فيه : قوله « ضروب سوق سمانها » حيث أعمل صيغة المبالغة التى على زنة فعول ــ وهى قوله « ضروب » ــ عمل اسم الفاعل المتعدى فعله ، فرفع بها فاعلا وهو الضمير المستتر ،

وكقوله :

٧٠٠ — عَشِيَّةَ سُعْدَى لَوْ تَرَاءَتْ لِرَاهِبٍ ... بِدُومَةَ تَجْرٌ دُونَهُ وَحَجِيجُ
قَلَى دِينَهُ وَاهْتَاجَ لِلشَّوْقِ إِنَّهَا ... عَلَى الشَّوْقِ إِخْوَانَ الْعَزَاءِ هَيُوجُ

ونصب بها المفعول به — وهو قوله « سوق سانها » — وهذه الصيغة معتمدة على ما يصحح عملها ، ألا ترى أنها خبر عن مبتدأ محذوف ، وإعمال هذه الصيغة مذهب سيبويه وجمهور البصريين على ما قدمناه وذكره الشارح .

٧٠٠ — هذان بيتان من الطويل ، وقد صحح ابن هشام اللخمى أن قائلهما هو عبيد ابن حصين النميرى المعروف بالراعى ، وقد أنشد سيبويه ثانيهما (٥٧/١) ونسب فى صلب الكتاب إلى أبى ذؤيب الهذلى ، وكذلك نسبه الأعلم الشنتمرى ، وهما غير موجودين فى ديوان أبى ذؤيب.

اللغة : « سعدى » بضم السين وسكون العين — اسم امرأة « تراءت » ظهرت وبدت « لراهب » الراهب : العابد من عباد النصارى ، ومن عادتهم أن ينقطع أحدهم فى صومعة يتخلى للعبادة ، ويحرم على نفسه لذائذ الدنيا ومنها النساء « دومة » بضم الدال أو فتحها على ما قاله ابن الأثير — موضع على سبع مراحل من دمشق وعلى ثلاث عشرة مرحلة من المدينة ، وهى التى تسمى دومة الجندل « تجر » بفتح التاء وسكون الجيم — اسم جمع واحده تاجر ، ونظيره صاحب وصحب ، وراكب وركب ، وشارب وشرب ، وقالوا سفر والواحد المستعمل مسافر ، ويقال : هذه كلها جموع ، والتاجر : الذى يبيع السلع ويشتريها «حجيج» جمع حاج، أواسم جمعله «قلى» كره وأبغض ، ويقال : قلى فلان الشىء يقليه، وقلاه يقلوه «اهتاج» ثار، وتقول : هاج واهتاج، وهاجه واهتاجه ، باللزوم أو التعدى فى الصيغتين « الشوق » هو نزاع النفس صاحبها نحو ما تميل إليه وترغب فيه « إخوان العزاء » العزاء : هو أجمل الصبر ، وإخوانه : أصحابه المتصفون به « هيوج » صيغة مبالغة فعلها هاجه إلى الشىء بمعنى أثاره إليه وأزعجه نحوه وبعثه على فعله .

المعنى : وصف امرأة اسمها سعدى بالحسن واختلاب ألباب الرجال ، فيقول : لو أن سعدى ظهرت لراهب قد انقطع للعبادة وأخلص نفسه لدينه ولم يبق له أرب فى لذائذ هذه الحياة وشهواتها ، ومن حوله قريباً منه التجار والحجاج ، لأبغض ما هو فيه من العبادة وما جرت عليه عادته من تبتل ، وثارت نفسه إليها غير مكترث بمن حوله ، ثم علل ذلك بأن سعدى من جمال الطلعة وحسن المنظر بحيث تثير لواعج أشد الناس صبراً .

الإعراب : « عشية » ظرف زمان منصوب بعامل واقع فى الكلام السابق على البيتين المستشهد بهما « سعدى » مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « لو » شرطية تدل على امتناع الشىء لامتناع غيره « تراءت » فعل ماض ، والتاء دالة على تأنيث فاعله ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى سعدى ، والجملة شرط لو لامحل لها

... ...

« لراهب » جار ومجرور متعلق بتراءت « بدومة » جار ومجرور متعلق بتراءت أو بمحذوف صفة لراهب « تجر » مبتدأ « دونه » دون : ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، وضمير الغائب العائد إلى راهب مضاف إليه « وحجيج » الواو حرف عطف ، حجيج : معطوف على تجر ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل جر صفة لراهب « قلى » فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى راهب « دينه » دين : مفعول به لقلى ، وضمير الغائب العائد إلى راهب مضاف إليه ، والجملة لا محل لها جواب لو ، وجملة الشرط والجواب فى محل رفع خبر المبتدأ الذى هو سعدى ، وجملة المبتدأ والخبر فى محل جر بإضافة عشية إليها « واهتاج » الواو حرف عطف ، اهتاج : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى راهب ، والجملة معطوفة بالواو على جملة جواب لو «للشوق» جار ومجرور متعلق باهتاج «إنها» إن : حرف توكيد ونصب ، وضمير الغائبة العائد إلى سعدى اسم إن « على الشوق» جار ومجرور متعلق بهيوج الآتى « إخوان » مفعول به لهيوج الآتى تقدم عليه ، وهو مضاف و « العزاء » مضاف إليه « هيوج » خبر إن مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة إن واسمها وخبرها لا محل لها من الإعراب تعليلية .

الشاهد فيه : قوله « على الشوق إخوان العزاء هيوج » وفى هذه العبارة دلالة على ثلاثة أمور من قواعد هذا الباب : الأول: أنه يجوز إعمال صيغة المبالغة التى على زنة فعول عمل الفعل كاسم الفاعل ، وقد اتفق على تجويز ذلك سيبويه وجمهور البصريين ، وخالف جمهرة الكوفيين فى ذلك على ما بيناه فى شرح الشاهد (رقم ٦٩٨) السابق . والثانى : أنه يجوز أن يتقدم معمول صيغة المبالغة عليها إذا كان جارا ومجرورا أو ظرفا . الثالث : أنه يجوز أن يتقدم معمول صيغة المبالغة عليها ولو كان مفعولا صريحا ، وكلام سيبويه (١ / ٥٦) والرضى (٢ / ١٨٨) صريح فى تجويز ذلك ، وخالف فى هذه المسألة الكوفيون والفراء . وبيان ذلك أن قوله « هيوج » صيغة مبالغة ، وقوله « على الشوق » معمول لها وهو جار ومجرور ، وقوله « إخوان العزاء » معمول آخر لها وهو مفعول صريح ، وقد تقدم المعمولان على صيغة المبالغة كما تبين من إعراب البيت ، فدل على جميع ما ذكرناه . ومثل هذا البيت فى إعمال صيغة فعول فى المفعول الصريح قول ذى الرمة غيلان بن عقبة ، وهو من شواهد سيبويه :

هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسَهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... مَتَى يُرْمَ فى عَيْنَيْهِ بِالشَّبْحِ يَنْهَضِ

قال الأعلم «الشاهد فى نصب النفس بهجوم ؛ لأنه تكثير هاجم وهاجم يعمل عمل يهجم ، فجرى تكثيره مجراه» اهـ . ومثل بيت الشاهد ــ فى تقديم معمول صيغة فعول عليها وهو مفعول صريح ــ قول الآخر :

بَكَيْتُ أَخَا لَأْوَاءَ يُحْمَدُ يَوْمُهُ ... كَرِيمٌ رُءُوسَ الدَّارِعِينَ ضَرُوبُ

... ...

الشاهد فى قوله «رءوس الدارعين ضروب» حيث نصب الرءوس بضروب مع تقدم المفعول ، وفى هذا البيت دليل على أن صيغة المبالغة تعمل النصب ولو كانت ماضية غير مقرونة بأل ، فإن قائل هذا البيت يرثى به ميتاً .

واعلم ههنا أن أكثر صيغ المبالغة عملا هى صيغة فعال ، وقد ورد إعمالها نثرا ونظما ؛ فأما النثر فمنه قولهم : « أما العسل فأنا شراب » ومن الشعر البيت الذى تقدم (رقم ٦٩٨) وقول رؤبة بن العجاج وهو من شواهد سيبويه (١ / ٥٨) :

* بِرَأْسِ دَمَّاغٍ رُءُوسَ الْعِزِّ *

وقول شاعر الحماسة :

فَيَا لَرِزَامٍ رَشِّحُوا بِىَ مُقَدَّمًا عَلَى الْحَرْبِ خَوَّاضاً إِلَيْهَا الْكَتَائِبَا

الاستشهاد منه بقوله « خواضا إليها الكتائبا » فإن خواضاً تكثير خائض الذى هو اسم فاعل فعله خاض ، وقد نصب به الكتائب . ويلى هذه الصيغة فى الكثرة صيغة فعول ، ومن شواهدها بيت أبى طالب المتقدم ذكره (رقم ٦٩٩) والبيت الذى نحن بصدد الكلام عليه ، والشواهد التى ذكرناها قريبا . ويلى ذلك صيغة مفعال ، وقد ورد عملها فى النثر والنظم ؛ فمن النثر قولهم « إنه لمنحار بوائكها » ومن الشعر قول الكميت وهو من شواهد سيبويه (١/٥٩) :

شُمٌّ مَهَاوِينُ أَبْدَانَ الْجَزُورِ مَخَا مِيصُ الْعَشِيَّاتِ لاَ خُورٌ وَلاَ قُزُمُ

الشاهد فى قوله « مهاوين أبدان الجزور » حيث نصب أبدان الجزور بمهاوين ، لأنه جمع مهوان تكثير مهين الذى هو اسم فاعل من مصدر أهان ، فعمل الجمع عمل واحده . ويلى هذه الصيغة صيغة فعيل ، وقد ورد إعمالها فى النثر وفى الشعر جميعا ، أما النثر فمنه قولهم « إن الله سميع دعاء من دعاه » ومن الشعر البيت الآتى عقب هذا وما نذكره معه من الشواهد ، ثم صيغة فعل ولم يرد إعمالها إلا فى الشعر كالشواهد (٧٠٢ — ٧٠٤) ولهذا أنكر أبو عمر الجرمى إعمالها .

واعلم أيضا أن ابن طلحة قد ذهب إلى أن هذه الصيغ تتفاوت فى المبالغة : ففعول لمن كثر منه الفعل ، وفعال لمن صار الفعل له كالصناعة ، ومفعال لمن صار الفعل له كالآلة ، وفعيل لمن صار الفعل له كالطبيعة والسجية ، وفعل لمن صار الفعل له عادة . وقد قال أبو حيان فى صدد ما ذكرناه عن ابن طلحة : « ولم يتعرض لذلك المتقدمون » اهـ .

(وَفِى فَعِيلٍ قَلَّ ذَا وَفَعِلِ)

كقوله :

٧٠١ — فَتَاتَانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَشَبِيهَةٌ هِلاَلاً وَأُخْرَى مِنْهُمَا تُشْبِهُ الْبَدْرَا

---

٧٠١ — هذا بيت من الطويل ، ويذكر شارحو الشواهد أن قائله عبد الله بن قيس الرقيات ، ويروون بعده بيتا آخر وهو قوله :

فَتَاتَانِ بِالنَّجْمِ السَّعِيدِ وُجِدْتُمَا وَلَمْ تَلْقَيَا يَوْمًا هَوَاناً وَلاَ نَزْرَا

وقد وجدت هذين البيتين فى شعر عبد الله بن قيس الرقيات ولكن بروى آخر ، ونحن نذكرهما لك مع بيت قبلهما وبيت بعدهما لتتبين لك حالهما :

لَقَدْ فَتَنَتْ رَيَّا وَسَلاَّمَةُ الْقَسَّا فَلَمْ تَتْرُكَا لِلْقَسِّ عَقْلاً وَلاَ نَفْسَا
فتَاتَانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَشَبِيهَةٌ هِلاَلاً وَأُخْرَى مِنْهُمَا تُشْبِهُ الشَّمْسَا
فَتَاتَانِ فِى سَعْدِ السُّعُودِ وُلِدْتُمَا وَلَمْ تَلْقَيَا يَوْمًا هَوَاناً وَلاَ نَحْسَا
تُكِنَّانِ أَبْشَاراً رِقَاقاً وَأَوْجُهاً عِتَاقاً وَأَطْرَافاً مُخَضَّبَةً مُلْسَا

اللغة : « فتاتان » تثنيه فتاة ، وهى الجارية الحدثة السن ، والغلام فتى — كوزن رحى — وتصغر الفتاة على فتية ، ويصغر الفتى على فتى ، وتجمع الفتاة على فتيات ، ويجمع الفتى على فتيان — ومنهم من يقول فتوان — وأصل ذلك كله من فتاء السن ، وهو الشباب ، يقال : قد فتى يفتى — مثل رضى يرضى — فتى فهو فتى السن بين الفتاء — بالفتح والمد — وقال الربيع بن ضبع الفزارى

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ وَالْفَتَاء

« هلالا » الهلال : اسم للقمر فى ليلتين من أول الشهر أو ثلاث ليال ، سموه بذلك لأن الناس يهلون عند رؤيته ، أى يرفعون أصواتهم بالدعاء « البدر » هو القمر ليلة تمه وكماله .

الإعراب : « فتاتان » هو خبر مبتدإ محذوف ، وتقدير الكلام : هما فتاتان « أما » حرف شرط وتفصيل « منهما » جار ومجرور متعلق بمحذوف يقع صفة لموصوف محذوف ، وهذا الموصوف المحذوف مبتدأ ، والتقدير : أما واحدة كائنة منهما « فشبيهة » الفاء زائدة وجوبا فى خبر المبتدأ ، شبيهة : خبر ذلك المبتدإ المحذوف ، وفيه ضمير مستتر تقديره هو ، وهو فاعله « هلالا » مفعول به لشبيهة «وأخرى» الواو حرف عطف ، أخرى : مبتدأ ، وأصله صفة لموصوف محذوف يقع مبتدأ — وتقدير الكلام : وواحدة أخرى — فلما حذف الموصوف أقام الصفة مقامه كما فى قوله تعالى : (أن اعمل سابغات) أى دروعا سابغات « منهما » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة

... ...

لأخرى أو لموصوفه المحذوف « تشبه » فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيـه جوازا تقديره هى يعود إلى الأخرى منهما « البدرا » أو « الشمسا » مفعول به لتشبه منصوب بالفتحة الظاهرة ، والألف للاطلاق ، وجملة الفعل المضارع وفاعله ومفعوله فى محل رفع خبر المبتدأ ، وجملة المبتدأ وخبره معطوفة بالواو على جمـلة المبتدأ المحذوف وخبره ، والجملتان المتعاطفتان فى محل رفع صفة لقوله فتاتان أول البيت .

الشاهد فيه : قوله « فشبيهة هلالا » حيث أعمل صيغة المبالغة التى على زنة فعيل ــ وهى قوله «شبيهة» ــ عمل اسم الفاعل الذى هو أصلها ، فرفع بها فاعلا هو الضمير المستتر ، ونصب بها مفعولا وهو قوله « هلالا » وذلك لاستيفاء شرط الإعمال الذى هو الاعتماد ؛ فقد عرفت أن «شبيهة» خبر لمبتدأ محذوف .

وهذا البيت يرد به على طائفتين من العلماء : الطائفة الأولى عامة علماء الـكوفة الذين أنكروا إعمال جميع صيغ المبالغة ، والطائفة الثانية الـكثيرون من علماء البصرة الذين أجازوا إعمال فعال وفعول ومفعال وأنكروا إعمال فعيل وفعل لقلتهما .

ومثل هذا البيت فى الاستدلال قول ساعدة بن جؤية الهذلى :

حَتَّى شَآهَا كَلِيلٌ مَوْهِناً عَمِلٌ ... بَاتَتْ طِرَاباً وَبَاتَ اللَّيْلَ لَمْ يَنَمِ

استشهد سيبويه بهذا البيت على جواز إعمال فعيل ، ووجهه أن الشاعر نصب « موهنا » بكليل لأن كليلا مبالغة لمـكل الذى هو اسم الفاعل من أكل بمعنى أعيا وأتعب . والموهن : القطعة من الليل ، ويقال : هو نصف الليل وما قاربه . وقد اعتبر سيبويه « موهنا » مفعولا به ناصبه كليل ، قال الأعلم : « وقد رد هـذا التأويل على سيبويه ، وجعل الراد نصب موهن على الظرف ، والمعنى عنـده أن البرق ضعيف الهبوب كليل فى نفسه ، وهـذا الرد غير صحيح ؛ إذ لو كان كليلا لم يقل عمل ــ وهو الـكثير العمل ــ ولا وصفه بقوله : وبات الليل لم ينم ، والمعنى على مذهب سيبويه أنه وصف حماراً وأتنا نظرت إلى برق مستطير دال على الغيث يكل الموهن بروقه وتوالى لمعانه ، كما يقال : أتعبت ليلك ، أى سرت فيه سيراً حثيثاً متعبا متواليا . . . وفعيل فى معنى مفعل موجود كثيراً ، يقال بصير فى معنى مبصر ، وعذاب أليم بمعنى مؤلم ، وداع سميع بمعنى مسمع كما قال عمرو بن معد يكرب :

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ ، [يُؤَرِّقُنِى وَأَصْحَابِى هُجُوعُ]

أى المسمع ، وكذلك كليل بمعنى مكل ، وإذا كان بمعناه عمل عمله ؛ لأنه مغير منه للتكثير » اهـ كلامه . وقال ابن هشام فى الباب الثالث من مغنى اللبيب : « وقد رد على سيبويه فى استدلاله على إعمال فعيل بقوله :

* حَتَّى شَآهَا كَلِيلٌ مَوْهِناً عَمِلٌ *

وكقوله :

٧٠٢ — * أَتَانِي أَنَّهُمْ مَزِقُونَ عِرْضِي *

ووجه الرد أن موهنا ظرف زمان ، والظرف يعمل فيه روائح الفعل ، بخلاف المفعول به فانه لا يكتفى برائحة الفعل ، ألا ترى أن الظرف يعمل فيه الفعل المتعدى واللازم والوصف المتعدى واللازم ، والحرف والاسم الجامد إذا أشمارح الفعل ، والمفعول به لا ينصبه إلا الفعل أو الوصف المتعديان ؟ فلما لم يكن قوله موهنا مفعولا به لا يتم الاستدلال على إعمال كليل ، ويوضح كون الموهن ليس مفعولا به أن كليلا من كل ، وهـذا الفعل لا يتعدى إلى المفعول به ، واعتذر عن سيبويه بأنا لا نسلم أن كليلا من كل ، وإنما هو من أكل بمعنى أتعب ، فيكون متعديا ، وكأن البرق يكل الوقت بدوامه فيه ، كما يقال : أتعبت يومك . وثمة جواب آخر ، وحاصله أن سيبويه قد استشهد بهذا البيت على أن فاعلا يحول إلى فعيل للمبالغة ، ولم يستدل به على الإعمال ، وهذا أقرب ؛ فإن فى الجواب الأول حمل الكلام على المجاز مع إمكان حمله على الحقيقة » اه كلامه بتصرف كثير للايضاح، وقال العليمى بعد أن نقل ملخص كلام ابن هشام : « ولا يخفى مافى قوله فان فى الأول إلخ لأن البلغاء أطبقوا على أن المجاز خير من الحقيقة » اه بحروفه .

٧٠٢ — هذا صدر بيت من الوافر ، وعجزه قوله :

* جِحَاشُ الْكِرْمِلَيْنِ لَهَا فَدِيدُ *

وهذا البيت من كلام زيد الخيل النبهانى الطائى ، وهو الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، يروى أنه وفد على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فلما بصر به النبى رفع صوته بالشهادتين ، ثم قال له : كل رجل وصف لى وجدته دون الصفة إلا أنت فانك فوق ما وصفت . ويروون قبل البيت المستشهد بصدره :

أَلَمْ أُخْبِرْكُمَا خَبَرًا أَتَانِي أَبُو الْكَسَّاحِ جَدَّ بِهِ الْوَعِيدُ

اللغة : « أتانى » أراد بلغنى « مزقون » بفتح الميم وكسر الزاى — جمع مزق ، وهو صيغة المبالغة لمازق الذى هو اسم الفاعل من المزق — بفتح الميم وسكون الزاى — وأصل المزق شق الثوب ونحوه ، تقول: مزقه يمزقه مزقا — مثل ضربه يضربه ضربا — فانمزق ومزقه تمزيقا فتمزق ، إذا شقه وخرقه . ثم استعملوه فى مزق العرض على المجاز «عرضى» العرض — بكسر العين وسكون الراء — كل ما يجب على الرجل أن يصونه ويحامى عنه من نسب وحسب ، وهو محل الذم والمدح من الإنسان « جحاش » بكسر الجيم بعدها حاء مهملة وآخره شين معجمة — جمع جحش ، وهو الصغير من الحمير « الكرملين » مثنى كرمل — بكسر الكاف والميم جميعا بينهما راء مهملة

... ...

ساكنة ، وزنته زبرج ــ اسم ماء فى جبلى طىء ، قال المجد : « كرمل كزبرج ماء بجبلى طىء ، وحصن بساحل بحر الشام ، وبلدة بفلسطين » اهـ ، والأول هو المقصود هنا فان زيداً طائى كما قلنا ، وثناه لأنه على جانبيه فسمى كل جانب كرملا « فديد » الفديد : الصوت الشديد ، وهو أحد مصدرى فد يفد فدا ــ كضرب يضرب ضربا ــ وفديداً ، قال الراجز :

أُنْبِئْتُ أَخْوَالِى بَنِى يَزِيدُ ظُلْمًا عَلَيْنَا لَهُمْ فَدِيدُ

المعنى : يقول عن قوم توعدوه بالشر : بلغنى أنهم يثلبوننى وينالون منى ، ويقطعون عرضى شتما وسبابا ، ثم أخبر عنهم أنهم عنده بمنزلة حمير موضع بعينه سماه الكرملين وأن حديثهم عنه يشبه ما تحدثه هذه الحمر من الصياح والجلبة عند ورود الماء .

الإعراب : « أتانى » أتى : فعل ماض ، والنون للوقاية ، وياء التكلم مفعول به « أنهم » أن : حرف توكيد ونصب ، وضمير جماعة الغائبين اسمه « مزقون » خبر أن مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم « عرضى » مفعول به لقوله مزقون ، وياء التكلم مضاف إليه ، وأن المؤكدة المفتوحة الهمزة مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل أتى « جحاش » خبر لمبتدإ محذوف ، والتقدير : هم جحاش ، وهو مضاف و« الكرملين » مضاف إليه «لها » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « فديد » مبتدأ مؤخر ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب حال من جحاش الكرملين .

الشاهد فيه : قوله « مزقون عرضى » حيث نصب المفعول به ــ وهو قوله « عرضى » ــ بقوله « مزقون » الذى هو جمع مزق وهو صيغة مبالغة ، وهذا يدل على ثلاثة أشياء : الأول أن صيغة المبالغة تنصب المفعول به الصريح كما ينصبه الفعل المتعدى واسم الفاعل منه خلافا لجمهرة الكوفيين ، والثانى أن فعلا ــ بفتح فكسر ــ من أمثلة المبالغة التى تعمل هذا العمل خلافا لجماعة من البصريين ولأبى عمر الجرمى ، والثالث أن تثنية هذه الصيغ وجمعها يعملان عمل المفرد منها كما أن تثنية اسم الفاعل وجمعه بمنزلة مفرده ، وهذا صريح كلام سيبويه ، قال : « وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا فى الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل ؛ لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل ، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة ؛ فمما هو الأصل الذى عليه أكثر هذا المعنى فعول ومفعال وفعال وفعل ، وقد جاء فعيل كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير ، يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التقديم والتأخير والإظهار والإضمار » اهـ كلامه ، وسنحدثك نقلا عن الأعلم عمن خالف سيبويه فى إعمال فعل وعن حجتهم فى ذلك وحجة سيبويه عليهم ، وذلك كله فى شرح الشاهدين (٧٠٣ و ٧٠٤) الآتيين إن شاء الله .

وقوله : ....

٧٠٣ — حَذِرٌ أُمُوراً لاَ تَضِيرُ وَآمِنٌ مَالَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ

٧٠٣ — هذا بيت من الكامل ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ٥٨) ولم ينسب فى صلب الكتاب ، ولا نسبه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده ، وأنشده عن سيبويه ابن منظور فى اللسان (ح ذ ر) . وقد حكى عن أبى عثمان المازنى أنه قال : « زعم أبو يحيى أبان بن عبد الحميد اللاحقى أن سيبويه سأله : هل تعدى العرب فعلا ؟ قال : فوضعت له هذا البيت ونسبته إلى العرب فاستشهد به وأثبته فى كتابه » اﻫ . وأبان اللاحقى هو أبو يحيى أبان بن عبد الحميد بن لاحق مولى بنى رقاش ، وهو شاعر البرامكة وزراء أمير المؤمنين هرون الرشيد العباسى ، ولهم صنف كتاب كليلة ودمنة فجعله شعراً ليسهل عليهم حفظه ، وله ترجمة فى الأغانى وفى أوراق الصولى ، ، وسنتحدث عن دينه وخلقه حين التعرض لبيان الاستشهاد بهذا البيت .

اللغة : « حذر » بفتح الحاء المهملة وكسر الذال المعجمة ـ صيغة مبالغة لحاذر الذى هو اسم الفاعل من الحذر ، تقول : حذرت الأمر أحذره ـ مثل علمته أعلمه ـ حذرا ـ بفتح الحاء والذال ـ واحتذرته ، فأنا حاذر وحذر وحاذورة ، إذا كنت متيقظا شديد الفزع متحرزاً متأهباً معداً للخلاص منه « لا تضير » لا تضر ولا يخشى منها «منجيه» المنجى : اسم فاعل فعله أنجى ، وتقول : أنجيت فلانا مما كاد يقع فيه ، إذا خلصته منـه « الأقدار » جمع قدر ـ بفتح القاف والدال جميعاً ـ وهو قضاء الله تعالى .

المعنى : يصف ابن آدم بأنه يجهل ما يجب عليه ، وأنه يسير فى هذه الحياة على غير ما توجبه الحكمة ؛ فهو يحذر الأمور الهينة التى لا يأتيه منها ضرر ، ويتحرز من الوقوع فيها ، ولكنه يستنيم إلى ما إن وقع به لم يستطع الفكاك عنه ولا الخلاص منه .

الإعراب : « حذر » خبر لمبتدإ محذوف ، والتقدير : هو حذر ، وفيه ضمير مستتر تقديره هو ، وهو فاعله « أمورا » مفعوله به لحذر منصوب بالفتحة الظاهرة « لا » حرف نفى مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « تضير » فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى أمور ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل نصب صفة لأمور « وآمن » الواو حرف عطف ، آمن : معطوف على حذر ، وفيه ضمير مستتر هو فاعله « ما » اسم موصول مفعول به لآمن « ليس » فعل ماض ناقص ، واسمه ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى ما الموصولة « منجيه » خبر ليس منصوب بالفتحة الظاهرة ، وضمير الغائب مضاف إليه ، من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله «من الأقدار» جار ومجرور متعلق بمنج ، والجملة من ليس واسمه وخبره لا محل لها من الإعراب صلة الموصول ، ويجوز أن تكون « ما » نكرة بمعنى شىء وتكون جملة ليس واسمها وخبرها فى محل نصب صفة .

... ...

الشاهد فيه : قوله « حذر أمورا » حيث أعمل صيغة المبالغة التى على زنة فعل — بفتح الفاء وكسر العين — عمل اسم الفاعل المتعدى ؛ فرفع بها فاعلا وهو الضمير المستتر ، ونصب بها مفعولا وهو قوله « أمورا » .

والقول بجواز إعمال هذه الصيغة هو قول سيبويه ومن وافقه ، وهو الذى احتج له وأثبته بالشواهد من كلام العرب ، وخالفه فى ذلك جماعة من البصريين . ومن مخالفيه فى تجويز إعمال هذه الصيغة أبو عمر الجرمى ؛ فأما حجة سيبويه على تجويز إعمال هذه الصيغة فهى حجته على تجويز إعمال غيرها من صيغ المبالغة ، وتلخيصها أنه قد ورد فى كلام العرب مقدار صالح للاحتجاج به من الشواهد على إعمال كل واحدة من هذه الصيغ فكانت هذه الشواهد باعثا على القول بموجبها لأن التأويل خلاف الأصل ، وأيضاً فإن هذه الصيغ كلها تدل على ما يدل عليه اسم الفاعل من المعنى إلا أن فيها — مع ذلك — الدلالة على المبالغة ، فلما أشبهت اسم الفاعل فى الدلالة على المعنى عملت عمله . وأما حجة المخالفين : فأما من خالفه فى الصيغ كلها فيحتج بأنها تخالف اسم الفاعل فى الصيغة والوزن فلما خالفته فى ذلك امتنع عملها ، وأما من يخالفه فى فعل وفعيل وحدهما — وهؤلاء المخالفون من البصريين — فيزعمون عدم ثبوت الشواهد ، وأن الأصل فى بناء فعيل وفعل أنهما لما لا يتعدى نحو فرح وأشر وبطر ونحو كريم وبخيـــل وشريف ، فلا ينبغى إعمال ما يأتى عليهما .

قال الأعلم فى بيت الشاهد : «الشاهد فى نصب أمورا بحذر ، لأنه تكثير حاذر وحاذر يعمل عمل فعله المضارع ، فجرى حذر عند سيبويه مجراه فى العمل ؛ لأنه عنده مغير من بنائه للتكثير كما كان ضروب وضراب وغيرهما من الأمثلة . وقد خولف سيبويه فى تعدى فعل وفعيل لأنهما بناءان لما لا يتعدى كبطر وأشر وكريم ولئيم ، وسيبويه رحمه الله لا يراعى موافقته بناء ما لا يتعدى إذا كان منقولا من فاعل المتعدى للتكثير ، وهو القياس ، مع إثباته بالشاهد ، وإن كان قد رد عليه استشهاده بالبيت ، وجعل مصنوعا ، ونسب إلى أبى الحسن الأخفش ، وزعم الراد عنه أنه قال : سألنى سيبويه عن تعدى فعل ، فوضعت له حذر أموراً ، وإن كان هذا صحيحاً فلا يضر ذلك سيبويه لأن القياس يعضده » اهـ .

قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : وقد دعا الخلاف فى هذه المسألة بعض مخالفى سيبويه إلى أن يطعن فيـــه وفى كتابه بمـا زعموه مطعنا من قصة أبان اللاحقى التى أسمعتك روايتها فى صدر الـكلام على هذا الشاهد ، والرد على هذا الـكلام من عدة وجوه :

الوجه الأول : أن سيبويه رحمه الله قد صرح فى كتابه بأن إعمال فعل أقل من القليل ؛

أنشده سيبويه ، والقَدْحُ فيه من وضع الحاسدين . ومما اسْتَدَلَّ به سيبويه أيضا على إعمال فَعِلٍ قولُ لبيد :

٧٠٤ — أوْ مِسْحَلٌ شَنِجٌ عِضَادَةَ سَمْحَجٍ بِسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومُ

فقال (١ / ٥٧) : « وقد جاء فى فعل وليس ككثرة ذلك» وقال بعد ذلك بسطر واحد « وفعل أقل من فعيل بكثير » فاذا كان إعمال فعل قليلا وأقل من القليل بكثير فما يضره ألا يحفظ له شاهداً وأن يسأل عنه بعض أهل العلم ، فاذا استدل له المسئول صدقه ؟

الوجه الثانى : أن سيبويه لم يستدل ببيت أبان اللاحق وحده ، وإنما استدل قبله ببيت لبيد (وهو الشاهد رقم ٧٠٤ الآتى) فليس يضره أن يضع فى جوار بيت قد حفظه ورواه عمن تصح روايته وتقع الثقة به بيتا آخر يرويه عمن لا ثقة فيه ، بل لا يضره أن يضع فى كتابه هذا البيت المصنوع وهو يعلم أنه مصنوع ما دام قد أثبت المسألة من قبل ذلك ببيت أو أبيات صحيحة النسبة إلى أهلها . وقد أثبت أصحابه هذه المسألة بأبيات أخرى غير بيت لبيد الذى ثبت عند سيبويه ، ومن هذه الشواهد بيت زيد الخيل السابق قبل هذا .

الوجه الثالث : أن هذه القصة على مارواها الشنعون على سيبويه تدل على أن أبان اللاحق كاذب قطعا بشهادة العقل ، فإما أن يكون كذبه فى نسبة البيت إلى العرب وإلقائه إلى سيبويه على أنه من كلام المحتج بشعرهم ، وإما أن يكون فيا زعمه بعد ذلك من أنه اخترع هذا البيت وألقاه إلى سيبويه ، ولا معدى لإنسان عن الجزم بكذبه فى إحدى هاتين ، ورجل يثبت عليه الكذب على وجه الجزم لا يجوز أن يجعل كلامه سبباً للطعن فى إمام جليل كسيبويه .

الوجه الرابع : أن المعروف من دين أبان ومن خلقه وقدحه فى العلماء لا يبيح لعالم يتوخى وجه الحقيقة أن يأخذ بكلامه ، فقد روى أبو الفرج الإصبهانى فى أغانيه قال : جلس أبان ليلة فى قوم ، فثلب أبا عبيدة فقال : يقدح فى الأنساب ولا نسب له ! فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال فى مجلسه : لقد أغفل السلطان كل شىء حين أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحق وهو وأهله يهود ، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة ، وليس فيها مصحف ، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلى به ، فبلغ ذلك القول أبان ، فقال :

لاَ تَنِمَّنَّ عَنْ صَدِيقٍ حَدِيثاً وَاسْتَعِذْ مِنْ تَشَرُّرِ النَّمَّامِ
وَاخْفِضِ الصَّوْتَ إنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ وَالْتَفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلاَمِ

٧٠٤ — هذا بيت من الكامل ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ٥٧) وهو من كلمة للبيد ابن ربيعة العامرى وقد ذكرنا أبياتا من بينها بيت الشاهد ، فى باب إعمال المصدر مع الشاهد (رقم ٦٩٠) فارجع إليها هناك .

... ...

اللغة : « مسحل » بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء ، وبزنة منبر ــ هو الحمار الوحشي « شنج » بفتح الشين وكسر النون ــ أصل معناه المنقبض ، وهو الموجود فى كتب اللغة ، ولكن العلماء فسروه بالملازم ، انظر إلى قول الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهد سيبويه : « الشاهد فى نصب عضادة بشنج ؛ لأنه تكثير شانج ، وشانج فى معنى ملازم ، وفعله شنجته كلزمته على ما حكاه البصريون ، وذلك غير مشهور فى اللغة» اهـ كلامه «عضادة» بكسر أوله بوزن رسالة ــ هى الجنب والناحية «سمحج» بفتح السين والحاء المهملتين بزنة جعفر ــ هى أتان الوحش الطويلة الممتدة على وجه الأرض « بسراته » السراة ــ بفتح السين بزنة سحاب ــ أعلى الظهر « ندب » ظاهر صنيع القاموس أنه بفتح النون وسكون الدال ، وكذلك ضبطه العلامة الصبان ، ولكن صاحب اللسان قد ضبطه بفتح النون والدال جميعاً ، والندب : اسم جنس جمعى واحده ندبة ، ونظيره شجرة وشجر وبقرة وبقر ، وقال الفرزدق :

وَمُكَبَّلٍ تَرَكَ الْحَدِيدُ بِسَاقِهِ ... نَدَبًا مِنَ الرَّسَفَانِ فِى الْأَحْجَالِ

واستعاره بعض الشعراء للعرض فقال :

نُبِّئْتُ قَافِيَةً قِيلَتْ تَنَاشَدَهَا ... قَوْمٌ سَأَتْرُكُ فِي أَعْرَاضِهِمْ نَدَبَا

وكتب مصحح نسخة اللسان على هامش النسخة ما نصه : « قوله الندبة أثر الجرح ، كذا ضبطت الندبة بهذا المعنى محركة ، بالأصل والتهذيب والصحاح ، وصرح به فى النهاية ، وصوبه شارح القاموس كشيخه ونقل عن الأوقيانوس ندبة وندب كشجرة وشجر ؛ فلا عبرة باطلاق المجد اهـ مصححه » اهـ « كلوم » جمع كلم ــ بفتح الكاف وسكون اللام ــ وهو الجرح .

المعنى : وصف حمار الوحش الذى شبه به ناقته بالنشاط والهياج والحمل على أتانه وملازمته جانبيها فهى ترمحه فتحدث به جراحا .

الإعراب : « أو » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « مسحل » معطوف على « مسدم محجوم » الواقع خبرا لكأن فى البيت السابق على هذا البيت (انظر شرح الشاهد ٦٩٠ فى ص ٤٠ من هذا الجزء) « شنج » نعت لمسحل ونعت المرفوع مرفوع ، وفى شنج ضمير مستتر تقديره هو يعود على المسحل وهو فاعل بشنج « عضادة » مفعول به لشنج منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « سمحج » مضاف إليه مجرور بالكسرة « بسراته » الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وسراة مضاف وضمير الغائب العائد إلى مسحل مضاف إليه « ندب » مبتدأ مؤخر « لها » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لندب « وكلوم » الواو

﴿ تنبيه ﴾ : أفْهَمَ قولُه « عن فاعل بديل » أن هذه الأمثلة لا تُبْنَى من غير الثلاثى ، وهو كذلك إلا ماندَرَ ، وقال فى التسهيل : ورُبّما بنى فَعَّال ومِفْعَالٌ وفَعِيلٌ وفَعُولٌ من أفْعَلَ، يشير إلى قولهم دَرَّاك وسَآر من أدرك وأسأر إذا أبقى فى الكأس بقية ، ومِعْطاء ومِهْوَان من أعطى وأهان ، وَسَمِيع ونَذِير من أسْمَعَ وأنْذَر ، وزَهُوق من أزهق اهـ .

* * *

(وَمَا سِوَى الْمُفْرَدِ) وهو المثنى والمجموع (مِثْلَهُ جُعِلْ) أى جُعل مثلَ المفرد (فِي الْحُكْمِ وَالشُّرُوطِ حَيْثُمَا عَمِلْ) فمن إعمال المثنى قولُه :

الشَّاتِمَىْ عِرْضِى وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا وَالنَّاذِرَيْنِ إِذَا لَمَ الْقَهُمَا دَمِى(1)

حرف عطف ، كلوم : معطوف على ندب الواقع مبتدأ ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل رفع صفة ثانية لمسحل .

الشاهد فيه : قوله « شنج عضادة سمحج » حيث أعمل شنجا الذى هو صيغة مبالغة على زنة فعل ــ بفتح الفاء وكسر العين ــ عمل اسم الفاعل المتعدى فرفع به فاعلا هو الضمير المستتر فيه ، ونصب به مفعولا هو قوله « عضادة سمحج » على ما تبين من إعراب البيت .

وهذا بيت معروف النسبة إلى قائله ، وهو من شواهد سيبويه فى كتابه وأنشده قبل إنشاده البيت الذى نسب لأبان اللاحقى الذى تقدم شرحه ، وفى ذلك رد صارخ على من حاولوا الانتقاص من سيبويه بافتعال قصة اللاحقى كما أن فيه رداً على من خالفه فى تجويز إعمال هذه الصيغة العمل المذكور . قال الأعلم الشنتمرى : « وقد خولف سيبويه فى هذا ، وجعل المخالف نصب عضادة على الظرف ، والتقدير : شنج فى عضادة سمحج ، وعضادتها ناحيتها ، فكأنه قال : منقبض فى ناحية من الأتان ، وشنج فى معنى منقبض على هذا التأويل ، وهو غير متعد . والصحيح قول سيبويه وعليه معنى الشعر ؛ لأنه وصف المسحل ــ وهو عير الفلاة ــ بالنشاط والهياج والحمل على أتانه فهى ترمحه وتكامه ، وشبه ناقته به فى هذه الحال ، ولو كان المعنى على التفسير الآخر لقصر فى وصف ناقته وتشبيهها به » اهـ .

(1) هذا بيت من الكامل ، وهو من معلقة عنترة بن شداد العبسى التى سبق التعرض لها وشرح أبيات منها فى عدة مواطن من هذا الكتاب (انظر شرح الشواهد ٣٤١ و ٤٩٤ و ٥٠٤ و ٥٤٧ و ٦٠٢ و ٦٠٥) وهذا البيت المستشهد به هنا ، صدره هو الشاهد رقم (٦٠٢) الذى سبق فى باب الإضافة ، وشرحناه هناك بما لا تحتاج معه إلى إعادة شىء منه ، ومحل الاستشهاد هنا فى قوله « الناذرين دمى » فان دمى مفعول به للناذرين وهو تثنية ناذر الذى هو اسم فاعل فعله نذر ، وذلك يدل على أن تثنية اسم الفاعل تعمل عمل المفرد .

ومن إعمال المجموع قولُه :

٧٠٥ — ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غُفُرٌ ذَنْبَهُمُ غَيْرُ فُخُرْ

---

٧٠٥ — هذا بيت من الرمل ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ٥٨) وهو من قصيدة لطرفة بن العبد البكرى ثابتة فى ديوانه (ص ٦٣ قازان) وفى مختارات أبى السعادات ابن الشجرى (ص ٣٣ مصر) وأولها قوله :

أَصَحَوْتَ الْيَوْمَ أَمْ شَاقَتْكَ هِرْ وَمِنَ الْحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِرْ

وقبل البيت المستشهد به ههنا قوله :

وَلِيَ الْأَصْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرْ
طَيِّبُو الْبَاءَةِ سهلٌ وَلَهُمْ سُبُلٌ إِنْ شِئْتَ فِي وَحْشٍ وَعِرْ
وَهُمُ مَا هُمْ إِذَا مَا لَبِسُوا نَسْجَ دَاوُدَ لِبَأْسٍ مُحْتَضَرْ
وَتَسَاقَى الْقَوْمُ سُمًّا نَاقِعاً وَعَلاَ الْخَيْلَ دِمَاءٌ كَالشَّقِرْ
لاَ تَعِزُّ الْخَمْرُ إِنْ طَافُوا بِهَا بِسِبَاءِ الشَّوْلِ وَالْكُومِ الْبُكُرْ
أُسُدُ غِيلٍ فَإِذَا مَا شَرِبُوا وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وَطِمِرْ
ثُمَّ رَاحُوا عَبَقُ الْمِسْكِ بِهِمْ يُلْحِفُونَ الْأَرْضَ هُدَّابَ الْأُزُرْ
وَنَدَامَى حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ غَيْرُ أَنْكَاسٍ وَلا هُوجٍ هُزُرْ
ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غُفُرٌ ... ... البيت ، وبعده :
غُشُمٌ كَالْأُسْدِ فِي غَابَاتِهَا وَلَدَى الْبَأْسِ حُمَاةٌ مَا تَفِرْ

اللغة : « أصحوت اليوم — البيت » قد شرحنا هذا البيت مع أبيات أخرى اخترناها من هذه القصيدة فى الكلام على الشاهد (رقم ٥٠٠) « ولى الأصل الذى فى مثله — البيت » الآبر : المصلح للشىء القائم عليه ، والمؤتبر : الذى يطلب الإصلاح ويستدعيه ، وأكثر ما يستعمل الإبار فى النخل ثم هو عام فى كل شىء ، وقد ضربه مثلا لإتمام الصنيعة ، يقول : لى الأصل الذى فى مثله يتم

... ...

المعروف واصطناع الخير « طيبو الباءة ــ البيت » الباءة : الساحة والفناء ، والوحش : المتوحش ، وهو هنا كناية عن خشونة الجانب وشدته ، يقول : إن ساحتهم طيبة سهلة لمن أراد معروفهم ، وهى وعرة صعبة لمن أرادهم بسوء « وهم ما هم ــ البيت » هم ما هم : هذا تفخيم وتعجيب كأنه قال : أى رجال هم ، ونسج داود : هو الدروع ، ونسجها : عملها وسردها ، وداود عليه السلام أول من صنع الدروع ولذلك تنسب إليه ، والبأس : الشدة ، والمحتضر ــ بفتح الضاد ــ المحضور المجتمع عليه ، ويروى بكسر الضاد ومعناه الحاضر ، يقول : إذا لبسوا الدروع وتسلحوا وقاتلوا أقرانهم فأى رجال هم « وتساقى القوم كأسامرة ــ البيت » هذا مثل ضربه ، ومعنى « تساقى القوم » سقى بعضهم بعضا ، والكأس : يقال على الإناء فيه الشراب ، وعلى الشراب فى الإناء ، وأراد بالكأس المرة الحرب والطعان ، والشقر : شقائق النعمان ، وقال الأصمعى : هو شجر له ثمر أحمر « لاتعز الخمر إن طافوا ــ إلخ » معنى « لاتعز الخمر » أنه لايحول بينهم وبين شرائها كثرة ثمنها ، و« طافوا بها » تأملوها وساوموا فيها ، والشول : جمع شائلة ، والكوم : جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام ، والبكر : الحديثات السن ، وسباؤها : شراؤها « ثم زادوا أنهم فى قومهم ــ البيت » لما وصفهم بالإقدام والجراءة والصبر على القتال وغير ذلك من أفعال البر بين فى هذا البيت أن لهم مزيداً على ذلك وهو أنهم يأخذون بالعفو عن الزلات والصفح عن الذنوب وأنهم ــ مع ما لهم من خصال الشرف ــ لا يفخرون ، لأن الفخر إعجاب وخفة ، وغفر ــ بضمتين ــ جمع غفور الذى هو مبالغة غافر ، وفخر ــ بضمتين أيضا ــ جمع فخور ، ويروى « غير فجر » بضم الفاء والجيم ــ من الفجور الذى هو الكذب ، والرواية الأولى أشهر وأعرف ، وإضافة الذنب إلى ضميرهم من الإضافة لأدنى ملابسة ؛ لأنهم يغفرون ذنب من يذنب إليهم « ثم راحوا عبق المسك بهم » هذا هو الشاهد (رقم ٥٠٠) وتقدم مشروحا .

الإعراب : « ثم » حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « زادوا » فعل وفاعل « أنهم » أن : حرف توكيد ونصب ، وضمير الغائبين اسمه « فى قومهم » جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من اسم أن ، وجعل ابن هشام اللخمى فى بمعنى عند والجار والمجرور متعلقا بزادوا « غفر » خبر أن « ذنبهم » ذنب : مفعول به لغفر منصوب بالفتحة الظاهرة ، وضمير الغائبين مضاف إليه « غير » خبر ثان لأن مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « فخر » مضاف إليه مجرور بالكسرة ، وسكن للوقف .

الشاهد فيه : قوله « غفر ذنبهم » حيث أعمل جمع صيغة المبالغة ــ وهو قوله « غفر » الذى هو جمع غفور الذى هو مبالغة غافر ــ عمل المفرد ، فنصب به المفعول به وهو قوله « ذنبهم » فدل ذلك على أنه لا فرق فى الوصف العامل بين أن يكون مفردا أو مثنى أو مجموعا . قال الأعلم :

وقولُه :

٧٠٦ — * أَوَالِفاً مَكَّةَ مِنْ وُرْقِ الْحَمِى *

« الشاهد فى نصب ذنبهم بغفر لأنه جمع غفور ، وغفور تكثير غافر وعامل عمله ، فجرى جمعه على العمل مجراه » اهـ .

٧٠٦ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وهو من شواهد سيبويه (١/٨و٥٦) وهو من أرجوزة طويلة للعجاج بن رؤبة الراجز العليم بلغات العرب ، وأول هذه الأرجوزة قوله :

يَا دَارَ سَلْمَى يَا اسْلَمِى ثُمَّ اسْلَمِى ... بِسَمْسَمٍ أَوْ عَنْ يَمِينِ سَمْسَمِ
وَقُلْ لَهَا عَلَى تَنَائِيهَا عِمِى ... ظَلِلْتُ فِيهَا لاَ أُبَالِى لُوَّمِى
وَمَا صِبَاىَ فِى سُؤَالِ الْأَرْسُمِ ؟ ... وَمَا سُؤَالُ طَلَلٍ وَحُمَمِ ؟

وقبل البيت المستشهد به قوله :

وَرَبِّ هَذَا الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ ... وَالْقَاطِنَاتِ الْبَيْتَ غَيْرِ الرُّيَّمِ
أَوَالِفاً مَكَّةَ مِنْ وُرْقِ الْحَمِى ... وَرَبِّ هَذَا الْأَثَرِ الْمُقَسَّمِ
مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا يُطْسَمِ ... بِحَيْثُ أَلْقَى قَدَماً لَمْ تُذْأَمِ

اللغة : «أوالفا» الرواية بالنصب ووقع فى نسخ الشرح بالرفع خطأ ، وقد عنى به حمام الحرم المكى ، وهو جمع آلفة ، وآلفة اسم فاعل مؤنث فعله ألف المكان يألفه — مثل علم يعلم — إذا أقام فيه وأنس به ، ووقع فى كتاب سيبويه (١/٥٦) على ماهنا وكما هو فى ديوان رجز العجاج ، ووقع فيه (١/٨) « قواطنا » وقواطن : جمع قاطنة ، وقاطنة : اسم فاعل مؤنث فعله قطن « مكة » بلد الله الحرام التى شرفها سبحانه بالبيت العتيق « ورق » بضم الواو وسكون الراء — جمع ورقاء ، وهى الحمامة التى يضرب لونها إلى خضرة ، ويقال : إذا كان لونها لون الرماد ، ويقال : إذا كان فيها بياض وسواد « الحمى » بفتح الحاء المهملة وكسر الميم بعدها ياء — وأصله «الحمام» فحذف بعض الكلمة للضرورة وأبقى بعضها ، ثم بنى هذا الباقى بناء يد ودم ، وجبر الكلمة بالحاق ياء فى اللفظ لوصل القافية ، وفيه وجه آخر ، وحاصله أن يقدر أنه حذف ألف «الحمام» فصارت الكلمة «الحمم» فاجتمع مثلان فقلب ثانيهما ياء كما قالوا : تقضيت ، وتظنيت ، وتمطيت ، وربيت ، فى تقضضت وتظننت وتمططت وربيت ، ثم كسر ما قبل الياء لتسلم من قلبها ألفا ، فصار « الحمى » كما ترى ، وفيه وجه ثالث سيذكره الشارح فى باب الترخيم وننكره ، وحاصله أنه حذف الميم من « الحمام » للترخيم فى غير النداء ضرورة ، ثم قلب الفتحة التى قبل الألف كسرة فانقلبت الألف ياء .

... ...

الإعراب : « أوالفا » حال من القاطنات فى البيت قبله ، منصوب بالفتحة الظاهرة ، ونوّنه للضرورة « مكة » مفعول به لأوالف منصوب بالفتحة الظاهرة « من ورق » جار ومجرور متعلق بمحذوف حال ثانية من القاطنات ، وورق مضاف و « الحمى » مضاف إليه .

الشاهد فيه : يستشهد النحاة بهذا البيت فى ثلاثة مواضع :

الموضع الأول : عند بيان ما يجوز للشاعر عند الضرورة مما لا يجوز مثله للناثر ، وفى هذا البيت شيآن من الضرورات الشعرية ، أولهما : تنوين الاسم الممنوع من الصرف ، وذلك فى قوله «أوالفا» أو « قواطنا » فإن كلا منهما اسم على صيغة منتهى الجموع وكان من حقه المنع من التنوين ، ولكنه نونه ضرورة احتياجه لإقامة وزن البيت ، وثانيهما : حذف بعض الكلمة لغير علة تقتضى هذا الحذف ، وذلك فى قوله « الحمى » إذ أصله « الحمام » وللعلماء ثلاثة طرق فى توجيه هذا الحذف وقد ذكرناها فى لغة الشاهد ، قال الأعلم الشنتمرى « يريد الحمام فغيرها إلى الحمى ، وفى ذلك أوجه أحسنها عندى وأشبهها بالمستعمل من كلام العرب أن يكون اقتطع بعض الكلمة للضرورة وأبقى بعضها لدلالة المبقى على المحذوف منها ، وبناها بناء يد ودم ، وجبرها بالإضافة ، وألحقها الياء فى اللفظ لوصل القافية فيكون التغيير والحذف مثل قول لبيد : ✲ درس المنا بمتالع فأبان ✲ أراد المنازل فغير كما ترى ، وهذا بين جدا . ووجه آخر أن يكون حذف الألف من زيادتها ، فبقى الحمم ، وأبدل من الميم الثانية ياء استثقالا للتضعيف كما قالوا : تظنيت فى تظننت ، ثم كسر ماقبل الياء لتسلم من الانقلاب إلى الألف . ووجه آخر أن يكون حذف الميم للترخيم فى غير النداء ضرورة ، وأبدل من الألف ياء كما يبدل من الياء ألف فى قولهم مدارى وعذارى وإنما أصله مدار وعذار » اه كلامه بحروفه ، والمقصود فى هذا الموضع ما عدا الوجه الثالث فى كلامه ، وإن كان الوجه الثالث داخلا فى مسائل الضرورة أيضا .

الموضع الثانى : وهو المقصود من الإتيان بهذا الشاهد ههنا — فى إعمال المثنى والجمع من أسماء الفاعلين وصيغ المبالغة عمل مفرداتها ، وذلك فى قوله « أوالفا مكة » حيث نصب المفعول به — وهو قوله « مكة » — بجمع اسم الفاعل — وهو قوله « أوالفا » الذى هو جمع آلفة — ومن أجل ذلك أنشده سيبويه فى باب ما جرى من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل (ص ٥٦ ج ١) وقال قبل إنشاده : « ومما تجريه مجرى أسماء الفاعلين فواعل ، أجروه مجرى فاعلة ، حيث كانوا جمعوه وكسروه عليه ، كما فعلوا ذلك بفاعلين وفاعلات ؛ فمن ذلك قولهم : هن حَوَاجُّ بَيْتَ الله ، وقال أبو كبير الهذلى ✲ ممن حملن به . . . البيت الآتى شرحه عقب هذا ✲ وقال العجاج : ✲ أوالفا مكة من ورق الحمى ✲ وقد جعل بعضهم فعالا — بضم أوله وتشديد ثانيه — بمنزلة فواعل ، فقالوا : قُطَّانٌ مكَّةَ ، وسُكَّانٌ الْبَلَدَ الحرام ، لأنه جمع كفواعل » اه كلامه .

وقولُه :

٧٠٧ — مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدٌ حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ

الموضع الثالث : عند كلامهم على الترخيم فى غير النداء للضرورة ، وذلك فى قوله « الحمى » فان أصله « الحمام » . وتوجيه الحذف فى هذه الكلمة بأنه من باب الترخيم فى غير النداء لداعى الضرورة وجه من وجوه ثلاثة ذكرها العلماء فى هذه الكلمة ، وهو منكر من قبل أن من شرط الاسم الذى يرخم فى غير النداء صلاحيته لأن يكون منادى ، وهذا الاسم لا يصلح لذلك لاشتماله على الألف واللام ، ومن المعلوم أنه لا ينادى المقترن بالألف واللام إلا اسم الله تعالى ومحكى الجمل ، ومهما يكن من شىء فان هذا الموضع داخل فى عموم ما ذكرناه فى الموضع الأول ، ولولا أن الشارح أنشد هذا البيت مرة أخرى فى باب الترخيم لكنا أحرياء ألا نفرد هذا الموضع بالذكر .

٧٠٧ — هذا بيت من الكامل ، وهو من شواهد سيبويه (٥٦/١) ، وهذا البيت من كلمة لأبى كبير الهذلى يقولها فى تأبط شرا ، وكان أبو كبير قد تزوج أم تأبط شرا ، ولهذه القصيدة قصة رويناها مع عدة أبيات منها فى شرح الشاهد (رقم ٤٢٥) فارجع إليها هناك إن شئت .

اللغة : « حملن » النون ترجع إلى النسوة وإن لم يجر لهن ذكر فى الكلام اكتفاء بانسياق المعنى إلى الذهن ، والمراد من الحمل هنا الحمل فى البطن لا الحمل على العاتق ونحوه « عواقد » جمع عاقدة وهو اسم فاعل مؤنث فعله عقدت المرأة نطاقها مثلا إذا شدته على وسطها بعقدة « حبك » بضم الحاء والباء جميعا — يقال : هو جمع حباك — مثل كتاب وكتب — وهو ما يشد به النطاق مثل التكة ، ويقال : هو خيط تشد به المرأة وسطها ، ويقال : هو طرف النطاق . وقال التبريزى : « الرواية حبك الثياب لأن النطاق لا يكون له حبك ، والحبك الطرائق » اهـ كلامه « النطاق » بكسر النون بزنة كتاب — شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض « شب » كبر وترعرع « غير مهبل » بضم الميم وفتح الهاء وتشديد الباء مفتوحة — أى غير مدعو عليه بالهبل بأن يقال له : هبلتك أمك ، أى ثكلتك وفقدتك ، والهبل — بفتح الهاء والباء جميعا — الثكل والفقد ، قال الشاعر :

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِى ، وَلِأُمِّ الْمُخْطِئِ الْهَبَلُ

المعنى : يقول : إن هذا الولد الذى هو تأبط شرا من الأولاد الذين حملت أمهاتهم بهم على كراهية منها للحمل والوقاع فجاء شجاعا فاتكا لا يطاق كيده ، وكان العرب يعتقدون أن نجابة الأولاد وقرب شبههم بالآباء فى أن تحمل بهم أمهاتهم وهن غضاب .

الإعراب : « ممن » جار ومجرور يتعلق بمحذوف صفة أخرى لمغشم الواقع فى بيت سابق

ومنه « وَالذاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » « هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتٌ ضُرَّهُ » .

(وَانْصِبْ بِذِي الْإِعْمَالِ تِلْوًا وَاخْفِضِ) بالإضافة ، وقد قرىء بالوجهين « إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ » « هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ » (وَهْوَ لِنَصْبِ مَا سِوَاهُ) أى ما سوى التِّلو (مُقْتَضِي) نحو « وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا » على تقدير حكاية الحال « إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » وهذا مُعْطِي زَيْدٍ دِرْهَمًا ، ومُعْلِمُ بَكْرٍ عَمْرًا قائمًا .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : يتعيَّن فى تِلْوِ غير العامل الجرُّ بالإضافة ، كما أفهمه كلامه ، وأما غير التلو فلابدَّ من نصبه مطلقاً ، نحو هَذَا مُعْطِي زَيْدٍ أَمسِ دِرْهَماً ، ومُعْلِمُ بكر أمسِ خالداً قائمًا ، والناصبُ لغير التلو فى هذين المثالين ونحوهما فعلٌ مضمرٌ . وأجاز السيرافى النصبَ باسم الفاعل لأنه اكتسب بالإضافة إلى الأول شَبَهاً بمصحوب الألف واللام

على هذا (انظر شرح الشاهد رقم ٤٢٥ فى ٣٦٨/٢) « حملن» فعل وفاعل « به » جار ومجرور متعلق بحمل ، وجملة الفعل وفاعله لا محل لها صلة من الموصولة المجرورة محلا بمن « وهن » الواو للحال ، هن : ضمير منفصل مبتدأ « عواقد » خبر المبتدأ ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب حال « حبك » مفعول به لعواقد ، وحبك مضاف ، و « النطاق » مضاف إليه « فشب » الفاء حرف عطف ، شب : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى المغشم الذى يعنى به تأبط شراً « غير » حال صاحبه فاعل قوله شب ، وهو منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « مهبل » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « عواقد حبك النطاق » حيث نصب المفعول به ــ وهو قوله « حبك النطاق » ــ بعواقد الذى هو جمع عاقدة ، وذلك يدل على أن جمع اسم الفاعل يعمل عمل مفرده

قال الأعلم الشنتمرى : « الشاهد فى نصب حبك النطاق بعواقد ؛ لأنه جمع عاقدة ، وعاقدة تعمل عمل الفعل المضارع لأنها فى معناه ؛ فجرى جمعها فى العمل مجراها ، ونون عواقد مضطرا » اهـ

وقال المحقق رضى الدين الاستراباذى (١٨٨/٢) : « ويعمل مثنى المبالغة ومجموعها ، صحيحاً كان أو مكسرا ، قال : ☆ ثم زادوا أنهم . . . . البيت ☆ وتقديم منصوب أبنية المبالغة عليها جائز كما فى اسم الفاعل . ومنعه الفراء لضعفها ، وذلك دليل على أن العمل لها عنده . والمثنى والمجموع يعملان عمل اسم الفاعل المفرد ، أما المثنى وجمعا السلامة فظاهرة ؛ لبقاء صيغة الواحد التى بها كان اسم الفاعل يشابه الفعل ، وأما جمع المكسر فيعمل أيضاً لكونه فرع الواحد ، قال ☆ ممن حملن به وهن عواقد . . . البيت ☆ » اهـ .

وبالمنون ، ويُقَوِّى ماذهب إليه قولُهم : هو ظانٌّ زيدٍ أمسِ قائمًا ، فقائمًا يتعين نصبه بظان ، لأن ذلك لو أضمر له ناصب لزم حذف أول مفعوليه وثانى مفعولى ظانّ ، وذلك ممتنع ؛ إذ لا يجوز الاقتصارُ على أحد مفعولى ظن ، وأيضاً فهو مقتضٍ له فلا بد من عمله فيه قياساً على غيره من المقتضيات . ولا يجوز أن يعمل فيه الجر ؛ لأن الإضافة إلى الأول مَنَعَت الإضافة إلى الثانى فتعين النصب للضرورة .

الثانى : ما ذكره من جواز الوجهين هو فى الظاهر ، أما المضمر المتصل فيتعين جره بالإضافة نحو : هذا مُكْرِمُكَ ، وذهب الأخفش وهشام إلى أنه فى محل نصب كالهاء من نحو الدِّرْهَمُ زيدٌ مُعْطِيكَهُ ، وقد سبق بيانه فى باب الإضافة .

الثالث : فُهم من تقديمه النصبَ أنه أولى ، وهو ظاهر كلام سيبويه لأنه الأصل ، وقال الكسائى : هما سواء ، وقيل : الإضافة أولى للخِفَّة .

* * *

(وَاجْرُرْ أَوِ انْصِبْ تَابِعَ الَّذِى انْخَفَضْ) بإضافة الوصف العامل إليه (كَمُبْتَغِى جَاهٍ وَمَالاً) ومالٍ (مَنْ نَهَضْ) فالجر مراعاة للفظ جَاهٍ والنصبُ مراعاة لمحلّه ، ومنه قولُه :

٧٠٨ — هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا أَوْ عَبْدَ رَبٍّ أَخَا عَوْنِ بْنَ مِخْرَاقِ

٧٠٨ — هذا بيت من البسيط ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ٨٧) ولم ينسب فى صدر الكتاب إلى قائل معين ، ولا نسبه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده ، وقال شراح الشواهد : «إن هذا البيت أحد أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف قائلوها» اهـ ، لكن جار الله الزمخشرى استشهد بهذا البيت فى تفسير سورة الشعراء من الكشاف (٢ / ١٠٨ بولاق ١٢٨١ هـ) ونسبه إلى تأبط شراً ، وقال شارح شواهده بعد أن ذكر هذه النسبة : « وقيل إنه لجرير » اهـ ، وقد استشهد به أبو حيان فى تفسير سورة الشعراء من البحر المحيط (٧ / ١٥) ونسبه إلى تأبط شرا كالزمخشرى ، ولعل عذره أنه يقرر نفس المعنى الذى قرره صاحب الكشاف أخذا منه ويستشهد عليه استشهاده .

اللغة : «باعث» مرسل ، وهو اسم فاعل فعله بعث ، وتقول : بعثت فلانا أبعثه ، وبعثت به ، إذا أرسلته « دينار » قال الأعلم : « ويحتمل دينار هنا وجهين : أحدهما أن يكون أراد واحد الدنانير ، وثانيهما أن يكون أراد رجلا اسمه دينار لأنه من أسمائهم» اهـ «لحاجتنا» أراد لسد حاجتنا

... ...

الإعراب : «هل» حرف استفهام ، وذكر جار الله فى الكشاف أنه — مع ذلك — يتضمن استبطاء المخاطب واستحثاثه على الفعل نظير مافى قوله تعالى : (هل أنتم مجتمعون) ويقول الرجل لغلامه : هل أنت منطلق ؟ إذا أراد أن يحركه ويحثه على الانطلاق ، كأنما يخيل إليه أن الناس قد انطلقوا وهوواقف «أنت» ضمير منفصل مبتدأ ، «باعث» خبرالمبتدإ، وهومضاف و«دينار» مضاف إليه ، من إضافة اسم الفاعل المتعدى إلى مفعوله «لحاجتنا» الجار والمجرور متعلق بباعث ، وحاجة مضاف ونا مضاف إليه «أو» حرف عطف «عبد» معطوف على دينار باعتبار موضعه ؛ فقد عرفت أن إضافة باعث إليه من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله ، والمفعول منصوب ، ولولا الإضافة لنصبه بباعث ، وعبد مضاف و« رب » مضاف إليه « أخا » بدل من عبد رب منصوب بالألف نيابة عن الفتحة لأنه من الأسماء الخمسة ، وجعله شارح شواهد الكشاف منادى بحرف نداء محذوف ، والتقدير : يا أخا عمرو — إلخ ، وهذا يتوقف على معرفة أنه المخاطب ببعث دينار وعبد رب ، ولم يتبين ذلك ، وأخا مضاف و « عون » مضاف إليه « ابن » صفة لقوله أخا عون أو لعون ، وهو مضاف ، و « مخراق » مضاف إليه .

الشاهد فيه : قوله « باعث دينار أو عبد رب » حيث جاء بالمعطوف — وهو قوله « عبد رب » — منصوبا ، مع أن المعطوف عليه — وهو قوله « دينار » مخفوض بإضافة اسم الفاعل — الذى هو قوله باعث — إليه ، وذلك يدل على أنه يجوز فى تابع معمول اسم الفاعل المخفوض مراعاة محله الذى هو الرفع إن كان فاعلا والنصب إن كان مفعولا .

قال الأعلم الشنتمرى : « الشاهد فيه نصب عبد رب حملا على موضع دينار ؛ لأن المعنى هل أنت باعث دينارا أو عبد رب » اهـ . ومراده أن المعنى على تنوين الوصف العامل فيكون المعمول كأنه منصوب لفظا على أنه مفعول به .

ومثل بيت الشاهد فى ذلك قول رجل من عبد القيس ، وهو من شواهد سيبويه أيضا :

فَبَيْنَا نَحْنُ نَرْقُبُهُ أَتَانَا مُعَلِّقَ وَفْضَةٍ وَزِنَادَ رَاعِى

الشاهد فيه نصب « زناد راعى » حملا على موضع « وفضة » لأن المعنى يعلق وفضة وزناد راعى . والوفضة : الكنانة ، وهى وعاء السهام .

والحمل على المعنى فى كلام العرب كثير مستفيض لا يرى به أحدهم بأسا ، وهو يجرى فى أبواب كثيرة ، انظر إلى قول جرير :

جِئْنِى بِمِثْلِ بَنِى بَدْرٍ لِقَوْمِهِمُ أَوْ مِثْلَ أُسْرَةِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارِ

فعبدَ : نُصِبَ عَطْفاً على محل « دينار » وهو اسم رجل . قال الناظم : ولا حاجة إلى تقدير ناصب غير ناصب المعطوف عليه ، وإن كان التقديرُ قولَ سيبويه ، وعلى قوله : فهل يُقَدَّرُ فعلٌ لأنه الأصل فى العمل أو وصفٌ مُنَوَّنٌ لأجل المطابقة ؟ قَوْلاَنِ(١) ، ولو جر « عبد رب » لجاز .

فإن كان الوصف غير عامل تعين إضمار فعل للمنصوب نحو «وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً » إذا لم يرد حكاية الحال ، أى وجعل الشمس والقمر حسباناً .

* * *

(وَكُلُّ مَا قُرِّرَ لِاسْمِ فَاعِلِ) من الشروط (يُعْطَى اسْمَ مَفْعُولٍ) وهو : مادل على الحدث ومفعوله (بِلاَ تَفَاضُلِ) فإن كان بأل عمل مطلقاً ، وإلاَّ اشْتُرِطَ الاعتمادُ ، وأن يكون

فان الرواية فيه بنصب « مثل » فى قوله « أو مثل أسرة منظور » حملا له على موضع الباء وما عملت فيه ؛ لأن معنى قوله « جئنى بمثل بنى بدر » هو معنى «هات لى مثل بنى بدر» فكأنه قال ذلك . ثم انظر إلى قول العجاج :

يَذْهَبْنَ فِى نَجْدٍ وَغَوْراً غائِرَا ... فَوَاسِقاً عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرَا

تجده قد نصب « غوراً » حملا على موضع نجد ؛ لأن معنى قوله « يذهبن فى نجد » هو بعينه معنى « يسلكن نجدا » فكأنه قد قال : يسلكن نجدا وغورا غائرا . ثم انظر إلى قول كعب ابن جعيل التغلبى :

أَعِنِّى بِخَوَّارِ الْعِنَانِ تَخَالُهُ ... إذَا رَاحَ يَرْدِى بِالْمُدَجَّجِ أَحْرَدَا

وَأَبْيَضَ مَصْقُولَ السِّطَامِ مُهَنَّداً ... وَذَا حَلَقٍ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مُسْرَدَا

تجده قد عطف قوله « أبيض » بالنصب على قوله « خوار العنان » المجرور لما كان معنى قوله « أعنى بخوار العنان » هو عين معنى قولك أعطنى خوار العنان ، أو ناولنى خوار العنان ، ونحو ذلك

(١) قد ذكر سيبويه رحمه الله الوجهين جميعاً ، وذلك فى قوله (١ / ٨٦) : « وتقول فى هذا الباب : هذا ضارب زيد وعمرو ، إذا أشركت بين الآخر والأول فى الجار ؛ لأنه ليس شىء يعمل فى حرف فيمتنع أن يشرك بينه وبين مثله ، وإن شئت نصبته على المعنى ، وتضمر له ناصباً فتقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، كأنه قال : ويضرب عمرا ، أو وضارب عمرا » اه كلامه بحروفه

للحال أو الاستقبال ، فإذا استوفى ذلك (فَهْوَ كَفِعْلٍ صِيغَ لِلْمَفْعُولِ فِي * مَعْنَاهُ) وعمله : فإن كان متعدياً لواحد رفعه بالنيابة ، وإن كان متعديا لاثنين أو ثلاثة رفع واحدا بالنيابة ونصب ماسواه ؛ فالأول نحو: زَيْدٌ مَضْرُوبٌ أَبُوهُ ، فزيد : مبتدأ ، ومضروب : خبره ، وأبوه: رفع بالنيابة . والثانى (كَالْمُعْطَى كَفَافًا يَكْتَفِي) فالمعطى : مبتدأ ، وأل فيه موصول صلته مُعْطَى ، وفيه ضمير يعود إلى أل مرفوع المحل بالنيابة وهو المفعول الأول ، وكفافا : المفعول الثانى ، ويكتفي : خبر المبتدأ . والثالث نحو : زيدٌ مُعْلَمٌ أبُوهُ عَمْرًا قَائِمًا ، فزيد : مبتدأ ، ومعلَم : خبره ، وأبوه : رفع بالنيابة وهوالمفعول الأول ، وعمرا : المفعول الثانى ، وقائما : الثالث .

(وَقَدْ يُضَافُ ذَا) أى اسمُ المفعول (إِلَى اسْمٍ مُرْتَفِعْ) به (مَعْنًى) بعد تحويل الإسناد عنه إلي ضمير الموصوف ونصبه على التشبيه بالمفعول به (كَمَحْمُودُ الْمَقَاصِدِ الْوَرِعْ) أصله : الورعُ محمودةٌ مقاصدُهُ ، فمقاصده : رفع بمحمودة على النيابة ، فحُول إلى الورع محمود المقاصدَ بالنصب على ماذكر ، ثم حُوِّل إلى محمود المقاصدِ بالجر .

﴿ تنبيه ﴾ : اقتضى كلامُه شيئين : الأول : انفرادُ اسم المفعول عن اسم الفاعل بجواز الإضافة إلى مرفوعه ، كما أشار إليه بقوله « وقد يضاف ذا » ، وفى ذلك تفصيل ؛ وهو أنه إذا كان اسمُ الفاعل غيرَ متعدٍّ وقُصد ثبوتُ معناه عُومِلَ مُعَامَلَةَ الصفة المشبهة ، وساغت إضافته إلى مرفوعه ؛ فتقول : زَيْدٌ قائمُ الأبَ ُ ـ برفع الأب ونصبه وجره ـ على حد حَسَنَ الْوَجْهَ ُ ، وإن كان متعدِّيا لواحد فكذلك عند الناظم بشرط أَمْنِ اللَّبْسِ وفاقا للفارسى ، والجمهورُ على المنع ، وفَصَّل قوم فقالوا : إن حذف مفعوله اقتصاراً جاز وإلاَّ فَلاَ ؛ وهو اختيار ابن عصفور وابن أبى الربيع ، والسماعُ يوافقه ، كقوله :

٧٠٩ ــ مَا الرَّاحِمُ الْقَلْبِ ظَلاَّمًا وَإِنْ ظُلِمَا وَلاَ الْكَرِيمُ بِمَنَّاعٍ وَإِنْ حُرِمَا

---

٧٠٩ ــ هذا بيت من البسيط ، ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به ، وأحسبه من نظم بعض العلماء .

اللغة : « الراحم » هو اسم فاعل فعله رحم ، وتقول : رحم فلان فلانا يرحمه ـ على وزان علم يعلم ـ رحمة ومرحمة ، إذا أخذته عليه رقة فعطف عليه ورأف به « ظلاما » الأحسن فى هذا

... ...

الموضع أن يكون الظلام صيغة نسبة إلى الظلم الذى هو الجور ووضع الشىء فى غير موضعه والميل عن القصد ، ويقال : ظلم فلان فلانا يظلمه ـ بوزان ضرب يضرب ـ ظلما ، وظلما أيضاً ـ بضم الظاء ـ ومظلمة ـ بكسر اللام ـ « ظلم » هو بالبناء للمجهول « الكريم » السخى الجواد المنفق لماله فى سبل الخير « مناع » مثله مثل ظلام ، وتقول : منع فلان فلانا الأمر ، ومنعه منه ، ومنعه عنه ، يمنعه منعاً ـ بوزان فتح يفتح فتحا ـ إذا كفه عنه ، وإذا حرمه ، ومنه « اللهم من منعته ممنوع » أى من حرمته محروم « حرما » هو أيضاً بالبناء للمجهول .

المعنى : أن من اتصف بالرحمة واستشعر قلبه الرأفة بالناس لا يقسو عليهم وإن قسوا عليه ولا يسيئهم وإن أساءوا إليه ، وأن من اتصف بالكرم وامتلأت نفسه بمحبة البذل لا يمنع عن أحد رفده ولا يحرمه وإن كان الناس لا يعاملونه هذه المعاملة .

الإعراب : « ما » نافية حجازية « الراحم » اسم ما مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « القلب » مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل إلى فاعله « ظلاما » خبر ما الحجازية منصوب بالفتحة الظاهرة « وإن » الواو عاطفة على محذوف ، إن : حرف شرط جازم « ظلما » فعل ماض مبنى للمجهول فعل الشرط مبنى على الفتح فى محل جزم ، والألف للإطلاق ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى الراحم القلب ، وتقدير الكلام : ليس الراحم القلب ظلاما لأحد إن لم يظلم وإن ظلم ، وجواب الشرط محذوف يدل عليه سابق الكلام « ولا » الواو حرف عطف ، لا: زائدة لتأكيد النفى «الكريم» معطوف على اسم ما الحجازية العاملة عمل ليس « بمناع » معطوف على خبر ما النافية « وإن » الواو عاطفة على محذوف هو أولى بالحكم من المذكور ، إن : شرطية « حرما » فعل ماض مبنى للمجهول فعل الشرط ، والألف للإطلاق ، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الكريم ، والألف للإطلاق ، وجواب الشرط محذوف يدل عليه سابق الكلام ، وتقدير الكلام : وليس الكريم بمناع خيره إن لم يحرمه الناس وإن حرموه فليس بمناع خيره .

الشاهد فيه : قوله « الراحم القلب » حيث أضاف اسم الفاعل ـ وهو قوله « الراحم » ـ إلى فاعله الذى هو قوله « القلب » وأصل الكلام : ما الراحم قلبه . واسم الفاعل هنا فى الأصل يتعدى إلى المفعول به لأنه مأخوذ من مصدر فعل متعد ، إلا أنه حذف مفعوله اقتصارا لعدم تعلق غرض المتكلم ببيان من وقعت عليه الرحمة ، فلما لم يتعلق الغرض ببيان المفعول ولم يذكر فى الكلام كان اسم الفاعل بمنزلة ما أخذ من مصدر فعل لازم لا ينصب المفعول به ، فأشبه الصفة المشبهة ، فلما أشبه الصفة المشبهة ـ وهى تضاف إلى فاعلها ـ أخذ حكمها فأضيف إلى فاعله ، ولولا ذلك لم تصح إضافة اسم الفاعل إلى مرفوعه . هذا إيضاح كلام الشارح رحمه الله .

... ...

واعلم أولا أن اسم الفاعل إما أن يكون مأخوذاً من مصدر فعل لازم ، وإما أن يكون مأخوذاً من مصدر فعل متعد إلى أكثر من مفعول ، وإما أن يكون مأخوذاً من مصدر فعل متعد إلى مفعول واحد ، فهذه ثلاثة أقسام : فإن كان اسم الفاعل مأخوذا من مصدر فعل قاصر كقائم ونافذ فانه تصح معاملته معاملة اسم المفعول فيضاف إلى مرفوعه ، بلا خلاف ، تقول : فلان قائم الأب ونافذ الأمر ، وإن كان مأخوذا من مصدر فعل متعد إلى أكثر من مفعول كظان ومعلم ومنبىء فإنه لا تجوز معاملته معاملة الصفة المشبهة واسم المفعول فيضاف إلى مرفوعه . لبعد المشابهة حينئذ بينه وبين الصفة المشبهة لأن منصوبها لا يزيد على واحـــد وإن كان نصبه ليس على جهة المفعولية الحقيقية . وقد اختلف العلماء فى نسبة القول بذلك إلى أهله ، فحكى الشارح عن بعضهم أن هذا محل اتفاق وأن جميع النحاة يرون ذلك ، والذى يستفاد من كلام الشاطبى أن فيه خلافا . وإن كان اسم الفاعل مأخوذا من مصدر فعل متعد إلى واحد كضارب وظالم فقد اتفق العلماء على أن فى جواز معاملته حينئذ معاملة الصفة المشبهة واسم المفعول خلافا ، وللنحاة فى هـذا الموضوع ثلاثة أقوال : القول الأول ، لا تجوز معاملته هـذه المعاملة مطلقاً يعنى سواء أحذف مفعوله أم لم يحذف ، وسواء أمن اللبس أم لم يؤمن ، وهذا مذهب جمهرة النحاة . والقول الثانى ، تجوز معاملته هذه المعاملة وهى إضافته إلى مرفوعه بشرط أن يؤمن اللبس ـ بقرينة حالية أو مقالية ـ بين إضافته للفاعل وإضافته للمفعول ، فإذا لم يؤمن الالتباس لم تجز إضافته إلى مرفوعه ، ولا فرق عند أهل هذا القول متى أمن اللبس بين أن يذكر المنصوب به بعد إضافته إلى المرفوع وألا يذكر ؛ فاذا قلت : زيد راحم الأبناء وظالم العبيد ، وقامت قرينة حالية على أن الرحمة صادرة من أبنائه والظلم صادر من عبيده ـ بأن كان المقام مقام مدح لأبنائه وذم لعبيده مثلا ـ صح هذا الـكلام عندهم ، وإن لم تقم قرينة لم يصح ؛ لأن الـكلام فى ذاته يحتمل أن يكون الأبناء راحمين أو مرحومين وأن يكون العبيد ظالمين أو مظلومين ، ويجوز عنـد هؤلاء أيضا أن تقول : زيد راحم الأبناء الناس ـ بنصب « الناس » ـ فيكون ذكر المفعول قرينة لفظية على أنه أضيف إلى مرفوعه ، وهذا قول أبى على الفارسى ، واختاره ابن مالك رحمه الله . والقول الثالث ، تجوز إضافته إلى مرفوعه بشرط أن يحذف منصوبه اقتصاراً ، فلا تجوز إضافته إلى المرفوع مع ذكر المنصوب بعد ذلك ، فلا يجوز عند هؤلاء أن تقول : زيد راحم الأبناء الناس ـ بإضافة اسم الفاعل إلى ما بعده ونصب الناس ـ ووجهة نظر أصحاب هذا الرأى أنهم يريدون تحقيق المشابهة بينه وبين الصفة المشبهة ، وهذا رأى اختاره ابن عصفور وابن أبى الربيع .

ثم اعلم ثانياً أن هذا الشاهد الذى نحن بصدد شرحه كما يجوز أن يكون دليلا لما ذهب إليه

وإن كان متعدِّيا لأكْثَرَ لم يجز إلحاقه بالصفة المشبهة . قال بعضهم : بلا خلاف .

الثانى : اختصاصُ ذلك باسم المفعول القاصر ، وهو المَصُوغُ من المتعدى لواحد . كما أشار إليه تمثيله وصرح به فى غير هذا الكتاب ، وفى المتعدِّى ماسبق فى اسم الفاعل المتعدى .

﴿ خاتمة ﴾ : إنما يجوز إلحاقُ اسم المفعول بالصفة المشبهة إذا كان علىَ وزنه الأصْلِيِّ ، وهو أن يكون من الثلاثى على وزن مَفْعُول ، ومن غيره على وزن المضارع المبنى للمفعول ، فإن حُوِّلَ عن ذلك إلى فَعِيلٍ ونحوه مما سيأتى بيانه لم يَجُزْ ، فلا يقال : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَحِيلٍ عَيْنِهِ ، ولا قتيلٍ أبيهِ ، وقد أجازه ابنُ عصفور ، ويحتاج إلى السماع . والله أعلم .

ابن عصفور وابن أبى الربيع يجوز أن يكون دليلا لما ذهب إليه الفارسى واختاره ابن مالك ، فإن الفريقين جميعاً متفقان على صحة صورة ، وهى أن يضاف اسم الفاعل إلى المرفوع مع عدم ذكر المنصوب ، والبيت من هذا القبيل ، والمعنى يأبى أن تكون الإضافة من إضافة اسم الفاعل إلى منصوبه ؛ فكان الالتباس الذى يفر منه الفارسى غير موجود ؛ فتدبر ذلك والله ينفعك به ،

أبنية المصادر

(فَعْلٌ) بفتح الفاء وإسكان العين (قِيَاسُ مَصْدَرِ الْمُعَدَّى * مِنْ ذِى ثَلاَثَةٍ) سواء كان مفتوحَ العين (كَرَدَّ رَدًّا) وأَكلَ أَكْلاً وَضَرَبَ ضَرْبًا ، أو مكسورَها كَفَهِمَ فَهْمًا وأَمِنَ أَمْنًا وَشَرِبَ شَرْبًا وَلَقِمَ لَقْمًا . والمراد بالقياس هنا أنه إذا ورد شىء ولم يُعلم كيف تكلّموا بمصدره فإنك تَقِيسُه على هذا ، لا أنّك تقيسُ مع وُجُود السَّماع ، قال ذلك سيبويه والأخفش .

﴿ تنبيه ﴾ : اشْتَرَطَ فى التسهيل لكون فَعْلٍ قياسا فى مصدر فَعِلَ المكسورِ العين أن يُفْهِمَ عَمَلاً بالفم كالمثالين الأخيرين ، ولم يشترط ذلك سيبويه والأخفش ، بل أطلقا كما هنا .

(وَفَعِلَ) المكسورُ العين (اللاَّزِمُ بَابُهُ فَعَلْ) بفتح الفاء والعين ـ قياسًا ، سواء كان صحيحا أو مُعْتَلاً أو مضاعفا (كَفَرَحٍ وَكَجَوًى وَكَشَلَلْ) مصادر فَرِحَ زيدٌ ، وَجَوِىَ عمرٌو ، وشَلَّتْ يدُه والأصل شَلِلَتْ .

ويستثنى من ذلك مادلَّ على لَوْنٍ فإن الغالب على مصدره الْفُعْلَة ، نحو سَمِرَ سُمْرَةً ، وَشَهِبَ شُهْبَةً ، وَكَهِبَ كُهْبَةً ، والكهبة : لونٌ بين الزرقة والحمرة .

واستثنى فى التوضيح مادلَّ على حِرْفَة أو وِلاية قال : فقياسُه الْفِعَالة ، ومَثَّل للثانى فقال : كَوَلِىَ عليهم وِلاَيةً ، ولم يمثل للأول ، وفيما قاله نظر ؛ فإن ذلك إنما هو معروف فى فَعَلَ المفتوح العين ، وأمّا وَلِىَ عليهم وِلايةً فنادِرٌ .

(وَفَعَلَ) المفتوح العين (اللاَّزِمُ مِثْلَ قَعَدَا * لَهُ فُعُولٌ بِاطِّرَادٍ) معتلا كان (كَغَدَا) غُدُوًّا ، وسما سُمُوًّا ، أو صحيحًا كَقَعَدَ قُعُوداً وجَلَسَ جُلُوسًا (مَالَمْ يَكُنْ مُسْتَوْجِبًا فِعَالاً) بكسر الفاء (أَوْ فَعَلاَنًا) بفتح الفاء والعين (فَادْرِ أَوْ فُعَالاَ) بضم الفاء ، أو فَعِيلا .

(فَأَوَّلٌ) من هذه الأربعة ـ وهو فِعال بكسر الفاء ـ لِذِى امْتِنَاعٍ : أى مَقِيسٌ فيما دلّ على امتناع (كَأَبَى) إباءً ، وَنَفَرَ نِفَارًا ، وَجَمَحَ جِمَاحًا ، وشَرَدَ شِرَادًا ، وأَبَقَ إبَاقًا .

(والثَّانِ) منها ــ وهو فَعَلانٌ ، بتحريك العين ــ (لِلَّذِى اقْتضَى تَقَلُّبًا) نحو جَالَ جَوَلانًا ، وَطَافَ طَوَفَانًا ، وَغلَتِ الْقِدْرُ غَلَيَانًا .

(لِلدَّا فُعَالٌ أَوْ لِصَوْتٍ) أى : يطّرد الثالث ــ وهو فُعَال ، بضم الفاء ــ فى نوعين : الأول : مادلّ عَلَى داء أى مرض ، نحو سَعَلَ سُعَالاً ، وزُكِمَ زُكامًا ، ومَشَى بَطْنُه مُشَاء ، والثانى : مادلّ عَلَى صوت ، نحو صَرَخَ صُراخًا ، ونَبَحَ نُبَاحًا ، وعَوَى عُوَاء .

(وَشَمِلْ * سَيْرًا وَصَوْتًا) الوزنُ الرابعُ وهو (الْفَعِيل كَصَهَلْ) صَهيلاً ، وَنَهَق نَهِيقًا ، وَرَحَلَ رَحِيلاً ، وذَمَلَ ذَمِيلاً .

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : قد يجتمع فَعِيلٌ وفُعال ، نحو نَعَبَ الْغُرَابُ نَعِيبًا ونُعَابا ، ونَعَقَ الراعِى نَعِيقًا ونُعَاقًا ، وأزَّتِ القِدْرُ أزِيزاً وَأُزَازًا . وقد ينفرد فَعِيلٌ، نحو صَهَلَ الفرسُ صَهِيلاً وصَخَدَ الصُّرد صَخِيداً . وقد ينفرد فُعَال ، نحو بَغَمَ الظبْىُ بُغَامًا ، وضبَحَ الثعلبُ ضُبَاحا ، كما انفرد الأول فى السير والثانى فى الداء .

الثانى : يُسْتَثنى أيضا منه مادلّ على حِرْفة أو وِلاية فإن الغالب فى مصدره فِعَالة ، نحو تَجَرَ تِجَارَةً ، وَخَاطَ خِيَاطَةً ، وسَفَرَ بَيْنَهُمْ سِفَارَةً ، وأَمَرَ إمَارَةً . وذكر ابنُ عصفور أنه مقيس فى الولايات والصنائع .

(فُعُولَةٌ فَعَالَةٌ لِفَعُلَا) بضم العين قياسا (كَسَهُلَ الأَمْرُ) سُهُولَةً ، وعَذُبَ الشَّىْء عُذُوبَةً وَمَلُحَ مُلُوحَةً (وَزَيْدٌ جَزُلاَ) جَزَالَةً ، وفَصُحَ فَصَاحَةً ، وَظَرُفَ ظَرَافةً .

(وَمَا أَتَى) من أبنية مصادر الثلاثى (مُخَالِفًا لِمَا مَضَى * فَبَابُه النَّقْلُ) لا القياس (كَسُخْطٍ وَرِضًى) بضم السين وكسر الراء ، وحُزْنٍ وَبُخْلٍ ــ بضم أولهما ــ مما قياسُه فَعَلٌ بفتحتين ، وكجُحُودٍ وشُكُور ورُكوب ــ بضمتين ــ مما قياسُه فَعْل بفتح الفاء وسكون العين ، وكَمَوْتٍ وفوزٍ وَمَشْى ــ بفتح الفاء وسكون العين ــ مما قياسُه فُعُول بضمتين ، وكعِظَمٍ وكِبَرٍ مما قياسه فُعُولة ، وكحُسْن وقُبْح مما قياسه فَعَالة .

﴿ تنبيه ﴾ : ذكر الزَّجَّاج وابنُ عصفور أن الفُعْل كالحُسْنِ قياسٌ فى مصدر فَعُلَ بضم العين كحَسُن ، وهو خلاف ماقاله سيبويه .

(وَغَيْرُ ذِى ثَلَاثَةٍ مَقِيسُ * مَصْدَرِهِ) أى : لا بدَّ لـكل فعلٍ غيرِ ثلاثى من مصدر مَقِيسٍ ، فقياسُ فَعَّلَ بالتشديد إذا كان صحيح اللام التَّفْعِيلُ (كَقَدَّسَ التَّقْدِيسُ) وتُحذف ياؤه ويُعَوَّض عنها التاء فيصير وزنه تَفْعِلَة: قليلاً فى نحو جَرَّبَ تجرِبةً ؛ وغالبا فى مالامه همزة نحو جَزَّأَ تَجْزِئَةً ، وَوَطَّأَ تَوْطِئَةً ، وَنَبَّأَ تَنْبِئَةً ، وجاء أيضا على الأصل ، ووجوبا فى المعتل نحو غَطَّهِ تَغْطِيَةً (وَزَكِّهِ تَزْكِيَةً) وهى تُنَزِّى دَلْوَهَا تَنْزِيَةً . وأما قوله :

٧١٠ — * بَاتَتْ تُنَزِّى دَلْوَهَا تَنْزِيًّا *

---

٧١٠ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وبعده قوله :

* كَمَا تُنَزِّى شَهْلَةٌ صَبِيًّا *

ولم أعثر لهذا الرجز على نسبة إلى قائل معين ، وقد أنشده فى اللسان (ش هـ ل — ن ز ا) ولم ينسبه ، وأنشد الجوهرى بيت الشاهد هكذا :

* بَاتَ يُنَزِّى دَلْوَهُ تَنْزِيًّا *

وحكى البغدادى هذه الرواية عن أبى عبيد فى الغريب المصنف ، ولعل هذه الرواية أظهر وأقرب ، وقد روى أيضاً :

* فَهْوَ يُنَزِّى دَلْوَهُ تَنْزِيًّا *

وهذه الرواية قريبة من رواية الصحاح .

اللغة : « ينزى » بضم حرف المضارعة وتشديد الزاى مكسورة — مضارع نزى — بتضعيف الزاى — والمراد ههنا أنه يحرك دلوه ويرفعه ويخفضه عند الاستقاء « تنزيا » مصدر نزى المذكور، وهو على التفعيل كالتقديس والتطهير والتقديم ، وهو محل الاستشهاد ، وسيأتى بيانه ، وأصل هذه المادة قولهم : نزا الفرس ينزو نزوا — مثل عدا يعدو عدوا — ونزوانا أيضاً ، ومعناه وثب ، ويتعدى بالهمز فيقال : أنزاه ينزيه إنزاء، وبالتضعيف فيقال : نزاه ينزيه تنزية وتنزيا أيضا، وقوله « كما تنزى شهلة صبياً » الشهلة : العجوز ، ويقال لها : شهربة وشهبرة . وقال ابن يعيش : « يقال امرأة شهلة ، إذا كانت نصفاً ، ولا يقال ذلك للرجال » اهـ . ومعنى تنزية الشهلة الصبى ترقيصها إياه ، ويكون ذلك بثقل وضعف لأنها ضعيفة المنة .

المعنى : وصف رجلا — أو امرأة — بأنه يحرك دلوه عند الاستقاء ليمتلىء ، حركة ضعيفة ، فيرفعه ويخفضه ، تحريكا مماثلا لتحريك العجوز صبيها عند ترقيصها إياه .

فضرورة . وأشار بقوله :

(وَأَجْمِلاَ إِجْمَالَ مَنْ تَجَمَّلاَ تَجَمُّلاَ)

(وَاسْتَعِذِ اسْتِعَاذَةً ثم أَقِمْ إِقَامَةً وَغَالِباً ذَا التا لَزِمْ)

(وَمَا يَلِي الآخِرُ مُدَّ وَافْتَحَا مَعْ كَسْرِ تِلْوِ الثَّانِ مِمَّا افْتُتِحَا)

(بِهَمْزِ وَصْـــلٍ كَاصْطَفَى)

إلى أن قياس أفْعَلَ إذا كان صحيح العين الإفعال نحو أَجْمَلَ إجْمالاً ، وأَكْرَمَ إكْرَامًا ، وأحْسَنَ إحْسَاناً ، وإن كان معتلّها فكذلك ولكن تنقل حركتها إلى الفاء فتقلب ألفا ثم تحذف الألف الثانية ويعوض عنها التاء ، كما في أقام إقَامَةً وأعَانَ إعَانَةً وأبان إبَانَةً ، والغالبُ لزومُ هذه التاء كما أشار إليه بقوله « وغالبا ذا التا لزم » وقد تحذف نحو « وَإِقَامِ الصَّلاَة » ومنه ماحكاه الأخفش من قولهم : أَرَاهُ إِرَاء ، وأَجَابَ إِجاباً .

وقياسُ ما أوَّلُه همزةُ وصلٍ أن يُكسر تِلْوُ ثانيه : أي ثالثه ، وأن يُمَدّ مفتوحًا ما يليهِ

الإعراب : «بات» فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر ، واسمه ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو « ينزى » فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل نصب خبر بات «دلوه» دلو : مفعول به لينزى ، وهو مضاف وضمير الغائب مضاف إليه « تنزيا » مفعول مطلق مبين لنوع عامله ، والعامل فيه قوله ينزى « كما » الكاف حرف جر ، وما : مصدرية « تنزى » فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء « شهلة » فاعل « صبيا » مفعول به ، وما المصدرية مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالكاف ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف يقع صفة لقوله « تنزيا » والتقدير : تنزيا مماثلا لتنزية العجوز صبيها .

الشاهد فيه : قوله « تنزيا » فإنه مصدر « نزى » المعتل اللام المضعف الوسط ، وكان قياسه على أمثاله يقتضى أن يأتى على زنة تفعلة — بحذف لام التفعيل وتعويضه تاء فى الآخر عنها فيقال تنزية ، كما قالوا : تزكية ، وتوفية ، وتولية ، وتورية ، وتضحية ، وتنحية ، وتعدية ، وتفدية ، وتردية ، وتصدية ، فى مصادر زكى ، ووفى ، وولى ، وورى ، وضحى ، ونحى ، وعدى ، وفدى ، وردى ، وصدى — بتضعيف الحشو فى جميع هذه الأفعال ، ولكن الراجز عدل عن المثال المستعمل ورجع إلى الأصل المهجور ، للضرورة ، وليست الضرورة إلا معاودة الأصول المهجورة .

الآخِرُ : أى ماقبل آخره ، كما أشار إليه بقوله « وما يلى الآخر ـ إلخ » أى : وما يليه الآخِر ، نحو اصْطَفَى اصْطِفَاءً ، وانْطَلَقَ انْطِلاَقاً ، وَاسْتَخْرَجَ اسْتِخْرَاجًا .

فإن كان اسْتَفْعَلَ معتلَّ العينِ فُعِل به مافعل بمصدر أفْعَلَ المعتلِّ العينِ ، نحو اسْتَعَاذَ اسْتِعَاذَةً ، وَاسْتَقَامَ اسْتِقَامَةً .

ويُسْتثنى من المبدوء بهمزة الوصل ما كان أصلُه تَفَاعَلَ أو تَفَعَّلَ ، نحو اطَّايَرَ واطَّيَّرَ أصلهما تَطَايَرَ وتَطَيَّرَ فإن مصدرَهما لا يُكسر ثالثُه ولا يزاد قبل آخره ألف .

وقياسُ ما كان على تَفَعَّلَ التَّفَعُّلُ ، نحو: تجمَّلَ تجمُّلاً ، وتعَلَّمَ تعلُّماً ، وتكَرَّمَ تكَرُّماً (وضُمَّ مَا * يَرْبَعُ) أى : يقع رابعاً (فِي أَمْثَالِ قَدْ تَلَمْلَمَا) صحيح اللام مما فى أوله تاء المطاوعة وشبهها ، سواء كان من باب تَفَعَّل كما مر ، أو من باب تَفَاعَلَ نحو تَقَاتَلَ تَقَاتُلاً وتَخَاصَمَ تَخَاصُماً ، أو من باب تفعلل نحو تَلَمْلَمَ تَلَمْلُماً وتَدَحْرَجَ تَدَحْرُجًا ، أو مُلْحَقاً به نحو تَبَيْطَرَ تَبَيْطُرًا وَتَجَلْبَبَ تجلبُباً . فإن لم يكن صحيحَ اللام وجب إبدالُ الضمة كسرة إذا كانت اللام ياء نحو تَدَلَّى تَدَلِّيًا وتَدَانَى تَدَانِياً وَتَسَلْقَى تَسَلْقِيًا .

(فِعْلاَلٌ أوْ فَعْلَلَةٌ لِفَعْلَلاَ) وما ألحق به نحو دَحْرَجَ دِحْرَاجًا وَدَحْرَجَةً ، وحَوْقَلَ حِيقَالاً وَحَوْقَلَةً ، ومعنى حَوْقَل : كبر وضعُف عن الجماع (وَاجْعَلْ مَقِيسًا) من فِعْلاَلٍ وفَعْلَلَة (ثَانِياً لاَ أَوَّلاَ) وكلاهما عند بعضهم مقيسٌ وهو ظاهر كلام التسهيل .

﴿ تنبيه ﴾ : يجوز فى المضاعَف من فِعْلاَل نحو الزِّلْزَالِ والْقِلْقَالِ فتحُ أولِهِ وكسرُه ، وليس فى العربية فَعْلاَل بالفتح إلاَّ فى المضَاعَفِ والكسرُ هو الأصل ، و إنما فُتح تشبيها بِالتَّفْعَالِ كما جاء فى التَّفْعَالِ التِّبْيَانُ والتِّلْقَاء بالكسر . والتَّفْعَال كلُّه بالفتح إلا هذين ، على أنهما عند سيبويه اسمانِ وُضع كلٌّ منهما موضعَ المصدر . وذهب الكسائى والفراء وصاحب الكشاف إلى أن الزَّلْزَالَ بالكسر المصدرُ و بالفتح الاسم ، وكذلك الْقَعْقَاعُ بالفتح الذى يتقعقع و بالكسر المصدر ، والْوَسْوَاسُ بالفتح اسم لما وَسْوَسَ به الشيطان و بالكسر المصدر ، وأجاز قوم أن يكونا مصدرين .

(لِفَاعَلَ الْفِعَالُ وَالْمُفَاعَلَهْ) نحو خَاصَمَ خِصَامًا ومُخَاصَمَةً ، وعَاقَبَ عِقَابًا وَمُعَاقَبَةً ، لـكن يمتنع الفِعَالُ ويتعين المُفَاعَلَة فيما فاؤه ياء ، نحو يَاسَرَ مُيَاسَرَةً وَيَامَنَ مُيَامنة ، وشذ يَاوَمَهُ يِوَامًا لا مُيَاوَمَةً .

(وَغَيْرُ مَامَرَّ السَّمَاعُ عَادَلَهْ) أى كان له عَدِيلاً ، فلا يُقْدَم عليه إلا بسماع ، نحو كَذَّبَ كِذَّابًا ، وهِىَ تُنَزِّى دَلْوَهَا تَنْزِيًّا ، وَأَجَابَ إجَابًا ، وَتَحَمَّلَ تِحِمَّالاً ، واطْمَأَنَّ طُمَأْنِينَة ، وَتَرَامَوْا رِمِّيًّا ، وقَهْقَرَ قَهْقَرَى ، وقَرْفَصَ قُرْفُصَاء ، وَقَاتَلَ قِيتَالاً .

﴿ تنبيه ﴾ : يجىء المصدرُ على زنة اسم المفعول : فى الثلاثى قليلا ، نحو جَلَدَ جَلَداً وَمَجْلُودًا . وقوله :

٧١١ - لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِـــهِ لَحْمًا وَلاَ لِفُؤَادِهِ مَعْقُولاَ

---

٧١١ — هذا بعض بيت من الـكامل ، وهو بتمامه :

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلاَ لِفُؤَادِهِ مَعْقُولاَ

وهذا البيت للراعى عبيد بن حصين النميرى، من قصيدة رواها غير واحد من حملة الشعر منهم أبو زيد صاحب جمهرة أشعار العرب ، وقد مضى مع شرح الشاهد (رقم ٤٣٨) ذكر طرف من هذه القصيدة وذكر السبب فيها ، وهاك جملة أخرى من أبياتها تتصل ببيت الشاهد :

إِنَّ السُّعَاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أَمَرْتَهُمْ وَأَتَوْا دَوَاهِيَ لَوْ عَلِمْتَ وغُولاَ
كَتَبَ الدُّهَيمَ مِنَ الْعَدَاء لِمُسْرِفٍ عَادٍ يُرِيدُ خِيَانَةً وَغُلُولاً
ذُخْرَ الخَلِيفَةِ ، لَوْ أَحَطْتَ بِخُبْرِهِ لَتَرَكْتَ مِنْهُ طَابَقًا مَفْصُولاَ
أَخَذُوا الْعَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ بِالْأَصْبَحِيَّةِ قَائِمًا مَغْلُولاَ
حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلاَ . . . البيت ، وبعده :
جَاءوا لِصَكِّهِمُ وَأَحْدَبَ أَسْأَرَتْ مِنْهُ السِّيَاطُ يَرَاعَـــةً إِجْفِيلاَ
نَسِيَ الْأَمَانَةَ مِنْ مَخَافَةِ لُقَّحٍ شُمُسٍ تَرَكْنَ بَضِيعَهُ مَجْدُولاَ
أَخَذُوا حُمُولَتَهُ وَأَصْبَحَ قَاعِداً لاَ يَسْتَطِيعُ عَنِ الدِّيَارِ حَوِيلاَ
يَدْعُو أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُونَهُ خَرْقٌ تَجُرُّ بِهِ الرِّيَاحُ ذُيُولاَ

... ...

اللغة : « كتب الدهيم ــ البيت » الدهيم ــ بضم الدال وفتح الهاء وسكون الياء ، بصيغة التصغير ــ الداهية ، والأصل فيه أن ناقة يقال لها الدهيم ، وكان قوم من العرب قد غزوا قوما فقتل منهم سبعة إخوة فحملوا على الدهيم ، فصارت مثلا فى كل داهية ، وضربت العرب الدهيم مثلا فى الشر والداهية ، وقالوا : أثقل من حمل الدهيم ، وأشأم من الدهيم ، والعداء ــ بفتح العين المهملة والمد ــ الظلم وتجاوز الحد ، وفى الحديث أنه كتب ليهود تيماء أن لهم الذمة وعليهم الجزية بلا عداء . والمسرف : اسم الفاعل من مصدر أسرف ، وتقول : أسرف فى ماله ، إذا بذره أو أنفقه فى غير طاعة ، وتقول : أسرف فلان فى كذا ، إذا أفرط فيه وجاوز الحد ، وإذا أخطأ ، وإذا جهل ، وإذا غفل ، والخيانة : مصدر من مصادر خان يخون ، ووقع فى اللسان « مخانة » مكان «خيانة» وهما بمعنى ، والغلول ــ بضم الغين المعجمة ــ السرقة ، تقول : غل فلان كذا ، إذا أخذه خفية ودسه فى متاعه « ذخر الخليفة ــ البيت » قال أبو زيد القرشى : «أراد بإذخر الخليفة » اه ، والخبر ــ بضم الخاء وسكون الباء ــ العلم بالشىء ، ويقال : مالى بهذا الأمر خبر ، وقالوا : هذا رجل خبر ــ بضم فسكون ، أو بفتح فكسر ــ إذا كان عالما بالخبر ، والطابق ــ بفتح الباء وبكسرها ــ العضو ، يريد لو علمت منه حاله على حقيقتها لمزقت أعضاءه وفصلت بعضها عن بعض « أخذوا العريف ــ البيت » عريف القوم : من دون رئيسهم ، والقيم بأمرهم ، ونقيبهم . والحيزوم : وسط الصدر ومايضم عليه الحزام ، وجمعوه على حيازيم وحيازم ــ بحذف الياء ــ والأصبحية : السياط ، نسبوها إلى أصبح أحد تبابعة اليمن ، ومغلولا : مقيدا « حتى إذا لم يتركوا لعظامه ــ البيت » معناه أنهم ما زالوا يضربونه ضربا مبرحا يفرى اللحم ويذهبه حتى تركوه عظما لا لحم عليه ، وفؤادا بغير عقل ، وذلك من ظلمهم وجوزهم وقسوة قلوبهم .

الإعراب : « حتى » هى ههنا ابتدائية « إذا » ظرفية تضمنت معنى الشرط « لم » حرف نفى وجزم وقلب « يتركوا » فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون ، وواو الجماعة فاعله «لعظامه» الجار والمجرور متعلق بيترك ، وعظام مضاف وضمير الغائب مضاف إليه «لحما» مفعول به ليتركوا «ولا» الواو حرف عطف ، ولا : حرف زائد لتأكيد النفى « لفؤاده » الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور السابق ، وفؤاد مضاف وضمير الغائب مضاف إليه « معقولا »معطوف بالواو أيضا على قوله « لحما » وليس فيه العطف على معمولى عاملين ، لأن الجار والمجرور وقوله لحما كلاهما معمول ليتركوا .

... ...

الشاهد فيه : قوله « معقولا » فان العلماء يستشهدون بهذه الكلمة على أن المصدر يجيء من الفعل الثلاثي على زنة اسم مفعوله ، لأن المعنى أن السعاة لم يتركوا لعظام من عذبوه بالضرب بالسياط لحما يكسوها ولم يتركوا لفؤاده تعقلا ، بل أفنوا لحمه بالضرب الشديد وأفقدوه تمييزه .

ومثل هذا البيت في الاستشهاد على مجيء المعقول مصدرا ما أنشده ابن برى :

فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُمْ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً   لِمَنْ يَكُونُ لَهُ إِرْبٌ وَمَعْقُولُ

أراد لمن يكون له تعقل .

واعلم أن العلماء يختلفون في هـذه المسألة : فسيبويه رحمه الله تعالى ينكر أن مصدر الفعل الثلاثي قد جاء على زنة اسم المفعول منه ، ويؤول ما عسى أن يذكره غيره من الألفاظ التي جاءت على زنة مفعول مما ظاهرها أن المراد بها معنى المصدر وهو الحدث ، وذلك بأن يدعى أن المراد بها المفعول به . وغير سيبويه من العلماء يثبت مجيء مصدر الثلاثي على زنة مفعول ، ويروى عن العرب ألفاظا جاءت على هذه الزنة والمراد بها معنى المصدر ، وينكرون التأويل لأنه خلاف الأصل وفيه من التكلف مالا مدعاة له ، ومن هذه الألفاظ ما استشهد له الشارح بالبيت الذى نحن بصدد شرحه من المعقول ، ومنها المجلود بمعنى الجلد والجلادة ، والميسور بمعنى اليسر ، والمعسور بمعنى العسر ، والمفتون بمعنى الفتنة ، والمحلوف بمعنى الحلف.

فأما المعقول فهو عندهم مصدر من مصادر عقل الأمر يعقله ــ من باب ضرب ــ وقد استشهد عليه الشارح وأيدنا استشهاده بالبيت الذى أثرناه عن ابن برى ، قال ابن منظور : « عقل يعقل عقلا ومعقولا ، وهو مصدر ، قال سيبويه : هو صفة ، وكان يقول : إن المصدر لا يأتى على وزن مفعول البتة ، ويتأول المعقول فيقول : كأنه عقل له شيء ، أى حبس عليه عقله وأيد وشدد ، قال : ويستغنى بهذا عن الفعل الذى يكون مصدرا » اه . يريد أنه يستغنى عن مجيء المصدر من الثلاثي على زنة مفعول بالمصدر الميمى .

وأما المجلود فهو عندهم أحد مصادر جلد الرجل وغيره ــ بضم اللام ــ فهو جلد وجليد ، بين الجلد ــ بفتح الجيم واللام جميعا ــ والجلادة ، والجلودة ، والمجلود ، ويستشهدون عليه بقول الشاعر :

* وَاصْبِرْ فَإِنَّ أَخَا الْمَجْلُودِ مَنْ صَبَرَا *

وبقول الآخر يصف ناقة قوية على العمل والسير :

مِنَ اللوَاتِي إِذَا لاَنَتْ عَرِيكَتُهَا   يَبْقَى لَهَـا بَعْدَهَا أَلٌ وَمَجْلُودُ

وفى غيره كثيراً . ومنه قوله :

٧١٢ * وَعِلْمُ بَيَانِ المَرْءِ عِنْدَ المُجَرَّبِ *

وقال الزمخشرى فى الأساس : « ورجل جلد ــ بفتح فسكون ــ وجليد ، وفيه جلد ــ بفتحتين ــ ومجلود ، وتجلد للشامتين » اهـ .

وأما الميسور والمعسور فقد قال ابن منظور : « والعرب تضع المعسور موضع العسر ، والميسور موضع اليسر ، وتجعل المفعول فى الحرفين كالمصدر ، قال ابن سيده : والمعسور كالعسر ، وهو أحد ما جاء من المصادر على مثال مفعول » اهـ . قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : ويستدل على مجىء الميسور بمعنى اليسر بقول الشاعر :

* فَبَيْنَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ *

الاستشهاد فى قوله « مياسير » فانه جمع ميسور ، ومقابلته بالعسر تدل على أنه أراد به اليسر ، وفى هذا البيت دليل على جمع المصدر إذا أريد به النوع وكانت له أنواع متعددة .

وأما المفتون فقد جاء مصدراً كالفتون فى قوله تعالى : (وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً) وحمل بعض العلماء على ذلك المفتون فى قول الله عز وجل : (بأيكم المفتون) وقد بينا ذلك فى مطلع باب المبتدإ والخبر من هذا الكتاب . قال ابن منظور : « وقوله تعالى : (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) قال أبو إسحاق : معنى المفتون الذى فتن بالجنون ، قال أبو عبيدة : معنى الباء الطرح ، كأنه قال : أيكم المفتون . قال أبو إسحاق : ولا يجوز أن تكون الباء لغوا ، ولا ذلك جائز فى العربية ، وفيه قولان للنحاة : أحدهما أن المفتون ههنا بمعنى الفتون ، مصدر على المفعول كما قالوا : ماله معقول ، ولا معقود: رأى ، وليس لفلان مجلود ، أى ليس له جلد ، ومثله الميسور والمعسور ، كأنه قال بأيكم الفتون وهو الجنون . والقول الثانى فستبصر ويبصرون فى أى الفريقين المجنون ، أى فى فرقة الاسلام أو فى فرقة الكفر ، أقام الباء مقام فى » اهـ . وفى الصحاح « والمفتون : الفتنة ، وهو مصدر كالمحلوف والمعقول» اهـ . وقال المازنى فى تخريج الآية : « المفتون رفع بالابتداء ، كقولهم : بمن مرورك ، وعلى أيهم نزولك ؛ لأن الأول فى معنى الظرف» اهـ . وملخص هذا الكلام ماقاله ابن برى ، وهو « إذا كانت الباء زائدة فالمفتون الإنسان وليس بمصدر ، فان جعلت الباء غير زائدة فالمفتون مصدر بمعنى الفتون »، والقول بزيادة الباء هو قول سيبويه .

٧١٢ ـــ هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* وَقَدْ ذُقْتُمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ *

وهذا البيت من كلمة أوردها أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى بتحقيقنا : ٢/٢٢٤) ولم يعين أبو تمام قائلها ، بل قال « وقال آخر وقد أوقعت مازن بقوم من

... ...

عجل فقتلوا منهم ، فعدت بنو عجل على جار لبنى مازن فقتلوه» اهـ . ولم يتعرض أبو زكريا الخطيب لنسبة الأبيات ، وأول هذه الكلمة :

أَقُولُ وَسَيْفِي فِي مَفَارِقِ أَغْلَبِ ... وَقَدْ خَرَّ كَالجِذْعِ السَّحُوقِ المُشَذَّبِ

بِكَ الْوَجْبَةُ الْعُظْمَى أَنَاخَتْ وَلَمْ تُنِخْ ... بِشُعْبَةَ فَابْعَدْ مِنْ صَرِيعٍ مُلَحَّبِ

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أَوْمَضَتْ ... إِلَيْهِ ثَنَايَا المَوْتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبِ

فَيَا عِجْلُ عِجْلَ الْقَاتِلِينَ بِذَحْلِهِمْ ... غَرِيباً لَدَيْنَا مِنْ قَبَائِلِ يَحْصُبِ

جَنَيْتُمْ وَجُرْتُمْ إِذْ أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ ... غَرِيباً زَعَمْتُمْ مُرْمِلاً غَيْرَ مُذْنِبِ

وَمَا قَتْلُ جَارٍ غَائِبٍ عَنْ نَصِيرِهِ ... لِطَالِبِ أَوْتَارٍ بِمَسْلَكِ مَطْلَبِ

فَلَمْ تُدْرِكُوا ذَحْلاً وَلَمْ تَذْهَبُوا بِمَا ... فَعَلْتُمْ بَنِي عِجْلٍ إِلَى وَجْهِ مَذْهَبِ

وَلَكِنَّكُمْ خِفْتُمْ أَسِنَّةَ مَازِنٍ ... فَنَكَّبْتُمُ عَنْهَا إِلَى غَيْرِ مَنْكَبِ

وَقَدْ ذُقْتُمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ... وَعِلْمُ بَيَانِ المَرْءِ عِنْدَ المُجَرِّبِ

اللغة : « أقول وسيفى ــ البيت » المفارق : جمع مفرق ــ بزنة مجلس أو منبر ــ وهو وسط الرأس حيث يفرق الشعر ، والأغلب : الغليظ العنق ، ومؤنثه غلباء ، وخر : سقط ، والجذع ــ بكسر فسكون ــ ساق النخلة ، والسحوق ــ بفتح السين ــ الطويل ، وجعله مشذبا ليكون أظهر لطوله ، والتشذيب : التهذيب « بك الوجبة العظمى ــ البيت » هذا مقول القول ، وأراد بالوجبة ههنا المنية ، وأصل الوجبة السقطة . يريد نزل بك المكروه الأعظم ، لا بشعبة . وكأن هذا الأغلب المصروع كان يتوعد شعبة بالقتل أو يريده له ، وابعد : دعاء عليه ، والصريع : المصروع ، والملحب : يحتمل معنيين ، أحدهما أن يكون أراد المذلل ، وثانيهما أن يكون أراد المجروح المقطع من قولهم : لحبت اللحم ، إذا قطعته طويلا « سقاه الردى سيف ــ إلخ » الردى : الهلاك والموت ، وسل : أخرج من غمده ، وأومضت : لمعت ، من قولهم : أومض البرق ، إذا لمع من بعيد ، والمرقب فى الأصل : المكان العالى . يقول : إذا سل هذا السيف قتل به القوم ؛ وليس ثم إيماض ولا مرقب « فياعجل عجل القاتلين ــ البيت » الأحسن فى الإضافة فى قوله « عجل القاتلين » أن تكون من إضافة البعض إلى الكل ، والتكرير للتوكيد ، وقال أبو هلال : « أضاف عجلا إلى القاتلين وهى هم كما قال الله تعالى : (حبل الوريد) والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه ، ونحوه

... ...

(حق اليقين) وقيل : حق اليقين مثل قولك: عين اليقين ، ومحض اليقين»اهـ. ولك أن تضم مجل الأول وتنصب الثانى على البدل أو عطف البيان ، وبنو مجل موتورون بما ارتكب منهم بنو مازن فلم يطلبوا ثأرهم من وجهه لكنهم أخذوا غريبا كان يجاور بنى مازن فقتلوه ، فهذا الشاعر يعيرهم ويهزأ بهم « جنيتم وجرتم ــ البيت » مفعولا زعمتم محذوفان كما حذفا فى قوله تعالى : (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) وفى قول الكميت بن زيد الأسدى :

بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَتَحْسِبُ

والتقدير فى البيت الذى نشرحه : إذا أخذتم بحقكم رجلا هذه صفته زعمتموه مأخوذا. والرمل : الفقير « فلم تدركوا ذحلا ــ البيت » يقول : إنكم لم تأخذوا بثأركم من قاتليكم ؛ إذ كنتم قد قتلتم غير الذى نال منكم ولم تذهبوا فى صنيعكم هـذا إلى شىء مما يذهب إليه الناس فى طلب الأوتار « ولكنكم خفتم أسنة مازن ــ البيت » يقال : نكب فلان عن الحق ، بمعنى تنكب عنه ، أى انحرف ومال وعدل ، يقول : هبتم أعداءكم الذين قتلوا منكم واستشعرتم الخوف منهم فحذرتموهم وعدلتم عنهم إلى غير معدل «وقد ذقتمونا مرة بعد مرة ــ البيت» المراد بالبيان ههنا معنى الظهور والانكشاف ، تقول : بان الشىء يبين ، إذا انكشف وظهرت حقيقة حاله ، والمجرب : التجربة والاختبار ، ومعنى العبارة أن بالبحث والتجربة والاختبار يوقف على خبء الأمور وتظهر مكنوناتها، وقد فسر العلامة الصبان البيان بالمنطق الفصيح ، وهو أحد معانى هذه الكلمة ، ولكنه لا يتناسب مع سياق القطعة كلها كما ترى .

الإعراب : « وعلم » الواو للاستئناف حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، علم : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « بيان » مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو مضاف و « المرء » مضاف إليه « عند » ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدإ ، وهو مضاف و « المجرب » مضاف إليه .

الشاهد فيه : قوله « المجرب » فإنه بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الراء مفتوحة ــ قد جاء على زنة اسم المفعول من جرب ــ بتضعيف الراء ــ والمراد به التجربة : أى أن المراد به المصدر . وقد حمل بعض العلماء على معنى المصدر كلمة « المجرب » فى قول امرئ القيس بن حجر الكندى (وهو الشاهد رقم ٢٢٠) :

فَإِنْ تَنْأَ عَنْهَا حِقْبَةً لاَ تُلاَقِهَا فَإِنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ بِالْمُجَرَّبِ

والأكثرون على أنه اسم مكان التجربة ، ومنهم من يجعله اسم فاعل ويجعل الباء زائدة فى خبر إن ، وهو الذى مضى الاستشهاد به عليه . وروى أن رجلا سأل امرأة بعد ما جلس بين رجليها : أعذراء أم ثيب ؟ فقالت : أنت على المجرب ، تريد أنت على التجربة ، وليس فى مجىء المصدر على زنة اسم المفعول من غير الثلاثى خلاف نعلمه .

أى عند التَّجْرِبةِ ، وقولُه :

٧١٣ — * أُقَاتِلُ حَتَّى لاَ أرَى لِي مُقَاتَلاً *

---

٧١٣ — هذا صدر بيت من الطويل ، وقد وقع فى شعرين أحدهما من كلام مالك بن أبى كعب ، وعجزه فيه قوله :

* وَأَنجُو إِذَا غُمَّ الجَبَانُ مِنَ الْـكَرْبِ *

وثانيهما من كلام زيد الخيل ، وعجزه فيه قوله :

* وَأَنجُو إذَا لَمْ يَنْجُ إلاَّ المـكَيَّسُ *

وقد روى ابن منظور هذين البيتين على ما ذكرناه ونسبهما إلى من ذكرنا (انظر اللسان : ق ت ل) فأما كلمة مالك بن أبى كعب فأولها قوله :

لَعَمْرُ أَبِيهَا لاَ تَقُولُ حَلِيلَتِى ... أَلاَ فَرَّ عَنِّى مَالِكُ بْنُ أَبِى كَعْب
أُقَاتِلُ حَتَّى لاَ أرَى لِى مُقَاتَلاً ... وَأَنْجُو إِذَا ... البيت ، وبعده :
أَبَى لِىَ أَنْ أُعْطِى الصَّغَارَ ظُلاَمَةً ... جُدُودِى وَآبَائِى الـكِرَامُ أُولو السَّلْب
هُمُ يَضْرِبُونَ الـكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ... تَرَى حَوْلَهُ الأَبْطَالَ فِى حَلَقٍ شُهْبِ
وَهُمْ أَوْرَثُونِى مَجْدَهُمْ وَفَعَالَهُمْ ... فَأُقْسِمُ لاَ يُزْرِى بِهِمْ أَبَداً عَقْبِى
وَأَرْعَى لِجَارِى مَاحَيِيتُ ذِمَامَهُ ... وَأَعْرِفُ مَاحَقُّ الرَّفِيقِ عَلَى الصَّحْبِ

اللغة : « أقاتل » هو مضارع قاتل الرجل الرجل مقاتلة وقتالا ، والقتال : المحاربة ، و « حتى » حرف معناه الغاية ، و « مقاتلا » الرواية فيه بفتح التاء ، وهو بمعنى القتال ، قال ابن منظور : « وقد قاتله قتالا وقيتالا ، وهو من كلام العرب ، وكذلك المقاتل ، قال مالك بن [أبى] كعب . . وأنشد البيت . وقال زيد الخيل . . . وأنشد البيت » اه كلامه « المـكيس » بضم الميم وفتح الـكاف وتشديد الياء مفتوحة ــ هو الفطن الموصوف بالـكيس ــ بفتح الـكاف وسكون الياء ــ وهو ضد الحمق ، وقال الراجز :

* إمَّا تَرَانِى كَيِّسًا مُـكَيَّسَا *

وقول مالك بن أبى كعب فى البيت الآخر « وأنجو إذا غم الجبان » معناه إذا حزن واشتد حزنه ، و « الـكرب » الحزن يأخذ بالنفس .

المعنى : وصف كل من الشاعرين نفسه بالحزم ، والأخذ فى أموره بالحـكمة ، وأنه لا يفوته وجه

... ...

الصواب فى القتال ، فيخوض المعركة ينازل الأقران ويغالبهم ، حتى إذا مارأى أن الفرار أحكم وترك المعركة أحزم نفض يده منها وانفلت غير خوار العزيمة ولا طائش الحلم ، وهذا وقت يأخذ الهول فيه الجبان ويعتريه الدهش فلا يتمكن من الفرار ويقع فى قبضة عدوه . وقد تعرض جماعة من الشعراء لهذا المعنى ، وأحسن من كشفه وأوضحه عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى أبيات اختارها له أبو تمام فى حماسته (انظر التبريزى : ١ / ١٧٦) وذكرها ابن قتيبة فى ترجمته له فى كتابه الشعر والشعراء ، وهى قوله :

وَلَقَدْ أَجْمَعُ رِجْلَىَّ بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّى لَفَرُورُ
وَلَقَدْ أَعْطِفُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرُ
كُلُّ مَاذَلِكَ مِنِّى خُلُقٌ وَبِكُلٍّ أَنَا فِى الرَّوْعِ جَدِيرُ

وقد أوضح عن ذلك أيضاً ذلك الشاعر الذى يقول :

شُجَاعٌ إِذَا مَا أَمْكَنَتْنِىَ فُرْصَةٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لِى فُرْصَةٌ فَجَبَانُ

قال أبو زكريا الخطيب : « وإنما هذا كلام من جمع إلى شجاعته وإقدامه حذرا وحزما » اه .

الإعراب : « أقاتل » فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ،وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « حتى » حرف غاية وجر « لا » حرف نفى « أرى » فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد حتى وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، وأن المصدرية والفعل المضارع فى تأويل مصدر مجرور بحتى ، والجار والمجرور متعلق بأقاتل ، وتقدير الكلام : أقاتل إلى عدم رؤيتى لنفسى مقاتلا « لى » جار ومجرور متعلق بأرى « مقاتلا » مفعول به لأرى منصوب بالفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله «مقاتلا» بضم الميم وفتح التاء كما وردت الرواية فيه عن الأثبات من العلماء فإنه مصدر معناه القتال وقد جاء على زنة اسم المفعول من قاتل ، وقوله « حتى لاأرى لى مقاتلا » نظير أن يقول « حتى لا أرى لى قتالا » فاعرف ذلك .

وقد استشهد سيبويه بهذا البيت بروايتيه اللتين ذكرناهما فى صدر الكلام على الشاهد ، لمثل ما أنشده الشارح من أجله ، ومن ذلك يتبين أنه لا خلاف بين النحاة فى مجىء المصدر على زنة اسم المفعول من غير الثلاثى . قال سيبويه (٢/٢٥٠) : « هذا باب نظائر ماذكرناه مما جاوز بنات الثلاثة بزيادة أو بغير زيادة ؛ فالمكان والمصدر يبنى من جميع هذا بناء المفعول ، وكان بناء

أى قِتَالاً . وقوله :

أَظَلُومُ إِنْ مُصَابَكُمْ رَجُلاً أَهْدَى السَّلاَمَ تَحِيَّةً ظُلْمُ(١)

المفعول أولى به لأن المصدر مفعول والمكان مفعول فيه ؛ فيضمون أوله كما يضمون المفعول لأنه قد خرج من بنات الثلاثة فيفعل بأوله مايفعل بأول مفعوله ، كما أن ماذكرت لك من بنات الثلاثة كأول مفعوله مفتوح (يريد أن أول الزمان والمكان من بنات الثلاثة مفتوح كأول مفعول) وإنما منعك أن تجعل قبل آخر حرف من مفعوله واوا كواو مضروب أن ذلك ليس من كلامهم ولا مما بنوا عليه . يقولون للمكان : هذا مخرجنا ، ومدخلنا ، ومصبحنا ، وممسانا ، وكذلك إن أردت المصدر ، قال أمية بن أبى الصلت :

الْحَمْدُ لِلهِ مُمْسَانَا وَمُصْبَحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّى وَمَسَّانَا

ويقولون للمكان : هذا متحاملنا ، ويقولون : ما فيه متحامل ، أى مافيه تحامل . ويقولون : مقاتلنا ، وكذلك تقول إذا أردت المقاتلة ، قال مالك بن أبى كعب أبو كعب بن مالك :

أُقَاتِلُ حَتَّى لاَ أَرَى لِى مُقَاتَلاً وَأَنْجُو إِذَا غُمَّ الجَبَانُ مِنَ الْكَرْبِ

وقال زيد الخيل :

أُقَاتِلُ حَتَّى لاَ أَرَى لِى مُقَاتَلاً وَأَنْجُو إِذَا لَمْ يَنْجُ إِلاَّ الْمُكَيَّسُ

وقالوا فى المكان : هذا موقانا ، وقال رؤبة :

* إِنَّ الْمُوَقَّى مِثْلُ مَاوُقِّيتُ *

يريد التوقية ، وكذلك هذه الأشياء . وأما قولهم : دعه إلى ميسوره ، ودع معسوره ، فإنما يجىء هذا على المفعول كأنه قال : دعه إلى أمر يوسر فيه أو يعسر فيه ، وكذلك المرفوع والموضوع ، كأنه يقول : له ما يرفعه وما يضعه ، وكذلك المعقول، كأنه قال عقل له شىء أى حبس له لبه وشدد، ويستغنى بهذا عن المفعل الذى يكون مصدرا لأن فى هذا دليلا عليه » اه كلامه . وحاصله أنه يرى أن اسم المفعول من غير الثلاثى واسم الزمان واسم المكان والمصدر الميمى كل أولئك تأتى على زنة واحدة ، وهو يعلل ذلك و يستدل له ، ثم ينكر مجىء المصدر من الثلاثى على زنة اسم المفعول ، ويعلل لذلك ، ويوجه بعض الألفاظ التى يزعم ناس فيها أنها مصادر على زنة المفعول بأن حقيقة أمرها أنها ليست مصادر وإنما هى أسماء مفاعيل .

(١) هذا بيت من الكامل ، وهو الشاهد (رقم ٦٨٣) الذى تقدم ذكره وشرحه فارجع إلى ذلك (فى ص ٢٢ من هذا الجزء) ومما يحسن أن تتنبه إليه أن الشارح جعل « مصابكم »

أى إصابتكم ، وربما جاء فى الثلاثى بلفظ اسم الفاعل نحو فالج فَالِجًا[١] ، وقوله :

٧١٤ * كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِ *

هنا مصدرا جاء على زنة اسم المفعول من غير الثلاثى ، وكان قد جعله هناك اسم مصدر ، وإذا تدبرت فيما ذكرناه لك هناك علمت أنه لا تناقض بين الكلامين ؛ فإن تسمية الاسم الدال على الحدث المبدوء بالميم الزائدة لغير مفاعلة اسم مصدر إنما هو اصطلاح لبعض النحاة أخذه ابن مالك ثم تبعه عليه الشارح ، وهو عند التحقيق مصدر ، ويسمونه المصدر الميمى . قال ابن هشام : « ما بدىء بميم زائدة لغير مفاعلة يعمل اتفاقا ، كالمضرب والمقتل ، وذلك لأنه مصدر فى الحقيقة ، وإنما سموه أحيانا اسم مصدر تجوزا » اهـ .

(١) ورد فى اللسان : « وقد فلج ـ بالبناء للمجهول ـ فالجا فهو مفلوج » اهـ ، وفيه « قال ابن سيده : وهو أحد ما جاء من المصادر على مثال فاعل » اهـ والفالج : داء يرخى بعض البدن .

٧١٤ ـ هذا صدر بيت من الوافر ، وعجزه قوله :

* وَلَيْسَ لِحُبِّهَا إذْ طَالَ شَافِ *

والبيت من شواهد شرح الكافية وشواهد شرح الشافية للرضى . وهذا البيت مطلع قصيدة لبشر بن أبى خازم يمدح فيها أوس بن حارثة ، وكان بشر قد هجا أوسا ، ثم حدث أن وقع بشر أسيرا فى يد بنى نبهان فاشتراه أوس منهم بمائتى بعير وأراد أن يحرقه فمنعت أوسا من ذلك أمه ـ وهى سعدى بنت حصن ، من طيىء ـ وأمرته أن يكسوه ويحمله ويرفده ليغسل هجاءه بمديحه ، ففعل أوس ما أشارت به أمه عليه . قال أبو محمد الأخفش : مدح بشر أوسا وأهل بيته مكان كل قصيدة هجاهم بها قصيدة وكان هجاهم بخمس فمدحهم بخمس ، وبعد البيت المستشهد بصدره قوله :

بَلَى إنَّ الْعَزَاءَ لَهُ دَوَاءٌ ... وَطُولُ الشَّوْقِ يُنْسِيكَ الْقَوَافِى
فَيَالَكِ حَاجَـــةً وَمِطَالَ شَوْقٍ ... وَقَطْعَ قَرِينَةٍ بَعْدَ ائْتِلاَفِ
كَأَنَّ الأَتْحَمِيَّةَ قَامَ فِيهَا ... لِحُسْنِ دَلاَلِهَا رَشَأٌ مُوَافِ
مِنَ الْبِيضِ الخُدُودِ بِذِى سُدَيْرٍ ... يَنُشْنَ الْغَضَّ مِنْ ضَالٍ قِضَافِ
أَوِ الأُدْمِ المُوَشَّحَةِ الْعَوَاطِى ... بِأَيْدِيهِنَّ مِنْ سَـــلَمِ النِّعَافِ
وَإنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ بِنْتُمْ ... خُشُوعِى لِلتَّفَرُّقِ وَاعْـــتِرَافِى
إذًا لَرَثَيْتِ لِى وَعَلِمْتِ أَنِّى ... بِوُدِّى غَـــيْرُ مُطَّرَفِ التَّصَافِى
فَسَـــلِّ طِلاَبَهَا وَتَعَزَّ عَنْهَا ... بِنَاجِـــيَةٍ تَخَيَّلُ بِالرِّدَافِ

... ...

اللغة : « كفى بالنأى » كفى ههنا فعل قاصر غير متعد ومعناه كمعنى حسب ، والنأى : البعد ، تقول نأى ينأى نأيا ـ مثل فتح يفتح فتحاً ـ إذا بعد ، والباء زائدة تفيد التوكيد ، ونظيره قول الله تعالى : (كفى بالله ولياً) وقوله سبحانه : (وكفى بنا حاسبين) وقوله جلت كلمته : (كفى بالله شهيداً) وقوله « أسماء » هو اسم امرأة ، و يجوز أن يكون منقولا من جمع اسم فتكون الهمزة أصلا غير منقلبة ، ويجوز أن يكون منقولا من الوصف وأصله وسماء من الوسامة فقلبت الواو المفتوحة همزة ، ونظيره أناة وأصلها وناة من الونى الذى هو الفتور « وليس لحبها » روى البغدادى فى مكان هذه الكلمة «وليس لنأيها» وما رويناه هو رواية أبى السعادات ابن الشجرى فى مختاراته ، وروى على غير هذين الوجهين .

الإعراب : « كفى » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف لا محل له من الإعراب « بالنأى» الباء حرف جر زائد ، النأى : فاعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد « من أسماء » جار ومجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه لاينصرف للعلمية والتأنيث متعلق بمحذوف حال من النأى «كاف» مفعول مطلق مؤكد لعامله الذى هو كفى ، منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها معاملة المنصوب معاملة المرفوع والمخفوض « وليس » فعل ماض ناقص «لنأيها» اللام حرف جر ، ونأى : مجرور باللام ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ليس تقدم على اسمه وهو قوله شاف فى آخر البيت ، وجعل البغدادى فى شرح شواهد الشافية الجار والمجرور متعلقاً بشاف، وجعل خبر ليس محذوفا ، ولا داعى لذلك ، ونأى مضاف وضمير الغائبة العائد إلى أسماء مضاف إليه « إذ » أداة تعليل ، قيل : هى حرف ، فهى مبنية على السكون لامحل لها من الإعراب ، وقيل : هى ظرف ، فهى مبنية على السكون فى محل نصب والعامل فيها قوله شاف الآتى « طال » فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى النأى، والجملة فى محل جر بإضافة إذ التعليلية إليها ، وذلك على القول بظرفيتها وهو الراجح « شاف » اسم ليس ، مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين منع من ظهورها الثقل .

الشاهد فيه : قوله «كاف» واعلم أن فى هذه الكلمة شاهدين للنحاة : الأول فى أنها مصدر جاء على زنة اسم الفاعل من الثلاثى، نظير الطاغية بمعنى الطغيان، والباقية بمعنى البقاء، واللاغية بمعنى اللغو ، والكاذبة بمعنى الكذب ، والعافية بمعنى المعافاة فى قولهم : عافاه الله عافية ، والعاقبة بمعنى العقب كالضرب فى قولهم :عقب مكان أبيه يعقب عقبا وعاقبة ، وحملوا على هذا قول الله تعالى : (فأهلكوا بالطاغية) أى بسبب طغيانهم ، وقوله جلت كلمته : (فهل ترى لهم من باقية) أى بقاء

... ...

وقوله سبحانه : (ليس لوقعتها كاذبة) أى رد ، وقوله سبحانه : (لاتسمع فيها لاغية) أى لغوا ، وعلى هذا يكون قوله « كاف » فى بيت الشاهد مفعولا مطلقاً مؤكدا لعامله الذى هو كفى ، كما قلنا فى الإعراب ، ونظيره قول شاعر الحماسة :

أَعَانَ عَلَىَّ الدَّهْرَ إِذْ حَكَّ بَرْكَهُ كَفَى الدَّهْرَ لَوْ وَكَّلْتَهُ بِىَ كَافِيَا

قال أبو زكريا الخطيب التبريزى فى شرحه على الحماسة (١ / ٢٨٣ بتحقيقنا) : « أراد كفى الدهر لو وكلته بى كفاية ، واسم الفاعل يقع موقع المصدر كثيرا ، كما يقع المصدر موقع اسم الفاعل ، ومثله قول بشر :

☆ كفى بالنأى من أسماء كاف ☆

فقوله كاف فى أحد الوجوه مصدر » اهـ .

وقد خرج سيبويه وأبو العباس المبرد على مجىء المصدر من الثلاثى بزنة فاعل قول الفرزدق :

أَلَمْ تَرَنِى عَاهَدْتُ رَبِّى وَإِنَّنِى لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامِ

عَلَى حَلْفَةٍ لاَ أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلاَ خَارِجًا مِنْ فِىَّ زُورُ كَلاَمِ

أما أبو العباس المبرد فقال فى الكامل (١/٧١ طبع المطبعة الخيرية ١٣٠٨) : « قوله ولا خارجا إنما وضع اسم الفاعل فى موضع المصدر ، أراد : ولا يخرج خروجا من فىّ زور كلام ؛ لأنه على هذا أقسم ، والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل ، يقال : ماء غور ، أى غائر ، كما قال الله تعالى : (إن أصبح ماؤكم غوراً) ويقال : رجل عدل ، أى عادل ، ويوم غمّ ، أى غامّ ، وهذا كثير جدا ، فعلى هذا جاء المصدر على فاعل كما جاء اسم الفاعل على المصدر ، ويقال : قم قائما ، فيوضع فى موضع قولك : قم قياما . وجاء من المصـــدر على فاعل حروف منها : فالج فالجا ، وعوفى عافية » اهـ .

وأما سيبويه فقال (١ / ١٧٣) : « وأما قول الفرزدق :

☆ على حلفة لا أشتم الدهر . . . . البيت ☆

فإنما أراد ولا يخرج فيما أستقبل ، كأنه قال : ولا يخرج خروجا ، ألا تراه ذكر عاهدت فى البيت الذى قبله فقال :

☆ ألم ترنى عاهدت ربى . . . البيت ☆

ولو حمله على أنه نفى شيئاً هو فيه ولم يرد أن يحمله على عاهدت لجاز ، وإلى هـذا الوجه كان يذهب عيسى فيما نرى ؛ لأنه لم يكن يحمله على عاهدت » اهـ .

وفى كلام الأعلم الشنتمرى بيان الوجه الذى اختاره سيبويه ، وبيان للوجه الذى حكاه سيبويه عن عيسى بن عمر ، قال : « الشاهد فيه قوله ولا خارجا ، ونصبه لوقوعه موقع المصدر الموضوع

أى كفاية ، ونحو « فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ » أى بالطغيان « فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ » أى بقاء .

(وَفَعْلَةٌ) بالفتح (لمرة كَجَلْسَه) ومَشْيَة وضَرْبة (وَفِعْلَةٌ) بالكسر (لِهيئَةٍ كَجِلْسَهْ) ومِشْيَةٍ وضِرْبَةٍ .

﴿ تنبيه ﴾ : محلُّ ماذُكر إذا لم يكن المصدرُ العام على فَعْلَة بالفتح نحو رَحْمَة ، أو فِعْلَة بالكسر نحو ذِرْبَة ، فإن كان كذلك فلا يُدَلُّ على المرة أو الهيئة إلا بقرينة أو بوصف ، نحو رَحْمَة واحدة وذِرْبَة عَظيمَة .

موضع الفعل ، على مذهب سيبويه ، والتقدير : عاهدت ربى . . . لا يخرج من فى زور كلام خروجا ، ويجوز أن يكون قوله ولا خارجا منصوبا على الحال ، والمعنى عاهدت ربى غير شاتم ولا خارج ، أى عاهدته صادقا ، وهذا على مذهب عيسى بن عمر ، وقد ذكره سيبويه عنه » اه .

وهذا أحد تخريجين فى هذه الكلمة التى هى «كاف» فى بيت بشر ، والتخريج الثانى أن يكون «كاف» اسم فاعل كما هو ظاهر الأمر ، وعلى ذلك يكون حالا من النأى الذى هو فاعل كفى ، ويكون من قبيل الحال المؤكدة لعاملها ، كما فى قوله تعالى : (فتبسم ضاحكا) وقوله سبحانه : (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) وعلى هذا الوجه استشهد به العلامة رضى الدين الاستراباذى فى شرح الشافية ، ويجوز أن يكون تمييزاً كما جاء التمييز مشتقا فى قولهم : لله دره فارسا (وقد علمت اختلاف العلماء فى هذا التركيب مما ذكرناه فى بابى الحال والتمييز) .

الشاهد الثانى فى هذه الكلمة مجيئها فى حال النصب ــ سواء أقلنا هى مصدر أم قلنا هى اسم فاعل ــ كما تجىء فى حال الرفع والجر ، نعنى بحذف الياء ، وكان ينبغى ــ لو جرى على ما هو المستعمل الكثير فى لسان العرب ــ أن يجىء بها ثابتة الياء ، كما جاءت فى بيت الحماسة الذى أنشدناه فى بيان الشاهد الأول ، ونظيره فى ذلك قول مجنون ليلى :

وَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ   وَدَارِى بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا

فقد كان ينبغى أن يقول « ولو أن واشيا » إلا أنه لما اضطر لإقامة الوزن عامل المنصوب معاملة المرفوع والمخفوض . وبعض النحاة يروى بيت المجنون « ولو كان واش » فيكون جاريا على المستعمل الكثير ، قال أبو زكريا الخطيب التبريزى فى بيت بشر : « لكنه لم ينصبه ، وجعله كقول الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقْ   أَيْدِى جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقْ

(فِي غَيْرِ ذِي الثَّلاَثِ بِالتَّا المَرَّهْ) نحو انْطَلَقَ انْطِلاَقَةً ، واستخرج استخراجة . فإن كان بناء مصدره العام على التاء دُلَّ على المرة منه بالوصف كإقامة واحدة ، واستقامة واحدة ، (وَشَذَّ فِيهِ هَيْئَةٌ كَالْخِمْرَهْ) من اخْتَمَر ، والعِمَّة من تَعَمَّم ، والنِّقْبَة من انْتَقَب .

﴿ خاتمة ﴾ : يُصَاغ من الثلاثى مَفْعل؛ فتفتح عينه مُرَادًا به المصدرُ أو الزمان أو المكان : إن اعتلَّت لامه مطلقاً نحو مَرْمًى ومَغْزًى ومَوْقًى ، أو صحت ولم تُكسر عينُ مضارعه نحو مَقْتَل ومَذْهَب ، فإن كُسرت فتحت فى المرادِ به المصدرُ نحو مَضْرَب ، وكُسِرَت فى المرادِ به الزمانُ أو المكانُ نحو مَضْرِب ، وتكسر مطلقاً عند غير طيِّئٍ فيما صحت لامه وفاؤه واوٌ نحو مَوْرِد ومَوْقِف ومَوْئِل ، وشذَّ من جميع ذلك ألفاظٌ معروفةٌ ذكرها فى التسهيل .

ويُعَامل غير الثلاثى مُعَامَلَةَ الثلاثى فى ذلك ، فَمَنْ أراد ذلك بَنَى منه اسمَ مفعولٍ وجعله بإزاء ما يقصده من المصدر كما مر أو الزمان أو المكان ، ومنه « بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا » « وَمَزَّقْنَاهُمْ كلَّ مُمَزَّقٍ » وقوله :

٧١٥ — * الحَمْدُ لِلهِ مُمْسَانَا وَمُصْبَحَنَا *

فى ترك إعراب المعتل فى موضع النصب أيضاً ؛ إذ كان من العرب من يستثقل الفتحة فى الياء ، والتقدير : كفى النأى من أسماء كافيا ، أى كفاية . وقد جاء فى المثل : أعط القوس باريها — بسكون الياء فى باريها ، ولم يرو أحد باريها — بفتح الياء — فليس يجوز إلا ما حكى ؛ لأن الأمثال لا تغير » اهـ كلامه .

٧١٥ — هذا صدر بيت من البسيط ، وعجزه قوله :

* بِالخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّى وَمَسَّانَا *

وقد أنشده ابن منظور فى لسان العرب (مسا) وهذا البيت من شواهد سيبويه (٢/٢٥٠) وقد ذكرنا لك عبارته فى شرح الشاهد (رقم ٧١٣) ومنها هـذا البيت ، وهذا مطلع قصيدة لأمية بن أبى الصلت الثقفى ، وبعده قوله :

رَبُّ الحَنِيفَةِ لَمْ تَنْفَدْ خَزَائِنُهُ مَمْلُوءَة طَبَقَ الآفَاقِ سُلْطَانَا
أَلا نَبِيٌّ لَنَا مِنَّا فَيُخْبِرَنَا مَا بُعْدُ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مُجْرَانَا

... ...

بَيْنَا يُرَبِّبُنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا ... وَبَيْنَمَا نَقْتَنِي الْأَبْنَاءَ أَفْنَانَا
وَقَدْ عَلِمْنَا لَوَانَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا ... أَنْ سَوْفَ تَلْحَقُ أُخْرَانَا بِأُولَانَا
وَقَدْ عَجِبْتُ وَمَا بِالْمَوْتِ مِنْ عَجَبٍ ... مَا بَالُ أَحْيَائِنَا يَبْكُونَ مَوْتَانَا

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشد هذه القصيدة ، فقال : « إن كاد أمية ليسلم » ويروى أنه قال : « آمن شعره ، وكفر قلبه » وانظر أغانى أبى الفرج (٣ / ١٨٦ – ١٩٢) وخزانة البغدادى (١ / ١١٨ – ١٢٢ بلاق) .

اللغة : « ممسانا » بضم الميم الأولى وسكون الثانية ــ أراد به الإمساء ، وهو مصدر أمسى يمسى إذا دخل فى وقت المساء ، وهذا الفعل تام « مصبحنا » أراد به الإصباح الذى هو مصدر أصبح يصبح ، هذا هو الذى يستفاد من عبارة سيبويه ، وقد صرح بذلك الأعلم حيث يقول : « الشاهد فيه قوله ممسانا ومصبحنا ، وهما بمعنى الإمساء والإصباح ، كما تقول مضرب ومشتم فى الضرب والشتم ، فالمفعل من الثلاثى المزيد كالمفعل فيما لا زيادة فيه منه . ونصب الممسى والمصبح فى البيت على الظرف وإن كانا مصدرين ؛ لأنه أراد وقت الصباح ووقت المساء ، فحذف الوقت وأقام المصدر مقامه » اهـ كلامه بحروفه . وكأن العلامة الصبان لما رأى أن المقصود فى البيت الدلالة على الزمان حمل الممسى والمصبح فيه على أنهما اسمان للزمان من أول الأمر ، وأن ذلك خير من أن نحملهما على المصدر ثم ندعى أن المصدر مستعمل فى الزمان كقولك : أزورك قدوم أبيك ، وأنت تريد وقت قدومه . وأقول : إن اللفظ محتمل بغير شك ، وإن الذى ذهب إليه الأعلم تبعاً لعبارة سيبويه يستدعى حمل اللفظ على معنى يحتمله ثم إرادة معنى آخر كان يمكن أن يراد منه أول الأمر ، قال ابن منظور : « والمصبح ــ بفتح الميم ــ موضع الإصباح ، ووقت الإصباح أيضاً ، قال الشاعر :

* بِمَصْبَحِ الْحَمْدِ وَحَيْثُ يُمْسِي *

وهذا مبنى على أصل الفعل قبل أن يزاد فيه ، ولو بنى على أصبح لقيل مصبح بضم الميم ، قال الأزهرى : المصبح ــ بضم الميم ــ الموضع الذى يصبح فيه ، والممسى المكان الذى يمسى فيه ، ومنه قوله :

* قَرِيبَةُ الْمُصْبَحِ مِنْ مُمْسَاهَا *

... ...

والمصبح أيضاً الإصباح ، يقال : أصبحنا إصباحاً ومصبحا » اه . وقال فى موضع آخر : « والممسى – بضم الميم – كالمصبح ، قال أمية بن أبى الصلت :

* الحمد لله ممسانا ومصبحنا *

وهما مصدران وموضعان أيضاً ، قال امرؤ القيس يصف جارية :

تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

يريد صومعته حيث يمسى فيها » اه . وقول أمية بن أبى الصلت فى البيت المستشهد به ونحن بصدد شرحه « صبحنا ربى ومسانا » هو بتضعيف العين فى الفعلين جميعاً ، وأصل هذه العبارة قولهم : صبح القوم القوم – بالتخفيف أو بالتشديد – إذا أتوهم صباحا ، قال بجير بن زهير بن أبى سلمى المزنى :

صَبَحْنَاهُمْ بِأَلْفٍ مِنْ سُلَيْمٍ وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ وَافِي

وقال الراجز :

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا جُرْدًا تَعَادَى طَرَفَيْ نَهَارِهَا

وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام صَبَّحَ خَيْبَرَ ، أى أتاها صباحا ، وقال عنترة يصف خيلا :

وَغَدَاةَ صَبَّحْنَ الْجِفَارَ عَوَابِسًا يَهْدِي أَوَائِلَهُنَّ شُعْثٌ شُزَّبُ

وقال الراجز وهو فى حديث أبى بكر :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

يريد أن كل إنسان مأتى بالموت صباحا .

الإعراب : « الحمد » مبتدأ « لله » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ « ممسانا » ممسى : ظرف زمان منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، ويجوز أن يكون متعلقاً بالحمد وأن يكون متعلقا بالخبر المحذوف ، وهو مضاف وضمير المتكلمين مضاف إليه « ومصبحنا » الواو حرف عطف ، مصبح : معطوف على ممسى ، منصوب بالفتحة الظاهرة ، والضمير مضاف إليه « بالخير » جار ومجرور متعلق بصبح الآتى « صبحنا » صبح : فعل ماض ، وضمير المتكلمين مفعول به « ربى » رب : فاعل صبح ، وياء المتكلم مضاف إليه « ومسانا » الواو حرف عطف ، مسى : فعل ماض ، وضمير المتكلمين مفعوله ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى ربى ، والجملة معطوفة على جملة صبحنا ربى .

... ...

الشاهد فيه: قوله «ممسانا ومصبحنا» فإنهما كلمتان وردتا على وزان اسم المفعول من الفعل الثلاثى المزيد فيه، وهما فى ذاتهما يحتملان أن يراد منهما الحدث فيكونا مصدرين كالإمساء والإصباح ، وأن يراد منهما موضع الإصباح وموضع الإمساء ، فيكونا اسمين للمكان ، وأن يراد منهما زمان الإمساء وزمان الإصباح ، فيكونا اسمين للزمان ، والمراد منهما فى هذا البيت المعنى الأخير فهما اسمان دالان على زمان الحدث الذى يدل عليه الإمساء والإصباح . وقد عرفت فيما ذكرناه لك فى لغة البيت أن هذا القدر مما لا يختلف فيه أحد ، وأن الاختلاف إنما هو فيما وراء ذلك ، وحاصله هل أريد بالممسى والمصبح زمان الإمساء والإصباح من أول الأمر أو أريد بهما أولا نفس الإمساء والإصباح ثم استعمل اللفظ فى زمانهما ، كما عرفت أننا نرجح الوجه الأول ، وعرفت السر فى ترجيحنا إياه .

أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة بها

(كَفَاعِلٍ صُغِ ٱسْمَ فَاعِلٍ إِذَا مِنْ ذِي ثَلَاثَةٍ يَكُونُ) لازمًا (كَغَذَا) الوادى ـ بمعجمتين مفتوحَ العين ـ بمعنى سال ، فيقال : غذا الماء فهو غاذٍ ، وذهَب زيدٌ فهو ذاهبٌ ، وسَلِم فهوسالم ، وفرِهَ الفرسُ فهو فارِهٌ ، أو متعديًا نحو ضَرَبَ فهوضاربٌ ، وركِبَ فهو راكبٌ.

(وَهْوَ قَلِيلٌ فِي فَعُلْتُ) بضم العين كَطَهُرَ فهو طاهِر ، وَنَعُمَ فهو ناعِم ، وفرُهَ فهو فارِه (وَ) في (فَعِلْ) بكسرها (غَيْرَ مُعَدًّى) نحو سَلِم فهو سَالِم (بَلْ قِيَاسُهُ) أي قياس فَعِلَ اللازم المكسورِ العينِ (فَعِلْ) بفتح الفاء وكسر العين في الأعراض (وأَفْعَلُ) في الألوان والخِلَق ، و (فَعْلَانُ) فيما دلَّ على الامتلاء وحَرَارة الباطن ، (نَحْوُ أَشِرٍ) وبَطِرٍ وفرِحٍ (وَنَحْوُ صَدْيَانَ) ورَيَّانَ وَعَطْشَانَ (وَنَحْوُ الْأَجْهَرِ) والأحمر ، ومما شذ فيه مريضٌ وكَهْلٌ.

(وفَعْلٌ) بفتح الفاء وسكون العين (أَوْلَى وَفَعِيلٌ بِفَعُلْ) مضمومَ العينِ (كَالضَّخْمِ) والشَّهْمِ (وَالْجَمِيلِ) والظريف (وَالْفِعْلُ) لهذه ضَخُمَ وَشَهُمَ و (جَمُلْ) وظَرُفَ (وَأَفْعَلٌ فِيهِ قَلِيلٌ وَفَعَلْ) بفتحتين ، وَفَعَالٌ بالفتح ، وفُعَالٌ بالضم ، وَفُعُلٌ بضمتين ، وفُعْلٌ بكسر الفاء أو ضمها ، وفُعَّالٌ ، وفَعُول ، وفِعِل بكسرتين : كَحَرُشَ فهو أَحْرَش[١] ، وخَطُبَ فهو

---

(١) الأحرش : الخشن ، وجمعه حرش ـ بضم الحاء المهملة وسكون الراء ـ وقالوا : دينار أحرش ، يريدون أنه خشن لجدته ، وقالوا : دراهم حرش ودنانير حرش ، وقالوا : ضب أحرش ، يريدون أنه خشن الجلد كأنه محزز ، وقالوا : أفعى حرشاء ، إذا كانت خشنة الجلد ، ولم يحك المجد في القاموس فعلا لهذا المعنى ، وحكى ابن منظور في اللسان أنه لم يسمع لهذا الوصف فعل ، قال : «والأحرش من الدنانير ما فيه خشونة لجدته ، قال :

* دَنَانِيرُ حُرْشٌ كُلُّهَا ضَرْبُ وَاحِدِ *

وفي الحديث «أن رجلا أخذ من رجل آخر دنانير حرشا» ، جمع أحرش ، وهو كل شيء خشن أراد أنها كانت جديدة فعليها خشونة النقش ، ودراهم حرش : جياد خشن حديثة العهد بالسكة ، والضب أحرش : خشن الجلد كأنه محزز ، وقيل : كل شيء خشن فهو أحرش وحرش ـ بفتح فكسر ـ والأخيرة عن أبي حنيفة ، وأراها على النسب لأني لم أسمع له فعلا ، وأفعى حرشاء : خشنة الجلد» اهـ .

أَخْطَبُ إذا احْمَرَّ إلى الكُدْرة(١) ، ونحو بَطُلَ فهو بَطَل(٢) وحَسُن فهو حَسَن ، ونحو جَبُن فهو جَبَانٌ ، وشَجُع فهو شُجَاعٌ ، ونحو جَنُبَ فهو جُنُبٌ . ونحو عَفُرَ فهو عِفْرٌ(٣) أى شُجَاع

(١) نص الشيخ خالد فى التصريح على أن هذا الفعل بالخاء والظاء المعجمتين ، وأنه مضموم العين ، وهاك عبارته مع عبارة أصله : « وقياس الوصف من فعل بالضم فعيل كظريف وشريف ، ودونه — أى دون فعيل — فعل ، بفتح الفاء وسكون العين ، كشهم بالشين المعجمة من الشهامة بمعنى الضخامة ، وضخم ، بالضاد والخاء المعجمتين ، من ضخم الشىء إذا غلظ ، ودونهما — أى دون فعيل وفعل — أفعل ، كأخظب بالخاء والظاء المعجمتين ، يقال : أخظب اللون ، إذا كان أحمر إلى الكدرة » اه المقصود منه بحروفه ، لكنى لم أجد هذه المادة فيما بين يدى من معاجم اللغة أصالة ، وقد ذكر الجوهرى فى الصحاح والمجد فى القاموس وابن منظور فى اللسان الأخطب بالخاء المعجمة والطاء المهملة ، بهذا المعنى ، وذكر الأخيران أن فعله خطب — بكسر الطاء المهملة — ومصدره الخطبة ، قال المجد : « والخطبة بالضم لون كدر مشرب حمرة فى صفرة ، أو غبرة ترهقها خضرة ، خطب كفرح فهو أخطب » اه . وقال ابن منظور : « والخطبة : لون يضرب إلى الكدرة مشرب حمرة فى صفرة كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تيبس ، وكلون بعض حمر الوحش ، والخطبة : الخضرة ، وقيل : غبرة ترهقها خضرة ، والفعل من كل ذلك خطب خطبا — مثل فرح فرحاً — وهو أخطب ، وقيل : الأخطب الأخضر يخالطه سواد » اه .

(٢) فى اللسان : « وقد بطل — بالضم — يبطل ، بطولة وبطالة ، أى صار شجاعا ، وتبطل ، قال أبو كبير الهذلى :

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَفَاتَ مِنْهُ مَامَضَى ... وَنَضَا زُهَيْرُ كَرِيهَتِى وَتَبَطَّلَا

وجعله أبو عبيد من المصادر التى لا أفعال لها » اه . وفى القاموس : « ورجل بطل — محركة ، وكشداد — بين البطالة والبطولة شجاع تبطل جراحته فلا يكترث لها ، أو تبطل عنده دماء الأقران والجمع أبطال ، وهى بهاء ، وقد بطل ككرم » اه . وفى كتاب الأفعال لابن القطاع : « بطل الرجل بطولة وبطالة : صار شجاعا » اه . وحكى صاحب المصباح أن فى هذا الفعل لغة أخرى من باب قتل يقتل . قال : « ورجل بطل أى شجاع ، والجمع أبطال ، مثل سبب وأسباب ، والفعل منه بطل بالضم بوزان حسن فهو حسن ، وفى لغة بطل يبطل من باب قتل يقتل فهو بطل بين البطالة — بالفتح والكسر — سمى بذلك لبطلان الحياة عند ملاقاته ، أو لبطلان العظائم به . قال بعض شارحى الحماسة : يقال رجل بطل ، وامرأة بطلة »

(٣) فى اللسان : « ورجل عفر بكسر فسكون — وعفرية ونفرية — بكسر فسكون فكسر — وعفارية — بضم أوله وتخفيف الباء — وعفريت ، بين العفارة — بفتح العين المهملة — خبيث

ماكر ، ونحو غَمِرَ(١) فهو غُمْر : أى لم يُجَرِّب الأمور ، ونحو وَضُؤَ فهو وُضَّاء(٢) أى وَضِىء ،

منكر داه » اه . وفى القاموس : « والعفر بالضم : الشجاع الجلد ، والغليظ الشديد ، والجمع أعفار » اه . وفيه : « ورجل عفر وعفرية وعفريت بكسرهن وعفر كطمر وعفرى وعفرنية كقذعملة وعفارية بالضم ، بين العفارة بالفتح : خبيث منكر » اه . ولم يحك أحدهما فعله كما ترى . وفى كتاب الأفعال لابن القطاع : « وعفر عفارة : شجع وجلد ، فهو عفر (بكسر أوله) » اه .

(١) فى القاموس : « الغمر (بالفتح) : من لم يجرب الأمور ، ويثلث ، ويحرك » يعنى أن فيه أربع لغات : فتح أوله أوضمه أو كسره مع سكون ثانيه ، وفتح أوله وثانيه معا ، وفى اللسان : « وصبى غمر (بضم فسكون ، وبفتح فسكون ، وبفتحتين ، وبفتح فكسر) ومغمر : لم يجرب الأمور ، بين الغمارة ، من قوم أغمار ، وقد غمر بالضم يغمر غمارة وكذلك المغمر من الرجال ، إذا استجهله الناس ، وقد غمر تغميراً » ، وفى حديث ابن عباس أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : لا يغرك أن قتلت نفرا من قريش أغمارا ، الأغمار : جمع غمر بالضم وهو الجاهل الغر الذى لم يجرب الأمور ، قال ابن سيده : ويقتاس من ذلك لكل من لا غناء عنده ولا رأى ؛ ورجل غمر (بالضم) وغمر (بفتح فكسر) لا تجربة له بحرب ولا أمر ولم تحنكه التجارب ، وقد روى بيت الشماخ :

لَا تَحْسَبَنِّى وَإِنْ كُنْتُ امْرَأً غَمِرًا   كَحَيَّةِ المَاءِ بَيْنَ الصَّخْرِ وَالشِّيدِ

قال ابن سيده : فلا أدرى أهو إتباع أم لغة » اه . وفى كتاب الأفعال لابن القطاع : «وغمر الرجل غمارة : لم يجرب ، فهو غمر » اه . وضبط الفعل بضم الميم وكسرها ، والوصف بضم الغين وسكون الميم ، ضبط قلم .

(٢) قال فى القاموس : « الوضاءة : الحسن والنظافة ، وقد وضؤ ككرم ، فهو وضىء من أوضياء ووضاء (الأول كأغنياء ، والثانى كرجال) ، وهو وضاء كرمان من وضائين ووضاضىء ، وما هو بواضىء : أى بوضىء » اه وحكى فى اللسان مثل ذلك ، ومن شواهد الوضاء قول أبى صدقة الدبيرى :

وَالمَرْءُ يُلْحِقُهُ بِفِتْيَانِ النَّدَى   خُلُقُ الْكَرِيمِ وَلَيْسَ بِالْوُضَّاءِ

ونحو خَصُرَت فهى خَصُور : أى ضاق مَجْرَى لبنها ، ونحو خَشُن فهو خَشِنٌ[١] .

﴿ تنبيه ﴾ : جميعُ هذه الصفات صفاتٌ مشبهة ، إلا فاعلا كضارب وقائم فإنه اسم فاعل إلا إذا أُضيفَ إلى مرفوعه ، وذلك فيما إذا دل على الثبوت كطاهر القلب ، وشاحط الدار : أى بعيدها ، فهو صفة مُشَبَّهَة أيضاً .

(وَبِسِوَى الْفَاعِلِ قَدْ يَغْنَى فَعَلْ) أى وقد يُسْتَغْنَى عن وزن فاعل من فعل بالفتح بغيره : كشَيْخ وأشْيَب وطَيِّب وعَفِيف .

* * *

(وَزِنَةُ الْمُضَارِعِ اسْمُ فَاعِلِ ... مِنْ غَيْرِ ذِى الثَّلَاثِ كَالْمُوَاصِلِ)

(مَعْ كَسْرِ مَتْلُوِّ الْأَخِيرِ مُطْلَقَا ... وَضَمِّ مِيمٍ زَائِدٍ قَدْ سَبَقَا)

أى : يأتى اسمُ الفاعل من غير الثلاثى المجرد على زنة مضارعه ، بشرط الإتيان بميم مضمومة مكان حرف المضارعة ، وكسر ماقبل الأخير مطلقاً : أى سواء كان مكسورا فى المضارع كمنطلِق ومستَخْرِج ، أو مفتوحا كمتعلِّم ومُتَدَحْرِج .

* * *

(وَإِنْ فَتَحْتَ مِنْهُ) أى من هذا (مَا كَانَ انْكَسَرْ) وهو ماقبل الأخير (صَارَ اسْمَ مَفْعُولٍ كَمِثْلِ الْمُنْتَظَرْ) والمستَخْرَج .

(وَفِى اسْمِ مَفْعُولِ الثُّلَاثِىِّ اطَّرَدْ ... زِنَةُ مَفْعُولٍ كَآتٍ مِنْ قَصَدْ)

---

(١) الذى فى القاموس : « الخشن ككتف والأخشن : الأخرش من كل شىء ، والجمع خشان ككتاب ، وهى خشنة وخشناء ، والفعل خشن ككرم » اهـ . وحكى فى اللسان مثل ذلك ولم يحك أحدهما خشنا بكسر الخاء والشين ، والذى يظهر لى أن هذا من لغات تميم الذين يتبعون أول الكلمة ثانيها فى مثل ذلك فيقولون فى كتف وخشن ونحوهما : كِتِفا وخِشِنا كإبل .

يقصد ، فإنه مقصود ، وآتٍ من ضرب مَضْرُوب ، ومن مَرَّ مَمْرُورٌ به ، ومنه مَبِيعٌ ومَقُول ومَرْمِىّ ، إلا أنها غيرت[1] .

﴿ تنبيه ﴾ : مراده بالثلاثىّ المتصرفُ .

(وَنَابَ نَقْلاً عَنْهُ) أى عن مفعول (ذُو فَعِيلِ) مستوياً فيه المذكرُ والمؤنثُ (نَحْوُ فَتَاةٍ أَوْ فَتًى كَحِيلِ) أو جَرِيح أو قَتِيل .

﴿ تنبيه ﴾ : مرادُه أنه ينوب عنه فى الدلالة على معناه فقط . قال فى التسهيل : وينوبُ فى الدلالة لاالعمل عن مَفْعول بقلة : فِعْلٌ كَذِبْحٍ[2] ، وفَعَلٌ كقَنَصٍ[3] ،

---

(١) أصل مرمى مرموى على زنة مفعول ، فاجتمعت الواو والياء فى كلمة والأولى منهما ساكنة فقلبت الواو ياء ، ثم أدغمت الياء فى الياء ، ثم قلبت ضمة الميم كسرة لتناسب الياء . وأصل مقول مقوول على زنة مفعول أيضا ، ثم نقلت ضمة الواو الأولى إلى الساكن الصحيح قبلها وهو القاف فاجتمع ساكنان ــ وهما الواو الزائدة الساكنة من أول الأمر والواو التى هى عين الكلمة التى نقلت حركتها ــ فحذف أحد الساكنين ، وفى المحذوف منهما خلاف بين العلماء سنشرحه تفصيلا فى قسم الصرف من هــذا الكتاب ، ولكنا نذكر لك ههنا أننا نرجح أن المحذوف هو الواو الزائدة وإن كان العلماء قد رجحوا غيره . وأصــل مبيع مبيوع بزنة مفعول أيضا ، فنقلت حركة الياء إلى الساكن الصحيح قبلها وهو الياء ، فاجتمع ساكنان ــ وهما الواو الزائدة التى هى واو مفعول والياء التى هى عين الكلمة والتى كانت مضمومة فنقلت ضمتها ــ ثم حذفت واو مفعول على ما رجحناه ، ثم قلبت ضمة الباء كسرة لتناسب الياء فصارت مبيعا .

(٢) الذبح ــ بكسر الذال وسكون الباء ــ اسم لما ذبح من الحيوان ، أو أعــد للذبح ، وفى القرآن الكريم : (وفديناه بذبح عظيم) قال الأزهرى : معناه بكبش يذبح ، وفى الحديث «فدعا بذبح فذبحه» أراد به ما يذبح من الأضاحى ، ومثل الذبح : الطحن بمعنى المطحون ، وفى مثــل من أمثالهــم : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ، هو بكسر فسكون ومعناه المطحون ، ومثله القطف بكسر القاف وسكون الطاء المهملة ــ بمعنى المقطوف ، ورعى ــ بكسر الراء وسكون العين ــ بمعنى المرعى ، وطرح ــ بكسر الطاء وسكون الراء المهملتين ــ بمعنى المطروح .

(٣) القنص ــ بفتح القاف والنون جميعا ــ مثل القنيص ، وهو المصيد الذى يقتنص . والذى يظهر للعاجز الضعيف أن أصل القنص مصدر ثم استعمل فى المفعول وأنه يستعمل فى الفاعل أيضا .

ونُعْلة كغرفة(١) ، وبكثرة فَعِيلٌ . انتهى

﴿ خاتمة ﴾ : قال الشارحُ : ومجىءُ فَعِيلٍ بمعنى مفعول كثيرٌ فى لسان العرب ، وعلى كثرته لم يُقَس عليه بإجماع ، وفى التسهيل : ليس مَقيسًا خلافا لبعضهم ، فنصَّ على الخلاف. وفى شرحه : وجَعَله بعضُهم مَقيساً فيما ليس له فَعِيل بمعنى فاعل ، نحو قَدَر ورَحِم ، لقولهم : قَدِير ، ورَحِيم . والله أعلم .

يقال : قنص الصيد يقنصه قنصا ــ مثل ضربه يضربه ضربا ، وقنصا أيضا بفتحتين ، وعلى استعمال القنص بمعنى القانص وبمعنى القنيص قد خرجوا قول عنترة العبسى :

يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ   حَرُمَتْ عَلَىَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

ومثل القنص العدد بمعنى المعدود ، والخبط بمعنى المخبوط ، والنفض بمعنى المنفوض ، والقبض بمعنى المقبوض ، وكل ذلك بفتح أوله وثانيه .

(١) الغرفة ــ بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ــ مااغترف باليد ونحوها ، وفى التنزيل : (إلا من اغترف غرفة) هو فى قراءة عثمان بضم الغين ومعناه الذى يغترف ، ومثل الغرفة الحسوة ــ بضم الحاء وسكون السين المهملتين ــ لما يحتسى ، والأكلة ــ بضم الهمزة ــ بمعنى المأكول ، والمضغة ــ بضم الميم ــ بمعنى الممضوغ .

الصفة المشبهة باسم الفاعل

(صِفَةٌ اُسْتُحْسِنَ جَـــرُّ فَاعِلِ مَعْنًى بِهَا الْمُشْبِهَةُ اُسْمَ الْفَاعِلِ)

أى : تميز الصفةُ المشبَّهة عن اسم الفاعل باستحسان جَرِّ فاعلها بإضافتها إليه ، فإن اسم الفاعل لا يحسن فيه ذلك ، لأنه إن كان لازما وقُصد ثبوت معناه صار منها ، وانطلق عليه اسمها ، و إن كان متعديا فقد سبق أن الجمهور على منع ذلك فيه ، فلا استحسان .

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : إنما قَيَّد الفاعل بالمعنى لأنه لا تضاف الصفة إليه إلا بعد تحويل الإسناد عنه إلى ضمير الموصوف ، فلم يبق فاعلا إلا من جهة المعنى .

الثانى : وَجْهُ الشبه بينها و بين اسم الفاعل : أنها تدل على حَدَثٍ وَمَنْ قَامَ به ، وأنها تُؤَنَّث وتثنى وتجمع ، ولذلك حُملت عليه فى العمل .

وعاب الشارحُ التعريفَ المذكور بأن استحسان الإضافة إلى الفاعل لا يصلح لتعريفها وتمييزها عما عداها ، لأن الْعِلْمَ به موقوفٌ على العلم بكونها صفةً مشبَّهة ، وعرفها بقوله «ماصِيغَ لغير تفضيل من فِعْلٍ لازم لقصد نسبة الحدث إلى الموصوف به دون إفادة معنى الحدوث » .

وقد يقال : إن العلم باستحسان الإضافة موقوفٌ على المعنى ، لا على العلم بكونها صفة مشبهة ، فلا دور ، أو أن قوله « المشبهة اسم الفاعل » مبتدأ وقوله «صفة استحسن إلى آخره» خبر ، وقوله (وَصَوْغُهَا مِنْ لاَزِمٍ لِحَاضِرِ) إلى آخره : عَطْفٌ عليه لتمام التعريف : أى ومما تميز به الصفة المشبهة أيضا عن اسم الفاعل أنها لاتصاغ قياساً إلا من فِعْلٍ لازم كطاهِرٍ من طَهُرَ ، وجَميل من جَمُل ، وحَسَنٍ من حَسُنَ ، وأما رَحِيم وعَلِيم ونحوُهما فمقصورٌ على السماع ، بخلافه فإنه يصاغ من االازم كقائم ، ومن المتعدِّى كضارب ، وأنها لاتكون إلا المعنى الحاضر الدائم دون الماضى المنقطع والمستقبل ، بخلافه كما عرفت ، وأنها لاتلزم الْجَرْىَ عَلَى المضارع ، بخلافه ، بل قد تكون جارية عليه (كَطَاهِرِ الْقَلْبِ) وضَامِرِ الْبَطْن ، ومُسْتَقِيم الحال ، ومُعْتَدِل القامة ، وقد لا تكون ، وهو الغالب فى المبنية من الثلاثى ، كَحَسَن الْوَجْه ، و (جَمِيل الظَّاهِرِ) وسَبْط العظام ، وأسْوَد الشعر .

(وَعَمَلُ اسْمِ فَاعِلِ المُعَدَّى) لواحد (لَهَا) أى ثابتٌ لها (عَلَى الحَدِّ الَّذِى قَدْ حُدَّا) له فى بابه : من وجوب الاعتماد على ماذكر .

﴿ تنبيه ﴾ : ليس كونها بمعنى الحال شرطاً فى عملها ؛ لأن ذلك من ضرورة وضعها لكونها وُضِعت للدلالة على الثبوت ، والثبوتُ من ضرورته الحال ، فعبارته هنا أجود من قوله فى الكافية :

وَالاعْتِمَادُ وَاقْتِضَاءُ الحَالِ شَرْطَانِ فِي تَصْحِيحِ ذَا الإِعْمَالِ . اه

(وَسَبْقُ مَاتَعْمَلُ فِيهِ مُجْتَنَبْ) بخلاف اسم الفاعل أيضا ، ومن ثَمَّ صَحَّ النصبُ فى نحو « زيدا أنا ضارب به » ، وامتنع فى نحو « وجه الأب زيدٌ حَسَنُه » (وَكَوْنُهُ ذَا سَبَبِيَّةٍ وَجَبْ) أى : ويجب فى معمولها أن يكون سببيا ، أى مُتَّصلا بضمير الموصوف : لفظا نحو « حَسَن وَجْهه » ، أو معنى نحو « حَسَن الْوَجْه » أى منه . وقيل : أل خَلَفٌ عن المضاف إليه ، ولا يجب ذلك فى معمول اسم الفاعل كما عرفت .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : قولُ الشارح إن جواز نحو « زَيْدٌ بِكَ فَرِحٌ » مُبْطِلٌ لعموم قوله « إن المعمول لا يكون إلا سببيا مؤخَّرا » مردودٌ ؛ لأن المراد بالمعمول ماعملُها فيه بحق الشبه ، وعملُها فى الظرف ونحوه إنما هو لما فيها من معنى الفعل .

الثانى : ذَكَرَ فى التسهيل أن معمولَ الصفة المشبهة يكون ضميرا بارزاً متصلا كقوله :

٧١٦ — حَسَنُ الْوَجْهِ طَلْقُهُ أَنْتَ فِي السِّلْمِ وَفِي الْحَرْبِ كَالِحٌ مُكْفَهِرّ

---

٧١٦ — هذا بيت من الخفيف ، ولم أعثر له — مع طويل البحث — على نسبة إلى قائل معين ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « طلقه » بفتح الطاء وسكون اللام ، والضمير يعود إلى الوجه — أى سمح الوجه ، يقال : رجل طلق اليدين ، وطليق اليدين ، ورجل طلق الوجه ، وطليق الوجه : أى سمحهما ، ويقال : وجه طلق بالفتح وطلق بالكسر وطلق بالضم ، ووجه طليق ، والمراد أنه ضاحك مشرق ، وقد طلق الرجل — بضم اللام — طلاقة ، وفى الحديث : « أفضل الايمان أن تكلم أخاك وأنت طليق » أى مستبشر منبسط الوجه « السلم » بفتح السين أو كسرها وسكون اللام فيهما — الصلح ، وضد الحرب « كالح » مكشر فى عبوس ، تقول : كلح وجه فلان يكلح — مثل منع يمنع — كلوحا

فعُلم أن مراده بالسببى ماعدا الأجنبى؛ فإنها لا تعمل فيه .

الثالث : يتنوَّع السببى إلى اثنى عشر نوعا : فيكون موصولا ، كقوله :

٧١٧ — أَسِيلاَتُ أَبْدَانٍ دِقَاقٌ خُصُورُهَا وَثِيرَاتُ مَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمآزِرُ

وكالحا — بضم الكاف فى المصدرين ، إذا عبس فأفرط فى تعبسه ، وقيل : الكلوح فى الأصل بدوّ الأسنان عند العبوس « مكفهر » أى عابس ، وأصل هذه المادة قولهم : اكفهر الليل ، إذا تراكم واشتدت ظلمته ، واكفهر السحاب ، إذا غلظ وركب بعضه بعضا .

المعنى : يمدح مخاطبه بأنه فى وقت السلم مشرق الوجه سمح كريم معطاء ، وبأنه فى وقت الحرب وعند مقارعة الأبطال مقطب الوجه عابس .

الإعراب : « حسن » خبر مقدم ، مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « الوجه » مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها « طلقه » طلق : خبر ثان ، أو معطوف بحرف عطف مقدر على الخبر السابق ، وهو مضاف وضمير الغائب مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها « أنت » مبتدأ مؤخر مبنى على الفتح فى محل رفع « فى السلم » جار ومجرور متعلق بمحذوف حال صاحبه أنت على مذهب سيبويه الذى يجيز مجىء الحال من المبتدأ ، أو هو حال من الضمير المجرور محلا بالإضافة «وفى» الواو حرف عطف ، فى : حرف جر «الحرب» مجرور بفى ، والجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور السابق « كالح » معطوف على الخبر السابق «مكفهر» يجوز أن يكون تأكيدا لفظيا لكالح ، ويجوز أن يكون معطوفا بعاطف مقدر على كالح ، ويجوز أن يكون قوله « كالح » خبر مبتدأ محذوف ، وتكون الواو قد عطفت جملة على جملة ، وتقدير الكلام : وأنت فى الحرب كالح مكفهر ، ولكن ليس ذلك بلازم .

الشاهد فيه : قوله « طلقه » حيث عملت الصفة المشبهة التى هى قوله « طلق » فى الضمير البارز المتصل؛ فقد عرفت أن إضافة « طلق » إلى الضمير من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها .

٧١٧ — هذا بيت من الطويل ، وقد نسبه العينى إلى عمر بن أبى ربيعة المخزومى (انظره بهامش الخزانة : ٣/٦٢٩) وقد بحثت جميع ديوان عمر بن أبى ربيعة فلم أجده فيه .

اللغة : « أسيلات أبدان » الأسيلات : جمع أسيلة ، وهى الطويلة ، ويقال لكل طويل مسترسل : أسيل ، وقالوا : رجل أسيل الخد ، يعنون أنه طويل الخد فى ليونة ، وقد أسل خده أسالة ، ومن هذه المادة سموا الرماح أسلا لطولها ، والأبدان : جمع بدن ، وهو ما سوى الرأس من جسد الإنسان « دقاق » بكسر الدال — جمع دقيق ، ومثاله كريم وكرام « خصورها » الخصور — بضم الخاء المعجمة — جمع خصر ، وهو وسط الإنسان وهو المستدق فوق الورك ، ومعنى دقتها نحافتها وخمصها ، والعرب تتمدح ذلك فى النساء « وثيرات » جمع وثيرة ، وأصل الوثير وصف

وموصوفاً يُشْبِهه ، كقوله :

٧١٨ — أَزُورُ امْرَأً جَمًّا نَوَالُهُ أَعـــدَّهُ   لِمَنْ أَمَّهُ مُسْتَــكْفِيًا أَزْمَةَ الدَّهْرِ

بمعنى الواطيء اللين ، يقولون : فراش وثير ، وهم يعنون أنه ممهد لين موطأ ، وأراد بقوله « ماالتفت عليه المآزر » أردافهن وأعجازهن ، والعرب تتمدح بعبالة هذه المواضع وضخامتها وامتلائها .

الإعراب : « أسيلات » خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : هن أســيلات ، وهو مضاف و « أبدان » مضاف إليه « دقاق » خبر بعد خبر ، أو معطوف على أسيلات بعاطف مقدر ، أو خبر مبتدأ محذوف « خصورها » خصور : فاعل بدقاق مرفوع بضمة ظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائبات مضاف إليه ، ويجوز أن يكون قوله دقاق خبرا مقدما وخصورها مبتدأ مؤخراً والجملة معطوفة بعاطف مقدر على جملة المبتدأ والخبر السابقة « وثيرات » خـبر ثالث أو معطوف بعاطف مقدر على الخبر السابق ، وهو مضاف و « ما » اسم موصول مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها مبنى على السكون فى محــل جر « التفت » فعل ماض ، والتاء علامة على تأنيث الفاعل « عليه » جار ومجرور متعلق بالتفت « المآزر » فاعل بالتف مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة الفعل وفاعله لا محل لهـا من الإعراب صلة ، والعائد هو الضمير المجرور محلا بعلى .

الشاهد فيه : قوله « وثيرات ما التفت » حيث عملت الصفة المشبهة التى هى قوله « وثيرات » فى الاسم الموصول الذى هو قوله « ما » فانك قد علمت فى إعراب البيت أن إضافة وثيرات إلى الاسم الموصول من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها ، وأنت تعـلم أن الصفة المشبهة تنفرد من بين سائر الأوصاف باستحسان جر فاعلها باضافتها إليه . وفى هذه العبارة نفسها دليـل على أن جمع الصفة المشبهة يعمل عمل المفرد منها نظير ما تقدم فى جمع اسم الفاعل وجمع صيغ المبالغة ، ألست ترى أن وثيرات جمع وثيرة التى هى صفة مشبهة من الوثارة ؟ فاعرف ذلك ولا تغفل عنـه ، والله يتولاك بكلاءته .

٧١٨ — هذا بيت من الطويل ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معـين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « جم نوال » جم — بفتح الجيم وتشـديد الميم — معناه كثير ، والجم ، والجمم — بالتحريك — الكثير من كل شىء ، يقال : مال جم ، وفى التنزيل : ((وتحبون المال حبا جما)) وقال أبو خراش الهذلى :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا   وَأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا

ويقال : الجم هو الكثير المجتمع . والفعل جم يجم ويجم — بكسر الجيم فى المضارع أو ضمها ، والضم أعلى — جموما . وفى حديث أنس رضى الله عنه « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى أجم

... ...

ما كان لم يفتر بعد » معناه والوحى أكثر ما كان « نوال » النوال ــ بزنة السحاب ــ اسم لما تعطيه من معروف ، ومثله النائل ، ويقال : النوال والنائل العطاء . وتقول : نلته ، ونلت له ، ونلته به ، أنوله به نولا ، وأنلته به ، وأنلته إياه ، ونولته ــ بتضعيف الواو ــ كل هــذا بمعنى أعطيته ، وقال الشاعر وهو وضاح اليمن :

إِذَا قُلْتُ يَوْمًا نَوِّلِينِى تَبَسَّمَتْ وَقَالَتْ : مَعَاذَ اللهِ مِنْ نَيْلِ مَاحَرُمْ
فَمَا نَوَّلَتْ حَتَّى تَضَرَّعْتُ عِنْدَهَا وَأَنْبَأْتُهَا مَا رَخَّصَ اللهُ فِي اللَّمَمْ

وقال الغنوى :

وَمَنْ لاَ يَنَلْ حَتَّى تسدَّ خِلاَلَهُ يَجِدْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ غَيْرَ قَلِيلِ

وقال الآخر :

تَنُولُ بِمَعْرُوفِ الْحَدِيثِ وَإِنْ تُرِدْ سِوَى ذَاكَ تُذْعَرْ مِنْكَ وَهْيَ ذَعُورُ

وقول الشاعر فى بيت الشاهد « أعده » معناه هيأه وكأنه اتخذه عدة للكرم « أمه » قصــده ، وتقول : أممته أؤمه ، وأممته ــ بالتضعيف ــ وتأممته ، ويممته ــ بالتخفيف ــ ويممته ــ بالتضعيف ــ وتيممته ، قال الشاعر :

فَلَمْ أَنْــكُلْ وَلَمْ أَجْبُنْ وَلَــكِنْ يَمَمْتُ بِهَا أَبَا صَخْرِ بْنَ عَمْرِو

وقال رؤبة بن العجاج :

أَزْهَرُ لَمْ يُولَدْ بِنَجْمِ الشُّحِّ مُيَمَّمُ الْبَيْتِ كَرِيمُ السِّنْحِ

وقوله فى البيت الشاهد « مستكفيا » أى طالبا الكفاية « أزمة الدهر » أصل الأزم العض ، أوهو العض الشديد ، وفى حديث أبى بكر الصديق « نظرت يوم أحد إلى حلقة درع قد نشبت فى جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكببت لأنزعها ، فأقسم على أبو عبيدة فأزم بها بثنيتيه فجذبها جذبا رفيقا » أراد عضها وأمسكها بين ثنيتيه ، وسموا الأنياب الأوازم ، ومنه قيل للسنة : أزمة ، وأزوم ، وأزام ــ بزنة حذام ــ وتقول : أزمه ، وأزم عليه ، يأزم ، آزما ــ مثل ضرب يضرب ضربا ــ وأزوما أيضا .

الإعراب : « أزور » فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « امرأ » مفعول به لأزور « جما » صفة لامرأ « نوال » فاعــل بجم مرفوع بالضمة الظاهرة « أعده » أعد : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى امرىء ،

والشاهد فى « جَمًّا نَوَالٌ » ، ومُضَافًا إلى أحدهما ، كقوله :

٧١٩ — فَعُجْتُهَا قِبَلَ الْأَخْيَارِ مَنْزِلَةً ۝ وَالطَّيِّبِى كُلِّ مَا الْتَاثَتْ بِهِ الْأُزُرُ

وضمير الغائب العائد إلى نوال مفعول به ، والجملة من الفعل الماضى وفاعله ومفعوله فى محل نصب صفة لنوال « لمن » اللام حرف جر ، ومن : اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلق بأعد « أمه » أم : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى من الموصولة ، وضمير الغائب العائد إلى امرأ مفعول به ، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله لا محل لها صلة الموصول « مستكفيا » حال من الضمير المستتر فى أم ، وفيه ضمير مستتر تقديره هو ، وهو فاعله « أزمة » مفعول به لمستكف ، وهو مضاف و « الدهر » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « جما نوال أعده » حيث جاء فيه معمول الصفة المشبهة التى هى قوله «جما» نكرة موصوفة بجملة ، وهذه النكرة المعمولة للصفة المشبهة هى قوله « نوال » وصفتها هى جملة « أعده » من الفعل الماضى وفاعله المستتر فيه ومفعوله الضمير البارز على ما اتضح من إعراب البيت ، وهذه النكرة تشبه الموصول ، ووجه الشبه أن كلا منهما متصل بجملة خبرية تتم معناه ، وإن كان بينهما فرق من قبل أن الموصول يفتقر إلى الجملة افتقارا متأصلا على معنى أنه لا يمكن أن يستغنى عنها بتة ولا أن يقع معه فى موقعها مفرد ؛ أما النكرة فيمكن أن تستغنى عن الصفة بتة ، ويمكن أن يقع معها فى موقع هذه الجملة مفرد ، فتفهم ذلك واعرفه .

٧١٩ — هذا بيت من البسيط ، وهو من قصيدة للفرزدق همام بن غالب يمدح فيها أمير المؤمنين الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، وقد تقدم بيت من هذه القصيدة فى شواهد «ما» العاملة عمل ليس ، وهو الشاهد (رقم ١٧٩) وذكرنا فى شرحه بعض أبيات من هذه القصيدة ، والبيت المستشهد به ههنا يقع بعد البيتين اللذين ذكرناهما من أول القصيدة مع الشاهد المشار إليه ، وبعده قوله :

إِذَا رَجَا الرَّكْبُ تَعْرِيسًا ذَكَرْتُ لَهُمْ ۝ عَيْشًا يَكُونُ عَلَى الْأَيْدِى لَهُ دِرَرُ
وَكَيْفَ تَرْجُونَ تَغْمِيضًا وَأَهْلُكُمُ ۝ بِحَيْثُ تلحسُ عَنْ أَوْلَادِهَا الْبَقَرُ
سِيرُوا فَإِنَّ أَبَا لَيْلَى أَمَامَكُمُ ۝ وَبَادِرُوهُ فَإِنَّ الْعُرْفَ يُبْتَدَرُ

اللغة : « فعجتها قبل ـ البيت » تقول : عجت الناقة أعوجها ، إذا عطفت رأسها بالزمام ، والضمير البارز يرجع إلى ناقته التى يرحلها فى السير إلى ممدوحه ، ويروى « فعج بها » ، وقبل ـ بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ـ أى جهة وناحية ، والأخيار : جمع خير ـ بفتح الخاء وسكون

... ...

الياء ـ وأصله خير مشدد الياء ثم خفف كما قالوا قيل وهين ولين بسكون الياء وأصل ثلاثتها تشديد الياء ، والمنزلة ـ بفتح الميم وكسر الزاى بينهما نون ساكنة ـ المراد بها ههنا المرتبة الرفيعة والطيبى : جمع مذكر سالم حذفت نونه للاضافة ، وواحده طيب ، وأراد منه ههنا الطاهر والتائث : التفت واشتملت ، وتقول : لاث الرجل عمامته يلوثها لوثا ـ من باب قال يقول قولا إذا لفها وكورها ، وتقول : لاثت المرأة إزارها على ردفها ، إذا أدارته عليه ولفته فاتزرت به والتاث مطاوع لاث ، والأزر : جمع إزار ـ بزنة كتاب ـ وهو الملحفة التى تشد على الوسط لتستر من السرة إلى أسفل ، وكنى بطيب ما التفت عليه الأزر عن حصانة فروجهم وعفتها « إذا رجع الركب ـ الخ » التعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة من عناء السفر وللنوم ، والدرر ـ بكسر الدال وفتح الراء ـ جمع درة ، وهى كثرة الدر ، وكنى بذلك عما ينالهم من خيره « وكيف ترجون تغميضا » التغميض : النوم ، والواو فى قوله « وأهلكم بحيث » واو الحال ، والمراد كيف ترجون أن تنام أعينكم وذلك لا يكون إلا عن هدوء بال واطمئنان خاطر ، وأنتم قوم ليس لهم ذلك لأن أهلكم الذين تسعون لرزقهم يقيمون فى موضع قفر لا نبات فيه ، وهذا استحثاث لهم على متابعة السير وعدم قطعه للراحة وغيرها « سيروا فإن أبا ليلى » هكذا وقع فى بعض الأصول ، ومنها شرح شواهد العينى ، ووقع فى الخزانة « سيروا فإن ابن ليلى عن أمامكم » وهو الصواب لأن المراد عمر بن عبد العزيز ، وأمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وبادروه : أسرعوا إليه ، والعرف ـ بضم العين وسكون الراء المهملتين ـ المعروف .

الإعراب : « فعجتها » الفاء حرف عطف ، عاج : فعل ماض ، وتاء المتكلم فاعله مبنى على الضم فى محل رفع ، وضمير الغائبة العائد إلى الناقة مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب « قبل » ظرف مكان متعلق بعاج منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « الأخيار » مضاف إليه « منزلة » تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة « والطيبى » الواو حرف عطف ، والطيبى : معطوف على الأخيار مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه جمع مذكر سالم ، وهو مضاف و « كل » مضاف إليه ، وكل مضاف و « ما » اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر « التائث » التاث : فعل ماض ، والتاء علامة التأنيث « به » جار ومجرور متعلق بالتاث « الأزر » فاعل التاث ، والجملة من الفعل وفاعله لا محل لها صلة الموصول .

الشاهد فيه : قوله « والطيبى كل ما التائث به الأزر » حيث جاء معمول الصفة المشبهة التى هى قوله « الطيبى » اسما مضافاً إلى الاسم الموصول .

ونحو « رَأَيْتُ رَجُلاً دَقِيقاً سِنَانُ رُمْحٍ يَطْعَنُ بِهِ » ، ومَقْرونا بأل نحو « حَسَنَ الْوَجْهُ » ومجردا نحو « حَسَن وَجْهٌ » ، ومضافا إلى أحدهما نحو « حَسَن وَجْهُ الأَبِ » ، و « حَسَن وَجْهُ أبٍ » ، ومضافا إلى ضمير الموصوف نحو « حسَن وَجْهُه » ، ومضافا إلى مضاف إلى ضميره نحو « حَسَن وَجْهُ أبيهِ » ، ومضافا إلى ضمير مضافٍ إلى مضافٍ إلى ضمير الموصوف ، نحو « مَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ حَسَنٍ وَجْهُ جَارِيَتِهَا جَمِيلَةٍ أَنْفُهُ » ذكره فى التسهيل ، ومضافا إلى ضمير معمول صفة أخرى نحو « مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حَسَنِ الْوَجْنَةِ جَمِيلٍ خَالُهَا » ذكره فى شرح التسهيل ، وجَعَل منه قوله :

٧٢٠ — سَبَتْنِي الْفَتَاةُ الْبَضَّةُ الْمُتَجَرِّدُ الـ ... لَطِيفَةُ كَشْحُهُ ، وَمَا خِلْتُ أَنْ أُسْبَى

* * *

٧٢٠ — هذا بيت من الطويل ، ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « سبتنى » الأصل فى هذه المادة قولهم : سبى فلان عدوه يسبيه سبيا — مثل رمى يرمى رميا — والاسم من ذلك السباء ، ثم قالوا : سبت فلانة فلانا ، إذا تملكت قلبه وأخضعته واستولت عليه ، على التشبيه « الفتاة » الشابة ، والمذكر فتى « البضة » بفتح الباء وتشديد الضاد — هو الوصف من قولهم : بضت الجارية تبض — من بابى ضرب وعلم — بضاضة ، وبضوضة ، إذا كانت رقيقة الجلد ناعمة فى سمن ، أدماء كانت أو بيضاء ، والرجل بض ، وهى بضة « المتجرد » جعله العينى بتشديد الراء مفتوحة — بمعنى التجرد والعرية ، وتقول : فلانة حسنة الجردة — بضم فسكون — والمجرد — بزنة معظم — والمتجرد ، وتقول : هى حسنة العرية والمعرى والمتعرى — بأوزان الثلاثة ومعانيها — كل ذلك بمعنى حسن ما استتر من جسمها بحيث لو تعرت لظهرت محاسنها ، وقد يكون المتجرد بكسر الراء مشددة ، والمراد به حينئذ الجسم ، وهذا أحسن ههنا على ما نذكره فى بيان الاستشهاد بالبيت « كشحه » الكشح — بفتح الكاف وسكون الشين — ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف « وما خلت » ما ظننت .

المعنى : يصف أنه وقع فى أسر فتاة بضة الجسم جميلة المتعرى ، وأنها تملكت بمحاسنها قلبه ، واستولت بمفاتنها على لبه ، وأنه ما كان يحسب أن يحدث له ذلك لجلادته وقوة أسره .

(فَارْفَعْ بِهَا) أى : بالصفة المشبهة (وَانْصِبْ وَجُرَّ مَعَ أَلْ وَدُونَ أَلْ مَصْحُوبَ أَلْ وَمَا اتَّصَلْ بِهَا) أى : بالصفة المشبهة (مُضَافًا أَوْ مُجَرَّدًا وَلاَ تَجْرُرْ بِهَا مَعَ أَلْ سُمًا) أى : اسماً (مِنْ أَلْ خَلاَ ، وَمِنْ إِضَافَةٍ لِتَالِيهَا ، وَمَا لَمْ يَخْلُ فَهْوَ بِالْجَوَازِ وُسِمَا) أى لمعمول هذه الصفة ثلاثُ حَالاَتٍ : الرفعُ على الفاعلية ، قال الفارسى : أو على الإبدال من ضمير مستتر فى الصفة ، والنصبُ : على التشبيه بالمفعول به إن كان معرفة ، وعلى التمييز إن كان نكرة ، والخفضُ بالإضافة ، والصفةُ مع كل من الثلاثة إما نكرة أو معرفة ، وهذه الستة فى أحوال السببي المذكورة فى التنبيه الثالث ، فتلك اثنتان وسبعون صورةً .

الإعراب : « سبتنى » سبا : فعل ماض ، والتاء علامة على تأنيث الفاعل ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به « الفتاة » فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة « البضة » صفة للفتاة ، وهو مضاف و « المتجرد » مضاف إليه « اللطيفة » صفة ثانية للفتاة ، وهو مضاف وكشح من « كشحه » على رواية الجر مضاف إليه ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد على المتجرد مضاف إليه ، ويروى برفع كشحه على أنه فاعل باللطيفة « وما » الواو واو الحال ، وما : نافية « خلت » فعل وفاعل « أن » حرف توكيد ونصب مخفف من المثقل ، واسمه ضمير شأن محذوف « أسبى » فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، وجملة الفعل ونائب فاعله فى محل رفع خبر أن ، وأن المؤكدة وما دخلت عليه سدت مسد مفعولى خال . وجملة خال ومعمولاته فى محل نصب حال .

الشاهد فيه : قوله « الفتاة البضة المتجرد اللطيفة كشحه » حيث جاء معمول الصفة المشبهة التى هى قوله « اللطيفة » اسما مضافا إلى ضمير عائد على معمول صفة أخرى . وذلك قوله « كشحه » فانه مضاف إلى ضمير عائد إلى المتجرد الذى هو معمول للبضة التى هى صفة مشبهة أخرى غير المقصودة بالاستشهاد ، ومن ههنا تعلم أن « المتجرد » ينبغى أن يكون بكسر الراء بمعنى الجسم لا بفتح الراء بمعنى التجرد ، لأن الكشح ـ وهو كما قلنا ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ـ إنما يضاف إلى الجسم على أن يكون من إضافة الجزء إلى الكل لا إلى التجرد الذى هو مصدر بمعنى التعرى . قال العينى فى نهاية شرح هذا الشاهد : « ونظيره مررت برجل حسنٍ الوجنة جميل خالها ؛ فإن المعمول مضاف إلى ضمير معمول صفة أخرى ، وهذا تركيب نادر » اهـ كلامه .

الممتنعُ منها مالزم منه إضافةُ مافيه أل إلى الخالى منها ومن الإضافة لتاليها أو لضمير تاليها كما صرح بهذا فى التسهيل ، وذلك تسعُ صور وهى : الحسنُ وَجْهٍ ، الحسنُ وجهِ أبٍ ، الحسنُ وجههِ ، الحسنُ وجهِ أبيهِ ، الحسنُ ماتحت نِقَابِهِ ، الحسنُ كلِّ ماتحت نقابه ، الحسنُ نوالِ أَعَدِّه ، الحسنُ سنانِ رمحٍ يطعن به ، الحسن وَجْهِ جاريتها الجميلُ أنفِهِ . وليس منه « الحسنُ الوجنةِ الجميلُ خَالِهَا » بجرّ خالها لإضافته إلى ضمير مافيه أل وهو الوجنة . نعم هو ضعيف ؛ لأن المبرد يمنعه كما عرفت فى باب الإضافة .

وما سوى ذلك فَجَائِز ، كما أشار إليه بقوله : « وَمَا لَمْ يَخُلْ فَهْوَ بِالْجَوَازِ وُسِمَا » : أى علم . لـكنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام : قبيحٍ ، وضعيفٍ ، وحَسَنٍ .

فالقبيح : رفْعُ الصفةِ ـ مجرَّدة كانت أو مع أل ـ المجردَ من الضمير والمضاف إلى المجرد منه ، وذلك ثمان صور هى : الحسنُ وَجْهٌ ، الحسَنُ وَجْهُ أبٍ ، حَسَنٌ وَجْهٌ ، حَسَنٌ وَجهُ أبٍ ، الحسَنُ الْوَجْهُ ، الحَسَنُ وَجْهُ الْأَبِ ، حَسَنٌ الْوَجْهُ ، حَسَنٌ وَجْهُ الْأَبِ ، وَالأَرْبَعُ الأولى أقبحُ من الثانية لما يرى من أن أل خَلَفٌ عن الضمير ، وإنما جاز ذلك ـ على قبحه ـ لقيام السببية فى المعنى مَقَامَ وُجودها فى اللفظ ، لأن معنى « حَسَن وجهٌ » حَسَنٌ وَجْهٌ لَهُ أو منه ؛ ودليلُ الجواز قولُه :

٧٢١ — بِبُهْمَةٍ مُنِيتُ شَهْمٍ قَلْبُ مُنَجَّذٍ لاَذِى كَهَامٍ يَنْبُو

---

٧٢١ — هذا بيت من الرجز ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « بهمة » بضم الباء وسكون الهاء ـ أصله من انبهام الأمر واستغلاقه ، وقالوا : فلان بهمة ، يريدون أنه فارس لا يستطيع قرنه الوصول إليه ولا يدرى طريق التغلب عليه ، وذلك من شدة بأسه وقوة مراسه ، فكأنما انبهم أمره على أقرانه وأوصدت فى وجوههم أبواب غلبته ، وقالوا للجيش «بهمة» أيضا ، وقالوا : فلان فارس بهمة ـ على الإضافة ـ كما قالوا : ليث غابة . قال متمم ابن نويرة اليربوعى :

... ...

أَعَيْنَىَّ هَلاَّ تَبْكِيَانِ لِمَالِكٍ إِذَا أَذْرَتِ الرِّيحُ الْكَنِيفَ الْمُرَفَّعَا

وَلِلشَّرْبِ فَأَبْكِى مَالِكاً وَلِبُهْمَةٍ شَدِيدٍ نَوَاحِيهَا عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا

وقع فى المفضليات « ولبهمة شديد نواحيه » وأراد بالبهمة الشجاع الذى يصعب على أقرانه ، ووقع فى اللسان « ولبهمة شديد نواحيها » على أن يكون أراد بالبهمة جماعة الفرسان « منيت » بضم الميم وكسر النون ــ ابتليت ، ومنه قول الشاعر :

وَلَوْ أَنِّى مُنِيتُ بِهَاشِمِىٍّ خُئُولَتُهُ بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ

لَهَانَ عَلَىَّ مَا أَلْقَى ، وَلَكِنْ تَعَالَوْا فَانْظُرُوا بِمَنِ ابْتَلاَنِى

« شهم » بفتح الشين وسكون الهاء ــ هو الحديد الفؤاد الجرىء الجنان المتوقد الذكاء «منجذ» بضم الميم وفتح النون وتشديد الجيم مفتوحة ــ هو المجرب للأمور الذى أحكمته التجربة وحنكته صروف الدهر وبصرته ، قال سحيم :

أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّى وَنَجَّذَنِى مُدَاوَرَةُ الشُّئُونِ

« كهام » هو بفتح الكاف ، بزنة سحاب ــ النابى عن ضريبته الكليل الذى لا يقطع ، وأراد به السيف « ينبو » أراد أنه يرتفع عن الضريبة وإذا أصاب لا يؤثر .

المعنى : يصف أنه ابتلى بشجاع صنديد يبهم أمره على قرنه فلا يعرف مأتاه ولا يدرى كيف ينال منه ، وأنه لم يبتل بخوار العزيمة ضعيف القلب صاحب سيف كليل لا ينال من ضريبته . ومن عادة العرب أن يمتدحوا أعداءهم بالشجاعة ليكون ذلك أمدح لهم وأعظم فخرا حين يتغلبون عليهم

الإعراب : « ببهمة » جار ومجرور متعلق بقوله « منيت » الآتى « منيت » فعل ماض مبنى للمجهول ، وتاء المتكلم نائب فاعل مبنى على الضم فى محل رفع « شهم » صفة لبهمة ، مجرور بالكسرة الظاهرة « قلب » فاعل بشهم مرفوع بالضمة الظاهرة « منجذ » صفة ثانية لبهمة مجرور بالكسرة الظاهرة «لا» حرف عطف « ذى » معطوف على بهمة مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه من الأسماء الخمسة ، وهو مضاف و « كهام » مضاف إليه « ينبو » فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى كهام ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل جر صفة لكهام : أى منيت برجل بهمة شهم القلب مجرب لا برجل صاحب سيف ناب .

الشاهد فيه : قوله « شهم قلب » حيث جاء فيه معمول الصفة المشبهة التى هى قوله شهم ، اسما مرفوعا غير سببى ، نعنى أنه لارابط فى اللفظ بينه وبين الصفة ، فلا هو مضاف إلى ضمير ولا

فهو نظير حَسَنٌ وَجْهٌ . والمجوِّز لهذه الصورة مُجَوِّز لنظائرها ، إذ لا فرق .

والضعيفُ : نصبُ الصفة المنكَّرة المعارفَ مطلقاً ، وجَرُّها إياها سوى المعرف بأل والمضاف إلى المعرف بها ، وجرُّ المقرونة بأل المضافَ إلى ضمير المقرون بها ، وذلك خَمْسَ عَشْرَةَ صورةً ، هى : حَسَنٌ الْوَجْهَ ، حَسَنٌ وَجهَ الْأَبِ ، حَسَنٌ وَجْهَهُ ، حَسَنٌ وَجهَ أبيهِ، حَسَنٌ مَاتَحْتَ نِقَابِهِ ، حسن كلَّ ما تحت نقابه ، حسن وَجْهَ جاريتها جميلة أنْفَهَ ، حَسَن الوجنة جميل خَالَهَا ، وحَسَنُ وجهِهِ ، حَسنُ وَجْهِ أبيهِ ، حَسَنُ ماتحت نقابهِ ، حَسَنُ كلِّ ماتحت نقابه ، حسن وجه جاريتها جميلة أنفهِ ، حسن الوجنة جميل خالِهَا ، والحسن الوجنة الجميل خالِهَا . ويدلُّ للجواز فى الأول والثانى قولُه :

٧٢٢ — وَنَأْخُذْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبَّ الظَّهرَ ليس له سنَامُ

هو مقترن بال . وهذا يدل على جواز نحو قولك « محمد حسن وجه » برفع الوجه على الفاعلية مع كونه غير مقترن بأل ولا مضاف . وهذا — مع وروده فى الشعر العربى — من أقبح القبيح ، لما ذكرنا من خلو اللفظ من الرابط بينها وبين الاسم الموصوف بها ، لأن الصفة لما رفعت الاسم الظاهر لم يكن فيها ضمير مستتر .

٧٢٢ — هذا بيت من الوافر ، وهو من كلام النابغة الذبيانى . وكان النابغة قد فر من وجه النعمان بن المنذر حين بلغه غضبه عليه ، ثم علم أنه مريض وأنه يحمل فيما بين الحيرة والغمر على سرير لشدة ما يعانيه ، حتى أشفق عليه خلصانه ، فأتى النابغة يزوره ، وفى ذلك يقول لعصام حاجب النعمان بن المنذر :

أَلَمْ أُقْسِمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِّى أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّعْشِ الْهُمَامُ
فَإِنِّى لاَ أُلاَمُ عَلَى دُخُولٍ وَلٰكِنْ ، مَا وَرَاءَكَ يَاعِصَامُ
فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ النَّاسِ وَالْبَلَدُ الحَرَامُ
وَنَأْخُذْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبَّ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ

اللغة : « ألم أقسم عليك — البيت » أراد بالنعش السرير الذى كان أتباع الملك يحملونه عليه ثم يحملونه على أكتافهم ، ويقال : أراد هل مات الملك فيحمل على النعش ، والهمام — بضم الميم ، وبزنة الشجاع — السيد الشريف « فإنى لا ألام — البيت » أراد فإنى لا ألام على ترك الدخول عليه لأنه حجبنى ومنعنى الوصول إليه ولا أقدر على الدخول لأنه حانق علىّ ، وقوله

... ...

« ما وراءك يا عصام » معناه أخبرنى عن حقيقة حاله وكنه أمره ، وقد جرت مجرى الأمثال «فإن يهلك أبو قابوس » يهلك : مضارع من الهلاك وهو الموت ، وأبو قابوس: كنية الملك النعمان ابن المنذر ، وقد ذكرها النابغة فى قوله :

أُنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلاَ قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ

« ربيع الناس » شبه الملك بالربيع الذى تنزل فيه الخيرات لكثرة عطائه وعظيم بره وفضله « والبلد الحرام » وشبهه بالبلد الحرام لأن رحابه موضع الأمن من كل مخافة وفى كنفه يلجأ الخائفون فلا تجسر يد على أن تمتد إليهم ، ويروى « والشهر الحرام » وفيه معنى لطيف ، وذلك أن الشهر الحرام تعقبه شهور تستحل فيها الناس الحرمات فيغير بعضهم على بعض ويبغى بعضهم على بعض وينال بعضهم من بعض ، فموت أبى قابوس كتصرم الشهر الحرام تعقبه المفاسد والشرور « ونأخذ بعده بذناب عيش ــ البيت » يروى « ونمسك بعده » والمراد على كل حال أننا نبقى بعده فى جهد ومشقة وسوء حال ونصير إلى معيشة لا خير فيها . وقد شبه العيش ببعير ثم جعله مقطوع الظهر لا سنام له . وذناب كل شىء ــ بكسر الذال المعجمة ــ عقبه وما يأتى فى أواخره « أجب الظهر» معناه مقطوع الظهر كأن قد جب سنامه وقطع ، ويقال : بعير أجب ، وناقة جباء

الإعراب : « ونأخذ » الواو حرف عطف ، نأخذ : فعل مضارع معطوف على يهلك فى البيت السابق على بيت الشاهد ، وفاعل نأخذ ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره نحن «بعده» بعد : ظرف متعلق بنأخذ منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد إلى أبى قابوس مضاف إليه « بذناب » جار ومجرور متعلق بنأخذ ، وذناب مضاف و « عيش » مضاف إليه «أجب» صفة لعيش مجرورة بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل ، وفيه ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى العيش ، وهو فاعله « الظهر» منصوب على التشبيه بالمفعول به ، ويجوز فى الظهر الجر على أن يكون أجب مضافا والظهر مضافا إليه ، ويجوز فيه الرفع على أن يكون أجب خاليا من الضمير ويكون الظهر فاعلا به ، والوجه الأول الذى أعربنا عليه فى بداية الأمر وجه ضعيف لما سنذكر فى بيان الاستشهاد بالبيت « ليس » فعل ماض ناقص « له » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ليس تقدم على اسمه « سنام » اسم ليس ، والجملة من ليس واسمه وخبره فى محل جر صفة أخرى لعيش .

الشاهد فيه : قوله « أجب الظهر » . واعلم أولا أن هذه الكلمة تروى بثلاثة أوجه : الأول رفع « الظهر » وتخرّج هذه الرواية على أن الظهر فاعل لأجبّ ، وهـذا وجه قبيح ، والوجه

... ...

الثانى نصب « الظهر » وتخرج هذه الرواية على أن فاعل الصفة ضمير مستتر فيها والظهر منصوب على التشبيه بالمفعول به ، وهذا وجه ضعيف . والوجه الثالث جر « الظهر » وتخرج هذه الرواية على أن يكون « أجب » مضافا والظهر مضافا إليه مجرورا بالكسرة من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها .

واعلم ثانيا أن وجه قبح الوجه الأول ما يتضمنه من خلو الصفة وهى « أجب الظهر » من ضمير يعود على الموصوف وهو « عيش » وقد علم أن كل صفة لابد أن تشتمل على ضمير يعود منها على الموصوف بها . فإن قلت : فقد كان ينبغى أن يمتنع هذا الوجه لما ذكرت من فقدانه ما هو أصل فى الصفة ، فكيف قلتم بجوازه مع ذلك ؟ فالجواب ما أشار إليه الشارح من أن « أل » فى فاعل الصفة خلف عن الضمير ، وقد دل السماع على الجواز فلزم أن نتوسع فى هذا الأصل الذى ذكرناه فى الصفة بأن نقول : إن المراد أنه لابد من اشتمال الصفة على ضمير يعود منها على الموصوف إما مذكور بنفسه أو ببدله وإما مقدر . ووجه ضعف الوجه الثانى ما تضمنه من إجراء الوصف المأخوذ من مصدر الفعل القاصر مجرى الوصف المأخوذ من مصدر الفعل المتعدى ، ألا ترى أن معمول الصفة ههنا مقترن بأل فلم يمكن جعله تمييزا على المذهب الصحيح من مذاهب النحاة ، ولم يمكن جعله مفعولا به حقيقة لأن الصفة المشبهة لا تؤخذ إلا من مصادر الأفعال القاصرة ، والفعل القاصر نفسه لا ينصب المفعول به مع أنه يعمل بنفسه لا بالحمل على عامل آخر ، فلم يبق إلا أن ننصبه على أنه شبيه بالمفعول به فى ما ذكر الشارح أول الباب ، وفى الصفة — على هذا الوجه — ضمير يعود منها إلى الموصوف وهو فاعل الصفة . فان قلت : فلم لم تجعلوا هذا الوجه قبيحا كما جعلتم الوجه الذى قبله ؟ قلت : الجواب عن هذا أن خلو الصفة من ضمير يعود منها إلى الموصوف ليس من الشروط التى يستهان بها ، بدليل أنا لم نتجاوز عن هذا الضمير بتة ولكنا اعتبرناه موجوداً بوجود بدله ، فأما إجراء القاصر مجرى المتعدى لمشابهة بينهما تقتضى هذا الإجراء فأمره أهون من سابقه ، فلهذا افترق الحكم على الوجهين بافتراق أمر ما اشتمل عليه كل واحد منهما ، ولما كان الوجه الثالث لا يترتب عليه واحد من هذين المحذورين كان وجها سائغا لا قبح فيه ولا ضعف .

واعلم ثالثا أن مراد الشارح رحمه الله تعالى بهذا البيت الاستدلال على أنه يجوز أن تنصب الصفة المشبهة باسم الفاعل المجردة من أل معمولها المقترن بأل أو المضاف إلى اسم مقترن بأل ، فالأول نحو: محمد حسن الوجه — بتنوين حسن وبنصب الوجه — والثانى: نحو محمد حسن وجه الأب — بتنوين حسن وبنصب وجه أيضا — وهذا الاستدلال إنما يتم على رواية نصب الظهر فى بيت الشاهد ، وهى إحدى روايات ثلاث قد ذكرناها لك هنا وفى الإعراب ، وهى رواية أبى عبيدة .

فى رواية نصب « الظهر » . وفى بقية المنصوبات قوله :

٧٢٣ — أَنْعَتُهَا إِنِّىَ مِنْ نُعَّاتِهَا كُومَ الذُّرَا وَادِقَةً سُرَّاتِهَا

فإن قلت: فان الاستدلال بهذه الرواية إنما يتم على أحد شقى هذه المسألة وهو المثال الأول فيما ذكرته، فكيف تستدلون به على المثالين جميعا ؟ قلت : لأنه لا فرق بين المعمول المقرون بأل والمعمول المضاف إلى اسم مقترن بأل ، فإذا وافقت صورة الشاهد صورة منهما فقد دلت على جواز الأخرى بسبب انتفاء الفارق بينهما .

٧٢٣ — هذا بيت من الرجز ملفق من بيتين ، وصواب الإنشاد فيهما — على ما أنشده الفراء عن الكسائى ، ورواه ثعلب ، وذكره أبو على فى المسائل البصرية — هكذا :

أَنْعَتُهَا إِنِّىَ مِنْ نُعَّاتِهَا مُدَارَةَ الْأَخْفَافِ مُجْمَرَاتِهَا
غُلْبَ الذَّفَارَى وَعفَرْنَيَاتِهَا كُومَ الذُّرَا وَادِقَةً سُرَّاتِهَا

وقال البغدادى فى الخزانة (٣ / ٤٧٩) : « وهذا الرجز لم ينسبه ابن الأعرابى إلى أحد ، وإنما قال هو لبعض الأسديين يصف إبلا ، وقال العينى : قائله عمير بن لحا بالحاء المهملة التيمى . ولم أعرف شاعرا كذا ، وإنما المعروف عمرو بن لجأ التيمى ، وعمرو مكبر لا مصغر ، ولجأ بفتح اللام والجيم مهموز الآخر ، والله أعلم بحقيقة الأمر » اه كلامه بحروفه .

اللغة : « أنعتها إنى من نعاتها » الضمير البارز المتصل عائد إلى الإبل ، والأوصاف الآتية كلها من أوصاف الإبل ، وتقول : نعته ينعته نعتا — من باب نفع — إذا وصفه ، والنعات — بضم النون وتشديد العين المهملة — جمع ناعت ، وهو اسم فاعل من مصدر الفعل المذكور « مدارة الأخفاف » الرواية بنصب « مدارة » وتخريجها على أن تكون مفعولا به لفعل محذوف تقديره أعنى ونحوه ، والمقصود من هذه الأوصاف المدح ، والمراد بهذه العبارة أن أخفاف هذه الإبل مدورة ، ومدار — بضم الميم وفتح الدال مخففة — اسم مفعول فعله أدار بمعنى جعله مستديرا « مجمراتها » بضم الميم وسكون الجيم وفتح الميم والراء — جمع مجمر ، وتقول : حافر مجمر ، ومعناه أنه صلب « غلب » بضم الغين المعجمة وسكون اللام — جمع أغلب ، وهو وصف من الغلب — بفتح الغين واللام — وهو غلظ الرقبة « الذفارى » جمع ذفرى — بكسر فسكون — الموضع الذى يعرق من قفا البعير خلف أذنه ، وأراد بالذفرى ههنا الرقبة كلها من باب إطلاق اسم الجزء على الكل « عفرنياتها » جمع عفرناة — بفتحتين بعدهما سكون — وألفه زائدة للالحاق بسفرجل — وتقول : ناقة عفرناة ، إذا كانت شديدة قوية « كوم الذرا » الكوم : جمع كوماء ، وهى العظيمة السنام ، والذرا — بضم الذال — جمع ذروة — بكسر الذال — وهى أعلى كل شىء ، وأراد

إذ لا فَرْقَ . وفى المجرورات سوى الأخير قوله :

٧٢٤ — أَقَامَتْ عَلَى رَبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفًا كُمَيْتَا الْأَعَالِى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا

أعلى السنام « وادقة » أراد سمينة ، وتقول : بعير وديق السرة ، إذا كان سمينها ، ووادقة ههنا صفة مشبهة وإن كانت على زنة اسم الفاعل لأنه لا يراد بها هنا إلا ثبات معناها ودوامه وذلك معنى الصفة المشبهة « سراتها » بضم السين وتشديد الراء ـ جمع سرة ، وهى الموضع الذى تقطعه القابلة من الولد .

الإعراب : « أنعتها » أنعت : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، وضمير الغائبة العائد إلى الإبل مفعول به « إنى » إن : حرف توكيد ونصب ، وياء المتكلم اسم إن « من نعاتها » الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن ، ونعات مضاف وضمير الغائبة مضاف إليه « كوم » مفعول به لفعل محذوف منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « الذرا » مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « وادقة » يجوز أن يكون مفعولا به لفعل محذوف ، كما يجوز أن يكون معطوفا على كوم الذرا بعاطف مقدر ، وفيه ضمير مستتر جوازا هو فاعله « سراتها » سرات : منصوب بوادقة على التشبيه بالمفعول به ، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ، والضمير مضاف إليه .

الشاهد فيه : قوله « وادقة سراتها » حيث ورد فيه معمول الصفة المشبهة المجردة من أل التى هى قوله « وادقة » اسما مضافا إلى الضمير منصوبا بها ، وذلك يدل على أنه يجوز نصب « وجهه » فى قولنا « زيد حسن وجهه » لأنه على صورة المسموع ، ويدل على أنه يجوز نصب « وجه » فى قولنا « زيد حسن وجه أبيه » لانتفاء الفارق بين الاسم المضاف إلى الضمير والاسم المضاف إلى اسم مضاف إلى الضمير على نحو ما قررناه فى شرح الشاهد السابق .

٧٢٤ — هذا بيت من الطويل ، وهو من شواهد سيبويه ، ومن شواهد المحقق الرضى فى شرح الكافية ، وهو من قصيدة للشماخ بن ضرار الغطفانى يمدح فيها يزيد بن مربع الأنصارى ، وقيل البيت ـ وهو مطلع القصيدة ـ قوله :

أَمِنْ دِمْنَتَيْنِ عَرَّجَ الرَّكْبُ فِيهِمَا بِحَقْلِ الرُّخَامَى قَدْ أَنَى لِبِلَاهُمَا

أَقَامَتْ عَلَى رَبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفًا كُمَيْتَا الْأَعَالِى ... البيت وبعده :

وَإِرْثُ رَمَادٍ كَالْحَمَامَةِ مَائِلٌ وَنُؤْيَانِ مِنْ مَظْلُومَتَيْنِ كُدَاهُمَا

أَقَامَا لِلَيْلَى وَالرَّبَابِ وَزَالَتَا بِذَاتِ السَّلَامِ قَدْ عَفَا طَلَلَاهُمَا

... ...

فَفَاضَتْ دُمُوعِي فِي الرِّدَاءِ كَأَنَّهَا عَزَالِي شَعِيبٍ مُخْلِفٍ وَكُلاَهُمَا
لَيَالِيَ لَيْلَى لَمْ يُشَبْ عَذْبُ مَائِهَا بِمِلْحٍ وَحَبْلاَنَا مَتِينٌ قُوَاهُمَا
وَلُودَيْنِ لِلْبِيضِ الْهِجَانِ وَحَالِكٌ مِنَ اللَّوْنِ غِرْبِيبٌ بَهِيمٌ عَلاَهُمَا

اللغة : «أمن دمنتين ـ إلخ» الاستفهام ههنا تقريرى ، ومتعلق الجاروالمجرور محذوف يقدر بنحو أتجزع ، والحديث مع نفسه ، والدمنة ـ بكسر فسكون ـ الموضع الذى أثر الناس فيه بنزولهم وإقامتهم ، والتعريس : نزول المسافرين فى آخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون . والركب : ركاب الإبل خاصة ، واحدهم راكب ، والحقل ـ بفتح فسكون ـ المزرعة التى ليس عليها بناء ولا شجر ، والرخامى ـ بضم أوله وآخره مقصور ـ شجر مثل الضال وهو السدر البرى ، وأنى : فعل ماض معناه حان وقرب ، والبلى ـ بكسر الباء ـ الفناء والذهاب بالمرة ، واللام المتصلة به زائدة «أقامت على ربعيهما ـ البيت» الربع : الدار والمنزل ، والضمير يعود إلى الدمنتين ، وجارتا صفا : هو فاعل أقامت ، وعنى بجارتى الصفا الأثفيتين ، والصفا ـ بفتح الصاد ـ الصخر الأملس واحده صفاة ، وإنما عبر عن الأثفيتين بجارتى صفا لأنهما اقتطعتا منه أو لأنهما توضعان بجانب الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة الأثافى ، وكميتا الأعالى : تثنية كميت ، وهو مأخوذ من الكمتة وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد ، يعنى أن أعالى الأثفيتين لم تسود لبعدهما عن النار ، وجونتا : تثنية جونة ، وهى السوداء ، والمصطلى ـ بضم الميم وسكون الصاد ـ اسم مكان من اصطلى أى احترق ، فيكون المصطلى موضع احتراق النار ، يريد أن أسافل الأثفيتين قد اسودت من إيقاد النار بينها «وإرث رماد كالحمامة ـ البيت» إرث رماد : هو معطوف على قوله جارتا صفا ، وإرث كل شىء : أصله ، والحمامة ههنا يراد بها القطاة ، شبه لون التراب بريش القطاة ، وماثل : أى منتصب قائم ، والنؤى ـ بضم النون وسكون الهمزة ـ حفيرة تحفر حول الخباء لتمنع عنه المطر ، والمظلومة : الأرض الغليظة التى يحفر فيها فى موضع غير موضع الحفر ، والكدى : جمع كدية ـ مثل مدية ومدى ـ وهى الأرض الغليظة «أقاما لليلى والرباب ـ البيت» اللام فى قوله «لليلى» بمعنى بعد ، وليلى والرباب : اسمان من أسماء النساء ، وذات السلام : موضع ، وعفا : درس وتغير وذهبت معالمه ، والطلل ـ بفتح الطاء واللام ـ ما بقى من آثار الديار شاخصا كالوتد والأثافى ، فاذا لم يكن شاخصا كملاعب الغلمان وآثار الرماد سمى رسما «ففاضت دموعى فى الرداء ـ البيت» العزالى : جمع عزلاء ـ بفتح فسكون ـ وهو فم القربة ومصب الماء من المزادة ، والشعيب : المزادة والراوية ، والكلى : جمع كلية ، وهى الرقعة تكون فى المزادة ، يريد أن دموعه سالت كما يسيل الماء من القربة البالية التى استقى منها «ليالى ليلى لم يشب ـ البيت» يشب : يخلط ،

... ...

وعذب مائها : هو ضد الملح ، وأراد بالحبلين ما كان بينهما من عهد وذمة ، ومتين : قوى شديد والقوى : جمع قوة. والمعنى أن ودهما إذ ذاك محكم صحيح لم يفسده شىء « ولودين للبيض الهجان ـ الخ » ولودين : هو من صفات جارتى الصفا ، والبيض أراد به الرماد ، والهجان بدل منـه ، والحالك : الشديد السواد ، وغربيب وبهيم بمعنى حالك ، وعلاهما : أى صار فوقهما ، والمعنى أن الأثفيتين اجتمع بينهما الرماد وأن أعلاهما مسودّ .

الإعراب : « أقامت » أقام : فعل ماض ، والتاء علامة التأنيث « على ربعيهما » الجار والمجرور متعلق بأقام ، وربعى مضاف وضمير الغائبتين العائد إلى الدمنتين مضاف إليه « جارتا » فاعل أقامت مرفوع بالألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، وهو مضاف و « صفا » مضاف إليـه مجرور بكسرة مقدرة على الألف المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر « كميتا » نعت لقوله جارتا صفا مرفوع بالألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، وهو مضاف و « الأعالى » مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة إلى معمولها « جونتا » نعت ثان لقوله جارتا صفا مرفوع أيضا بالألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، وهو مضاف ومصطلى من « مصطلاهما » مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعـذر ، وهو مضاف وضمير الغائبتين العائد إلى جارتى الصفا مضاف إليه ، وستعرف فيه كلاما طويلا فى بيان الاستشهاد .

الشاهد فيه : قوله « جونتا مصطلاهما » وفى الاستدلال بهذه العبارة خلاف بين العلماء سنحاول إيجازه وتقريبه إليك : فقد ذهب سيبويه رحمه الله إلى أن ضمير المثنى فى « مصطلاهما » راجع إلى قوله « جارتا صفا » الموصوف بقوله « جونتا » وجعل الصفة مضافة إلى معمولها بدليل حذف النون التى تنوب فى المثنى عن تنوين الاسم المفرد ، وكأنه قد قال : هاتان جارتا صفا جونتا مصطلى الجارتين ، فهو نظير قولنا هند حسنة وجهها ، وزيد حسن وجهه ، بإضافة الصفة إلى معمولها ، فالصفة المجردة من أل قد أضيفت إلى معمولها المضاف إلى ضمير عائد على الموصوف. ويجب أن تتنبه إلى أن تخريج سيبويه لهذه العبارة يجرى فى كل جزء من أجزائه على المشهور المعروف فى العربية ، فضمير الاثنتين فى « مصطلاهما » عائد على اثنتين وهما « جارتا صفا » والنون قد حذفت من المثنى فى قوله « جونتا » للإضافة كما هو قياس نظائر ذلك ، قال الأعلم الشنتمرى : « الشاهد فى قوله جونتا مصطلاها ، فجونتا بمنزلة حسنتا ، ومصطلاها بمنزلة وجوههما ، والضمير الذى فى مصطلاهما يعود على قوله جارتا صفا . هذا مذهب سيبويه » اهـ كلامه ، أى فيكون من إضافة معمول الصفة المشبهة إلى ضمير موصوفها . وذهب قوم من النحاة ـ منهم السيرافى والمبرد ـ إلى أن الضمير المثنى فى « مصطلاهما » عائد إلى الأعالى ـ فكأنه قد قال : كميتا الأعالى جونتا مصطلى الأعالى ، وذلك نظير

... ...

قولك : مررت بفتاتين حسنتى الغلام جميلتى وجهه ، نعنى أنه من باب إضافة معمول الصفة المشبهة إلى ضمير عائد إلى معمول صفة أخرى ، فإن قلت : فالأعالى جمـع ، والضمير الذى أضيف إليه المصطلى فى قوله « مصطلاهما » مثنى ، فكيف يعود الضمير المثنى على جمع مع أن من شرط ضمير الغيبة موافقة مرجعه ؟ قلت : الجواب عن ذلك ما قاله الزمخشرى من أن الجمع إذا كان المراد به اثنين جاز أن يعود عليه الضمير مثنى بالنظر إلى المعنى المقصود منه ، والأعالى ههنا بهذه المنزلة فهو ـ وإن كان جمعاً فى اللفظ ـ مثنى فى المعنى ، ألست ترى أن المراد به أعلى الأثفيتين ، ولا شك أن لـكل أثفية أعلى واحد ، فيكون للأثفيتين أعليان لا أعالى ، ومن هـــذه البابة قول عنترة ابن شداد العبسى:

مَتَى مَاتَلْقَـنِى فَرْدَيْنِ تَرْجُفْ رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

على أن الألف فى « تستطارا » ألف الاثنين وحذفت النون لأن الفعل المضارع المبنى للمجهول معطوف على جواب الشرط الذى هو قوله « ترجف روانف ـ إلخ » فأنت ترى أن ألف التثنية قد عادت على الجمع الذى هو قوله « روانف أليتيك » مع أنه فى اللفظ جمع ، وذلك لأنه فى الحقيقة مثنى ، إذ ليس للانسان إلا رانفتان .

وهذا التخريج فى بيت الشاهد هو تخريج جماعة من النحاة منهم على ماذكرنا السيرافى وأبو العباس المبرد كما ذكره المحقق الرضى فى شرح الـكافة ، وهو ـ على ما قال الرضى ـ تكلف لا داعى له .

قال الأعلم انتصارا لسيبويه : « والصحيح مذهب سيبويه ، وأن الضمير فى مصطلاهما عائد على جارتا صفا ، لأن الشاعر لم يرد أن يقسم الأعالى فيجعل بعضها كمتا وبعضها جونا مسوداً ، و إنما قسم الأثفيتين فجعل أعلاهما كمتاً لبعده عن النار وأسفلهما جونا لمباشرته النار » اهـ كلامه .

وقال جار الله الزمخشرى فى تأييد مذهب سيبويه أيضاً : « وما قالوه غير مستقيم لأن عود الضمير المثنى إلى التثنية أولى من رده إلى الأعالى التى هى جمع ، وتأولها بالتثنية تكلف لا حاجة إليه » اهـ .

ونقل العلامة البغدادى عن أبى بكر بن ناهض القرطبى فى تفنيد ما ذهب إليه المبرد قوله : «وهذا التأويل حسن فى إعادة الضمير الذى فى مصطلاهما إلى الأعالى ، لولا ما يدخل البيتين من فساد المعنى ، وذلك أنك إذا قلت كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما كان معناه اسودت الجارتان (يريد الأثفيتين اللتين عبر عنهما بقوله جارتا صفا) واصطلى أعاليهما ، كما أن معنى قولك الهندان حسنتا

... ...

الوجوه مليحتا خدودهما هو معنى قولك حسنت وجوههما وملحت خدودهما ، فكذلك يجب أن يكون مصطلاهما إذا أعيد الضمير إلى الأعالى ـ أن يكون قد اصطلت الأعالى ، وإذا اصطلت الأعالى فقد اسودت ، وهو يخبر أنهما لم يسودا لأنهما لا يصل الدخان إليهما . والدليل على ذلك أنه وصف الأعالى بالكمتة ولم يصف بالسواد كما وصف الجارتين ، فلا يشبه هذا قولك : الهندان حسنتا الوجوه مليحتا خدودهما ، لأن كل واحد من هذين الضميرين قد ارتفع بفعله ، فكان يجب أن يرفع ضمير الأعالى بفعله ، فيكون على هذا الأعالى قد اصطلت بالنار ، وهذا خلاف ما أراد الشاعر ، لأنه ذكر أنه لم يصطل منها غير الجارتين ، وأن الأعالى لم يصل إليها الدخان ، فهذا خلاف ما نظره النحويون وقاسوه ، فلا بد فى معنى البيتين مما ذهب إليه سيبويه من أن الضمير فى مصطلاهما يعود على الجارتين » اهـ كلامه ، وفيه نوع قلق وتكرار فى العبارة .

وقال أبو الفتح بن جنى فى باب الحمل على المعنى من الخصائص : « اعلم أن العرب إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ (يريد أنه إذا كان لفظ مفردا ومعناه جمعاً مثلا ، فإن العرب تجيز مراعاة لفظه ومراعاة معناه ، ولكن جرت عادتهم أنهم إذا راعوا المعنى فى أسلوب لم يعودوا فى هذا الكلام إلى مراعاة اللفظ ، والعكس بالعكس) كقولك : شكرت من أحسنوا إلىّ على فعله ، ولو قلت : شكرت من أحسن إلى على فعلهم ـ جاز ، ولهذا ضعف عندنا أن يكون هما من مصطلاهما فى قوله :

* كُمَيْتَا الْأَعَالِى جَوْنَتَا مُصْطلاَهُمَا *

عائدا على الأعالى فى المعنى ؛ إذ كانا أعليين اثنين ؛ لأنه موضع قد ترك فيه لفظ التثنية حملا على المعنى ، لأنه جعل كل جهة منهما أعلى ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهذا بعير ذو عثانين ، ونحو ذلك ، أو لأن الأعليين شيآن من شيئين ، فإذا كان قد انصرف عن اللفظ إلى غيره ضعفت معاودته إياه ، لأنه انتكاث وتراجع ، فجرى ذلك مجرى إدغام الملحق وتوكيد ما حذف » اهـ .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : وقد طال القول فى هذه العبارة ، وتعددت وجوه الرد على تخريج المبرد ومن لف لفه ، حتى تشذر ، وأنا أجمع لك هذا كله فى عبارة وجيزة واضحة القصد إن شاء الله ، فأقول :

ذهب سيبويه رحمه الله فى قوله « جونتا مصطلاهما » إلى أن الضمير الموضوع للتثنية عائد إلى مثنى لفظا ومعنى وهو قوله « جارتا صفا » ، وأن هذه العبارة من باب إضافة معمول الصفة المشبهة إلى ضمير موصوفها فهو نظير قولك : هاتان فتاتان كريمتا الأب شريفتا نسبهما ، فشريف :

....

صفة مشبهة ومعمولها مضاف إلى ضمير عائد على الموصوف بهـذه الصفة وهو فتاتان . وذهب أبو العباس المبرد إلى أن الضمير فى « مصطلاهما » لا يعود إلى قوله « جارتا صفا » الموصوف ولـكنه يعود إلى معمول آخر لصفة أخرى وهو قوله « الأعالى » فى قوله كميتا الأعالى ، وهذا من باب إضافة معمول الصفة المشبهة إلى ضمير موصوف غير موصوفها، فهو نظير قولك : هاتان فتاتان مليحتا الوجه جميلتا عينيه ، فان الضمير فى « عينيه » لا يعود إلى الفتاتين الموصوفتين بهذه الصفة ، ولـكنه يعود إلى الوجه المعمول لقوله « مليحتا » .

وقد رد العلماء ما ذهب إليه المبرد ومن معه بأنه مستلزم لـكثير من أنواع الفساد : (أولها) أنه يلزم عليه عود الضمير الموضوع للمثنى إلى الجمع ، وقد التمس لهذا الوجه تخريج يجعله سائغاً ، ولـكن جار الله الزمخشرى مع أنه واحد ممن التمس له هذا الوجه عاد فذكر أنه من التكلف بحيث لا يصار إليه (الثانى) أنه يلزم عليه فساد المعنى ، وذلك لأنه يصير معنى الـكلام أن بعض أعلى الأثفيتين كميت كما يدل عليه قوله « كميتا الأعالى » وبعض الأعلى الآخر جون أى أسود كما يدل عليه قوله «جونتا مصطلى الأعالى» مع أن الشاعر لا يريد ذلك ، وإنما يريد أن الأثفيتين أنفسهما قد صار لون أعلاهما الـكمتة ، وقد صار موضع الاصطلاء منهما جونا . وهـذا الوجه هو الذى ذكره الأعلم الشنتمرى. وقد ذكر القرطبى لفساد المعنى وجها آخر غير هذا الوجه ، وحاصله أنه يلزم أن يكون المعنى أن أعالى الأثفيتين قد اسودت وأن مصطلاهما قد اسود أيضا ، وهذا غير ما يريده الشاعر (الثالث) أنه يلزم عليه مخالفة ما جرى عليه أسلوب العرب ، فإن من عادتهم فى كلامهم إذا كان لفظ له معنى يخالف لفظه من جهة الإفراد والتثنية والجمع ـ وذلك مثل « من » الموصولة فإن لفظها مفرد وقد يكون معناها مفرداً أو مثنى أو جمعاً ، ومثل «كلا » فإن لفظها مفرد ومعناها مثنى ، ومثل « كل » فإن لفظها مفرد ومعناها جمع ، ومن هذا الباب « الأعالى » فى قوله « كميتا الأعالى » فإنه جمع فى اللفظ مثنى فى المعنى ـ فإنهم إذا بدأوا الـكلام بمراعاة المعنى لم يرجعوا فى نفس هذا الـكلام إلى مراعاة اللفظ ، وإذا بدأوا كلامهم بمراعاة اللفظ جاز أن يعودوا فى نفس هذا الـكلام إلى مراعاة المعنى ، انظر إلى قوله تعالى : (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا) فقد بدأ بمراعاة لفظ « من » فجاء بالفعل مفرداً مذكراً فقال (يقنت) ثم رجع إلى مراعاة المعنى فقال (وتعمل صالحا) بالتأنيث ، وههنا نجد الشاعر قد بدأ الـكلام بمراعاة المعنى فقال « كميتا الأعالى » فجمع مع أنهما أعليان فقط فإذا جعلت الضمير فى « مصطلاهما » راجعا إلى الأعالى فقد نقضت ما بدأته ، وهـذا الوجه هو الذى ذكره أبو الفتح بن جنى . وبحسبك هذا فقد أطلت عليك .

والجرُّ عند سيبويه فى هذا النوع من الضَّرورات ، ومنعه المبرد مطلقاً ؛ لأنه يشبه إضافة الشيء إلى نفسه ، وأجازه الكوفيون فى السَّعة ، وهو الصحيح ، ففى حديث أم زرع « صِفْرُ وشاحِها » وفى حديث الدجال « أعْوَرَ عَيْنِهِ الْيُمْنَى » وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم « شثْن أصَابعِهِ » ويَدُلُّ للأخير قوله :

* سَبَتْنِي الْفَتَاةُ الْبَضَّةُ[1] ... البيتَ *

فى رواية جر « كشحه » .

وأما الْحَسَنُ فهو ماعدا ذلك . وجملته أربعون صورة ، وهى تنقسم إلى حسن وأحسن ، فما كان فيه ضمير واحد أحسن مما فيه ضميران .

وقد وضعت لذلك جَدْوَلا تتعرَّفُ منه أمثِلَتَهُ وأحكامه على التفصيل المذكور بسهولة ، مشيرا إلى مالبعضها من دليل بإشارة هندية ، و إن كان كثيرا أشرت إلى كثرته بكاف عربية ، جامعاً فى ذلك بين كل متناسبين بإشارة واحدة ، وهو هذا[2] :

(١) هو الشاهد رقم ٧٢٠ الذى مضى مشروحا فى ص ١٢٩ وسيأتى ذكره فى شواهد الجدول أيضا .

(٢) الجدول هو المرسوم فى ص ١٤٤

الصفة	السببى	الرفع	النصب	الجر
زيد الحسن	الوجه	قبيح	أحسن (٨)	أحسن ال
زيد الحسن	وجه الأب			
زيد الحسن	وجها	قبيح	(٩)	حسن
زيد الحسن	وجه أب			
زيد الحسن	وجهه			
زيد الحسن	وجه أبيه		أحسن	
زيد الحسن	ما تحت نقابه			
زيد الحسن	كل ما تحت نقابه			
زيد الحسن	نوال أعده	أحسن (١٠)		
زيد الحسن	سنان رمح يطعن به			
الحسن وجه جارية جميل أنفه	أنفه			
زيد الحسن الوجه الجميل	خالها			ضعيف (٧)

الصفة	السببى	الرفع	النصب	الجر
حسن	الوجه	قبيح	ضعيف (٢)	أحسن ال (١)
حسن	وجه الاب			
حسن	وجها	قبيح (٤)	أحسن (٣)	
حسن	وجه أب			
حسن	وجهه	أحسن ال (٥)	ضعيف	ضعيف
حسن	وجه أبيه			
حسن	ما تحت نقابه			
حسن	كل ما تحت نقابه			
حسن	نوال أعدّه	أحسن ال (٦)	حسن	حسن
حسن	سنان رمح يطعن به			
حسن وجه جارية جميل أنفه	أنفه	أحسن ال	ضعيف	ضعيف
حسن الوجه جميل خالها	خالها			

(١) لاَحِـــقِ بَطْنٍ بِقَرًا سَمِينٍ لاَ خَطِلِ الرَّجْعِ ولاَ قَرُونِ

(٢) * أجبَّ الظهرَ لَيْسَ لهُ سَنَامُ *

(٣) هَيْفَاء مُقْبِلَةً عَجْزَاء مُدْبِرَةً مَخْطُوطَةٌ جُدِلَتْ شَنْبَاء أنيابَا

(٤) * بِبُهْمَةٍ مُنِيتُ شَهْمٍ قَلْبُ *

(٥) تُعَيِّرُنَا أنَّا قَلِيــلٌ عِدَادُنَا فَقُلْتُ لهَا إن الكِرَامَ قليلُ

(٦) * أزور امرأً جَمًّا نوالٌ أعدَّهُ *

(٧) سَبَتْنِي الفَتَاةُ البَضَّةُ المتجرد الـ لطيفةُ كَشْحهِ . . . .

(٨) فَمَا قَومِى بِثَعْلَبَة بنِ سَعْدٍ ولا بفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقابَا

(٩) * الحَزْنُ بَاباً والعَقُورُ كَلْباً *

(١٠) * فاقصد بزيد العزيزَ مَنْ قَصَدَهْ *

* * *

وطريقةُ معرفةِ هذا الجدول : أن تضع الورقة التى هو مرسوم فيها بين يديك بحيث تكون أبياتُ الصفة المعرّفة بأل مما يليك ، ثم ترفع بصرك إلى أبيات الصفة المنكرة ، فإذا فرغت منها تنظر إلى أبيات الصفة المعرفة بأل ، وقد جُعل فى رأس أبيات النوعين خمسُ بيوتٍ مكتوب فى أول بيت منها الجر ، وفى الثانى النصب ، وفى الثالث الرفع ، وفى الرابع السببى ، وفى الخامس الصفة ، ووُصِل كلُّ بيتٍ من هذه الأبيات باثنى عشر مربعاً : فالمربعات الموصولة بالأخيرين منها الصفة ومعمولها السببى المنقسم إلى اثنى عشر قسما كما تقدم ، والمربعات الموصولة ببيت الجر مكتوب فيها حكم المعمول السببى الذى فى مربعاته كلها ، وكذلك فى بيت النصب وبيت الرفع ، فما قابله منها « ممتنع » فهو ممتنع ، وما قابله « حسن » فهو حسن ، وهكذا . ثم مايحرس هذه الأحكام إشارة هندية ، فانظر فى الشواهد المكتوبة حول الجدول[1] فما وجدت عليه تلك الإشارة فهو شاهد ذلك الحكم . وقوله « جامعاً بين كل متناسبين» إلخ أى كما جمع بين حسن الوجه وحسن وجه الأب بصورة ستة فى الجر وخمسة فى النصب وأربعة فى الرفع .

(١) قد وضعت الأبيات فى الصفحة المقابلة للجدول ، وهى التى تراها فى أعلى هذه الصحيفة .

* * *(١)

٧٢٥ – لاَحِقُ بَطْنٍ بِقَرًا سَمِينُ لاَخَطِلُ الرَّجْعِ وَلا قَرُونُ

(١) هذه الأبيات التى تأتى قد جعلت فى أصل الشرح بجوار الجدول الذى وضعه الشارح لصور الصفة المشبهة مع معمولها ، وقد جاء بها للاشارة إلى أن لبعض هذه الصور شواهد واردة فى كلام العرب ، وقد وضعناها – كما أراد صاحبها – مجتمعة قبالة الجدول ، ثم لم يكن لنا بدٌّ من التعرض لشرحها على ما جرت به عادتنا من شرح الشواهد ، فأعدنا ذكرها ههنا على حسب ترتيبها ثمة ، وسنتكلم على كل بيت منها على وفق ما جرينا عليه من أول الكتاب . والله سبحانه الموفق وبه الاستعانة.

٧٢٥ – هذا بيت من الرجز ، وهو من شواهد كتاب سيبويه (١ / ١٠١) ونسبه إلى حميد الأرقط ، وكذلك نسبه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده .

اللغة : « لاحق بطن » أراد أنه ضامر البطن ، وتقول : لحق – بكسر الحاء – لحوقا ، إذا ضمر ، وقال الأزهرى : فرس لاحق الأيطل من خيل لحق الأياطل – بضم اللام وسكون الحاء – إذا ضمرت ، وفى قصيدة كعب بن زهير :

تَخْدِى عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْىَ لاَحِقَةٌ ذَوَابِلٌ وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ

وهم يمتدحون فى الخيل أن تكون بطونها ضامرة مرتفعة عن الأرض ليست بمسترخية « قرا » بفتح القاف والراء ، بزنة عصا ورحى وفتى – هو الظهر « سمين » ممتلىء ، ومما يمتدح فى الخيل العربية أن تكون ظهورها سمينة « خطل » بفتح الخاء وكسر الطاء – هو المضطرب « الرجع » بفتح الراء وسكون الجيم – هو الخطو ، يريد أنه ليس مضطرب الخطو ولا سيىء السير «قرون» بفتح القاف – وصف من قولهم : قرن الفرس يقرن – مثل نصر ينصر – إذا كان بحيث تقع حوافر رجليه فى السير موضع حوافر يديه ، وقالوا : ناقة قرون أيضاً ، للتى تضع خف رجلها موضع خف يدها .

المعنى : قال الأعلم الشنتمرى : « وصف فرسا بضمر البطن ، ثم نفى أن يكون ضمره من هزال فقال : بقرا سمين » اه .

الإعراب : « لاحق » بالجر ، هو وصف لفرس تقدم ذكره فى الكلام ، وهو مضاف و « بطن » مضاف إليه ، من إضافة الصفة المشبهة إلى معمولها « بقرا » الباء حرف جر ، وقرا مجرور بالباء وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين ، والجار والمجرور متعلق بلاحق « سمين » نعت لقرا ، مجرور بالكسرة الظاهرة « لا » حرف عطف دال على النفى « خطل » معطوف على لاحق ، وهو مضاف و « الرجع » مضاف إليه « ولا »

٧٢٦ — وَلاَ سَيِّئِى زِىٍّ إِذَا مَاتَلَبَّسُوا إِلى حَاجَةٍ يَوْمًا مُخَيَّسَةً بُزْلاَ

الواو حرف عطف ، لا : زائدة « قرون » معطوف على خطل الرجع . وجعل العلامة الصبان قوله « لاحق » بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وجعل قوله « خطل الرجع » معطوفا على لاحق بطن ، وقوله «قرون» معطوفا على خطل الرجع أيضا ، ويلزم على ذلك إما تخالف إعرابى البيتين فيكون « سمين » مجرورا و « قرون » مرفوعا ، وإما قطع « سمين » عما قبله إلى الرفع بمبتدأ محذوف ، وقطع النعت فى مثل هذا بعيد .

الشاهد فيه : قوله « لاحق بطن » وقوله « لاخطل الرجع » حيث أضاف فى العبارة الأولى الصفة المشبهة المجردة من أل إلى معمولها المجرد من أل أيضا ، وأضاف فى العبارة الثانية الصفة المشبهة المجردة من أل إلى معمولها المقترن بأل ، وهو مرموز إليه فى الجدول برقم (١) إشارة إلى أنه قد ورد فى الكلام العربى إضافة الصفة المجردة من أل إلى معمولها مجردا منها ومقترنا بها ؛ فيكون ذلك دليلا على أحسنية قولنا : زيد حسن وجه ، وقولنا : زيد حسن وجه أب ، وقولنا : زيد حسن الوجه ، وقولنا : زيد حسن وجه الأب — بجر المعمول فى هذه الأمثلة الأربعة على أن الصفة أضيفت إليه ، قال الأعلم فى شرح هذا البيت : « الشاهد فيه إضافة لاحق إلى البطن مع حذف الألف واللام منه للاختصار » اهـ كلامه .

٧٢٦ — ورد هذا البيت فى بعض النسخ فلم نشأ أن نهمله ، وهذا بيت من الطويل ، وهو من شواهد سيبويه أيضاً (١/١٠١) ونسبه إلى عمرو بن شأس ، وروى قبله بيتاً آخر وهو قوله :

أَلِكْنِى إِلى قَوْمِى السَّلاَمَ رِسَالَةً بِآيَةِ مَا كَانُوا ضِعَافًا وَلاَ عُزْلاَ

اللغة : « ألكنى » يريد بلغ عنى وكن رسولى ، وأصله الألوكة — بفتح الهمزة — والمألكة — بفتح الميم وسكون الهمزة وضم اللام — وهما بمعنى الرسالة ، قال الأعشى ميمون بن قيس :

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِى شَيْبَانَ مَأْلُكَةً أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ

وقال عدى بن زيد العبادى :

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّى مَأْلُكاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِى وانْتِظَارْ

وتقول : ألك الرجل بين القوم ألكا — بفتح فسكون — وألوكا — بالضم — إذا ترسل ، فإن عديته بالهمزة قلت ألكته ، والأصل أألكته ، فقدمت اللام على الهمزة فصارت الأكته ، ثم خففت الهمزة بنقل حركتها إلى اللام ثم بقلبها ألفا فعومل الفعل معاملة الأجوف من نحو أقام وأجاب ، قال عمر بن أبى ربيعة :

... ...

أَلِكْنِي إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ ... يُنَكَّرُ إِلْمَامِى بِهَا وَيُشَهَّرُ

وقال الآخر :

أَلِكْنِي إِلى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِياً ... فَإِنِّى قَطِينُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ

وقال الشاعر :

أَلِكْنِي يَا عَتِيقُ إِلَيْكَ قَوْلاً ... سَتُهْدِيهِ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّى

« بآية » الآية : العلامة ، وفى التنزيل : (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) و « ما » فى قوله « ماكانوا » نافية « ضعافا » جمع ضعيف ، مثل كريم وكرام « عزلا » بضم فسكون ـ جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه « سيئى » جمع مذكر سالم واحده سيئ ـ بتشديد الوسط ، ومعناه القبيح البشع ، وأصله السوء وهو القبح « زى » هو بكسر الزاى وتشديد الياء ـ الهيئة « تلبسوا » المراد ركبوا ، وأصل ذلك الملابسة ، وهى مخالطة الشىء ، ومخالطة كل شىء بحسبه ، فمخالطة الإبل ركوبها « مخيسة » بضم الميم وفتح الخاء وتشديد الياء ـ اسم مفعول فعله خيسه بمعنى ذلله ووطأه ، وأراد بالمخيسة الإبل المذللة بالركوب « بزلا » بضم فسكون ـ جمع بازل ، وهو من الإبل الذى دخل فى السنة التاسعة ، وهو جمع غريب فإن قياس فعل ـ بضم فسكون ـ أن يكون مفرده أفعل كأحمر أو فعلاء كحمراء

المعنى : قال الأعلم: « وصف أنه تغرب عن قومه بنى أسد ، فحمل رجلا إليهم السلام ، وجعل آية كونه منهم ومعرفته بهم ما وصفهم به من القوة على العــدو ووفادتهم على الملوك بأحسن الزى » اهـ كلامه .

الإعراب : « ولا » الواو حرف عطف ، لا : زائدة لتأكيد النفى « سيئى » معطوف على قوله ضعافا فى البيت السابق ، منصوب بالياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم ، وهو مضاف و « زى » مضاف إليه « إذا » ظرف زمان متعلق بسيئى ، و «ما» زائدة « تلبسوا » فعل ماض وواو الجماعة فاعله ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل جر بإضافة إذا إليها « إلى حاجة » جار ومجرور متعلق بقوله تلبسوا « يوما » ظرف زمان منصوب بقوله تلبسوا أيضاً « مخيسة » مفعول به لقوله تلبسوا الذى تضمن معنى ركبوا « بزلا » نعت لمخيسة منصوب بالفتحة الظاهرة .

[وَنَأْخذْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ] أَجَبَّ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ(١)

✡ ✡ ✡

٧٢٧ — هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً مَحْطُوطَةٌ جُدِلَتْ ، شَنْبَاءُ أَنْيَابَا

الشاهد فيه : قوله « سيئى زى » حيث أضاف الصفة المشبهة المجردة من أل – وهو قوله « سيئى » – إلى معمولها المجرد من أل أيضاً ، وهذا يدل أيضا على أن جمع الصفة المشبهة بمنزلة مفردها على ما مر لنا القول فيه . قال الأعلم فى شرح هذا الشاهد : « الشاهد فى إضافة سيئى إلى زى ، وهو نكرة ، على تقدير إثبات الألف واللام وحذفها للاختصار » اه .

(١) قد مضى شرح هذا الشاهد فى أثناء هذا الباب (رقم ٧٢٢) شرحا لا تحتاج معه إلى إعادة شىء من الكلام عليه ، ولكنا نشير إليك هنا إلى أن الاستشهاد به فى هذا الموضع على رواية نصب « الظهر » وعليه يكون قوله « أجب » نعتا لعيش مجروراً بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل . وقد ذكر الشارح هذا البيت بجوار الجدول مشيراً إليه برقم (٢) ليستدل به على أنه دليل سماعى على جواز النصب فى قولك « زيد حسن الوجه » وقولك «زيد حسن وجه الأب» بنصب المعمول فى المثالين ، مع الضعف ؛ لأن فيه إجراء الوصف المأخوذ من مصدر الفعل القاصر مجرى الوصف المأخوذ من مصدر الفعل المتعدى ، على ما تقدم بيانه مبسوطا .

٧٢٧ — هذا بيت من البسيط ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ١٠٢) وقد نسبه إلى أبى زبيد الطائى ، وكذلك نسبه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده .

اللغة : « هيفاء » وصف مؤنث من الهيف – بفتح الهاء والياء جميعا – وهو الضمر ، والرجل أهيف ، والمرأة هيفاء ، وخصرها أهيف «مقبلة» اسم فاعل مؤنث فعله أقبل ، وتقول : أقبل علينافلان ، ومعناه ولاك وجهه ، ومعنى كونها هيفاء فى حال إقبالها أن بطنها ضامر «عجزاء» أى ضخمة العجيزة «مدبرة» اسم فاعل مؤنث فعله أدبر ، وتقول : أدبر عنا فلان ، تريد أنه ولاك ظهره ، ومعنى كونها عجزاء فى حال إدبارها أنها كبيرة الردف عظيمته « محطوطة » هكذا روى فى كتاب سيبويه ، وفسره الأعلم بقوله « والمحطوطة : الملساء الظهر ، والمحط : خشبة تدلك بها الجلود ، يريد أنها غير متغضنة الجلد من كبر ولا ترهل » اه . وقال الجوهرى فى الصحاح : « وجارية محطوطة المتنين : أى ممدودة مستوية ، قال الشاعر (وهو القطامى) :

بَيْضَاءُ مَحْطُوطَةُ الْمَتْنَيْنِ بَهْكَنَةٌ رَيَّا الرَّوَادِفِ لَمْ تُمْغِلْ بِأَوْلَادِ » اه

... ...

وفسره العينى بقوله « ومحطوطة ــ بالطاء المهملة ــ يحتمل أنها موسومة بالمحط ــ بكسر الميم ــ الذى يوشم به ، وقيل : المحط : الحديدة التى ينقش بها الأديم » اهـ . ولكنه وقع فى عبارته « مخطوطة » و « مخط » بالخاء معجمة ، وهو تحريف ، قال الجوهرى : « والمحط ــ بالكسر ــ الذى يوشم به ، ويقال : هو الحديدة التى تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم ، قال الشاعر :

كَأَنَّ مِحَطًّا فِي يَدَىْ حَارِثِيَّةٍ صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّى بِهِ الْجِلْدَ مِنْ عَلِ » اهـ .

ووقع فى نسخ الشرح « مخوطة » وما أراه إلا تحريفا . وقول أبى زبيد فى البيت المستشهد به « جدلت » هو بالبناء للمجهول ومعناه أحكم خلقها حتى لكأنه الجديل ، وهو حبل من أدم يجدل ثم يستعمل زماما للناقة ونحوها ، وقوله «شنباء» وصف من الشنب ــ بفتح الشين والنون جميعا ــ وهو عذوبة الفم وبريقه ولمعانه « أنيابا » جمع ناب ، وهو من الأسنان معروف .

المعنى : قال الأعلم « وصف امرأة بهيف الخصر ــ وهو ضمره ــ وعظم العجيزة ، وشنب الثغر ــ وهو بريقه وبرده ــ فيقول : إذا أقبلت رأيت لها خصراً أهيف ، وإذا أدبرت نظرت إلى عجيزة مشرفة » اهـ .

الإعراب : « هيفاء » خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : هى هيفاء «مقبلة» حال من الضمير المستتر فى هيفاء « عجزاء » خبر ثان أو معطوف بعاطف مقدر على هيفاء « مدبرة » حال من الضمير المستتر فى عجزاء «محطوطة» خبر ثالث ، أو معطوف بعاطف مقدر على السابق «جدلت» فعل ماض مبنى للمجهول مبنى على الفتح ، والتاء علامة على تأنيث المسند إليه ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه ، والجملة فى محل رفع خبر رابع أو معطوفة بعاطف مقدر على الخبر السابق « شنباء » خبر بعد الأخبار المتعددة السابقة « أنيابا » منصوب على التميز .

الشاهد فيه : قوله « شنباء أنيابا » حيث وردت فيه الصفة المشبهة مجردة من أل ــ وهى قوله شنباء ــ وورد معها معمولها اسماً مجردا من أل ومن الإضافة ، ونصب هذا المعمول المنكر وانتصابه على التميز فى هذه الحال مما لا يختلف فى جوازه النحاة ، بخلاف المقترن بأل فإن البصريين لا يجيزون انتصابه على التميز ، فيكون انتصاب المعمول المنكر حسنا لأنه لايلزم عليه مخالفة الأصول المقررة ، ولهذا رمز الشارح فى جدوله لنحو ما فى هذا البيت من قولك : زيد حسن وجها ، وقولك : زيد حسن وجه أب ــ بتنوين الصفة ونصب معمولها ــ بالحسن . قال الأعلم : « الشاهد فيه نصب الأنياب بشنباء لما فيه من نية التنوين » اهـ . يريد أن امتناع التنوين فى « شنباء » ، ليس بسبب الإضافة ولكنه بسبب أن الكلمة نفسها ممنوعة الصرف لألف التأنيث الممدودة .

ومثل هذا البيت فى وجه الاستشهاد به قول أبى زبيد الطائى يصف أسداً :

بِبُهْمَةٍ مُنِيتُ شَهْمٍ قَلْبُ [مُنَجَّذٍ لاَذِى كَهَامٍ يَنْبُو][1]

***

٧٢٨ — تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عِدَادُنَا فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ

كَأَنَّ أَثْوَابَ نَقَّادٍ قُدِرْنَ لَهُ يَعْلُو بِخَمْلَتِهَا كَهْبَاءَ هُدَّابَا

الشاهد فيه : نصب « هدابا » بقوله « كهباء » والكهباء التى لونها الكهبة ، وهى لون يضرب إلى الغبرة ، والهداب — كرمان — الهدب .

(١) قد مضى الاستشهاد بهذا البيت (رقم ٧٢١) وتكلمنا فى شرحه بما لا مزيد عليه ، ومحل الاستشهاد فيه هناك وهنا قوله « شهم قلب » حيث جاء الاسم المعمول للصفة المشبهة مرفوعا مع أنه غير مضاف إلى ضمير الموصوف ولا مقترن بأل ، فورود هذه العبارة فى الشعر العربى يدل على جواز نحو قولك « محمد حسن وجه » ونحو قولك « محمد حسن وجه أب » بتنوين الصفة ورفع معمولها فى المثالين ، ولكنه — مع جوازه — قبيح أقبح القبح ؛ لأنه يشتمل على ما يدعو إلى ذلك ، وهو خلو الصفة لفظا مما يربطها بالموصوف .

٧٢٨ — هذا بيت من الطويل ، وهو من قصيدة مستجادة للسموءل بن عادياء اليهودى ، وقد تقدم فى شرح الشاهد (رقم ١٨٤) ذكر مطلعها وذكر عدة أبيات منها ، والبيت المستشهد به ههنا يقع بعد البيتين اللذين أنشدناهما هناك من مبدأ القصيدة ، ثم من بعده قوله :

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ
وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
لنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ مُنِيفٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهْوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ إلى النَّجْمِ فَرْعٌ لاَ يُنَالُ طَوِيلُ
هُوَ الأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِى سَارَ ذِكْرُهُ يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ
وَإِنَّا أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِى فِرَاشِهِ وَلاَ طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

اللغة : « تعيرنا أنا قليل » أى تجعل قلة عددنا عارا علينا وتنتقص قدرنا بذلك . تقول : عيرت فلانا بكذا ، وعيرته كذا ، إذا نسبته بسببه إلى العار ، وقبحته عليه ، ومن شواهد تعديه إلى اثنين بنفسه قول الشاعر :

... ...

* أَعَيَّرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلُحُومَهَا *

ومن شواهد تعديه إلى ثانيهما بالباء الحديث : « لو عير أحدكم أخاه برضاعة كلبة ... » ولا يصلح مافى بيت الشاهد لأن يستدل به على واحد من الاستعمالين بخصوصه ، لأن حرف الجر يحذف قبل « أن » قياساً ، فهو محتمل للوجهين ، وحمله على تعدى الفعل إلى اثنين بنفسه أولى ، لأنه متفق على جوازه ، ولأن الأصل عدم الحذف « قليل عدادنا » هكذا وقع ههنا ، ويروى « قليل عديدنا » والعدد ، والعديد ، والعداد ــ بزنة كتاب ــ بمعنى واحد ، تقول : فلان فى عديد الكرام، وفى عدادهم « فقلت لها إن الكرام قليل » يريد أن صاحبته ظنت أن كثرة العدد سبب من أسباب الفخار ، فعيرته وقومه بأنهم قليلو العدد ، فأجابها بأن السبب فى قلة عددنا أننا كرام ، والكرام فى الناس دائما قليل .

الإعراب : « تعيرنا » تعير : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هى ، ونا مفعول به أول مبنى على السكون فى محل نصب « أنا » أن : حرف توكيد ونصب ، ونا : اسم أن مبنى على السكون فى محل نصب « قليل » خبر أن مرفوع بالضمة الظاهرة « عدادنا » عداد : فاعل بقليل مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير المتكلم عن نفسه وغيره مضاف إليه ، وأن مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان لتعير « فقلت » الفاء حرف عطف ، قال : فعل ماض ، وتاء المتكلم فاعله « إن » حرف توكيد ونصب « الكرام » اسم إن « قليل » خبر إن ، وجملة إن واسمها وخبرها فى محل نصب مقول القول .

الشاهد فيه : قوله « قليل عديدنا » فإن « قليل » صفة مشبهة معتمدة على مخبر عنه هو اسم أن ، و « عديدنا » مرفوع بالفاعلية لهذه الصفة ، وهو اسم مضاف إلى ضمير الموصوف فى المعنى ، ومجىء ذلك فى الشعر العربى يدل على جوازه ، وعدم اشتماله على شىء يقدح فيه كخلو الصفة من ضمير يعود إلى موصوفها وكإجراء الصفة المأخوذة من القاصر مجرى الصفة المأخوذة من المتعدى يدل على أحسنيته ؛ فيكون نظيره حسنا من نحو قولنا « زيد حسن وجهه » وقولنا « زيد حسن وجه أبيه » وقولنا : «زيد حسن ماتحت طرته» ، وقولنا : « زيد حسن كل ماتحت طرته » برفع معمول الصفة فى المثل الأربعة ؛ لاشتمال كل واحد من هذه المثل على ضمير يعود من الصفة إلى الموصوف ، ولأنه ليس فى هذا الاستعمال إجراء القاصر مجرى المتعدى ، فلا جرم جعلها الشارح فى جدوله ذات حكم واحد .

قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : والاستشهاد بهذا البيت يدل على أن ضمير التكلم مثل ضمير الغيبة فى الربط بين الصفة والموصوف ، وارجع إلى بحث لنا مستفيض ذكرناه عند الكلام على العائد من جملة الصلة على الموصول (١ / ١٨٨) من هذا الكتاب)

أَزُورُ امْرَأً جَمًّا نَوَالٌ أَعَـــدَّهُ [لِمَنْ أَمَّهُ مُسْتَكْفِياً أَزْمَةَ الدَّهْرِ (١)]

* * *

سَبَتْنِي الْفَتَاةُ الْبَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ الْ لَطِيفَةُ كَشْحُهُ، وَمَا خِلْتُ أَنْ أُسْبَى (٢)

* * *

٧٢٩ — فَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا

---

(١) قد تقدم شرح هـذا البيت بما لا تحتاج معه إلى إعادة شىء من الكلام عليه (وهو الشاهد رقم ٧١٨ فى ص ١٢٥ من هذا الجزء) وقد أعاده الشارح مع الجدول ليشير إلى أنه قد ورد فى كلام العرب نحو قولنا « هذا رجل حسن حديث يقوله » ونحو قولنا « هذا رجل جميل سنان رمح يطعن به » وأن مثل ذلك حسن لاشتمال كل واحد منهما على ضمير يربط الصفة بموصوفها ولأنه ليس فيه إجراء الوصف القاصر مجرى المتعدى .

(٢) قد تقدم شرح هـذا البيت بما لا تحتاج معه إلى إعادة شىء من القول عليه (وهو الشاهد رقم ٧٢٠ فى ص ١٢٩ من هذا الجزء) وقد أعاده الشارح مع الجدول ليشير إلى أنه قد ورد فى كلام العرب نحو قولنا « زيد الحسن الوجنة الجميل خالها » وقد أشار فى الجدول إلى أن ذلك ضعيف، والمحكوم عليه بالضعف هو قوله « الجميل خالها » لأن الضمير الذى فى هذه الصفة لا يعود إلى الموصوف ، وهو زيد ، ولكنه يعود إلى معمول صفة أخرى لذلك الموصوف ، فإن الضمير فى « خالها » يعود إلى « الوجنة » وهو معمول صفة أخرى هى قوله « الحسن الوجنة » وهذه صفة لزيد الموصوف بالجميل ، فاعرف ذلك وتنبه له .

٧٢٩ — هذا بيت من الوافر ، وهو من شواهد كتاب سيبويه (١ / ١٠٣) وقد نسب فى صدر الكتاب إلى الحارث بن ظالم المرى ، وكذلك نسبه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده . والبيت كما قالا من قصيدة للحارث بن ظالم المرى أحد بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ابن ريث بن غطفان . وكان الحارث قد فتك بخالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة وهو فى جوار النعمان بن المنذر ، ثم هرب يستجير القبائل . وأول هذه القصيدة قوله :

نَأَتْ سَلْمَى وَأَمْسَتْ فِى عَدُوٍّ تَحُثُّ إِلَيْهِمُ الْقُلُصَ الصِّعَابَا

وحَلَّ النَّعْفَ مِنْ قَنَوَيْنِ أَهْلِي وَحَلَّتْ رَوْضَ بِيشَةَ فَالرِّبَابَا

وَقَطَّعَ وَصْلَهَا سَيْفِي وَأَنِّى فَجَعْتُ بِخَالِدٍ عَمْدًا كِلاَبَا

وَأَنِّى الْأَحْوَصَيْنِ تَوَلَّيَاهَا وَقَدْ غَضِبَا عَلَىَّ فَمَا أَصَابَا

... ...

عَلَى عَمْدٍ كَسَوْتُهُمَا قُبُوحًا كَمَا أَكْسُو نِساءَهُمَا السِّلاَبَا
وَإِنِّى يَوْمَ غَمْرَةَ غَيْرَ فَخْرٍ تَرَكْتُ النَّهْبَ وَالْأَسْرَى الرِّغَابَا
فَلَسْتُ بِشَاتِمٍ أَبَدًا قُرَيْشًا مُصِيباً رَغْمُ ذَلِكَ مَنْ أَصَابَا
فَمَا قَوْمِى بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلاَ . . . . البيت ، و بعده :
وَقَوْمِى إِنْ سَأَلْتِ بَنُو لُؤَىٍّ بِمَكَّةَ عَلَّمُوا النَّاسَ الضِّرَابَا
سَفِهْنَا بِاتِّبَاعِ بَنِى بَغِيضٍ وَتَرْكِ الْأَقْرَبِينَ بِنَا انْتِسَابَا

اللغة : « فما قومى بثعلبة بن سعد » هو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وفزارة : هو فزارة بن ذبيان أخو سعد بن ذبيان ، وهو فى هذا البيت ينتفى من بنى سعد بن ذبيان وفى البيت بعده ينتسب إلى قريش، وهم بنو لؤى بن غالب بن فهر ، وفى البيت الذى يليه يسفه نفسه وقومه بانتسابهم إلى بنى بغيض بن ريث بن غطفان، وأهل النسب يقولون : إن بنى مرة بن عوف ابن سعد قوم الحارث بن ظالم ، أصلهم من قريش . وإن مرة هو فى الأصل مرة بن عوف بن لؤى ابن غالب بن فهر ، وكان لؤى قد تزوج امرأة من غطفان فولدت له عوف بن لؤى هذا ، فلما مات لؤى رجعت زوجه الغطفانية بابنها عوف إلى قومها ، فتزوجت سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان ، فتبنى سعد زوجها الثانى عوفا ابنها من زوجها الأول ثم تزوج عوف هند ابنة فزارة ابن ذبيان فولدت له مرة بن عوف ، فمرة بن عوف ينتسب تارة إلى سعد بن ذبيان متبنى أبيه ، وتارة إلى فزارة بن ذبيان أبى أمه ، والحارث بن ظالم من أبناء مرة هذا ، فهو يقول : إنى لست من بنى سعد بن ذبيان ولا من بنى فزارة ، وإنما أنا من بنى لؤى بن غالب لأن مرة ابن عوف بن لؤى وليس ابن عوف بن سعد كما اشتهر بسبب ذلك التبنى . والشعر ـ بضم الشين وسكون العين المهملة ـ جمع أشعر ، وهو الكثير الشعر ، ويروى «الشعرى رقابا» والشعرى ـ بالألف المقصورة فى آخره أنثى الأشعر ، مثل الكبرى أنثى الأكبر والفضلى أنثى الأفضل والصغرى أنثى الأصغر ، وبالروايتين ورد فى كتاب سيبويه ، والعرب ترى أن من علامة الغباء أن يكون الرجل كثير شعر القفا ، ويسمون ذلك الغمم ، وهو من باب الاستدلال بالملامح على صفات الإنسان ، ولهم فى ذلك معرفة راسخة ، وفى نحو من ذلك يقول الشاعر :

وَلاَ تَنكِحِى إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغَمَّ الْقَفَا ، وَالْوَجْهُ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

... ...

المعنى : قال الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهد سيبويه : « وصف ماكان من انتقاله عن بنى ذبيان ولحاقه بقريش وانتهائه إليهم حين عدا على بعض سادات العرب ـ وهو خالد بن جعفر ابن كلاب ـ فى جوار بعض ملوك لخم فقتله غيلة ، فى خبر طويل اختصرته ، فيقول منتفيا من قبائل ذبيان ، وفزارة بن ذبيان ، ووصف فزارة بالغمم ـ وهو كثرة شعر القفا ومقدم الرأس ، لأنه عندهم مما يتشاءم به ويذم ، والمحمود عندهم النزع ، وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس » اه مع تصحيح بعض ألفاظ وردت مصحفة .

الإعراب : «فما» حرف نفى تعمل عمل ليس «قومى» قوم : اسم مامرفوع بضمة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه « بثعلبة » الباء حرف جر زائد ، ثعلبة : خبر « ما » النافية العاملة عمل ليس منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة التى يقتضيها حرف الجر الزائد « بن » صفة لثعلبة ، وهو مضاف و « قيس » مضاف إليه « ولا » الواو حرف عطف ، لا : زائدة لتأكيد النفى « بفزارة » معطوف بالواو على الجار الزائد ومدخوله السابق « الشعر » نعت لفزارة ، مجرور بالكسرة الظاهرة « الرقابا » منصوب على التشبيه بالمفعول به وعلامة نصبه الفتحة .

الشاهد فيه : قوله « الشعر الرقابا » واعلم أولا أن هـذه العبارة تروى بوجهين : الأول « الشعر الرقابا » باقتران الصفة بال واقتران معمولها بأل أيضا ونصب المعمول ، وهـذا نظير قولك « زيد الحسن الوجه » وقولك « زيد الحسن وجه الأب » بنصب الوجـه فى المثالين ، وانتصابه عند البصريين على التشبيه بالمفعول به ، وعند الكوفيين يكون انتصابه على التميز أو على التشبيه بالمفعول به ، فإن كان انتصابه على التشبيه بالمفعول به ففيه إجراء الوصف المأخوذ من مصدر الفعل القاصر مجرى الوصف المأخوذ من مصدر الفعل المتعدى ، وإن كان انتصابه على التميز فهو وجه مختلف فى جوازه ؛ لأن التميز لا يكون معرفة فى المذهب الراجح وهو مذهب البصريين . والوجه الثانى « الشعرى رقابا » باقتران الصفة بأل وتجرد المعمول منها مع نصبه ، وانتصابه حينئذ على التميز عند الفريقين ؛ لأنه نكرة ، وقد كان النصب فى العبارة الأولى على التشبيه بالمفعول به فراراً من مجىء التميز نكرة ، فهو نظير قولك « زيد الحسن وجها » وقولك « زيد الحسن وجه أب » بنصب الوجه وتنكيره فى المثالين ، ولا شىء فى ذلك ، قال الأعلم الشنتمرى : « الشاهد فيه نصب الرقاب بالشعر على حد قولك الحسن وجها ، ويجوز فيه الشعر الرقابا على ما أنشده بعد ، وهو كقولك الحسن الوجه بالنصب على التشبيه بالمفعول به » اه .

٧٣٠ — * الحَزْنُ بَابًا وَالْعقُورُ كَلْبًا *

ومثل هذا البيت على الرواية الأولى ــ وهى « الشعر الرقابا » قول الكميت بن زيد الأسدى يمدح بعض بنى أمية ، وربما وقع هذا البيت فى بعض نسخ الشرح ، ولم نذكره فى الأصل لأنه ليس فى الأصول الصحيحة المتلقاة بالقبول :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَيْقَاظُ أَخْفِيَةَ الْكَرَى تَزَجُّجَهَا مِنْ حَالِكٍ واكْتِحَالَهَا

ومثل البيت المستشهد به على الرواية الأخرى وهى « الشعرى رقابا » ــ الشاهد التالى (رقم ٧٣٠) وستقف عليه مشروحاً .

٧٣٠ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وهو من شواهد سيبويه (١ / ١٠٣) ونسبه إلى رؤبة بن العجاج ، وكذلك نسبه الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده . وقبله قوله :

* فَذَاكَ وَخْمٌ لاَ يُبَالِى السَّبَّا *

اللغة : « وخم » ثقيل كثيف ، ويقال : وخم بفتح فسكون ، ووخم بفتح فكسر ، ويجمع على أوخام « لايبالى » لا يعبأ ولا يكترث ولا يأبه ، وهذا الفعل لا يستعمل إلا منفيا « السب » الشتم والهجاء والذم ، يقول : ذلك رجل ثقيل لايرتاح لفعل المكارم ، ولا تهش نفسه للجود ولا يبالى بأن يذمه الناس ، ويرى المال أحب إليه من عرضه « الحزن » بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى ــ خلاف السهل ، وأصله ما غلظ وارتفع من الأرض ، ثم وصفوا به الجافى الطبع الغليظ الخلق ، ووصفوا به كل مايتعسر ويصعب «العقور» بفتح العين ، بزنة صبور ــ صفة مشبهة من العقر وتقول : عقره يعقره عقرا ــ مثل ضربه يضربه ضربا ــ إذا جرحه ، وجمع العقور عقر بضمتين مثل غفور وغفر ونخور ونخر وصبور وصبر ورسول ورسل .

المعنى : وصف رجلا بشدة الحجاب ومنعه الضيف ؛ فجعل بابه حزنا وثيقا لا يستطاع فتحه ، وكلبه عقورا لمن يحل بفنائه طالبا لمعروفه ، فمن جاءه لقى أشد ما يكره قبل أن يصل إليه من إيذاء الحاجب أو البواب أو نحوهما ومن عقر الكلب ، وذكر ذلك على سبيل الاستعارة تشبيها لما فى الأمصار بما يكون فى البوادى .

والعرب تمدح الرجل بسهولة الوصول إليه ، وبأنه لا حاجب له عن قاصدى بره ، انظر إلى قوله :

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حاجِبُ

وانظر إلى قول الآخر :

لاَ أَشْتَهِى يَا قَوْمُ إلاَّ كَارِهًا بَابَ الْأَمِيرِ وَلاَ دِفَاعَ الْحَاجِبِ

٧٣١ — * فَاقْصِدْ يَزِيدَ الْعَزِيزَ مَنْ قَصَدَهْ *

ويجعلون سكوت الكلب عن نباح القادمين كناية عن كرم أصحابه؛ لأنه تعود كثرة الوافدين، انظر إلى قول الشاعر:

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّى فَإِنِّى جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

وانظر إلى قول حسان بن ثابت:

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهِرُّ كِلاَبُهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

الإعراب: « الحزن » بالرفع — خبر مبتدأ محذوف، وتقدير الكلام: هو الحزن « بابا » تميز « والعقور » الواو حرف عطف، العقور: معطوف على الحزن، مرفوع بالضمة الظاهرة « كلبا » تمييز، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه: قوله « الحزن بابا » وقوله « العقور كلبا » ففى كل واحدة من العبارتين صفة مشبهة هى الحزن فى العبارة الأولى والعقور فى العبارة الثانية، وفى كل واحدة من العبارتين معمول للصفة المشبهة منكر منصوب وهو فى العبارة الأولى قوله « بابا » وفى العبارة الثانية قوله « كلبا » والعبارتان نظير قولك « زيد الحسن وجها » وقولك « زيد الحسن وجه أب » باقتران الصفة بأل ونصب المعمول المنكر فى المثالين، وقد ذكرنا لك أنه لايترتب على هذا الوجه شىء: لاخلو الصفة من ضمير الموصوف لفظا وتقديرا، ولا إجراء القاصر مجرى المتعدى؛ لأن انتصاب النكرة على ما علمت على التمييز، والتمييز يعمل فيه حتى الأسماء الجامدة على ما تقدم فى بابه . قال الأعلم الشنتمرى: « الشاهد فيه نصب باب وكاب على نحو قولك: الحسن وجها » اه .

٧٣١ — هذا نصف بيت من المنسرح، ولم يتيسر لى الوقوف على تتمته، ولا على نسبته إلى قائل معين رغم طويل البحث .

اللغة: « اقصد » هو أمر ماضيه قصد، وتقول: قصدت فلانا أقصده قصداً — مثل ضربته أضربه ضرباً — وقصدت له وقصدت إليه؛ وذلك إذا توجهت نحوه أو اعتمدت عليه فى بعض أمورك « يزيد » اسم الممدوح، وهو من أسماء بعض ملوك بنى أمية، منهم يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، ومنهم يزيد بن عبد الملك بن مروان، ومنهم يزيد بن الوليد الملقب بالناقص والذى يقال فيه وفى عمر ابن عبد العزيز: الناقص والأشج أعدلا بنى مروان . وهو أيضاً من أسماء بعض رجالات دولة بنى أمية: منهم يزيد بن أبى مسلم الذى تولى ديوان الرسائل للحجاج، ومنهم يزيد بن عبد الله الذى كتب ليزيد بن عبد الملك . وأشهرهم يزيد بن المهلب الذى قلده سليمان بن عبد الملك خراسان

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : تقدّم أن معمول الصفة يكون ضميرا ، وعملها فيه جرٌّ بالإضافة إن باشرته وخلت من أل ، نحو « مَرَرْتُ بِرَجُل حَسَنِ الْوَجْهِ جَمِيلِهِ » ، ونصبٌ إن فُصِلت أو قُرِنت بأل ، فالأول نحو « هُمْ أَحْسَنُ وُجُوهاً وأنضَرُهُمُوهَا » ، والثانى نحو « الحَسَنُ الْوَجْهِ الجَمِيله » .

الثانى : إنما تأتى مسائل امتناع الإضافة مع الصفة المفردة كما رأيت ، فإن كانت الصفةُ مُثَنَّاةً أو مجموعةً على حَدِّ المثنى جازت إضافتها مطلقاً كما سبق فى باب الإضافه . اه

﴿ خاتمة ﴾ : قال فى الكافية :

وَضُمِّنَ الْجَامِدُ مَعْنَى الْوَصْفِ وَاسْتُعْمِلَ اسْتِعْمَالَهُ بِضَعْفِ
كَأَنْتَ غِرْبَالُ الْإِهابِ، وَكَذَا فَرَاشَةُ الْحِلْمِ، فَرَاعِ الْمَأْخَذَا

أى : مِنْ تَضْمِين الجامد معنى المشتق و إعطائه حكم الصفةِ المشبَّهة قولُه ·

« العزيز » صفة من العزة ، وتقول : عز الرجل يعز – من باب ضرب – عزا ، وعزة – بكسر أولهما – وعزازة – بفتح أوله – إذا صار ذا قوة .

الإعراب : « اقصد » فعل أمر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت « يزيد » مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة « العزيز » نعت ليزيد منصوب بالفتحة الظاهرة « من » اسم موصول فاعل بالعزيز مبنى على السكون فى محل رفع « قصده » قصد : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى من الموصولة ، والضمير البارز المتصل العائد إلى يزيد مفعول به ، والجملة من الفعل الماضى وفاعله ومفعوله لا محل لها من الإعراب صلة الموصول .

الشاهد فيه : قوله « العزيز من قصده » فإن قوله « العزيز » صفة مشبهة مقترنة بأل ، ومعمولها هو قوله « من » الذى هو فاعل بالصفة وهو اسم موصول ، فهو نظير قولك « محمد الحسن ما تحت طرته » وذلك يدل على أن معمول الصفة المشبهة المقترنة بأل قد يكون اسما موصولا أو مضافا إلى الاسم الموصول ، فمثال الأول ما قدمناه ، ومثال الثانى قولك « محمد الحسن كل ما يأتى به » .

٧٣٢ — فَرَاشَةُ الحِلْمِ فِرْعَوْنُ العَذَابِ وَإِنْ تَطْلُبْ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلِبُ

٧٣٢ — هذا بيت من البسيط ، ولم أعثر على نسبته إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « فراشة الحلم » الفراشة — بفتح الفاء — واحدة الفراش ، وهى هوام مثل البعوض تطير وتتهافت فى السراج ، ويضرب به المثل فى الطيش ، يقال : أطيش من فراشة ، ومنه قالوا للرجل الخفيف الشديد الطيش : فراشة . وأنشد الليث :

أَوْدَى بِحِلْمِهِمُ الفِيَاشُ فَحِلْمُهُمْ حِلْمُ الفَرَاشِ غَشِينَ نَارَ المُصْطَلِى

والحلم — بكسر فسكون — الأناة ، والعقل ، ويقابل بالسفه أحيانا وبالطيش أحيانا أخرى . قال جار الله فى الأساس « ويقال : رأيته فراشة ، وما هو إلا فراشة ، للخفيف الرأس ، يشبه بواحدة الفراش ، وهو مثل فى الخفة والحقارة » اه فمعنى قوله فى بيت الشاهد « فراشة الحلم » هو معنى قولنا « خفيف الحلم » أو « قليل الأناة » أو « ضعيف العقل » أو ما يشبه ذلك . « فرعون العذاب » فرعون : لقب لكل من حكم مصر فى العصور الأولى ، كما أن قيصر لقب لكل من ملك بلاد الروم ، وكسرى لقب لكل من ملك بلاد الفرس ، والنجاشى لقب لكل من ملك بلاد الحبشة ، وتبعاً لقب لكل من ملك بلاد اليمن . وقد أطلق العرب اسم فرعون على كل عات متكبر ، وزادوا على ذلك بأن أخذوا منه فعلا فقالوا « قد تفرعن » وقالوا « إنه لذو فرعنة » أى ذو دهاء وتكبر ، وقال الراجز :

* وَقَدْ يَكُونُ مَرَّةً ذَا فَرْعَنَهْ *

واستعملوا بعد ذلك هذا الفعل فى معنى مجازى فقالوا « تفرعن النبات » إذا طال وقوى ، وقوله فى بيت الشاهد « وإن تطلب نداه » يروى «وإن يطلب نداه» بالبناء للمجهول . والندى — بفتح النون والدال مقصوراً بزنة الفتى — العطاء ، والعرب تقول : رجل ندٍ ، إذا كان جوادا ، ومن كلامهم : كم نعشتنى يداك ، وكم أعاشنى نداك ، وإن يده لندية بالمعروف — بزنة فرحة — وما رأيت أندى منك يدا «كلب دونه كلب» الكلب — بفتح فسكون — الحيوان المعروف ، وهو مضرب المثل فى الخسة ، ودونه : يريد يحول بين طلاب نداه وبينه ، والكلب الآخر — بفتح الكاف واللام — داء يعرض للانسان من عض الكلب الكلب فيصيبه شبه الجنون وتعرض له أعراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشا ، وأطلقوا الكلب — بفتحتين أيضا — على العطش ، وعلى الغضب الشديد ، وأطلقوه على الحرص الشديد ، وقالوا : كلب فلان على كذا كلبا فهو كلب — مثل فرح فرحا فهو فرح — إذا اشتد حرصه عليه ، وقالوا : تكالب على الدنيا ، إذا اشتد حرصه عليها .

... ...

المعنى : هجا رجلا فوصفه بالنزق والحمق والطيش والخفة ، وشبهه فى هذه الصفات بالفراشة التى تتهافت على النار فتقع فيها وهى لا تدرى أنها تحرق نفسها بذلك ، ووصفه بالتجبر والكبرياء والعتو ، وشبهه فى هذه الصفات بفرعون ، ووصفه بالبخل والحرص والشح والضنانة فى خسة ودناءة وأنه إذا طلب أحد جدواه رجع بغير طائل ؛ لأنه دنىء النفس وضيع ، ولأنه يحول بينه وبين العطاء حرص شديد .

الإعراب : «فراشة» خبرمبتدأ محذوف، وتقدير الكلام : هوفراشة ، وفراشة مضاف و«الحلم» مضاف إليه « فرعون » خبر بعد خبر ، أو معطوف بعاطف مقدر على الخبر السابق ، وهو مضاف و « العذاب» مضاف إليه « وإن» الواو حرف عطف ، إن : حرف شرط جازم «يطلب» فعل مضارع مبنى للمجهول فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون «نداه» ندى : نائب فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وهو مضاف وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الضم فى محل جر « فكلب » الفاء واقعة فى جواب الشرط ، وكلب : خبر مبتدأ محذوف ، وتقدير الكلام: فهوكلب ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل جزم جواب الشرط ، وهو من باب إقامة العلة مقام المعلول ؛ لأن حقيقة الحال أن جملة « هو كلب » علة لجواب الشرط ، وأصل الكلام : إن يطلب نداه لا يسمح به ــ أولا يوصل إليه ، أو نحو ذلك ــ لأنه كلب : أى خسيس دنىء النفس « دونه » دون : ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وهو مضاف وضمير الغائب مضاف إليه « كلب » مبتدأ مؤخر ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل جر صفة لكلب .

الشاهد فيه : قوله « فراشة الحلم » وقوله « فرعون العذاب » حيث أجرى الجامد الذى هو « فراشة » و « فرعون » مجرى المشتق لأنه أراد منه معناه ، وبيان ذلك أن هذا الشاعر أراد بالفراشة التى هى فى الأصل اسم دال على الحيوان الطيار الذى يتهافت على النار ــ معنى الطائش أو الأحمق أو الخفيف ، وأراد بفرعون الذى هو فى الأصل علم على رجل معين أو على كل من ولى مصر ــ معنى شديد أو أليم أو نحوهما ، ولما أراد بكل واحد من هذين اللفظين الجامدين بحسب الأصل معنى المشتق أضاف كل واحد منهما إلى فاعله ، فأضاف الفراشة إلى الحلم ، وكأنه قد قال : خفيف الحلم ، أو طائش الحلم ، أو نحو ذلك ، وأضاف فرعون إلى العذاب ، وكأنه قد قال : أليم العذاب ، أو شديد العذاب ، أو نحوهما . ولو أنه رفع بهذين اللفظين ما بعدهما أو نصبه بعد تضمينهما معنى المشتق لجاز .

وقوله :

٧٣٣ — فَلَوْلاَ اللهُ وَالْمُهْرُ الْمُفَدَّى لَأُبْتَ وَأَنْتَ غِرْبَالُ الْإِهَابِ

---

٧٣٣ — هذا بيت من الوافر ، وهو من كلمة للمنذر بن حسان ، وقبل هـــذا البيت المستشهد به قوله :

وَبَادِيَةِ الْجَوَاعِرِ مِنْ نُمَيْرٍ تُنَادِي وهي سَافِرَةُ النِّقَابِ
تُنَادِي بِالْجَزِيرَةِ يَا لَقَيْسٍ وَقَيْسٌ بَيْنَ فِتْيَانِ الضِّرَابِ
قَتَلْنَا مِنْهُمُ مِائَتَيْنِ صَبْرًا وَأَلْفًا بِالتِّلَاعِ وَبِالرَّوَابِي
وَأَفْلَتَنَا هَجِينُ بَنِي سُلَيْمٍ يُفَدِّي الْمُهْرَ مِنْ حُبِّ الْإِيَابِ
فَلَوْلاَ اللهُ وَالْمُهْرُ الْمُفَدَّى لَأُبْتَ وَأَنْتَ غِرْبَالُ الْإِهَابِ

اللغة : « وبادية الجواعر من نمير ـ البيت» بادية : اسم فاعل مؤنث فعله بدا يبدو بمعنى ظهر يظهر ، والجواعر : جمع جاعرة ، وهى حرف الورك ، وإنما هما جاعرتان ، لجمعهما باعتبار نواحيهما ، ونمير ـ بصيغة التصغير ـ اسم قبيلة ، وهى التى يقول جرير لشاعرها :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا

وقوله « تنادى » معناه ترفع صوتها بدعاء من ينقذها ويحول بينها وبين السبى ، وقوله « وهى سافرة النقاب » معناه أنها قد رفعت عن وجهها نقابها الذى كانت تستره به لأنها تريد أن يعرفها من ينظر إليها عند ندائها معرفة سريعة ليأخذ بيدها . يريد أن كثيراً من نساء بنى نمير قد بدت جواعرهن من شدة الفزع وهول ما نزل بهن ، والأدب العالى فى التعبير عن هذا المعنى قول الله تعالى (يوم يكشف عن ساق) وقوله « تنادى بالجزيرة يالقيس ـ البيت » الجزيرة : مكان ، يالقيس : هذه عبارتها التى تنادى بها من ينقذها من الأسر ، والضراب ـ بكسر الضاد المعجمة ـ مصدر ضارب الرجل الرجل ، إذا التحم معه فى معركة الحرب فتضاربا بالسيوف « قتلنا منهم مائتين صبرا ـ البيت » تقول : صبرت فلانا على القتل صبرا ، وتقول : قتلته صبرا ، والمعنى أنك حبسته ورميته حتى مات ، والمصبور : المحبوس على القتل ، قالت قتيلة أخت النضر الذى أمر بقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتْعَبًا رَسْفَ الْمُقَيَّدِ وَهْوَ عَانٍ مُوثَقُ

... ...

والتلاع ـ بكسر التاء ـ جمع تلعة ، ونظيره جفنة وجفان وقصعة وقصاع ، والتلعة ـ بفتح فسكون ـ تقال لما علا وارتفع من الأرض ، وليس هو المراد ههنا لئلا يتكرر مع الروابى، وتقال أيضا لما سفل وانخفض من الأرض وهو المراد ههنا ، فهو من الأضداد ، ومن شواهد المعنى الأول قول الراعى :

كَدُخَانِ مُرْتَجِلٍ بِأَعْلَى تَلْعَةٍ غَرْثَانَ ضَرَّمَ عَرْفَجًا مَبْلُولاَ

ومن شواهد المعنى الثانى قول زهير :

وَأَنِّى مَتَى أَهْبِطْ مِنَ الْأَرْضِ تَلْعَةً أَجِدْ أَثَرًا قَبْلِى جَدِيداً وَعَافِيَا

ويقال : التلعة : مسيل ماء من أعلى الوادى إلى أسفله ، فمرة يوصف أعلاها ، ومرة يوصف أسفلها ، وهذا قول من ينكر الأضداد. والروابى : جمع رابية ، وهى: ما ارتفع من الأرض ، وقد يقال : إن قوله «وبالروابى» من عطف المرادف على مرادفه للتفسير فيكون المراد بالتلعة ما ارتفع من الأرض أيضا ، ولكن الأصل فى العطف أن يكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه « وأفلتنا هجين بنى سليم ـ البيت » أفلتنا : أراد أفلت منا ، وتقول : فلت فلان يفلت ـ مثل ضرب يضرب ـ بمعنى انطلق وخلص من الأسر أو نحوه ، وتقول : فلت فلان فلانا يفلته ـ مثل ضربه يضربه ـ إذا أطلقه وخلصه ، وتقول : أفلت فلان فلانا ، وأفلت فلان ، بمعنى الثلاثى فى الوجهين، فكل من الثلاثى والمزيد فيه يأتى متعديا ويأتى لازما ، وأصل هذه المادة من إفلات الطائر من الصياد وتفلته منه . والهجين ـ بفتح الهاء ـ كل من كان أبوه خيرا من أمه ، ويجمع على هجن ـ بضمتين ـ وهجناء كفقهاء وهجنان كأصلان ومهاجين ومهاجنة . ويفدى المهر : كأنه يقول له فداك أبى وأمى ، أو فداك نفسى ، ونحو ذلك ، والإياب ـ بكسر الهمزة ـ العودة إلى أهله ، وهو مصدر آب يئوب أوبا وإيابا ومآبا « فلولا الله والمهر المفدى ـ البيت » المهر ـ بضم فسكون ـ الحصان الذى كان يركبه والذى فر عليه من المعركة ، والإهاب ـ بكسر الهمزة ـ الجلد ، وجمعه أهب ، ونظيره كتاب وكتب . ومعنى غربال الإهاب : مثقب الجلد ممزقه ، وقد التفت من الغيبة إلى الخطاب .

المعنى : يصف الشاعر رجلا فر من معركة القتال على فرس له بأنه هجين ففيه عرق سوء وبأنه كان حريصا على الهرب والإفلات لعلمه بأنه إن بقى فليس بناج من الموت ، ويقول بعد ذلك: لولا أن الله تعالى قد كتب لك النجاة من الموت وذلك بأن منحك مهرا تطير عليه وهيأ لك طريق الهرب ، ولولا ذلك المهر الذى كنت تفديه بالنفس والأهل والمال لشدة حرصك على الفرار من وجوهنا والتخلص مما كنت بسبيل الوقوع فيه ، لولا هذان لما رجعت إلى قومك حيا ، ولكنت بعرض أن تعود إليهم ممزق الإهاب مثقب الجلد كأنما جلدك الغربال .

... ...

الإعراب : « لولا » حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط « الله » مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة « والمهر » الواو حرف عطف ، المهر : معطوف على المبتدأ مرفوع أيضاً بالضمة الظاهرة « المفدى » نعت للمهر ، مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وخبر المبتدأ وما عطف عليه محذوف وجوبا ، وتقدير الكلام : لولا الله والمهر المفدى موجودان ، وجملة المبتدأ وخبره هى شرط لولا «لأبت» اللام واقعة فى جواب لولا ، آب : فعل ماض ، وتاء المخاطب فاعله مبنى على الفتح فى محل رفع ، وهذه الجملة لا محل لها من الإعراب جواب لولا « وأنت » الواو واو الحال ، أنت : ضمير منفصل مبتدأ مبنى على الفتح فى محل رفع « غربال » خبر المبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « الإهاب» مضاف إليه من إضافة الاسم الجامد الذى هو فى معنى المشتق إلى مرفوعه ، والجملة من المبتدأ وخبره فى محل نصب حال رابطها الواو وصاحبها تاء المخاطب فى أبت .

الشاهد فيه : قوله « غربال الإهاب » فان فيه إجراء الاسم الجامد الذى هو قوله « غربال» مجرى الاسم المشتق ، وتضمينه معناه ، ومعاملته — بناء على ذلك — معاملته: من إضافته إلى معموله ، ألست ترى أن كلمة « غربال » فى الأصل اسم جنس جامد ، وأنها فى هذا البيت قد ضمنت معنى « ممزق » أو نحوها ، وممزق اسم مفعول ، وقد أضيف « غربال » إلى « الإهاب » الذى يكون نائب فاعل لو أنك قلت « فلان ممزق الإهاب » فتكون إضافة غربال إلى الإهاب من إضافة الاسم الجامد المنزل منزلة اسم المفعول إلى ما هو بمنزلة المرفوع بالمشتق .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : واعلم أن إجراء الاسم الجامد مجرى الاسم المشتق يقع فى أبواب كثيرة من النحو أنا ذاكر لك منها ما إن تأملته استدللت به على باقيه وبان لك شرف هذه اللغة واتساعها وأنها لا تقف عند حدود الألفاظ لا تتجاوزها .

فمن ذلك تعليق الجار والمجرور والظرف بالاسم الجامد لأنهم يلحظون فيه معنى المشتق ، وعلى ذلك ورد قول الله تعالى : (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) علق قوله سبحانه « فى السماء » بقوله « إله » وهو اسم جنس جامد لكونه قد لحظ فيه معنى المشتق فكأنه قيل : وهو الذى هو معبود فى السماء ومعبود فى الأرض ، وعلى ذلك جاء قول الشاعر :

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَــةٌ فَتْخَاءُ تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّــافِرِ
هَلاَّ بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الْوَغَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ

لما كان قوله « أسد » قد لحظ فيه معنى الشجاع وقوله « نعامة » قد لحظ فيه معنى الجبان — وهما فى الأصل من أسماء الأجناس الجامدة — علق بهما الجار والمجرور .

ضمّن « فراشة الحلم » معنى طائش ، و«فرعون» معنى أليم ، و«غربال» معنى مُثَقّب ، فأجْرِيت مُجْرَاها فى الإضافة إلى ما هو فاعل فى المعنى ، ولو رفع بها أو نصب جاز . والله أعلم.

ومن ذلك وصفهم بالاسم الجامد، وقد علم أنهم لا يصفون إلا بالمشتق ، لكونهم قد لحظوا فى الاسم الجامد معنى اسم مشتق ، فمن ذلك قولهم « مررت بقاع عرفج كله » وقولهم « هذه صحيفة طين خاتمها » العرفج : نبت من نبات البادية ، وقد وصف به القاع ورفع به الفاعل ، وكذلك فعل فى طين ، وهما اسمان من أسماء الأجناس فى الأصل لكنهما لما أشبها المشتق ولوحظ فيهما معناه صنعوا معهما مثل ما يصنعون مع المشتق .

ومن ذلك إيقاعهم الاسم الجامد حالا مع أن الحال كالوصف لصاحبه فلا يكون إلا مشتقا ، لكنهم لما لحظوا فى الاسم الجامد معنى اسم مشتق استساغوا ذلك وتكلموا به ، وعلى هذا جاء قولهم « كر زيد أسدا » وقولهم « بدت الجارية قمراً » وقولهم « تثنت غصنا » وعلى هذا جاء قول هند بنت ربيعة أم معاوية بن أبى سفيان :

أفى السِّلْمِ أعْيَاراً جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِى الْحَرْبِ أشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ

وعليه جاء قول أبى الطيب المتنبى :

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ غُصْنَ بَانٍ وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ غزَالاً

وعلى ذلك جاء قول رجل من الشيعة :

فَمَا بَالُنَا أَمْسِ أُسْدَ الْعَرِينِ وَمَا بَالُنَا الْيَوْمَ شَاءَ النَّجَفْ

وقالوا : « وقع المصطرعان عدلى عير » وهم يريدون أنهما وقعا مصطحبين اصطحاب عدلى الحمار ، وأمثال ذلك لا يحصى من كلامهم ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

التعجب

(بِأَفْعَلَ أَنْطِقْ بَعْدَ مَا تَعَجُّبَــا   أَوْ جِئْ بِأَفْعِلْ قَبْلَ مَجْرُورٍ بِبَا)

أى : يُدَلّ على التعجب ــ وهو: استعظامُ فعلِ فاعلٍ ظاهرِ المزية ــ بألفاظ كثيرة نحو « كَيْفَ تَـكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ » « سُبْحَانَ اللهِ الْمُؤْمِنُ لاَ يَنْجُسُ » لِلهِ دَرُّهُ فارِساً ! لِلهِ أَنْتَ ! .

يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَهْ[1]

وقوله :

٧٣٤ ــ * وَاهاً لِسَلْمَى ثُمَّ وَاهاً وَاهَا *

---

(١) هذا عجز بيت للأعشى ميمون بن قيس ، وصدره قوله :

* بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عَفَارَهْ *

وقد تقدم ذكر هذا الشاهد فى باب الحال (٣/٦٣) ، وهو الشاهد (رقم ٤٨٥) وشرحناه هناك بما لا مزيد عليه ، وإنما أعاد ذكره هنا ليبين أن قوله « ما أنت جاره » يدل على التعجب مع كونه على غير الصيغتين المبوب لهما فى كتب النحو ، وذلك واضح إن شاء الله ، وارجع إلى شرح هذا البيت فى الموضع الذى أحلناك عليه فهناك المقنع والكفاية .

٧٣٤ ــ قد سبق فى شرح الشاهد رقم ١٦ فى باب المعرب والمبنى (١/٣٨ من هذا الكتاب) ذكر هذا البيت ، وذكرنا ثمة أن من العلماء من نسبه إلى أبى النجم الفضل بن قدامة العجلى ، ومنهم من نسب بعض أبيات من قطعته إلى رؤبة بن العجاج ، ومنهم من نسب بعضها رواية عن أبى الغول الطهوى إلى بعض أهل اليمن . وقال الجوهرى فى صحاحه (ووه) : « إذا تعجبت من طيب الشىء قلت : واهاله ما أطيبه ! قال أبو النجم :

وَاهاً لِرَيَّا ثُمَّ وَاهاً وَاهَا   يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا

* بِثَمَنٍ نُرْضِى بِهِ أَبَاهَا * » اه

وقال ابن منظور فى اللسان : « وواه : تلهف وتلوذ ، وقيل : استطابة ، وينون فيقال : واهاً لفلان ، قال أبو النجم :

... ...

وَاهاً لِرَيَّا ثُمَّ وَاهاً وَاهَــا يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا

بِثَمَنٍ نُرْضِى بِهِ أَبَاهَــا فَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنْ جَرَّاهَا

* هِيَ الْمُنَى لَوْ أَنَّنَا نِلْنَاهَا *

قال ابن جنى : إذا نوّنت فكأنك قلت استطابة ، وإذا لم تنون فكأنك قلت الاستطابة ، فصار التنوين علم التنكير ، وتركه علم التعريف» اه .

اللغة : « واها » هو اسم فعل معناه أعجب ، ويقصد منه الدلالة على التعجب من حسن الشىء واستطابته والتلذذ به ، وربما أريد منه معنى التحسر على الشىء والتلهف على إدراكه ، وذلك واضح مما أثرناه لك عن ابن منظور فى مطلع هذا الكلام ، لكن بقى هنا شىء ، وذلك أن ابن جنى ذكر فيما نقلناه عنه عن ابن منظور أن هذه الكلمة تنون أحيانا فتكون نكرة بمعنى استطابة ويترك تنوينها أحيانا فتكون معرفة بمعنى الاستطابة ، وقد ذكر ابن هشام فى أوضح المسالك أن « واها » من أسماء الأفعال التى لازمت التنكير ، قال : « وما نون من هذه الأسماء فهو نكرة ، وقد التزم ذلك فى واها وويها كما التزم تنكير نحو أحد وعريب وديار ، وما لم ينون منها فهو معرفة وقد التزم ذلك فى نزال وتراك وبابهما كما التزم التعريف فى المضمرات والإشارات والموصولات ، وما استعمل بالوجهين فعلى معنيين ، وقد جاء على ذلك : صه ، ومه ، وإيه ، كما جاء التعريف والتنكير فى نحو كتاب ورجل وفرس » اه كلامه بحروفه ، ولم يتعرض الشيخ خالد فى تصريحه له بشىء ، ولعلهما لم يطلعا على نحو كلام ابن جنى الدال على أنه قد جاء بالوجهين كصه ومه وإيه « لسلمى » هكذا وقع فى نسخ الشرح وفى كثير من كتب النحاة ، وقد رأيت الجوهرى وابن منظور يرويان فى مكانه « لريا » .

الإعراب : « واها » اسم فعل مضارع معناه أعجب مبنى على السكون لا محل له من الإعراب وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « لسلمى » اللام حرف جر ، سلمى : مجرور باللام وعلامة جره الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، نيابة عن الكسرة ، لأنه لا ينصرف لألف التأنيث المقصورة ، والجار والمجرور متعلق بواها « ثم » حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « واها » اسم فعل مضارع معطوف بثم على اسم الفعل السابق « واها » اسم فعل مضارع بمعنى أعجب توكيد لواها المعطوف .

الشاهد فيه : قوله « واها » حيث دل على التعجب ، وهو غير الصيغتين المبوب لهما فى كتب النحاة ، وذلك يدل على أن النحاة لم يقصدوا استيعاب ما يدل من العبارات على التعجب ، وإنما

والمبوَّبُ له فى كتب العربية صيغتان : مَا أفْعَلَهُ ، وأفْعِلْ بِهِ ، لاطِّرادهما فيه .

فأما الصيغة الأولى فـ«ما» فيها اسمٌ إجماعا ، لأن فى أفْعَلَ ضميرًا يعود عليها ، وأجمعوا على أنها مبتدأ ، لأنها مجّردة للإسناد إليها ، ثم اختلفوا : فقال سيبويه : هى نكرة تامة بمعنى شىء ، وابتُدِىء بها لتضمُّنها معنى التعجب ، وما بعدها خبر فموضعه رفع ، وقال الفراء وابن دُرُسْتُوَيْه : هى استفهامية ، ونقله فى شرح التسهيل عن الكوفيين ، وقال الأخفش : هى معرفة ناقصة بمعنى الذى ، وما بعدها صلة فلا موضع له ، أو نكرة ناقصة ، وما بعدها صفة فمحله رفع ، وعلى هذين فالخبر محذوف وجوبا : أى شىء عظيمٌ . واختلفوا فى « أفْعَلَ » فقال البصريون والكسائى : فِعْلٌ للزومه مع ياء المتكلم نونَ الوقاية ، نحو ما أفْقَرَنِى إلى رحمة الله ، ففتحتُه بناء كالفتحة فى زَيْدٌ ضَرَبَ عَمْرًا ، وما بعده مفعول به . وقال بقية الكوفيين : اسمٌ لمجيئه مصغرا فى قوله :

٧٣٥ — * يَامَا أُمَيْلِحَ غِزْلاَنًا شَدَنَّ لَنَا *

قصدوا التبويب للصيغ القياسية التى يمكن أن تبنى من كل ما استكمل شروط بنائهما ، وهذا هو ما أشار إليه الشارح المحقق بقوله «لاطرادهما فيه» فهو علة لقوله « والمبوب له فى كتب العربية» والضمير المجرور محلا فى قوله « فيه » يعود إلى التعجب .

هذا معنى كلام الشارح وغيره وهو الذى يؤخذ من عبارة الجوهرى التى أثرناها لك . لكن الذى يفهم من سياق أبيات الشاهد أن مراد قائلها التحسر على فوات ما يحبه من مواصلة سلمى ، وإظهار اللهفة على عدم إدراكه مأموله من ذلك ، ويمكن أن يجمع بين المعنيين فيكون المراد إنشاء التعجب من صدها وتدللها مثلا مع الحسرة على ما يحدثه ذلك من ترك المواصلة والإيلاف بسبب القطيعة والهجر اللذين هما من أخص صفات المحبوبين المتدللين .

٧٣٥ — هذا صدر بيت من البسيط ، وعجزه قوله :

* مِنْ هؤُلَيَّائِكُنَّ الضَّالِ وَالسَّمُرِ *

وهذا البيت قد أنشده كثير من النحاة منهم ابن الأنبارى فى كتابه الإنصاف (٥٨ ليدن ٨١ مصر بتحقيقنا) كما أنشده كثير من أهل الأدب ، ولم ينسبه واحد منهم ، وقد عثرت فى دمية القصر للباخرزى (ص ٢٩ حلب) على هذا البيت ثانى ثلاثة أبيات منسوبة إلى بدوى يسمى كاملا الثقفى ، وها كها :

إنْسَانَةُ الحَيِّ أمْ أدْمَانَةُ السَّمُرِ بِالنَّهْى رَقَّصَهَا لَحْنٌ مِنَ الْوَتَرِ

... ...

يَامَا أُمَيْلِحَ غِزْلَانًا شَدَنَّ لَنَا مِنْ هٰؤُلَيَّائِكُنَّ الضَّالِ وَالسَّمُرِ

بِاللهِ يَا ظَبَيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

والبيت الثالث من هـذه الأبيات هو الشاهد (رقم ١٣١) الذى مضى فى باب المعرف بأداة التعريف (١/٢٢٩ من هـذا الكتاب) وقد أنشده ابن الأنبارى فى الانصاف (١٩٩ ليدن ٢٨١ مصر بتحقيقنا) وكامل الثقفى – كما يقول الباخرزى – شاعر بدوى من شعراء عصره (المائة الخامسة من الهجرة).

اللغة: « إنسانة » صرح كثير من حملة اللغة أنه يقال إنسان – بغير تاء – للذكر والأنثى، وأن إنسانة – بالتاء – للأنثى من كلام العامة، ومنه جاء قول بعض المولدين:

إِنْسَانَةٌ فَتَّانَةٌ بَدْرُ الدُّجَى مِنْهَا خَجِلْ

قال الجوهرى: « ويقال للمرأة أيضا: إنسان، ولا يقال إنسانة، والعامة تقوله » اهـ. « أدمانة السمر » أراد ظبيـة كناسها بين شجر السمر، قال الجوهرى: « قال الأصمعى: والأدم من الظباء بيض تعلوهن جدد فيهن غبرة، تسكن الجبال، قال: وهى على ألوان الجبال، يقال: ظبية أدماء، وقد جاء فى شعر ذى الرمة أدمانة، قال:

أَقُولُ لِلرَّكْبِ لَمَّا أَعْرَضَتْ أُصُلًا أَدْمَانَةٌ لَمْ تُرَبِّبْهَا الْأَجَالِيدُ

وأنكره الأصمعى » اهـ. والسمر – بفتح السين وضم الميم – جمع سمرة، وهى شـجرة الطلح « بالنهى » النهى – بكسر النون وسكون الهاء – الغدير من الماء « رقصها ضرب من الوتر » يحتمل معنيين: أحدهما أن يكون المقصود من الوتر واحد الأوتار التى يضرب عليها للغناء واللهو فيكون الرقص هو ماتفعله الغوانى فى مجامع المجون، والثانى أن يكون المقصود من الوتر وتر القوس الذى يضرب به الصيد فيكون المراد من الرقص الترنح من ألم الضربة وهى حركات الصيد حين يصيبه الرامى، قال الباخرزى فى الدمية بعد أن أنشـد ثلاثة الأبيات: « قلت: الإيهام فى الشعر صنعة لا يتوصل إليها الحضريون إلا بتعريق جبين الخاطر، وبعثرة دفين الضمائر، وقد أخذ هذا البدوى من عفو خاطره نوعا من الإيهام، تنبو عنـه صوارم الأفهام، وذلك قوله * بالنهى رقصها لحن من الوتر * فإن لحن الوتر الذى يضربه اللاهى للأنس مرقص، ولحن الوتر الذى ينزعه الرامى للوحش مقمص، وما أشـبه ذلك الترقيص، بهذا التقميص » اهـ. وقوله « يا ما أميلح غزلانا – البيت » أميلح: تصغير أملح، وهو مأخوذ من الملاحة ومعناها الحسن والجمال، والغزلان: جمع غزال، وهو ولد الظبية، وشدن – بنونين أولاهما لام الكلمة وثانيتهما نون الإناث – أى كبرن

... ...

وقوين ، وتقول : شدن الظبي يشدن شدونا ــ مثل خرج يخرج خروجا ــ إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه ، وربما قالوا : شدن المهر ، فاذا قالوا « شادن » ولم يذكروا معه موصوفا ، فلا يريدون غير ولد الظبية ، وتقول : أشدنت الظبية فهى مشدن ، إذا شدن ولدها ، وهؤلياء : هو تصغير هؤلاء شذوذا كما صغروا : ذا ، وتا ، والذى ، والتى ، فقالوا : ذيا ، وتيا ، والذيا ، والتيا وإنما سبيل التصغير أن يكون فى الأسماء المتمكنة ، والضال : السدر البرى ، واحدته ضالة ، وقوله « بالله يا ظبيات القاع ــ البيت » تقدم شرحه مفصلا (١/٢٢٩) .

الإعراب : « يا » يجوز أن تكون حرف تنبيه فلا محذوف ، ويجوز أن تكون حرف نداء والنادى محذوف ، وتقدير الكلام على هذا : يا قوم ما أميلح ، أو نحوه « ما » تعجبية مبتدأ ، مبنى على السكون فى محل رفع « أميلح » فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره هو يعود إلى ما التعجبية « غزلانا » مفعول به لأمليح منصوب بالفتحة الظاهرة ، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله فى محل رفع خبر المبتدأ الذى هو ما التعجبية ، وهذا مبنى على الراجح عند العلماء من أنها نكرة تامة بمعنى شىء عظيم سوغ الابتداء بها ماتضمنته من معنى التعجب فالابتداء بها كالابتداء بعجب فى قول الشاعر ☆ عجب لتلك قضيته . . . البيت (ش ١٤٦) ☆ وقيل : إن ما التعجبية موصولة مبتدأ ، وعلى هذا تكون جملة الفعل وفاعله ومفعوله لامحل لها من الإعراب صلة الموصول ، ويكون خبر المبتدأ محذوفا ، وكأنه قيل : الذى أملح غزلانا شىء عظيم . وقيل : إن ما التعجبية نكرة ناقصة أى محتاجة للوصف ، وعلى هذا تكون جملة الفعل وفاعله ومفعوله فى محل رفع صفة لما ، ويكون خبر المبتدإ محذوفا أيضا ، وقد ذكر الشارح العلامة هذه الأقوال « شدن » شدن : فعل ماض مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة لا محل له من الإعراب ، ونون النسوة فاعله مبنى على الفتح فى محل رفع ، وجملة الفعل وفاعله فى محل نصب صفة لغزلان « لنا » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة أخرى لغزلان .

الشاهد فيه : قوله « أميلح » فانه أفعل المستعمل فى الدلالة على التعجب ، وقد جاء فى هذا البيت مصغرا ، ولما كان التصغير من خصائص الأسماء المعربة المتمكنة ذهب الكوفيون إلى أن « أفعل » المستعمل فى التعجب اسم معرب مستدلين على ذلك بمجيئه مصغرا فى هذا البيت ونحوه ، وهو على مذهبهم خبر المبتدأ .

فإن قلت : فهم يقولون إن أفعل اسم معرب متمكن ، وإنه فى هذا الأسلوب خبر المبتدأ ، فههنا ثلاثة أسئلة : أولها لماذا لم ينون مع أنه اسم معرب متمكن ؟ وثانيها لماذا لم يرتفع مع أنه خبر المبتدأ وليس مبنيا ؟ وثالثها علام انتصب قوله فى بيت الشاهد « غزلانا » وليس فى الكلام عامل ينصبه على قولهم ؟

... ...

فالجواب عن ذلك : أما عن السؤال الأول فإنه لم ينون لأنه ممنوع من الصرف لما فيـه من الوصفية ووزن الفعل ، فهو نظير أفعل الدال على التفضيل فى نحو قولك : محمد أكرم من على . وأما عن السؤال الثانى فلأن مخالفة الخبر للمبتدأ فى المعنى تقتضى عندهم نصب الخبر ، والسر فى ذلك أن الخبر إذا خالف المبتدأ حتى يكون بحالة لا يجوز معها أن يحمل عليه حقيقة ولا حكما فقد صار فى المعنى غيره ؛ لأن الأصل أن الخبر هو المبتدأ ، وإذا خالفه فى المعنى خالفه فى الإعراب ، والناصب له عندهم معنوى ــ وهو المخالفة التى اتصف بها ــ وليس هو متعلقا بشىء يكون هو الخبر ، وأملح ونحوه إنما هو فى المعنى وصف للمنصوب بعده ، لا لضمير ما الواقعة مبتدأ ، فلذلك نصب ليكون الاختلاف فى اللفظ مشعرا وموميًا إلى الاختلاف فى المعنى . وأما عن السؤال الثالث فإن غزلانا ونحوه مما ينتصب بعد أفعل الدال على التعجب منصوب على التشبيه بالمفعول به ؛ لأن ناصبه وصف قاصر فأشبه نصب « الوجه » فى قولك « زيد حسن الوجه » إذا نونت حسنا ونصبت الوجه .

فإن قلت : فماذا يرد البصريون على مقالتهم هذه ؟

فالجواب عن ذلك أن للبصريين فى الرد على تصغير أفعل الدال على التعجب وجهين : أولهما أن تصغيره جاء شاذا كما جاء تصغير بعض أسماء الإشارة وبعض الأسماء الموصولة مع اتفاقنا على أن النوعين مبنيان وعلى أن التصغير لا يكون إلا فى المعربات ، فلما لم يكن مجىء بعض هذين مصغراً قادحاً فى بنائه لأن ذلك شاذ لا يكون مجىء أفعـل الدال على التعجب مصغراً قادحاً فى فعليته . وثانيهما سلمنا أن تصغير أفعل الدال على التعجب ليس شاذا ولا ضرورة من ضرورات الشعر فإنا نقرر أن هذا الفعل لما خرج عن سمات الأفعال بسبب جموده وبكونه لا مصدر له لم يكن بحيث يلتزم معه كل ما التزم مع الأفعال المتصرفة التى تؤخذ من مصادر ، ولما أشبه أفعـل الدال على التفضيل من ثلاث جهات : كونه على زنته ، وكونه دالاً مثله على الزيادة ، وبكونه لا يؤخذ إلا مما استكمل الشروط التى يجب استيفاؤها فيما يؤخذ منـه اسم التفضيل ــ جاز تصغيره كما يصغر اسم التفضيل ؛ لأن الشىء إذا أشبه الشىء ساغ أن يأخذ بعض أحكامه .

على أن قولهم « إن الخبر إذا لم يكن هو المبتدأ فى المعنى كان منصوبا » غير مسلم ؛ فإن العرب يقولون : « زيد أفضل من عمرو أبا » ويرفعون « أفضل » وعليه جاء قول الله تعالى : (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) مع أن الخبر فى هذا ونحوه ليس هو المبتدأ فى المعنى ، ألا ترى أن الأفضل هو الأب المنصوب على التمييز وليس هو زيداً الواقع مبتدأ ؟ وألا ترى أن الأكثر هو المال والأعز هو النفر وليس هو المتكلم الواقع ضميره مبتدأ ؟ فقد رأينا أن الخلاف لم يقتض نصب الخبر .

ويحسن أن نترك ابن الأنبارى يحدثك عن هـذا الخلاف ويذكر لك حجج الفريقين ورد أحدهما على الآخر ، قال فى الإنصاف (٥٧ ليدن ٨١ مصر بتحقيقنا) مانصه : « ذهب الكوفيون

... ...

إلى أن أفعل فى التعجب ــ نحو ما أحسن زيداًــ اسم ، وذهب البصريون إلى أنه فعل ماض ، وإليه ذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائى من الكوفيين .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه اسم أنه جامد لا يتصرف ، ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف ؛ لأن التصرف من خصائص الأفعال ، فلما لم يتصرف وكان جامدا وجب أن يلحق بالأسماء . ومنهم من تمسك بأن قال : الدليل على أنه اسم أنه يدخله التصغير ، والتصغير من خصائص الأسماء ، قال الشاعر : * يا ما أميلح غزلانا . . البيت * فأميلح : تصغير أملح ، وقد جاء ذلك كثيرا فى الشعر وفى سعة الكلام .

قالوا : ولا يجوز أن يقال : إن فعل التعجب لزم طريقة واحدة وضارع الاسم فلحقه التصغير لأنا نقول : هذا ينتقض بليس وعسى فإنهما لزما طريقة واحدة ومع هــذا لا يجوز تصغيرهما . وأبلغ من هذا النقض وأوكد مثال « أفعل به » فى التعجب فإنه لزم طريقة واحدة ومع هذا فانه لا يجوز تصغيره .

ومنهم من قال : الدليل على أنه اسم أنه تصح عينه نحو « ما أقومه » و « ما أبيعه » كما تصح العين فى الاسم نحو « هذا أقوم منك » و « أبيع منك » ولو أنه فعل كما زعمتم لوجب أن تعـل عينه بقلبها ألفاً كما قلبت من الفعل فى نحو قام وباع ونحو أقام وأباع فى قولهم « أبعت الشىء » إذا عرضته للبيع . وإذا كان قد أجرى مجرى الأسماء فى التصحيح ــ مع ما دخله من الجمود والتصغيرــ وجب أن يكون اسما . والذى يدل على أنه ليس بفعل وأنه ليس التقدير فيــه شىء أحسن زيدا قولهم « ما أعظم الله » ولو كان التقدير فيه ما زعمتم لوجب أن يكون التقدير : شىء أعظم الله ، والله تعالى عظيم لا بجعل جاعل ، وقال الشاعر (هو الشاهد ٤١ من شواهد كتابنا هذا) :

مَا أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُدْنِى عَلَى شَحطٍ ... مَنْ دَارُهُ الْحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ

ولو كان الأمر كما زعمتم لوجب أن يكون التقدير : شىء أقدر الله ، والله تعالى قادر لا بجعل جاعل .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه فعل أنه إذا وصل بياء الضمير دخلت عليه نون الوقاية نحو « ما أحسننى عندك » و « ما أظرفنى فى عينك » و « ما أعلمنى فى ظنك » ونون الوقاية إنما تدخــل على الفعل لا على الاسم ، ألا ترى أنك تقول « أرشدنى » و « أسعدنى » و « أبعدنى » ولا تقول فى الاسم مرشدنى ولا مسعدنى ، فأما قوله :

* وَلَيْسَ حَامِلُنِى إلاَ ابْنَ حَمَّالِ *

فمن الشاذ الذى لا يلتفت إليه ولا يقاس عليه . وإنما دخلت هذه النون على الفعل لتقى آخره من

ففتحتُه إعراب كالفتحة فى زَيْدٌ عِنْدَكَ ، وذلك لأن مخالَفَةَ الخبر المبتدأ تقتضى عندهم نصبه ، وأحْسَنَ إنمـا هو فى المعنى وصفٌ لزيد لا لضمير ما ، وزيدٌ عندهم مُشَبَّه بالمفعول به .

وأما الصيغة الثانية فأجمعوا على فِعْليَّة « أفْعِلْ » ، ثم اختلفوا : فقال البصريون : لفظُه لفظُ الأمر ومعناه الخبرُ . وهو فى الأصل ماضٍ على صيغة أفْعَلَ بمعنى صار ذا كذا ، كأغَدَّ البعيرُ إذا صار ذا غُدَّةٍ[1] ، ثم غيرت الصيغة فقَبُح إسناد صيغـة الأمر إلى الاسم الظاهر ، فزيدت الباء فى الفاعل ليصير على صورة المفعول به كامْرُرْ بزَيْدٍ ، ولذلك التزمت ، بخلافها فى نحو « كفى بالله شهيدا » فيجوز تركها كقوله :

٧٣٦ — * كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلاَمُ لِلْمَرْءِ نَاهِياً *

الـكسر ؛ لأن ياء المتكلم لا يكون ما قبلها إلا مكسوراً ، وإذا كانوا قد منعوه من كسرة الإعراب لثقلها وهى غير لازمة فلأن يمنعوه من كسرة البناء وهى لازمة كان ذلك من طريق الأولى ، فلما منعوه من الـكسر أدخلوا هذه النون لتكون الـكسرة عليها ، فلو لم يكن أفعل فى التعجب فعلا لما دخلت عليه نون الوقاية كدخولها على سائر الأفعال . ومنهم من قال : الدليل على أن أفعـل فى التعجب فعل أنه ينصب المعارف والنكرات ، وأفعل إذا كان اسما لا ينصب إلا النكرات خاصة على التميز نحو قولك « زيد أكبر منك سنا » و « أكثر منك حلما » ولو قلت : زيد أكبر منك السن ، أو أكثر منك العلم لم يجز ، ولما جاز أن يقال « ما أكبر السن له » و « ما أكثر العلم له » دل على أنه فعل . ومنهم من قال : الدليل على أنه فعل ماض أنا وجدناه مفتوح الآخر ، ولولا أنه فعـل ماض لم يكن لبنائه على الفتح وجه ؛ لأنه لو كان اسما لارتفع لـكونه خبرا لما على كلا المذهبين فلما لزم الفتح آخره دل على أنه فعل ماض » اهـ المقصود منـه ، والمسألة طويلة وفيها مناقشات وردود يخرج بها الأمر إلى حد الإملال ، فارجع إليها هناك إن شئت الزيادة على هذا القدر .

(١) الغدة ــ بضم الغين المعجمة وتشديد الدال ــ طاعون يصيب البعير فتنشأ عنـه تآليل (خراج) وأغد البعير فهو مغد ، وأغد القوم : أصابت إبلهم الغدة .

٧٣٦ — هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا *

وهذا مطلع قصيدة لسحيم عبـد بنى الحسحاس ، وهى من القصائد المستجادة ، وكان ابن الأعرابى يقول : إنها الخسروانى . وبعد المطلع الذى أنشدناه قوله :

جُنُوناً بِهَا فِيماَ اعْتَرَتْنَا عَلاَقَةٌ   عَلاَقَةُ حُبٍّ مُسْتَسِرًّا وَبَادِيَا

... ...

لَيَالِيَ تَصْطَادُ الرِّجَالَ بِفَاحِمٍ ... تَرَاهُ أَثِيثًا نَاعِمَ النَّبْتِ عَافِيَا
تُرِيكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ كَفًّا وَمِعْصَمًا ... وَوَجْهًا كَدِينَارِ الْهِرَقْلِيِّ صَافِيَا

اللغة : « عميرة » تصغير عمرة ، وقد سموا بالمكبر وبالمصغر ، ومن شواهد تسميتهم بالمكبر قول لقيط الإيادى :

يَا دَارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَرَعَا ... هَاجَتْ لِيَ الْهَمَّ وَالْأَحْزَانَ وَالْوَجَعَا

« تجهزت » أى اتخذت جهاز سفرك وأعددته وهيأته ، وأصل هذه المادة قولهم : جهزت العروس تجهيزا ، وجهزت الجيش ، وقالوا : جهزت فلانا ، إذا كنت قد هيأت له جهاز سفره . وقالوا : تجهزت لأمر كذا ، بمعنى تهيأت له وأعددت عدته « غاديا » اسم فاعل فعله غدا ، والأصل فيه الغدوة ــ بضم فسكون ــ والغداة ــ بفتح الغين والدال ــ وهى الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس وسموا السحابة التى تنشأ صباحا غادية ، ومن الناس من يروى فى هذا البيت « غازيا » من الغزو ، وليس بشىء « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سمعه ينشد هذا البيت فقال : لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك ، ويروى أنه لما سمع هذا البيت قال له : لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك عليه (انظر أغانى أبى الفرج ٢٠ / ٣ وما بعدها ــ طبع بلاق) .

الإعراب : « كفى » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر لا محل له من الإعراب « الشيب » فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة « والإسلام » الواو حرف عطف الإسلام : معطوف على الشيب « للمرء » جار ومجرور يتعلق بقوله ناهيا الآتى « ناهيا » حال من الشيب ، ويجوز أن يكون تمييزاً لنسبة الكفاية إليه .

الشاهد فيه : قوله « كفى الشيب » وبيان الاستشهاد بهذه العبارة يستدعى أن نقدم لك مقدمة تتبين بعدها حقيقة الأمر ، فنقول : اعلم أولا أن « كفى » فى اللغة العربية على ثلاثة أوجه : الأول أن تكون بمعنى أجزأ وأغنى ، وهى حينئذ متعدية إلى مفعول واحد ، ومن شواهد ذلك قول الشاعر :

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ ... قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ

والثانى أن تكون بمعنى وقى أو قام بكفايته فى شأن من الشؤون ، وهذه تتعدى إلى مفعولين ، ومن شواهد ذلك قول الله تعالى : (وكفى الله المؤمنين القتال) وقوله جلت كلمته : (فسيكفيكهم الله) والثالث : أن تكون بمعنى حسب ، وهى حينئذ فعل قاصر لا يتعدى بنفسه إلى المفعول به .

وإنما تُحذف مع أنْ وأنّ كقوله ·

٧٣٧ — وَأَحْبِبْ إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ الْمُقَدَّمَا

واعلم ثانيا أن الباء لا تزاد فى فاعل واحدة من الأولين ، وتزاد فى فاعل الثالثة ، فمثال زيادتها فيه قول الله تعالى : (وكفى بنا حاسبين) وقوله (كفى بالله شهيدا) وقد أخطأ أبو الطيب المتنبى فزادها فى فاعل « كفى » التى بمعنى أجزأ وذلك فى قوله :

كَفَى ثُعَلاً فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمُ

ولو كانت الرواية برفع فخر لكانت سليمة من هذا العيب ، ولكان « فخر » فاعل كفى ، وكانت الباء متعلقة به.

واعلم ثالثاً أن زيادة هذه الباء فى فاعل هذا الفعل غالبة وليست بلازمة ، بل يجوز أن يجىء فاعلها غير مقترن بالباء الزائدة كما فى البيت المستشهد به ، وهذا هو محل الاستشهاد بالبيت حيث جاء فاعل كفى غير مقترن بالباء الزائدة ، فهذا يدل على أن زيادتها فيه غير واجبة .

ثم اعلم أن القول بزيادة الباء فى فاعل كفى التى بمعنى حسب هو قول جمهرة النحاة ، وذهب الزجاج إلى أن كفى فى نحو قوله تعالى : (كفى بالله شهيدا) فعل ماض لفظا أمر معنى ، وفاعله مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، والباء أصلية متعلقة به ، وكأنه قد قيل : اكتف بالله شهيداً ، وذهب ابن السراج إلى أن كفى ماض لفظا ومعنى ، وفيه ضمير مستتر جوازا تقديره هو يعود إلى مصدر هذا الفعل ، والجار والمجرور متعلق بهذا الضمير لأنه بمعنى المصدر ، وفى هذا القول إعمال ضمير المصدر وهو محل خلاف بين العلماء ، فالجمهور من البصريين يمنعون إعماله مطلقا ، والكوفيون يجيزون إعماله مطلقا ، وفصل الفارسى والرمانى فقالا : يجوز إعمال ضمير المصدر فى الظرف والجار والمجرور ، ولا يجوز إعماله فى غيرهما .

٧٣٧ — هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* وَقَالَ نَبِيُّ الْمُسْلِمِينَ تَقَدَّمُوا *

وهذا البيت من قصيدة للعباس بن مرداس السلمى يقولها فى غزاة حنين ، وقد رواها ابن إسحاق فى السيرة ، وأولها قوله :

مَنْ مُبْلِغُ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا ... رَسُولَ الْإِلٰهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا
دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللهَ رَبَّهُ ... فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قُدَيْدًا مُحَمَّدًا ... يَؤُمُّ بِنَا أَمْرًا مِنَ اللهِ مُحْكَمَا
تَمَارَوْا بِنَا فِى الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا ... مَعَ الْفَجْرِ فِتْيَانًا وَغَابًا مُقَوَّمَا

... ...

عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعُنَا   وَرَجْلاً كَدُفَّاعِ الْأَتِيِّ عَرَمْرَمَا

فَإِنَّ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلاً   سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمُ قَدْ تَسَلَّمَا

وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لاَ يَخْذُلُونَهُ   أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا

فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَّرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا   وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا

بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ   تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا

حَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ   فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمَا

وَقَالَ نَبِيُّ الْمُسْلِمِينَ تَقَدَّمُوا   وَأَحْبِبْ . . . . البيت ، وبعده :

وَبِتْنَا بِنَهْيِ الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ   بِنَا الْخَوْفُ إِلاَّ رَغْبَةً وَتَحَزُّمَا

أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ   وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلَمْلَمَا

اللغة : « وقال نبى المسلمين » قد روى بعض الناس فى مكان هذه العبارة « وقال أمير المؤمنين » وروى آخرون « وقال أمير المسلمين » ولئن صحتا فالمراد أمير أمره الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم فى تهيئة الجيش وإبلاغ أوامره إليهم ، وقد يصح أن يراد به الرسول نفسه ، ولكن هذا اللقب لم يكن مما يطلق عليه ، ولا يراد به الخليفة بعده صلوات الله وسلامه عليه لأن هذه القصيدة قد قيلت فى غزاة حنين كما ذكرنا فى مطلع الكلام على هذا الشاهد ، وقد حدثت فى حياته صلوات الله عليه ؛ « تقدموا » يريد به التقدم فى الصفوف الأولى من المقاتلة ، والهجوم على العدو « وأحبب » تعجب من شدة حبهم وعظيم رغبتهم « أن تكون المقدما » لم يرد بالتقدم ههنا التقدم الذى أراده فى العبارة الأولى مع بقاء الاسناد على ظاهره ؛ لأن الجند يفدون قائدهم بأنفسهم ويؤثرونه على كل محبوب لديهم فلا يرضون أن يعرضوه لسهام الأعداء ، فكيف بالصحابة الذين كانوا يعلمون أن من علامة الإيمان أن يكون الرسول أحب إليهم من والديهم وأولادهم والناس أجمعين ، وعلى هذا يجوز أن يكون أراد بالتقدم فى العبارة الأخيرة النصر والفلج على الأعداء ، وعبر عن ذلك بالتقدم مشاكلة ، ويجوز أن يكون أسند التقدم إليه صلوات الله عليه وسلامه وهو يريد تقدمهم هم أنفسهم لأن تقدمهم سبب فى تقدم الرسول .

المعنى : يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرهم بالتقدم إلى أعدائهم ومحاربتهم ، ثم تعجب من شدة محبتهم لانتصار الرسول على أعدائه .

لاطّراد حذفِ الجار معهما كما عُرِف . وقال الفراء والزجاج والزمخشرى وابنا كَيْسَانَ وخروف : لفظُه ومعناه الأمر ، وفيه ضمير ، والباء للتعدية ، ثم قال ابن كيسان : الضميرُ للحُسْن. وقال غيره : للمُخَاطب . و إنما التزم إفراده لأنه كلامٌ جَرَى مَجْرَى المثل .

(وَتَلْوَ أَفْعِلِ أَنْصِبَنَّهُ) أى حتمًا لما عرفت (كَمَا أَوْفَى خَلِيلَيْنَا وَأَصْدِقْ بِهِمَا) .

﴿ تنبيه ﴾ : شرطُ المنصوبِ بعد « أَفْعَلَ » والمجرورِ بعد « أَفْعِلْ » أن يكون مختصا لتحصُل به الفائدة كما أرشد إليه تمثيله، فلا يجوز «ما أحسن رجلا» ولا «أَحْسِنْ بِرَجُلٍ» . اهـ .

الإعراب : «وقال» الواو للاستئناف ، قال : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « نبى » فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف « والسلمين » مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه جمع مذكر سالم « تقدموا » فعل أمر مبنى على حذف النون ، وواو الجماعة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع « وأحبب » فعل ماض جاء على صورة الأمر دال على التعجب قيل : إنه مبنى على السكون لكونه على صورة الأمر ، وقيل : بل مبنى على الفتح المقدر نظرا إلى حقيقة أمره « إلينا » إلى : حرف جر ، وضمير المتكلم ومعه غيره مبنى على السكون فى محل جر بإلى ، والجار والمجرور متعلق بأحبب «أن» حرف مصدرى ونصب « تكون » فعل مضارع ناقص منصوب بأن الصدرية ، واسمه ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت « المقدما » خبر تكون منصوب بالفتحة الظاهرة ، وأن المصدرية مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بباء زائدة محذوفة وهو فاعل أحبب .

الشاهد فيه : قوله « أحبب أن تكون » حيث حذف الباء الزائدة التى تدخل لزوما على فاعل فعل التعجب المأتى به على صورة الأمر ، وإنما كانت الباء لازمة فى فاعل هذا الفعل لأنه كما قلنا على صورة الأمر ، وفعل الأمر إذا كان مسندا للواحد المذكر لم يكن فاعله إلا ضميراً مستترا ، فلما كان هذا الفعل على صورته استقبحوا أن يجيئوا بفاعله اسما ظاهرا ، ولما كان معناه ماضيا لم يكن بد من ذكر فاعله ، فجمعوا بين الأمرين بأن ذكروا الفاعل كما تقتضيه حقيقة الحال ، وزادوا فيه الباء ليكون فى الصورة كفضلة من الفضلات التى تذكر مع الفعل الدال على الأمر بغير حرج . وتأمل فى شرف هـذه اللغة حيث أعطت الصورة حكما صوريا وأعطت الحقيقة حكما حقيقيا فكان التناسب تاما . وإنما حذفت الباء فى هذا الشاهد لأن الفاعل اسم مؤول بواسطة أن المصدرية ، وحرف الجر يحذف قبل « أن » المصدرية وقبل « أن » المؤكدة المفتوحة الهمزة حذفاً قياسيا لا حرج فيه ما لم يفض الحذف إلى اللبس ، فإذا تعين حرف الجر فى مكان ما لم يكن بحذفه بأس قط .

(وَحَذْفَ مَا مِنْهُ تَعَجَّبْتَ اسْتَبِحْ) منصوبا كان أو مجرورا (إِنْ كَانَ عِنْدَ الْحَذْفِ مَعْنَاهُ يَضِحْ) أى : يتّضح ، فالأول كقوله :

٧٣٨ — جَزَى اللهُ عَنَّا وَالْجَزَاء بِفَضْلِهِ رَبِيعَةَ خَيْرًا ، مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا !

---

٧٣٨ — هذا بيت من الطويل ، والرواة ينسبونه إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ! يقوله ضمن كلة فى وصف بلاء ربيعة معه فى يوم من أيام صفين . قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة (٤٩٥/١) رواية عن أشياخ من بنى تيم بن ثعلبة: «كانت راية ربيعة كلها كوفيها وبصريها مع خالد بن المعمر السدوسى من ربيعة البصرة ، ثم نافسه فى الراية شقيق بن ثور من بكر بن وائل من أهل الكوفة ، فاصطلحا على أن يوليا الراية لحضين بن المنذر الرقاشى ـ وهو من أهل البصرة أيضا ـ وقالوا : هذا فتى له حسب نعطيه الراية إلى أن نرى رأينا وكان الحضين يومئذ شابا حدث السن ، قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر قال : أقبل الحضين ابن المنذر يومئذ وهو غلام يزحف براية ربيعة ـ وكانت حمراء ـ فأعجب عليا عليه السلام زحفه وثباته ، فقال :

لِمَنْ رَايَةٌ حَمْرَاء يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدِّمْهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا
وَيَدْنُو بِهَا فِى الصَّفِّ حَتَى يُزِيرَهَا حِمَامَ الْمَنَايَا تَقْطُرُ الْمَوْتَ وَالدَّمَا
تَرَاهُ إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ عَظِيمَةٍ أَبَى فِيهِ إِلاَّ عِزَّةً وَتَكَرُّمَا
جَزَى اللهُ قَوْمًا صَابَرُوا فى لِقَائِهِمْ لَدَى الْبَأْسِ خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
وَأَحْزَمَ صَبْرًا يَوْمَ يُدْعَى إِلَى الْوَغَى إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الْكُمَاةِ تَغَمْغُمَا
رَبِيعَةَ أَعْنِى إِنَّهُمْ أَهْلُ نَجْدَةٍ وَبَأْسٍ إِذَا لاَقَوْا خَمِيسًا عَرَمْرَمَا
وَقَدْ صَبَرَتْ عَكٌّ وَلَخْمٌ وَحِمْيَرٌ لِمَذْحِجَ حَتَّى لَمْ يُفَارِقْ دَمٌ دَمَا
وَنَادَتْ جُذَامٌ يَا لَمَذْحِجَ وَيْحَكُمْ جَزَى اللهُ شَرًّا أَيُّنَا كَانَ أَظْلَمَا
أَمَا تَتَّقُونَ اللهَ فِى حُرُمَاتِكُمْ وَمَا قَرَّبَ الرَّحْمٰنُ فِيهَا وَعَظَّمَا
أَذَقْنَا ابْنَ حَرْبٍ طَعْنَنَا وَضِرَابَنَا بِأَسْيَافِنَا حَتَّى تَوَلَّى وَأَحْجَمَا
وَفَرَّ يُنَادِى الزِّبْرِقَانَ وَظَالِمًا وَنَادَى كَلاَعًا وَالكُرَيْبَ وَأَنْعَمَا

... ...

وَعَمْرًا وَسُفْيَانًا وَجَهْمًا وَمَالِكاً وَحَوْشَبَ وَالْغَاوِى شُرَيْحًا وَأَظْلَمَا
وَكُرْزَبْنَ تيهان وَعَمْرَو بْنَ جَحْدَرٍ وَصَبَّاحًا اللَّيْثِيَّ يَدْعُو وَأَسْلَمَا

قلت : هكذا روى نصر بن مزاحم ، وسائر الرواة رووا له عليه السلام الأبيات الستة الأولى ، ورووا باقى الأبيات من قوله : وقد صبرت عك ، للحضين بن المنذر صاحب الراية » اه كلام ابن أبى الحديد . وقد رأيت أن البيت المستشهد به يروى عنده برواية أخرى غير رواية النحاة وإن كانت عبارة الاستشهاد لم تختلف .

اللغة : « جزى » تقول : جزيت فلانا بما صنع أجزيه ــ من باب ضرب يضرب ــ جزاء ، وجازيته مجازاة ، إذا كافأته ، وقد تذكر المجزى به فيتعدى إليه الفعل بنفسه أيضا ، تقول : جزيت فلانا خيرا ، وما فى البيت من هذا القبيل « والجزاء بفضله » الجزاء : المكافأة ، والفضل : الإحسان « ما أعف » تعجب من شدة عفتهم عن الدنيا ، وهو يريد عفتهم عن الغنائم والأسلاب ، وهذا مما يتمدح به ، قال عنترة :

يُنْبِئْكِ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِى أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

الإعراب : « جزى » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر « الله » فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة « عنى » جار ومجرور متعلق بجزى « والجزاء » الواو واو الحال ، الجزاء : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة « بفضله » الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، وفضل مضاف والضمير الموضوع للغائب مضاف إليه ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب حال « ربيعة » مفعول أول لجزى منصوب بالفتحة الظاهرة « خيرا » مفعول ثان لجزى منصوب بالفتحة الظاهرة « ما » تعجبية مبتدأ ، مبنى على السكون فى محل رفع « أعف » فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره هو يعود إلى ما ، ومفعوله محذوف ، وتقدير الكلام : ما أعفهم ، وجملة الفعل الماضى وفاعله ومفعوله المحذوف فى محل رفع خبر المبتدأ « وأكرما » الواو حرف عطف ، أكرما : معطوف على أعف السابق ، والألف ألف الإطلاق .

الشاهد فيه : قوله « ما أعف وأكرما » حيث حذف مفعول فعل التعجب لقيام القرينة التى ترشد إليه وتدل عليه ــ وهذه القرينة هى ذكر هذا المفعول بلفظه العلم ، وأصل الكلام : ما أعف ربيعة وما أكرمهم ، فلما قدم ذكر ربيعة صار المقام للضمير ، والتقدير حينئذ : ما أعفهم وأكرمهم

أى : ما أعفهم وأكرمهم ، والثانى ـ وشرطه أن يكون أَفْعِلْ معطوفا على آخَرَ مذكور معه مثلُ ذلك المحذوف ، ذكره فى شرح الكافية — نحوُ « أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ » أى بهم .

وأما قولُه :

٧٣٩ — فَذَلِكَ إنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَهَا حَمِيدًا ، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ

أى به — فشاذ

ثم لما لم يجد على السامع حرجاً فى أن يتلمس هذا المفعول فيجده فى يسر استساغ حذفه ؛ فصار الكلام إلى ما ترى .

٧٣٩ — هذا بيت من الطويل ، وهو البيت الحادى والعشرون من قصيدة مستجادة لعروة ابن الورد العبسى ، وهى ثابتة فى ديوانه برواية ابن السكيت (ص ٦٣ وما بعدها) وفى الأصمعيات (ص ٣٩ برلين) ومنها فى جمهرة أشعار العرب (ص ١١٤ بولاق) تسعة عشر بيتاً ، وفى كامل المبرد (١/٧٨ الخيرية) عشرة أبيات ، وأول هذه القصيدة قوله :

أَقِلِّى عَلَىَّ اللَّوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرِ وَنَامِى وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِى النَّوْمَ فَاسْهَرِى
ذَرِينِى وَنَفْسِى أُمَّ حَسَّانَ إنَّنِى بِهَا قَبْلَ أَلاَّ أَمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِى
أَحَادِيثَ تَبْقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صَيِّرِ
تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الْكِنَاسِ وَتَشْتَكِى إلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ تَرَاهُ وَمُنْكَرِ
ذَرِينِى أُطَوِّفْ فى الْبِلاَدِ لَعَلَّنِى أُخَلِّيكِ أَوْ أُغْنِيكِ عَنْ سُوءِ مَحْضَرِى
فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّةِ لَمْ أَكُنْ جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخَّرِ
وَإِنْ فَازَ سَهْمِى كَفَّكُمْ عَنْ مَقَاعِدٍ لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ الْبُيُوتِ وَمَنْظَرِ

وقبل البيت المستشهد به بأبيات يتصل معناها به قوله :

لَحَا اللهُ صُعْلُوكًا إذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِى الْمُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزَرِ
يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ طَاوِيًا يَحُتُّ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرِ
قَلِيلُ الْتِمَاسِ الزَّادِ إلاَّ لِنَفْسِهِ إذَا هُوَ أَمْسَى كَالْعَرِيشِ الْمُجَوَّرِ

... ...

يُعِـــــينُ نِسَاء الحَيِّ مَا يسْتَعِنَّهُ فَيُمْسِى طَلِيحاً كالبَعِيرِ المُحَسَّرِ
وَلَـكِنَّ صُعْلُوكاً صَحِيفَةُ وَجْهِـهِ كَضَوْءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتنوِّرِ
مُطِلاًّ عَلَى أَعْـدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجْـرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ
فَإِنْ بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْـتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْـــلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا حَمِيداً . . . . . . البيت ، وبعده :
أَيَهْلِكُ مُعْتَمٌ وَزَيْدٌ وَلَمْ أَقُمْ عَلَى نَدَبٍ يَوْمًا وَلِى نَفْسُ مُخْطِرِ

اللغة : قوله « ولـكن صعلوكا صحيفة وجهه ـ البيت » يريد ولـكن صعلوكا من صفاته تلك الصفات لا لحاه الله ولا أبعده ، وصحيفة وجهه : عرضه ، والـكلام على تقدير مضاف ، والأصل : ضوء عرض وجهه كضوء شهاب ، وهذه الجملة صفة من صفات الصعلوك ، والشهاب: شعلة ساطعة من النار ، والقابس : طالب النار ، والمتنور : الذى يطلب النار من بعيـد ، وقوله « مطلا على أعدائه ـ البيت » مطلا : اسم فاعل فعله أطل ، ومعناه أشرف من عال ، والمراد أنه يغزو أعداءه أبدا ، ويزجرونه : يصيحون به كما يزجر القـدح الذى يضرب به فى الميسر ، والمنيح : قدح من أقداح الميسر ليس له غنم ولا عليه غرم ولـكن تستكثر به القداح . وقوله « فان بعدوا لا يأمنون اقترابه ـ البيت » يقول : إن بعد أعداؤه وصارت مسا كنهم فى أما كن نائية لم يصعب عليه أن يذهب لغزوهم وهم أنفسهم لا يأمنون ذلك منه لما عرفوه من بعد همته فهم ينتظرونه فى كل ساعة كما ينتظر أهـل الغائب غائبهم . وقوله « فذلك إن يلق المنية ـ البيت المستشهد به » اسم الإشارة يعود إلى الصعلوك الذى وصـفه بصفات المدح التى عنينا ببيانها من بين الأبيات التى أثرناها ، وقد ضبطت كاف الخطاب فيه بالفتح فى عـدة مراجع منها كامل المبرد ، وتعقبه أبو الحسن الأخفش فاستصوب كسر الـكاف لأن الخطاب مع امرأة . والمنية : الموت ، وحميدا : فعيل من الحمد بمعنى مفعول : أى يحمد له الناس ما كان عليه من صفات ويذكرونه بالخير ، وأجدر : أى ما أجدره وما أحقه ، وأصله فأجدر به فحذف وسنبينه .

المعنى : وصف رجلا فقيرا ولـكنه بعيد الهمة ساع فى معالى الأمور لا يكل أمر نفسه إلى غيره ولا يقعد ليسعى له سواه ، ثم بين أن هـذا الصعلوك الموصوف بهذه الصفات إن مات فى سبيل مطالبه ولقى الحتف فى الطريق الذى رسمه لنفسه لم يزر به ذلك ولم ينل من سمعته ؛ لأن الناس

... ...

سيذكرونه بالخير ويثنون عليه الثناء الحسن ، وإن عاش فاستغنى بكده وسعيه ونال ما كان يعمل جهده لإدراكه فهو مستحق لذلك مستأهل له .

الإعراب : « فذلك » ذا : اسم إشارة مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع ، واللام حرف دال على البعد ، والكاف حرف دال على الخطاب « إن » حرف شرط جازم مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « يلق » فعل مضارع فعل الشرط مجزوم بحذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى اسم الإشارة الواقع مبتدأ « المنية » مفعول به «يلقها» يلق : فعل مضارع جواب الشرط، وفاعله مستترفيه ، وضمير الغائبة العائد إلى المنية مفعول به « حميدا » حال من الضمير المستتر فى يلق ، وجملة الشرط وجوابه على ما نرجحه فى محل رفع خبر المبتدأ « وإن » الواو عاطفة ، إن : حرف شرط جازم « يستغن » فعل مضارع فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى اسم الإشارة الواقع مبتدأ « يوما » ظرف زمان منصوب بقوله يستغن « فأجدر » الفاء واقعة فى جواب الشرط ، أجدر : فعل تعجب ، وهو فعل ماض مبنى على السكون لكونه فعل تعجب جاء على صورة الأمر أو مبنى على الفتح المقدر كما قررناه فى إعراب الشاهد السابق ، وقد حذف فاعله والباء الزائدة الجارة له ، وسنشرح ذلك فى بيان الاستشهاد بالبيت ، والجملة من فعل التعجب وفاعله فى محل جزم جواب الشرط ، وجملتا الشرط والجواب فى محل رفع معطوفة بالواو على جملتى الشرط والجواب السابقتين .

الشاهد فيه : قوله « فأجدر » حيث حذف المتعجب منه وهو المجرور بالباء الزائدة بعد فعل التعجب الذى على صورة الأمر الذى هو قوله « أجدر » من غير أن يستوفى شرط الحذف الذى قرره العلماء ــ وهو أن يكون فعل التعجب المحذوف فاعله معطوفا على فعل تعجب آخر مماثل له وقد ذكر معه فاعله المماثل للفاعل المحذوف ، كما فى قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) وكما فى قول الشاعر :

أَعْزِزْ بِنَا وَأَكْفِ إِنْ دُعِينَا يَوْمًا إِلى نُصْرَةِ مَنْ يَلِينَا

فان التقدير فى الآية الكريمة : أسمع بهم وأبصر بهم ، وفى البيت الذى أثرناه : أعزز بنا وأكف بنا ــ والحذف من غير استيفاء هذا الشرط شاذ ولو كان المحذوف مفهوما من شىء آخر غير فعل التعجب وفاعله المشروطين ، لأن أصل الحذف يقتضى دليلا على المحذوف إذ ما لم يكن المحذوف مدلولا عليه كان الكلام تعمية وإبهاما على السامع لا إفهاما له ، ثم جواز الحذف مرتبة أخرى وراء أصل الحذف ، وهذه المرتبة هى التى اشترط لها كون الدال على المحذوف خصوص فعل تعجب آخر عامل فى مثل المحذوف ، ويشترط لها فى كل باب يدخله الحذف شرط فوق دلالة شىء ما على المحذوف ، فافهم هذا وكن منه على ثبت والله يتولاك .

﴿ تنبيه ﴾ : إنما جاز حذفُ المجرور بعد أَفْعِلْ ـ مع كونه فاعلا ـ لأن لزومه للجر كساه صورةَ الفضلة ، فجاز فيه ما يجوز فيها .

وذهب قوم ـ منهم الفارسى ـ إلى أنه لم يحذف ، وأنه اسْتَتَرَ فى الفعل حين حذفت الباء .

ورُدَّ بوجهين : أحدهما : لزوم إبرازه حينئذ فى التثنية والجمع ، والآخر : أن من الضمائر ما لا يقبل الاستتار كنا من « أَكْرِمْ بِنَا » .

* * *

(وَفِى كِلاَ الْفِعْلَيْنِ) المذكورين (قِدْمًا لَزِمَا مَنْعُ تَصَرُّفٍ بِحُكْمٍ حُتِمَا) ليكون مجيئه على طريقة واحدة أدلَّ على مايراد به ، فالأول فى الماضى كَتَبَارَكَ وَعَسَى ، والثانى فى الأمر كَتَعَلَّمْ بمعنى اعْلَمْ . وقيل : إن علة جمودهما تضمُّنُهُمَا معنى الحرف الذى كان حقّه أن يُوضَع للتعجب فلم يوضع .

* * *

(وَصُغْهُمَا مِنْ ذِى ثَلاَثٍ صُرِّفَا قَابِلِ فَضْلٍ تَمَّ غَيْرِ ذِى انْتِفَا)
(وَغَيْرِ ذِى وَصْفٍ يُضَاهِى أَشْهَلاَ وَغَيْرِ سَالِكٍ سَبِيلَ فُعِلاَ)

أى : لا يُبْنَى هذان الفعلان إلا مما استكمل ثمانية شروط :

الأول : أن يكون فعلا ؛ فلا يُبنيَانِ من الجِلْفِ والحمار ، فلا يقال : ما أَجْلَفَه وما أَحْمَرَهُ ، وشذ « ما أَذْرَعَهَا » أى : ما أَخَفَّ يَدَها فى الْغَزْل ، بَنَوْه من قولهم : امرأة ذَرَاع . نعم ادعى ابنُ القَطَّاع أنه سُمع : ذَرِعَتِ المرأةُ خفت يدُها فى الغزل ، وعلى هذا يكون الشذوذ من حيث البناء من فعل المفعول .

الثانى : أن يكون ثلاثياً ؛ فلا يُبْنَيَان من دَحْرَجَ وضَارَبَ واسْتَخْرَجَ ، إلا أَفْعَلَ فقيل : يجوز مطلقا ، وقيل : يمتنع مطلقا ، وقيل : يجوز إن كانت الهمزة لغير النقل نحو : ما أَظْلَمَ هٰذَا اللَّيْلَ ، وما أَقْفَرَ هٰذَا المَكَانَ ، وشَذَّ على هذين القولين : ما أَعْطَاهُ لِلدَّراهم ،

وما أَوْلاَهُ لِلْمَعْرُوف ، وعلى الثلاثة : ما أَتْقاهُ ، وما أَمْلأَه لِلقِرْبَةِ ؛ لأنهما من اتَّقى وامْتلأت، وما أَخْصَرَه ؛ لأنه من اخْتُصِر ، وفيه شذوذ آخر سيأتى .

الثالث : أن يكون مُتَصَرِّفا ؛ فلا يُبْنيَان من نِعْمَ وبِئْس ، وشذَّ : ما أَعْسَاهُ ، وأَعْسِ بِهِ .

الرابع : أن يكون معناه قابلاً للتفاضل ؛ فلا يُبنَيان من فَنِيَ ومَاتَ .

الخامس : أن يكون تامًّا ؛ فلا يُبْنَيَان من نحو كانَ وظَلَّ وبَاتَ وصَارَ وكَادَ ، وأما قولهم « ما أَصْبَحَ أَبْرَدَها » ، و « ما أمسى أَدْفَأَها » فإن التعجب فيه داخل على أبرد وأدفأ ، وأصبح وأمسى زائدتان .

السادس : أن يكون مُثْبَتا ؛ فلا يُبنَيان من مَنْفِى ، سواء أكان ملازما للنفى نحو « مَا عَاجَ بالدَّواءِ » أى ما انتفع به ، أم غيرَ ملازمٍ كما قام .

السابع : أن لا يكون اسمُ فاعلِهِ على أَفْعَلَ فَعْلاء ؛ فلا يُبنَيَان من عَرِجَ وشَهِل وخَضِر الزرعُ .

الثامن : أن لا يكون مبنيا للمفعول ؛ فلا يُبنَيان من نحو ضُرِب . وشذ « ما أَخْصَرَه » من وجهين ، و بعضهم يستثنى ما كان ملازما لصيغة فُعِلَ نحو عُنِيتُ بحاجتك وزُهِيَ عَلَيْنَا ، فيجيز « ما أَعْنَاه بِحَاجَتِكَ » و «ما أَزْهَاهُ عَلَينَا » . قال فى التسهيل : وقد يُبنيَانِ من فعل المفعول إن أُمِنَ اللَّبسُ .

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : بقى شرطٌ تاسعٌ لم يَذْكره هنا ، وهو : أن لا يُسْتَغْنَى عنه بالمصوغ من غيره ، نحو قالَ من القائلة فإنهم لا يقولون ما أَقْيَلَهُ ، استغناء بما أكثر قائلته . قال فى التسهيل : وقد يُغْنِي فى التعجب فعلٌ عن فعل مستوفٍ للشروط ، كما يُغْنِى فى غيره ، أى نحو تَرَكَ فإنه أغنى عن وَدَعَ ، وعَدَّ فى شرحه من ذلك « سكر » ، و « قَعَدَ » و « جَلَسَ » ضِدَّىْ قام ، و « قالَ » من القائلة ، وزاد غيرُه «قامَ» و « غَضِبَ » و « نامَ» وممن ذكر السبعةَ ابنُ عصفورٍ ، وعدُّ « نام » فيها غيرُ صحيح ؛ لأن سيبويه حكى ما أنومه .

الثانى : عَدَّ بعضُهم من الشروط أن يكون على فَعُلَ بالضم أصلا أو تحويلاً ، أى يُقَدَّر رده إلى ذلك لأنه فعلُ غريزةٍ فيصير لازما ثم تلحقه همزةُ النقل ، و بعضُهم أن يكون واقعا ، و بعضهم أن يكون دائما ، والصحيحُ عدمُ اشتراط ذلك .

* * *

(وَأَشْدِدَ أَوْ أَشَدَّ أَوْ شِبْهُهُمَا يَخْلُفُ مَا بَعْضَ الشُّرُوطِ عَدِمَا)

من الأفعال (وَمَصْدَرُ) الفعل (الْعَادِمِ) بعضَ الشروطِ صريحًا كان أو مُؤَوَّلاً (بَعْدُ) أى : بعد ما أفعل (يَنْتَصِبْ وَبَعْدَ أَفْعِلْ جَرُّهُ بِالْبَا يَجِبْ) فتقول فى التعجب من الزائد على ثلاثة ومما الوصف منه على أفعل : مَا أَشَدَّ أَوْ أَعْظَمَ دَحْرَجَتَهُ أو انْطِلاَقَهُ أو حُمْرَتَهُ ، أو أَشْدِدْ أَوْ أَعْظِمْ بِهَا ، وكذا المنفيُّ والمبنيُّ للمفعول ، إلا أن مصدرَهما يكون مُؤَوَّلاً لاصريحا ، نحو : مَا أَكْثَرَ أَنْ لاَ يَقُومَ ، وما أَعْظَمَ مَا ضُرِبَ ، وأَشْدِدْ بِهِمَا . وأما الفعلُ الناقصُ فإن قُلْنا له مصدر فمن النوع الأول ، وإلا فمن الثانى ، تقول : مَا أَشَدَّ كَوْنَهُ جَمِيلاً ، أَوْ مَا أَكْثَرَ مَا كَانَ مُحْسِناً ، أَوْ أَشْدِدْ أَوْ أَكْثِرْ بذلك . وأما الجامدُ والذى لايتفاوت معناه فلا يُتَعَجَّب منهما البتة

(وَبِالنُّدُورِ احْكُمْ لِغَيْرِ مَاذُكِرْ وَلاَ تَقِسْ عَلَى الَّذِى مِنْهُ أُثِرْ)

أى : حَقُّ ماجاء عن العرب من فِعْلَى التعجب مبنيًّا مما لم يستكمل الشروط أن يُحفظ ولا يُقَاس عليه لندوره : من ذلك قولهم « مَا أَخْصَرَهُ » من اخْتُصِرَ ، وهو خماسى مبنى للمفعول ، وقولهم « مَا أَهْوَجَه » و « ما أَحْمَقَه » و « مَا أَرْعَنَه » ، وهى من فَعِلَ فهو أفْعَل ، كأنهم حملوها على « مَا أَجْهَلَه » ، وقولُهم «مَا أَعْسَاه » و «أَعْسِ بِهِ» ، وقولهم «أَقْمِنْ به» أى أَحْقِقْ به ، بَنَوه من قولهم: هو قَمِنٌ بكذا : أى حَقِيق به ، ولا فعل له. وقالوا « مَا أَجَنَّهُ » و « ما أَوْلَعَه » ، من جُنَّ ووُلِعَ ، وهما مبنيان للمفعول ، وغير ذلك .

* * *

(وَفِعْلُ هٰذَا الْبَابِ لَنْ يُقَدَّمَا * مَعْمُولُهُ) عليه (وَوَصْلَهُ بِهِ الْزَمَا * وَفَصْلُه) منه (بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفِ جَرٍّ) متعلقين بفعل التعجب (مُسْتَعْمَلٌ وَالْخُلْفُ فِى ذَاكَ اسْتَقَرّْ)

فلا تقول «مازَيْدًا أحْسَنَ» ، ولا « بِزَيْدٍ أحْسِنْ» و إن قيل إن «بزيد» مفعول به ، وكذلك لا تقول : ما أحْسَنَ يَاعَبْدَ اللهِ زَيْدًا ، ولا أحْسِنْ لَوْلاَ بُخْلُهُ بِزَيْدٍ ، واختلفوا فى الفصل بالظرف والجرور المتعلقين بالفعل ، والصحيحُ الجوازُ ؛ كقولهم : ما أحْسَنَ بِالرَّجُلِ أنْ يَصْدُقَ ، وما أقْبَحَ بِهِ أنْ يَكْذِبَ . وقوله :

٧٤٠ — خَلِيلَيَّ مَاأحْرَى بِذِى اللُّبِّ أنْ يُرَى صَبُورًا وَلَكِنْ لاَ سَبِيلَ إلَى الصَّبْرِ

---

٧٤٠ — هذا بيت من الطويل . ولم أعثر لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به ، وقال العينى : « احتج به الجرمى وغيره ، ولم يذكر أحد منهم اسم قائله » اه .

اللغة : « ما أحرى » تقول : ما أحرى فلانا بكذا ، وما أقمنه به ، وما أحجاه ، وما أخلقه ، وأحربه ، وأحج به ، وأقمن به ، وأخلق به ، ومعنى الجميع واحد ، وهو الدلالة على التعجب من أحقيته بالأمر . ويقال : إن فلانا لحرى بكذا ــ بفتح الحاء والراء جميعاً ــ وإنه لحر به ــ بفتح الحاء وكسر الراء ــ مثل شج وعم ــ وإنه لحرىّ به ــ بتشديد الياء ، على فعيــل ــ فمن قاله بفتح الحاء والراء جميعاً لم يغيره عن لفظه فى كل ما زاد على الواحــد وسوى بين المذكر والمؤنث ، لأنه فى الأصل مصدر ، وعلى هذا جاء قول الشاعر :

فَهُنَّ حَــرًى ألاَّ يُثِبْنَكَ نَقْرَةً وَأنْتَ حَرًى بِالنَّارِ حِينَ تُثِيبُ

ومن قاله بفتح الحاء وكسر الراء أو قاله بتشديد الياء ثنى وجمع وذكر وأنث فقال : هما حريان كشجيان ، وهم حرون كشجون ، وهى حرية كشجية ، وهما حريتان ، وهن حريات ، وكذلك المشدد ، ويجمع المذكر منه جمع التكسير على أحرياء كأغنياء ، والمؤنث على حرايا . ويقال أيضاً : إن فلانا لَمَحْرًى أن يفعل ذلك ، و إنه لَمَحْرَاةٌ أن يفعل ، و إنه لَمَخْلَقَةٌ ، و إنه لَمَقْمَنَةٌ ، و إنه لَمَحْجَاةٌ ولا يثنى شىء من ذلك ولا يجمع « اللب » بضم اللام ــ هو العقل « صبورا » الوصف من الصبر بمعنى اسم الفاعل ، وهو لا يؤنث ، يقال : رجل صبور ، وامرأة صبور ، بلفظ واحد ، وكذلك كل ما كان على زنة فعول ومعناه معنى فاعل ، فأما قولهم عدوة فإنما ألحقوا بها التاء حمــلا على أصل ضدها وهو صديقة .

الإعراب : « خليلى » منادى بحرف نداء محــذوف ، منصوب بالياء المفتوح ما قبلها تحقيقا المكسور ما بعدها تقديراً لأنه مثنى ، وياء المتكلم مضاف إليه « ما » تعجبية مبتــدأ « أحرى »

... ...

فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره هو يعود على ما « بذى » الباء حرف جر ، وذى : مجرور بالباء وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه من الأسماء الستة ، والجار والمجرورمتعلق بأحرى « أن » حرف مصدرى ونصب « يرى » فعل مضارع مبنى للمجهول منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى ذى اللب ، وهو مفعول يرى الأول « صبورا » مفعول ثان ليرى ، هذا إن جعلت يرى علمية ، فان جعلتها بصرية ــ وهو أحسن ــ كان « صبورا » حالا من الضمير المستتر فيه العائد إلى ذى اللب ، وأن مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول به لفعل التعجب ، وفعل التعجب وفاعله ومفعوله جملة فى محل رفع خبر ما « ولكن » الواو عاطفة ، لكن : حرف استدراك « لا » نافية للجنس « سبيل » اسم لا مبنى على الفتح فى محل نصب « إلى الصبر » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لا النافية للجنس .

الشاهد فيه : قوله « ما أحرى بذى اللب أن يرى » حيث اشتملت هذه العبارة على فعل تعجب ومفعوله وجار ومجرور متعلق بذلك الفعل ، وقد تقدم الجار والمجرور على مفعول فعل التعجب فوقع فاصلا بين الفعل ومفعوله ، ومجىء ذلك فى الشعر العربى دليل على أنه يجوز أن يفصل بين فعل التعجب ومعموله بالجار والمجرور المتعلق به .

قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : وههنا ثلاثة أمور أحب أن أذكرها لك :

الأمر الأول : أن الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالجار والمجرور المتعلق به ، أمر جائز ــ عند من قال به ــ فى ذاته ، ثم قد يحيط به شىء فيصيره واجبا .

الأمر الثانى : أن الفصل بالجار والمجرور فى هذا البيت من النوع الذى يتحتم ارتكابه ، وبيان ذلك أن فى معمول فعل التعجب ضميرا يعود إلى المجرور ، وذلك هو الضمير المستتر فى يرى العائد إلى ذى اللب كما ظهر فى إعراب البيت ، فلو لم تقدم الجار والمجرور لعاد الضمير إلى متأخر لفظا ورتبة ، وعود الضمير إلى متأخر فى اللفظ والرتبة مما أجمع العلماء على عدم جوازه ، فلهذا وجب أن يتقدم فى هذا البيت الجار والمجرور المتعلق بفعل التعجب على معمول فعل التعجب فيكون فاصلا بين الفعل ومعموله ، وعلى هذا نقسم الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالجار والمجرور المتعلق به إلى قسمين جائز وواجب ، وهذا ظاهر إن شاء الله .

الأمر الثالث : أن نظير هذا البيت فى الفصل بين فعل التعجب ومعموله بالجار والمجرور المتعلق به فصلا واجبا ــ قول الشاعر ، وهو محمد بن بشير الخارجى أحد بنى خارجة بن عدوان ، وهو الشاهد رقم ٥٨١ السابق فى باب حروف الجر .

وقوله : ٧٤١ — * وَأَحْرِ إِذَا حَالَتْ بِأَنْ أَتَحَوَّلاَ *

أَخْلِقْ بِذِى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وتقدمت الإشارة إلى هذا الوجه من الاستشهاد بهذا البيت عند شرحه (٣٤٣/٣) . ومثله فى الأمرين جميعاً الفصل ووجوبه قول الشاعر ، وأنشده ابن منظور فى اللسان (ح ر ى) ولم ينسبه إلى قائل معين :

فَإِنْ كُنْتَ تُوعِدُنَا بِالهِجَاءِ ... فَأَحْرِ بِمَنْ رَامَنَا أَنْ يَخِيبَا

ومن الفصل الجائز قول العباس بن مرداس السلمى ، وهو الشاهد رقم (٧٣٧) الذى تقدم شرحه فى هذا الباب :

وَقَالَ نَبِىُّ الْمُسْلِمِينَ تَقَدَّمُوا ... وَأَحْبِبْ إِلَيْنَا أَنْ يَكُونَ الْمُقَدَّمَا

٧٤١ — هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* أُقِيمُ بِدَارِ الحَزْمِ مَادَامَ حَزْمُهَا *

وهذا البيت من كلمة لأوس بن حجر بن عتاب أوصف الشعراء للحمر وللسلاح ولا سيما القوس ، وقبل البيت المستشهد به ههنا قوله :

صَحَا قَلْبُهُ عَنْ سُكْرِهِ وَتَأَمَّلاَ ... وَكَانَ بِذِكْرَى أُمِّ عَمْرٍو مُوَكَّلاَ

وَكَانَ لَهُ الحَيْنُ الْمُتَاحُ حَمُولَةً ... وَكُلُّ امْرِىءٍ رَهْنٌ بِمَا قَدْ تَحَمَّلاَ

فَلاَ أَعْتِبُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ ظَالِمًا ... وَأَغْفِرُ عَنْهُ الجَهْلَ إِنْ كَانَ أَجْهَلاَ

وَإِنْ قَالَ لِى مَاذَا تَرَى يَسْتَشِيرُنِى ... يَجِدْنِى ابْنَ عَمٍّ مِخْلَطَ الْأَمْرِ مِزْيَلاَ

* أُقِيمُ بِدَارِ الحَزْمِ . . البيت *

اللغة : « دار الحزم » أراد المكان الذى تعتبر الإقامة فيه حزما « ما دام حزمها » يريد مدة دوام الحزم فى الإقامة فيها « أحر » تقدم شرح هذه الكلمة شرحا وافياً فى شرح الشاهد السابق « حالت » تغيرت ، تقول : حال الشىء يحول ، إذا تغير « أتحول » أنتقل عنها إلى غيرها .

المعنى : يقول إنه يقيم فى المكان متى كانت الإقامة مما يرغب فيه أولو الحزم ، فاذا تغيرت الحال وصارت النقلة خيراً فى عقباها من الإقامة فانه يتحول وينتقل إلى غير هذا المكان .

الإعراب : « أقيم » فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « بدار » جار ومجرور متعلق بأقيم ، ودار

... ...

مضاف و « الحزم » مضاف إليه « ما » ظرفية مصدرية « دام » فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « حزمها » حزم : فاعل دام التامة مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائبة العائد إلى دار الحزم مضاف إليه ، وما المصدرية مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور باضافة اسم زمان ، وتقدير الكلام : مدة بقاءحزمها ، وهذا الظرف المقدر متعلق بقوله أقيم السابق « أحر » فعل ماض جيء به على صورة الأمر « إذا » ظرف زمان متعلق بقوله أحر السابق مبنى على السكون فى محل نصب « حالت » حال : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له ، والتاء حرف دال على تأنيث المسند إليه ، وفاعل هذا الفعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى دار الحزم ، وجملة الفعل وفاعله المستتر فيه فى محل جر بإضافة إذا إليه « بأن » الباء حرف جر زائد ، أن : حرف مصدرى ونصب « أتحولا » فعل مضارع منصوب بأن وعلامةنصبه الفتحة الظاهرة ، والألف للاطلاق ، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، وأن مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور لفظا بالباء ، وهو فى التقدير مرفوع على أنه فاعل بفعل التعجب الذى هو أحر .

الشاهد فيه : قوله « أحر إذا حالت بأن أتحولا » حيث فصل بين فعل التعجب الذى هو أحر ومعموله الذى هو قوله « بأن أتحولا » فإن المصدر المؤول من أن وما دخلت عليه فاعل فعل التعجب على ما علمت فى إعراب البيت ، والفاصل بينهما ظرف وهو قوله « إذا حالت » ، وهذا الظرف متعلق بفعل التعجب نفسه وهو أحر ، وليس لك أن تجعله متعلقا بالفعل الذى ينسبك بواسطة أن فيكون معمولا لفعل التعجب ، على أن يكون أصل الكلام : وأحر بأن أتحول إذا حالت ، وإنما منعنا ذلك مع أنه يرد على الذهن أولا لأن الشارح رحمه الله قد أنشد هذا الشاهد على أنه مما اختلف العلماء فى جوازه والراجح أنه جائز ، وقد نص الشارح فيما بعد هذا الشاهد على أنه لا يجوز الفصل بغير الظرف والجار والمجرور إجماعا ، ولا بالجار والمجرور والظرف التعلقين بغير فعل التعجب إجماعا ، ومما يصدق عليه أنه غير فعل التعجب معموله ، ثم إن الشارح مثل لما أجمعوا على امتناعه بقوله « ما أحسن بمعروف آمراً » والجار والمجرور فى هذا المثال متعلق بمعمول فعل التعجب . قال العلامة الصبان : « والشاهد فى إذا حالت فإنه ظرف لأحر فاصل بينه وبين معموله » اهـ .

فإن كان الظرفُ والمجرور غيرَ متعلِّقين بفعلِ التعجب امتنع الفصلُ بهما . قال فى شرح التسهيل : بلا خلاف ، فلا يجوز « ما أحْسَنَ بمعروفٍ آمراً » ولا « ما أحْسَنَ عِنْدَكَ جَالِسًا » ولا « أحْسِنْ فى الدَّارِ عِنْدَكَ بِجَالِسٍ » .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : قال فى شرح الكافية : لا خِلَافَ فى منع تقديم المتعجَّب منه على فعل التعجُّب ، ولا فى منْع الفصل بينهما بغير ظرف وجار ومجرور ، وتَبِعَه الشارح فى نفى أصل الخلاف عن غير الظرف والمجرور ، قال : كالحال والمُنَادَى ، لكن قد أجاز الجَرْمِىُّ من البصريين وهشامٌ من الكوفيين الفصلَ بالحال نحو « ما أحْسَنَ مجرَّدَةً هِنْداً » وقد وَرَدَ فى الكلام الفصيح ما يدلُّ على جواز الفصل بالنداء ، وذلك كقول على كرم الله وجهه : « أعْزِزْ علَىَّ أبَا الْيَقْظَانِ أنْ أرَاكَ صَرِيعًا مُجَدَّلاً » . قال فى شرح التسهيل : وهذا مصحِّح للفصل بالنداء ، وأجاز الجرمىُّ الفصلَ بالمصدر ، نحو «ما أحْسَنَ إحْسَاناً زَيْدًا» ومنعه الجمهور ؛ لمنعهم أن يكون له مصدر ، وأجاز ابنُ كَيْسَان الفصلَ بلولا ومصحوبها ، نحو « ما أحْسَنَ لَوْلاَ بُخْلُه زَيْدًا » ، ولا حُجَّة له على ذلك .

الثانى : قد سبق فى باب كان أنها تزاد كثيرا بين « ما » وفعل التعجب نحو « ما كَانَ أحْسَنَ زَيْداً » ومنه قوله :

٧٤٢ — مَا كَانَ أسْعَدَ مَنْ أجَابَكَ آخِذاً بِهُدَاكَ مُجْتَنِباً هَوًى وَعِنَادَا

---

٧٤٢ — هذا بيت من الكامل ، ينسب إلى عبد الله بن رواحة الصحابى الأنصارى رضى الله تعالى عنه يخاطب به النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

اللغة : « أسعد » فعل تعجب أصله من السعادة وهى ضد الشقاوة ، وتقول : سعد فلان يسعد — من باب علم يعلم — إذا نعم باله ، وتقول : شقى يشقى — من باب علم أيضاً — ضد سعد « أجابك » أراد به صدقك فى دعواك وآمن بالذى حكيته عن ربك واتبع طريقك « آخذا بهداك » الهدى — بضم الهاء — ضد الضلال ، وأراد من الأخذ به الاستمساك بعروته « مجتنبا » اسم فاعل فعله اجتنب فلان كذا يجتنبه اجتنابا ، ومعناه تركه وابتعد عنه « هوى » الهوى : ميل النفس واتباع رغباتها والسير معها فيما تشتهيه « وعنادا » العناد : أن تنكر الحق وأنت تعرف أنه الحق ، فإن كنت لا تعرف فهو الجهل ، وإنما يكون العناد عند ظهور شأن الحق ووضوح حاله .

ونظيرُه فى الكثرة وقوعُ « ما كان » بعد فعل التعجب ، نحو « ما أَحْسَنَ مَا كَانَ زَيْد » ، فما : مصدرية ، وكان : تامة رافعة ما بعدها بالفاعلية ، فإن قُصِد الاستقبالُ جىء بيكون .

الثالث : يُجَرّ ما تعلّق بفعلى التعجب ، من غير ما ذُكر ، بإلى إن كان فاعلا ، نحو « ما أَحَبَّ زَيْداً إلى عَمْرٍو » وإلا فبالباء إن كانا من مُفْهِمِ عِلْماً أو جَهْلا نحو « ما أَعْرَفَ

الإعراب : « ما » تعجبية مبتدأ « كان » فعل ماض زائد « أسعد » فعل ماض دال على التعجب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره هو يعود إلى ما التعجبية « من » اسم موصول مفعول به لفعل التعجب الذى هو أسعد مبنى على السكون فى محل نصب « أجابك » أجاب : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى من الموصولة ، وضمير المخاطب البارز مفعول به مبنى على الفتح فى محل نصب ، وجملة أجاب وفاعله المستتر فيه ومفعوله لا محل لها من الإعراب صلة من الموصولة ، وجملة أسعد وفاعله المستتر فيه ومفعوله فى محل رفع خبر المبتدأ الذى هو ما التعجبية « آخذا » حال من فاعل أجاب منصوب بالفتحة الظاهرة « بهداك » الباء حرف جر ، وهدى : مجرور بالباء ، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، والجار والمجرور متعلق بآخذ ، وهدى مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه مبنى على الفتح فى محل جر « مجتنبا » حال ثانية من فاعل أجاب ، أو حال من ضمير مستتر فى آخذا الذى هو الحال الأول ، وفيه ضمير مستتر تقديره هو فاعله « هوى » مفعول به لمجتنب « وعنادا » الواو عاطفة ، عنادا : معطوف على هوى .

الشاهد فيه : قوله « ما كان أسعد » حيث وقعت « كان » زائدة بين ما التعجبية وفعل التعجب ، وهذه الزيادة شائعة كثيرة فى كلام العرب ، وهى مما اختصت به كان من بين سائر أخواتها ، وقد مضى شرح هذا البحث فى أواخر باب كان وأخواتها (١/٣٧٠ من هذا الكتاب) .

ومثل هذا البيت فى زيادة كان بين ما التعجبية وفعل التعجب قول الشاعر :

لِلّٰهِ دَرُّ أَنُوشِرْوَانَ مِنْ رَجُلٍ مَا كَانَ أَعْلَمَهُ بِالدُّونِ والسَّفِلِ

ومثله قول امرئ القيس بن حجر الكندى فى مطلع قصيدة :

أَرَى أُمَّ عَمْرٍو دَمْعُهَا قَدْ تَحَدَّرَا بُكَاءً عَلَى عَمْرٍو ، وما كَانَ أَصْبَرَا

وفى هذا البيت ــ مع ما أنشدناه لأجله ــ حذف مفعول فعل التعجب للعلم به من سابق الكلام ، والأصل أن يقول : وما كان أصبرها ، فحذف الضمير العائد إلى أم عمرو التى تقدم الحديث عنها .

زَيْدًا بِعَمْرٍ » ، و « ما أَجْهَلَ خَالِداً بِبَكْرٍ » ، وباللام إن كانا من متعدٍّ غيره ، نحو « ما أَضْرَبَ زَيْدًا لِعَمْرٍو » وإن كانا من متعد بحرف جر فبما كان يتعدّى به ، نحو « ما أَغْضَبَنِي عَلَى زَيْدٍ » ويقال فى التعجب من كَسَا زَيْدٌ الفقراء الثيابَ ، وظَنَّ عَمْرٌو بشراً صديقاً : « مَا أَكْسَى زَيْداً لِلفُقَرَاءِ الثِّيَابَ » ، وَ « مَا أَظَنَّ عمْراً لِبِشْرٍ صَدِيقاً » . وانتصابُ الآخَر بمدلولٍ عليه بأفعل ، لا به ، خلافا للكوفيين .

﴿ خاتمة ﴾ : همزة أَفْعَلَ فى التعجب لتعدية ماعَدِم التعدى فى الأصل ، نحو « ما أظْرَفَ زَيْداً » أوالحالِ نحو « ماأَضْرَبَ زَيْداً » ، وهمزةُ أَفْعِلْ للصيرورة ، و يجب تصحيحُ عينهما إن كانا مُعْتَلَّيْهَا ، نحو « ما أطْوَلَ زَيْداً ، وأطْوِلْ بِهِ » ، ويجب فكُّ أَفْعِلِ المضعَّف ، نحو « أَشْدِدْ بِحمْرَةِ زَيْدٍ » ، وشذ تصغيرُ أَفْعَلَ مقصوراً على السماع ، كقوله :

يَامَا أُمَيْلِحَ غِزْلاناً شَدَنَّ لَنَا مِنْ هَؤُلَيَّائِكُنَّ الضَّالِ وَالسَّمُرِ[1]

وطَرَده ابنُ كيسان ، وقَاسَ عليه أَفْعِلَ نحو « أُحَيْسِنْ بِزَيْدٍ » . والله أعلم .

---

(١) قد سبق ذكر هذا البيت فى أوائل هذا الباب ، وقد شرحناه هناك شرحا لا تحتاج معه إلى إعادة شيء من القول عليه ، وهو الشاهد (رقم ٧٣٥) فارجع إليه إن شئت .

نعم وبئس وما جرى مجراهما

(فِعْلانِ غيرُ مُتَصَرِّفَيْنِ * نِعمَ وَبِئْسَ) عند البصريين والكسائى ، بدليل « فَبِهَا وَنِعْمَتْ » ، واسمانِ عند الكوفيين ، بدليل « ماهِىَ بِنِعْمَ الْوَلَد » و « نِعْمَ السَّيْرُ عَلَى بِئْسَ الْعَيْر » ، وقولِهِ :

٧٤٣ — صَبَّحَكَ اللهُ بِخَيْرٍ بَاكِرِ بِنِعْمَ طَـــــيْرٍ وَشَبَابٍ فَاخِرِ

---

٧٤٣ — هذا بيت من الرجز ، ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، ولا عـثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به رغم طويل البحث ، وقد أنشده ابن منظور عن الكسائى فى مادة (ن ع م) غيرمنسوب إلى قائل معين ، وسنذكر لك رواية الكسائى عند بيان الاستشهاد بالبيت .

اللغة : « صبحك الله بخير با كر » هذا دعاء من المتكلم للمخاطب بأن يجد الخير فى وقت الصباح ، والمراد أن يصادف الخير فى عامة يومه ، لا فى خصوص وقت الصباح ، وإنما خصه فى اللفظ بالصباح لأنهم يجعلون ما يكون فى أول النهار دلالة على ما يعقبه وبشارة أو نذارة بما يتلوه ، والبا كر : أصله الذى يأتى بكرة ، وهى أول النهار ، وأراد ههنا السريع الذى لا يتأخر ، وهم يقولون : بكر فلان فى حاجتى ، إذا أسرع بها « بنعم طير » الطير : معروف ، وهم يتيامنون بها ويتشاءمون ، ولهم فى زجرها أخبار كثيرة . وقد مر فى باب المبتدأ والخبر قول الشاعر :

خَبِيرٌ بَنُو لِهْبٍ فَلَا تَكُ مُلْغِيًا مَقَالَةَ لِهْبِيٍّ إِذَا الطَّيْرُ مَرَّتِ

وذكرنا هناك شيئاً عن ذلك « وشباب فاخر » الشباب ومثله الشبيبة : الفتاء وحداثة السن ، ويرد الشباب جمعا لشاب كالشبان — وقيل : هو اسم جمع — ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » وقول الشاعر :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِسَابِحٍ مَرِحٍ وَمَعِى شَبَابٌ كُلُّهمْ أَخْيَلْ

الإعراب : « صبحك » صبح : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وضمير المخاطب مفعول به مبنى على الفتح فى محل نصب « الله » فاعل بصبح مرفوع بالضمة الظاهرة « بخير » جار ومجرور متعلق بصبح « با كر » صفة لخير « بنعم » الباء حرف جر ، ونعم : مجرور بالباء ، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة البناء الأصلى ،

... ...

ونعم مضاف ، و « طير » مضاف إليه ، وستعرف ما فى هذا الكلام عند بيان الاستشهاد بالبيت ، والجار والمجرور بدل من الجار والمجرور السابق ، أو معطوف عليه بعاطف مقدر « وشباب » الواو حرف عطف ، شباب : معطوف على قوله نعم طير « فاخر » صفة لشباب .

الشاهد فيه : قوله « بنعم » فإن الكوفيين إلا الكسائى قد ذهبوا إلى أن « نعم » و« بئس » اسمان بمعنى الممدوح والمذموم ، واستدلوا على اسميتهما بأمور: منها دخول حرف الجر عليهما فى مثل هذا الشاهد ، ومنها إضافتهما إلى ما يليهما فى مثل هذا الشاهد أيضا ، وقد اتفقنا على أن دخول حرف الجر على كلمة ما دليل على اسميتها ، لأن حروف الجر لا تدخل إلا على الأسماء ، كما اتفقنا على أن مجىء كلمة ما مضافة إلى ما بعدها دليل على اسميتها أيضا ، لأن المضاف لا يكون إلا اسما . ونظير هذا البيت عندهم فى دخول حرف الجر على « نعم » قول حسان بن ثابت الأنصارى :

أَلَسْتَ بِنِعْمَ الْجَارُ يُؤْلِفُ بَيْتَهُ أَخَا قِـلَّةٍ أَوْ مُعْدِمَ الْمَـالِ مُصْرِمَا

وقد أجاب البصريون عن بيت الشاهد بعدة أجوبة :

الجواب الأول : أنا لا نسلم لكم إطلاق ما ذكرتموه من أن حرف الجر لا يدخل إلا على الاسم وذلك من وجهين : الأول: أن ذلك خاص بدخول حرف الجر فى اللفظ والتقدير جميعاً ، فأما فى اللفظ وحده فقد يدخل حرف الجر على ما ليس باسم فيدخل على الفعل المتفق على فعليته مثل دخوله على « نام » فى قول الشاعر ✲ والله ما ليلى بنام صاحبه ✲ وهو الشاهد الآتى ، ويدخل فى اللفظ على الحرف المتفق على حرفيته مثل دخوله على أن فى نحو قولك « عجبت من أن تكاسل عن أداء واجبك » وهو عند التحقيق داخل على اسم ، إذ التقدير : والله ما ليلى بليل مقول فيه نام صاحبه ، وعجبت من تكاسلك ، فيكون مافى بيت الشاهد وبيت حسان من هذا القبيل ، والوجه الثانى : أن ذلك الذى ذكرتموه خاص بدخول حرف الجر على ما هو اسم فى الأصل وفى الحال جميعاً ، فأما ماهو اسم فى الحال وحده فلا ؛ فقد يدخل حرف الجر على ماهو فعل فى الأصل، وقد يضاف ماهو فعل فى الأصل ، وقد يضاف إلى ما هو فعل فى الأصل ، ألستم ترون أن الأعلام المنقولة من الأفعال قد يدخل عليها حرف الجر وقد يضاف إليها اسم فيظن من لا تدقيق عنده أن حرف الجر داخل على الفعل أو أن الفعل قد وقع مضافا إليه وهو عند التحقيق اسم ؟ فيحمل مافى بيت الشاهد على أن « نعم » قد نقلت من الفعلية إلى الاسمية واستصحب معها الفتح الذى كان لها فى أول أحوالها حكاية ، وذلك الوجه هو الذى أعربنا عليه بيت الشاهد . قال أبو على فى التذكرة : « ومن زعم أن نعم اسم لدخول حرف الجر عليه فى قول حسان ✲ ألست بنعم الجار . . . البيت ✲ فلا حجة له فيه ؛ لأنه يقدر فيه الحكاية ، ويلزمه على هذا أن يكون نام اسما فى قوله ✲ والله ما زيد بنام صاحبه ✲ اه كلام أبى على .

وقال الْأَوَّلُونَ : هو مثلُ قوله :

٧٤٤ — * عَمْرُكَ مَا لَيْلِي بِنَامَ صَاحِبُهْ *

والجواب الثانى : أنا لانسلم صحة ما أنشدتموه ، بل الصحيح ما رواه الكسائى فى بيت الشاهد وذلك أنه رواه :

صَبَّحَكَ اللهُ بِخَيْرٍ بَاكِرِ بِنُعْمِ عَيْنٍ وَشَبَابٍ فَاخِرِ

بضم النون وسكون العين فى « نعم » ومعناه : صبحك الله بخير باكر بقرة عين ، وتقول : فلان نعم عينى ، تريد أنه قرة عينك .

الجواب الثالث : أنه قد دخل على « نعم » وعلى « بئس » ما هو من خصائص الأفعال : فدخلت عليهما تاء التأنيث الساكنة فى نحو الحديث « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت » ، ودخلت عليهما ألف الاثنين وواو الجماعة فى نحو ما رواه الكسائى من قول العرب : نعما رجلين ، وقولهم : نعموا رجالا ، وقد علمنا أن تاء التأنيث الساكنة وضمائر الرفع البارزة المتصلة من خصائص الأفعال ، وقد وجدنا لما ذكرتموه من الدليل على اسميتهما مخلصا وحملنا شواهدكم على ما ذكرناه فصار دليلكم منقوضا ، وقد بقى استدلالنا لانقض له ، فوجب المصير إلى كونهما فعلين ، وهو المطلوب .

٧٤٤ — هذا بيت من الرجز المشطور ، ويروى بعده :

* وَلاَ مُخَالِطُ اللَّيَانِ جَانِبُهْ *

ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين .

اللغة : « عمرك ما ليلى » قد روى فى مكان ذلك « عمرك ما زيد » وروى أبو على الفارسى وابن سيده « والله مازيد » وروى المحقق الرضى مكانه « والله ما ليلى » وكذلك رواه ابن الشجرى وابن الأنبارى « نام صاحبه » زعم العينى أن ابن سيده ذكر أن نام صاحبه علم على رجل بعينه فيكون من باب التسمية بالجملة مثل شاب قرناها وبرق نحره وتأبط شراً « الليان » هو بكسر أوله كالملاينة مصدر لاين فلان فلانا ، وبفتح أوله مصدر لان الشيء يلين لينا وليانا ، وتقول : فلان فى ليان من العيش ـ بالفتح ـ تريد أنه فى نعيم وخفض ودعة .

الإعراب : « عمرك » عمر : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير المخاطب

وسَبَبُ عدم تصرُّفهما لزومُهما إنشاء المدح والذم على سبيل المبالغة ، وأصلُهما فَعِلَ ، وقد يَرِدَانِ كذلك ، أو بسكون العين وفتح الفاء وكسرها ، أو بكسرهما . وكذلك كل ذى عَيْنٍ حَلْقِيَّةٍ من فَعِلَ ، فِعْلاً كان كشَهِدَ ، أو اسما كفَخِذٍ ، وقد يقال فى بئس بِيسَ (رَافِعَانِ

مضاف إليه مبنى على الفتح فى محل جر ، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا ، وتقدير الكلام : عمرك قسمى « ما » حرف نفى مبنى على السكون لامحل له من الإعراب «ليلى» ليل : اسم ما ، أومبتدأ ، مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه « بنام » الباء حرف جر زائد ، ونام : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « صاحبه » صاحب : فاعل نام مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب مضاف إليه ، وجملة الفعل وفاعله معمول لقول محذوف يقع صفة لموصوف محذوف يقع خبراً للمبتدأ أو لما النافية مجرورا لفظا بالباء الزائدة ، وتقدير الكلام على هذا الوجه : والله ما ليلى بليل مقول فيه نام صاحبه ، وعلى هذا تكون جملة « نام صاحبه » فى محل رفع نائب فاعل لمقول، ويجوز اختصار هذه المحذوفات ، فيكون التقدير: والله ما ليلى بمقول فيه نام صاحبه ، فتكون الجملة فى محل رفع أيضا ، أو يكون التقدير : والله ماليلى بليل نام صاحبه ، فتكون جملة « نام صاحبه » فى محل جر صفة للموصوف المحذوف « ولا » الواو حرف عطف ، لا : حرف زائد لتأكيد النفى « مخالط » معطوف على جملة نام صاحبه ، فترفعه إن جعلتها فى محل رفع ، وتجره إن جعلتها فى محل جر ، وهو مضاف و «الليان» مضاف إليه «جانبه» جانب : فاعل بمخالط مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب مضاف إليه .

الشاهد فيه : قوله « بنام » فان حرف الجر قد دخل فى اللفظ على ما هو فعل بالإجماع من البصريين والكوفيين ، ولم يقل أحد من النحاة إنه اسم استدلالا بدخول حرف الجر عليه ، وكل النحاة متفقون على أن مدخول حرف الجر محذوف وإن كانوا يختلفون فى تقدير ذلك المحذوف ، فبعضهم يقول : التقدير : بليل مقول فيه نام صاحبه ، وبعضهم يقول : التقدير : بمقول فيه نام صاحبه ، وبعضهم يقول : التقدير فيه : بليل نام صاحبه ، وعلى هذا يكون جميع النحاة متفقين على أن دخول حرف الجر فى اللفظ على كلمة لا يدل على أن هذه الكلمة اسم إلا أن ينضم إلى ذلك أن يكون التقدير على ما يقتضيه ظاهر اللفظ ، وإذا كان الأمر كذلك يكون استدلال الكوفيين على اسمية نعم وبئس بدخول حرف الجر عليهما غير صحيح ، لأننا ندعى أن دخول حرف الجر عليهما نظير دخوله على نام ، نعنى أنه دخول فى اللفظ دون التقدير ، فأما فى التقدير فهو داخل على محذوف على ما بيناه فى شرح الشاهد السابق .

اسْمَيْنِ) على الفاعليـــة (مُقَارِنَيْ أَلْ) نحو « نِعْمَ الْعَبْدُ » وَ « بِئْسَ الشَّرَابُ » (أَوْ مُضَافَيْنِ لِمَا * قَارَنَهَا كَنِعْمَ عُقْبَى الْكُرَمَا) « وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ » « فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ » أو مضافين لمضاف لما قارنها كقوله :

٧٤٥ * فَنِعْمَ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرَ مُكَذَّبٍ *

---

٧٤٥ — هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه قوله :

* زُهَيْرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ *

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان ينافح عنـه ويوازر دعوته وإن لم يتابعه على دينه ، وهو والد أمير المؤمنين أبى السبطين على بن أبى طالب ، رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ! وقد روى هذه القصيدة بطولها ابن إسحاق فى السيرة . وقال قبل إنشادها : « فلما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشىء أبدا حتى يهلك دونه » اهـ . وأول هذه القصيدة فى رواية ابن إسحاق قوله :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لاَ وُدَّ فِيهِمُ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَـا أَظِنَّةً يَعَضُّونَ غَيْظًا خَلْفَنَا بِالْأَنَامِلِ
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِى بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ الْمَقَاوِلِ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِى وَإِخْوَتِى
وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ

ويقع بيت الشاهد بعد ما ذكرناه هنا بخمسة وسبعين بيتاً ، وبعده قوله :

أَشَمُّ مِنَ الشُّمِّ الْبَهَالِيلِ يَنْتَمِى إِلَى حَسَبٍ فِى حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ
لَعَمْرِى لَقَدْ كَلِفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ وَإِخْوَتِهِ ، دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ
فَلاَ زَالَ فِى الدُّنْيَا جَمَالاً لِأَهْلِهَا وَزَيْنًا لِمَنْ وَالاَهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ

... ...

فَمَنْ مِثْلُهُ فى النَّاسِ أَىُّ مُؤَمَّـلِ ... إذَا قَاسَهُ الْحُـكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَـــيْرُ طَائِشٍ ... يُوَالِى إلاَهاً لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
فَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ أَجِىءَ بِسُبَّةٍ ... تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فى المحَافِلِ
لَـكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لاَ مُكَذَّبٌ ... لدَيْنَا ، وَلاَ يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَـــدٌ فى أَرُومَةٍ ... تُقَصِّرُ عَنْهُ سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ

اللغة : « غير مكذب » يريد أنه لا ينسبه أحـد إلى الـكذب ، وإنما يصدقه كل الناس فيما يقوله « زهير» أراد به زهير بن أبى أمية ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم أخت أبى طالب، وزهير أحد خمسة رجال اتفقوا على نقض الصحيفة التى تعاهدت فيها قريش على مقاطعة بنى هاشم وعلقوها فى الـكعبة « حساما » الحسام : السيف ، سمى بذلك لأنه يحسم الخلاف وينهى التشاحن « حمائل » جمع حمالة ، وهى علاقة السيف ، وكان الأصمعى يزعم أن حمائل السيف لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها محمل ، قاله الجوهرى فى الصحاح .

المعنى : مدح ابن أخته زهير بن أبى أمية بأنه صادق المودة لا يشوب وداده بشىء من نفاق ، وبأنه إذا قال لم يجد من يرد عليه قوله بالتكذيب لأن الناس جميعا يعلمون صدقه وبراءة لسانه ، ثم شبهه بالسيف الذى يفرد عن حمائله ، يشير إلى أنه نسيج وحده لا مشارك له فى صفاته .

الإعراب : « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « ابن » فاعل نعم مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « أخت » مضاف إليه مجرور بالـكسرة الظاهرة ، وهو مضاف و «القوم» مضاف إليه «غير» حال من فاعل نعم منصوب بالفتحة الظاهرة وهو مضاف و « مكذب » مضاف إليه مجرور بالـكسرة الظاهرة ، وجملة نعم وفاعله فى محل رفع خبر مقدم و « زهير » مبتدأ مؤخر ، وهو المخصوص بالمدح ، ويجوز أن يكون « زهير » خبر مبتدأ محذوف وجوبا ، وتقدير الكلام : هو زهير ، ويجوز أن يكون مبتدأ خـبره محذوف ، والتقدير عليه : زهير الممدوح « حساما » الرواية الصحيحة فى هـذه الكلمة بالنصب ، وهى حال من زهير ، وقد رواها العينى بالرفع وأعربها صفة لزهـير ، ولئن صحت الرواية لم يصح الإعراب ، لأن النكرة لا توصف بها المعرفة ، وعلى هذه الرواية يكون «حسام» خبر مبتدأ محذوف «مفردا» صفة لحسام « من حمائل » جار ومجرور متعلق بمفرد .

وإنما لم يُنَبِّه على هذا الثالث لكونه بمنزلة الثانى ، وقد نَبَّه عليه فى التسهيل .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : اشتراطُ كون الظاهر معرفًا بأل ، أو مضافًا إلى المعرَّف بها ، أو إلى المضاف إلى المعرَّف بها — هو الغالبُ ، وأجاز بعضُهم أن يكون مضافًا إلى ضمير ما فيه أل كقوله :

٧٤٦ — * فَنِعْمَ أَخُو الهَيْجَا وَنِعْمَ شَبَابُهَا *

الشاهد فيه : قوله « نعم ابن أخت القوم » حيث جاء فاعل نعم اسما مضافا إلى اسم مضاف إلى اسم مقترن بأل ، وهذا واضح بأدنى تأمل .

٧٤٦ — هذا نصف بيت من الطويل ، ولم يتيسر لى رغم طويل البحث الوقوف على نسبته إلى قائل معين ، ولا العثور له على تكملة بله سوابق أولواحق تتصل به ، وقد رواه المرادى فى شرح التسهيل ، وسنذكر لك عبارته فى شرح الشاهد (رقم ٧٤٧) الآتى .

اللغة : « أخو الهيجا » الهيجا : الحرب ، تمد وتقصر ، فمن مدها قول الشاعر وهو الشاهد (رقم ٤٣٢) :

إِذَا كَانَتِ الهَيْجَاءُ وَانْشَقَّتِ العَصَا فَحَسْبُكَ وَالضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ

وفى الحديث : « لا ينكل فى الهيجاء » أى لا يحجم ولا يتأخر ، ومن قصرها قول كعب بن زهير فى لاميته :

* مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فى الهَيْجَا سَرَابِيلُ *

وقول لبيد بن ربيعة العامرى فى أخيه أربد :

وَأَرْبَدُ فَارِسُ الهَيجَا إِذَا مَا تَقَعَّرَتِ المَشَاجِرُ بِالفِئَامِ

وقوله أيضا :

* يَارُبَّ هَيْجَا هِىَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهْ *

وأخو الهيجا : الذى يلازمها ويجعلها دأبه وشأنه كله ، ويقولون : فلان أخو الهيجاء ، كما يقولون : فلان أخو الكرم ، وأخو الجود ، وأخو البر ، وأخو الصدقات « ونعم شبابها » هكذا وقع فى جميع نسخ الشرح التى تحت يدى ، ووقع فى بعض الروايات « ونعم شهابها » والشهاب : الشعلة

والصحيحُ أنه لا يُقَاس عليه لقلّته . وأجاز الفراء أن يكون مضافاً إلى نكرة ، كقوله :

٧٤٧ — فَنِعْمَ صَاحِبُ قَوْمٍ لاَسلاَحَ لَهُمْ وَصَاحِبُ الرَّكْبِ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَا

من النار الساطعة ، وفى التنزيل : (أو آتيكم بشهاب قبس) وفيــه (فأتبعه شهاب ثاقب) ويراد بشهاب الحرب موقدها ومثير عجاجها ومؤرث نارها ، والعرب تجعل للحرب نارا وحرا وشهابا ، قال الحارث بن عباد :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَــلِمَ اللّــهُ وَإِنِّى بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِ

وفى التنزيل العزيز (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) .

الإعراب : « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « أخو » فاعل نعم مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الستة ، وهو مضاف و« الهيجا » مضاف إليــه « ونعم » الواو حرف عطف ، نعم : فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « شبابها » شباب : فاعل نعم مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهومضاف وضمير الغائبة العائد إلى الحرب مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر .

الشاهد فيه : فى كل جملة من هذا الشاهد شاهد لباب نعم وبئس ، ففى قوله « نعم أخوالهيجا » شاهد ولـكنه غير مقصود للشارح من الإتيان بهذا الشاهد ، وذلك حيث جاء فى هذه الجملة فاعل نعم اسما مضافا إلى اسم مقترن بأل ، وفى قوله « نعم شبابها » شاهد آخر ، وهو المقصود للشارح ههنا ، وذلك حيث ورد فاعــل نعم اسما مضافا إلى ضمير يعود إلى اسم مقترن بأل ، فالفاعل هو شهاب ، وهو مضاف إلى « ها » الذى هو ضمير مؤنث يعود إلى الهيجا الذى هو اسم مقترن بأل . وهذا مما اختلف النحاة فى جواز القياس عليه ، فأجازه بعضهم ، وزعم أنه يصح لك أن تقول : القوم نعم صاحبهم أنت ، والعلم نعم أهله أنت ، قياساً على ما ورد فى هــذا الشاهد ، وقال بعضهم : لا يجوز لك أن تقيس عليه ، بل تحفظ هذا الشاهد ونظائره ولاتقيس عليه .

٧٤٧ — اختلف العلماء فى نسبة هذا البيت إلى قائله : فذكر العينى أن ابن السيرافى نسبــه فى شرح أبيات الإيضاح إلى كثير بن الغريرة النهشلى ، وهو شاعر مخضرم بقى إلى إمرة الحجاج ، ونسبه أبو حاتم فى كتاب الإصلاح وصاحب الموعب إلى أوس بن مغراء ، ونسبه الذهبى فى تاريخه إلى حسان بن ثابت الأنصارى ، قال البغــدادى : « وقد راجعت ديوان حسان فرأيت أبياتا على هذا الوزن وما فيها هذا البيت ، والله أعلم » اهـ . قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : وقد راجعت ديوان حسان بن ثابت ، وراجعت أخبار كثير بن الغريرة وأخبار أوس بن مغراء ، فما وجدت هذا البيت فى شعر واحد منهم ، وقد وجدت فى ديوان حسان الشعر الذى يشير إليــــه البغدادى ، وهو قصيدة يرثى فيها ذا النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه وأولها قوله :

... ...

مَنْ سَرَّهُ الْمَوْتُ صِرْفًا لَامِزَاجَ لَهُ فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً فِى دَارِ عُثْمَانَا

اللغة : « قوم » أصل القوم فى اللغة يطلق على الرجال فى مقابل النساء ، وعلى ذلك جاء قول زهير بن أبى سلمى :

وَمَا أَدْرِى وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِى أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

وعليه جاء قول الله تعالى فى محكم كتابه : (لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) وأراد ههنا الذين قاموا حول دار عثمان رضى الله عنه أو فى داخلها يحولون بينه وبين الثوار أن يقتحموا عليه الدار فينالوا منه ، ولذلك وصفهم بقوله « لا سلاح لهم » يريد أنهم عزل لايحملون سلاحا ، لأنهم - فيما يظهر - لم يكونوا ليتصوروا أن الأمر يحتاج إلى السلاح ، وقوله « وصاحب الركب » فان أصل الركب أن يطلق على ركاب الإبل خاصة ، فى أشهر أقوال أهل اللغة ، ولم يرد به ههنا ركاب الإبل ولا ركاب الخيل ، ولعله أطلق على هذه الجماعة ركبا لأن من عادتهم أن يركبوا الإبل .

الإعراب : « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « صاحب » فاعل نعم مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « قوم » مضاف إليه « لا » نافية للجنس « سلاح » اسم لا مبنى على الفتح فى محل نصب « لهم » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لا ، وجملة لا واسمها وخبرها فى محل جر صفة لقوم ، ويجوز أن يكون الجار والمجرور متعلقا بمحذوف صفة لسلاح ، وعلى هذا يكون خبر لا محذوفا « وصاحب » الواو حرف عطف ، صاحب : معطوف على فاعل نعم مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « الركب » مضاف إليه « عثمان » هو المخصوص بالمدح : فيجوز أن يكون مبتدأ خبره جملة نعم وفاعلها ، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف وجوبا ، وأن يكون مبتدأ خبره محذوف ، على ما فصلناه فى شرح الشاهد السابق وعلى ما سيأتى بيانه للناظم والشارح .

الشاهد فيه : قوله « نعم صاحب قوم » حيث ورد فيه فاعل نعم اسما منكرا مضافا إلى نكرة ، وقد ذكر الشارح أن الفراء أجاز ذلك فى سعة الكلام ، وأن يقاس عليه ، وأنه نقل الإجازة عن جمهور الكوفيين وابن السراج ، لكن الذى فى شرح المرادى على التسهيل أن الأخفش هو الذى نقل ذلك ، فقد قال ابن مالك رحمه الله فى التسهيل « وقد ينكر فاعل نعم مفردا أو مضافا » اه .
وقال المرادى فى شرح هذه العبارة : « حكى الأخفش أن ناساً من العرب يرفعون بنعم النكرة

... ...

مفردة ومضافة ، فيقال على هذا : نعم امرؤ زيد ، ونعم صاحب قوم عمرو ، ووافق الأخفش فى كون الفاعل نكرة مضافة ، ونقل إجازة كونه مضافا إلى نكرة عن الكوفيين وابن السراج . ومنع ذلك عامة النحويين إلا فى الضرورة كقوله * فنعم صاحب قوم . . . البيت * وقد كان يمكن تأويل هـذا البيت على جعل صاحب قوم تمييزاً لولا أن الأخفش حكى أن ذلك لغة للعرب ، وزعم صاحب البسيط أنه لم يرد نكرة غـير مضافة ، وليس كما زعم ، بل ورد ، ولـكنه أقل من المضاف ، ومنه قوله * . . . . ونعم نيم * وأجاز بعض النحويين أن يكون فاعل نعم وبئس مضافا إلى ضمير ما فيه الألف واللام . فأجاز : القوم نعم صاحبهم أنت ، وأنشد *فنعم أخو الهيجا ونعم شهابها * قال بعضهم : والصحيح المنع ، وهـذا مما يحفظ ولا يقاس عليه » اه كلامه مع بعض إصلاح . وقوله فى هذه العبارة « وقد كان يمكن جعل صاحب قوم تمييزا » قد منعه أبو على الفارسى لأنه قد عطف عليه اسم مرفوع معرفة وهو قوله « وصاحب الركب » قال أبو على : « اعـلم أن العرب تجعل ما أضيف إلى ما ليس فيه الألف واللام بمنزلة ما فيه الألف واللام فترفعـه كما ترفع ذلك ، فتقول : نعم أخو قوم زيد ، قال * فنعم صاحب قوم لا سـلاح لهم * هو بمنزلة صاحب القوم . فإن قلت : لعله ينشد بنصب صاحب قوم . قلت : لا يكون ذلك ؛ لأنك لا تعطف معرفة مرفوعة على نكرة منصوبة ، وهذا ضعيف ، ولو قلت : نعم رجلا فى الدار وزيد ـــ لم يجز ؛ لأنه ليس قبل زيد شىء يعطف عليه ؛ لأن فى الدار ليس باسم ، ورجـلا نكرة منصوبة » اه كلامه بحروفه . وقد أقر ذلك ابن برى فى شرح أبيات الإيضاح حيث يقول : « زعم الأخفش أن قوما من العرب يرفعون النكرة المضافة إلى ما ليس فيه الألف واللام بنعم ، قال أبو على : ولا يجوز ذلك على مذهب سيبويه ، لأن المرفوع بنعم لا يكون [حينئذ] دالا على الجنس، ولو قلت أهلك الناس شاة وبعير لم يدل على الجنس كما دلت عليه الشاة والبعير، ولا يجوز صاحب قوم بالنصب؛ لقوله وصاحب الركب ولا يعطف مرفوع على منصوب ، ولا يكون معطوفا على مضمر فى نعم لأنه مضمر يحتاج إلى التفسير فكأنه لم يتم فلا يجوز إظهاره ولا تأكيده ولا العطف عليه ، وإذا قبح العطف على المضمر المرفوع بالفعل دون تأكيده فأن لا يجوز هذا أولى ، لما بيناه » اه كلامه ، ولابن يعيش فى شرح المفصل كلام بين فيه ما خفف الضرورة فى هذا البيت بعد أن بين وجه امتناع جعل صاحب قوم فى هذا البيت تمييزا ، قال « ولو نصبت صاحب قوم فى غير هذا البيت على التفسير لجاز كما تنصب النكرة المفردة فى نحو نعم رجلا ، لـكنه ضعيف ههنا لعطفك فى قولك وصاحب الركب والمرفوع لا يعطف على المنصوب . وكأن الذى حسن ذلك فى البيت قوله وصاحب الركب ، لأنه لما عطف عليه ما فيه الألف واللام دل على أنها فى المعطوف عليه مرادة لأن المعنى واحد » اه .

ونَقَل إجَازَتَه عن الكوفيين وابن السراج ، وخصَّه عامة الناسِ بالضرورة ، وزعم صاحبُ البسيط أنه لم يَرِدْ نكرةً غيرَ مضافةٍ ، وليس كذلك ، بل ورد لكنه أقلُّ من المضاف نحو « نِعْمَ غُلَامٌ أَنْتَ » و

٧٤٨ — * وَنِعْمَ نِسِيمُ *

---

٧٤٨ — هذه قطعة من بيت من الوافر ، وإليك هذا البيت بتمامه مع بيت سابق عليه :

وَسَلْمَى أَكْمَلُ الثَّقَلَيْنِ حُسْناً وَفِي أَثْوَابِهَا قَمَرٌ وَرِيمُ
نِيَافُ القُرْطِ غَرَّاءُ الثَّنَايَا وَرِيدٌ لِلنِّسَاءِ ، وَنِعْمَ نِيمُ

ولم ينسبهما أحد ممن استدل بهما إلى قائل معين ، وقد وجدت البيت الثانى منهما فى لسان العرب منسوبا إلى تأبط شرا .

اللغة : « وفى أثوابها قمر وريم » القمر معروف ، والريم : ولد الظبية ، يهمز ولا يهمز ، وأراد أنها جميلة كالقمر والغزال ، فكنى عن ذلك بأن جعل القمر والغزال فى أثوابها ، وهذا نظير قولهم : المجد بين برديه ، والكرم ملء ثيابه ، والجود فى قبة قد ضربت على فلان ، ونحو ذلك « نياف القرط » القرط بضم القاف وسكون الراء ـ ما يعلق فى شحمة الأذن من الحلى ، وأراد بكونها نياف القرط أنها بعيدة مهواه ، وذلك مما يكنى به عن طول العنق . قال شاعر الحماسة :

أَكَلْتُ دَمًا إنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ بَعِيدَةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

« غراء الثنايا » الثنايا : الأسنان التى فى مقدم الفم ، وهن أربع : اثنتان فى أعلى الفم ، واثنتان فى أسفله ، وعليه يجرى قول الراجز :

* لَهَا ثَنَايَا أَرْبَعٌ حِسَانُ *

وأراد بكونها غراء الثنايا أنها براقة الثنايا ، وقوله « رئد للنساء » الرئد ـ بكسر الراء وسكون ما بعدها ، وقد تهمز وقد لا تهمز ـ الترب واللدة ومن يكون سنه كسنك ، يقال : فلان رئد لفلان ، وفلانة رئد لفلانة ، والمعنى أنه ترب له وأنها ترب لها ، وقال الراجز فترك الهمز :

* قَالَتْ سُلَيْمَى قَوْلَةً لِرِيدِهَا *

وقال كثير فترك الهمز أيضا :

وَقَدْ دَرَّعُوها وَهْيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ وَلَمَّا يَلْبَسِ الدِّرْعَ رِيدُهَا

وقد جاء ما ظاهِرُه أن الفاعل عَلَم أو مُضافٌ إلى عَلَم ، كقول بعض العَبَادلة : بِئْسَ عَبْدُ اللهِ أَنَا إنْ كانَ كَذَا ، وقوله عليه الصلاة والسلام « نِعْمَ عَبْدُ اللهِ هَذَا » وقوله :

وأراد بكونها ريدا للنساء ــ على هذا المعنى ــ أنها تامة الأنوثة كاملتها فليست صغيرة غرة ، وقد يكون الريد الاسم من الإرادة بمعنى المحبة والعناية وأريد منه ههنا الوصف بمعنى مريدة ومحبة ومعنية ، قال فى اللسان « التهذيب : أراد الشيء أحبه وعنى به ، والاسم الريد »اهـ ، ومعنى كونها ريداً للنساء أنها محبة لهن معنية بما هو من شؤونهن ، ويرجع بأخرة إلى ما ذكرناه فى المعنى الأول ، ووقع فى مكان هذه العبارة فى بيت تأبط شرا « تعرض للشباب » وقوله « ونعم نيم » يقع هذا اللفظ محرفا فى كتب النحاة ومنها نسخ الشرح التى تحت يدى « ونعم تيم » بالتاء مثناة ، والذى يدل على أنه بالتاء المثناة محرف أن المرادى يقول فى شرح التسهيل بعد أن أنشد البيتين « والنيم الضجيع والضجيعة » اهـ . والذى يفسر بهذا التفسير هو النيم بالنون ، وأكل من هذا دلالة أن صاحب اللسان روى البيت الثانى منسوبا إلى تأبط شرا فى مادة (ن ى م) وقال بعد إنشاده : « قيل عنى بالنيم القطيفة ، وقيل : عنى به الضجيع ، قال ابن سيده : وحكى المفسر أن العرب تقول : هو نيم المرأة ، وهى نيمه » اهـ كلامه .

الإعراب : « نياف » خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : هى نياف ، وهو مضاف و « القرط » مضاف إليه « غراء » معطوف بعاطف مقدر على نياف ، وهو مضاف و « الثنايا » مضاف إليه « وريد » الواو عاطفة ، ريد : معطوف على نياف أيضاً « للنساء » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لريد إن فسرته بالترب ومتعلق بريد إن فسرته بمريدة ومحبة « ونعم » الواو حرف عطف ، نعم : فعل ماض دال على إنشاء المدح « نيم » فاعل نعم مرفوع بالضمة ، والجملة فى محل رفع خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : وهى نعم نيم ، وهذه الجملة من المبتدأ والخبر معطوفة على جملة هى نياف القرط .

الشاهد فيه : قوله « ونعم نيم » حيث وقع فاعل نعم اسما منكراً غير مضاف : لا إلى نكرة ، ولا إلى اسم مقترن بأل الجنسية ، وهذا يرد مازعمه صاحب البسيط من أن فاعل نعم لم يرد فى كلام العرب نكرة غير مضافة ، كما ذكره الشارح المحقق وذكره أيضا المرادى فى شرح التسهيل بنفس عبارة الشارح . ومع هذا فجميع النحاة متفقون على أن ذلك ضرورة من ضرورات الشعر لا يجوز أن يقاس عليها ، وإنما يحفظ ما ورد منه ، ولم يختلفوا فيه اختلافهم فى النكرة المضافة كما فى نحو « نعم صاحب قوم » الواردة فى الشاهد السابق ، فاعرف هذا ولا تغفل عنه .

٧٤٩ — بِئْسَ قَوْمُ اللهِ قَوْمٌ طُرِقُوا فَقَرَوْا جَارَهُمُ لَحْمًا وَحِرْ

---

٧٤٩ — هذا بيت من الرمل ، ويروى بعده :

وَسَقَوْهُ فِى إِنَاءٍ كَلِعٍ لَبَنًا مِنْ دَرِّ مِخْرَاطٍ فَئِرْ

ولم أعثر لهذين البيتين على نسبة إلى قائل معين ، وأنشد ابن منظور ثانيهما عن ابن برى ولم ينسبه .

اللغة : « طرقوا » فعل ماض مبنى للمجهول مأخوذ من الطروق ، وهو أن تجىء أهلك ليلا ، « فقروا » أطعموا ، وأصله القرى وهو ما يقدم للضيف « جارهم » أراد به اللائذ بهم والمستجير من كلب الدهر وشدته « لحما وحر » بفتح الواو وكسر الحاء — الذى دبت عليه الوحرة ، والوحرة — بفتح الواو والحاء جميعا — وزغة تكون فى الصحراء أصغر من العظاءة ، وهى على شكل سام أبرص ، وهى صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت ، وهى أخبث العظاء ، لا تطأ طعاما ولا شرابا إلا سمته ، ولا يأكله بعد ذلك أحد إلا دق بطنه وأخذه قىء وربما هلك آكله ، وقال أعرابى : من أكل الوحرة ، فأمه منتحرة . وتقول : لبن وحر ، ولحم وحر؛ إذا دبت عليه الوحرة ، وتقول : وحر الرجل يوحر وحراً — مثل فرح يفرح فرحا — إذا أكل مادبت عليه الوحرة « كلع » بفتح الكاف وكسر اللام — الوصف من الكلع بفتح الكاف واللام جميعا ، وهو الوسخ . وتقول : إناء كلع ، وسقاء كلع ، وإناء مكلع ، وذلك إذا التبد عليه الوسخ ، ورجل كلع كذلك . وتقول : كلعت رجل الرجل تكلع كلعاً — مثل فرح يفرح فرحا — وكلاعا أيضا ، إذا تشققت واتسخت ، وقال حكيم بن معية الربعى :

يَؤُمُّهَا تِرْعِيَةٌ غَيْرُ وَرِعْ لَيْسَ بِفَانٍ كِبَرًا وَلَا ضَرَعْ

تَرَى بِرِجْلَيْهِ شُقُوقًا فِى كَلَعْ مِنْ بَارِىءٍ حِيصَ وَدَامٍ مُنْسَلِعْ

وروى ابن منظور « وسقوه فى إناء مقرف » وقوله « لبنا من در مخراط » هو بكسر الميم وسكون الخاء بعدها راء مهملة — وأصله من الخرط بفتح الخاء والراء جميعا — وهو أن تصيب الضرع عين أو داء ، أو أن تربض الشاة ، أو تبرك الناقة على ندى فيخرج اللبن منعقداً كقطع الأوتار ويخرج معه ماء أصفر ، وقال اللحيانى : هو أن يخرج مع اللبن شعلة قيح . وتقول : أخرطت الشاة ، وهى مخرط ، فاذا كان ذلك عادة لها فهى مخراط وجمعه مخاريط . والخرط — بكسر الخاء وسكون الراء — اللبن الذى يصيبه ذلك « فئر » بفتح الفاء وكسر الهمزة — سقطت فيه الفأرة .

وكأنّ الذى سَهَّل ذلك كونُه مضافاً فى اللفظ إلى مافيه أل ، وإن لم تكن مُعَرَّفَة ، وأجاز المبردُ والفارسىُّ إسنادَ « نعم » و « بئس » إلى الذى ، نحو « نِعْمَ الَّذِى آمَنَ زَيْدٌ » ، كما يُسندانِ إلى مافيه أل الجنسية . وَمَنَعَ ذلك الكوفيون وجماعة من البصريين وهو القياس ؛ لأن كل ما كان فاعلا لنعم و بئس وكان فيه أل كان مفسِّرا للضمير المستتر فيهما إذا نُزِعَتْ منه ، و « الذى » ليس كذلك . قال فى شرح التسهيل : ولا ينبغى أن يُمْنَعَ ؛ لأن «الذى» جعل بمنزلة الفاعل ، ولذلك اطَّرد الوصف به .

الثانى : ذهب الأكثرون إلى أن « أل » فى فاعل نعم و بئس جِنْسِيَّة ، ثم اختلفوا فقيل : حقيقة ، فإذا قلت « نعم الرجل زيد » فالجنس كلُّه ممدوح ، وزيد مُنْدَرِج تحت الجنس لأنه فَرْدٌ من أفراده ، ولهؤلاء فى تقريره قولان : أحدهما : أنه لما كان الغَرَض المبالغةَ فى إثبات المدح للممدوح جُعل المدح للجنس الذى هو منهم ، إذ الأبلغ فى إثبات الشىء جَعْلُه

الإعراب : « بئس » فعل ماض دال على إنشاء الذم مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « قوم » فاعل بئس مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « الله » مضاف إليه « قوم » هو المخصوص بالذم : فيجوز أن يكون مبتدأ خبره الجملة التى قبله ، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف ، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف وجوبا ، على ما بيناه تفصيلا فى شرح الشواهد السابقة ، وسيأتى للناظم والشارح بيانه « طرقوا » فعل ماض مبنى للمجهول ، وواو الجماعة نائب فاعله ، وجملة الفعل ونائب فاعله فى محل رفع صفة لقوم المخصوص بالذم « فقروا » الفاء حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وقرى : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين لا محل له من الإعراب ، وواو الجماعة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع «جارهم» جار : مفعول به أول لقروا منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائبين العائد إلى المخصوص بالذم مضاف إليه « لحما » مفعول ثان لقروا منصوب بالفتحة الظاهرة « وحر » صفة للحم منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وسكنه لأجل الوقف ، وذلك على لغة ربيعة التى تعامل المنصوب فى الوقف معاملة المرفوع والمخفوض .

الشاهد فيه : قوله « بئس قوم الله » حيث ورد فيه فاعل بئس الدال على إنشاء الذم اسما مضافا إلى علم ، وهو لفظ الجلالة فانك تعلم أنه علم على الذات الأقدس الواجب الوجود لذاته ، وذلك بحسب حاله ، وإن كان بحسب الأصل اسم جنس مقترنا بأل ، فانه فى الأصل « إلاه » فدخلت عليه أل فصار الإله ، ثم حذفت الهمزة التى هى فاء الكلمة وأدغمت لام أل فى اللام التى هى عين الكلمة ، واختص فى الاستعمال بالإطلاق على واجب الوجود ، وأل هذه لا تفيد تعريفاً ، لأنه معرفة بالعلمية .

للجنس حتى لا يُتَوَهَّمُ كونُه طارئًا على المخصوص ، والثانى : أنه لما قصدوا المبالغة عَدَّوُا المدحَ إلى الجنس مبالغة ولم يقصدوا غَيْرَ مدح زيد ، فكأنه قيل ممدوحٌ جنسُه لأجله . وقيل : مجازا ، فإذا قلت «نعم الرجل زيد» جعلت زيداً جميعَ الجنسِ مبالغة ، ولم تقصد غير مدح زيدٍ ، وذهب قومٌ إلى أنها عَهْدِية ، ثم اختلفوا فقيل : المعهود ذهنى كما إذا قيل « اشْتَرِ اللَّحْمَ » ولا تريد الجنس ولا معهودًا تقدَّم ، وأراد بذلك أن يقع إبهامٌ ثم يأتى التفسيرُ بعده تفخيما للأمر . وقيل : المعهودُ هو الشخص الممدوح ، فإذا قلت « زَيْدٌ نِعْمَ الرَّجُلُ » فكأنك قلت : زيد نعم هو ، واستدل هؤلاء بتثنيته وجمعه ، ولوكان عبارةً عن الجنسِ لم يَسُغ فيه ذلك وقد أجيب عن ذلك — على القول بأنها للاستغراق — بأن المعنى أن هذا المخصوص يَفْضُل أفراد هذا الجنس إذا مُيِّزُوا رَجُلَين رَجُلَيْنِ أو رجَالاً رجَالاً ، وعلى القول بأنها للجنس مجازاً بأن كلَّ واحدٍ من الشخصين كأنه على حدته جنس ، فاجتمع جنسان فثنيا .

الثالث : لايجوز إتباعُ فاعل نعم وبئس بتوكيد معنوى . قال فى شرح التسهيل : باتفاق، وأما التوكيد اللفظى فلا يمتنع ، وأما النعت فمنعه الجمهور ، وأجازه أبو الفتح فى قوله :

٧٥٠ — لَعَمْرِى وَمَا عَمْرِى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ لَبِئْسَ الْفَتَى الْمَدْعُوُّ بِاللَّيْلِ حَاتِمُ

---

٧٥٠ — هذا البيت أول أربعة أبيات رواها أبو تمام فى ديوان الحماسة ونسبها إلى يزيد بن قنافة (انظرشرح التبريزى بتحقيقنا : ٤/٤٠) وبعد البيت المستشهد به قوله :

غَدَاةَ أَتَى كَالثَّوْرِ أُحْرِجَ فَاتَّقَى بِجَبْهَتِهِ أَقْتَالَهُ وَهْوَ قَائِمُ
كَأَنَّ بِصَحْرَاءِ الْمُرَيْطِ نَعَامَةً تُبَادِرُهَا جُنْحَ الظَّلَامِ نَعَائِمُ
أَعَارَتْكَ رِجْلَيْهَا وَهَافِى لُبِّهَا وَقَدْ جُرِّدَتْ بِيضُ الْمُتُونِ صَوَارِمُ

وهذه الأبيات يقولها الشاعر فى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، وهو حاتم الطائى الجواد المشهور .

اللغة : « لعمرى وماعمرى – البيت» لعمرى : هو قسم بحياته ، وهو فى مثل هذا الاستعمال مفتوح العين لا غير ، ومنه قوله تعالى : (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) فاذا حذفوا منه لام الابتداء لم يستعملوه فى القسم فقالوا عمرك فتحوا العين أوضموها ، وقوله « وما عمرى على بهين»

... ...

أراد به تأكيد القسم وبيان أنه ليس حانثاً فيه ، وذلك لأن عمره ليس يهون عليه فيحلف به كاذبا ، ونظيره فى تقوية القسم وتوكيد صحة المحلوف عليه قوله تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) وقوله « المدعو بالليل » الذى تناديه مستغيثا به ، لأنه لا يجيبك حينئذ ولا يأخذ بناصرك « غداة أتى كالثور أحرج ــ البيت » أراد به حاتما ، وقصد إلى الاستهزاء به والسخرية منه ، ومعنى قوله « أحرج » بالبناء للمجهول ضيق عليه ولم يمكن من عادته وأحوج إلى أن يعيث ، والأقتال : جمع قتل ــ بكسر فسكون ، مثل حمل وأحمال وحلس وأحلاس ــ وهو القرن . يقول متهكما به : إنه جاء كالثور الهائج مغضبا ، فلما كان الوقت الذى يجب فيه الدفاع ولى منهزما « أعارتك رجليها وهافى لبها ــ البيت » النعام عند العرب مضرب المثل فى شدة العدو وسرعة الجرى ، وهم يشبهون به الجبان الذى يفر عن الأقران فى وقت القتال ، يقول الشاعر : لما انهزم حاتم كان مثله فى انهزامه مثل نعامة سابقتها إلى أداحيها نعائم أخرى ، فكأن إسراعه فى الهرب وشدة طلبه للنجاء إسراع هذه النعامة ، ولم يكتف بأن شبهه بالنعامة حتى جعلها تسابق نعائم فكل واحدة منهن تبادر الأخريات للوصول إلى مكانها ، و « هافى لبها » أى قلبها الخافق من الخوف .

الإعراب : « لعمرى » اللام لام الابتداء ، عمر : مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه ، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا ، والتقدير : لعمرك قسمى « وما » الواو اعتراضية ، أو هى واو الحال ، ما : حرف نفى « عمرى » عمر : مبتدأ ، أو اسم ما النافية ، مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه « على » جار ومجرور متعلق بقوله هين الآتى « بهين » الباء حرف جر زائد ، وهين : خبر المبتدأ أوخبر ما النافية مرفوع على الأول أومنصوب على الثانى بضمة أو بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد «لبئس» اللام واقعة فى جواب القسم ، بئس : فعل ماض دال على إنشاء الذم مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب «الفتى» فاعل بئس مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « المدعو » نعت للفتى مرفوع بالضمة الظاهرة ، وستعرف فيه كلاما فى بيان الاستشهاد بالبيت « بالليل » جار ومجرور متعلق بالمدعو ، وجملة بئس الفتى فى محل رفع خبر مقدم ، و « حاتم » مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « بئس الفتى المدعو بالليل » حيث جاء فى هذه العبارة فاعل بئس الذى هو قوله الفتى منعوتا بقوله « المدعو بالليل » وهذا أمر جائز عند الناظم إذا ما كان المراد بالنعت هو المراد بالمنعوت ، ولم يكن المراد بالنعت تخصيص المنعوت بفرد من بين أفراد الجنس التى يحتملها.

واعلم أن هذا الذى ذكرناه من أن قول الشاعر « المدعو بالليل » نعت لفاعل بئس هو

... ...

ما اختاره الشيخ ابن مالك فى شرح التسهيل ، وأصله لأبى الفتح ابن جنى وتبعه المرزوقى شارح الحماسة ، فأما جمهرة النحاة فلا يجوّزون أن ينعت فاعل نعم وبئس مطلقا ، نعنى سواء أريد بالنعت التخصيص أم أريد به نفس المنعوت . قال الخطيب التبريزى فى شرح الحماسة (٤/٤٠) ما نصه : « قال المرزوقى : قوله المدعو بالليل ، كثير من النحويين يذهبون فى مثله إلى أنه بدل ، لا صفة ، لأن نعم وبئس يرفعان من المعارف ما فيه الألف واللام ودل على الجنس ، وما يدل على الجنس لا يتأتى فيه الوصفية . قال : والصواب عندى تجويز كونه وصفاً له ، بدليل أنه يثنى ويجمع ، فيقال : نعم الرجلان الزيدان ، ونعم الرجال الزيدون ، والتثنية والجمع أبعد الأشياء من أسماء الأجناس إلا إذا اختلفت ، فكما يجوز تثنية هذا وجمعه لدخول الاختلاف فيه كذلك يجوز وصفه لمثل هذه العلة ، ولا فصل ، وإذا كان كذلك كان قوله المدعو بالليل صفة للفتى ، كأنه قال : مذموم فى الفتيان المدعوين بالليل حاتم » اه كلامه بحروفه . وهاك عبارة ابن جنى التى أخذها وتقيلها المرزوقى فيما نقله عنه الخطيب ، قال : « قال أصحابنا فى قول الشاعر ﷺ نعم الفتى المرى أنت . . . ﷺ (وهو الشاهد الآتى برقم ٧٥١) : إن المرى بدل من الفتى ، قالوا : وذاك أن فاعل نعم وبئس لا يجوز وصفه من حيث كان واقعا على الجنس ، والجنس أبعد شىء عن الوصف لفساد معناه ، فلما كان كذلك عدلوا به عن الوصف إلى البدل ، فقياس ذلك أن يكون المدعو بدلا من الفتى . وأما أنا فأجيزه ، وذلك أن المدح والتفضيل إنما وقع على أن يفضل حاتم على الفتيان المدعوين بالليل ، أى فاق حاتم جميع الفتيان المدعوين بالليل ، ولم يرد أن يفضله على جميع الفتيان عموما ، ولو أراد ذلك لما جازت الصفة ، ولكنه وصف الفتى وفضل حاتما على جميع الفتيان المدعوين بالليل ، وكذلك تقول : نعم الرجل الطويل زيد ، أى فاق زيد فى الرجال الطوال خاصة ، وهذا معنى مع أول تأمل يصح » اه كلامه . ولاحظ فيه أمرين : الأول أنه شرح البيت المستشهد به على أن « الفتى » ممدوح مع أنه مذموم لأنه فاعل بئس ، والخطب فى هذا سهل . والثانى أن كلامه يكاد يكون صريحا فى أن المراد بالنعت تخصيص المنعوت ، وليس كما ذهب إليه ابن مالك فى شرح التسهيل من أن المراد بالنعت نفس المنعوت ، ألا ترى أن ابن جنى يقول « أى فاق زيد فى الرجال الطوال خاصة » وألا ترى المرزوقى يقول « كأنه قال : مذموم فى الفتيان المدعوين بالليل حاتم » فتأمل فى ذلك وانتبه له . وقال المرادى فى شرح التسهيل بعد عبارة ابن مالك التى نقلها الشارح هنا ما نصه : « قيل : أما منع وصفه فهو قول الجمهور ، وقال بعضهم : لا يجوز عند البصريين ، وأجاز أبو الفتح فى بيت الحماسة ﷺ لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم ﷺ أن يكون المدعو وصفا للفتى » اه . وسنسمعك عبارة ابن السراج وعبارة أبى على اللتين أبيا فيهما نعت فاعل نعم وبئس مطلقا ، وذلك فى شرح الشاهد الآتى إن شاء الله تعالى .

قال فى شرح التسهيل : وأما النعت فلا ينبغى أن يُمْنَعَ على الإطلاق ، بل يُمْنَعُ إذا قُصد به التخصيص مع إقامة الفاعل مُقَام الجنس ، لأن تخصيصه حينئذ منافٍ لذلك القصد . وأما إذا تُؤُوِّل بالجامع لأكل الفضائل فلا مانع من نَعْته حينئذ ؛ لإمكان أن يُرَاد بالنعت ما أريد بالمنعوت ، وعلى هذا يُحْمَل قولُ الشاعر :

٧٥١ — نِعْمَ الْفَتَى الْمُرِّىُّ أنْتَ إذَا هُمُ

---

٧٥١ — هذا صدر بيت من الكامل ، وعجزه قوله :

* حَضَرُوا لَدَى الْحُجُرَاتِ نَارَ الْمَوْقِدِ *

وهـذا البيت من قصيدة لزهير بن أبى سلمى المزنى يمدح فيها سنان بن أبى حارثة المرى ، ومطلعها قوله :

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالْفَدْفَدِ ... كَالْوَحْىِ فِى حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ

دَارٌ لِسَلْمَى إذْ هُمُ لَكَ جِيرَةٌ ... وَإخَالُ أنْ قَدْ أخْلَفَتْنِى مَوْعِدِى

إذْ تَسْتَبِيكَ بِجِيدِ آدَمَ عَاقِدٍ ... يَقْرُو طُلُوحَ الأنْعَمَيْنِ فَثَهْمَدِ

وقبل البيت المستشهد بصدره قوله :

وَتَيَمَّمَتْ عُرْضَ الْفَلاَةِ كَأنَّهَا ... غَرَّاءُ مِنْ قِطَعِ السَّحَابِ الأقْهَدِ

وَإلَى سِنَانٍ سَيْرُهَا وَوَسِيجُهَا ... حَتَّى تُلاَقِيَهُ بِطَلْقِ الأسْعُدِ

نِعْمَ الْفَتَى الْمُرِّىُّ أنْتَ إذَا هُمُ ... حَضَرُوا . . . البيت ، وبعده :

خَلِطٌ أُلُوفٌ لِلْجَمِيعِ بِبَيْتِهِ ... إذْ لاَ يُحَلُّ بِحَيِّزِ الْمُتَوَحِّدِ

يَسِطُ الْبُيُوتَ لِكَىْ يَكُونَ مَظِنَّةً ... مِنْ حَيْثُ تُوضَعُ جَفْنَةُ الْمُسْتَرْفِدِ

عَوَّدْتَ قَوْمَكَ أنَّ كُلَّ مُبَرِّزٍ ... مَهْمَا يُعَوَّدْ شِيمَةً يَتَعَوَّدِ

اللغة : « لمن الديار غشيتها ــ البيت » الفدفد : الأرض المستوية ، ويقال : المرتفع من الأرض فيه صلابة وحجارة ، والوحى : أراد به ههنا الكتاب ، وإنما جعله فى حجر السيل لأنه أصلب له ، والمخلد : اسم الفاعل من الإخلاد ومعناه المقيم ، تقول : أخلد فلان بأرض كذا ، وعدن بها ، تريد أقام . « دار لسلمى ــ البيت » يقال : جار وجيرة ، ونظيره قاع وقيعة « إذ تستبيك بجيد آدم ــ البيت » تستبيك : تسبى قلبك ، أى تأسره . والآدم من الظباء : الذى ليس بخالص البياض

... ...

وفيه خطتان ، وقال الأصمعى : هو الظبى الأبيض البطن الأسمر الظهر . والعاقد : الذى يعقد عنقه ويلويه ، وأراد بالآدم العاقد ظبيا ، شبه جيد سلمى الذى أسرته به بجيد ظبى يلوى عنقه . يقرو : يتتبع . والطلح : شجر ، وجمعه طلوح ، ومعنى أنه يقرو الطلح أنه يتتبعه ويرعاه ، والأنعان وثهمد : مكانان . وقوله « وتيممت عرض الفلاة ــ البيت » تيممت : قصدت . ويقال : أممت الشىء ــ بالتخفيف ــ وأممته ، وتيممته ــ بالتثقيل ــ ، وعرض الفلاة : ناحيتها وجانبها ، والغراء ههنا : السحابة البيضاء ، شبه بياضها ببياض السحاب ، أو أراد أنها سريعة العدو ، وذلك لأن السحابة البيضاء أقل السحب حملا للماء فهى أسرعها سيرا ، وأثقل السحائب مشيا أحفلها ، والأقهد : الأبيض ، والبقرة فى خديها وقوائمها سواد وسائرها أبيض . فمن هنا جاء تشبيه البقرة بالسحاب الأبيض ، « وإلى سنان سيرها ــ البيت » الطلق ــ بفتح الطاء وسكون اللام ــ اليوم الطيب لا برد فيه ولا أذى . والوسيج : ضرب من السير ، وهو مشى سريع ، قال الأصمعى : أول السير الدبيب ، ثم العنق ، ثم التزيد ، ثم الذميل ، ثم العسيج والوسيج ، والأسعد : مأخوذ من السعود ، وهو اليمن « نعم الفتى المرى أنت ــ البيت » معنى لدى عند ، والحجرات : جمع حجرة ، وأصل الحجرة حظيرة الإبل ، وأصل اشتقاقها من الحجر وهو المنع ، سميت الحظيرة بذلك لأنها تمنع الإبل الشراد ، وسميت حظيرة من الحظر الذى هو المنع لذلك ، وحجرة الدار من ذلك أيضا لأنها تمنع المال أن تمتد إليه يد ، وجمع الحجرة حجر كغرفة وغرف ، وتجمع على حجرات بضم الحاء والجيم أو بضم الحاء وفتح الجيم ، وأراد بالحجرة ههنا شدة الشتاء وكلبه ، ويقال : أراد بالحجرات السرادقات ، والموقد : الذى لا تخمد ناره للضيف والطارق « خلط ألوف للجميع ــ البيت » خلط ــ بفتح فكسر ــ أى مختلط بالناس ، ألوف للجميع : أى يجعل بيته للجميع فلا ينزل وحده ، فهو يألف الناس ويتألفهم ، والحيز : الناحية والجهة . والمتوحد : الذى ينفرد ويعتزل الناس حتى لا يعرف العفاة أو الأضياف مكانه فلا يضيف ولا يقرى « يسط البيوت لكى يكون مظنة ــ البيت » يسط البيوت : يكون فى وسطها لكى يظن الناس عنده خيرا ، ومظنة الشىء : الموضع الذى يظن ذلك الشىء فيه ، والمسترفد ــ بفتح الفاء ــ الذى يسترفده الناس : أى يطلبون معونته ومعروفه .

الإعراب : « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب . « الفتى » فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « المرى » نعت للفتى ، مرفوع بالضمة الظاهرة ، وستعرف فيه كلاما نظير ما عرفته فى الشاهد السابق ، وجملة نعم وفاعله فى محل رفع خبر مقدم « أنت » ضمير منفصل مبتدأ مؤخر « إذا » ظرف زمان مبنى على السكون فى محل نصب بنعم « هم » فاعل بفعل محذوف يفسره الفعل بعده ، وتقدير الكلام : إذا حضروا ،

وَحَمَلَ أبو على وابنُ السَّراج مثلَ هذا على البدل ، وأبَيَا النعت ، ولا حجة لهما اهـ .
وأما البَدَل والعطفُ فظاهر سكوته فى شرح التسهيل عنهما جوازُهما ، وينبغى أن لا يجوز منهما إلا ما تُباشره نعم

* * *

(وَيَرْفَعَانِ)أيضاعلى الفاعلية (مُضْمَرًا) مبهما (يُفَسِّرُهُ* مُمَيِّزٌ كَنِعْمَ قَوْمًامَعْشَرُهُ) وقولِهِ :

٧٥٢ — نِعْمَ امْرَأً هَرِمٌ لَمْ تَعْرُ نَائِبَةٌ إلاَّ وَكَانَ لِمُرْتَاعٍ بِهَا وَزَرَا

فلما حذف الفعل انفصل الضمير ، وجملة الفعل وفاعله فى محل جر بإضافة إذا إليها « حضروا » فعل ماض وفاعله ، والجملة لا محل لها من الإعراب مفسرة « لدي » ظرف مكان متعلق بحضر منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وهو مضاف و « الحجرات » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « نار » مفعول به لحضر منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « الموقد » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « نعم الفتى المرى » حيث أتبع فاعل نعم الذى هو قوله « الفتى » بنعت وهو قوله « المرى » لأنه أريد بالنعت ههنا نفس ما أريد بفاعل نعم من العموم ، ولم يرد بالنعت تخصيص المنعوت بفرد مما يحتمله الجنس ، هكذا قال ابن مالك فى شرح التسهيل وتبعه عليه المتأخرون ، وهو فى ذلك كله تابع للامام الجليل أبى الفتح بن جنى ، وقد نقلنا لك فى شرح الشاهد السابق كلام ابن جنى وكلام المرزوقى الذى احتذى فيه حذو أبى الفتح وكلام المرادي أحد شراح التسهيل ، وكل هؤلاء يؤيد المذهب الذى اختاره ابن مالك . وجمهرة النحاة على خلاف هذا ، وعندهم أنه لا يجوز أن ينعت فاعل نعم وبئس ، وأنه إذا جاء فى كلام العرب ما يفهم من ظاهره أنه نعت لفاعل نعم أو بئس فهو محمول على غير هذا الظاهر ، وهذا الذى يظن أنه نعت هو عند التحقيق بدل من الفاعل ، وقد تولى هذا الرأى ابن السراج وأبو على كما نص عليه الشارح نقلا عن ابن مالك فى شرح التسهيل ، قال أبو بكر ابن السراج فى كتابه الموسوم بالأصول ما نصه : « ولا يجوز توكيد المرفوع بنعم ، قالوا : وقد جاء فى الشعر منعوتا ، وأنشدوا * نعم الفتى المرى أنت ... البيت * وهذا يجوز أن يكون بدلا غير نعت ، فكأنه قال : نعم المري أنت »اهـ . وقال أبو على فى كتاب التذكرة : « قرىء على أبى بكر من الأصول * نعم الفتى المرى أنت ...البيت * فقال أبو بكر : حمله قوم على الصفة ، وهو عندنا على البدل ، لأن وصفه قبيح . قال أبو على : لأن فاعل نعم إذا كان ظاهرا فالمقصود به الجنس ، وليس بعد الجنس شىء يلبس فيفصل بينهما »اهـ وقد عرفت وجه الرد على هذا الكلام فى شرح الشاهد السابق فلا داعى للاطالة .

٧٥٢ — ينسب قوم هذا البيت إلى زهير بن أبى سلمى المزنى ، والسر فى هذا أن البيت فى

وقوله :

٧٥٣ — لَنِعْمَ مَوْئِلاً الْمَوْلَى إِذَا حُذِرَتْ ... بَأْسَاءُ ذِى الْبَغْيِ وَاسْتِيلَاءُ ذِى الإِحَنِ

مديح رجل اسمه هرم ، ومدائح زهير كانت فى هرم بن سنان المرى كما رأيت فى شرح الشاهد السابق ، ولكنى راجعت جميع نسخ ديوان زهير المطبوعة فى مصر وفى أوربا فلم أجد هذا البيت فى واحدة منها ، بل لم أجد لزهير شعراً على هذا الروى .

اللغة : « هرم » هو بفتح الهاء وكسر الراء بزنة كتف ونمر ، وهو اسم رجل ، وهو من أسمائهم ، وممدوح زهير بن أبى سلمى المزنى ممن سموا بهذا الاسم « لم تعر » أى لم تنزل ، تقول : عرا الأمر يعرو ، إذا نزل « نائبة » أصلها اسم فاعل مؤنث فعله ناب ينوب ، ومعناه نزل ، ثم أطلقت النائبة على الكارثة من كوارث الدهر ، أراد لم تنزل بأحد كارثة من كوارث الدهر تحتاج إلى النجدة والنصرة والمعونة إلا وجدت هذا الممدوح معينا لمن نزلت به ، ناصرا إياه ، آخذا بيده « لمرتاع » الروع بفتح الراء وسكون الواو ـ الخوف والفزع . وتقول : راعنى الشىء يروعنى ، وروعنى ـ بتشديد الواو ـ وقد ارتعت له وبه « وزر » الوزر : الملجأ والمعين .

الإعراب : « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو « امرأ » تمييز ، وجملة الفعل وفاعله فى محل رفع خبر مقدم « هرم » مبتـدأ مؤخر « لم » حرف نفى وجزم وقلب « تعر » فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الواو والضمة قبلها دليل عليها « نائبة » فاعل تعرو مرفوع بالضمة الظاهرة «إلا» أداة استثناء «وكان» الواو واو الحال ، كان : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، واسمه ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى هرم «لمرتاع» جار ومجرور متعلق بوزر الآتى « بها » جار ومجرور متعلق بمرتاع « وزرا » خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة ، وجملة كان واسمها وخبرها فى محل نصب حال ، وهـذه الحال مستثناة من عموم الأحوال ، والمعنى : لم تعر نائبة أحدا فى حال من الأحوال إلا فى الحال التى يكون هرم ملجأ وحصنا لمن وقعت به .

الشاهد فيه : قوله « نعم امرأ » حيث رفع الفعل الدال على المدح الذى هو نعم ضميرا مستترا مبهما ثم جىء بتمييز بعده يفسره وهو قوله « امرأ » ففسر الضمير متأخر عنـه كما ترى ، ولا مبين له فى الكلام سوى هذا التمييز ، والتمييز بمنزلة متأخرة عن الفاعل بغير شك ؛ فعاد الضمير المستتر فى نعم على متأخر عنه لفظا ورتبة . وهذا الموضع أحد مواضع تقدم ذكرها يجوز فيها عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة .

٧٥٣ — هذا بيت من البسيط، ولم يتيسر لى العثور على نسبته إلى قائل معين ، ولا وجدت له سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « موئلا » الموئل : الملجأ ، تقول : وأل فلان إلى فلان يئل ، ومعناه التجأ إليه ليخلصه

وقوله :

٧٥٤ — نِعْمَ امْرَأَيْنِ حَاتِمٌ وَكَعْبُ كِلَاهُمَا غَيْثٌ وَسَيْفٌ عَضْبُ

من شدة « المولى » له أكثر من عشرين معنى ، والأقرب أن المراد منه هنا ابن العم كما في قول الشاعر :

مَهْلاً بَنِي عَمِّنَا مَهْلاً مَوَالِينَا لَا تَنْبِشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونَا

« حذرت » بضم الحاء وكسر الذال — فعل مبنى للمجهول من الحذر وهو التحرز من الشيء وتحامى وقوعه ، والمراد منه ههنا الخوف « بأساء ذى البغى » البأساء : الشدة والكارثة والداهية والبغى: الظلم ومجاوزة الحد بالقهر والغلبة «واستيلاء ذى الإحن» الإحن — بكسر الهمزة وفتح الحاء — جمع إحنة — بكسر فسكون — وهى العداوة والبغضاء وإضمارهما فى النفس مع حقد .

المعنى : ينبه إلى أن ابن العم خير من تلتجىء إليه ، وتعتصم به ، وتطلب نجدته عند ما ينزل بك ما تخافه وتحذره من غلبة أهل العدوان وسطوة ذوى الأحقاد .

الإعراب : « لنعم » نعم : فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو « موئلا» تمييز مفسر للضمير المستتر فى نعم، والجملة من نعم وفاعلها فى محل رفع خبر مقدم « المولى » مبتدأ مؤخر « إذا » ظرف زمان مبنى على السكون فى محل نصب بنعم «حذرت» فعل ماض مبنى للمجهول ، والتاء علامة على تأنيث المسند إليه « بأساء » نائب فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « ذى » مضاف إليه ، وهو مضاف و « البغى » مضاف إليه « واستيلاء » الواو حرف عطف ، استيلاء : معطوف على نائب الفاعل ، وهو مضاف و « ذى » مضاف إليه ، وهو مضاف و « الإحن » مضاف إليه ، وجملة الفعل ونائب الفاعل فى محل جر بإضافة إذا إليها .

الشاهد فيه : قوله « نعم موئلا المولى » حيث رفع الفعل الدال على المدح — وهو قوله « نعم » — ضميراً مستترا فيه ، ثم فسر هذا الضمير بنكرة وقعت تمييزا وذلك قوله « موئلا » على نحو ما بيناه فى شرح الشاهد السابق .

٧٥٤ — هذا بيت من الرجز ، ولم يتيسر لى العثور على نسبته إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « حاتم » اسم علم من أسماء العرب ، وأشهر من سمى به حاتم بن عبد الله بن الحشرج الطائى المضروب به المثل فى الكرم والسخاء « كعب » هو أيضا من أسمائهم وممن اشتهر من المسمين بهذا الاسم كعب بن مامة الإيادى ، وله قصة فى الكرم ذكرناها فيما مضى (٣/١٧٦) فلا داعى

... ...

لإعادتها هنا ، وقــد ضربه جرير بن عطية مثلا فى الجود ، وذلك فى قوله من مدحة له فى عمر ابن عبد العزيز :

فَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أَرْوَى ... بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الْجَوَادَا

« كلاهما غيث » أصل الغيث فى العربية المطر ، ويطلق مجازا على الجواد الكريم كما يطلق عليه المطر أيضا ، انظر إلى قول الشاعر :

إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفَنَا ... مِنَ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ

تدرك وجه إطلاق الغيث والمطر على المعطاء الكريم « سيف عضب » العضب : القاطع الحادّ النافذ فى ضريبته ، وأراد هنا بالسيف العضب الشجاع الذى يبدد شمل الأعداء ، مجازا ، كالمجاز فى إطلاق الغيث على الكريم .

المعنى : مدح رجلين اسم أحدهما حاتم واسم الآخر كعب ، ثم وصف كلا منهما بأنه شجاع وكريم ، ولا داعى لجعل الكرم وحده راجعا إلى حاتم وحده والشجاعة وحدها راجعة إلى كعب وحده على سبيل اللف والنشر كما زعمه العلامة الصبان ؛ فإن حاتما الطائى ـ إن يكن هو المقصود هنا بالمدح ـ قد عرف بالشجاعة والإقدام كما عرف بالكرم ، وانظر إلى قوله :

فَلَا تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي أَيُّ فَارِسٍ ... إِذَا بَادَرَ الْقَوْمُ الْكَنِيفَ الْمُتَسَتَّرَا

مَتَى تَرَنِي أَمْشِي بِسَيْفِيَ وَسْطَهَا ... تَخَفْنِي وَتُضْمِرْ بَيْنَهَا أَنْ تُجَزَّرَا

وَإِنِّي لَوَهَّابٌ قُطُوعِي وَنَاقَتِي ... إِذَا مَا انْتَشَيْتُ وَالْكُمَيْتَ الْمُصَدَّرَا

أَخَا الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا

وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وَإِنِّي إِذَا مَا الْمَوْتُ لَمْ يَكُ دُونَهُ ... قِدَى الشِّبْرِ أَحْمِي الْأَنْفَ أَنْ يَتَأَخَّرَا

فقد وصف نفسه بالكرم والشجاعة ، وهو معروف بهما . وكعب بن مامة ـ إن يكن مرادا ـ معروف بالكرم أيضا ، وفى القصة التى رويناها سابقا وأحلناك عليها أكبر شاهد على هذا .

الإعراب : « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا « امرأين » تمييز مفسر للضمير المستتر فى نعم منصوب بالياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها لأنه مثنى ، وجملة نعم وفاعله فى محل رفع خبر مقدم « حاتم » مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة « وكعب » الواو حرف عطف ، كعب : معطوف على حاتم مرفوع بالضمة

ونحو « بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً » وقوله :

٧٥٥ — تَقُولُ عِرْسِي وَهْيَ لِي فِي عَوْمَرَهْ بِئْسَ امْرَأً وَإِنَّنِي بِئْسَ الْمَرَهْ

الظاهرة « كلاهما » كلا : مبتدأ مرفوع بالألف نيابة عن الضمة لأنه ملحق بالمثنى ، وهو مضاف وضمير الغائبين مضاف إليه « غيث » خبر المبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة « وسيف » الواو حرف عطف ، سيف : معطوف على خبر المبتدأ « عضب » صفة لسيف مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

الشاهد فيه : قوله « نعم امرأين » حيث رفع بنعم ضميرا مستترا ، وجاء بعده بتمييز مطابق لهذا الضمير يفسره به ، على نحو مابيناه لك فى شرح الشاهدين السابقين .

ونحب أن ننبهك هنا إلى أن هـذا الضمير المستتر فى نعم وبئس يخالف جميع ضمائر الفاعلين التى تستتر فى الأفعال . وبيان ذلك أنه لا يستتر فى الفعل إلا ضمير الواحد المفرد غائبا كان أو مخاطبا فإن كان الضمير مثنى أو مجموعا وجب إبرازه ، تقول : زيد ضرب ، وهند ضربت ، وزيد يضرب ، وهند تضرب ، وتضرب يازيد . ثم تقول : الزيدان ضربا ، والزيدون ضربوا ، والهندان ضربتا ، والهندات ضربن ، والزيدان يضربان ، والزيدون يضربون ، والهـندان تضربان ، والهندات تضربن ، وأنتما يازيدان تضربان ، وأنتم يازيدون تضربون ، وأنتما ياهندان تضربان ، وأنتن ياهندات تضربن ، لايجوز غير ذلك . فأما فى باب نعم وبئس فإنه يجب فى الفصيح ألا يبرز الضمير لا فى تثنية ولا فى جمع ، تقـول : نعم رجلا ، ونعم رجلين ، ونعم رجالا ، ونعم امرأة ، ونعم امرأين ، ونعم نساء . وقد حكى الشارح رحمه الله عن الكوفيين أنهم يجيزون إبراز الضمير المثنى والمجموع مع نعم وبئس أيضا فيقولون : نعما رجلين ، ونعموا رجالا ، وعلى هذا المذهب أيضا يكون بين باب نعم وبئس وغيرهما من الأفعال فرق من جهة وجوب إبراز ضمير الفاعل المثنى والمجموع مع غيرهما من الأفعال ، أما معهما فالإبراز جائز كالإضمار ، بل الإضمار أرجح ، فتنبه لهذا واحفظه ولا تغفل عنه .

٧٥٥ — هذا بيت من الرجز ، ولم يتيسر لى الوقوف على نسبته إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « عرسى » عرس الرجل ــ بكسر العين وسكون الراء وآخره سين مهملة ــ زوجته ، ويقال للرجل عرس أيضا ، قال العجاج :

أَزْهَــرَ لَمْ يُولَدْ بِنَجْمٍ نَحْسِ أَنْجَبَ عِرْسٍ جُبِــلاَ وَعِرْسِ

أى : أنجب بعل وامرأة ، وأراد أنجب عرس وعرس جبلا ، فوسط النعت بين المتعاطفين المنعوتين ، وهذا يدل على أن ما عطف بالواو بمنزلة ما جاء فى لفظ واحد فكأنه قال : أنجب عرسين جبلا ، ولولا أن ذلك كذلك لم يجز له أن يفعل ما فعل من التقديم ، لأن محالا تقديم الصـفة على الموصوف . ويجمع العرس على أعراس سواء أردت به الرجل أو المرأة ، وكل ذكر وأنثى فهما عرسان ، قال علقمة الفحل يصف ظليما ، وهو ذكر النعام :

فنى كل من « نعم » و « بئس » ضميرٌ هو الفاعل[(١)].

ولهذا الضمير أحكام :

الأول : أنه لا يبرز فى تثنية ولا جمع ، استغناء بتثنية تمييزه وجمعه ، وأجاز ذلك قومٌ من الكوفيين ، وحكاه الكسائى عن العرب ، ومنه قول بعضهم : مَرَرْتُ بِقَوْمٍ نِعْمُوا قَوْمًا ، وهذا نادر .

الثانى : أنه لا يُتبَع ، وأما نحو « نِعْمَ هُمْ قَوْمًا أنتم[(٢)] » فشاذ .

حَتَّى تَلَافَى وَقَرْنُ الشَّمْسِ مُرْتَفِعٌ أُدْحِيَّ عِرْسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرْكُومُ

قال ابن برى : تلافى معناه تدارك ، والأدحى : موضع بيض النعامة ، وأراد بالعرسين الذكر والأنثى ؛ لأن كل واحد منهما عرس لصاحبه ، والمركوم : الذى ركب بعضه بعضا . اﻫ كلام ابن برى « عومره » بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح الميم ـ قال ابن فارس : هى الصخب والجلبة . يعنى أنهما فى شجار ترتفع فيه الأصوات وتختلط .

المعنى : وصف أنه حدث بينه وبين امرأته شجار ارتفعت فيه أصواتهما واختلطت ، وصيح كل واحد منهما على صاحبه ، وأن امرأته قالت له فى أثناء هذا الاختلاط : إنك لشر رجل وإنى لشر امرأة .

الإعراب : « تقول » فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « عرسى » فاعل مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « وهى » الواو واو الحال ، هى : ضمير منفصل مبتدأ « لى » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدإ ، واللام الجارة فيه بمعنى مع « فى عومرة » جار ومجرور متعلق بما تعلق به الجار والمجرور السابق ، وجملة المبتدإ وخبره فى محل نصب حال من الفاعل « بئس » فعل ماض دال على إنشاء الذم ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو « امرأ » تمييز فسر به الضمير المستتر فى بئس منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وجملة نعم وفاعله المستتر فيه فى محل نصب مقول القول « وإنى » الواو حرف عطف ، إن : حرف توكيد ونصب ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم اسم إن مبنى على السكون فى محل نصب « بئس » فعل ماض دال على إنشاء الذم مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « المرء » فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة ، وسكن لأجل الوقف ، وجملة بئس وفاعله فى محل رفع خبر إن ، ومجىء جملة الخبر إنشائية جائز عند جمهرة النحاة ولم يخالف فيه غير ابن الأنبارى ، وجملة إن واسمها وخبرها فى محل نصب معطوفة على جملة مقول القول .

الشاهد فيه : قوله « بئس امرأ » حيث رفع بئس ضميرا مستترا فيه ثم جىء بعد ذلك بتمييز مفسر لذلك الضمير مطابق له فى تذكيره وإفراده على نحو ما قررناه فى شرح الشواهد الثلاثة السابقة.

(١) يريد أن فى نعم فى الشواهد المتقدمة وبئس فى الآية والشاهد الأخير ضميرا مستترا هو الفاعل

(٢) « هم » هو موضع الكلام ، وهو توكيد للضمير المستتر فى نعم ، وأما « أنتم » فهو المخصوص بالمدح

الثالث : أنه إذا فُسِّر بمؤنَّث لحقته تاء التأنيث ، نحو « نِعْمَتِ امْرَأَةً هِنْدٌ » ، هكذا مَثَّله فى شرح التسهيل . وقال ابن أبى الربيع : لا تلحق ، وإنما يقال « نعم امرأةً هند » استغناء بتأنيث المفسِّر ، ونَصَّ خطاب على جواز الأمرين ، ويؤيد الأول قوله :«فَبِهَا ونِعْمَتْ».

الرابع : ذهب القائلون بأن فاعلَ « نعم » الظاهرَ يُرَاد به الشخصُ إلى أن المضمر كذلك ؛ وأما القائلون بأن الظاهر يُرَاد به الجنسُ فذهب أكثرهم إلى أن المضمر كذلك ، وذهب بعضهم إلى أن المضمر للشَّخْص ، قال : لأن المضمر على التفسير لا يكون فى كلام العرب إلا شَخْصاً .

ولمفسِّر هذا الضمير شروط :

الأول : أن يكون مؤخَّرا عنه ، فلا يجوز تقديمُه على نعم وبئس .

الثانى : أن يتقدم على المخصوص ، فلا يجوز تأخيره عنه عند جميع البصريين ، وأما قولهم « نِعْمَ زَيْدٌ رَجُلاً » فنادر .

الثالث : أن يكون مطابقاً للمخصوص فى الإفراد وضِدَّيْه ، والتذكير وضده .

الرابع : أن يكون قابلا لأل ، فلا يفسَّر بمثل وغير وأىّ وأفعل التفضيل ؛ لأنه خَلَفٌ من فاعل مقرون بأل فاشْتُرِط صَلاَحيته لها .

الخامس : أن يكون نكرة عامة ، فلو قلت « نِعْمَ شَمْساً هذه الشمسُ » لم يجز ؛ لأن الشمس مُفْرَد فى الوجود ، فلو قلت « نِعْمَ شَمْساً شَمْسُ هٰذَا الْيَوْم » لجاز ، ذكره ابن عصفور ، وفيه نظر .

السادس : لزومُ ذكره كما نصَّ عليه سيبويه ، وصحح بعضهم أنه لا يجوز حذفه وإن فُهِمَ المعنى ، ونصَّ بعضُ المغاربة على شذوذ « فَبِهَا وَنِعْمَتْ » ، وقال فى التسهيل : لازم غالبا ؛ استظهارا على نحو « فَبِهَا وَنِعْمَتْ » ، وممن أجاز حَذْفَه ابنُ عصفور .

﴿ تنبيه ﴾ : ما ذكر من أن فاعل « نعم » يكون ضميراً مستترا فيها هو مذهب الجمهور ، وذهب الكسائى إلى أن الاسم المرفوعَ بعد النكرة المنصوبة فاعلُ نعم ، والنكرة عنده منصوبة على الحال ، ويجوز عنده أن تتأخر فيقال : « نِعْمَ زَيْدٌ رَجُلاً » ، وذهب الفراء

إلى أن الاسم المرفوع فاعل كقول الكسائى ، إلا أنه جعل النكرة المنصوبة تمييزا منقولا ، والأصل فى قولك « نعم رَجُلاً زيدٌ » نعم الرَّجلُ زيدٌ ، ثم نقل الفعل إلى الاسم الممدوح فقيل : نِعْمَ رَجُلاً زَيْدٌ ، ويقبح عنده تأخيره لأنه وقع مَوْقِعَ الرجل المرفوع وأفاد إفادَتَه . والصحيحُ ما ذهب إليه الجمهورُ لوجهين : أحدهما : قولهم « نِعْمَ رَجُلاً أَنْتَ » ، « وبِئْسَ رَجُلاً هُوَ » ، فلو كان فاعلا لاتَّصل بالفعل . الثانى : قولهم « نِعْمَ رَجُلاً كَانَ زَيْداً » فأعملوا فيه الناسخ .

* * *

(وَجَمْعُ تَمْيِيزٍ وَفَاعِلٍ ظَهَرْ * فِيهِ خِلاَفٌ عَنْهُمُ) أى عن النحاة (قَدِ اشْتَهَرْ) فأجازه المبرّد وابن السَّراج والفارسيُّ والناظم وولَدُه ، وهو الصحيح لوروده نظما ونثرا ، فمن النظم قوله :

نِعْمَ الْفَتَاةُ فَتَاةً هِنْدُ لَوْ بَذَلَتْ ... رَدَّ التَّحِيَّـــةِ نُطْقاً أَوْ بِإِيمَاءِ[1]

وقوله :

٧٥٦ — والتَّغْلَبِيُّونَ بِئْسَ الْفَحْلُ فَحْلُهُمُ ... فَحْلاً وَأُمُّهُمُ زَلاَّءُ مِنْطِيقُ

---

(١) هذا هو الشاهد رقم ٥١٩ ، وقد تقدم شرحه فى باب التمييز بما لا نرى معه أن نعيد شيئا من القول عليه ، فارجع إليه فى الموضع الذى أرشدناك إليه (٣/١٨٠) إن شئت .

٧٥٦ — هـــذا بيت من البسيط ، وهو من كلمة لجرير بن عطية بن الخطفى يهجو فيها الفرزدق والأخطل ، وهى مروية فى النقائض ، وأولها قوله :

مَا يُنْسِنِي الدَّهْرُ لاَ يَبْرَحْ لَنَا شَجَناً ... يَوْمٌ تَدارَكَهُ الْأَجْمَالُ وَالنُّوقُ

مَا زَالَ فِي الْقَلْبِ وَجْـدٌ يَرْتَقِي صُعُداً ... حَتَّى أَصَابَ سَـــوَادَ الْعَيْنِ تَفْرِيقُ

يَا زِيقُ أَنْكَحْتَ قَيْناً بِاسْـــتِهِ حُمَمٌ ... يَا زِيقُ ، وَيْحَكَ مَنْ أَنْكَحْتَ يَا زِيقُ

وقبل البيت المستشهد ههنا به قوله فى الأخطل التغلبى النصرانى :

قُلْ لِلْأُخَيْطِلِ إِذْ جَـــدَّ الْجِرَاءُ بِنَا ... أَقْصِرْ فَإِنَّكَ بِالتَّقْصِـــيرِ مَحْقُوقُ

لاَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلاَّ وَهْوَ فِي تَعَبٍ ... وَلاَ تَغَيَّبُ إِلاَّ وَهْـــــوَ مَسْبُوقُ

نَفْسِى الْفِدَاءُ لِقَيْسٍ يَوْمَ تَعْصِبُكُمْ ... إِذْ لاَ يَبُلُّ لِسَانَ الْأَخْطَلِ الرِّيقُ

... ...

بِيضٌ بِأَيْدِيهِمُ شُهْبٌ مُجَرَّبَةٌ ... لِلْهَامِ جَـــدٌّ وَلِلْأَعْنَاقِ تَطْبِيقُ

وَالتَّغْلَبِيُّونَ بِئْسَ الْفَحْلُ فَحْلُهُمُ ... فَحْلاً ... ... البيت وبعده :

مَا ظَنُّكُمْ بِبَنِيهَا حِينَ تَحْضُرُهُمْ ... عِنْدَ الشَّرَابِ وَفَرْجُ الثَّوْبِ مَفْتُوقُ

تَحْتَ الْمَنَاطِقِ أَسْـــتَاهُ مُصَلَّبَةٌ ... مِثْلُ الدِّوَا مَسَّهَا الْأَنْقَاسُ وَالْلِيقُ

اللغة : « التغلبيون » جمع تغلبي ، وهو المنسوب إلى تغلب بن وائل ، وهو فى النسب بفتح اللام وفى المنسوب إليه بكسرها ، وهذا مما حفظ من تغييرات النسب ، وذهب أبو العباس المبرد إلى أن الاسم الرباعى المكسور ما قبل الآخر كزبرج وتغلب يفتح ما قبل آخره عنـد النسب إليه قياسا مطردا ، استمساكا بما ورد من نحو تغلبى ، وحملا على نحو نمر ودئل وإبل من الثلاثى المكسور ثانيه إذا نسب إليه فإنه يفتح ثانيه ، وأبى الجمهرة من العلماء القياس على هذا « الفحل » أصل الفحل الذكر من ذى الحافر والخف والظلف يعد للطروقة ، ويراد منه الذكر مطلقا من أى نوع كان ، وأراد به هنا أباهم ، وهو غير قاصر فى الاستعمال على موضع الذم ، بل يقال فى الذم كما هنا ، ويقال فى المدح كما فى قول قتيلة تعتب على النبى صلى الله عليه وسلم حين قتل أخاها النضر :

أَمُحَمَّدٌ وَلَدَتْكَ خَـــيْرُ نَجِيبَةٍ ... فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

«زلاء» الزلاء ــ بفتح الزاى وتشديد اللام ، بزنة الحمراء ــ الخفيفة الوركين ، يريد أنها ضئيلة الجسم ليس فى فخذيها ولا عجيزتها لحم ، وذلك مما تعاب به النساء عند العرب «منطيق» بكسر الميم، بزنة معطير ومسكين ــ هى التى تتخذ حشية شبه إزار كثيف تضعه تحت ثيابها لتظهر لأعين الناظرين أنها ذات عجيزة ضخمة وردف عبل ، وتجمع الزلاء على زل ــ بضم الزاى بزنة حمر جمع حمراء ــ وإذا ثارت الريح كرهتها الزلاء لأنها تفتضح بما يظهر من ضآلة جسمها وبما يتبين لرائيها من تدليسها بوضع الحشايا ، انظر إلى قول ذى الرمة :

تَرَى الزُّلَّ يَكْرَهْنَ الرِّيَاحَ إِذَا جَرَتْ ... وَمَيَّـــةُ إِنْ هَبَّتْ لَهَا الرِّيحُ تَفْرَحُ

يريد أنها سمينة عبلة ممتلئة الساقين والفخذين والعجيزة خلقة لا تعملا ، فليست تهاب هبوب الريح كما تهابها الزلاء ، بل هى تفرح عند هبوب الريح لأنه يظهر أن عبالتها وضخامة جسمها ليس ناشئا عن وضع الحشايا .

الإعراب : « والتغلبيون » مبتدأ مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم « بئس » فعل ماض دال على إنشاء الذم مبنى على الفتح لا محـــل له من الإعراب « الفحل » فاعل بئس مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة بئس وفاعله فى محل رفع خبر مقدم ، وفحل من « فحلهم » مبتدأ

... ...

مؤخر ، وهو المخصوص بالذم ، والضمير مضاف إليه ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل رفع خبر المبتدأ الذى هو قوله التغلبيون « فحلا » تميز لفاعل بئس « وأمهم » الواو حرف عطف ، أم : مبتدأ ، والضمير مضاف إليه « زلاء » خبر المبتدأ « منطيق » خبر ثان ، أو صفة للأول ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أو معطوف على الأول بعاطف مقدر .

الشاهد فيه : قوله « بئس الفحل فحلهم فحلا » حيث جمع فى الكلام بين فاعل بئس الظاهر الذى هو قوله الفحل والتميز الذى هو قوله فحلا ، وقد أجاز الجمع بينهما أبو العباس محمد بن يزيد المبرد وأبو على الفارسى وجماعة من النحاة ، ومنع سيبويه أن يجمع بينهما المتكلم فى الكلام ، ووجه ماذهب إليه سيبويه أن القصد من الإتيان بالتميز إنما هو رفع إبهام وقع فى الكلام الذى يتقدمه ، والاسم الظاهر الذى يقع فاعلا لنعم وبئس لا إبهام فيه فيكون المجىء بالتميز معه عبثا ؛ إذ التميز حينئذ لايؤدى الغرض المقصود منه لأنه حاصل من قبله ، ولايقال إنه مؤكد لما استفيد من الفاعل لأن التميز لا يكون مؤكدا عندنا ، فأما إن كان الفاعل ضميرا مستترا فى نعم وبئس فلا بد من الإتيان بالتميز لأن الضمير مبهم فاحتاج إلى مايزيل إبهامه ، ومن هنا تعلم أن ذكر التميز فى باب نعم وبئس عند سيبويه على ضربين : واجب إذا كان الفاعل ضميرا مستترا ، وممتنع إذا كان الفاعل اسما ظاهرا ، وهو عند المبرد على ضربين : واجب ، وجائز .

فإن قلت : فماذا يقول سيبويه فى هذا الشاهد ونحوه مما ظاهره أنه قد جمع فيه بين الفاعل الظاهر والتميز ؟ .

فالجواب عن ذلك أنه يرى أن هذا الذى خرجتم البيت عليه من أن « فحلا » تميز غير صحيح ، بل الصحيح عنده أن « فحلا » حال ، والحال قد يكون مؤكدا لصاحبه أو لعامله على ما سبق بيانه والتميز لا يكون كذلك .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : والخلاصة أن هذا الخلاف مبنى على خلاف آخر ، وحاصله : هل يجىء التميز لتأكيد عامله أولا ؟ ذهب سيبويه والجمهور إلى أنه لا يكون التميز مؤكدا لعامله ، ولزمه على ذلك ألا يجيز الجمع فى الكلام الواحد بين فاعل بئس ونعم الظاهر والتميز لأن التميز حينئذ يكون مؤكدا لعامله ، وذهب المبرد وابن السراج والفارسى إلى أنه يجوز أن يكون التميز مؤكدا لعامله ، وأجازوا تبعا لذلك أن يجمع بين الفاعل الظاهر والتميز فى باب نعم وبئس ، وقد بينا لك فى باب التميز (فى شرح الشاهد رقم ٥١٨ فى الجزء الثالث ص ١٧٥ — ١٨١ من هذا الكتاب) أن الصحيح فى هذه المسألة هو قول المبرد ومن وافقه ؛ لمجىء التميز مؤكدا لعامله فى باب نعم فى المنثور من كلام العرب ، ولمجىء التميز مؤكدا لعامله فى غير باب نعم وبئس فى أفصح الكلام

وقوله :

فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا[1]

ومن النثر ما حكى من كلامهم : نِعْمَ الْقَتِيلُ قَتِيلاً أَصْلَحَ بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ[2] ، وقد جاء التمييزُ حيث لاَ إبْهَامَ يرفعه لمجرد التوكيد كقوله :

٧٥٧ — وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

والقول بأن الاسم المنصوب فى هذه الشواهد كلها حال مع كونه اسما جامدا فى أكثرها إبعاد لها عما هو الأصل فى الحال من كونه اسما مشتقا ، فاعرف ذلك وارجع إلى الموضع الذى أحلناك عليه

(١) هذا عجز بيت من الوافر ، وصدره قوله :

* تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا *

وهذا هو الشاهد رقم ٥١٨ الذى تقدم شرحه شرحا وافيا فى باب التمييز (ج ٣ ص ١٧٥–١٨٠) والذى أحلناك فى ختام شرح الشاهد السابق عليه ، فارجع إليه هناك إن شئت .

(٢) هذه كلة قالها الحارث بن عباد فارس النعامة حين بلغه أن ابنه بجيرا قد قتل فى يوم من أيام حرب البسوس ، وقد كان اعتزل هذه الحرب وقال : لا ناقة لى فيها ولا جمل ، فلما قتل المهلهل ابن ربيعة ابنه بجيرا قال هذه العبارة المستشهد بها ظنا منه أن بنى تغلب يعتبرونه بواء لكليب قتيلهم الذى ثارت من أجله الحرب فيكفون عن القتال ، ولكنه قيل له : إن المهلهل حين قتل ابنك قال : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ ، فحينئذ ثار ثائره واقتحم الحرب وقال قصيدته التى يقول فيها :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّى لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّى إنَّ قَتْلَ الْكَرِيمِ بِالشِّسْعِ غَالِ

٧٥٧ — هذا بيت من الكامل ، وهو رابع خمسة أبيات لأبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم عم سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسببها على ما ذكره ابن إسحق وغيره أن قريشا جاءت أبا طالب فكلمته فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه فقال : يابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر مالاأطيق أنا ولاأنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه ، وأنه خاذله ، فقال : ياعم ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له — حين رأى

.. ..

من الأمر – يا ابن أخى امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا ، ثم قال فى ذلك :

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فى التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَابْشِرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْهُ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِى وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ ... وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ ... البيت ، وبعده :
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِى سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

وقد روى جار الله الزمخشرى هذه الأبيات فى تفسير الكشاف عند قول الله تعالى من سورة الأنعام (وهم ينهون عنه وينأون عنه) على أن هذه الآية نزلت فى شأن قريش وأبى طالب (انظر تفسير الكشاف ١/٢٣٧ طبع بلاق)

اللغة : « والله لن يصلوا إليك – البيت » يصلوا إليك : أراد بذلك معنى ينالون منك مكروها ويؤذونك ، وأوسد – بالبناء للمجهول بتشديد السين – من قولهم : وسدته كذا ، إذا جعلت تحت رأسه وسادة ، ودفينا : فعيل بمعنى مفعول من الدفن ويقع حالا من الضمير المستتر فى أوسد ، وقد أنشد ابن هشام هذا البيت فى مغنى اللبيب مستشهدا به على أن جواب القسم قد يصدر بلن ، وهو نادر ، وقد نازعه الدمامينى فى ذلك فادعى أن لن يصلوا ليست جملة جواب القسم وإنما هى مستأنفة لامحل لها ، وجواب القسم محذوف ، وتقدير الكلام : والله لا أسلمك أو نحوه ثم استأنف كلاما فقال : لن يصلوا إليك « فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة – البيت » يقال : صدع فلان بالحق إذا تكلم به جهرة ، وقال المفسرون فى قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) : إن معناه شق جماعتهم بالتوحيد ، وقيل : معناه فرق بين الحق والباطل ، والسر فى هذا أن معنى الصدع الشق والكسر ، تقول : صدعت الإناء ونحوه ، إذا شققته وكسرته ، فإذا انكسر فقد تفرقت أجزاؤه ، فأرادوا أن يكون لا صدع مفعول يقع عليه الكسر والتفرقة وأن يكون له وسيلة وآلة ، وليس ذلك بلازم ، والعبارة يراد بها معنى الجهر والمباداة ، وكأن المتكلم حينئذ يشق أجواز الفضاء ويفرق ما تلاءم منه . والغضاضة – بزنة السحابة – الذلة والمنقصة ، واسم الإشارة فى قوله « أبشر بذاك » يراد منه ظهور أمره ، أو انتفاء الغضاضة عنه ، أو عدم وصول المشركين إليه ، أو المذكور فيشمل كل أولئك ، ومعنى قوله « وقر منه عيونا » هو معنى سرك الله بذاك ، قال الهروى : قولهم أقر الله عينك ، معناه لا أبكاك الله فتسخن بالدمع عينك فكأن قائل ذلك قد قال : سرك الله ،

... ...

ويجوز أن يكون معناه صادفت مايرضيك لتقر عينك من النظر إليه ، وأما قول بعضهم معناه برد الله دمعتها لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة فانه خطأ لأن الدمع كله حار « ودعوتنى وزعمت أنك صادق — البيت » أراد دعوتنى إلى الإيمان بك ، ومعنى زعمت ههنا قلت ، ويروى فى مكانه « وعلمت » بضم التاء للمتكلم ، وقوله « ثم » هو إشارة إلى المكان ، وأراد مقام القول والنصح ، ويروى فى مكانه « قبل » بضم اللام ، والمعنى قبل هذه الدعوة ما جربنا عليك غير الأمانة والصدق « ولقد علمت بأن دين محمد — البيت » هكذا يروى النحاة هذا البيت ، ووقع فى رواية الزمخشرى فى التفسير « وعرضت دينا لامحالة أنه — إلخ » ومن فى قوله « من خير أديان » زائدة على رأى من يجيز زيادتها فى الإثبات ، أو هى تبعيضية على معنى أن هذا الدين بعض الأديان الفاضلة « لولا الملامة — إلخ » الملامة : اللوم ، وتقول : لام فلان فلانا يلومه لوما وملاما وملامة ؛ والحذار — بكسر الحاء — الحذر ، وسمحا : سهلا منقادا ، ومبينا : مظهرا أمرى وأمرك .

الإعراب : « ولقد » الواو واو القسم ، والمقسم به محذوف ، والتقدير : والله لقد علمت — إلخ . واللام واقعة فى جواب القسم ، وقد : حرف تحقيق « علمت » فعل ماض قلبى وفاعله « بأن » يجوز أن تكون هذه الباء زائدة ، وأن : حرف توكيد ونصب « دين » اسم أن ، وهو مضاف و « محمد » مضاف إليه « من خير » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر أن ، وأن مع مادخلت عليه فى تأويل مصدر سد مسد مفعولى علم ، ويجوز أن تكون الباء أصلية ، والمصدر المنسبك من أن ومعموليها فى موضع جر بالباء ، والجار والمجرور يتعلق بعلم على تضمينها معنى آمن أو صدق أو نحوهما ، وخير مضاف و « أديان » مضاف إليه ، وهو مضاف و « البرية » مضاف إليه « دينا » تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « دينا » فإنه تمييز بحسب الظاهر ، وليس فى الكلام السابق عليه إبهام حتى يقال : قد جىء بهذا التمييز ليرفع الإبهام الواقع فى الكلام قبله ، بل معنى هذا التمييز مستفاد من سابق الكلام ، فيكون مؤكدا ، وهذا يدل لما ذهب إليه المبرد والفارسى وابن السراج من أن التمييز قد يجىء مؤكدا إذا كان معناه مستفادا من الكلام قبله ، وقد يجىء غير مؤكد وهو الغالب إذا كان معناه لا يفهم إلا منه ، وإذا ثبت بهــذا البيت أن التمييز فى غير باب نعم وبئس لا يقتصر الإتيان به على قصد رفع الإبهام ثبت أنه يجوز أن يجمع بين فاعل نعم وبئس الظاهر والتمييز ويكون التمييز حينئذ مؤكدا . فهذا البيت تقوية لحجة من ذكرنا من العلماء ورد على سيبويه فى أصل الخلاف بينهم ، على ما بيناه فى شرح الشاهد السابق وفى باب التمييز فى الموضع الذى أحلناك عليه ، وحاصل الكلام أن يقال : قولكم إن التمييز لا يكون مؤكدا وإنما يؤتى به لرفع إبهام فى كلام سابق عليه غير مسلم ، بل قد يجىء التمييز فى غير باب نعم وبئس وفى باب نعم وبئس مؤكدا لمعنى استفيد

ومنعه سيبويه والسيرافى مطلقا ، وتأوّلا ما سُمع ، وقيل : إن أفاد معنًى زائداً جاز ، وإلاَّ فَلا ، كقوله :

فَنِعْمَ الْمَرْءُ مِنْ رَجُلٍ تِهَامِى (١)

وقوله :

٧٥٨ — وَقَائِلَةٍ نِعْمَ الْفَتَى أَنْتَ مِنْ فَتًى

من الكلام السابق عليه كما فى هذا البيت وكما فى غير هذا البيت من الشواهد التى ذكرناها من منثور كلام العرب ومنظومه ، وإذا كان التميز يجىء مؤكدا لم يبق محل لإنكار الجمع بين فاعل نعم وبئس والتميز لأن غاية ما يشتمل عليه هذا الجمع ألا يكون التمييز لرفع الإبهام ، وهــذا مما لا ضرر فيه . فإن زعمتم أنه حال أو التمستم له عاملا ينصبه على المفعولية كان ذلك خروجا عن الأصل بلا مقتض ، فان الأصل فى الحال أن يكون اسما مشتقا ، والأصل عدم الحذف ، فاحفظ هذا وتدبره وكن منه على ثبت .

(١) هذا عجز بيت من الوافر ، وروى صدره :

* تَخَيَّرَهُ فَلَمْ يَعْدِلْ سِوَاهُ *

وهذا هو الشاهد رقم ٥١٠ وقد تقدم شرحه شرحا وافيا فى باب التميز (ج٣ ص١٥٢ ومابعدها من هذا الكتاب) فارجع إليه هناك إن شئت .

٧٥٨ ـ هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه قوله :

* إِذَا الْمُرْضِعُ الْعَوْجَاءُ جَالَ بَرِيمُهَا *

وهذا البيت أنشده ابن منظور فى لسان العرب (ب ر م) ونسبه إلى الكروس بن حصن ، ونسبه فى شرح القاموس إلى الكروس بن زيد ، وهما واحد ، والكروس شاعر طائى اختار له أبو تمام فى عدة أبواب من الحماسة ، وهو الكروس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مالك بن معقل بن مالك ، هكذا نسبه أبو تمام (انظر شرح التبريزى بتحقيقنا : ج ٢ص ١٩٠و ٤ص ٦٣) وعلى هذا يكون من قال « الكروس بن حصن » قد نسبه إلى جده الأدنى . لكن التبريزى سماه (ج ١ ص ٣٠٦) الكروس بن زيد بن الأخزم بن مصاد بن معقل بن مالك بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن سعد بن فطرة ، وفطرة ـ بضم الفاء وسكون الطاء المهملة ـ هو جديلة ، والكروس من شعراء دولة بنى أمية ، وله فى الحماسة (٣٠٦/١) على ما ذكر الخطيب ـ شعر يقوله وقد خاصم ابن عم له إلى مروان بن الحكم فحبسه مروان ، وأوله قوله :

... ...

قَضَى بَيْنَنَا مَرْوَانُ أَمْسِ قَضِيَّـــةً   فَمَا زَادَنَا مَرْوَانُ إلاَّ تَنَائِيَا

وقد ورد عجز البيت المستشهد هنا بصدره فى شعر نسبه أبو تمام (٢٣١/٤ من شرح التبريزى بتحقيقنا) إلى الفرزدق ، وصدره فى كلام الفرزدق قوله :

* مُحَضَّرَةٌ لاَ يُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَهَا *

اللغة : « المرضع » المرأة لها ولد ترضعه « العوجاء » التى اعوجت هزالا وجوعا ، ووقع فى اللسان « العرجاء » بالراء المهملة ، وهو تحريف « جال » تحرك « بريمها » البريم ــ بفتح الباء ــ خيط يفتل على طاقين ، وقال الجوهرى : البريم الحبل المفتول يكون فيه لونان وربما شدته المرأة على وسطها وعضدها وقد يعلق على الصبى تدفع به العين ، وقال أبو عبيد : البريم خيط فيه ألوان تشده المرأة على حقويها ، وقال الليث : البريم خيط ينظم فيه خرز فتشده المرأة على حقويها وإنما يجول البريم ويتحرك فى وسط المرأة إذا أصيبت بالهزال حتى أثر ذلك فيها ، وسبب الهزال القحط والجدب وفقدان المأكل ، فهذه العبارة كناية عن كلب الزمان وشدته ونزول الجدب والقحط بالناس .

المعنى : يمدح نفسه بأنه كريم فى وقت الشدة التى تضن فيها النفوس حتى إن كثيرا من النساء ليتمدحنه .

الإعراب : « وقائلة » الواو واو رب ، قائلة : مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « الفتى » فاعل نعم مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وجملة نعم وفاعله فى محل رفع خبر مقدم ، و « أنت » مبتدأ مؤخر ، وجملة المبتدأ وخبره المقدم عليه فى محل نصب مقول القول « من » حرف جر زائد « فتى » تمييز لفاعل نعم « إذا » ظرف زمان مبنى على السكون فى محل نصب « المرضع » فاعل بفعل محذوف يدل عليه المذكور بعده ، وتقدير الكلام : إذا هزلت المرضع «العوجاء» نعت للمرضع ، وجملة الفعل المحذوف وفاعله المذكور فى محل جر بإضافة إذا إليها « جال » فعل ماض « بريمها » بريم : فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائبة العائد إلى المرضع العوجاء مضاف إليه ، وجملة الفعل وفاعله لا محل لها من الإعراب لأنها مفسرة .

الشاهد فيه : قوله « نعم الفتى أنت من فتى » حيث جمع فى الكلام الواحد بين فاعل نعم الظاهر الذى هو قوله « الفتى » والتمييز الذى هو قوله « فتى » وقد أنشده الشارح على أن هذا التمييز أفاد معنى زائدا على المعنى الذى أفاده الفاعل ، فيكون الجمع جائزا عند فريقين من النحاة فريق المبرد والفارسى وابن السراج الذين يجيزونه مطلقا والفريق الذى صحح قوله ابن عصفور وهو

... ، ... ...

الذى يجيز الجمع إن أفاد التمييز معنى زائدا على المعنى الذى يفيده الفاعل ، وهذا المعنى هو الذى ذكره الشارح بعد إنشاد البيت بقوله « أى من متفت أى كريم » وقد قال العلامة الصبان فى الكلام على هذا البيت ما نصه « قوله من متفت ، قال ابن قاسم : قد يقال هو بهذا المعنى ليس مما نحن فيه بل هو مباين للفاعل . اﻫ . وتعقبه البعض فقال : هذا يقتضى المباينة فى كل ما أفاد معنى زائدا كما لا يخفى ، ولا يخفى ما فيه . اﻫ . وهو فاسد ؛ لأنه لا يأتى فيما أفاد معنى زائدا بتابعه ، فاعرفه » اﻫ كلام الصبان . وحاصله أن ابن القاسم اعترض على كلام الشارح بأننا إذا فسرنا فتى الواقع تمييزا بالمتفتى كان معناه مباينا لمعنى الفاعل ، وكلام النحاة فيما إذا أفاد التمييز معنى الفاعل وزيادة لا فيما أفاد معنى آخر ، فلا يصح الاستشهاد بالبيت لهذا الرأى . وقد أجاب البعض عن ذلك الكلام بأننا إذا اعتبرنا هذا المعنى الذى دل عليه التمييز فى هذا البيت مباينا لمعنى الفاعل لزم أن يكون كل تمييز يفيد معنى زائدا على معنى الفاعل من هـــذا القبيل أى من مفيد المعنى المباين ، وعلى هذا لا يتأتى أن يكون لهذا المذهب شاهد ، وهو كلام فاسد لأن النحاة مثلوا له واستشهدوا عليه ، وقد أبى الصبان قبول كلام البعض بأنه لا يلزم من أن يكون معنى التمييز فى هذا البيت مباينا لمعنى الفاعل أن يكون كل تمييز يفيد معنى زائدا على معنى الفاعل مباينا ، بل هذا يكون خاصا بما إذا أفاد التمييز المعنى الزائد بنفسه ، فأما إذا أفاد التمييز المعنى الزائد بواسطة تابع له فلا يكون معنى التمييز مباينا لمعنى الفاعل . هذا إيضاح الكلام ، وكأن العلامة الصبان يريد أن يقصر هذا المذهب على ما إذا كان للتمييز تابع يفيد التمييز بواسطته معنى زائدا على معنى الفاعل . وقد قال العلامة الإنبابى فى بيان كلام هؤلاء الأعلام ما نصه : « إذا كان التفتى ملحوظا فى فتى ، لا على أنه معناه بل على أنه ملحوظ بواسطة المقام فيكون كالوصف سواء بسواء ، إذ الفرق بين إفادة المعنى بالوصف وإفادته بذاته بواسطة المقام لا يجدى ــ كان إلزام الحفنى لابن قاسم صحيحا ، أما إذا كان التفتى مدلول لفظ الفتى بالوضع فلا ، والظاهر الأول» اﻫ كلامه . قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : وحاصل هذا الكلام يدل على أنهم ارتضوا أنه إذا كان مع التمييز تابع يدل التمييز بواسطته على معنى زائد على معنى الفاعل ، أو كان المقام يدل على معنى هذا الوصف ، فإنه يكون مما أراده أصحاب هذا المذهب ، أما إذا كان لفظ التمييز يدل على الزيادة بأصل الوضع من غير وساطة تابع ولا مقام فإنه لا يكون مما نحن فيه بل يكون معنى التمييز مباينا لمعنى الفاعل ، وأنت إذا تدبرت فى الأمر ولم تكن من أسرى التقليد ولا ممن يعرفون الحق بالرجال تبين لك أن هذا الكلام من الجعجعة التى ليس وراءها طحن ، وليت شعرى كيف نقول إن التمييز دل بحسب وضعه على معنى مباين للمعنى الذى دل عليــه لفظ الفاعل؟ مع أن لفظ الفاعل هو لفظ التمييز من غير فرق إلا فى أن الفاعل مقترن بأل التى هى شرط فيه والتمييز مجرد منها على مايقتضيه حكمه من وجوب التنكير. وقد وجدنا جميع الشواهد التى ذكرت

أى من مُتفَتٍّ : أى كريم ، وفى الأثر « نِعْمَ الْمَرْءُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشاً وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفاً مُنْذُ أَتَانَا » . وصحَّحه ابنُ عُصْفور .

* * *

(وَمَا) فى موضع النصب (مُمَيِّزٌ ، وَقِيلَ فَاعِلُ) فهى فى موضع رفع ، وقيل : إنها المخصوصُ ، وقيل : كافة (فِي نَحْوِ نِعْمَ مَا يَقُولُ الْفَاضِلُ) « بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ » .

فأما القائلون بأنها فى موضع نصب على التمييز فاختلفوا على ثلاثة أقوال : الأول : أنها نكرة موصوفة بالفعل بعدها ، والمخصوص محذوف ، وهو مذهب الأخفش والزجاجى والفارسى فى أحد قوليه والزمخشرى وكثير من المتأخرين . والثانى : أنها نكرة غير موصوفة والفعل بعدها صفة لمخصوص محذوف : أى شىء . والثالث : أنها تمييز والمخصوص ما أخرى موصولة محذوفة ، والفعل صلة لما الموصولة المحذوفة ، ونُقِل عن الكسائى .

وأما القائلون بأنها الفاعل فاختلفوا على خمسة أقوال : الأول : أنها اسمٌ معرفة تام أى غير مفتقر إلى صلة ، والفعل صفة لمخصوص محذوف ، والتقدير : نعم الشىء شىء فَعَلْتَ ، وقال به قوم منهم ابن خروف ، ونقله فى التسهيل عن سيبويه والكسائى . والثانى : أنها موصولة والفعل صلتها والمخصوص محذوف ، ونُقِل عن الفارسى . والثالث : أنها موصولة والفعل صلتها وهى فاعل يكتفى بها وبصلتها عن المخصوص ، ونقله فى شرح التسهيل عن الفراء والكسائى . والرابع : أنها مَصْدرية ولا حَذْفَ والتقدير : نعم فِعْلُكَ ، وإن كان لا يحسن فى الكلام نِعْمَ فِعْلُكَ حتى يقال نِعْمَ الفِعْلُ فِعْلُكَ ، كما تقول : أظن أن تقومَ ولا تقول أظن قيامك . والخامس : أنها نكرة موصوفة فى موضع رفع والمخصوص محذوف .

وأما القائلون بأنها المخصوص فقالوا : إنها موصولة والفاعل مستتر ، وما أخرى محذوفة هى التمييز ، والأصل : نعم مَا مَاصَنَعْتَ ، والتقدير : نعم شَيْئاً الذى صَنَعْتَه ، هذا قول الفراء .

فى هذه المسألة من هذا القبيل : إما أن يكون لفظ التمييز ولفظ الفاعل واحدا على الوجه المذكور ، وإما أن يكون أحدهما مرادفا للآخر كما فى البيت الذى قبل هذا وكما فى الأثر الذى رواه الشارح ، والمعنى الزائد يأتى من التابع أو من المقام ولا ثالث لهذين ، وهاهنا مقام الفخر والتمدح بمآثر النفس مع تنكير « فتى » هو الذى دل على الزيادة ، فلا تغفل عن هذا ولا ترتض غيره والله يهديك ويتولاك .

وأما القائلون بأنها كافة فقالوا : إنها كفَّتْ نعم كما كَفَّتْ قَلَّ وطَال فتصير تدخل على الجملة الفعلية .

﴿تنبيهات﴾ : الأول فى « ما » إذا وَليها اسمٌ — نحو « فَنِعِماً هِىَ » — ثلاثةُ أقوال : أحدها : أنها نكرة تامة فى موضع نصب على التمييز ، والفاعل مضمر ، والمرفوع بعدها هو المخصوص . وثانيها : أنها معرفة تامة وهى الفاعل ، وهو ظاهر مذهب سيبويه ونقل عن المبرد وابن السراج والفارسى ، وهو قول الفراء . وثالثها : أن « ما » مركبة مع الفعل ولا موضع لها من الإعراب ، والمرفوع بعدها هو الفاعل ، وقال به قوم وأجازه الفراء .

الثانى : الظاهر أنه إنما أراد الأولَ من الثلاثة ، والأولَ من الخمسة لاقتصاره عليهما فى شرح الكافية .

الثالث : ظاهر عبارته هنا يشير إلى ترجيح القول الذى بدأ به ، وهو أن « ما » مميز ، وكذا عبارته فى الكافية ، وذهب فى التسهيل إلى أنها معرفة تامة وأنها الفاعل ، ونقله عن سيبويه والكسائى .

* * *

(وَيُذْكَرُ الْمَخْصُوصُ) بالمدح أو الذم (بَعْدُ) أى : بعدَ فاعل نعم وبئس ، نحو : نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ ، و بِئْسَ الرَّجُلُ أَبُو لَهَبٍ ، وفى إعرابه حينئذ ثلاثة أوجه : أن يكون (مُبْتَدَا) والجملة قبله خبر (أَوْ) يكون (خَبَرَ أَسْمٍ) مبتدإ محذوف (لَيْسَ يَبْدُو أَبَدَا) أو مبتدأ خبره محذوف وجوبا . والأول هو الصحيح ومذهب سيبويه . قال ابن الباذش : لايُجيز سيبويه أن يكون المختصُّ بالمدح أو الذم إلا مبتدأ ، وأجاز الثانىَ جماعةٌ منهم السيرافى وأبو على والصَّيْمرى ، وذكر فى شرح التسهيل أن سيبويه أجازه ، وأجاز الثالث قومٌ منهم ابن عصفور . قال فى شرح التسهيل : وهو غير صحيح ؛ لأن هذا الحذف لازم ، ولم نجد خبراً يلزم حذفُه إلا ومَحَلّه مشغول بشىء يَسُد مَسَدَّه . وذهب ابن كَيْسَان إلى أن المخصوص بدل من الفاعل ، ورد بأنه لازم ، وليس البدل بلازم ، ولأنه لا يصلح لمباشرة نعم .

(وَإِنْ يُقَدَّمْ مُشْعِرٌ بِهِ) أى بالمخصوص (كَفَى) عن ذكره (كَالْعِلْمُ نِعْمَ الْمُقْتَنى

وَالْمُقْتَفَى) فالعلم : مبتدأ قولاً واحدا ، والجملة بعده خبره ، ويجوز دخول الناسخ عليه نحو « إنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ » . وقوله :

٧٥٩ — إنَّ ابْنَ عَبْدِ اللهِ نِـــعْمَ أَخُو النَّدَى وَابْنُ الْعَشِيرَهْ

---

٧٥٩ ـ هذا بيت من الكامل ، وهو من كلمة لأبى دهبل الجمحى يقولها فى مدح المغيرة بن عبد الله ، وقبل البيت المستشهد به قوله :

يَا نَاقَ سِـــيرِى وَاشْرَقِى بِدَمٍ إذَا جِئْتِ الْمُغِيرَهْ

يَا نَاقَ ثُمَّ عتقتِ مِنْ دَلَجِى وَمِنْ نَصِّ الظَّهِيرَهْ

سَيُثِيبُنِى أُخْرَى سِـــوَا كِ وَتِلْكَ لِى مِنْهُ يَسِـــيرَهْ

اللغة : « يا ناق » هو مرخم ناقة « واشرقى بدم » الشرق ـ بفتح الشين والراء ـ الغصص ، وأراد الدعاء عليها بأن تذبح ، وذلك ليدل على أنه إذا ألقى عصا التسيار بساحة المغيرة لم يكن بحاجة إلى الناقة لأنه لا يؤم غيره ولا يفكر فى انتجاع سواه ، وأصل هذا المعنى من قول الشماخ بن ضرار الغطفانى فى مدحته لعرابة الأوسى يخاطب ناقته أيضا :

إذَا بَلَّغْتِنِى وَحَمَلْتِ رَحْلِى عَرَابَةَ فَاشْرَقِى بِدَمِ الْوَتِينِ

ويروى أن عرابة الأوسى لما سمع هذا البيت قال له : بئس ما كافأتها به ، ووجهه ما ذكره المبرد فى كامله أنه كان ينبغى أن ينظر إليها مع استغنائه عنها « دلجى » أراد به السير ليلا ، والمستعمل فى هذا المعنى الإدلاج « نص الظهيرة » النص : مصدر نصصت الناقة أنصها ، وذلك إذا استخرجت غاية ما عندها من السير ، والظهيرة : وقت الظهر وهو الوقت الذى يشتد فيه الحر «وتلك لى منه يسيره » اسم الإشارة يرجع إلى الإثابة المدلول عليها بالفعل قبله « أخو الندى » الندى ـ بفتح النون ، بوزن الفتى ـ الكرم والجود والسخاء ، وكنى بأخوته له عن ملازمته إياه وأنه لا يفارقه

الإعراب : « إن » حرف توكيد ونصب « ابن » اسم إن منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « عبد » مضاف إليه ، وعبد مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « أخو » فاعل نعم مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الستة ، وهو مضاف و « الندى » مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « وابن » الواو حرف عطف ، ابن : معطوف على أخو مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « العشيرة » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة وسكن للوقف ، وجملة نعم وفاعله فى محل رفع خبر إن المؤكدة .

وقوله :

٧٦٠ — إِذَا أَرْسَلُونِى عِنْدَ تَعْذِيرِ حَاجَةٍ أُمَارِسُ فِيهَا كُنْتُ نِعْمَ الْمُمَارِسُ

الشاهد فيه : قوله « إن ابن عبد الله نعم أخو الندى » حيث تقدم على نعم وفاعلها مشعر بالمخصوص بالمدح — وهو قوله « إن ابن عبد الله » هنا — فاكتفى بذكره ولم يحتج إلى ذكر المخصوص بالمدح . هذا تقرير الكلام على حسب ما يقتضيه ظاهر عبارة ابن مالك فى الألفية حيث يقول * وإن يقدم مشعر به كفى * لكن عبارته فى التسهيل تدل على أن المقدم هو المخصوص بالمدح نفسه، وذلك قوله «يجوز إدخال النواسخ على المخصوص ، فإذا دخل عليه الناسخ يجوز تقديمه ويجوز إبقاؤه مؤخرا، إلا إن فإنها إذا دخلت عليه يجب تقديمه كقوله * إن ابن عبد الله ... البيت*»

٧٦٠ — هذا بيت من الطويل ، وهو من كلام يزيد بن الطثرية ، وهو أول بيتين رواهما أبو تمام فى ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى بتحقيقنا : ٤ / ٢٤٧) وثانيهما قوله :

وَنَفْعِى نَفْعُ الْمُوسِرِينَ ، وَإِنَّمَا سَوَامِى سَوَامُ الْمُقْتِرِينَ الْمَفَالِسِ

وقد اختلفت حركة حرف الروى فى البيتين فهى فى الأول المستشهد به ضمة وفى الثانى الذى أنشدناه كسرة ، وذلك عيب من عيوب القافية .

اللغة : «تعذير حاجة» عسرها وعدم تأتى قضائها ، ووقع فى الحماسة « تقدير حاجة » وقوله « أمارس فيها » معناه أعالجها وأحتال لقضائها وأعانى أمرها . قال التبريزى « أمارس : أعانى ، ورجل مرس ، إذا كان شديد المعالجة ، وأمارس فيها : فى موضع الجر على أن يكون وصفا لحاجة يصف نفسه بحسن التأنى فى الأمور يرسل فيها » اهـ كلامه « ونفعى نفع الموسرين — البيت » الموسر : ذواليسار والغنى ، والمفالس : جمع مفلس ، وهو الفقير الذى ذهبت أمواله وبقى مامعه فلوسا ، والفلوس : ماضرب من غير الذهب والفضة ، قال التبريزى « إنما قيل للفقير مفلس لأنه من قولهم : أفلس الرجل ، إذا صار صاحب فلوس بعد أن كان صاحب أموال ، وتفليس الحاكم معروف ، وهو من هذا ، كأنه ينسبه إلى ذلك ، فهذا كالتعديل والتفسيق ، يقول : عطائى كثير ومالى قليل لأنى غنى النفس » اهـ كلامه .

الإعراب : « إذا » ظرف لما يستقبل من الزمان تضمن معنى الشرط مبنى على السكون فى محل نصب « أرسلونى » فعل ماض ، وواو الجماعة فاعله ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به ، وجملة الفعل الماضى وفاعله ومفعوله فى محل جر باضافة إذا إليها «عند» ظرف متعلق بأرسل ، وهو مضاف و«تعذير» مضاف إليه ، وتعذير مضاف و«حاجة» مضاف إليه «أمارس» فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، وجملة الفعل المضارع وفاعله المستتر فيه فى محل جر صفة لحاجة ، وزعم العينى أن هذه الجملة جواب إذا لامحل لها من الإعراب ،

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : تُوهِم عبارته هنا وفى الكافية أنه لا يجوز تقديمُ المخصوص ، وأن المتقدم ليس هو المخصوص ، بل مُشعر به ، وهو خلاف ما صَرَّح به فى التسهيل .

الثانى : حَقُّ المخصوص أمْرَانِ : أن يكون مختصًّا ، وأن يَصْلُح للإخبار به عن الفاعل موصوفا بالمدح بعد نعم وبالذم بعد بئس ، فإن بايَنَه أُوِّلَ نحو « بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا » أى : مثل الذين كذبوا . اهـ .

* * *

(وَاجْعَلْ كَبِئْسَ) معنًى وحكما (سَاءَ) تقول : ساء الرجلُ أبو جهلٍ ، وساء حَطَبُ النار أبو لهب ، وفى التنزيل « وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا » و « سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (وَاجْعَلْ فَعُلاَ) بضم العين (مِنْ ذِى ثَلاَثَةٍ كَنِعْمَ) و بئس (مُسْجَلاَ) أى : مطلقا ، يقال : أسجلت الشىء ، إذا أمكنت من الانتفاع به مطلقا : أى يكون له ما لَهُمَا : من عدم التَّصَرُّف ، و إفادة المدح أو الذم ، واقتضاء فاعل كفاعلهما ، فيكون ظاهراً مُصَاحِبا لأل ، أو مضافاً إلى مصاحبها ، أو ضميرًا مفسَّراً بتمييز ، وسواء فى ذلك ما هو على فَعُلَ أصالَةً نحو ظَرُفَ الرَّجُلُ زَيْدٌ ، وخَبُثَ غُلاَمُ الْقَوْمِ عَمْرٌو ، وما حُوِّل إليه نحو ضَرُبَ رَجُلاً زَيْدٌ ، وفَهُمَ رَجُلاً خَالِدٌ .

وليس بشىء لأن الكلام لا يتم بها ، بل الصواب ما ذكرنا وقد ذهب إليه من قبلنا الخطيب التبريزى على ما نقلناه عنه فى لغة البيت « فيها » جار ومجرور متعلق بأمارس « كنت » كان : فعل ماض ناقص ، وتاء المتكلم اسمه « نعم » فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « المارس » فاعل نعم مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة نعم وفاعله فى محل نصب خبر كان .

الشاهد فيه : قوله « كنت نعم المارس » حيث تقدم على نعم وفاعلها مشعر بالمخصوص بالمدح ــ وهو هنا قوله « كنت » ــ فاكتفى بذكره ولم يحتج إلى ذكر المخصوص بالمدح ، ولو أنه ذكره بعد نعم وفاعلها لقال : كنت نعم المارس أبا ، مثلا . هذا تقرير الكلام على ما يقتضيه ظاهر عبارة الناظم فى الألفية ، وفيه ما ذكرناه فى شرح الشاهد السابق من أن عبارة ابن مالك فى شرح التسهيل تدل على أن المتقدم ليس مشعرا بالمخصوص بالمدح ، بل هو نفس المخصوص بالمدح ، والفرق بين هذا البيت والذى قبله ــ على ما تقتضيه عبارة الشيخ فى شرح التسهيل ــ أن تقديم المخصوص بالمدح فى هذا البيت جائز لا واجب ، فقد كان للشاعر أن يقول : نعم المارس كنت ، فأما فى البيت المتقدم فتقديم المخصوص بالمدح واجب لا يجوز أن يؤخره بعد نعم وفاعلها ، فاعرف ذلك وارجع إلى نص ابن مالك الذى أثرناه لك فى شرح الشاهد السابق .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : مِنْ هَذَا النوع « سَاء » فإن أصله سَوَأَ بالفتح لحول إلى فَعُلَ بالضم فصار قاصرا ، ثم ضُمِّنَ معنى بئس ؛ فصار جامدا قاصراً محكوما له بما ذكرناه ، وإنما أفرَدَه بالذكر لخفاء التحويل فيه .

الثانى : إنما يُصَاغ فَعُلَ من الثلاثى لقصد المدح أو الذم بشرط أن يكون صالحًا للتعجب منه مُضَمَّنًا معناه ، نَصَّ على ذلك ابنُ عصفور ، وحكاه عن الأخفش .

الثالث : يجوز فى فاعل فَعُلَ المذكورِ الجرُّ بالباء ، والاستغناء عن أل ، وإضمارُه على وَفْقِ ما قبله ، نحو :

٧٦١ — حُبَّ بِالزَّوْرِ الَّذِى لاَ يُرَى مِنْهُ إلاَّ صَفْحَـةٌ أَوْ لِمَامْ

٧٦١ — هذا بيت من المديد ، وقد نسبوه إلى الطرماح بن حكيم ، ورواه ابن منظور فى اللسان (زور) ولم ينسبه .

اللغة : «حب» يجوز فى حائه الفتح والضم على ماسيأتى فى كلام الشارح وأصله حبب ـ بزنة ظرف ـ فلما اجتمع مثلان متحركان فى موضع العين واللام سكن أولهما وأدغم أحدهما فى الآخر ، فان اكتفيت بهذا القدر كانت الحاء مفتوحة ، وإن نقلت ضمة أول المثلين إلى الفاء ثم أدغمت كانت الحاء مضمومة ، قال الجوهرى فى صحاحه « قال الأصمعى : قولهم حب بفلان معناه ما أحبه إلى ، وقال الفراء معناه حبب بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت فى الثانيـة . قال ابن السكيت فى قول ساعدة :

هَجَرَتْ غَضُوبُ وَحُبَّ مَنْ يَتَجَنَّبُ وَعَدَتْ عَوَادٍ دُونَ وَلْيِكَ تَشْعَبُ

أراد حبب فأدغم ونقل الضمة إلى الحاء لأنه مدح » اه . وروى ابن منظور بيت ساعدة عن الأزهرى بفتح الحاء ، وذكر بعدها ماذكره صاحب الصحاح « الزور » بفتح الزاى وسكون الواو ـ الزائر ، وأصله مصدر ولهذا يطلق على الواحد وغيره وعلى المذكر والمؤنث بلفظ واحد ، قال ابن منظور « والزور : الذى يزورك ، ورجل زور ، وقوم زور ، وامرأة زور ، ونساء زور ، يكون للواحد والجميع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، قال: لأنه مصدر ، قال * حب بالزور الذى لايرى .... البيت * وقال فى نسوة زور :

وَمَشْيهُنَّ بِالكَثِيبِ مَـوْرُ كَمَا تَهَادَى الْفَتَيَاتُ الزَّوْرُ » اه كلامه

« صفحة » بفتح الصاد وسكون الفاء بعدها حاء مهملة ـ عرض الوجه أو أحد جانبيه ، وفى شعر عاصم بن ثابت :

... ...

* تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتَيَ الْمَعَابِلُ *

أراد أحد جانبي وجهه « لمام » جمع لمة – بكسر اللام – وهى الشعر يجاوز شحمة الأذن ، فإذا طالت اللمة حتى بلغت المنكبين سميت جمة ، وتجمع اللمة أيضا على لمم ككسرة وكسر ، وقال ابن مفرغ فى اللمام :

شَدَخَتْ غُرَّةَ السَّوَابِقِ مِنْهُمْ ... فِي وُجُــوهٍ مَعَ اللِّمَامِ الْجِعَادِ

وقد روى ابن منظور عجز البيت هكذا * منه إلاصفحة عن لمام * فيحتمل أن يكون من قولهم : فلان يزورنا لماما ، يريدون أنه يزورنا فى بعض الأحايين : أى نادرا مايزورنا .

الإعراب : «حب» فعل ماض دال على إنشاء المدح مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « بالزور » الباء حرف جر زائد ، والزور : فاعل حب مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد « الذى » اسم موصول نعت للزور مبنى على السكون فى محل رفع « لا » حرف نفى مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « يرى » فعل مضارع مبنى للمجهول مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر «إلا» أداة حصر لاعمل لها مبنية على السكون لامحل لها من الإعراب «صفحة» نائب فاعل ليرى مرفوع بالضمة الظاهرة « أو » حرف عطف مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « لمام » معطوف على صفحة مرفوع بالضمة الظاهرة ، وسكن لأجل الوقف ، وجملة يرى ونائب فاعله لامحل لها من الإعراب صلة الموصول وهو الذى .

الشاهد فيه : قوله «حب بالزور» حيث استعمل الشاعر حب للدلالة على التعجب مع دلالته على إنشاء المدح لحوله من باب ضرب إلى باب كرم ، ثم زاد الباء الجارة فى فاعله كما تزاد فى فاعل فعل التعجب فى نحو أحبب بعبد الله .

أما أن أصل هذا الفعل من باب ضرب فالدليل عليه مجيئه كذلك ولو أنه قليل ، وذلك فى قول الشاعر :

أُحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ ... وَأَعْــلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ

وَأُقْسِمُ لَوْلاَ تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ ... وَلاَ كَانَ أَدْنَى مِنْ عُبَيْدٍ وَمُشْرِقِ

وقد خالف فى هذا الفراء فزعم أن « حب » فى الأصل من باب ظرف وكرم ، واستدل على ذلك بأن الوصف قد جاء منه على فعيل فقالوا : حبيب ، وإنما يكون الوصف على فعيل من فعل بالضم كقولهم : شريف ، وظريف ، وكريم . وليس هذا بشىء ولا الاستدلال صحيح ، والصواب ماقدمناه من أنه فى الأصل من باب ضرب ، وأقوى مايدل على ذلك مجيئه متعديا فى نحو البيت الذى

... ...

أنشدناه ، وفعل المضموم العين لا يكون متعديا أصلا ، وأما دعواه أن حبيا وصف فليست بمحل التسليم بل هو فعيل الذى بمعنى المفعول وهو لايأتى إلا من غير باب كرم كقتيل وجريح .

وأما أنه دال على معنى التعجب فدليله أن من شواهد هذه المسألة مايروى على هذه الصورة ويروى على صورة التعجب ، ومن ذلك قول الأخطل التغلبى النصرانى .

فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمُ بِمِزَاجِهَا وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

وهو الشاهد ٧٦٤ الآتى، يرويه النحاة على هذا الوجه ، ويرويه أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات :

* وَأَحْبِبْ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ *

وروبت فى ديوان الأخطل :

* وَأَطْيِبْ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ *

ومن أقوى الأدلة على أن الكلمة بمعنى الكلمة أن تروى إحداهما فى مكان الأخرى فى تعبير واحد

وأما أن الباء فى قوله «بالزور» زائدة فدليله أمران : الأول : أن الفاعل لا يكون إلا مرفوعا لفظا أو محلا أو تقديرا ، وأن من المرفوع تقديرا المجرور بالحرف الزائد ، والحروف التى تزاد مع الفاعل هى من والباء ، وقد تقدم ذلك مفصلا فى باب الفاعل ، والثانى : أنه قد ورد هذا الاستعمال بالباء أحيانا كما فى هـذا الشاهد وكما فى قول الأخطل الذى أنشدناه ، ومن غير الباء أحيانا كما فى قول ساعدة بن جؤية الذى أنشدناه فى بيان لغة البيت ، والذى سوغ زيادة الباء فى هذا الفاعل كون الفعل بمعنى أفعل الدال على التعجب والذى تزاد معه الباء وجوبا . قال ابن الحاجب فى بيت الأخطل « مقتولة : نصب على الحال من الضمير فى بها ، وبها : فاعل حب زيدت فيـه الباء على غير قياس كقوله تعالى : كفى بالله شهيدا » اهـ . وقال البغدادى فى بيت الأخطل أيضا « أنشده على أن حب فيه للمدح والتعجب ، وأصلها حبب بضم العين للتحويل المذكور ، فإن نقلنا حركة العين إلى الفاء بعد حذف حركتها صار حب بضم الأول ، وإن حذفنا ضمة العين صار حب بفتح الأول ، والإدغام فى الصورتين واجب لاجتماع المثلين والأول منهما ساكن ، وفاعلها الضمير المؤنث المجرور بالباء لأن هذه الصيغة تعجبية لكونها بمعنى أحبب بها » اهـ . وقال العلامة الصبان « جاز فى فاعل هذا الفعل الجر بالباء حملا على أحسن بزيد ، وجاز معه الاستغناء عن أل حملا على ماأحسن زيدا ، وجاز إضمار فاعله على وفق ما قبلـه حملا على قولك : الزيدان ماأكرمهما ، والزيدون ماأكرمهم » اهـ .

ونَهُمَ زَيْدٌ ، والزَّيْدُونَ كَرُمُوا رِجَالاً ، نظراً لما فيه من معنى التعجب .

الرابع : مَثَّل فى شرح الكافية وشرح التسهيل وتبعه ولده فى شرحه بعَلُمَ الرَّجُلُ ، وذكر ابنُ عصفور أن العرب شَذَّتْ فى ثلاثة ألفاظ فلم تحوِّلْها إلى فَعُلَ ، بل استعملتها استعمالَ نعم وبئس من غير تحويل ، وهى : عَلِمَ ، وجَهِلَ ، وسَمِعَ . انتهى .

✡ ✡ ✡

(وَمِثْلُ نِعْمَ) فى المعنى حَبَّ من (حَبَّذَا) وتزيد عليها بأنها تُشْعِر بأنَّ الممدوح محبوب وقريبٌ من النفس . قال فى شرح التسهيل : والصحيح أن حَبَّ فعلٌ يُقْصَد به المحبة والمدح ، وجُعِل فاعله « ذا » ليدل على الحضور فى القلب ، وقد أشار إلى ذلك بقوله (الْفَاعِلُ ذَا) أى : فاعلُ حَبَّ هو لفظ « ذا » على المختار وظاهرِ مذهب سيبويه . قال ابن خروف — بعد أن مثل بحَبَّذَا زَيْدٌ — حبٌّ فِعلٌ وذَا فاعلُها ، وزيد مبتدأ وخبره حبذا ، هذا قول سيبويه ، وأخطأ عليه مَنْ زَعَم غيرَ ذلك .

﴿ تنبيه ﴾ : فى قوله : « الفاعل ذا » تعريض بالرد على القائلين بتركيب حب مع ذا ، ولهم فيه مذهبان : قيل : غُلِّبت الفعلية لتقدم الفعل فصار الجميع فعلا وما بعده فاعل ، وقيل : غُلِّبت الاسميةُ لشرف الاسم فصار الجميع اسما مبتدأ وما بعده خبر ، وهو مذهب المبرد وابن السراج ، ووافقهما ابنُ عصفور ونسبه إلى سيبويه ، وأجاز بعضُهم كونَ « حبذا » خبرا مقدما .

(وَإِنْ تُرِدْ ذَمًّا فَقُلْ لاَ حَبَّذَا) زَيْدٌ ، فهى بمعنى بئس . ومنه قوله :

٧٦٢ — أَلاَ حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلاَ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلاَ حَبَّذَا هِيَا

---

٧٦٢ — هذا بيت من الطويل ، ومن الناس من ينسبه إلى ذى الرمة يقوله فى حبيبته مية ، وينسبه آخرون إلى امرأة اسمها كنزة تهجو فيه مية معشوقة ذا الرمة ، فأما الذين ينسبونه إلى ذى الرمة فمنهم الخطيب التبريزى فى شرح ديوان الحماسة (٤ / ١٠٩ بتحقيقنا) قال : « قيل : هى لذى الرمة ، وذلك أنه كان يشبب بمية ، وكانت من أجمل الناس ، ولم تره قط ، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة أول ماتراه ، فلما رأته رأت رجلا دميما أسود ، فقالت : واسوأتاه ، فقال ذو الرمة :

... ...

أَلاَ حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلاَ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلاَ حَبَّذَا هِيَا» اه كلامه

وتتمة الحكاية ــ على هذا الوجه ، فيما يحكيه أهل الأدب ــ أن مية حين سمعت هذا البيت غضبت ، ثم كشفت عن وجهها كأنه القمر ، وقالت له : أفى مثل هذا يقال هذا الكلام ؟ فقال :

عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلاَحَةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْعَارُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

فخلعت ثيابها عن جسد حسن ، ثم قالت وهى مغضبة : أشينا ترى لاأم لك ؟ فقال :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ وَلَوْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا

فقالت : أما ماتحت الثياب فقد رأيته وعلمت أنه لاشين فيه ، وما أردت إلا أن أقول لك : هلم حتى تذوق ماوراءه ، والله لاذقت ذلك أبدا . وأما الذين ينسبونه إلى كثرة فمنهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى ديوان الحماسة (١٠٩/٤ من شرح التبريزى بتحقيقنا) وقد روى الأبيات الثلاثة التى رويناها فى القصة السابقة على نفس الترتيب ، وزاد عليها أربعة أبيات وهى تؤيد أن الكلام ليس لذى الرمة ، وها كها بروايته :

إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى ، بِأَضْعَافِ الَّذِى جَاءَ ، ظَامِيَا

كَذَلِكَ مَيٌّ فِى الثِّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَثْوَابُهَا يُخْفِينَ مِنْهَا الْمَخَازِيَا

فَلَوْ أَنَّ غَيْلاَنَ الشَّقِيَّ بَدَتْ لَهُ مُجَرَّدَةً يَوْمًا لَمَا قَالَ ذَانِيَا

كَقَوْلٍ مَضَى مِنْهُ ، وَلَكِنْ لَرَدَّهُ إِلَى غَيْرِ مَيٍّ ، أَوْ لأَصْبَحَ سَالِيَا

اللغة : « ألا حبذا أهل الملا ــ البيت » قال التبريزى « ذا من حبذا أشير به إلى الشىء ، وهو مع حب بمنزلة الرجل من نعم الرجل ، إلا أنه أجرى معه مجرى الأمثال : فلايغير ، ولا يفصل بينهما . والمعنى : محبوب فى الأشياء أهل الملا غير مى فإنها إذا ذكرت لاتستحق مدحا ولا اختصاصا ، وقوله فلا حبذا هى جعل ألف ذا على انفصالها تأسيسا ؛ لأن الروى من اسم مضمر وهو هى » اه كلامه بحروفه . والملا ــ بزنة الفتى ــ الأرض ، ومى : هو اسم معشوقة ذى الرمة ، وأصل اسمها مية ــ بالتاء ــ ولكنه يستعمله بغير التاء كثيرا فى النداء وغيره « على وجه مىّ مسحة ــ البيت » قال التبريزى « يريد أن ظاهرها حسن ، كأن الله مسحها بالجمال ، ويكون أصله من قولهم : مسح الرأس باليد ، ثم استعمل فى الدعاء فقيل للمريض : مسح الله مابك من علة ، وقيل أيضا : هو ممسوح الوجه ، يريدون أنه مستوى الخلقة . وحذف جواب لو : أى لوكان باديا لما رغب فيها أحد ، وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه » اه . ويروى «وتحت الثياب الخزى» وباديا : اسم فاعل

... ...

فعله بدا يبدو ، ومعناه ظهر « ألم ترأن الماء يخلف طعمه ــ البيت » قال التبريزى : « يخلف طعمه : أى يتغير ، ويخلف طعمه : أى يجىء بخلاف ماظن به » اه ويروى « ألم تر أن الماء يخبث طعمه » أى يصير خبيثا ، ويراد أن الشارب لايسيغه «إذا ماأتاه وارد من ضرورة ــ البيت» قال التبريزى : « الذى جاء ظاميا : أى جاء عليه ، فحذف الجار ووصل الفعل بنفسه فصار جاءه ، ثم حذف الضمير من الصلة استثقالا واستطالة لكون أربعة أشياء شيئا واحدا : الموصول ، والفعل ، والفاعل ، والمفعول ، ومن جوز حذف الجار والمجرور من الصلة فالأمر عنده أقرب . وشبهها بالماء الصافى اللون الخبيث الطعم إذا أتاه العطشان زاده عطشا لأنه لايتمكن من شربه لزعوقته ، وانتصب ظاميا على الحال » اه . وأراد بما ذكره عن حذف العائد أن جمهور النحاة لايجيزون حذف العائد المجرور بحرف الجر إلا أن يكون الموصول أوالموصوف به مجرورا بحرف مماثل للحرف الذى جر العائد كما فى قوله تعالى : (يشرب مما تشربون) وههنا قد حذف العائد من الصلة ، والظاهر أن هذا العائد كان مجرورا بعلى ، فبين أن الجمهور لايرون أن هذا الضمير حذف وهو مجرور المحل بعلى ، وإنما يرون أن حرف الجر حذف أولا فتعدى الفعل بنفسه إلى الضمير ، ثم حذف الضمير وهو مفعول به ، فاعرف هذا « فلو أن غيلان الشقى ــ البيت » قال التبريزى : « انتصب مجردة على الحال ، وأشار بذا من قوله لما قال ذاليا إلى تجرد مى : أى ماحدث نفسه بأنها له ، ويروى لما قال آليا : أى مقصرا عند نفسه فى دعواه ولصرف نسيبه إلى غيرها أو لتسلى عن النساء رأسا وزهد فيهن ، وانتصب آليا على الحال ، وذكر بعضهم أن معنى آليا حالفا : أى كان لايقسم بها ، وهذا خطأ ؛ لأنه كان يجب أن يكون موليا ، ألا ترى أنه يقال : آليت فى اليمين إيلاء ، وقيل فى معناه : إن آ تأوه وتوجع ، والمعنى لم يقل لما يستجد من الزهد فيها : آ لى ، متأوها ، فعلى هذا يكون آحكاية صوت موضعه رفع بالابتداء ، ولى: خبره ، وهو الأقرب على ماذكره المرزوقى» اه . وجعله آ ــ مع كونه اسم صوت ــ فى محل رفع بالابتداء لايتنافى مع ماقرره النحاة من أن أسماء الأصوات لامحل لها من الإعراب لكونها لاتتأثر بالعوامل كأسماء الأفعال ، ووجه ذلك أنه لم يجعلها فى محل رفع إلا بعد أن قصدبها الحكاية ، فكأنها نقلت من اسم الصوت ، فكأنك قد قلت : هذا اللفظ لى ، وذلك نظير قولهم : من حرف جر ، وضرب فعل ماض « كقول مضى منه ولكن لرده ــ البيت » قال التبريزى « اللام فى لرده جواب يمين مضمر » اه .

الإعراب : «ألا» أداة استفتاح وتنبيه « حبذا » حب : فعل ماض دال على كثرة محبة الشىء ومدحه والإشعار بأنه قريب من النفس ، ذا : فاعل حب مبنى على السكون فى محل رفع ، وجملة الفعل وفاعله فى محل رفع خبر مقدم « أهل » مبتدأ مؤخر ، وهو مضاف و «الملا» مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر «غير» منصوب على الحال «أنه» أن :

(وَأَوْلِ ذَا الْمَخْصُوصَ) أى: اجعل المخصوصَ بالمدح أو الذم تابعا لذا لا يتقدَّم بحال، قال فى شرح التسهيل: أغفلَ كثيرٌ من النحويين التنبيهَ على امتناع تقديم المخصوص فى هذا الباب، قال ابن بابشاذ: وسببُ ذلك توهُّمُ كونِ المراد من «زيد حبذا» زيد حب هذا، قال فى شرح التسهيل: وتوهُّمُ هذا بعيدٌ فلا ينبغى أن يكون المنعُ من أجله، بل المنع من أجل إجراء حبذا مجرى المثل.

حرف توكيد ونصب، وضمير الشأن اسمها «إذا» ظرف لما يستقبل من الزمان تضمنت معنى الشرط «ذكرت» فعل ماض مبنى للمجهول، والتاء حرف دال على تأنيث المسند إليه «مى» نائب فاعل، والجملة من الفعل ونائب فاعله فى محل جر بإضافة إذا إليها «فلا» الفاء واقعة فى جواب إذا، ولا: حرف نفى «حبذا» حب: فعل ماض، وذا: اسم إشارة فاعل حب، وجملة الفعل وفاعله فى محل رفع خبر مقدم «هى» مبتدأ مؤخر، وجملة المبتدإ وخبره لا محل لها من الإعراب جواب إذا، وجملة الشرط والجواب فى محل رفع خبر أن، وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بإضافة غير إليه.

الشاهد فيه: فى قوله «حبذا أهل الملا» شاهد لهذه المسألة وإن لم يكن مقصودا للشارح هنا، وفى قوله «لاحبذا هى» شاهد آخر هو المقصود للشارح من الإتيان بهذا البيت؛ فأما الأول فهو دليل على أن المتكلم إذا أراد المدح استعمل «حب» وجاء معها بذا، ونظيره قول جرير ابن عطية بن الخطفى:

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ ... وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ ... تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرَّيَّانِ أَحْيَانَا

ونظيره أيضا قول الشاعر:

حَبَّذَا رَجْعُهَا إِلَيْكَ يَدَيْهَا ... فِي يَدَيْ دِرْعِهَا تَحُلُّ الإِزَارَا

ونظيره أيضا قول الشاعر:

وَحَبَّذَا حِينَ تُمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً ... وَادِي أُشَيٍّ وَفِتْيَانٌ بِهِ هُضُمُ

ونظيره أيضا قول الصمة بن عبد الله القشيرى:

أَلاَ يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ ... وَرَيَّا رَوْضِهِ بَعْدَ الْقِطَارِ

وأما الثانى فيدل على أن المتكلم إذا أراد الذم جاء بحب مسبوقة بحرف النفى ووصل بها ذا أيضا، ونظيره قول الشاعر:

لاَ حَبَّذَا أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ ... وَلاَ شَعُوبُ هَوًى مِنِّي وَلاَ نُقُمُ

وقد جمع بين العبارتين اللتين جمع بينهما بيت الشاهد ذلك الذى يقول:

أَلاَ حَبَّذَا عَاذِرِي فِي الْهَوَى ... وَلاَ حَبَّذَا الْجَاهِلُ الْعَاذِلُ

ويجب فى « ذا » أن يكون بلفظ الإفراد والتذكير (أيًّا كَانَ) المخصوصُ : أى أىّ شىء كان ، مذكرا أو مؤنثا ، مفردا أو مثنى أو مجموعا (لاَ * تَعْدِلْ بِذَا) عن الإفراد والتذكير (فَهْوَ يُضَاهِى الْمَثَلاَ) والأمثالُ لا تُغَير ، فتقول : حَبَّذَا زَيْدٌ ، وحَبَّذَا الزَّيْدَانِ ، وحَبَّذَا الزَّيْدُونَ ، وحبذَّا هِنْدٌ ، وحَبَّذَا الْهِنْدَانِ ، وحَبَّذَا الْهِنْدَاتُ ، ولا يجوز حَبَّ ذانِ الزيدان ، ولا حَبَّ هؤلاء الزيدون ، ولا حَبَّ ذِى هندٌ ، ولا حَبَّ تانِ الهندان ، ولا حب أولاء الهندات . قال ابن كيسان : إنما لم يختلف « ذا » لأنه إشارة أبداً إلى مُذَكَّر محذوف والتقدير فى حبذا هند : حبذا حُسْنُ هندٍ ، وكذا باقى الأمثلة ، ورد بأنه دعوى بلا بينة .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : إنما يُحْتَاج إلى الاعتذار عن عدم المطابقة على قول مَنْ جعل « ذا » فاعلا ، وأما على القول بالتركيب فلا .

الثانى : لم يذكر هنا إعراب المخصوص بعد « حبذا » ، وأجاز فى التسهيل أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وأن يكون خبر مبتدإ واجبِ الحذف ، وإنما لم يذكر ذلك هنا اكتفاء بتقديم الوجهين فى مخصوص نعم ، هذا على القول بأن « ذا » فاعل ، وأما على القول بالتركيب فقد تقدم إعرابه .

الثالث : يُحْذَف المخصوص فى هذا الباب للعلم به كما فى باب نعم ، كقوله :

٧٦٣ — أَلاَ حَبَّذَا لَوْلاَ الْحَيَاءُ وَرُبَّمَا مَنَحْتُ الْهَوَى مَا لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ

٧٦٣ — هذا بيت من الطويل وهو ثالث أربعة أبيات ، وقد روى هذه الأبيات الأربعة العلامة العينى فى شرح الشواهد الكبرى ، ونسبها أول الأمر إلى المرار بن هماس ، ثم قال : « ويقال : مرداس بن هماس » اهـ . وقد رواها من قبله أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزى بتحقيقنا : ٣ / ٣٣٩) ونسبها إلى مرداس بن همام الطائى ، ونقل الخطيب التبريزى عن أبى العلاء تفسيرا لاشتقاق الاسم على أن من الرواة من ينسبها إلى المرار بن هماس ، وعلى هذا يكون قول العينى « ويقال : مرداس بن هماس » تحريفا صوابه أن يقال « ويقال مرداس بن همام » فتبين ذلك . وقبل البيت المستشهد به قوله :

هَوِيتُكِ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُنِى الْهَوَى وَزُرْتُكِ حَتَّى لاَمَنِى كُلُّ صَاحِبِ
وَحَتَّى رَأَى مِنِّى أَعَادِيكِ رِقَّةً عَلَيْكِ ، وَلَوْلاَ أَنْتِ مَا لاَنَ جَانِبِى

... ...

أَلاَ حَبذَّا لَوْلاَ الْحَيَاءُ ، وَرُبَّمَا مَنَحْتُ الْهَوَى ... البيت ،و بعده :

بِأَهْلِي ظِبَاءٌ مِنْ رَبِيعَـــةِ عَامِرٍ عِذَابُ الثَّنَايَا مُشْرِفَاتُ الْحَقَائِبِ

اللغة : «هويتك»الهوى:الحب والعشق، والفعل منه هوى يهوى — مثل رضى يرضى — ويأتى هذا الفعل مثل رمى يرمى بمعنى سقط من عال ، ومثل عجز هذا البيت عجز قوله أبى صخر الهذلى :

تَمَلَّتُكِ حَتَّى قِيلَ لاَيَعْرِفُ الْهَوَى وَزُرْتُكِ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

« وحتى رأى منى — البيت » هكذا وقع فى عبارة العينى ، ورواه أبوتمام * وحتى رأوا منى أدانيك رقة * وفيه اتصال الواو الدالة على جمع الذكور بالفعل المسند إلى فاعل ظاهر ، وهى لغـة جماعة من العرب يقال إنطيئا منهم فهى لغة الشاعر ، والأعادى : جمع أعدى الذى هو أفعل تفضيل من العداوة ، والأدانى : جمع أدنى الذى هو أفعل تفضيل من الدنو بمعنى القرب ، قال التبريزى فى شرح هذا البيت : « أى لولا هواك مالان جانبى : أى مالنت لهم » اهـ . ويقال : فلان لين الجانب ، إذا كان سهل الخلق سمحا « ألاحبذا لولا الحياء — البيت » قال التبريزى فى شرحه : « ألاحبذا : المحبوب محذوف كما حذف المحمود فى قوله تعالى : (نعم العبد إنه أواب) والمراد حبيب إلى التهتك فى الهوى لولا الحياء ، على أننى ربمـا منحت هواى مالا مطمع فى دنوه ، ويروى : من ليس بالمتقارب ، أى أحببت من لاينصفنى ولامطمع فيه » اهـ . وقوله « بأهلى ظباء من ربيعة عامر — البيت » قال التبريزى فى شرحه : « أى يفدى بأهلى ظباء ، يعنى نساء عذاب المباسم حسان الثغور مشرفات الأرداف ، وأصل الحقيبة خرج يشـد على عجز البعير أوالفرس فجعل الأعجاز حقائب لكونها هناك » اهـ كلامه .

الإعراب : « ألا» حرف استفتاح وتنبيه مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « حبذا » حب : فعل ماض دال على المدح وعلى أن الممدوح محبوب قريب من القلب ، مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، وذا : اسم إشارة فاعل حب مبنى على السكون فى محل رفع ، وجملة الفعل الدال على المدح وفاعله فى محل رفع خبر لمبتدأ محذوف ، وتقدير الـكلام : حبذا تهتـكى فى الحب ، أوحبذا ذكر النساء ، أوحبذا ترددى لزيارتك ، أونحو ذلك «لولا» حرف يدل على امتناع جوابه لوجود شرطه مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « الحياء » مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا ، وتقدير الـكلام : لولا الحياء موجود ، وجملة المبتدأ وخبره هى شرط لولا ، وجواب لولا ههنا محذوف لدلالة ماقبله من الـكلام عليه ، وتقدير الـكلام : لولا الحياء لزرتك ، أولذكرتك ، أولأظهرت التهتك فيك ، أونحوه « وربمـا » الواو استئنافية ، رب : حرف تقليـل وجر ، وما : حرف يكف رب عن طلب الدخول على الأسماء

أى : ألا حبذا ذِكْرُ هذه النساء لولا الحياء ، وسأذكر ما يفارق فيه مخصوصُ حبذا مخصوصَ نعم آخرًا ، اهـ .

(وَمَا سِوَى ذا ارْفعْ بِحَبَّ أو فجُرْ * بِالْبَا) نحو حَبَّ زَيْدٌ رَجُلاً ، وحَبَّ بِهِ رَجُلاً (وَدُونَ ذَا انْضِمَامُ الْحَا) من حبَّ بالنَّقْل من حركةِ العين (كَثُرْ) ويُنْشَدُ بالوجهين قولُه :

ويسوغ دخولها على الجمل الفعلية « منحت » منح : فعل ماض ، وتاء المتكلم فاعله مبنى على الضم فى محل رفع « الهوى » مفعول ثان لمنح تقدم على المفعول الأول « ما » اسم موصول بمعنى الذى مفعول أول لمنح مبنى على السكون فى محل نصب « ليس » فعل ماض ناقص دال على النفى ، واسمه ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الاسم الموصول « بالمتقارب » الباء حرف جر زائد ، المتقارب : خبر ليس منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، وجملة ليس واسمه وخبره لامحل لها من الإعراب صلة ما الموصولة الواقعة أحد مفعولى منح .

الشاهد فيه : قوله « ألاحبذا لولا الحياء » حيث حذف المخصوص بالمدح بعد حب ، ارتكانا على انفهام الكلام، وعلى أن السامع متى سمع سابق الكلام استطاع أن يعرف المخصوص المحذوف ويقدره ، وأصل الكلام : ألاحبذا التهتك فى الهوى لولا الحياء ، مثلا، هذا توضيح كلام الشارح رحمه الله تبعا للنحاة ، وهو مبنى على أن الرواية «لولا الحياء» وأنها حرف امتناع لوجود على ما بيناه فى إعراب البيت، ويقتضى ذلك أن يكون مابعد لولا مبتدأ حذف خبره وجوبا كما هو مقرر فى مواضع حذف الخبر وجوبا فى باب المبتدإ والخبر ، فإن رويت «لوما الحياء » احتمل أن يكون « لوما» هو لولا بإبدال اللام ميما إبدالا لغويا لا إبدالا صرفيا ، واحتمل أن يكون «لوما» مصدرا بمعنى اللوم مضافا إلى مابعده ، ويكون هو المخصوص بالمدح ، وهذا وجه ذكره الخطيب التبريزى عن شيخه أبى العلاء المعرى ، قال « وقال ــ يريد أبا العلاء ــ فى قوله لوما الحياء : هو فى معنى لولا الحياء : أى حبذا ذكر هؤلاء النساء لولا أنى أستحيى أن أذكرهن، والحياء : مرفوع بالابتداء ، والخبر محذوف والمعنى لولا الحياء يمنعنى ، ولو رويت لوما الحياء فجعلت لوما من اللوم وأضيفت إلى الحياء لحسن ذلك ، والمعنى قريب من الأول ، وأنشد أبو زيد :

أَمَا تَنْفَكُّ تَرْكَبُنِي بِلَوْمَا لَهِجْتَ بِهَا كَمَا لَهِجَ الْفِصَالُ

ويكون المعنى : حبذا لوم الحياء لى ومنعه إياى من أن أظهر ما فى نفسى » اهـ . كلامه بحروفه .

٧٦٤ — * وَحَبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ *

أما مع « ذا » فيجب فتح الحاء .

٧٦٤ — هذا عجز بيت من الطويل ، ويروى النحاة صدره هكذا :

* فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمُ بِمِزَاجِهَا *

وهـذا بيت من قصيدة طويلة للأخطل التغلبى ، يمدح فيها خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، ويذكر وقعة الجحاف بن حكيم السلمى ، وكان خالد أحد أجواد العرب ، وكان من أجود أهل الشام ، ومطلع هذه القصيدة قوله :

عَفَا وَاسِطٌ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبْتَلُ ... فَمُجْتَمَعُ الْحُرَّيْنِ فَالصَّبْرُ أَجْمَلُ

فَرَابِيَةُ السَّكْرَانِ قَفْرٌ فَمَا لَهُمْ ... بِهَا شَبَحٌ إِلاَّ سِلاَمٌ وحَرْمَلُ

صَحَا الْقَلْبُ إِلاَّ مِنْ ظَعَائِنَ فَاتَنِى ... بِهِنَّ ابْنُ خَلاَّسٍ طُفَيْلٌ وَعَزْهَلُ

كَأَنِّى غَدَاةَ انْصَعْنَ لِلْبَيْنِ مُسْلِمٌ ... بِضَرْبَةِ عُنْقٍ أَوْ غَوِىٌّ مُعَذَّلُ

وقبل البيت المستشهد به قوله :

وَجَاءُوا بِبَيْسَانِيَّةٍ هِىَ بَعْدَمَا ... يَعُلُّ بِهَا السَّاقِى أَلَذُّ وَأَسْهَلُ

تَمُرُّ بِهَا الأَيْدِى سَنِيحًا وبارِحًا ... وَتُوضَعُ بِاللَّهُمَّ حَىٍّ وَتُحْمَلُ

وتُوقَفُ أَحْيَانًا فَيَفْصِلُ بَيْنَنَا ... غِنَاءُ مُغَنٍّ أَوْ شِوَاءٌ مُرَعْبَلُ

فَلَذَّتْ لِمُرْتَاحٍ وَطَابَتْ لِشَارِبٍ ... وَرَاجَعَنِى مِنْهَا مِرَاحٌ وأَخْيَلُ

فَمَا لَبِثَتْنَا نَشْوَةٌ لَحِقَتْ بِنَا ... تَوَابِعُهَا مِمَّا نُعَلُّ وَنُنْهَلُ

تَدِبُّ دَبِيبًا فِى الْعِظَامِ كَأَنَّهُ ... دَبِيبُ نِمَالٍ فِى نَقًا يَتَهَيَّلُ

فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمُ بِمِزَاجِهَا ... وَحَبَّ بِهَا ... البيت ، وبعده :

رَبَتْ وَرَبَا فِى حِجْرِهَا ابْنُ مَدِينَةٍ ... يَظَلُّ على مِسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ

إِذَا خَافَ مِنْ نَجْمٍ عَلَيْهَا ظَمَاءَةً ... أَدَبَّ إِلَيْهَا جَدْوَلاً يَتَسَلْسَلُ

اللغة : « عفا » درس وذهبت معالمه ، ويأتى هذا الفعل بهذا المعنى لازما كما فى هذا البيت ، ويأتى متعديا فيكون معناه أخلقه وأذهب معالمه وآثاره ، ويأتى عفا — أيضا — بمعنى كثر ، فى غير هذا الموضع « واسط » قرية بالخابور قرب قرقيسيا ، قال ياقوت : « وإياها عنى الأخطل فى قوله : * عفا واسط . . . البيت * لأن الجزيرة منازل تغلب » اهـ « من آل رضوى فنبتل » رضوى

... ...

ونبتل : موضعان بالشام ، وروى « عفا واسط من آل ليلى فنبتل » ولعله خير مما أثبتناه فى رواية الأبيات عن ديوان الأخطل « فمجتمع الحرين » الحران بضم الحاء - تثنية الحر ، وهما واديان بنجد ، ووواديان بالجزيرة، أوعلى أرض الشام «فرابية السكران» السكران : موضع بالشام «سلام» إن رويته بكسر السين فهو جمع سلمة ، وإن رويته بفتح السين فهو جمع سلامة ، وهو ضرب من الشجر « ظعائن » جمع ظعينة ، وأصل الظعينة المرأة إذا كانت فى الهودج ، فإن لم تكن فى الهودج فلا يقال لها ظعينة ، وكثر استعمال ذلك عندهم حتى صار يقال للبعير يحمل المرأة ظعينة : إما لأن البعير سبب الظعن : أى الارتحال عن الأوطان ومفارقة الأهل والخلان ، وإما لعلاقة المجاورة كما سموا البعير الذى يحمل الماء راوية ، وأصل الراوية المزادة يكون فيها الماء «ابن خلاس وعزهل» هما ولدا عم من تغلب ، وطفيل : بدل من ابن خلاس ، فهو اسمه «انصعن» خضعن وانقدن «البين» الفراق ، ومعنى انقيادهن للبين أنهن مضين وتفرقن ، ويروى فى مكانه « أوضعن » من الإيضاع وهو ضرب من السير «مسلم» مستكين «عنق» هو هنا بتسكين النون للتخفيف ، وكل اسم أوفعل ثلاثى ثانيه مكسور أو مضموم يجوز عند بنى تميم تسكين ثانيه تخفيفا ، بخلاف المفتوح ثانيه ؛ لأن الفتحة خفيفة فلا يعدل عنها ولا إلى الأخف منها وهو السكون « غوى معذل » يكثر الناس لومه وتعنيفه على فعله « بيسانية » نسبها إلى بيسان ، وهى بلدة بناحية الأردن ، وأراد خمرا « يعل بها الساقى » مأخوذ من العلل - بفتح العين واللام جميعا - وهو الشرب الثانى بعد الشرب الأول ، والشرب الأول يقال له نهل بفتح النون والهاء جميعا « ألذ » أراد أن طعمها فى المرة الثانية ألذ منه أول مرة « وأسهل » أراد أن مساغها إلى الحلق أسهل حينئذ « سنيحاً وبارحاً » السنيح فى الأصل : ما جاء من الطير عن يمينك يريد جهة شمالك ، والبارح عكسه ، فهو ما جاء عن شمالك يريد يمينك ، وأكثر العرب يتيامن بالسنيح ويتشاءم بالبارح ، ومن العرب من يتطيرون من السنيح ويتيمنون بالبارح عكس الأولين «وتوضع باللهم حيى وتحمل» يريد أنه يسمى عليها بذكر الله فى رفعها إلى فمه وفى وضعها . قبحه الله ! « شواء مرعبل » الشواء : اللحم المشوى ، والمرعبل : اسم مفعول فعله « رعبلت اللحم » أى قطعته قطعا صغارا لتصل إليه النار فتنضجه ، ويروى « أو شوى مرعبل » وشوى : فعيل بمعنى مفعول « فلذت لمرتاح ... إلخ » المرتاح : الأريحى ، وهو الذى يهتز للكرم . والمراح : النشاط ، والأخيل : الخيلاء والكبر « تدب دبيبا فى العظام » شبه دبيبها فى البدن بدبيب النمل فى نقا - وهو ما ارتفع من الرمل - يتهيل : أى ينهار ويتحدر ويتساقط « فقلت اقتلوها » يقال : قتل الخمر يقتلها قتلا ، إذا مزجها بالماء ليكسر حدتها ويذهب سورتها ، وقوله : «وحب بها» هذه رواية النحاة ، ويروى فى مكانها «وأطيب بها» ويروى أيضا « وأكرم بها » ويروى « وأحبب بها » وقد ذكرنا ذلك فى شرح الشاهد رقم ٧٦١ ، وذكرنا

... ...

هناك بعض ما تدل عليه الروايات المختلفة « ربت وربا فى حجرها ... إلخ » ربت : زكت ونمت وطابت ، ويروى « وربا فى كرمها » والمراد أنه نشأ معها وبنشوئها ، وابن مدينة : هـــذه كلمة تقال للرجل العالم بالأمر الفطن ، ويقال : فلان ابن بجدة هذا الأمر ، وابن مدينته ، وابن بلدته ، وابن بعثطه ، وابن سرسوره ، فكأنه قال : ربت وربا معها العالم بأمرها ، هذا أحد معانى هذه الكلمة ، ويحتمل أن يكون أراد ماذكره ابن خالويه وأبو عبيدة من أن العبد يقال له مدين ، والأمة يقال لها مدينة ، فابن المدينة هو ابن الأمة ، وكأنه أراد نمت ونما معها القائم على كرمها يسقيه وينفى عنه غرائب الحشائش ، والمسحاة : الفأس التى يقشر بها وجه الأرض ، ويتركل : يدفعها كأنه يركلها برجله « إذا خاف من نجم عليها ظماءة » يعنى أنه إذا خاف عليها العطش من نجوم الصيف وهى الثريا والدبران والجوزاء جاء إليها بالماء من جدول ، والجدول : النهر الصغير ، ويتسلسل : يجرى فى خدور أو صبب .

المعنى : يتعجب من كثرة محبته للخمر إذا مزجت بالماء ، فهو لذلك يأمر أصحابه بأن يشعشعوها له بالماء لتكون على الوجه الذى يحبه ويرغب فيه .

الإعراب : « فقلت » فعل ماض مبنى على الفتح المقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون المأتى به لدفع كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، وتاء المتكلم فاعله ، مبنى على الضم فى محل رفع «اقتلوها» فعل أمر مبنى على حذف النون ، وواو جماعة الذكور فاعله مبنى على السكون فى محل رفع ، وضمير الغائبة العائد إلى الخمر مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب ، وجملة الفعل وفاعله ومفعوله فى محل نصب مقول القول «عنكم» جار ومجرور متعلق باقتلوا « بمزاجها » الباء حرف جر ، مزاج : مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلق باقتلوا ، ومزاج مضاف وضمير الغائبة العائد إلى الخمر مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « وحب » الواو استئنافية ، حب : فعل ماض لإنشاء المدح ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « بها» الباء حرف جر زائد ، وضمير الغائبة العائد إلى الخمر فاعل حب « مقتولة » تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة « حين » ظرف زمان متعلق بحب ، منصوب به وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « تقتل » فعل مضارع مبنى للمجهول ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى الخمر ، وجملة الفعل ونائب فاعله فى محل جر بإضافة حين إليها .

الشاهد فيه : قوله « حب بها مقتولة » ومحل الاستشهاد فى هذا الموضع كلمة « حب » فإنها تروى بروايتين : إحداهما بفتح الحاء ، والثانية بضم الحاء ، والباء فى كلتيهما مشددة مفتوحة لأن الفعل ماض مبنى على الفتح ؛ والأصل على كلتا الروايتين « حبب » بفتح الحاء وضم الباء الأولى ــ على مثال كرم وظرف وحسن وأشباههن ــ فأما تخريج رواية فتح الحاء فعلى أنه لما اجتمع المثلان

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : قال في شرح الكافية : وهـذا التحويل مُطَّرد في كل فِعْلٍ مقصودٍ به المدحُ . وقال في التسهيل : وكذا في كل فعل حلقي الفـاء مراداً به مدحٌ و تعجب .

الثـاني : قوله : « كثر » لايدلّ على أنه أكثر من الفتح . قال الشارح : وأكثر ماتجىء « حَبَّ » مع غير « ذا » مضمومَةَ الحاء ، وقد لاتضم حاؤها ، كقوله :

٧٦٥ — * فَحَبَّذَا رَبًّا وَحَبَّ دِيناَ *

انتهى .

في موضع يجب فيه إدغام أحدهما في الآخر سكن أولهما ثم أدغمه ولم يزد على ذلك شيئا ، فهذه الفتحة التي على الحاء هي فتحة البنية التي كانت للحاء في حال الفك ، وأما تخريج رواية ضم الحاء فعلى أنه لما اجتمع المثلان ، وهما متحركان وأولهما مضموم ، ولا بد لعملية الإدغام من تسكين أول الحرفين المتماثلين ، نقل حركة أول المثلين إلى فاء الكلمة بعد سلب هذه الفاء حركتها ، ليدل بهذا النقل من أول الأمر على أن الفعل كان مضموم العين ، ثم أدغم أحد المثلين في الآخر ، فصارت إلى ما ترى .

ومن تقرير هذا الكلام يتبين لك أن فتح الحاء يشتمل على عملين : أولهما إسكان عين الفعل والثاني إدغام أحد المثلين في الآخر ، والمقصود من هاتين الحركتين التخفيف ، فأما ضم الحاء فيشتمل على ثلاثة أعمال أو أربعة إن أردت : سلب حركة الفاء التي هي الحاء ، ونقل حركة العين التي هي الباء الأولى إليها ، وإسكان العين ، والإدغام ، وإن شئت اعتبرت نقل حركة العين إلى الفاء وسكون العين شيئا واحدا ، لأن الحركة إذا زالت عن الحرف صار ساكنا ، فتكون الأعمال ثلاثة كما ذكرنا .

٧٦٥ — قال العلامة الصبان « قوله فحبذا ربا وحب دينا — من كلامه صلى الله عليه وسلم حين نزل في الخندق » اهـ ، وظاهره خطأ من وجهين : الأول من جهة الرواية ، فإن الرواة الأثبات رووا هذا البيت وأبياتا معه ، ونسبوها لعبد الله بن رواحة الأنصاري ، رضي الله عنه ! والثاني من جهة الديانة ، فإن الله تعالى يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وقد ثبت أن النبي صلوات الله وسلامه عليه كان لايقيم وزن الشعر ، وكان يمتنع كثيرا من إنشاد ما سمع من الشعر ، فقد رووا أنه أراد أن يروي قول طرفة بن العبد البكري :

* وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ *

... ...

فقال : ويأتيك من لم تزود بالأخبار ، وروى أنه سمع منشدا ينشد :

يـأَيُّهَا الرَّجُلُ المحوِّلُ رَحْلَهُ هَلاَّ نَزَلْتَ بآلِ عَبْـــدِ الدَّارِ

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنـه معه ، فالتفت إليـه وقال : أهكذا قال الشاعر ؟ فقال أبو بكر : لا ، ولـكنه قال :

يأيُّها الرَّجُلُ المحوِّلُ رَحْلَهُ هَلاَّ نَزَلْتَ بآلِ عَبْدِ مَنَافِ

فقال صلى الله عليــه وسلم : هكذا كنا نسمعه ، كل ذلك لأن الله تعالى عصمه من أن يقول الشعر ، وبالغ فى عصمته فلم يمكنه من إقامته ، وإن يكن هو صلى الله عليه وسلم من البلاغة بالمنزلة التى لاتدانيها منزلة .

والشاهد بيت من مشطور الرجز يقوله عبد الله بن رواحة فى أبيات وهى :

باسْمِ الإلٰهِ وَبِهِ بَدِينا وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا

* فحبذا رَبًّا وحَبَّ دِيناَ *

وعذر العلامة الصبان تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه أنه قد رأى جماعة ممن تقدموه قالوا إن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك يوم غزوة الخندق فحكى قولهم ، وقد وقفت على مثل كلامه فى كلام المحدث ابن كثير ، ومن بعده فى كلام العلامة القسطلانى فى المواهب، وفى كلام المؤرخ العظيم المقريزى فى كتابه « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع » (ج ١ ص ٢٢١) إلا أن بيت الشاهد ورد فى هذين الـكتابين الأخيرين على وجه لايتم به الاستشهاد ولا يستقيم معه الوزن ، فقد ورد فيهما * فحبذا ربا وحبذا دينا * حتى نبه شارح المواهب على أن وزنه غير مستقيم ، وعلى أنه لم يره على هذا الوجه فى كلام أحد ، وقد ورد فى البداية والنهاية لابن كثير (ج ٤ ص ٩٧) هكذا :

باسْمِ الإلٰه وبه هُدِيناَ وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِيناَ

* فحَبَّذَا رَبًّا وحَبَّ دِيناَ *

وقال بعد روايته « وهذا حديث غريب من هذا الوجه » والغالب أنه لم يجده غريبا إلا من ناحية السند على ما هو اصطلاح علماء أصول الحديث .

اللغة : « بدينا » المراد ابتدأنا ، يعنى أنهم يستفتحون عملهم باسم الإله ، والمستعمل الـكثير فى العربية « بدأنا » بفتح الدال وبالهمز ، فإذا سهلت الهمزة قلبت ألفاً ثم تقلب الألف ياء كالألف الأصلية التى أصلها الياء فى نحو قضينا ورمينا ، إلا أن الدال مفتوحة انفتاح عين الكلمة فما ذكرنا

... ...

من الأمثلة ؛ فإما أن تكون الرواية هكذا بفتح الدال وسكون الياء ، فلا يكون فى الكلمة إلا تسهيل الهمزة على الوجه الذى ذكرناه ، وهو واضح ؛ وإما أن تكون الرواية بكسر الدال كما يفهم من كلام ابن الأثير فى النهاية وكلام الزرقانى على المواهب ، وحينئذ يزيد الأمر عملا وهو قلب فتحة الدال كسرة لتناسب البيتين بعده ، ولا أرى أن تأخذ بذلك لأنه لاوجه لهذا من العربية ، قال ابن الأثير فى النهاية بعد أن أنشد البيتين الأول والثانى مانصه « يقال : بديت بالشىء ــ بكسر الدال ــ أى بدأت به ، فلما خفف الهمزة كسر الدال فانقلبت الهمزة ياء ، وليس هو من بنات الياء » اهـ بحروفه .

الإعراب : « حبذا » حب : فعل ماض لإنشاء المدح ، مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب وذا : اسم إشارة فاعل حب ، مبنى على السكون فى محل رفع «ربا» تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة « وحب » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، حب : فعل ماض ، مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، وفاعله اسم إشارة حذف لدلالة اسم الإشارة السابق عليه ، أو ضمير مستتر يعود إلى اسم الإشارة السابق ، والوجه الثانى أليق بمذهب البصريين الذين لايجيزون حذف الفاعل « دينا » تمييز منصوب .

الشاهد فيه : فى هذا البيت شاهدان لهذا الباب : الأول فى قوله « حبذا ربا » وذلك لأنه أتى بحب لإنشاء المدح وجاء بفاعل هذا الفعل اسم إشارة للمفرد ، وهذا الاستشهاد غير مقصود للشارح فى هذا الموضع ، ولا يجوز فى حاء « حبذا » إلا الفتح على ما عرفت ، والشاهد الثانى فى قوله « حب دينا » حيث جاء بحب فعلا ماضيا لإنشاء المدح ، ولم يصل بها اسم الإشارة الذى كثر وصل هذا الفعل به ، والأصل أنه يجوز لك فى حاء « حب » إذا لم يتصل بها اسم الإشارة وجهان : أحدهما الفتح على ماكانت عليه الحاء قبل نقل الفعل إلى إنشاء المدح أو الذم . والثانى الضم بتقدير نقل حركة الباء الأولى التى هى عين الفعل إلى الحاء التى هى فاء الفعل ، وقد أوضحنا لك هذين الوجهين فى شرح الشاهد السابق ، والأكثر من هذين الوجهين الضم ، والفتح أقل من الضم ، ولكنه فى حد ذاته وارد وكثير ، ومما ورد فيه فتح الحاء من « حب » التى لم يتصل بها اسم الإشارة هذا البيت فى قوله « وحب دينا » والبيت السابق فى قوله « وحب بها مقتولة » .

فإن قلت : فلماذا كان ضم الحاء من « حب » إذا لم يتصل بها اسم الإشارة أكثر من فتحها حينئذ ؟

فالجواب على ذلك أن نقول لك : أنت تعلم أن أصل « نعم » و « بئس » بفتح أولهما وكسر ثانيهما على مثال حسب وعلم وفرح وأشباههن ، وأن أصلهما للدلالة على إخبار المتكلم بحدوث النعمة أو البؤس للمحدث عنه بهما ، فلما أرادوا نقل هذين الفعلين من الإخبار عما ذكرنا إلى إنشاء

... ...

المدح نقلوا حركة عينهما التى هى الكسرة إلى فائهما بعد سلب حركة الفاء فصارا بكسر الفاء وسكون العين ، وكثر ذلك فيهما كثرة تشبه أن يكونوا قد التزموا هذه الحالة فيهما ، فإذا أرادوا أن ينقلوا فعلا آخر غير هذين الفعلين من الإخبار إلى الإنشاء فهم أحرياء بأن يسلكوا فيما ينقلونه لذلك من الأفعال نفس الطريق التى سلكوها فى نعم وبئس بأن ينقلوا حركة عين الفعل المراد نقله إلى فائه ، ليدلوا من أول الأول على شيئين : الأول أن عين هذا الفعل كانت محركة بهذه الحركة التى على الفاء . والثانى أن هذا الفعل محول عن أصله ومنقول من صورة إلى صورة ، ليكون ذلك إعلاما بالانتقال فى معناه أيضا ، فاعرف هذا فإنه بديع .

وبعد كتابة ما تقدم بزمن طويل عثرت على كلام للجوهرى فى الصحاح يؤيده ، فإنه أنشد قول الغنوى :

لاَ يَمْنَعُ النَّاسُ مِنِّى مَا أَرَدْتُ وَلاَ أُعْطِيهُمُ مَا أَرَادُوا حُسْنَ ذَا أَدَبَا

قال قبل إنشاده « وقد حسن الشئ ـ بضم السين ـ وإن شئت خففت الضم فقلت حسن الشئ ـ بسكون السين ـ ولا يجوز أن تنقل الضم إلى الحاء ، لأنه خبر ، وإنما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح أو الذم ، لأنه يشبه فى جواز النقل بنعم وبئس ، وذلك أن الأصل فيهما نعم وبئس ـ بكسر العين ـ فسكن ثانيهما ، ونقلت حركته إلى ما قبله ، وكذلك كل ما كان فى معناهما ، قال الشاعر * لايمنع الناس منى .... البيت * أراد حسن هذا أدبا ، فخفف ونقل » اهـ كلامه بحروفه .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : ويؤخذ من كلام الجوهرى شيئان : أولهما أن نقل حركة العين إلى الفاء خاص بباب المدح والذم وما بمعناهما كالتعجب . وثانيهما أن نقل حركة العين فى نعم وبئس قد جعلت أصلا يقاس عليه غيرهما مما أريد به معناهما أو ما يشبه معناهما ، وكلامنا الأول يدل على هذين الأمرين ، ويزيد أمرا ثالثا ، وهو أن النقل فى غير نعم وبئس أكثر من حذف الحركة من غير نقلها إلى الفاء ، ومستندنا فى هذا أن من سنن العرب إذا شبهوا شيئا بشئ أن يعطوه حكمه ، والنقل فى نعم وبئس هو الكثير الشائع حتى ليكاد الاستعمال يطبق عليه ، فليكن النقل فى غيرهما مما حمل عليهما بهذه المنزلة ، ونكاد نرى أن النقل فى حب ونحوها كثير ، وأن إسكان العين من غير نقل حركتها قليل فى ذاته أو نادر ، ليتم القياس ويأخذ الفرع حكم أصله تماما ، لولا أن من النحاة من صرح بأن النقل أكثر من الإسكان من غير نقل ، وهذا يدل على كثرة الثانى لاعلى ندرته فى ذاته أو قلته .

فإن قلت : فعلى هـــذا لايتم ما ذكرت من القياس لأنه قد بقى شئ من حكم الأصل لم يأخذه الفرع .

فالجواب عن ذلك من وجهين : الأول أنه لايلزم من تشبيه الشئ بالشئ أن يأخذ المشبه كل ما كان للمشبه به . والثانى أن « نعم » و « بئس » لما كثر استعمالهما فى المدح والذم كثرة كادت

﴿ خاتمة ﴾ : يُفَارِقُ مخصوصُ حبذا مخصوصَ نعم من أوجه :

الأول : أن مخصوص حَبَّذَا لايتقدَّم ، بخلاف مخصوص نعم ، وقد سبق بيانه .

الثانى : أنه لاتعمل فيه النواسخ ، بخلاف مخصوص نعم .

الثالث : أن إعرابه خبر مبتدإ محذوف أسهل منه فى باب « نعم » ، لأن ضعفه هناك نشأ من دخول نواسخ الابتداء عليه ، وهى لاتدخل عليه هنا ، قاله فى شرح التسهيل .

الرابع : أنه يجوز ذكر التمييز قبله و بعده ، نحو : حَبَّذَا رَجُلاً زَيْدٌ ، وَحَبَّذَا زَيْدٌ رَجُلا ، قال فى شرح التسهيل : وكلاهما سهل يسير ، واستعماله كثير ، إلا أن تقديم التمييز أولى وأكثر ، وذلك بخلاف المخصوص بنعم ، فإن تأخير التمييز عنه نادر كما سبق . والله أعلم .

تنسى أصلهما كان النقل فيهما بالمنزلة التى ذكرناها ، فأما ماحمل عليهما من الأفعال فلم يكثر استعماله فى إنشاء المدح أو الذم هذه الكثرة ، فلما افترقا من هذه الجهة افترق حكم النقل فيهما على الوجه الذى ذكرناه ، فاعرف هذا والله يتولاك .

أفعل التفضيل

وهو اسم ، لدخول علامات الأسماء عليه ، وهو ممتنع من الصَّرْف ، للزوم الوصفية ووزن الفعل ، ولا ينصرف عن صيغة أَفْعَلَ ، إلا أن الهمزة حذفت فى الأكثر من « خَيْر » « وشَرّ » لـكثرة الاستعمال ، وقد يُعَامل معامَلَتَهُمَا فى ذلك « أَحَبّ » كقوله :

٧٦٦ — * وَحَبُّ شَىْء إِلَى الْإِنْسَانِ مَامُنِعاَ *

---

٧٦٦ — هذا عجز بيت من البسيط ، وصدره قوله :

* وَزَادَنِى كَلَفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ *

ولم أقف لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به وتحدد ماقيل فيه ، وأنشده ابن منظور فى اللسان (ح ب ب) عن الفراء برواية أخرى غير رواية الشارح تبعا لجماعة من النحاة ، وسنذكرها فى بيان الاستشهاد .

اللغة : « كلفا » هو بفتح الكاف واللام جميعا ، وتقول « كلف فلان بفلانة » ـ من باب فرح ـ إذا أحبها حبا شديدا ، وأولع بها ، ولهج بذكرها « منعت » لم تنل وصالها ولم تسمح بالقرب منها ، مثلا ، وحذف المفعول لإرادة العموم ، وباقى البيت ظاهر .

المعنى : لقد زادنى بها غراما وولوعا وألهج لسانى بذكرها أنها منعتنى وصالها ، لأن أحب الأشياء إلى الإنسان ما منعه منه مانع ، بسبب أن طبيعة الإنسان طلعة كلفة بالمعرفة واستطلاع ما غاب عنها ، فكلما منعها أحد شيئا تاقت إلى الحصول عليه لتدرك سره وتعرف مقدار ما فيه من منفعة أو لذة ، مثلا .

الإعراب : « زادنى » زاد : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب « كلفا » مفعول ثان لزاد ، منصوب بالفتحة الظاهرة « بالحب » جار ومجرور متعلق بكلف « أن » حرف مصدرى ونصب ، مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « منعت » منع : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والتاء تاء التأنيث ، حرف مبنى على السكون لامحل له من الإعراب ، وفاعل منع ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى المحبوبة ، وأن مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مرفوع فاعل زاد ، ومفعولا منع محذوفان ، والتقدير : منعتنى وصلها ، مثلا « وحب » الواو للاستئناف ، حرف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، حب : أفعل تفضيل مبتدأ ، مرفوع

... ...

بالابتداء ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وحب مضاف و« شيء » مضاف إليه ، مجرور بالكسرة الظاهرة « إلى الإنسان » جار ومجرور متعلق بأفعل التفضيل « ما » اسم موصول خبر المبتدإ مبنى على السكون فى محل رفع « منعا » منع : فعل ماض مبنى للمجهول ، مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى ما ، والألف للإطلاق ، وجملة الفعل ونائب فاعله لامحل لها من الإعراب صلة الموصول الواقع خبر المبتدإ .

الشاهد فيه : قوله «حب» فإنه أفعل تفضيل ، وأصله أحبب — على زنة أفضل وأعلم ونحوهما — فاجتمع مثلان فى مكان العين واللام من الكلمة وأولهما متحرك ، فسكن أولهما ، ثم أدغم أحدهما فى الآخر ، فصار أحب ، مثل أشد وأمد وأظل ونحوهن ، ثم لما كثر استعمال «أحب» فى كلامهم رغبوا إلى تخفيفه حتى يكون أسهل على اللسان ، فحذفوا الهمزة من أوله ، فصار «حبّ» وهذا كله على رواية جماعة من النحاة برفع الباء فى « حب شئ » .

أما الفراء فقد رواه على وجه آخر ، وهو :

وزادَهُ كَلَفًا بالحُبِّ أنْ مَنعَتْ وحَبَّ شَيئًا إلى الإنسانِ مَامُنِعَا

وتخريج هـذه الرواية على أن « حب » فعل ماض لإنشاء المدح مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، و « شيئا » تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة ، و « إلى الإنسان » جار ومجرور متعلق بحب ، و« ما » اسم موصول فاعل بحب ، مبنى على السكون فى محل رفع ، و« منعا » جملة من فعل مبنى للمجهول ونائب فاعل مستتر فيه لامحل لها من الإعراب صلة الموصول .

قال ابن منظور فى لسان العرب (مادة ح ب ب) : « الأصمعى : حبّ بفلان ، أى ما أحبه إلى ، وقال الفراء : معناه حبب فلان ، بضم الباء ، ثم أسكنت وأدغمت فى الثانية ، وأنشد الفراء * وزاده كلفا بالحب . . . . البيت * قال : وموضع ما رفع ، أراد حبب — بضم الباء الأولى — فأدغم ، وأنشد شمر :

* وَلَحَبَّ بالطيفِ الملِمِّ خَيَالاَ *

أى ما أحبه إلى ، أى أحبب به » اهـ كلامه .

واعلم أن استعمال « حب » أفعل تفضيل على مثال خير وشر قليل لم يكثر فى لسان العرب كثرة خير وشر ، فيكون « خير وشر » شاذين من جهة القياس فصيحين من جهة الاستعمال ، ولهذا وردا فى القرآن الكريم ، قال الله تعالى : (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين . ولا يكاد يبين) وقال سبحانه : (أنتم شر مكانا) ولم يرد فيه استعمال « حب » أفعل تفضيل ، ولا فى كلام فصيح غيره ، فتكون « حب » أفعل تفضيل شاذة فى القياس والاستعمال جميعا ، ولعل هذا سر تيان الفراء به على وجه آخر هو الذى بيناه ، فافهم ذلك .

وقد يستعمل خير وشرّ على الأصل كقراءة بعضهم « مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشَرُّ ؟ » . ونحو :

٧٦٧ — * بِلَالُ خَيْرُ النَّاسِ وَابْنُ الْأَخْيَرِ *

٧٦٧ — هذا بيت من مشطور الرجز ، وقد نسبه قوم منهم الشريشى فى شرح مقامات الحريرى إلى رؤبة بن العجاج ، وقد بحثت جميع ديوان رجز رؤبة فلم أجده فيه ، وبحثت ديوان أراجيز العجاج أبيه فلم أجده فيه أيضا ، ومن الناس من يظن أنه لذى الرمة غيلان بن عقبة صاحب مية ، لذكر بلال فيه ، وذو الرمة مدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى كثيرا ، ولم يتيسر لى الآن الوقوف على ديوان ذى الرمة ، وقد وجدت فى ديوان رجز رؤبة بن العجاج بيتا فيه محل الاستشهاد ، وسأذكره عند بيان الاستشهاد بالبيت إن شاء الله تعالى .

اللغة : « بلال » قد سموا بلالا — بكسر الباء وتخفيف اللام مفتوحة — وممن سمى بهذا الاسم بلال بن أبى رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلال بن أبى بردة « خير » أصله أخير — على زنة أعلم وأفضل وأكل — إلا أن الفرق بين خير وهذه الألفاظ التى ذكرناها أن لما ذكرنا من الألفاظ أفعالا ثلاثية أخذت صيغة التفضيل من مصادرها أو منها على الخلاف المشهور بين نحاة البصرة والكوفة ، أما خير فلا فعل له عند أكثر أهل اللغة ، وعلى هذا يكون شاذا من وجهين: الأول أنه لا فعل له عند بعضهم فيكون مثل قولهم أحمر من فلان وألص من شظاظ ، لأنهما من الحمار واللص ، ولا فعل لهما : أما الأول فبالاتفاق وأما الثانى فعند أكثر العلماء . والوجه الثانى من وجهى الشذوذ أنه لم يأت على زنة أفعل كما جاء نظراؤه، لكنه على هذا الوجه كثير فى الاستعمال، فشذوذه من جهة القياس بالنظر إلى الوجهين المذكورين ، وقوله « وابن الأخير » قد جاء به على الوجه القياسى ، ومع أنه القياس فى نظرائه فهو شاذ من جهة الاستعمال ، فقد اشتمل هذا البيت على نوعين من الشاذ : الأول الشاذ فى القياس الفصيح فى الاستعمال وذلك فى كلة « خير الناس » الثانى الشاذ فى الاستعمال الفصيح فى القياس ، عكس الأول ، وذلك فى « ابن الأخير » وبقى نوع ثالث ، وهو الشاذ فى القياس والاستعمال جميعا ، وهو شر الثلاثة .

الإعراب : « بلال » مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « خير » خبر المبتدإ مرفوع بالمبتدإ ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وخير مضاف و« الناس » مضاف إليه ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « وابن » الواو حرف عطف ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، ابن : معطوف على خير الناس ، والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وابن مضاف و« الأخير » مضاف إليه ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : فى هذا البيت شاهدان للمسألة التى نحن بصددها : أما الأول ففى قوله « خير الناس » حيث جاء أفعل التفضيل فى هذه الكلمة على غير الوجه الذى يأتى عليه نظراؤه ، لأن الوجه المقيس الذى يأتى عليه أفعل التفضيل أن يكون على زنة أفعل كأكرم وأحسن وأجمل وأفضل وأنبل

... ...

وما لا يحصى من المثل ، والأصل المقيس أن يقال « أخير الناس » إلا أنه لما كثر استعمالهم لهذه الكلمة خففوها بحذف الهمزة من أولها فقالوا «خير الناس» وقد أخبرناك أن هذا كثير فى استعمال العرب ، فيكون قوله « خير الناس » شاذا فى القياس فصيحا فى الاستعمال ، وهذا الشاهد غير مقصود للشارح فى الإتيان بالبيت هنا ، والشاهد الثانى فى قوله « وابن الأخير » حيث جاء أفعل التفضيل فى هذه الكلمة على الوزن القياسى الذى يأتى عليه نظراؤه ، وإن كان المستعمل الكثير فى الاستعمال بخلافه ، فتكون هذه الكلمة بهذا الوزن شاذا فى الاستعمال وإن كانت قياسية .

ومما جاء على وزنه القياسى فى هذه الكلمة قول رؤبة بن العجاج يمدح القاسم بن محمد بن القاسم الثقفى من أرجوزة طويلة :

يَاقَاسِمَ الخَيْرَاتِ وَابْنَ الأَخْيَرِ ... مَاسَاسَنَا مِثْلُكَ مِنْ مُؤَمَّرِ

قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : هذا تلخيص وتوجيه ماقاله النحاة فى هذه الكلمة ، والذى عندى أن كلة « خير » تحتمل وجهين : أولهما أن تكون أفعل تفضيل ، فيكون كلامهم مستقيما ، ويكون أصل خير أخير فحذفت همزته لكثرة الاستعمال طلبا للخفة ، ويكون له حكم أفعل التفضيل الذى سيذكره الناظم والشارح فيما بعد ، من أنه يلزم الإفراد والتذكير فى حالتين ، ويلزم المطابقة فى حالة ، ويجوز فيه الوجهان فى حالة . والوجه الثانى أن يكون « خير » صفة مشبهة ، ويكون أصله خيرا ــ بتشديد الياء ــ فخفف بحذف إحدى الياءين ، كما قالوا : هين ، ولين ، وميت ــ بسكون الياء ــ وأصلها بالتشديد ، والذى يدل على أنه يكون صفة مشبهة مجىء مؤنثه خيرة ــ بالتاء ــ فى قول رجل من بنى عدى تيم تميم جاهلى :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلاَتِ ... رَبَلاَتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ المَلِكَاتِ

ومجيئه مجموعا وهو مجرد من أل ومن الإضافة إلى معرفة ، فى قوله تعالى : (فيهن خيرات حسان) فأما تثنية خير فى قول الشاعر :

أَلاَ بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدْ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وفى قول الآخر وهو الفرزدق :

وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يُخْزَ رَهْطُه ... عَشِيَّةَ بَانَا رَهْطُ كَعْبٍ وَحَاتِمِ

وكذلك جمعه جمع التأنيث فى قوله تعالى : (أولئك لهم الخيرات) فإن شيئا من ذلك لا يدل دلالة قاطعة على أنه أفعل تفضيل ، أما الآية الكريمة فلأن (الخيرات) فيها مقترن بالألف واللام وأنت تعلم أن أفعل التفضيل المقترن بأل تجب فيه مطابقته للموصوف به ، فيكون مساويا للصفة

(صُغْ مِنْ) كلٍّ (مَصُوغٍ مِنْهُ لِلتَّعَجُّبِ) اسماً مُوازناً (أَفْعَلَ لِلتَّفْضِيلِ) قياساً مُطرداً، نحو « هو أضربُ ، وأَعْلَمُ ، وَأَفْضَلُ » ، كما يقال : ما أَضْرَبَه وأَعْلَمَه وأَفْضَلَه . (وَأْبَ) هنا (اللَّذْأُبِي) هناك ، لـكونه لم يَسْتَكمل الشروط المذكورة ثَمَّة .

وشَذَّ بناؤه من وَصْف لافِعْل له : كهو أَقْمَنُ به : أى أَحَقُّ ، وأَلَصُّ مِن شِظاظ . هكذا قال الناظم وابن السراج ، لـكن حكى ابن القَطَّاع لَصَصَ بالفتح إذا استتر ، ومنه اللِّصُّ ، بتثليث اللام ، وحكى غيره لَصَصَه إذا أخذه بخفية ، ومما زاد على ثلاثة : كهذا الكلامُ أَخْصَرُ من غيره . وفى أَفْعَلَ المذاهبُ الثلاثة ، وسمع هو أَعْطَاهم لِلدَّرَاهم وأَوْلاهم للمعروف ، وهذا المكان أَقْفَرُ من غيره ، ومن فعل المفعول كهو أَزْهَى من دِيكٍ ، وأَشْغَلُ من ذات النِّحْيَيْنِ(١) ، وأَعْنَى بحاجتك ، وفيه ماتقدّم عن التسهيل فى فعلى التعجب .

الشبهة . وأما البيتان اللذان أنشدناهما فإن « خيرى بنى أسد » و« خيراهم » فى قول الفرزدق كل واحد منهما تجد فيه كلة المثنى مضافة إلى معرفة ، وأفعل التفضيل المضاف إلى المعرفة تجوز فيه المطابقة للموصوف كما يجوز فيه الإفراد والتذكير ، فلا يستدل بشىء من ذلك على أن الكلمة فيه صفة مشبهة بل هى محتملة فى هذه الشواهد لأن تكون أفعل تفضيل ولأن تكون صفة مشبهة ، بخلاف الآية الأولى فإن «خيرات» فيها منكرة فلو كانت أفعل تفضيل للزم أن تجىء مفردة مذكرة ، فلما جاءت مجموعة مؤنثة علمنا أنها صفة مشبهة ، وإنما أطلنا عليك فى تحديد الاستشهاد وتفصيل القول فيه فيما يختص بهذه الأبيات لأنك ستجد فى كلام بعض أهل اللغة كلاما فيه خلط ، وقد نفينا عنك اللبس بهذا الكشف والإيضاح .

(١) هذا مثل من أمثال العرب ، والنحى ـ بكسر النون وسكون الحاء ـ الوعاء يكون فيه السمن ونحوه ، وقد روى الميدانى هذا المثل فى مجمع الأمثال (١/٣٣٢ بولاق) وقال فى تفسيره « هى امرأة من بنى تيم الله بن ثعلبة ، كانت تبيع السمن فى الجاهلية ، فأتاها خوات بن جبير الأنصارى يبتاع منها سمنا ، فلم ير عندها أحدا ، وساومها ، فحلت نحيا ، فنظر إليه ثم قال : أمسكيه حتى أنظر إلى غيره ، فقالت : حل نحيا آخر، ففعل فنظر إليه فقال : أريد غيره، فأمسكيه ففعلت ، فلما شغل يديها ساورها فلم تقدر على دفعه حتى قضى ما أراد وهرب ، وقال فى ذلك :

وَذَاتِ عِيَالٍ وَاثِقِينَ بِعَقْلِهَا ... خَلَجْتُ لَهَا جَارَ اسْتِهَا خَلَجَاتِ

شَغَلْتُ يَدَيْهَا إِذْ أَرَدْتُ خِلَاطَهَا ... بِنِحْيَيْنِ من سَمْنٍ ذَوَىْ عَجَرَاتِ

(وَمَا بِهِ إِلَى تَعَجُّبٍ وُصِلَ * لِمَانِعٍ) من أَشَدَّ وما جرى مجراه (بِهِ إِلَى التَّفْضِيلِ صِلْ) عند مانع صَوْغه من الفعل ، لـكن « أشَدّ » ونحوه فى التعجب فعلٌ ، وهنا اسمٌ . ويُنْصَب هنا مصدرُ الفعل المتوصَّل إليه تمييزاً ، فتقول : زيدٌ أشدُّ اسْتِخْرَاجًا منْ عمْرٍو ، وأقْوَى بيَاضاً ، وأَفْجعُ مَوْتاً .

(وَأَفْعَلَ التَّفْضِيلِ صِلهُ أَبَدَا تَقْدِيراً أَوْ لَفظاً بِمِنْ إِنْ جُرِّدَا)

من « أل » والإضافة ، جارة للمفضول ، وقد اجتمعا فى « أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرا » : أى منك ، أما المضافُ والمقرونُ بأل فيمتنع وصلُهما بمن .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : اخْتُلف فى معنى « مِن » هذه : فذهب المبرد ومَنْ وافقه إلى أنها لابتداء الغاية ، وإليه ذهب سيبويه ، لـكن أشار إلى أنها تُفيد مع ذلك معنَى التبعيض فقال فى « هو أفضل من زيد »: فضَّله على بعض ولم يَعُمَّ ، وذهب فى شرح التسهيل إلى أنها بمعنى المجاوزة ، وكأن القائل : « زيد أفضل من عمرو » قال : جاوزَ زيدٌ عمراً فى الفَضْل ، قال : ولو كان الابتداء مقصوداً لجاز أن يقع بعدها « إلى » قال : ويُبْطِل كونهَا للتبعيض

فأخْرَجْتهُ رَيَّانَ يَنْطِفُ رَأْسُهُ ... من الرَّامِكِ المدمُومِ بالمقِرَاتِ
فكانَ لَهَا الْوَيْلاَتُ من تَرْكِ سَمْنِهَا ... وَرَجْعَتِهَا صِفْراً بغَيْرِ بتاتِ
فَشَدَّتْ عَلَى النِّحيين كفاشحِيحَةً ... عَلَى سَمْنِهَا ، وَالْفتْكُ مِنْ فَعَلاَتِي

ثم أسلم خوات رضى الله عنه ، وشهد بدرا ، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : كيف شرادك ياخوات ؟ ويروى أنه قال له : كيف شراؤك ياخوات ؟ وتبسم حين سأله صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : يارسول الله ، قد رزق الله خيرا ، وأعوذ بالله من الحور بعد الـكور ، وفى رواية حمزة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ما فعل بعيرك ؟ أيشرد عليك ؟ فقال : أما منذ أسلمت ــ أو منذ قيده الإسلام ــ فلا ، ويدعى الأنصار أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا له أن تسكن غلمته ، فسكنت بدعائه ، وهجا رجل بنى تيم الله فقال :

أُنَاسٌ رَبَّةُ النحيين مِنْهُمُ ... فعُـــدُّوهَا إذا عُدَّ الصَّمِيمُ

وزعموا أن أم الورد العجلانية مرت فى سوق من أسواق العرب ، فإذا رجل يبيع السمن ، ففعلت به كما فعل خوات بذات النحيين من شغل يديها ، ثم كشفت ثيابه وأقبلت تضرب شق استه بيديها وتقول : « يا ثارات ذات النحيين » اه كلام الميدانى .

أمران : أحدهما : عدمُ صلاحية بَعْض موضعهَا ، والآخر : كونُ المجرور بها عاما ، نحو « الله أعظم من كل عظيم » .

والظاهر ـ كما قال المرادى ـ ماذهب إليه المبرد ، وما رد به الناظم ليس بلازم ، لأن الانتهاء قد يُتْرك الإخبار به ، لـكونه لايعلم ، أو لـكونه لا يُقْصد الإخبار به ، ويكون ذلك أبلغ فى التفضيل ، إذ لايقف السامعُ على محلٍّ الانتهاء .

الثانى : أكثر ماتحذف « من » ومجرورها إذا كان « أفْعَل » خبرًا كالآية ، ويقلُّ إذا كان حالا ، كقوله :

٧٦٨ — * دَنَوْتِ وَقَدْ خِلْنَاكِ كَالْبَدْرِ أَجْمَلاَ *

أى دنوتِ أجْمَلَ من البدرِ .

---

٧٦٨ — هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه قوله :

* فظَلَّ فُؤَادِى فى هَوَاكِ مُضَلَّلاَ *

ولم أقف على اسم قائله ، ولا عثرت له على سابق أو لاحق يتصل به .

اللغة : « دنوت » ماض من الدنو ، تقول : دنا يدنو دنوا ـ مثل سما يسمو سموا ـ ومعناه قرب « خلناك » حسبناك وظنناك « أجملا » أكثر جمالاوبهاء ورواء منظر وحسن صورة «ظل» أراد أنه استمر « مضللا » غير مهتد إلى وجه الصواب .

الإعراب : « دنوت » فعل ماض ، وتاء المخاطبة فاعله مبنى على الـكسر فى محل رفع «وقد» الواو واو الحال حرف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، قد : حرف دال على التقريب ، مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « خلناك » فعل ماض وفاعله ومفعوله الأول « كالبدر » جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان لخال ، « أجملا » حال من فاعل دنا الذى هو تاء المخاطبة « فظل » الفاء حرف عطف ، ظل : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب «فؤادى» اسم ظل ، مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم ، وفؤاد مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « فى» حرف جر «هواك» هوى : مجرور بفى ، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وهوى مضاف وضمير المخاطبة مضاف إليه مبنى على الـكسر فى محل جر « مضللا » خبر ظل منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله «أجملا» فإنه أفعل تفضيل حذف بعده « من » الجارة للمفضول ، وأفعل التفضيل هذا من الجهة الإعرابية حال كما عرفت فى إعراب البيت ، وتقدير البيت : دنوت حال كونك أجمل من البدر ، وقد خلناك كالبدر ، وحذف « من » الجارة للمفضول فى مثل هـــذه

أو صفة ، كقوله :

٧٦٩ تَرَوَّحِي أَجْدَرَ أَنْ تَقِيلِي غَدًا بِجَنْبَيْ بَارِدٍ ظَلِيلِ

أي : تروّحي وَأْتِي مكاناً أجدرَ من غيره بأن تقيلي فيه .

الحالة قليل ، وإنما يكثر حذف « من » هذه إذا كان موقع أفعل التفضيل الإعرابي خبرا عن مبتدإ كما في الآية الكريمة التي تلاها الشارح رحمه الله .

وأنت إذا نظرت في تقدير هذا البيت وجدت الشاعر قد فصل بين الحال وعاملها بجملة حالية أخرى وهي قوله «وقد خلناك كالبدر » وهذه الجملة الحالية المفصول بها جملة اعتراضية اعترض بها بين العامل ومعموله ، ولا ضير في أن تكون اعتراضية مع كونها حالية على ما قرره ابن هشام في مغني اللبيب في مبحث الجملة الاعتراضية أثناء مباحث الجمل التي لا محل لها من الإعراب .

٧٦٩ — هذا الشاهد بيتان من الرجز المشطور يقولهما أحيحة بن الجلاح ، وكان مثريا له نخيل في يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وكان — مع ذلك — يحث الناس على الادخار والجمع ، ومما اشتهر من كلامه قوله : «التمرة إلى التمرة تمر» يريد أن جمع القليل إلى القليل يصير ذلك القليل كثيرا ، وهو مثل قول العرب « الذود إلى الذود إبل » والرجز الذي منه هذا الشاهد قوله :

تأبَّرِى يَاخَــيْرَةَ الفَسِيلِ تأبَّرى مِن حَنَذٍ نَشُولِي
إِذْ ضَنَّ أَهْلُ النَّخْلِ بالفُحُولِ تَرَوَّحِي أَجْدَرَ أَنْ تَقِيلِي
غَدًا بِجَنْبَيْ بَارِدٍ ظَلِيلِ وَمَشْرَبٍ لشربها رَسِيلِ
* لَا آجِنِ الطَّعْمِ وَلَا وَبِيلِ *

وقد روى بعضه ياقوت في معجم البلدان (ح ن ذ) وصاحب الصحاح (ف ح ل) .

اللغة : « تأبرى » أي اقبلي الإبار ، وهو التلقيح ، وتقول « أبرت النخل » بتخفيف الباء من باب ضرب — أبرا ، وبتشديد الباء تأبيرا ، فتأبرت هي ، تريد أنك لقحتها فقبلت اللقاح «خيرة» بفتح الخاء — صفة مشبهة من الخير «الفسيل» بفتح الفاء وكسر السين — جمع فسيلة ، والفسيلة : الوديّ ، وهو صغار النخل ، ويجمع الفسيل على فسلان ، مثل رغيف ورغفان « حنذ » بفتح الحاء والنون وآخره ذال معجمة — قرية لأحيحة بن الجلاح ، وهو أيضا اسم ماء لبني سليم ومزينة « فشولى » هكذا رواه جماعة منهم العيني بالفاء العاطفة ، وقد رواه ياقوت « وشولى » بواو العطف ، وشولى : فعل أمر مسند لياء المخاطبة ، ومعناه ارتفعي ، تقول : « شال فلان يشول »

... ...

إذا ارتفع « الفحول » هو جمع فحل ، والفحل فى الأصل الذكر من الحيوان ، ويجمع على فحولة وفحال أيضا ، وفى ذكر النخل الذى يلقح حوامل النخل لغتان : الأكثر فحال - بزنة تفاح - وجمعه فحاحيل ، والثانية فحل مثل غيره ، ويجمع على فحول أيضا مثل فلس وفلوس ، وجاء فيه فحولة وفحالة ، قال الشاعر فى فحال كرمان وتفاح :

يُطِفْنَ بِفُحَّالٍ كَأَنَّ ضَبَابَهُ ... بُطُونُ الْمَوَالِي يَوْمَ عِيدٍ تَغَدَّتِ

« تروحى » جعل قوم هـــذا الخطاب للناقة ، وفسروه بأنه أمر لها بالصبر على مشاق السير فى وقت الرواح، وهو وقت العشى، وهو من زوال الشمس إلى الليل، وسبب ذلك أنهم لم يقفوا على أول الكلام ، والحق أنه خطاب للفسيل أيضا، ومعنى تروّحى طولى، تقول « تروح النبت » إذا طال « أجدر » معناه أحق وأقمن وأحرى « تقيلى » أصل القيلولة النوم فى وقت القائلة ، وهى وقت اشتداد الحر فى منتصف النهار ، ولكنه أراد كونها فى هذا الوقت متصفة بما بعده « بجنى بارد ظليل » أراد مكانا لائقا بك يساعد على نموك وطولك « رسيل » بفتح الراء وكسر السين - سهل، وهو وصف لمشرب « آجن » هو المتغير الطعم « وبيل » بفتح الواو - الوخيم ، تقول : وبل المرتع - من باب ظرف - إذا وخم .

المعنى : قال الفيومى صاحب المصباح : « ومعنى الشعر أن أهل حنذ ضنوا بطلعهم على قائل هذا الشعر ، فهبت ريح الصبا وقت التأبير على الذكور ، واحتملت طلعها فألقته على الإناث ، فقام ذلك مقام التأبير ، فاستغنى عنهم ، وذلك معروف عندهم ، أنه إذا كانت الفحاحيل فى ناحية الصبا وهبت الريح منها على الإناث وقت التأبير تأبرت برائحة طلع الفحاحيل وقام مقام التأبير » اه .

الإعراب : « تروحى » فعل أمر مبنى على حذف النون ، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع « أجدر » أفعل تفضيل يقع صفة لموصوف محذوف يقع مفعولا به لفعل محذوف ، وتقدير الكلام : وخذى مكانا أجدر من غيره ، وقد قدره ابن مالك فى شرح الكافية الشافية : وأتى مكانا أجدر ، ولعله إنما قدر ذلك لأنه فهم أن الخطاب للناقة اغترارا بكلمة « تروحى » وكلمة « تقيلى » وقد عرفت فساد هذا فى بيان لغة البيت « أن » حرف مصدرى ونصب مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « تقيلى » فعل مضارع منصوب بأن المصدرية ، وعلامة نصبه حذف النون ، وياء المؤنثة المخاطبة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع ، وأن مع مادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف ، وهذا الجار والمجرور متعلق بأجدر ، وتقدير الكلام : أجدر بقيلولتك « غدا » ظرف زمان منصوب على الظرفية الزمانية ، والعامل فيه قوله تقيلى « بجنى » الباء حرف جر ، وجنى : مجرور بالباء وعلامة جره الياء المفتوح

الثالث : قوله « صِلْهِ » يقتضى أنه لايُفْصَل بين أفعل و بين مِنْ ، وليس على إطلاقه ، بل يجوز الفَصْلُ بينهما بمعمول أفعل ؛ وقد فُصِل بينهما بِلَوْ وما اتصل بها ، كقوله :

٧٧٠ — وَلَفُوكِ أَطْيَبُ لَوْ بَذَلْتِ لَنَا مِنْ مَاءِ مَوْهَبَةٍ عَلَى خَمْرِ

ولا يجوز بغير ذلك .

ما قبلها المكسور ما بعدها تقديرا لأنه مثنى ، والجار والمجرور متعلق بقوله تقيلى أيضا ، وجنى مضاف و« بارد » مضاف إليه « ظليل » نعت لبارد ، ونعت المجرور مجرور ، وعلامة جره كسرة ظاهرة فى آخره ، وقد عرفت أن قوله « بارد » فى الأصل يكون نعتا لمنعوت محذوف ، أى بجنى مكان بارد .

الشاهد فيه : قوله « أجدر » فإنه أفعل تفضيل ، وقد حذفت بعده «من» الجارة للمفضول ومجرورها ، وأفعل التفضيل هذا من الجهة الإعرابية واقع صفة لموصوف محذوف كما علمت من إعراب البيت ، وقد قدر جماعة النحاة الكلام على أنه خطاب لناقة هكذا : تروحى وأْتى مكانا أجدر من غيره بأن تقيلى فيه ، وقد عرفت مما قلناه بناء على ما تدل عليه الأبيات المتقدمة على الشاهد أن الكلام ليس فى خطاب ناقة ، ولكنه فى خطاب نخله الذى ذكره فى أول الرجز بقوله « ياخيرة الفسيل » وقد نقلنا لك فى معنى البيت عبارة العلامة الفيومى لتقف على حقيقة المعنى الصحيح للبيت ، وعلى هذا يكون تقدير الشاهد : تروحى (أى طولى وامتدى مرتفعة فى الجو) وخذى لك مكانا أجدر من غيره بأن تترعرعى وتسمقى وترتفعى فيه ، والخطب على كل حال أهون من أن يتغنى به ، فالخلاف فى أنه يقال « وأْتى مكانا . . إلخ » وهذا يدل على الانتقال من مكان إلى مكان فلا بد أن يكون المخاطب حيوانا ، أو يقال « وخذى مكانا .. إلخ » وهذا لايستلزم ذلك والمتفق عليه أن « من » التى تجر المفضول وتتعلق بأفعل التفضيل محذوفة فى هذا البيت ، وأفعل التفضيل ليس خبرا لمبتدإ كما كان أفعل التفضيل فى قوله تعالى : (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) خبرا بواسطة كونه معطوفا على الخبر ، وحذف « من » الجارة للمفضول إذا لم يكن أفعل التفضيل الذى تتعلق به خبرا — قليل ، سواء أوقع أفعل التفضيل حالا كما هو فى البيت السابق أم وقع صفة كما هو فى هذا البيت ، فاعرف ذلك والله سبحانه المسئول أن يتولاك ويرشدك .

٧٧٠ — هـــذا بيت من الكامل ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به ، والعلماء يختلفون فى رواية صدره ، فابن منظور فى اللسان يرويه

... ...

* ولفوك أطيب إن بذلت لنا * وهو فى ذلك تابع للمحكم ، والجوهرى والأزهرى يرويانه * ولفوك أشهى لو يحل لنا * (انظر اللسان مادة و ه ب) .

اللغة : « أطيب » معناه أعذب وألذ ، وأراد ماء فمها ، وهو الرضاب « بذلت » سخيت وطابت نفسك به « موهبة » هو بفتح الميم وسكون الواو ، وفتح الهاء أو كسرها ، واقتصر العينى على الفتح ـ قال فى اللسان « والموهبة ـ بفتح الهاء ـ والموهبة ـ بكسر الهاء ـ غدير ماء صغير ، وقيل : نقرة فى الجبل يستنقع فيها الماء ، وفى التهذيب : وأما النقرة فى الصخرة فموهبة بفتح الهاء جاء نادرا ، وأنشد البيت ، ثم قال : أى موضوع على خمر ممزوج بماء » اهـ .

الإعراب : «ولفوك» الواو واو القسم حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والمقسم به محذوف . والتقدير : والله ، وهذا الحرف والمقسم به المحذوف جار ومجرور متعلق بفعل قسم محذوف ، وتقدير الكلام : أقسم والله ، واللام حرف واقع فى جواب القسم ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، فو : مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الستة وهو مضاف وكاف المخاطبة مضاف إليه مبنى على الكسر فى محل جر « أطيب » خبر المبتدإ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وجملة المبتدإ وخبره لا محل لها من الإعراب جواب القسم «لو» يجوز أن تكون حرف تمنّ ، ويجوز أن تكون شرطية « بذلت » فعل ماض وتاء خطاب المؤنثة فاعله مبنى على الكسر فى محل رفع «لنا» جار ومجرور متعلق ببذل ، فإن جعلت لو شرطية ـ وهو الأكثر ـ فإن جواب الشرط محذوف ، والتقدير على هذا : لو بذلت لنا لشفانا من أسقام الحب ، أو لكان جميلا منك ، أو نحو ذلك ، وقول الشارح المحقق « بلو وما اتصل بها » يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما فى لو « من ماء » جار ومجرور متعلق بأطيب ، وماء مضاف و « موهبة » مضاف إليه « على خمر » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لماء موهبة ، أى ماء موهبة كائن على خمر ، وهو الذى قدره التهذيب فى عبارة اللسان التى أثرناها بقوله «أى موضوع على خمر» .

المعنى : يقسم لحبيبته أن ماء فمها أعذب عنده وأشهى إلى نفسه وألذ إلى قلبه من ماء فى نقرة بأعلى الجبل ، وقد مزج هذا الماء بالخمر ، ويحدثها بقوله : لو أنك قد سخيت لنا بذلك لشفى ما نجده من سقام الحب وتباريحه وآلامه .

الشاهد فيه : قوله «أطيب ـ لو بذلت لنا ـ من ماء موهبة» فإن قوله «أطيب» أفعل تفضيل وقد ذكرت معه « من » الجارة للمفضول ، وذلك قوله « من ماء موهبة » وفصل الشاعر بين أفعل التفضيل ومن الجارة للمفضول بلو وشرطها وجوابها المقدر ، وذلك قوله « لو بذلت لنا » وليس فى عبارة الشارح المحقق ما يدل على أن هذا الفصل ضرورة ، بل الظاهر من عبارته جوازه فى السعة حيث عطف الجملة التى حكى فيها جواز هذا الفصل على الجملة التى قرر فيها جواز الفصل بمعمول أفعل ، ولكن الذى فى عبارة السيوطى ـ وهو قرين الشارح وزميله فى التلمذة للشيخ خالد الأزهرى صاحب التصريح ـ تقرير أن هذا الفصل ضرورة .

الرابع : إذا بُنى أفعل التفضيل مما يتعدّى بمن جاز الجمع بينها و بين « من » الداخلة على المفضول ؛ مُقَدَّمَةً أو مؤخَّرَةً ، نحو : زيد أقربُ من عمرو من كل خير ؛ وأقربُ من كل خير من عمرو .

الخامس : قد تقدم أن المضاف والمقرون بأل يمتنع اقترانهما بمن المذكورة ، فأما قوله :

٧٧١ ــ نَحْنُ بِغَرْسِ الْوَدِيِّ أَعْلَمُنَا   مِنَّا بِرَكْضِ الْجِيَادِ فِى السَّدَفِ

٧٧١ — هذا بيت من المنسرح ، قال العلامة العينى : « أقول : قائله هو سعد القرقرة ، قاله الجوهرى ، وقال ابن عصفور : قيس بن الخطيم الأنصارى . والأصح ما قاله الجوهرى ، وذكر البكرى فى شرح الأمثال قال : قال عبيد بن شرية : أتى النعمان بحمار وحش فدعا بسعد القرقرة فقال : احملوه على اليحموم وأعطوه مطردا، وخلوا عن هذا الحمار حتى يطلبه سعد فيصرعه ، فقال سعد : إنى إذا أصرع عن هـذا الفرس ، فمالى ولهذا ؟ فقال النعمان : والله لتحملنه ، فحمل على اليحموم ، ودفع إليه المطرد ، وخلى عن الحمار ، فنظر سعد إلى بعض بنيه قائما فى النظارة ، فقال : بأبى وجوه اليتامى ، فأرسلها مثلا ، وركض الفرس ، فألقى المطرد وتعلق بعرفة الفرس ، فضحك به النعمان . وأدرك فأنزل ، فقال سعد فى ذلك :

نَحْنُ بِغَرْسِ الْوَدِيِّ أَعْلَمُنَا   مِنَّا بِرَكْضِ الْجِيَادِ فِى السَّدَفِ
يَا لَهْفَ نَفْسِى وَكَيْفَ أَطْعَنُهُ   مُسْتَمْسِكاً وَالْيَدَانِ فِى الْعُرُفِ
قد كُنْتُ أَدْرَكْتُهُ فَأَدْرَكَنِى   لِلصَّيْدِ عِرْقٌ مِنْ مَعْشَرٍ عُنُفِ

وهى من المنسرح » اهـ كلام العينى بحروفه ، وقد وجدت القصة مفسرة الألفاظ فى مجمع الأمثال للميدانى (١ / ٨١ بولاق) وها كها بروايته «بأبى وجوه اليتامى ــ ويروى : وا بأبى ، يشير بقوله : وا إلى التوجع على فقدهم ، ثم قال : بأبى أى أفدى بأبى وجوههم، يضرب فى التحنن على الأقارب ، وأصله أن سعد القرقرة ــ وهو رجل من أهل هجر ــ كان النعمان بن المنذر يضحك منه ، وكان للنعمان فرس يقال له : اليحموم يردى من ركبه ، فقال يوما لسعد : اركبه واطلب عليه الوحش ، فامتنع سعد ، فقهره النعمان على ذلك ، فلما ركبه نظر إلى بعض ولده وقال هذا القول ، فضحك النعمان وأعفاه من ركوبه ، فقال سعد فى ذلك :

نَحْنُ بِغَرْسِ الْوَدِيِّ أَعْلَمُنَا   مِنَّا بِجَرْيِ الْجِيَادِ فِى السَّلَفِ
يا لَهْفَ أُمِّى فكيف أَطْعَنُهُ   مُسْتَمْسِكاً وَالْيَدَانِ فِى الْعُرُفِ

... ...

وروى : * بجر الجياد فى السُّدَف * وروى : * فى السَّدَف * فالسَّدَف : الضوء والظلمة أيضا ، والحرف من الأضداد ، والسُّدَف : جمع سُدْفة ، وهى اختلاط الضوء والظلمة ، والسلف : جمع سالف مثل خادم وخدم ، وحارس وحرس ، وهم آباؤه المتقدمون . والسَّلَف : جمع سلفة ، وهى الدبرة من الأرض ، وقوله أعلمنا : أراد أعلم منا ، وهى لغة أهل هجر ، يقولون : نحن أعلمنا بكذا منا ، وأجود هذه الروايات هذه الأخيرة — أعنى فى السلف — لأن سعدا كان من أهل الحراثة والزراعة ، فهو يقول : نحن بغرس الودى فى الديار والمشارات أعلم منا بجرى الجياد » اهـ وقد أطلنا بنقل عبارته وعبارة العينى ، ولكن تفسير الميدانى للكثير من ألفاظ القصة والبيتين وبيانه اختلاف الرواية واختياره إحداهن يهون علينا من ذلك .

اللغة : سنكتفى بشرح مالم يرد شرحه فى عبارة الميدانى ، إذ كان فى شرحه لما شرحه الغنية والكفاية — «الودى» بفتح الواو وكسر الدال وتشديد الياء — هو صغار النخل « ركض الجياد» استحثاث الأفراس للعدو ، وركض فرسه يركضه ركضاً — من باب نصر — حثه ودفعه إلى السير السريع ، وركض فلان يركض ركوضاً — من باب خرج — أسرع ، يأتى لازما ومتعديا ، والجياد: جمع جواد ، وهو الفرس العتيق .

الإعراب : « نحن » ضمير منفصل مبتدأ ، مبنى على الضم فى محل رفع « بغرس » جار ومجرور متعلق بأعلم الآتى ، وغرس مضاف و « الودى » مضاف إليه ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « أعلمنا » أعلم : خبر المبتدإ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف ونا ضمير متصل مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر «منا» جار ومجرور متعلق بأعلم «بركض» جار ومجرور متعلق بأعلم أيضا ، وركض مضاف و «الجياد» مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « فى السدف » متعلق بركض ، والباء بمعنى فى ، أى ركضها فى وقت اختلاط الظلمة بالنور ، وهو وقت الغارة صباحا ، فإن رويت « فى السلف » فالجار والمجرور متعلق بغرس .

الشاهد فيه : قوله « أعلمنا منا » فإن أعلم أفعل تفضيل ، وقد أضيف إلى ضمير المتكلمين وجاءت بعده من الجارة للمفضول المتعلقة بأفعل التفضيل ، وذلك ممتنع مع أفعل المضاف ، وقد التمس النحاة له وجوها كلها متكلف، وقبل أن نذكرها لك نحب أن تتذكر ما أثرناه لك فى عبارة الميدانى فى قوله: «وقوله : أعلمنا يريد أعلم منا ، وهى لغة أهل هجر ، يقولون : نحن أعلمنا بكذا منا » اهـ . فهو يقرر أن هذه لغة لجماعة من العرب بأعيانهم ، وأنهم لا يعدلون عن هذه اللغة لأن العربى لا يطاوعه لسانه على النطق بغير لغته ، كما هو متعالم معروف .

... ...

واعلم أولا أنّ السر عندنا فى وجوب ذكر من الجارة للمفضول مع أفعل التفضيل المجرد من أل ومن الإضافة ، وامتناع ذكرها مع أفعل التفضيل المقترن بأل أو المضاف ـ هو أن ذكرها فى المجرد إنما وجب ليعلم المفضول ، فإنك إذا قلت : «أنا أفضل منك» علم المخاطب أنك تريد تفضيل نفسك عليه ، فلو لم تذكر « منك » لم يعلم ممن أنت أعلم ، فأما مع المضاف فإن المفضول مذكور صراحة وهو المضاف إليه ، ألا ترى أنك لو قلت : « أنا أعلمكم » كان معنى هذه العبارة أنك تحكم بتفضيل نفسك فى العلم على جماعة المخاطبين بهذه الجملة ؟ فليس بأحد حاجة إلى ذكر « من » التى إنما يجر بها المفضول ، بل أنت لو ذكرتها لكنت عابثا ، وانظر إلى قولك : « أنا أعلمكم منكم » تجد أن « منكم » لم تفد معنى كان الكلام قبلها بحاجة إليه فوق أنها صيرت الكلام غثا مكرورا ، وأما مع اسم التفضيل المقترن بأل فإن المفضول عليه ـ وإن لم يكن مذكورا صراحة ـ فى قوة المذكور ، لأن أل التى اتصلت بأفعل التفضيل إشارة إلى معين تقدم ذكره لفظا أو حكما ، وكونه بهذه المنزلة يشعر بالمفضول ، فإذا قال قائل : « أنا الأعلم » وجب أن يكون بين هذا المتكلم والمخاطب اختلاف فى جماعة هو أحدها أيهم أعلم ، فكأنه قال : أنا أعلم ممن جرى ذكرهم ، أو يكون الحال بهذه المنزلة ، فليس السامع لمثل هذه العبارة بحاجة إلى أن يعلم ممن هو أعلم ، ومن أجل هذا تجدهم يقولون : لا تكون أل المقترنة بأفعل التفضيل إلا للعهد لئلا يعرى الكلام عن ذكر المفضول ، فافهم ذلك واحرص عليه فإنه نفيس دقيق .

وسيأتى فى شرح البيت الآتى ذكر تعليل ابن جنى لوجوب حذف من الجارة للمفضول مع أفعل التفضيل المقترن بأل ، فارتقبه .

وبعد ، فهذا الكلام إنما هو فى « من » الجارة للمفضول ، فأما « من » التى يتعدى بها أفعل والفعل الذى أخذ أفعل من مصدره فلاضير أن تذكر مع المقترن بأل ومع المضاف ، لأن أل والإضافة لا يدلان على مدخولها بحال ، تقول : أنا أقرب من الخير منك ، وأنا الأقرب من الخير ، وأنا أقربكم من الخير ، وما أشبه ذلك ، وعلى هذا جاء قول الشاعر :

فَهُمُ الْأَقْرَبُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَهُمُ الْأَبْعَدُونَ مِنْ كُلِّ ذَمِّ

ثم اعلم أنهم أوّلوا قول الشاعر فى هذا البيت « أعلمنا منا » بثلاثة تأويلات ، وكلها متكلف كما قررت لك أولا :

التأويل الأول : أن المضاف إليه ـ وهو نا ـ ملغى ، فكأنه لم يذكر فى الكلام ، وكأن الشاعر قد قال : نحن بغرس الودى أعلم منا بركض الجياد .

التأويل الثانى : أن « منا » ليس متعلقا بأعلم المذكور حتى يلزم الجمع بين الإضافة ومن الجارة المفضول ، بل هى متعلقة بأعلم أخرى مجردة من أل والإضافة ، وكأن الشاعر قد قال : نحن بغرس الودى أعلمنا أعلم منا بركض الجياد ، إلخ .

وقوله :

٧٧٢ — * وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى *

فؤولان .

التأويل الثالث — وهو لابن جنى — وحاصله أنه جعل « نا » فى قوله : « أعلمنا » ليس مضافا إليه فى محل جر كما ذهب إليه من استشهد بهذا البيت ، وإنما هو ضمير متصل وضع موضع الضمير المنفصل ، وهو مبنى على السكون فى محل رفع توكيد للضمير المستتر فى أعلم الذى هو فاعل أفعل التفضيل ، وغاية ما فى الباب أنه قد كان من حق الكلام أن يقول : نحن بغرس الودى أعلم نحن منا بركض الجياد ، لكنه لما اضطر لإقامة الوزن وضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل ، كما هو مذهب قوم فى نحو « لولاى » و « لولاك » و « لولاه » وعلى هـذا يكون أفعل التفضيل مجردا من أل ومن الإضافة فلا بد معه من ذكر من الجارة للمفضول .

٧٧٢ — هذا صدر بيت من السريع ، وعجزه قوله :

* وإنما العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ *

وهـذا بيت للأعشى ميمون بن قيس صناجة العرب ، من قصيدة يقولها فى مدح عامر بن الطفيل ويفضله على علقمة بن علاثة ، ومطلع هذه القصيدة قوله :

شَاقَتْكَ مِنْ قَيْلَةَ أَطْلَالُهَا ... بِالشَّطِّ فَالجِزْعِ إِلَى حَاجِرِ

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا ... يَا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

وقبل البيت المستشهد به ههنا قوله :

ولَسْتَ فى السِّلْمِ بِذِى نَائِلٍ ... ولَسْتَ فى الهَيْجَاءِ بالجَاسِرِ

ولَسْتَ بالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى ... وإنما العزة ... البيت ، و بعده :

ولَسْتَ فى الأَثْرَيْنَ مِنْ مَالِكٍ ... وَلَا أَبِى بَكْرٍ أُولِى النَّاصِرِ

هُمْ هَامَةُ الحَىِّ إِذَا مَا دُعُوا ... وَمَالِكٌ فى السُّودَدِ القَاهِرِ

سُدْتَ بَنِى الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ ... وعَامِرٌ سَادَ بَنِى عَامِرِ

سَادَ وأَلْفَى قَوْمَهُ سَادَةً ... وكَابِراً سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

فاصْبِرْ عَلَى حَظِّكَ مِمَّا تَرَى ... فَإِنَّمَا الفَلْجُ مَعَ الصَّابِرِ

... ...

اللغة : « قيلة » بفتح القاف وسكون الياء : اسم امرأة « بالشط » هو جانب النهر ، وهو أيضا اسم موضع بعينه ، وهو المراد هنا ، قال ياقوت « شط : قرية فى حجر اليمامة » اه. «ولست فى السلم ــ البيت » السلم بكسر السين ــ خلاف الحرب ، والنائل : العطاء ، والنوال ــ بفتح النون مثله ، والهيجاء ــ بالمد هنا ، وقد تقصر ــ الحرب ، والجاسر ــ بالجيم ــ من الجسارة ، وهى الجراءة والشجاعة « ولست بالأكثر ــ البيت » الحصى : المراد به ههنا عدد الأعوان والأنصار ، وإنما أطلق الحصى على العدد لأن العرب أميون لا يعرفون الحساب بالقلم ، وإنما كانوا يعدون بالحصى ، وبه يحسبون المعدود ، وقد اشتقوا منه فعلا لهذا المعنى فقالوا : أحصيت ، وهم يريدون عددت . والعزة : القوة والغلبة . قال الدماميني : فسر الجوهرى العزة بالقوة والغلبة ، ولا مانع من جعلها خلاف الذلة ، وأنت لو تدبرت المعنى الذى جاء به واختاره للعزة فى البيت وجدته لازما من لوازم القوة والغلبة الذى نسبه إلى الجوهرى . والكاثر يجوز أن يكون بمعنى الكثير ، ويجوز أن يكون اسم فاعل من « كثرت بنى فلان أكثرهم » إذ غالبتهم فى الكثرة ، قال المجد فى القاموس : «وكاثروهم فكثروهم : غالبوهم فى الكثرة فغلبوهم» اه . وهذا المعنى أحسن أن يحمل عليه اللفظ فى البيت « ولست فى الأثرين ــ البيت » الأثرين : جمع أثرى جمع التصحيح ، ومعنى أثرى ذو ثروة وذو ثراء : أى ذو عدد وكثرة مال ، قال الأصمعى « ثرى القوم يثرون : إذا كثروا ونموا » ومالك : هو جد عامر بن الطفيل ، فإن والد الطفيل هو مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأما أبو بكر فهو عم جده ، واسمه عبيد ــ بالتصغير ــ بن كلاب بن ربيعة المذكور فى نسب الطفيل ، فأبو بكر أخو جعفر بن كلاب « سدت بنى الأحوص ــ البيت » الأحوص : جد أبى علقمة بن علاثة ، فإنه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر المذكور من قبل ، فالأحوص ومالك أخوان ، والطفيل وعوف ابنا عم « فاصبر على حظك ــ البيت » الفلج ــ بضم الفاء ــ اسم من قولهم « فلج الرجل على خصمه يفلج فلجا » من باب نصر ــ وهو الظفر والفوز والغلبة ، وقوله « إنما الفلج مع الصابر » من باب التهكم .

الإعراب : « لست » ليس : فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر ، وتاء المخاطب اسمه مبنى على الفتح فى محل رفع « بالأكثر » الباء حرف جر زائد ، الأكثر : خبر ليس ، منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد «منهم» جار ومجرور متعلق فى الظاهر بالأكثر ، وستعرف ما فيه «حصى» تمييز منصوب بفتحة مقدرة على الألف المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر «إنما» أداة حصر ، حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب «العزة» مبتدأ ، مرفوع بالابتداء ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة «للكاثر» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ .

... ...

الشاهد فيه : قوله « بالأكثر منهم » فإن ظاهر العبارة أن الشاعر قد جمع فى كلامه بين « أل » الداخلة على أفعل التفضيل وبين «من» الجارة للمفضل عليه ، والنحاة يمنعون الجمع بينهما، وإنما يذكر مع الكلام أحدهما ، فإن ذكرت « من » فلا بد أن يكون اسم التفضيل مجردا من «أل» والإضافة ، تقول : « فلان أكثر من فلان مالا » و« فلان أعز من فلان ناصرا » قال الله تعالى : (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) وتقول : « ليس فلان أكثر من فلان مالا ، ولكن فلانا الأكثر » ولا تقول « الأكثر منه » .

وهذا مذهب جمهرة النحاة ، وقد علل ابن جنى عدم جواز الجمع فى الكلام بين « أل » الداخلة على أفعل التفضيل و« من » الجارة للمفضول بكلام ذكره فى الخصائص فى باب الامتناع من نقض الغرض، وذلك حيث يقول : «ومن ذلك امتناع العرب من إلحاق من بأفعل إذا عرفته باللام نحو الأحسن منه ، وذلك أن من هذه تكسب مايتصل به من أفعل تخصيصا ما ، ألا تراك لو قلت : دخلت البصرة فرأيت أفضل من ابن سيرين ، لم يسبق الوهم إلى غير الحسن، فأما إذا قلت: الأفضل أو الأعلم ونحو ذلك فقد استوعبت اللام من التعريف أكثر مما تفيده من من التخصيص ، فأنت إذا جئت بالألف واللام كنت قد عرفت أمكن تعريف ، فلو جئت بعدها بمن التى إنما يؤتى بها للدلالة على تخصيص أهون شأنا مما تدل عليه الألف واللام كنت قد تراجعت ونقضت ما قصدت إليه أولا ، وكنت كمن حكم بأنه بالغ فى التعريف ثم أظهر أنه محتاج إلى أيسر تعريف وأضعفه » انتهى كلامه بإيضاح ، وارجع إلى ما ذكرناه من عندنا من التعليل لذلك فى شرح البيت السابق .

وقد ذهب أبو عمرو الجرمى إلى أن الجمع بين أل ومن مع أفعل التفضيل جائز فى الشعر ، قال : « يقال : أنت أكثر منه مالا ، وأنت الأفضل ، إذا لم تأت بمن ، فإذا اضطر الشاعر قال : أنت الأفضل منهم ، ولا يجوز إلا فى اضطرار ، ولو قال : أنت الأكبر من هؤلاء ــ وهو منهم ــ لكان معناه أنت أكبر منهم » اهـ كلامه .

وفى كلام شيخ الأدباء أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ما يدل على أنه يجوز الجمع بينهما فى الكلام لأنه ينقد النحاة ويعرض بهم ويستشهد ببيت الأعشى المستشهد به ههنا،وذلك قوله: «قال النحويون : إن أفعل الذى مؤنثه فعلى لاتجتمع فيه الألف واللام ومن، وإنما هو بمن ، أو بالألف واللام ، وقد قال الأعشى : * ولست بالأكثر منهم حصى ــ البيت » اهـ . وقد ذكر ذلك عنه ابن هشام فى مغنى اللبيب ، ثم وهمه ، وابن هشام تابع فى ذلك النقل والتوهم لأبى الفتح ابن جنى ، فإنه نقل عبارة الجاحظ التى أثرناها ، ثم قال: « ورحم الله أباعثمان ! أما إنه لو علم أن من فى البيت ليست التى تصحب أفعل المبالغة لأضرب عن هذا القول إلى غيره مما يعلو فيه قوله ، ويعشو لسداده وصحته خصمه » اهـ .

... ...

وللنحاة فى الإجابة عن ظاهر بيت الأعشى ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أنا لا نسلم أن « من » فى هذا البيت تفضيلية ، وأن مدخولها هو المفضول ، وإنما ندعى أن « من » فيه تبعيضية ، ومدخولها أعم من المفضول ؛ لأنه يشمل المفضل والمفضل عليه ، وعلى هذا الوجه يكون الجار والمجرور الذى هو قوله : « منهم » متعلقا بمحذوف حال من التاء التى للمخاطب فى قوله : « لست » وكأنه قد قال : ولست حال كونك بعضهم بالأكثر حصى ، وقد علمت أن الممتنع هو الجمع بين أل ومن الداخلة على المفضل عليه ، ذكر هـذا الوجه المحقق الرضى ، وبين إعرابه على ماذكرناه شيخ النحاة ابن جنى ، قال ابن جنى : «ومن إنما هى حال من تاء لست كقولك : لست فيهم بالكثيرمالا ، أى لست من بينهم وفى جملتهم بهذه الصفة ، وكقولك: أنت والله من بين الناس حر ، وزيد من جملة رهطه كريم » اه .

وجوز ابن هشام — مع جعل من تبعيضية — أن يكون الجار والمجرور متعلقا بليس ، وانتقده قوم بأن ليس لاتدل على الحدث ، فلا تعمل فى الجار والمجرور ، وبأنه يلزم على هذا أن يفصل بين أفعل التفضيل وتمييزه بأجنبى ، والجواب عن الانتقاد الأول أن الجار والمجرور يكتفى برائحة الفعل ، وفى ليس رائحة أنى ، والجواب عن الانتقاد الثانى بأنه قد جاء الفصل بين التمييز ومميزه فى الشعر فى نحو قول الشاعر :

عَلَى أَنَّنِي بَعْـــدَ مَا قَدْ مَضَى ثَلَاثُونَ لِلْهَجْرِ حَوْلاً كَمِيـــلاَ

فإن « حولا » تمييز لقوله « ثلاثون » وقد فصل بينهما بقوله « للهجر » وهو أجنبى ، و« ليس» أقوى فى العمل من « ثلاثون » .

وذهب أبو حيان إلى أن « من » فى البيت ليست للتفضيل كما ذهب إليه أصحاب هذا الوجه ولكنه قال : إنها فى البيت للبيان لا للتبعيض ، قال : « من فى البيت للبيان ، لا للتفضيل ، والمفضل عليه معلوم من العهد ، وبيان ذلك أنك تقول لمخاطبك : زيد أفضل من عمرو ، ثم تقول له بعد ذلك : زيد الأفضل من تميم ، فمن ههنا للبيان ، أى أن زيدا الذى هو أفضل من عمرو هو من تميم ، ولك أن تجمع بينهما فتقول : زيد أفضل من عمرو من تميم » اه كلامه ، وعلى تقدير أن « من » بيانية كما ذهب إليه أبو حيان يكون الجار والمجرور متعلقا بمحذوف حال من تاء المتكلم فى لست .

الوجه الثانى من وجوه الإجابة عن ظاهر البيت : أنا ندعى أن « أل » فى « الأكثر » ليست معرفة ، والممتنع هو الجمع بين أل المعرفة ومن الداخلة على المفضول كما تبين لك مما سبق ومن كلام ابن جنى فى تعليل امتناع الجمع ، وندعى أن « أل » زائدة ، وهذا الجواب ذكره أبو زيد شيخ سيبويه الثقة فى نوادره .

(وَإِنْ لِمَنْكُورٍ يُضَفْ) أفعلُ التفضيل (أَوْ جُرِّدَا) من أل والإضافة (أُلْزِمَ تَذْكِيرًا وَأَنْ يُوَحَّدَا) فتقول : زيدٌ أفضلُ رجلٍ ، وأفضلُ من عمرو ، وهندٌ أفضلُ امرأةٍ ، وأفضَلُ من دَعْدٍ ، والزيدان أفضلُ رَجُلَين ، وأفْضَلُ من بكر ، والزيدُونَ أفضلُ رِجَالٍ ، وأفضلُ من خالدٍ ، والهندانِ أفضلُ امْرَأَتَيْنِ ، وأفضلُ من دَعْدٍ ، والهنداتُ أفضلُ نِسْوَةٍ ، وأفضلُ من دَعْدٍ ، ولا تجوز المطابقة ، ومن ثَمَّ قيل في أُخَر : إنه معدول عن آخَر ، وفي قول ابن هاني :

الجواب الثالث : أنا لا نسلم أن « من » في البيت متعلقة بالأكثر المذكور ، والممتنع إنما هو الجمع بينهما على أن تكون « من » متعلقة بأفعل التفضيل المقترن بالألف واللام ، وندعى أن الجار والمجرور متعلق بأكثر منكرا قد حذف لدلالة المعرف عليه ، وأصل الكلام : ولست بالأكثر أكثر منهم حصى ، و« من » على هذا الوجه والوجه الذي قبله للتفضيل كما هو ظاهر من الكلام ، وقد ذكر هذا الوجه المحقق رضى الدين الإستراباذى ، ولم أعثر على أصله الذي أخذ هذا الجواب عنه .

هذا ، واعلم أن هذه الأجوبة الثلاثة إنما تتأتى في البيت على رواية النحاة التي تجدها في كلام شارحنا ، وفي مغنى ابن هشام ، وفي كتب ابن مالك ، وفي عبارة ابن جنى ، وفي كلام أبي عمرو الجرمى ، وفي كلام الجاحظ . وقد سقنا إليك كلام هؤلاء جميعا ، فأما على ما رواه أبو العباس ثعلب من شعر الأعشى :

* ولست بالأكثر منه حصى *

بضمير المفرد الغائب الذي يعود إلى عامر بن الطفيل وحده ، فليس يتأتى لك — على هذه الرواية — أن تجيب بالجواب الأول على أي شيء من فروعه ، لأن محصل هذا الجواب أن تجعل مدخول «من» شاملا للمفضل والمفضل عليه جميعا ، سواء أجعلت «من» بيانية كما قال أبو حيان أم جعلتها تبعيضية كما ذهب إليه الرضى وابن هشام وابن جنى ، ولا سبيل مع ضمير الواحد أن ترى ذلك ، فافهم هذا الكلام ، واحرص عليه ، فإنه غاية في الدقة والتحقيق ، والله تعالى المسئول أن ينفعك به .

والمنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة مما اشتهر أمرها وحكاها كثير من أهل الأدب ، فلا داعى إلى ذكر شيء عنها ، ولكنا نوجه ذهنك إلى « شرح العيون بشرح الرسالة الهزلية لابن زيدون » وإلى شرح الشريشى على مقامات الحريرى .

٧٧٣ * كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِهَا *

إنه لحن .

٧٧٣ — هذا صدر بيت من البسيط ، وعجزه قوله :

* حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ *

وهذا البيت من قصيدة للحسن بن هانى المعروف بأبى نواس ، وأول هذه الكلمة قوله :

ساعٍ بِكَأْسٍ إلى ناشٍ على طَرَبِ ... كِلَاهُمَا عَجَبٌ فى مَنْظَرٍ عَجَبِ
قامَتْ تُرِينِى وَأَمْرُ اللَّيْلِ مُجْتَمِعٌ ... صُبْحَــا تَوَلَّدَ بَيْنَ المَاءِ وَالعِنَبِ
كَأَنَّ صُـغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا ... حَصْبَاءُ دُرٍّ ... البيت ، وبعـده :
كَأَنَّ تُرْكاً صُــفُوفاً فى جَوَانِبِهَا ... تُوَاتِرُ الرَّمْىَ بِالنُّشَّابِ مِنْ كَثَبِ
من كَفِّ ساقيــةٍ ناهيكَ ساقيةً ... فى حُسْنِ قَدٍّ وَفى ظَرْفٍ وَفى أَدَبِ
كانَتْ لِرَبٍّ قِيَــانٍ ذِى مُغَالَبةٍ ... بالكشحِ محترفٍ، بالكشحِ مُكْتَسِبِ

لغة بيت الشاهد : « فواقعها » هكذا وردت هذه الكلمة فى رواية أكثر النحاة ، وكذلك وردت فى ديوان أبى نواس فى القطعة السابعة من خمرياته التى طبعت فى أوربة سنة ١٨٦١م (ص٦) وهى على هذه الرواية جمع فاقعة ، ويراد بها النفاخة التى تعلو الخمر عند خلطها بالماء أو عند صبها فى الإناء ، ولا يساعد الاستعمال اللغوى على إثبات هذه اللفظة ، ويروى « من فقاقعها » وهو جمع فقاعة — بضم الفاء وتشديد القاف — وهذا اللفظ هو الذى تثبته معاجم اللغة ، والفقاقع : نفاخات الماء ، وهو ما يرى على وجه المـاء شبه حبات صغيرة منه . « حصباء » بفتح الحاء وسكون الصاد المهملتين — أصله دقاق الحصى ، أى الحصى الصغير .

الإعراب : « كأن » حرف تشبيه ونصب ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « صغرى » إسم كأن ، منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « وكبرى » الواو حرف عطف ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، كبرى : معطوف على صغرى ، منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « من » حرف جر ، مبنى على السكون لا محل له من

... ...

الإعراب « فواقعها » فواقع : مجرور بمن ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لصغرى وكبرى، وفواقع مضاف وضمير الغائبة مضاف إليه ، مبنى على السكون فى محل جر « حصباء » خبر كأن ، مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « در » مضاف إليه ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « على أرض » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لحصباء أو حال منه لتخصصه بالإضافة « من الذهب » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لأرض .

الشاهد فيه : قوله : «صغرى وكبرى» فإن أكثر النحاة ذهب إلى أنهما اسما تفضيل لما رأى فيهما من معنى المبالغة والدلالة على أن المقصود أصغر النفاخات وأكبرها ، وهما مجردان من أل ومن الإضافة ، فكان يجب ــ على هذا الاعتبار ــ أن يؤتى بهما مفردين مذكرين ، لأن اسم التفضيل المجرد من أل ومن الإضافة لمعرفة يجب فيه الإفراد والتذكير ، لكن الشاعر قد أتى بهما مؤنثين كما ترى ، فخالف بعض ما وجب فى مثلهما ، ولهذا حكموا بأن أبا نواس قد أخطأ الجادة ولم يأت بالكلام على ما يقتضيه الاستعمال العربى .

هذا توجيه كلام الشارح كغيره من النحاة ، إلا أن هذا الذى ذهب إليه النحاة من تخطئة الشاعر بناء على ما ادعوا فهمه من البيت غير مسلم لهم ، فأنت لو تأملت فى الكلام وجدت الشاعر لم يرد معنى التفضيل من « صغرى وكبرى » وإنما معنى الصفة المشبهة ، أى كأن الفقاعة الصغيرة والفقاعة الكبيرة من فقاقع هذه الخمر ، وأنت تعلم أن الصفة المشبهة يجب فيها أن تطابق موصوفها فإن كان الموصوف مذكرا وجب تذكير الصفة المشبهة ، وإن كان مؤنثا وجب تأنيث الصفة المشبهة ، وكذلك فى الإفراد والتثنية والجمع ، والموصوف ههنا مفرد مؤنث وهو الفقاعة على ما عرفت ، فالواجب الذى تقتضيه العربية أن تكون الصفة مفردة مؤنثة ، وهو الذى نطق به الشاعر ، ولو أنه أتى بالصفة مفردة مذكرة كما يقول النحاة فقال : « كأن أكبر وأصغر » لكان مخطئا ، ومثل هذا التخريج يجرى فى قول العروضيين : « فاصلة صغرى » وقولهم : « فاصلة كبرى » فإنهم يريدون فاصلة صغيرة وفاصلة كبيرة ، ولم يريدوا معنى فاصلة أكبر من أخرى ، وفاصلة أصغر من أخرى .

والخلاصة : أن النحاة بنوا كلامهم على أن المعنى المقصود من البيت ومن كلام العروضيين هو معنى التفضيل ، وأن الجواب مبنى على إنكار أن يكون المعنى على التفضيل ، وادعاء أن المعنى على مجرد الوصف بالصغر والكبر ، فافهم ذلك وكن منه على يقين ، والله يرشدك .

﴿ تنبيه ﴾ : يجب فى هذا النوع مطابقةُ المضاف إليه الموصوف ، كما رأيت ، وأما « وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ » فتقديره أولَ فريقٍ كافرٍ به .

(وَتِلْوُ أَلْ طِبْقٌ) لما قبله من مبتدإ أو موصوف ، نحو : زيدٌ الأفضلُ ، وهند الفُضْلَى ، والزيدَانِ الأفضَلاَنِ ، والزيدُونَ الأفضَلُونَ ، والهندَانِ الفُضْلَيَانِ ، والهندَاتُ الفُضْلَيَاتُ ، أو الفُضَّلُ ، وكذلك مررت بزيد الأفضَلِ ، وبهندٍ الفُضْلَى ، إلى آخره . ولا يؤتى معه بمن كما سبق .

(وما لِمَعْرِفَهْ ❊ أُضِيفَ ذُو وَجْهَيْنِ) منقولين (عَنْ ذِى مَعْرِفَهْ) هما المطابقة وعَدَمُهَا (هٰذَا إِذَا نَوَيْتَ) بأفعَلَ (مَعْنَى مِنْ) أى التفضيلَ عَلَى ما أضيف إليه وحده ، فتقول على المطابقة : الزيدانِ أفْضَلاَ الْقَوْمِ ، والزيدُونَ أفضَلُو الْقَوْمِ وَأَفَاضِلُ الْقَوْمِ ، وَهِنْدٌ فُضْلَى النساءِ ، والهندانِ فُضْلَيَا النساءِ ، والهندَاتُ فُضَّلُ النساء وفُضْلَيَاتُ النِّسَاءِ . ومنه : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا » وعلى عدم المطابقة : الزيدانِ أفضلُ القومِ ، والزيدون أفضلُ القوم ، وهكذا إلى آخره . ومنه : « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ » وهذا هو الغالبُ ، وابنُ السَّرَّاجِ يوجبه ، فإن قدر « أكابر » مفعولا ثانياً ، و « مجرميها » مفعولا أول لزمه المطابقة فى المجرد ، وقد اجتمع الاستعمالان فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَىَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى مَنَازِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً » .

(وَإِنْ ❊ لَمْ تَنْوِ) بأفعلَ معنى مِنْ ، بأن لم تَنْوِ به المفاضلة أصلا ، أو تنويها لا على المضاف إليه وحده ، بل عليه وعلى كل ما سواه (فَهْوَ طِبْقُ مَا بِهِ قُرِنْ) وَجهاً واحداً ، كقولهم : « الناقِصُ والأشَجُّ أَعْدَلاَ بَنِى مَرْوَانَ » أى : عادلاهم ، ونحو « محمد صلى الله عليه وسلم أَفْضَلُ قُرَيْش » أى : أفضل الناس من بين قريش .

وإضافة هذين النوعين لمجرد التخصيص ، ولذلك جازت إضافة أفعل فيهما إلى ما ليس هو بعضه ، بخلاف المنوىّ فيه معنى مِنْ ، فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه ، فلذلك يجوز « يوسف أحسن إخوته » إن قُصد الأحسن من بينهم ، أو قصد حَسَنهم ، ويمتنع إن قصد أحسن منهم .

﴿ تنبيه ﴾ يَرِدُ أفعلُ التفضيلِ عارياً عن معنى التفضيل ، نحو : « رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ » « وهو أهونُ عليه » وقوله :

وإن مُدَّتِ الأيدى إلى الزاد لم أكُن   بأعجلهم ، إذْ أجشعُ القومِ أعجلُ(١)

وقوله :

٧٧٤ — إنَّ الَّذى سَمَكَ السَّماء بَنَى لَنَا   بَيْتاً دَعَائِمُهُ أعزُّ وأطْولُ

---

(١) هذا بيت من الطويل ، وهو من قصيدة الشنفرى المشهورة باسم « لامية العرب » وقد تقدم شرحه مستوفى فى باب « ما ولا ولات وإن المشبهات بليس فى العمل » والاستشهاد به ههنا فى قوله : « بأعجلهم » وذلك أن « أعجل » ههنا ليس مرادا به التفضيل ، إذ لو أريد به التفضيل لكان المعنى فاسدا ، ألا ترى أنه لو كان يريد به التفضيل لصار المعنى لم أكن بأشد الناس استعجالا إلى الطعام ، فيكون الذى نفاه عن نفسه وعده من دلائل الجشع والشره والنهم هو شدة العجلة ، وهذا لا ينفى عنه أنه إذا مدت الأيدى إلى الطعام كان عجلا ، ولا شك أن الشاعر لا يريد ذلك المعنى ، وإنما يريد أن ينفى عن نفسه أصل العجلة ، وهـذا بعينه يجرى فى قوله : « أعجل » فى آخر البيت ، وإذا كان المعنى يفسد على إرادة التفضيل وجب أن يصار إلى المعنى الذى تدل عليه الصفة المشبهة ، وهو مجرد ثبوت العجلة له ، فهذا البيت يدل على أن صورة اسم التفضيل كما أنها قد تحمل على معنى المبالغة فى الوصف وأن الموصوف شارك غيره فى أصل الصفة وزاد عليه ، قد تدل على مجرد الاتصاف بالوصف الذى أخذت الصيغة منه ، ولهذا المعنى تجد جار الله الزمخشرى حين شرح هذا البيت قال : « يريد لم أكن عجلا فى وقت مد الأيدى » .

٧٧٤ — هذا بيت من الكامل ، وهو من قصيدة طويلة للفرزدق همام بن غالب بن صعصعة والبيت المستشهد به هنا مطلع قصيدة ذكرها فى النقائض ، وبعده قوله :

بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا المليكُ ، وَما بَنَى   حَكَمُ السَّماءِ فإنه لا يُنْقَلُ

بيتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ   وَمُجَاشِعٌ وَأبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ

يَلِجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ وإذا احْتَبَوْا   بَرَزُوا كَأَنَّهُمُ الجِبَالُ المُثَّلُ

لا يَحْتَبِى بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ   أبداً ، إذا عُدَّ الفَعَالُ الأفْضَلُ

... ...

مِنْ عِزِّهِمْ جَحَرَتْ كُلَيْبُ بَيْتَهَا زَرْباً كَأَنَّهُمُ لَدَيْهِ الْقُمَّلُ

وهذه القصيدة يقولها الفرزدق فى الفخر بقومه والاستعلاء بهم على جرير وقومه ، وقد نقضها جرير بن عطية عليه بقصيدة من بحرها ، وإن لم تكن حركة الروى كحركة رويها ، ومن قصيدة جرير قوله :

أَخْزَى الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعاً وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ

وفى هذه القصيدة يقول جرير :

وَقَضَتْ لَنَا مُضَرٌ عَلَيْكَ بِفَضْلِنَا وَقَضَتْ رَبِيعَةُ بِالقضاءِ الفَيْصَلِ

إِنَّ الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا عِزًّا عَلَاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مَنْقَلِ

اللغة : « إن الذى سمك السماء — البيت » سمك : رفع ، وأراد بالبيت بيت العز والشرف ، وقال الخلخالى : أراد بالبيت الكعبة ، وأطول : فسره ابن يعيش بأنه من الطول — بفتح الطاء وسكون الواو — الذى هو الفضل ، وليس من الطول — بضم الطاء — الذى هو ضد القصر « بيتاً زرارة محتب — البيت » بيتا ههنا بدل من بيت فى البيت السابق الذى هو بيت الشاهد ، وزرارة — بضم الزاى — هو زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، ومجاشع — بضم الميم — هو ابن دارم ، ونهشل — بزنة جعفر — هو ابن دارم أيضا ، ومحتب : اسم فاعل من الاحتباء ، وهو أن يجلس الرجل ناصبا قدميه وقد شدّ ركبتيه بثوبه أو بحمالة سيفه ، وأراد أنهم متمكنون فى بيت العز كتمكن المحتبى « يلجون بيت مجاشع — البيت » يلجون : مأخوذ من الولوج وهو الدخول ، والمثل — بتشديد الثاء مفتوحة — جمع ماثل ، مثل ركع وخشع ورضع ، فى جمع راكع وخاشع وراضع ، والماثل : هو القائم المنتصب « لايحتبى بفناء بيتك — البيت » الفعال — بفتح الفاء — الجميل .

الإعراب : « إن » حرف توكيد ونصب ، مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « الذى » اسم موصول اسم إن ، مبنى على السكون فى محل نصب « سمك » فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الاسم الموصول « السماء » مفعول به لسمك ، منصوب بالفتحة الظاهرة ، والجملة من الفعل الماضى وفاعله المستتر فيه ومفعوله لا محل لها من الإعراب صلة الموصول « بنى » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر ، لامحل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى

... ...

اسم إن « لنا » جار ومجرور متعلق ببنى « بيتا » مفعول به لبنى منصوب بالفتحة الظاهرة ، وجملة بنى وفاعله المستتر فيه ومفعوله فى محل رفع خبر إن « دعائمه » دعائم : مبتدأ مرفوع بالابتداء ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، ودعائم مضاف وضمير الغائب العائد إلى بيت مضاف إليه مبنى على الضم فى محل جر « أعز » خبر المبتدإ ، مرفوع بالمبتدإ ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، « وأطول » الواو حرف عطف ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وأطول : معطوف على أعز ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، والجملة من المبتدإ وخبره وما عطف عليه فى محل نصب صفة لقوله بيتا .

الشاهد فيه : يستشهد علماء البلاغة بهذا البيت على أن فيه جعل الإيماء إلى وجه بناء الخبر وسيلة إلى التعريض بالتعظيم لشأنه ، وذلك فى قوله : « إن الذى سمك السماء » فإن فيه إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه أمر من جنس الرفعة ، بخلاف ما إذا قيل : « إن الله بنى لنا » ونحوه ، ثم إن فى هذا تعريضا بتعظيم بنائه ، لكونه جعله من فعل الذى رفع السماء التى لا أرفع منها ولا أعظم ، وإدراك مثل ذلك يحتاج إلى لطف طبع وصفاء قريحة .

ويستشهد النحاة بهذا البيت فى قوله : « أعز وأطول » من وجهين :

الوجه الأول — وليس هو الوجه الذى جاء المؤلف بالبيت هنا من أجل الدلالة عليه — أنه قد ذكر أفعل التفضيل المجرد من أل ومن الإضافة ، ولم يذكر معه « من » جارة للمفضول عليه ، وهم يجعلون الكلام على أحد تقديرين : الأول : تقدير «من» هذه ، وكأنه قد قال : دعائمه أعز وأطول من دعائم بيتك ، أو قال : دعائمه أعز وأطول من السماء ، أو قال : دعائمه أعز من كل عزيز وأطول من كل طويل ، وما أشبه ذلك . وقد رووا أن الطرماح بن حكيم قال للفرزدق ، وقد سمع هذا البيت : أعز مم ؟ وأطول مم يا أبا فراس؟ وصادف حين هذا السؤال أن أذن المؤذن فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، فالتفت الفرزدق إلى الطرماح وقال له : يا لكع ، ألم تسمع مايقول المؤذن ؟ أكبر مم ؟ فقال الطرماح : أكبر من كل شيء ! فقال : وأنا أريد أعز من كل عزيز وأطول من كل طويل ! والتقدير الثانى : اعتبار أفعل التفضيل مضافا حذف منه المضاف إليه ، وهو منوى الثبوت ، وكأنه قال : بيتا دعائمه أعز الدعائم وأطولها . وهذا الوجه بتقديريه قد ذكره المحقق الرضى وجماعة من النحاة ، وقد سبق الرضى إلى ذلك القول الكسائى والفراء وهشام ، ووجه ما ذهب إليه هؤلاء ، عندهم ، أن صيغة أفعل لا تخلو قط عن الدلالة على التفضيل ، فإذا كانت الصيغة مجردة من أل والإضافة ، فإما أن تذكر معها «من» الجارة المفضول عليه ، وإما أن تكون مقدرة كما فى هذا البيت ، وجعلوه نظير قول معن بن أوس :

... ...

وَلاَ بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً، وَلَوْ صَدَقُوا، إلاَّ الَّذِى فِيكَ أَفْضَلُ

فإنه أراد إلا الذى فيك أفضل مما قالوه ووصفوك به ، ونظيرها قول الآخر :

إِذا مَاسُتُورُ الْبَيْتِ أُرْخِينَ لَمْ يَكُنْ سِرَاجٌ لَنَا إِلاَّ وَوَجْهُكَ أَنْوَرُ

ألا ترى أنه لا يريد « ووجهك منير » لأن السراج منير أيضا ، وإنما أراد إلا وجهك أنور من كل سراج ، ونظير ذلك قول مالك بن نويرة حين قتل بنو أسد عتيبة بن الحارث بن شهاب ، وفخر بنو أسد بقتله مع كثرة الذين قتلهم بنو يربوع قوم مالك منهم :

فَخَرَتْ بَنُو أَسَدٍ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ صَدَقَتْ بَنُو أَسَدٍ ، عُتَيْبَةُ أَفْضَلُ

فإن معناه — بغير شك — عتيبة أفضل من الذين قتلوهم جميعا ، حتى يكون ذلك فخرا لهم ، وإلا فكيف يفخرون بمقتل واحد وقد قتل فى بوائه العدد العديد ؟ وقد أبان الشاعر نفسه عن هذا المعنى فى البيت الذى بعده ، وذلك حيث يقول :

فَخَرُوا بِمَقْتَلِهِ ، وَلاَ يُوفِى بِهِ مَثْنَى سَرَاتِهِمُ الَّذِينَ نُقَتِّلُ

الوجه الثانى — وهو الوجه الذى ذكر الشارح البيت هنا للدلالة عليه ، وهو تابع فى ذلك لكثير من شراح الألفية منهم : ابن الناظم ، وابن عقيل — وحاصله أن «أعز وأطول» لا يقصد بواحد منهما الدلالة على المبالغة ، فليس واحد منهما باسم تفضيل فى المعنى وإن كان على وزنه ، وإنما المراد به الدلالة على الاتصاف بالعزة والطول من غير دلالة على مشاركة غير هذا البيت له فى هذين الوصفين وزيادته على ما شاركه فيهما ، فهما بمعنى عزيز وطويل . ولا يلتزم هؤلاء دلالة هذه الصيغة على التفضيل ، والذى يؤيد هذا أنه لو كان المقصود معنى التفضيل كما ذهب إليه الأولون ممن ذكرنا لكان الشاعر قد أقر لبيت جرير وغيره بالعزة والطول ، غاية ما فى الباب أنه قضى لنفسه بأن بيته أعز دعائم وأطول دعائم من بيت سواه ، ومقام الفخر والاستعلاء ، وذم جرير ، يقتضى ألا يقر لبيته بشىء من العزة والطول أصلا ، وذلك بخلاف مالو حملناه على ماذهب إليه شراح الألفية ، حيث يكون المعنى أن بيته وحده هو العزيز الدعائم الطويلها ، وأن بيت من عداه ليست فيه عزة ولا طول مطلقا . ولذلك نظائر كثيرة فى العربية نثرا ونظما ، فمن أبلغ ما ورد على ذلك من النثر الآيتان الكريمتان اللتان تلاهما الشارح ، ألا ترى أنك لو ذهبت إلى معنى التفضيل فيهما كنت قد أقررت بأن لغير الله تعالى علما بأحوالنا ، غير أن علم الله أكثر ، وكنت قد أقررت بأن إعادة هذا العالم هين على غير الله تعالى ، ولكن هون ذلك على الله جلت قدرته أقوى وأشد ، أو كنت قد أقررت

... ...

بأن بعض الأمور أكثر هونا على الله من بعضها عليه هو سبحانه ، وذلك مما لا يجوز المصير إليه ؟!
لاجرم وجب حمل الآيتين الكريمتين على معنى الصفة المجردة عن معنى المشاركة والزيادة ، حتى يصير المراد أن الله وحده هو الذى له العلم ، وأنه وحده هو الذى يسهل أمر إعادة العالم عليه . أو أن الأمور كلها هذا وغيره هينة عليه . ونظير ذلك من الشعر ما أنشده الشارح المحقق من الأبيات الشواهد ، وكذلك قول معن بن أوس :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِى وإِنِّى لَأَوْجَلُ عَلَى أَيِّنَا تَعْـدُو المنيةُ أَوَّلُ

وقول الأحوص :

يا دَارَ عاتِكَةَ الَّتِى أَتَعَزَّلُ حَذَرَ العِدَا وبِكِ الفُؤَادُ مُوَكَّلُ
إِنِّى لَأَمْنَحُكِ الصُّدُودَ وإِنَّنِى قَسَماً إِلَيْكِ، مَعَ الصُّدُودِ، لَأَمْيَلُ

وقول الآخر :

تَمَنَّى أُنَاسٌ أن أَمُوتَ ، وَإِن أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

وقول الآخر :

قَبَحْتُمُ يا آلَ زَيْدٍ نفرَا أَلْأَمَ قَوْمٍ أَصْغَرَا وأَكْبَرَا

نعم قد يجىء كلام يجوز فيه الوجهان ، من غير أن يختل المعنى أو يضعف ضعفا يجعله غير مقبول ، على كل واحد من الوجهين ، ومن ذلك قول عنترة بن شداد العبسى ، يخاطب عمارة بن زياد العبسى :

سَتَعْلَمُ أَيُّنَا لِلْمَوْتِ أَدْنَى إِذَا دَانَيْتَ لِى الْأَسَلَ الحِرَارَا

فإنه يجوز فى قوله : « أدنى » أن يكون أفعل تفضيل باقيا على أصل معناه ، وقد حذفت « من » والمفضول عليه المجرور بها ، والتقدير « أينا أدنى للموت من صاحبه » ويجوز أن يكون قد حذف المضاف إليه وهو ينويه ، والتقدير « أينا أدنانا للموت » كما يجوز أن يكون أفعل ههنا ليس اسم تفضيل ، بل هو على معنى الصفة المشبهة أو اسم الفاعل ، وكأنه — على هذا الوجه — قد قال : أينا قريب إلى الموت . والأسل — بفتح الهمزة والسين جميعا — أطراف الرماح ، والحرار — بكسر الحاء - جمع حرى ، بوزن : عطشى وعطاش ، وظمأى وظماء ، وبمعناه أيضا .

والذى ذهب إليه شراح الألفية قد قرره من قبلهم : أبو العباس المبرد ، وأبو عبيدة ؛ فأما أبو العباس المبرد ، فقال فى الكامل فى تفسير قوله تعالى : (يعلم السرّ وأخفى) ما نصه : « تقديره

وقوله :

٧٧٥ — * فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ *

فى العربية وأخفى منه ، والعرب تحذف مثل هذا ، فيقول القائل : مررت بالفيل أو أعظم ، وإنه كالبقة أو أصغر ، فأما قوله تعالى : (وهو أهون عليه) ففيــه قولان : أحدهما — وهو المرضى عندنا — إنما هو وهو هين عليه ، لأن الله جل وعز لا يكون شىء أهون عليه من شىء آخر ، وقال معن : * لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل * أراد وإنى لوجل ، وكذلك يكون ما فى الأذان الله أكبر الله أكبر ، لأنه إنما يفاضل بين الشيئين إذا كانا من جنس واحد ، فيقال : هذا أكبر من هذا ، إذا شاكله فى باب ، فأما قولنا : إن الله أجود من فلان ، والله أعلم بذلك منه ، فوجه بين لأنه من طريق العلم والمعرفة والبــذل والإعطاء ، وقوم يقولون : الله أكبر من كل شىء ، وليس يقع هذا على محض الرؤية ، لأن الله تبارك وتعالى ليس كمثله شىء ، وكذلك قول الفرزدق : * بيتا دعائمه أعز وأطول * جائز أن يكون قال للذى يخاطبه : أعز وأطول من بيتك ، فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة ، وجائز أن يكون المعنى دعائمه عزيزة وطويلة » . انتهى المقصود منه ، وقد بينا لك أن مقام الافتخار يأبى المعنى الأول الذى جوزه فى بيت الفرزدق. وأما أبو عبيدة فقد نقل أبو حيان كلامه فقال: « قال أبو عبيدة : قد يكون أفعل بمعنى فعيل وفاعل غير موجب تفضــيل شىء على شىء ، كقوله تعالى : (وهو أهون عليه) وكقول الأحوص : * قسما إليك مع الصدود لأميل * وكقول الفرزدق : * بيتا دعائمه أعز وأطول * وكقول الآخر : * فتلك سبيل لست فيها بأوحد * وزرى النحويون عليه هذا القول ، ولم يسلموا له هــذا الاختيار ، وقالوا : لا يخلو أفعل من التفضيل ، وعارضوا حججه بالإبطال ، وتأولوا ما استدل به » انتهى .

٧٧٥ — هذا عجز بيت من الوافر ، وصدره قوله :

* أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ *

وهذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت الأنصارى ، يقولها فى الذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يرد بها على أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان قد هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول قصيدة حسان التى منها بيت الشاهد قوله :

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ ... إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ

دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

... ...

وكانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ خِــلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشاء
فَدَعْ هٰذَا ، وَلٰـكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ يُؤَرِّقُنِى إِذَا ذَهَبَ العِشَــاء
لِشَــعْثاءَ الَّتِى قَدْ تَيَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنها شِـفاء

وقبل البيت المستشهد به قوله :

أَلا أَبْلِـغ أَبا سُفْيَانَ عَـنِّى فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاء
هَجَـوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وعِنْـدَ اللهِ فى ذاكَ الجَزاء
أَتَهْجُوهُ ولَسْتَ لهُ بِكُفْءٍ فشركما ... البيت ، وبعده :
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَــواء
فإِنَّ أَبى ووالِدَهُ وَعِرْضى لِعِرْضِ مُحَمَّـدٍ مِنْكُمْ وِقَاء
وحِلْفُ الحارِثِ بْنِ أَبِى ضِرَارٍ وحِلْفُ قُرَيْظَةٍ مِنَّا سَــواء
لِسَانِى صارِمٌ لَا عَيْبَ فيــهِ وَبَحْرِى لا تُـكَدِّرُهُ الدِّلاء

اللغة : «أتهجوه» الهجو — بفتح فسكون — ذكر معايب ومثالب للمهجو ، سواء أكانت فيه حقيقة أم كانت مما ابتدعه خيال الشاعر الهاجى ، ولا شك أن ما ذكره الحارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس صحيحا ، فإنه عليه الصلاة والسلام أنقى الناس عرضا وأكرمهم خلقا ، وأفضلهم شيمة ، فإن كان قد نسب إليه شيئا غير دعوته إلى الله وتسفيهه أحلام عبدة الأوثان ونحو ذلك ، مما كانوا يذكرونه عنه ، فهو كاذب مفتر ، فأما إن كان قد نسب إليه شيئا مما ذكرنا فهو مما يفتخر به « كفء » الكفء — بضم الكاف وسكون الفاء — هو المساوى والنظير ، وفى التنزيل قوله تعالى : (ولم يكن له كفوا أحد) .

المعنى : يقول حسان لأبى سفيان بن الحارث — وليس هو أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية والد معاوية بن أبى سفيان — : كيف اجترأت على أن تهجو الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مع أنك لست مساويا له ؟ ثم قال : إننى أدعو الله سبحانه أن يجعل الذى هو شر منكما فداء للذى هو خير منكما ، وهو يعلم أن الذى هو خير هو النبى ، والذى هو شر هو أبو سفيان ، ولكنه أبهم الأمر إنصافا لمن يخاطبه ، وهذا مما لا ينفر منه مخالف ولا موافق ، ونظيره أن تقول

... ...

لمن يجادلك : انتقم الله من المسيء منا ، والذروة فى هـذا الباب قوله تعالى : (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

الإعراب : «أتهجوه» الهمزة للاستفهام حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، تهجو : فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل ، والفاعل ضمير مستتر فيـه وجوبا تقديره أنت ، وضمير الغائب العائد إلى النبى صلى الله عليـه وسلم مفعول به مبنى على الضم فى محل نصب « ولست » الواو واو الحال ، حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، ليس : فعل ماض ناقص ، وتاء المخاطب اسمه مبنى على الفتح فى محل رفع « له » جار ومجرور متعلق بكفء الآتى « بكفء » الباء حرف جر زائد مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، كفء : خبر ليس ، منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، والجملة من ليس واسمه وخبره فى محل نصب حال « شركما » شر : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه مبنى على الضم فى محل جر ، والميم حرف عماد ، والألف حرف دال على التثنيـة « لخيركما » الجار والمجرور متعلق بفداء ، وخير مضاف وكاف المخاطب مضاف إليه ، والميم حرف عماد ، والألف حرف للدلالة على تثنية المخاطب هنا «الفداء» خبر المبتدإ مرفوع بالمبتدإ ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « شركما لخيركما » فإن شرا وخيرا فى هذا البيت لا يقصد به الدلالة على معنى اتفاق كل واحد منهما مع الآخر فى الخير ، وزيادة أحدهما فيه على صاحبه ، واتفاق كل واحد منهما مع الآخر فى الشر ، وزيادة أحدهما على صاحبه فيـه ، وكيف يتصور أن حسان بن ثابت العارف بقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه خير محض ، ولا شر فيه أصلا ـ يقصد هذا المعنى ؟ وإذ كان لا يقصد بهاتين الكلمتين معنى التفضيل لفساده ، فكل لفظ منهما يدل على مجرد ثبوت الوصف لمن يتعلق به ، فيكون المراد : الذى هو شر ، والذى هو خير ، أى الذى ثبت له وصف الشر والذى ثبت له وصف الخير ، وهو معنى الصفة المشبهة .

وقد استدل الشارح بهذا البيت على أن « شركما وخيركما » اسما تفضيل فى اللفظ ، وقد خرج كل واحد منهما من جهة المعنى عن الدلالة على معنى المبالغة إلى الدلالة على مجرد ثبوت أصل الوصف فيكون كالبيتين قبله دليلا لما ذهب إليه جماعة من النحاة منهم المبرد وأبو عبيدة وشراح الألفية ، من أن اسم التفضيل قد يجىء عاريا عن معنى الزيادة ، خلافا للكسائى ، والفراء ، وهشام ، ومن لف لفهم .

هذا بيان ما ذكر الشارح البيت هنا لأجل الدلالة عليه ، ونحن نسلم أن معنى خير وشر فى هذا

وقاسه المبرد[١] ، وقال فى التسهيل : والأصح قَصْرُهُ على السماع ، وحكى ابن الأنبارىّ[٢] عن أبى عُبَيْدَةَ القولَ بورود أفعل التفضيل مؤوّلاً بما لا تفضيل فيه ، قال : ولم يُسَلِّم له النحويون هذا الاختيار ، وقالوا : لايخلو أفعل التفضيل من التفضيل ، وتأولوا ما استدل به .

قال فى شرح التسهيل : والذى سُمع منه ، فالمشهور فيه التزام الإفراد والتذكير ، وقد يُجْمَع إذا كان ما هو له جمعا ، كقوله :

٧٧٦ — إذا غابَ عنكمْ أســـودُ العين كنتمُ
كراماً ، وأنـــتُمْ ما أقامَ ألائمُ

البيت لايجوز أن يكون معنى التفضيل ، وأن المراد به مجرد ثبوت الخيرية والشرية ، ولكنا لانسلم أن خيرا وشرا فى هذا البيت أفعل تفضيل لفظا ، وأن أصلهما أخير وأشر فحذفت الهمزة تخفيفا لكثرة الاستعمال فى هذين اللفظين ، بل يجوز عندنا أن يكون خير وشر على زنة فعل كشهم ، ويكون كل منهما صفة مشبهة من أول الأمر ، وهذا أولى وأحسن من أن ندعى أن أصلهما بالهمزة ثم حذفت الهمزة ، ولو أننا كنا سندعى أن أصلهما بالهمزة لأن المعنى على التفضيل لهان الخطب ، فأما أن ندعى أن أصلهما بالهمزة وأن هذه الهمزة قد حذفت ، ثم ندعى أن المعنى ليس على ما فيه الهمزة ، فشىء يشبه نقض ما نحاول إثباته ، فافهم ذلك فإنه دقيق .

(١) الذى نختاره فى هـذا الموضع مذهب المبرد ، وذلك لكثرة الشواهد الواردة فى هذه المسألة ، كثرة لاتجعل مجالا للتردد فى الأخذ بها .

(٢) قد نقلنا لك فى شرح بيت الفرزدق — وهو الشاهد رقم ٧٧٤ — عبارة أبى عبيدة التى حكاها الشارح ، عن أبى حيان ، ولم نعثر على كلام ابن الأنبارى .

٧٧٦ — هذا أول بيتين من الطويل ، أنشدهما أبو على القالى فى أماليه ولم ينسبهما ، وثانى البيتين قوله :

يُحَدِّثُ رُكْبَانُ الحَجِـــيجِ بِلُؤْمِكُمْ وَتَقْرِى بِهِ الضَّيْفَ اللِّقَـــاحُ الْعَوَائِمُ

وقد أنشد بيت الشاهد ابن منظور فى اللسان (ل أم) ولم ينسبه ، وأنشده أيضاً ياقوت الحموى فى مادة : (أسود العين) ولم ينسبه ، ونسبه العينى فى شرح الشواهد الكبرى إلى الفرزدق ، وقد بحثت ديوان الفرزدق من أوله إلى آخره فلم أجده فيه .

اللغة : « أسود العين » قال ابن منظور : « وأسود العين : جبل معروف » وقال ياقوت :

... ...

« أسود العين — بلفظ العين الباصرة — جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة ، أنشد القالى عن ابن دريد عن أبى عثمان ... وذكر البيت » وقوله : « كراما » هو جمع كريم، وقوله : « ألائم » جمع ألأم ، وهو الشديد اللؤم ، قال ابن منظور : « وقد لؤم الرجل — بالضم — يلؤم ، لؤما ، وملأمة ، ولآمة ، فهو لئيم من قوم لئام ولؤماء ، وملأمان . وقد جاء فى الشعر ألائم ، على غير قياس ، قال ... وذكر البيت » .

هـذا ، ورواية اللسان فى صدر البيت * إذا زال عنكم أسود العين * ورواية ياقوت : * إذا ما فقدتم أسود العين *

المعنى : قال ياقوت : « والجبل لايغيب ، يقول : فأنتم لئام أبدا » اهـ . يعنى أن الشاعر ذم هؤلاء بأنهم لايكونون كراما إلا أن يزول الجبل عن موضعه أو يفقدوه ، وأنهم لئام مدة إقامة الجبل فى موضعه ، ولما كان الجبل لايزول عن موضعه فكأنه يقول لهم : إنكم لئام أبد الدهر ، وعندى أنه يحتمل هذا المعنى ، ويحتمل معنى آخر ، وحاصله أنهم يكونون كرام الأخلاق إذا ما حلوا فى أرض غير أرضهم يتملقون الناس الذين يحلون بينهم ، فأما إذا كانوا فى بلادهم ولم يكونوا مغتربين ، فإنهم يظهرون على طبيعتهم من اللؤم والوضاعة، وهذا المعنى الثانى أفضل .

الإعراب : « إذا » ظرف لما يستقبل من الزمان ، خافض لشرطه منصوب بجوابه ، مبنى على السكون فى محل نصب « غاب » فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « عنكم » جار ومجرور متعلق بغاب « أسود » فاعل غاب مرفوع بالضمة الظاهرة، وهو مضاف و «العين» مضاف إليه ، وجملة الفعل الماضى الذى هو غاب وفاعله فى محل جر بإضافة إذا الظرفية الشرطية إليها «كنتم» كان : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمه مبنى على الضم فى محل رفع « كراما » خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة « وأنتم » الواو حرف عطف ، وضمير المخاطبين مبتدأ « ما » مصدرية ظرفية حرف مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « أقام » فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيـه جوازا تقديره هو ، يعود إلى أسود العين ، وما مع ما دخلت عليه فى تأويل مصـدر يقع مضافا إليه لاسم زمان منصوب بألائم على الظرفيـة ، وتقدير الكلام : وأنتم ألائم مدة إقامته « ألائم » خـبر المبتدإ مرفوع بالمبتدإ ، وعـلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : «ألائم» فإنه جمع ألأم الذى هو اسم تفضيل مجرد من أل ومن الإضافة ، وإنما جاز جمعه لأنه انسلخ عن معنى التفضيل ، ولأنه خبر عن جمع ، فلما انسلخ عن معنى التفضيل صار كاسم الفاعل وكالصفة المشبهة ، وكل منهما يوافق ما يجرى عليه ، على ما بيناه فى شرح بيت

قال : و إذا صَحَّ جمعُه لتجرده من معنى التفضيل جاز أن يؤنث ، فيكون قول ابن هانئ :
* كأن صغرى وكبرى من فقاقعها * صحيحاً ، اه .

(وَإنْ تَكُنْ بِتِلْوِ مِنْ) الجارّة (مُسْتَفْهِماً * فَلَهُمَا) أى : لِمِنْ ومجرورها المستفهَم به (كُنْ أَبَدًا مُقَدِّما) على أفعل التفضيل ، لا على جملة الكلام كما فعل المصنف ، إذ يلزم على تمثيله الفصلُ بين العامل ومعموله بأجنبى ، ولا قائل به (كَمِثْلِ : مِمَّنْ أَنْتَ خَيْرٌ ؟) وَمِنْ أَيِّهِمْ أَنْتَ أَفْضَلُ ؟ ومِنْ كَمْ دَرَاهِمُكَ أَكْثَرُ ؟ وَمِن غُلامِ أَيِّهِمْ أَنْتَ أَفضلُ ؟ لأن الاستفهام له الصَّدْرُ .

(وَلَدَى * إِخْبَارِ) أى : وعند عدم الاستفهام (التَّقْدِيمُ نَزْرًا وُجِدَا) كقوله :

٧٧٧ — فَقَالَتْ لَنَا : أَهْــلاً وَسَهْلاً ، وزَوَّدَتْ
جَنَى النَّحْــلِ ، بَلْ مَا زَوَّدَتْ مِنْهُ أَطْيَبُ

أبى نواس السابق فى هذا الباب — وهو الشاهد رقم ٧٧٣ — قال ابن مالك ، فيما نقله الشارح عنه : « وإذا جاز جمع أفعل المجرد من معنى التفضيل جاز تأنيثه ، فقول أبى نواس :
* كأن صغرى وكبرى من فقاقعها * صحيح ، لا لحن فيه » اه . وهذا هو الذى حملنا قول أبى نواس عليه فيما مضى من الكلام .

ونظير هذا البيت قول أعرابى يمدح عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الجواد :

تَوَسَّمْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ مَهَــابَةً عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : المَرْءُ مِنْ آلِ هَاشِمِ
وَإلاَّ فَمِنْ آلِ المُرَارِ ، فَإِنَّهُمْ مُلُوكٌ عِظَامٌ مِنْ مُلُوكٍ أَعَاظِــمِ

٧٧٧ — هذا بيت من الطويل ، وهو ثالث خمسة أبيات للفرزدق همام بن غالب ، وكان قد نزل ضيفا عند هربه من زياد بامرأة من بنى ضبة ، واسمها مية ، فلم تقره ولم تحمله ، ولم تزوده ، فأتى ديار بنى ذهل بن ثعلبة ، فتلقته امرأة منهم اسمها عزيزة ، فقرته وأحسنت ضيافته وحملته ، وأعطته زادا يتبلغ به فى سفره ، فقال فى ذلك :

أَلَمْ تَرَهَا أَسْعَى مَعَ ابْنِي وعِنْدَهَا مُعَــنًّى حشاوى السَّنَامِ وَمُصْعَبُ
أَتَتْنَا بِتَعْضُوضٍ وَأَفْقَرَنَا ابْنُهَا مَرُوحًا بِحَبْلَيْهَا تَجُولُ وتَذْهَبُ

... ...

وَقَالَتْ لَنَا أَهْــلاً وَسَهْلاً وَزَوَّدَتْ جَنَى النَّحْلِ، بَلْ مَازَوَّدَتْ مِنْهُ أَطْيَبُ

لَأُخْتُ بَنِي ذُهْـــلٍ غَدَاةَ أَتَيْتُهَا عُزَيْزَةُ فِينَا مِنْـــكِ يَا مَيُّ أَرْغَبُ

أَبُوهَا ابْنُ عَمِّ الشَّعْثَمَيْنِ ، وَحَسْبُهَا إِذَا كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ ذُهْلٍ لَهَا أَبُ

اللغة : « ألم آتها أسعى — البيت » المعى : البعير المحبوس ، وحشاوى السنام : ضخمه ، والمصعب — بضم الميم وسكون الصاد وفتح العين — الفحل الكريم على أهله « أتتنا بتعضوض — البيت » التعضوض : ضرب من التمر ، وهو تمر حلو أسود ، وواحدته تعضوضة بهاء ، وأفقرنا : أعارنا دابة نسافر عليها ، والمروح : الناقة للرحة ، يقول : أعطانا ناقة مرحة وحبالا نشد بها متاعنا « وقالت لنا : أهلا وسهلا — البيت » أصل الأهل قوم الرجل وأتباعه ، وأرادت أنه وجد قوما يشبهون أهله فى محبته والعطف عليه ، وسهلا : صفة من السهولة ، وتقع صفة لموصوف محذوف : أى نزلتم مكانا سهلا ، وزودت : أصل معناه أعطت الزاد الذى يتبلغ به المسافر ، وجنى النحل : العسل ، وأراد به حديثها العذب الذى تلطفت معه به ، أو أراد الزاد الذى قدمته أو الذى منحته عند ارتحاله على ماسبق بيانه «أبوها ابن عم الشعثمين — البيت» الشعثمان : هما : شعثم وعبد شمس ابنا معاوية ، ولكنه عند التثنية غلب شعثما ، لأنه مفرد وعبد شمس مركب إضافى .

الإعراب : « قالت » فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على التأنيث « لنا » جار ومجرور متعلق بقال «أهلا» مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير : لقيتم أهلا «وسهلا» الواو حرف عطف ، وسهلا : صفة لموصوف محذوف يقع مفعولا به لفعل محذوف، وتقدير الكلام : وحللتم مكانا سهلا ، والواو قد عطفت هذه الجملة على الجملة السابقة « وزودت » الواو حرف عطف ، زود : فعل ماض ، فاعله ضمير مستترفيهجوازا تقديره هى ، والتاء علامة على تأنيث الفاعل « جنى » مفعول به لزودت ، منصوب بفتحة مقدرة على الألف ، منع من ظهورها التعذر ، وهو مضاف و « النحل » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « بل » حرف إضراب مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « ما » اسم موصول مبتدأ ، مبنى على السكون فى محل رفع « زودت » فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى ، والتاء حرف دال على تأنيث الفاعل ، والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول ، والعائد محذوف ، والتقدير : بل الذى زودته «منه» جار ومجرور متعلق بأطيب الآتى « أطيب » خبر المبتدإ الذى هو الاسم الموصول : أى بل الذى زودته أطيب من جنى النحل .

وقوله :

٧٧٨ — وَلاَ عَيْبَ فِيها غَيْرَ أَنَّ سَرِيعَهَا   قَطُوفٌ ، وَأَنْ لاَ شَيْءَ مِنْهُنَّ أَكْسَلُ

الشاهد فيه : قوله : «منه أطيب» حيث قدم «من» الجارة للمفضول المتعلقة بأفعل التفضيل ، على أفعل التفضيل الذى تتعلق به «من» ، فى كلام خبرى ، أى ليس استفهاما ، وذلك التقديم قليل عند ابن مالك ، وهو عند الجمهور خاص بضرورة الشعر كما نص عليه ابن هشام والمحقق الرضى ، فإن كان مجرور « من » اسم استفهام كان التقديم كثيرا فى الشعر والنثر جميعا .

ولا يخفاك أن الاستشهاد على هذه المسألة بهذا البيت إنما يتم بمراعاة ثلاثة أمور : الأول : أن تكون « من » جارة للمفضول ، والثانى : أن يكون الضمير المجرور بها محلا عائداً على جنى النحل ، والثالث : أن يكون متعلق « من » هو قوله « أطيب » ؛ فإن اختل واحد من هذه الأمور الثلاثة لم يتم الاستشهاد ، فإن جعلت « من » متعلقة بزودت كان الضمير المجرور محلا بمن عائدا على « ما » الموصولة ، ولم تكن « من » جارة للمفضول ، ويكون التقدير : بل زودتنا منه أطيب من جنى النحل ، فيكون من باب حذف المفضل عليه مع « من » الجارة له ، كما تقدم من الشواهد والمثل فى أثناء شرح بيت الفرزدق ، وهو الشاهد رقم ٧٧٦ .

ومما جاء ، وفيه تقديم « من » الجارة للمفضول على أفعل التفضيل فى غير الاستفهام ، قول ابن دريد فى مقصورته :

وَاسْتَنْزَلَ الزَّبَّاء قَسْرًا وَهْىَ مِنْ   عُقَابِ لُوحِ الْجَوِّ أَعْــلَى مُنْتَمَى

قال ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة : « من عقاب : متعلق بأعلى ، وإنما قدمه ضرورة ، لأن أفعل لا يقوى قوة الفعل فيعمل عمله فيما قبله ، فلا يجوز أن تقول : من زيد أنت أفضل ، فتقدم الجار عليه ، لضعفه ، إلا أنه جاز هنا للضرورة ، وقال الفرزدق :

* وقالت لنا : أهلا وسهلا ... البيت * » اهـ كلامه .

٧٧٨ — هذا بيت من الطويل ، وهو من قصيدة طويلة مستجادة لذى الرمة غيلان بن عقبة ، ومطلع هذه القصيدة قوله :

أَلِلرَّبْعِ ظَلَّتْ عَيْنُكَ المَاءَ تَهْمِلُ   رِشَاشاً كَما اسْتَنَّ الْجُمانُ الْمُفَصَّلُ

لِعِرْفَانِ أَطْلالٍ كَأَنَّ رُسُــومَهَا   بِوَهْبِينَ وَشْىٌ أَوْ رِدَاءٌ مُسَلْسَلُ

وقبل البيت المستشهد به ههنا قوله :

... ...

قِصارُ الخُطَا يَمْشِينَ هَـوْناً كأنَّها دَبِيبُ القَطَا بَلْ هُنَّ فى الوَعْثِ أَوْحَلُ
إذا نَهَضَتْ أعجـازُها حرجَتْ بِهَا بِمُبْتَهِراتٍ غَـيْرَ أَلاَّ تَخَزَّلُ
وَلا عَيْبَ فيها غَـيْرَ أَنَّ قَطُوفَها سَرِيـعٌ ... البيت »

اللغة : « ألِلربع ظلت عينك — البيت » تهمل : أى تسيل ، والرشاش : ماترشش وتقاطر من الدمع والماء ونحوهما ، واستن : تفرق ، والجمان — بضم الجيم — جمع جمانة ، وهى حبة من فضة كالدرة « لعرفان أطلال — البيت » العرفان — بكسر فسكون — المعرفة ، والأطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص وارتفع من آثار الديار ، فأما ما كان لاطئا بالأرض فهو رسم « قصار الخطا — البيت » الوعث — بفتح الواو وسكون العين المهملة — المكان السهل اللين ، جعلهن قصار الخطا لأنهن بدينات من أثر النعمة والرخاء « إذا نهضت أعجازها — البيت » تخزل : تمشى مشية فيها تفكك « ولا عيب فيها — البيت » يطلق العيب على كل صفة تضع من قدر الموصوف بها ، سواء أكانت من الصفات الحسية أم كانت من الصفات المعنوية ، والقطوف — بفتح القاف ، بزنة رسول وصبور وشكور — البطىء المشى المتقارب الخطو ، وأراد نساء متمهلات فى سيرهن ، وأكسل : أفعل تفضيل من الكسل ، وهو التثاقل عن العمل والفتور فيه ، وذلك محمود عند العرب فى النساء ، إذ كن يمدحن بكثرة النوم والكسل وعدم القيام لحاجاتهن لأن ذلك عندهم دليل النعمة وعلامة على أنهن مخدومات فلا حاجة بهن إلى العمل ، انظر إلى قول امرىء القيس بن حجر الكندى مثلا :

وَتُضْحِى فَتِيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِراشِها نَؤُومُ الضحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَن تَفَضُّلِ

الإعراب : « لا » نافية للجنس تعمل عمل إن ، حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « عيب » اسم لا ، مبنى على الفتح فى محل نصب « فيها » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لا « غير » منصوب على الاستثناء « أن » حرف توكيد ونصب « سريعها » سريع : اسم أن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وسريع مضاف ، وضمير الغائبة مضاف إليه « قطوف » خبر أن مرفوع بالضمة الظاهرة ، وأن مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بإضافة غير إليه « وأن » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، أن : حرف توكيد ونصب مخفف من الثقل مبنى على السكون لامحل له من الإعراب ، واسمه ضمير شأن محذوف « لا » حرف دال على نفى الجنس مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « شىء » اسم لا النافية للجنس « منهن » جار ومجرور متعلق بأكسل الآتى « أكسل » خبر لا النافية للجنس مرفوع بالضمة

وقوله :

٧٧٩ — إذا سايَرَتْ أسْماءُ يَوْماً ظَعِينَةً ... فأَسْماءُ مِنْ تِلْكَ الظَّعِينَةِ أَمْلَحُ

الظاهرة ، وجملة لا واسمها وخبرها فى محل رفع خبر أن المخففة ، وأن المخففة واسمها وخبرها فى تأويل مصدر مجرور معطوف على المصدر المجرور بإضافة غير إليه ، وتقدير الكلام كله : لاعيب فى هؤلاء النساء ، غير كون السريع منهن بطيئا ، وغير كسلهن الزائد عن كل كسل .

وإذ قدعرفت أن العرب تتمدح بوصف النساء بالكسل وبالفتور وبكثرة النوم ، وأن إحداهن لاتقوم لحاجتها ، فإنه يسهل عليك أن تعرف أن هذا البيت يشتمل على النوع المعروف فى البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم نظير قول النابغة الذبيانى :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكتائبِ

الشاهد فيه : قوله : « منهن أكسل » حيث قدم « من » الجارة للمفضول المتعلقة بأفعل التفضيل ، على أفعل التفضيل الذى تتعلق به «من» ، مع أن مجرور « من » ليس اسم استفهام ، وهو نظير البيت السابق — وهو الشاهد رقم ٧٧٧ — ونظير بيت ابن دريد الذى أنشدناه هناك ، والكلام فيه كالكلام فيهما .

٧٧٩ — هذا بيت من الطويل ، وهو من قصيدة طويلة مستجادة لجرير بن عطية بن الخطفى وأول هذه القصيدة قوله :

أَجَدَّ رَوَاحُ الْقَوْمِ أَمْ لَا تَرَوُّحُ ... نَعَمْ كُلُّ مَنْ يُعْنَى بِجُمْلٍ مُتَرَّحُ
إذا ابْتَسَمَتْ أَبْدَتْ غُرُوباً كأَنَّها ... عَوارِضُ مُزْنٍ تَسْتَهِلُّ وَتَلْمَحُ
لَقَدْ هاجَ هٰذا الشَّوْقَ عَيْنٌ مَرِيضَةٌ ... أجالَتْ قَذًى ظَلَّتْ بِهِ الْعَيْنُ تَمْرَحُ
بِمُقْلَةِ أَقْنَى يَنْفُضُ الطَّلَّ باكِرٍ ... تَجَلَّى الدُّجَى عَنْ عَيْنِهِ حِينَ يُصْبِحُ
وَأَعْطَيْتُ عَمْرًا مِنْ أُمامَةَ حُكْمَهُ ... وَلَلْمُشْتَرِى مِنْهُ أُمامَةُ أَرْبَحُ
صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ بَرَّحَتْ بِهِ ... وَمَا كانَ يَلْقَى مِنْ تُماضِرَ أَبْرَحُ
رَأَيْتُ سُلَيْمَى لا تُبالِى الّذِى بِنا ... وَلَا عَرَضاً مِنْ حاجَةٍ لَا تُسَرِّحُ
إذا سايَرَتْ أَسْماءُ يَوْماً ظَعائِناً ... فأسماء ... البيت ، وبعده :
ظَلِلْنَ حَوالَىْ خِدْرِ أَسْماءَ ، وَانْتَحَى ... بِأَسْماءَ مَوَّارُ المِلاطَيْنِ أَرْوَحُ

... ...

تَقُولُ سُلَيْمَى : لَيْسَ فى الصَّرْمِ راحَةٌ   بَلَى إِنَّ بَعْضَ الصَّرْمِ أَشْفَى وأَرْوَحُ
أُحِبكِ ، إن الحُبَّ داعِيَةُ الهَوَى   وَقَدْ كادَ ما بَيْنِى وَبَيْنَكِ يَنْزَحُ
ألا تَزْجُرِينَ الْقَائِلِينَ لِىَ الخَنَا   كما أَنَا مَغْنِىٌّ وَراءَكِ مُنْفِحُ

اللغة : « أجد رواح القوم — البيت » يروى « أجد رواح البين — إلخ » والمترح — بضم الميم وتشديد الراء المفتوحة — اسم مفعول من قولهم : «ترحه الله» بالتضعيف — ومعناه أحزنه ، وفى البيت عطفت الجملة الاسمية على الجملة الفعلية « إذا ابتسمت أبدت غروبا — البيت » أبدت : أظهرت ، والغروب : جمع غرب ، وهو الحز يكون فى سن الأحداث ، وأراد أنها إذا ابتسمت ظهرت أسنانها فدلت على أنها لاتزال صغيرة السن ، والعوارض : جمع عارض ، وهو السحاب ، وتستهل : يسمع لها صوت من المطر الذى يصاحبها ، وتلمح : تضىء وتبرق « لقد هاج هــذا الشوق — البيت » هاج الشوق : أثاره وبعثه من مكامنه ، وعين مريضة : أراد أنها متكسرة ، وهذا مما يمدح ليكون أدل على الحياء ، وتمرح : مضارع مرحت العين — من باب فرح — إذا طال بكاؤها وتتابع دمعها « بمقلة أقنى » المقلة : العين ، والأقنى : الذى ارتفع وسط أنفه ، وتجلى : انكشف ، والدجى — بضم الدال مقصورا — ظلمة الليل « صحا القلب عن سلمى — البيت » برحت به : شقت عليــه وأجهدته ، وأبرح : أشــد مشقة منه « إذا سايرت أسماء — البيت » سايرت : سارت معهن ، والظعينة — بفتح الظاء المعجمة — المرأة ، وأصلها المرأة فى الهودج ، يريد أنه كلما سارت أسماء مع نساء ظهر حسنها وتفوقها فى الملاحة عمن تسايرهن « ظللن حوالى خدر أسماء — البيت » انتحى بها : قصد ، والموار : الـكثير الحركة ، والملاط — بكسر الميم ، بزنة الـكتاب — جانب الســنام ، ويوصف الجمل النجيب بأنه رخو الملاط ، وموار الملاط ، يراد أنه كثير الحركة ، ونظير ذلك قول الآخر :

فَبَيْنَاهُ يَشْرِى رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ :   لِمَنْ جَمَــلٌ رِخْوُ المِلاَطِ نَجِيبُ

والأروح : الواسع مابين القوائم « تقول سليمى ليس فى الصرم راحة — البيت » الصرم : القطيعة والتهاجر ، وقوله « بلى إن بعض الصرم أشفى وأروح » معناه أن بعض القطيعة أشفى من آلام العشق وبرحائه ، وأبعث إلى الروح والراحة «أحبك إن الحب داعية الهوى — البيت» ينزح : يبعد أو ينضب كما ينضب الماء « ألا تزجرين — البيت » تزجرين : تكفين وتمنعين ، والخنا : كل مالا ينبغى أن يقال ، ومنفح : مدافع .

الإعراب : « إذا » ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه مبنى على

(ورَفْعُهُ الظَّاهِرَ نَزْرٌ) أى : أفعلُ التفضيلِ يرفع الضمير المستتر فى كل لغة ، ولا يرفع اسماً ظاهراً ولا ضميراً بارزاً إلا قليلا ، حكى سيبويه : مررتُ برجل أكْرَمَ منه أبوه ، وذلك لأنه ضعيفُ الشبَهِ باسم الفاعل ، من قِبَلِ أنه فى حال تجريده لا يؤنث ولا يُثَنَّى ولا يُجْمَع ، وهذا إذا لم يُعَاقِب فعلاً، أى: لم يَحْسُن أن يقع موقِعَه فعلٌ بمعناه(ومَتَى * عاقَبَ فِعْلاً فكَثِيراً) رَفْعُهُ الظاهرَ (ثَبَتَا) وذلك إذا سبقه نفىٌ ، وكان مرفوعه أجنبياً ، مُفَضَّلاً على نفسه باعتبارين نحو : ما رأيتُ رجلاً أحْسَنَ فى عَيْنِه الكُحْلُ منه فى عينِ زيدٍ ، فإنه يجوز أن يقال : ما رأيت رجلا يَحْسُنُ فى عينه الكحلُ كحسنه فى عين زيد ، لأن أفعل التفضيل إنما قَصُرَ عن رَفْع الظاهر لأنه ليس له فعل بمعناه ، وفى هذا المثال يصحُ أن يقع موقعَهُ فعلٌ بمعناه ، كما رأيت ، وأيضاً فلو لم يُجْعَل المرفوع فاعلا لوجب كونه مبتدأ ، فيلزم الفصلُ بين أفعل ومِنْ بأجنبى .

والأصل أن يقع هذا الظاهر بين ضميرين : أولهما للموصوف ، وثانيهما للظاهر ، كما رأيت ، وقد يحذف الضمير الثانى وتدخل مِنْ : إما على الاسم الظاهر ، أو على محله ، أو على ذى المحل ،

السكون فى محل نصب «سايرت» فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وتاء التأنيث حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « أسماء » فاعل ساير مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « يوماً » ظرف زمان متعلق بساير منصوب بالفتحة الظاهرة « ظعينة » مفعول به لساير منصوب بالفتحة الظاهرة «فأسماء» الفاء واقعة فى جواب إذا . أسماء : مبتدأ مرفوع بالابتداء ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة «من» حرف جر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « تلك » اسم الإشارة مجرور المحل بمن ، والجار والمجرور متعلق بأملح الآتى ، واللام للبعد ، والكاف حرف خطاب « الظعينة » بدل من اسم الإشارة مجرور بالكسرة الظاهرة « أملح » خبر المبتدإ والجملة من المبتدإ والخبر لا محل لها جواب إذا .

الشاهد فيه : قوله « من تلك الظعينة أملح » حيث قدم من الجارة للمفضول المتعلقة بأفعل التفضيل ، على أفعل التفضيل الذى تتعلق به ، مع أن مجرور « من » هذه ليس اسم استفهام ، وهو نظير الشاهدين السابقين وما ذكرناه معهما من الأمثال ، وقد عرفت اختلاف العلماء فى أن ذلك قليل لم يصل إلى حد الضرورة أو ضرورة لا يجوز للمتكلم أن يتكلم به إلا أن تلجئه ضرورة شعرية إليه ، فلا حاجة إلى إعادة شىء منه .

فتقول : مِنْ كُحْلِ عينِ زيدٍ، أو من عينِ زيدٍ ، أو مِنْ زيدٍ، فتحذف مضافاً أو مضافين ، وقد لا يؤتى بعد المرفوع بشيء ، نحو : مارأيتُ كَعَيْنِ زيدٍ أحْسَنَ فيها الكحلُ ، وقالوا : ما أحدٌ أحْسَنَ به الجميلُ من زيدٍ ، والأصل ما أحد أحسن به الجميلُ من حسن الجميل بزيد ، ثم أضيف الجميل إلى زيد لملابسته إياه ، ثم حذف المضاف الأول، ثم الثانى ، ومثله قولُه عليه الصلاة والسلام : « مَامِنْ أَيَّامٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ فِيهاَ الصَّوْمُ مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ » والأصل : من محبة الصومِ فى أيام العَشْر ، ثم من محبة صوم أيام العَشر ، ثم من صوم أيام العشر ، ثم من أيام العشر ، وقولُ الناظم :

(كَلَنْ تَرَى فى النَّاسِ مِنْ رَفِيقِ   أَوْلَى بِهِ الْفَضْــلُ مِنَ الصِّدِّيقِ)

والأصل : مِنْ ولاية الفَضْلِ بالصِّديق ، ففُعِلَ به ماذكر .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : إنما امتنع نحو « رأيت رجلاً أحسنَ فى عينه الكحلُ منه فى عين زيد » ، ونحو « مارأيت رجلاً أحسنَ منه أبوه » ، وإن كان أفعل فيهما يصح وقوع الفعل موقعه لأن المعتَبَرَ فى اطّراد رفع أفعل التفضيل الظاهِرَ جوازُ أن يَقَعَ موقعه الفعلُ الذى بُنى منه مُفيداً فائدتَهُ ، وهو فى هذين المثالين ليس كذلك ، ألا ترى أنك لو قلت : « رأيت رجلا يحسن فى عينه الكحل كحسنه فى عين زيد » ، أو « يحسن فى عينه الكحل كحلا فى عين زيد » بمعنى يفوقه فى الحسن ، فاتَتِ الدلالةُ على التفضيل فى الأول وعلى الغريزة فى الثانى ، وكذا القول فى « مارأيت رجلا يحسن أبوه كحسنه » إذا أتيت فى موضع أحسن بمضارع حَسُنَ حيث تفوت الدلالة على التفضيل ، أو قلت : « مارأيت رجلا يحسنه أبوه » ، فأتيت موضع أحسن بمضارع حَسَنَه إذا فاقه فى الحسن حيث تغير الفعل الذى بنى منه أحسن ، ففاتت الدلالة على الغريزة المستفادة من أفعل التفضيل ، ولورُمْتَ أن توقع الفعل موقع أحسن على غير هذين الوجهين لم تستطع .

الثانى : قال فى شرح التسهيل : لم يَرِدْ هذا الكلامُ المتضمنُ ارتفاعَ الظاهر بأفعلَ إلا

بعد نفى ، ولا بأس باستعماله بعد نهى أو استفهام فيه معنى النفى ، كقوله : لا يكن غَيْرُكَ أَحَبَّ إليه الخيرُ منه إليك ، وهل فى الناس رَجُلٌ أَحَقُّ به الحمدُ منه بمحسن لا يَمُنُّ .

الثالث : قال فى شرح الكافية : أجمعوا على أنه لا ينصب المفعول به ، فإن وُجد ما يُوهم جوازَ ذلك جُعل نصبهُ بفعل مقدر يُفَسِّره أفعل ، نحو « اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاَتِهِ » فحيث هنا مفعول به لا مفعول فيه ، وهو فى موضع نصب بفعل مُقَدَّرٍ يدل عليه أعلم ، ومنه قوله :

٧٨٠ — * وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا *

وأجاز بعضهم أن يكون أفعل هو العامل لتجرده عن معنى التفضيل ، انتهى .

---

٧٨٠ — هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ *

وهذا البيت من قصيدة للعباس بن مرداس السلمى ، ومطلع هذه القصيدة قوله :

لِأَسْمَاءَ رَسْمٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دارِساَ وأَقْفَرَ إلاَّ رَحْرَحَانَ فَرَاكِساَ

وقد اختار أبو تمام فى حماسته أربعة أبيات من هذه الكلمة ، ومن بينها بيت الشاهد ، وهذه الأبيات الأربعة قوله :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَىِّ حَيًّا مُصَبَّحًا ولا مِثْلَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا فَوَارِساَ
أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا ... البيت ، وبعده :
إذا مَا حَمَلْنَا حَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِى والرِّماحَ الْمَداعِساَ
إذا الْخَيْلُ جَالَتْ عن صَرِيعٍ نَكُرُّهَا عَلَيْهِمْ ، فَمَا يَرْجِعْنَ إِلاَّ عَوَابِساَ

قال أبو عبيدة : غزت بنو سليم ، ورئيسهم عباس بن مرداس ، مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معديكرب ، فالتقوا بتثليث من أرض اليمن ، بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل من كبار مراد ستة رجال ، وقتل من بنى سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه ، فقال عباس بن مرداس قصيدته التى على السين ، وهى إحدى المنصفات .

وقد ردّ عمرو بن معديكرب الزبيدى على العباس بن مرداس قوله هذا ، واعتذر بأن خيلهم

.. ..

لم تكن سماناً ، وأنه لولا ذلك لم تنالوا الذى نلتم ، ومما جاء فى قصيدة عمرو قوله :

أَعَبَّاسُ ؛ لو كانَتْ شِيَارًا جِيَادُنَا بِتَثْلِيثَ مَانَاصَيْتَ بَعْدِى الْأَحَامِسَا

لَدُسْنَاكُمُ بِالْخَيْلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا دَاسَ طَبَّاخُ الْقُدُورِ الْكَرَادِسَا

اللغة : « فلم أر مثل الحى حياً مصبحاً — البيت » أراد بالحى المصبح بنى زبيد بن مراد ، والحى المصبح : الذى شنت عليه الغارة صباحاً ، قال المرزوقى : معناه لم أر مغارا عليه كالذين صبحناهم ، ولا مغيرا مثلنا يوم لقيناهم ، فقسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فريق منهم . اهـ . ومن عادة أبطال العرب أن يثنوا على أعدائهم ويذكروهم بالشجاعة والإقدام ؛ لأن ذلك أعظم فخرا لهم ، ألا ترى أنهم لو غلبوا أعداءهم الموصوفين بالشجاعة الفائقة كان ذلك أدل على شجاعتهم، ولو أن أعداءهم هؤلاء غلبوهم كان ذلك أقبل لعذرهم ، لأنهم لم يغلبهم المغلبون ، وإنما غلبهم من يغلب مثلهم « أكر وأحمى للحقيقة منهم — البيت » قال المرزوقى : المصراع الأول من هذا البيت ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زبيد ، والمصراع الثانى ينصرف إلى قومه وعشيرته وأصحابه ، والمراد لم أر أحسن كرا وأبلغ حماية للحقائق منهم ، ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا . اهـ . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة ، أو هو مابين أذنى الفارس إلى رأسه ، وأكر : أفعل تفضيل من « كر عليه يكر » إذا صال ، وأحمى : أفعل تفضيل أيضاً من الحماية ، وحقيقة الرجل : مايحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار « إذا ماحملنا حملة نصبوا لنا — البيت » يروى « إذا ماشددنا شدة » وأراد أنهم إذا حملوا عليهم ثبتوا فى وجوههم ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح المعدة للدفع . والمذاكى : المسنات من الخيل ، واحدها مذك ، والمذكى من الخيل بمنزلة المخاف من الإبل ، والمداعس : جمع مدعس ، مأخوذ من الدعس ، وهو الدفع ويستعمل فى الطعن وشدة الوطء « إذا الخيل جالت عن صريع يكرها — البيت » قال المرزوقى : معناه إذا جالت الخيل عن صريع منهم كررنا عليهم لنصرع منهم مثل ماصرعوا منا ، ويجوز أن يكون معناه إذا جالت الخيل عن صريع منا لايقنعنا ذلك فيهم، بل نكرها عليهم لمثله ، وإن كرهت الكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالح ، وجالت : انكشفت ، تقول : « جال القوم جولة » تريد أنهم انكشفوا ثم كروا ، و « ناصيت » فى بيتى عمرو بن معدى كرب من قولهم : « ناصيت الرجل » إذا أخذت بناصيته ، والكرداس : جمع كردوس ، وهو كل ملتقى عظمين كالمنكبين والركبتين والوركين .

الإعراب : « أكر » مفعول ثان لأرى فى البيت السابق ، منصوب وعلامة نصبه الفتحة

... ...

الظاهرة ، ومفعوله الأول يجوز أن يكون قوله : « حياً مصبحاً » وكأنه قد قال: لم أر حياً مصبحاً أكر وأحمى للحقيقة منهم ، ويكون قوله : « مثل الحى » حالا من المفعول الأول ، وأصله صفة له فلما تقدم عليه صار حالا ، ويجوز أن يكون المفعول الأول هو قوله : « مثل الحى » ويكون قوله : « حياً مصبحاً » إما بدلا منه وإما حالا ، هذا كله إذا اعتبرت «أرى» علمية ، فإن اعتبرتها بصرية كان مفعولها ما ذكر معها فى البيت السابق ، وكان قوله : « أكر » حالا من المفعول الأول « وأحمى » معطوف على أكر منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « للحقيقة » جار ومجرور متعلق بقوله أحمى « منهم » جار ومجرور متعلق بقوله أحمى أيضا « وأضرب » الواو حرف عطف ، مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، أضرب : معطوف على مفعول أرى منصوب بالفتحة الظاهرة « منا » جار ومجرور متعلق بأضرب « بالسيوف » جار ومجرور متعلق بأضرب «القوانسا» مفعول به لفعل محذوف يدل عليه أفعل التفضيل ، والتقدير : نضرب القوانس ، منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « القوانسا » حيث انتصب بعد أفعل التفضيل ، وهو اسم معرف بالألف واللام ؛ فلا يصلح أن يكون تميزا عند البصريين كما هو معلوم . وليس فى الكلام عامل يقتضى نصبه ، فكان الظاهر أنه مفعول به لأفعل التفضيل ، غير أن هذا الظاهر غير معمول به عند الجمهرة من النحاة ، فإنهم رأوا أن أفعل التفضيل ضعيف ، ورأوا أن العامل الضعيف لايقوى على نصب المفعول به ، ولهذا التمسوا للاسم المنصوب الواقع بعده عاملا ، وجعلوه هو دليلا على هذا العامل ، وقدروا هذا العامل فعلا من مادة أفعل التفضيل ليكون قوياً على العمل وهو محذوف ، وهم يقدرون هنا : نضرب القوانس ، أو ضربنا القوانس ، وما أشبه ذلك .

قال ابن جنى فى كتابه « إعراب الحماسة » مانصه : « القوانس : منصوب عندنا بفعل مضمر يدل عليه أضرب : أى ضربنا ، أو نضرب القوانس ، فلا يجوز أن يتناوله أضرب هذه فى البيت لأن أفعل التى للمبالغة تجرى مجرى فعل التعجب ، وأنت لاتقول : ماأضرب زيدا عمرا ، حتى تقول : لعمرو ، وذلك لضعف هذا الفعل وقلة تصرفه ، فإن تجشمت ماأضرب زيدا عمرا فإنما نصبت عمرا بفعل آخر » اه .

وقال المرزوقى فى شرح الحماسة : « وانتصب القوانس بفعل دل عليه قوله : وأضرب منا ، ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أضرب ، لأن أفعل الذى يتم بمن لايعمل إلا فى النكرات كقولك : هو أحسن وجهاً ، وأفعل هذا يجرى مجرى فعل التعجب ، ولذلك تعدى إلى المفعول الثانى باللام فقلت : ماأضرب زيدا لعمرو » اه كلامه .

خاتمة فى تَعْدِيَة أفعل التفضيل بحروف الجر

قال فى شرح الكافية : وجملةُ القولِ فى ذلك أن أفعل التفضيل إذا كان مِنْ متعدٍّ بنفسه دالٍّ على حُبٍّ أو بُغْضٍ عُدِّى باللام إلى ماهو مفعول فى المعنى، و بإلى إلى ماهو فاعل فى المعنى ،

وقد ذهب بعض شراح المفصل إلى أن القوانس انتصب بأفعل نفسه على تقدير لام الجر ، وأصل الكلام : وأضرب منا بالسيوف للقوانس ، فحذف اللام ، فلما حذفها انتصب الاسم الذى كان مجرورا بها ، قال : « المراد بالبيت أضرب منا بالسيوف للقوانس ، فحذف اللام لضرورة الشعر ، فمن لابتداء الغاية متعلق بأضرب تعلق الظرف ، وبالسيوف متعلق بأضرب أيضا تعلق الآلة ، وللقوانس متعلق بأضرب أيضا تعلق المفعول ، وهذا التقدير أولى من تقدير فعل ينصب القوانس لوجهين : الأول : أن إضمار نضرب يفسد المعنى الذى قصده الشاعر من البيت ؛ إذ مراد الشاعر أن أعداءهم ضاربون وهم أضرب منهم ، فيحصل التفضيل ، ولو قال : نضرب القوانس أو كان الكلام على تقديره لم يكن فيه تفضيل . والوجه الثانى : أن أضرب لاينصب المفعول به ، فكيف يدل عليه ؟ والدال على عامل هو الذى يصلح أن يعمل فى معموله ، وإذا لم يصلح أن يعمل فيه لم يدل على مايعمل فيه ، لأن ما لايعمل لايفسر عاملا » اه بإيضاح يسير .

وقد رد العلامة الجاربردى هذا الكلام ، وأفسد الوجهين اللذين تمسك بهما ، بما حاصله أن كلا الوجهين فاسد ، أما فساد الوجه الأول : فلأن التفضيل الذى قصده الشاعر إنما يفوت إذا قدرنا فعلا ناصباً لهذا الاسم لو قطعنا أفعل التفضيل عنه من حيث المعنى أيضا ، لكن هذا ممنوع ، إذ يجوز أن يكون أضرب متعلقا بالقوانس من حيث المعنى ، مع أن انتصابه بفعل مقدر ، وإذا تعلق به معنى يحصل مراد الشاعر وهو التفضيل ، وقد ذكر النحاة أننا لو قلنا : مررت بزيد قائما، كان العامل فى زيد فى اللفظ هو الباء ، ومررت عامل فيه من حيث المعنى ، والعامل فى قائم من جهة اللفظ هو مررت ومن جهة المعنى هو الباء ، فلا يبعد ههنا أن يكون نضرب عاملا فى القوانس لفظا ، ويكون لأضرب تعلق به من حيث المعنى ، فيتم ماذكرناه . وأما فساد الوجه الثانى : فلأن الدال على عامل مقدر لايلزم فيه ماذكرت من أنه يصلح أن يكون عاملا فى ذلك المعمول ، ألا ترى أنك تقول : زيدا مررت به ، فتنصب زيدا بعامل يدل عليه مررت تقديره : جاوزت زيدا مررت به ، مع أن مررت لاينصب زيدا ، ونظائره كثيرة ، وإذا ثبت فساد الوجهين لم يكن التقدير الذى ذكرت أولى من التقدير الذى ذكره النحاة ، بل الأمر بالعكس ، وتقدير النحاة أولى من ذلك التقدير ، لأنه يتمشى مع ماهو الأكثر فى العربية ، فإن تقدير الفعل أكثر من تقدير حرف الجر » اه بإيضاح .

نحو « المؤمنُ أحبُّ لله من نفسه ، وهو أحب إلى الله من غيره » ، و إن كان من متعدٍّ بنفسه دالٍّ على عِلم عُدِّى بالباء ، نحو « زيد أعرف بى ، وأنا أدْرَى به » ، و إن كان من متعدٍّ بنفسه غير ماتقدم عُدِّىَ باللام ؛ نحو « هو أطْلَبُ للثأر ، وأنفع للجار » ، و إن كان من متعدٍّ بحرف جر عُدِّى به ، لابغيره ، نحو « هو أزهد فى الدنيا ، وأسرع إلى الخير ، وأبعد من الإثم ، وأحرص على الحمد ، وأجْدَرُ بالحلم ، وأحْيَدُ عن الْخَنَا » .

ولفعل التعجب من هـذا الاستعمال مالأفعل ، نحو « ما أحَبَّ المؤمن لله ، وما أحبه إلى الله ، وما أعرفه بنفسه ، وأقطعه للعوائق ، وأغضَّه لطَرْفه ، وأزهَدَه فى الدنيا ، وأسرعَه إلى الخير ، وأحْرَصَه عليه ، وأجْدَرَه به » اه .

وقد سبق بعضُ ذلك فى بابه ، والله تعالى أعلم .

النعت

(يَتْبَعُ فى الْإِعْرَابِ الْأَسْمَاءَ الْأُوَلْ نَعْتٌ وَتَوْكِيدٌ وَعَطْفٌ وَ بَدَلْ)

وتسمى لأجل ذلك التوابع .

فالتابع هو : المشارك لما قبله فى إعرابه الحاصلِ والمتجدد غيرَ خبرٍ .

فخرج بالحاصل والمتجدد خبرُ المبتدأ ، والمفعولُ الثانى ، وحالُ المنصوب ، و بغير خبر « حامض » من قولك : « هٰذَا حُلْوٌ حَامِضٌ » .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : سيأتى أن التوكيدَ والبدلَ وعطفَ النَّسَق تتبعُ غيرَ الاسم ، وإنما خص الأسماء بالذكر لكونها الأصلَ فى ذلك .

الثانى : فى قوله : « الأول » إشارة إلى منع تقديم التابع على متبوعه ، وأجاز صاحبُ البديع تقديمَ الصفة على الموصوف إذا كان لاثنين أو جماعةٍ ، وقد تقدم أحدُ الموصوفين ، فتقول : قام زيدٌ العاقلانِ وعمرٌو ؛ ومنه قوله :

٧٨١ — وَلَسْتُ مُقِرًّا لِلرِّجَالِ ظُلَامَةً أَبَى ذَاكَ عَمِّى الْأَكْرَمَانِ وَخَالِيَا

---

٧٨١ — هذا بيت من الطويل ، ولم أقف له على نسبة إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به ويتم معناه بذكرها .

اللغة : « مقر » اسم الفاعل من الإقرار ، وهو إثبات الشىء والتسليم به وعدم إنكاره ، تقول : « أقر فلان بدين فلان » تريد أنه أثبت على نفسه الدين وسلم بادعاء الخصم ولم يجحده ، وتقول : « أقر فلان بالذل » تريد أنه خضع له وانقاد إليه ولم يحاول التخلص منه ، وأصله المعنى الأول « ظلامة » الظلامة — بضم الظاء وفتح اللام مخففة — اسم لما يدعيه المظلوم قبل ظالمه « أبى » امتنع « عمى » العم : اسم لأخى الأب « الأكرمان » مثنى أكرم ، وهو أفعل تفضيل من الكرم ، ومعنى الأكرم الجامع لخصال المجد والشرف « خاليا » الخال : أخو الأم .

الإعراب : « لست » ليس فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر ، مبنى على فتح مقدر لا محل له من الإعراب ، وتاء المتكلم اسمه مبنى على الضم فى محل رفع « مقرا » خبر ليس منصوب بالفتحة الظاهرة « للرجال » جار ومجرور متعلق بمقر « ظلامة » مفعول به لمقر ، منصوب وعلامة

وأجاز الكوفيون تقديمَ المعطوف بشروطٍ تُذْكَر فى موضعها .

الثالث : اختُلِف فى العامل فى التابع(١) ، فذهب الجمهورُ إلى أن العامل فيه هو العامل فى المتبوع ، واختاره الناظم ، وهو ظاهر مذهب سيبويه .

نصبه الفتحة الظاهرة . قال العلامة الصبان : « وقال البعض : ظلامة منصوب بنزع الخافض ، أى لست مقرا بظلامة اه . ولا حاجة إليه ، بل الظاهر أنه مفعول به حقيقة ، أى : ولست مبقياً ظلامة لأحد ، بل أزيلها » اه . «أبى» فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر « ذاك » اسم الإشارة مفعول به لأبى ، مبنى على السكون فى محل نصب ، والكاف حرف خطاب مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب . قال العلامة الصبان : « قال العينى — وتبعه غيره كشيخنا والبعض — وذاك : إشارة إلى المذكور من الظلامة . اه . والأحسن إرجاع الإشارة إلى إقرار الظلامة المفهوم من مقرا » اه . « عمى » فاعل أبى ، مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه ، مبنى على السكون فى محل جر « الأكرمان » نعت لفاعل أبى وما عطف عليه ، ونعت المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، والنون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد « وخاليا » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، خال : معطوف على عم ، والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على الفتح فى محل جر ، والألف للإطلاق .

الشاهد فيه : قوله : « عمى الأكرمان وخاليا » حيث قدم الشاعر النعت الذى هو قوله : «الأكرمان» على بعض المنعوت الذى هو قوله : «خاليا» والذى سوغ له ارتكاب هذا التقديم كون المنعوت شيئين أولهما قوله : «عمى» وثانيهما قوله : «خاليا» وقد تقدم أحدهما — وهو الأول — على النعت ، فلما تقدم أحدهما كان تقدمه وحده بمنزلة تقدم المنعوت برمته ، فهان الأمر ، ولو أنه لم يتقدم شىء من المنعوت لم يستبح تقديم النعت ، من قبل أن النعت تابع ، ورتبة التابع التأخر عن المتبوع ، فتقديمه على المنعوت وضع له فى غير الرتبة التى تقتضيها طبيعته ، وأصل الكلام على المنهج الأصلى « أبى ذاك عمى وخالى الأكرمان » فوسط النعت بين المنعوتين فصار الكلام كما وقع فى بيت الشاهد ، وهذا واضح إن شاء الله تعالى .

(١) ظاهر هذا الكلام أن الاختلاف فى العامل فى كل التوابع ومنها البدل ، لأنه لم يفصل ، وليس هذا الظاهر مستقيما ، لأن الجمهور لايقولون فى عامل البدل إنه هو العامل فى المبدل منه ،

الرابع : لم يتعرض هنا لبيان رتبة التابع ، قال فى التسهيل : ويُبْدَأ عند اجتماع التوابع بالنعت ، ثم بعطف البيان ، ثم بالتوكيد ، ثم بالبدل ، ثم بالنَّسَق ، أى فيقال : جاء الرجل الفاضلُ أبو بكر نفسُه أخوك وزَيْدٌ .

الخامس : قَدَّمَ فى التسهيل بابَ التوكيد على باب النعت ، وكذا فَعَلَ ابنُ السَّرَّاج وأبو على والزمخشرى ، وهو حسن ، لأن التوكيد بمعنى الأول ، والنعت على خلاف معناه ، لأنه يتضمن حقيقة الأول وحالاً من أحواله ، والتوكيد يتضمن حقيقة الأول فقط ، وقدم فى الكافية النعتَ كما هنا ، وكذا فعل أبو الفَتْح والزَّجَّاجىُّ والجُزُولى ، نظراً لما سبق فى التنبيه الرابع .

(فالنَّعْتُ) فى عُرْف النحاة (تَابِـعٌ مُتِمٌّ مَاسَبَقَ) أى مُكَمِّلُ المتبوع (بِوَسْمِهِ) أى : بوَسْم المتبوع : أى علامته (أَوْ وَسْمِ مَا بِهِ اعْتَلَقْ) .

فالتابع : جنس يشمل جميعَ التوابع المذكورة .

ومُتِمٌّ ماسبق : مخرجٌ للبدل والنسق .

وبوَسْمه أو وسم مابه اعتلق : مخرجٌ لعطف البيان والتوكيد ، لأنهما شارَكَا النعت فى إتمام ماسبق ، لأن الثلاثة تُكَمِّلُ دلالته وترفع اشتراكه واحتماله ، إلا أن النعت يُوَصِّلُ إلى ذلك بدلالته على معنى فى المنعوت أو فى متعلقه ، والتوكيد والبيان ليسا كذلك .

بل مذهبهم — على ماصرح به الكثيرون — أن العامل فى البدل محذوف بدليل ظهوره جوازا مع الظاهر ووجوبا مع الضمير فى نحو قولك : مررت بزيد به، فإعادة عامل الجر فى نحوه واجبة ، وغير الجمهور يرون أن العامل فى البدل هو العامل فى المبدل منه ، ولهذا تجدهم يقولون على مذهب الجمهور « إن البدل على نية تكرار العامل » فكان على الشارح أن يبين ذلك ولا يوقع فى اللبس الذى تقتضيه عبارته ، ثم إنه لم يبين المذهب أو المذاهب المقابلة لمذهب الجمهور ، وخلاصتها : أنه قد ذهب قوم إلى أن العامل فى النعت وعطف البيان والتوكيد هو التبعية ، وقيل : العامل فى ثلاثتها مقدر كمذهب الجمهور فى البدل . وأما عطف النسق فذهب قوم إلى أن العامل فيه مقدر كمذهب الجمهور فى البدل . وذهب قوم إلى أن العامل حرف العطف نيابة عن الفعل وشبهه .

والمراد بالمتم المفيدُ مايطلبه المتبوعُ بحسب المقام : من توضيح نحو « جاءنى زيد التاجر » أو « الناجر أبوه » ، أو تخصيص نحو « جاءنى رجل تاجر » أو « تاجر أبوه » ، أو تعميم نحو « يرزق الله عباده الطائعين والعاصين الساعيةَ أقدامُهم والساكنةَ أجسامُهم » ، أو مدحٍ نحو « الحمدُ لله ربِّ العالمين الجزيلِ عطاؤه » ، أو ذمٍ نحو « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) أو ترحُّم نحو « اللهم أنا عبدك المسكين المنكسرُ قلبُه » ، أو توكيدٍ نحو « أمسِ الدابرُ المنقضى أمدُه لايعود » أو إبهام نحو « تصدقتُ بصدقةٍ كثيرةٍ » أو « قليلة نافعٍ ثوابُهَا أو شائع احتسابُها » أو تفصيلٍ نحو « مررت برجلين عربى وعجمى كريمٍ أبواهما لئيمٍ أحدهما » .

ويسمى الأول من هذه الأمثلة نعتاً حقيقياً ، والثانى سَبَبِيًّا .

(ولْيُعْطَ) النعتُ مطلقاً (فى التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ مَا) أى : الذى (لِمَا تَلاَ) وهو المنعوتُ (كَامْرُرْ بِقَوْمٍ كُرَمَا) وبقومٍ كُرَماء آباؤهم ، وبالقوم الكرماء ، وبالقوم الكرماء آباؤهم .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : ماذكره من وجوب التبعية فى التعريف والتنكير هو مذهب الجمهور ، وأجاز الأخفشُ نعتَ النكرة إذا خُصِّصت بالمعرفة ، وجعل « الْأَوْلَيَانِ » صفة لآخران فى قوله تعالى : (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ) وأجاز بعضُهم وَصْفَ المعرفةِ بالنكرة ، وأجازه ابن الطَّراوة بشرط كونِ الوصفِ خاصًّا بذلك الموصوف ، كقوله :

٧٨٢ — أَبِيتُ كَأَنِّى سَاوَرَتْنِى ضَئِيلَةٌ ... مِنَ الرُّقْشِ فى أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

٧٨٢ — هذا بيت من الطويل ، وهو من قصيدة مستجادة للنابغة الذبيانى يقولها فى الاعتذار للملك النعمان بن المنذر ، وأولها قوله :

عَفَا ذُو حُسًا مِنْ فَرْتَنَى فَالْفَوَارِعُ ... فَجَنْبَا أَرِيكٍ فَالتِّلاعُ الدوافِعُ
فَمُجْتَمَعُ الأشراج غَيَّرَ رَسْمَهَا ... مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ

... ...

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ ، وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

وقبل البيت المستشهد به قوله :

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ من الرُّقْشِ ... البيت ، وبعده :

يُسَهَّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ

ومن هنا تعلم أن المعروف فى الرواية « فبت » وليس « أبيت » كما ذكره الشارح .

اللغة : « عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع — البيت » عفا : درس ، يقال : « عفت الدار عفاء » ويقال : « عفت الريح الدار » فهو متعدّ ولازم ، وذو حسا : مكان بعينه فى بلاد مرة ، وفرتنى: اسم امرأة ، وأريك : موضع بعينه ، والتلاع : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء فى أعلى الوادى ، وهى أيضا ماهبط من الوادى ، والدوافع : جمع دافعة ، وهى التى تدفع إلى الوادى « فمجتمع الأشراج غير رسمها — البيت » الأشراج : جمع شرج — بفتح الشين والراء جميعاً — وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل ، والمصايف : جمع مصيف وهو من الصيف ، والمرابع : جمع مربع وهو من الربيع « توهمت آيات لها فعرفتها — البيت » توهمت : أراد تفرست ، والآيات : جمع آية ، وهى العلامة « وعيد أبى قابوس فى غير كنهه — البيت » فى غير كنهه : أى فى غير موضعه ولا استحقاقه ، قاله أبو عبيدة ، وقال أبو عمرو : أى فى غير قدرته ، وراكس : اسم واد بعينه ، والضواجع : جمع ضاجعة ، وهى منحنى الوادى ، يقول : أتانى وعيده على غير ذنب أذنبته وبلغ منى مبلغاً بتّ من أجله كالملدوغ على بعد المسافة بينى وبينه ، فكيف لو علمت له ذنبا قبلى ؟ « فبت كأنى ساورتنى ضئيلة — البيت » ساورتنى : واثبتنى ، وضئيلة : أى قليلة اللحم ، وأصلها صفة لموصوف محذوف : أى حية ضئيلة ، والرقش : جمع رقشاء ، وهى التى فيها نقط سود وبيض ، والأنياب : جمع ناب ، وهو من أسنان الحية مايكون طريقا إلى إدخال السم فى جسم الإنسان الذى تناله ، وناقع : أى ثابت طويل المكث ، تقول : « نقع نقوعا » إذا ثبت وطال مكثه ، عظم أمر الأفعى فى هذا البيت ليدل على عظم همه وشديد خوفه « يسهد من ليل التمام سليمها — البيت » يسهد — بالبناء للمجهول — يمنع من النوم ، وليل التمام — بكسر التاء — أى الليلة التى تطول على من يقاسيها ولو أنها فى ذاتها قصيرة ، ويقال : هى ليالى الشتاء الطويلة ، وقوله « لحلى النساء فى يديه قعاقع » وجهه أنهم كانوا يجعلون الحلى والخلاخل فى يد السليم ويحركونها

... ...

لئلا ينام فيدب السم فيه ، وقال بعض الأعراب : إذا لدغ الرجل علقنا فيه الحلى سبعة أيام لتنفذ عنه الحمة ، فقيل له : إنما تعلق عليه لئلا ينام ، فقال : كيف يمنعه ذلك من النوم ؟ وإنما هو حلى النساء الذى ينمن فيه ، والقعاقع : جمع قعقعة ، وهو الصوت الشديد ، وهذا يدل على أن المراد بتعليق الحلى عليه أن يمنعه من النوم ، لأن قعقعته تنفى النوم عنه « تناذرها الراقون من سوء سمعها — البيت » تناذرها الراقون : أنذر بها بعضهم بعضا ، ومن سوء سمعها : يروى فى مكانه « من سوء سمها » يقول : تخرج هذه الحية مرة ومرة لاتخرج ، من سوء سمعها ، يريد أنها من خبثها لاتجيب الراقى ، قال الأصمعى : لم يرد أنها صماء فإنهم يقولون : أسمع من حيـة ، ورواه ابن الأعرابى « من سوء سمها » بكسر السين ، وهو ذكر الحيات ، يريد من شهرتها فى الخبث تسامع الرقاة عنها فأنذر بعضهم بعضا ألا يتعرض لها . ومن رواه « من سوء سمها » قال : من شره وسرعة قتله اللديغ تناذرها الرقاة .

الإعراب : « أبيت » فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « كأنى » كأن : حرف تشبيه ونصب ، مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، وياء المتكلم اسمه مبنى على السكون فى محل نصب « ساورتنى » ساور : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والتاء علامة على تأنيث الفاعل حرف مبنى على السكون لامحل له من الإعراب ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب « ضئيلة » فاعل ساور مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « من الرقش » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لضئيلة ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل رفع خبر كأن التشبيهية ، وجملة كأن واسمه وخبره فى محل نصب حال من فاعل بات ، وهذا إذا جعلت بات تامة كما هو الظاهر ، فإن جعلتها ناقصة كانت التاء المتصلة بها فى محل رفع اسمها وجمـــلة كأن فى محل نصب خبرها « فى أنيابها » الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وأنياب مضاف وضمير الغائبة العائد إلى ضئيلة مضاف إليـه مبنى على السكون فى محل جر « السم » مبتدأ مؤخر ، وجملة المبتدإ وخبره فى محل رفع صفة ثانية لضئيلة « ناقع » هو فى الظاهر صفة للسم ، وصفة المرفوع مرفوعة ، وعلامة رفعها الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « السم ناقع » فإن ظاهر الكلام أن قوله : « ناقع » صفة لقوله : « السم » مع أن السم معرفة بالألف واللام ، وناقع نكرة ، فإذا تم ذلك دل على أنه يجوز أن توصف المعرفة بالنكرة وأنه لايجب أن يتطابق النعت والمنعوت فى التعريف والتنكير كما هو المشهور ، وهـذا مقيد عند ابن الطراوة الذى استدل بهذا البيت بكون هذه النكرة لاتقع فى الاستعمال العربى

والصحيح مذهب الجمهور ، وما أوهم خلافَ ذلك مؤول .

الثانى : استثنى الشارحُ من المعارف المعرفَ بلام الجنس ، قال : فإنه لقرب مسافته من النكرة يجوز نعتهُ بالنكرة المخصوصة ، ولذلك تسمع النحويين يقولون فى قوله :

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِى ... فَأَعِفُّ ثُمَّ أَقُولُ لَا يَعْنِينِى (١)

وصفاً لغير الموصوف الذى وقع معرفة فى هـذا البيت ، فإنهم يقولون : « سم ناقع » ولا يصفون بناقع غير لفظ « سم » فلكون هذين اللفظين متلازمين على هذا الوجه اغتفر أن يؤتى بالموصوف منهما معرفة مع بقاء الوصف على تنكيره ؛ وهذا ظاهر .

فإن قلت : فإن لفظ « ناقع » قد جاء فى بعض التراكيب وصفاً لغير هذا الموصوف ، فقد سمعنا من كلام العرب: «دم ناقع» و « ماء ناقع » فهذا يدل على أن هذا الشرط الذى قيد ابن الطراوة الجواز به غير مسلم له .

فالجواب عن ذلك أن نقول لك : إنا لانريد أن هذا اللفظ الواقع نعتا لم يقع نعتا لغير المنعوت بكل معنى من معانيه ، وإنما نريد أنه بمعناه الذى هو الثابت الطويل المكث ، هنا ، لايقع نعتا إلا لهذا المنعوت الذى هو لفظ « سم » فأما قولهم : « دم ناقع » فليس معنى ناقع فيه كمعنى ناقع فى قولهم : « سم ناقع » وإنما معنى قولهم : « دم ناقع » طرى ، ومنه قول قسام بن رواحة :

وَمَا زَالَ مِنْ قَتْلَى رِزَاحٍ بِعَالِجٍ ... دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحِ

يريد بالدم الناقع الطرى لأنه جديد وبالجاسد القديم، وقولهم : « ماء ناقع» معناه بارد مذهب للعطش ، فهذان غير ذاك .

هذا إيضاح البيت على الوجه الذى أتى به الشارح من أجله ، وهو كلام غير مرضى عند جمهرة النحاة ؛ وللبيت توجيه إعرابى غير هذا الذى ذكرناه ، وقد ذكر العلامة الصبان وجها من التأويل وحاصله أن يكون الجار والمجرور الذى فى قوله : « فى أنيابها » خبرا مقدما ، وقوله : « السم » مبتدأ مؤخرا ، وقوله : « ناقع » خبرا ثانيا وليس نعتا كما هو على ماذهب إليه ابن الطراوة ، وفى كلام سيبويه شيخ النحاة مايفيد أنه اعتبر الجار والمجرور متعلقا بمحذوف حال من الضمير المستتر فى ناقع العائد إلى السم ، وقوله : « السم ناقع » مبتدأ وخبر ، وارجع إلى سيبويه (١ / ٢٦١) .

(١) قد مضى شرح هـذا البيت شرحا وافيا فى باب المعرّف بأداة التعريف (الجزء الأول ص ٢٢١) وهو الشاهد رقم ١٢٦ ؛ ومحل الاستشهاد به ههنا قوله : «اللئيم» فإنه معرف بأل

إن « يسبنى » صفة لاحال ، لأن المعنى ولقد أمر على لئيم من اللئام ، ومنه قوله تعالى : (وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) وقولهم : «مايَنبغى للرجل مثلكَ — أو خَيْرٍ منك — أن يفعل كذا » .

الثالث : لايمتنع النعت فى النكرات بالأخص نحو : رَجُلٌ فَصِيح ، وغُلامٌ يافِعٌ ، وأما فى المعارف فلا يكون النعت أخصَّ عند البصريين ، بل مساوياً ، أو أعم . وقال الشلوبين والفراء : ينعت الأعم بالأخص، قال المصنف : وهو الصحيح . وقال بعض المتأخرين : توصف كلُّ معرفة بكل معرفة ، كما توصف كل نكرة بكل نكرة ، اه .

(وَهْوَ لَدَى التَّوْحِيدِ والتَّذْكِيرِ أو * سِوَاهُما) وهو التثنية والجمع والتأنيث (كالْفِعلِ فَاقْفُ مَاقَفَوْا) أى : يجْرِى النعتُ فى مطابقة المنعوت وعدمها مَجْرَى الفعل الواقع موقعه ، فإن كان جاريا على الذى هو له رَفَع ضميرَ المنعوت وطابَقَه فى الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، تقول : مررتُ برجُلَيْنِ حَسَنَيْنِ ، وامرأةٍ حسنةٍ ، كما تقول : مررت برجلين حَسُنَا وامرأة حَسُنَت . وإن كان جاريا على ماهو لشىء من سَبَبِيِّهِ فإن لم يرفع السبىَّ فهو كالجارى على ماهو له فى مطابقته للمنعوت ، لأنه مثله فى رَفْعه ضميرَ المنعوت ، نحو : مررت بامرأةٍ حسنةِ الوجهِ أو حسنةٍ وَجْهاً ، وبرجلين كريمَى الأبِ ، أوكريمَيْنِ أباً ، وبرجالٍ حسانِ الوجوهِ أو حسانٍ وجوهاً ، وإن رفع السبىَّ كان بحَسَبه فى التذكير والتأنيث كما هو

الجنسية وحكمه حكم النكرة ، ولذلك جعل أكثر النحاة جملة « يسبنى » صفة له ، ولو أنهم اعتبروه اعتبار المعرفة لجعلوا الجملة حالا ، لما عرف من أن الجمل بعد النكرات المحضة صفات قولا واحدا ، وبعد المعارف المحضة أحوال قولا واحدا ، وبعد ماهو آخذ بشبه من المعارف المحضة وبشبه آخر من النكرات المحضة محتمل الوجهين ، ولما كان المعرف بأل الجنسية من النوع الثالث كانت الجملة بعده مما يجوز جعله صفة ويجوز جعله حالا ، فأكثر النحاة ينظرون إلى المعنى ويرون المعرف بأل الجنسية من حيث المعنى كالنكرة فيجعلون الجملة صفة ، وهذا الوجه فى هذا البيت أولى لسبب راجع إلى المعنى المقصود من الكلام ، لا لشىء عائد إلى المعرف بأل ، ومن النحاة من ينظر إلى اللفظ ويرى المعرف بأل الجنسية معرفة فيجعل الجملة بعده حالا ، وسيأتى للشارح الاستدلال بهذا البيت على أن جملة « يسبنى » نعت للئيم لكونه نكرة فى المعنى ، وهو ظاهر بعد الذى بيناه .

فى الفعل ، فيقال : مررت برجالٍ حسنةٍ وجوهُهم ، وبامرأةٍ حسنٍ وجْهُها ، كما يقال : حَسُنَتْ وجوهُهُم ، وحَسُنَ وَجْهُها .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : يجوز فى الوصف المسند إلى السببىّ المجموعِ الإفرادُ والتكسير ، فيقال : مررت برجلٍ كريمٍ آباؤه ، وكرامٍ آباؤه .

الثانى : قد يُعامل الوصفُ الرافع ضميرَ المنعوتِ معامَلَةَ رافع السببى ، إذا كان معناه له ، فيقال : مررتُ برجلٍ حسنةِ العينِ ، كما يقال : حَسُنَتْ عينُه ، حكى ذلك الفراء ، وهو ضعيف ، وذهب كثير منهم الجَرْمى إلى منعه .

الثالث : أفهم قوله « كالفعل » جواز تثنية الوصف الرافع للسببى وجمعه الجمعَ المذكر السالم على لغة « أكلونى البراغيث » ، فيقال : مررت برجلٍ كريمَيْنِ أبَوَاهُ ، وجاءنى رجلٌ حَسَنُونَ غلمانُه .

الرابع : ما ذكره من مُطابقة النعت للمنعوت مشروط بأن لا يمنع منها مانع ، كما فى صَبُور وجَريح وأفْعَل من ، اهـ .

(وَانْعَتْ بِمُشْتَقٍّ) والمرادُ به : ما دلَّ على حَدَث وصاحبِه ، وذلك اسمُ الفاعل كضارب وقائم ، واسمُ المفعول كمضروب ومُهَان ، والصفة المشبهة (كَصَعْبٍ وَذَرِبْ) وأفْعَل التفضيل كأقْوَى وأكْرَم ، ولا يَرِدُ اسمُ الزمان والمكان والآلة ؛ لأنها ليست مشتقة بالمعنى المذكور ، وهو اصطلاح .

(وَشِبْهِهِ) أى شبه المشتق ، والمراد به : ما أقيم مُقَام المشتق فى المعنى من الجوامد (كَذَا) وفروعِهِ من أسماء الإشارة غير المكانية (وذِى) بمعنى صاحب ، والموصولة ، وفروعهما (والْمُنْتَسِبْ) تقول : مررت بزيدٍ هذا ، وذى المال ، وذُو قامَ ، والقُرَيْشِىِّ ، فمعناها الحاضر ، وصاحب المال ، والقائم ، والمنسوب إلى قريش .

(ونَعَتُوا بِجُمْلَةٍ) بثلاثة شروط : شرطٍ فى المنعوت ، وهو أن يكون (مُنَكَّرًا) إما لفظا ومعنى ، نحو « واتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ » أو مَعْنًى لا لفظا ، وهو المعرَّفُ بألِ الجنسية ، كقوله :

* وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِى(١) *

وشرطان فى الجملة : أحدهما : أن تكون مشتملة على ضمير يربطها بالموصوف : إما ملفوظٍ كما تقدم ، أو مقدرٍ كقوله تعالى : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا » أى : لاتجزى فيه ، أو بدلٍ منه كقوله :

٧٨٣ — كَأَنَّ حَفِيفَ النَّبْلِ مِنْ فَوْقِ عَجْسِهَا عَوَازِبُ نَحْلٍ أَخْطَأَ الْغَارَ مُطْنِفُ

(١) قد مضى ذكر هذا البيت قريبا (ص ٣٠١ من هذا الجزء) فارجع إليه هناك .

٧٨٣ — هذا بيت من الطويل ، وهو من كلمة للشنفرى الأزدى ثابتة فى ديوانه (نسخة فوتوغرافية محفوظة فى مكتبتنا الخاصة) وأول هذه الكلمة قوله :

وَمَرْقَبَةٍ عَنْقَاءَ يَقْصُرُ دُونَهَا أَخُو الضِّرْوَةِ الرَّجْلُ الْحَفِىُّ الْمُخَفَّفُ
نَعَبْتُ إِلَى أَدْنَى ذُرَاهَا ، وَقَدْ دَنَا مِنَ اللَّيْلِ مُلْتَفُّ الحَدِيقَةِ أَسْدَفُ

وقبل البيت المستشهد به ههنا قوله :

وَحَمْرَاءَ مِنْ نَبْعٍ أَبِىٍّ ظَهِيرَةٍ تُرِنُّ كَإِرْنَانِ الشَّجِىِّ وَتَهْتِفُ
إِذَا آلَ فِيهَا النَّزْعُ تَأْبَى بِعَجْسِهَا وَتَرْمِى بِذَرْوَيْهَا بِهِنَّ فَتَقْذِفُ
كَأَنَّ حَفِيفَ النَّبْلِ من فوق عَجْسِهَا عَوَازِبُ نَحْلٍ ... البيت ، وبعده :
نَأَتْ أُمُّ قَيْسٍ الْمَرْبَعَيْنِ كِلَيْهِمَا وتحـذَرُ أَنْ يَنْأَى بِهَا الْمُتَصَيَّفُ

اللغة : « ومرقبة عنقاء يقصر دونها — البيت » الرقبة — بفتح الميم والقاف بينهما راء ساكنة — أصله المكان الذى ترقب منه ، وأراد مكانا مرتفعا فى قمة جبل أو نحوه ، وعنقاء : أراد بها طويلة ، وأخو الضروة — بكسر الضاد وسكون الراء — أراد به الصياد الذى يصحب معه كلابا قد ضراها وعودها الاصطياد ، والرجل : هو ههنا بفتح الراء وسكون الجيم ، وأصله بفتح فضم ، إلا أنه سكن الجيم للتخفيف ، وذلك جائز فى كل فعل أو اسم عينهما مضمومة أو مكسورة ، تقول فى عنق — بضم النون — عنق ، وتقول فى كتف — بكسر التاء — كتف وما أشبه ذلك « نعبت إلى أدنى ذراها — البيت » نعبت : أراد رفعت رأسى ، وذراها : يجوز أن يكون بضم الذال جمع ذروة ، وذروة كل شىء أعلاه ، ويجوز أن يكون بفتح الذال ، والذرى : جوانب الشىء وناحيته ، ودنا : قرب ، وأسدف : مظلم « وحمراء من نبع أبى ظهيرة — البيت »

... ...

أراد غصنا قد اتخذه من شجر النبع فصيره قوسا ، والنبع — بفتح النون وسكون الباء — شجر تتخذ منه القسى والسهام ، وترنّ : تصوت ، والشجى : الحزين «إذا آل فيها النزع تأبى — البيت » يروى : « إذا طال فيها النزع » والعجس — بتثليث العين وسكون الجيم — مقبض القوس ، ويروى : « بعجزها » على إبدال السين زايا ، وذروبها : طرف القوس « كأن حفيف النبل من فوق عجسها — البيت » الحفيف — بفتح الحاء المهملة — كل صوت ساذج يسمع من شيء يمر في الهواء كالسهم وكالنحل والذباب وما أشبه ذلك ، والنبل — بفتح النون وسكون الباء — السهام ، وهي اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والعجس : مقبض القوس ، وهو مثلث العين ، والجيم ساكنة ، وقد تقدم في البيت قبله ، والعوازب: جمع عازب ، وهو اسم الفاعل من «عزب عن الشيء» بمعنى بعد ، وأخطأ الغار : ضل عنه ولم يهتد إليه ، وأراد بالغار بيت هذا النحل الذي كان يأوي إليه في الجبل ونحوه ، وإذا ضلت النحل مكانها ما تزال تدوي وتدور باحثة عنه ، والمطنف : اسم الفاعل من «أطنف» بمعنى علا الطنف — بفتح الطاء والنون جميعا — وهو حرف الجبل ، وأراد بالمطنف هاهنا رئيس النحل الذي يقدمها ليكون رائداً لها ودليلا يهديها إلى بيتها ويدلها عليه .

المعنى : وصف قوسا بأنها محكمة الصنع شديدة الوتر قوية ، فهو يقول : كأن الصوت الذي تسمعه من فوق مقبض هذه القوس من شدة دفع الوتر له دوى نحل قد بعدت عن بيتها ، فلما أرادت أن تعود إليه أضاعته ، وأخطأ رائدها مكانه ، فصعد بها إلى قنة الجبل يلتمس البيت ، وقد أخبرناك أن النحل إذا أرادت الرجوع فلم تهتد إلى بيتها دوت .

الإعراب : «كأن» حرف تشبيه ونصب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب « حفيف » اسم كأنّ ، منصوب به ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و «النبل» مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « من » حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب « فوق » مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من اسم كأن الذي هو حفيف ، وجعله العيني متعلقا بمحذوف حال من النبل ، وهو مضاف إليه كما علمت ، والحال لا يجيء من المضاف إليه إلا أن يكون واحدا من ثلاثة أشياء على ما سبق بيانه في باب الحال ، والمضاف هنا عامل في المضاف إليه فإن «حفيف» مصدر و «النبل» فاعله ، وفوق مضاف وعجس من «عجسها» مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائبة مضاف إليه مبني على السكون في محل جر « عوازب » خبر كأن مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « نحل » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة «أخطأ» فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب «الغار»

أى : أخطأ غارَها ، فألْ بدلٌ من الضمير ، و إلى هذا الشرط الإشارة بقوله : (فأَعْطِيَتْ مَا أَعْطِيَتْهُ خَـبَرًا) .

والثانى : أن تـكون خبرية ، أى محتملَةً للصدقِ والـكذب ، وإليه الإشارة بقوله : (وَأَمْنعْ هُنَا إِيقَاعَ ذَاتِ الطَّلَبِ) فلا يجوز: مَرَرْتُ بِرجلٍ اضْرِبْهُ ، أو لاَتُهِنْهُ ، ولا بعَبْدٍ بعْتُـكَهُ ، قاصداً إنشاء البيع .

(وَإِنْ أَتَتْ) الجملة الطلبية فى كلامهم (فالْقَوْلَ أَضْمِرْ تُصِبِ) كقوله :

٧٨٤ * جاءوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ *

مفعول به لأخطأ منصوب بالفتحة الظاهرة « مطنف » فاعل أخطأ ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وجملة أخطأ وفاعله ومفعوله فى محل رفع صفة عوازب ، أو فى محل جر صفة نحل المضاف إليه ، وسنذكر الرابط بين جملة النعت والمنعوت فى الـكلام على الاستشهاد بالبيت .

الشاهد فيه : قوله « عوازب نحل أخطأ الغار مطنف » فإن قوله : « أخطأ الغار مطنف » جملة من فعل ماض وفاعله ومفعوله ، وقد وقعت هـذه الجملة صفة لنحل أو لعوازب فى قوله : « عوازب نحل » ومن حق جملة الصفة أن تشتمل على رابط يربطها بالموصوف ، كما أن جملة الخبر تشتمل على رابط يربطها بالمبتدإ ، والأصل فى الرابط أن يكون ضميرا مذكورا كما تقول «مررت برجل يضرب أخاه » أو مقدرا كما تقول «اشتريت تمرا الرطل بدرهم» فإن تقدير الكلام : الرطل منه بدرهم ، ومن هذا القبيل الآية الـكريمة التى تلاها الشارح رحمه الله ، ولما لم يجد النحاة فى هذا البيت ضميرا مذكورا ، ولم يروا تقديره ذهبوا إلى أن أل فى قوله « الغار » عوض عن الضمير ، وكأن أصل الـكلام : عوازب نحل أخطأ غارها دليل ، فحذف الضمير وعوض عنه أل فقال : عوازب نحل أخطأ الغار دليل ، هذا توجيه كلام الشارح .

قال أبو رجاء غفر الله له تعالى: والذى يخطر ببالى أن الرابط بين جملة النعت والمنعوت فى هذا البيت ضمير محذوف كما فى الآية الـكريمة التى تلاها الشارح وكما فى الأمثلة التى ذكرناها لك فى بيان الاستشهاد بالبيت ، وأصل الكلام : عوازب نحل أخطأ الغار مطنفها ، أى دليلها وهاديها ، فحذف المضاف إليه مع أنه ينويه ، ولعل هذا أهون وأسهل من تقدير أل عوضا عن الضمير .

٧٨٤ — هذا بيت من الرجز المشطور ، ويروى قبله :

بِتْنَا بِحَسَّانَ ومِعْـــزَاهُ تَئِطّ تَلْحَسُ أُذْنَيْهِ وحِيناً تَمْتَخِطْ
مَازِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَلْتَبِطْ حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ

... ...

ومن الناس من ينسب هذا الرجز للعجاج بن رؤبة الراجز المشهور ، ومنهم من يقول : هذا الرجز لرجل نزل بقوم فانتظر قراهم طويلا حتى اشـــتد به الجوع ، ثم جاءوه بضيح ، فقال هذا الرجز ، ولم يعين هؤلاء قائله .

اللغة : «حسان» بفتح الحاء وتشديد السين — قيل : موضع بين دير العاقول وواسط ، وجعله البغدادى اسم رجل ، ويشهد له قوله «تلحس أذنيه» فى البيت الثانى « معزاه » المعزى — بكسر الميم وسكون العين المهملة — اسم جنس ، ويطلق على خلاف الضأن من الغنم ، ومثله المعز والمعيز والأمعوز « تئط » تصوت ، وأكثر ما يستعمل الأطيط فى أصوات الإبل ، قال الجوهرى : الأطيط : صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها ، وقوله « حتى إذا كاد الظلام يختلط » يروى فى مكانه « حتى إذا جن الظلام واختلط » وجن الظلام : ستر بظلامه كل شيء « بمذق » المذق — بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وآخره قاف — هو اللبن الممزوج بالماء ، واللبن إذا كثر خلطه بالماء قل بياضه فيكون لونه فى الظلام كلون الذئب .

الإعراب : «جاءوا» جاء : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة المناسبة المأتى بها لأجل واو الجماعة ، وواو الجماعة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع « بمذق » الباء حرف جر مبنى على الـكسر لامحل له من الإعراب ، مذق : مجرور بالباء وعلامة جره الـكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بجاء «هل» حرف دال على الاستفهام مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « رأيت » فعل ماض وفاعله « الذئب » مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة « قط » ظرف للزمان الماضى مبنى على الضم فى محل نصب متعلق برأيت ، ومن خصائصه أنه لايستعمل إلا بعد النفى ، والجملة فى محل نصب لقول محذوف يقع نعتا لمذق .

الشاهد فيه : قوله «مذق هل رأيت الذئب قط» فإن جملة «هل رأيت الذئب قط» استفهامية فهى طلبية ، وقد وقعت بعد اسم نـكرة وهو قوله « مذق » ، فيقع فى الوهم أن هذه الجملة نعت لهذه النكرة ، ولـكن ذلك الظاهر غير مراد ، بل هذه الجملة من الفعل وفاعله ومفعوله فى محل نصب مقول لقول محذوف مجرور واقع نعتا لمذق ، وأصل الكلام : جاءوا بمذق مقول فيه عند رؤيته هل رأيت الذئب قط ، فحذف القول الذى هو النعت ، وأبقى معموله ، وحذف القول فى العربية كثير جدا ، وقد قلنا لك : إن هذا الحذف كالبحر حدث عنه ولا حرج .

فإن قلت : فأخبرنى عن الجملة الإنشائية ، لماذا جاز وقوعها خبرا عن المبتدإ فى مذهب جمهور النحاة ؟ ولم يجز وقوعها عندهم نعتا .

قلت : الجواب على ذلك سهل ميسور لو أنك تدبرت فى حقيقة المقصود بالخبر وبالنعت ، ثم

... ...

تدبرت فى مدلول كل من الجملتين الخبرية والإنشائية ، ونحن نذكر لك ذلك ليكون الأمر عندك على ماتحب من اليسر ، فنقول :

لاشك أنك تعلم أن المقصود بالخبر مع مبتدئه هو الحكم بشىء مجهول للمخاطب على شىء معلوم له ألبتة ، فلو كان الحكم بشىء معلوم لم يكن الكلام مفيدا أى محدثا وموجدا فائدة لم يكن السامع يعلمها ، ولو كان الحكم بمجهول على مجهول لم يكن مفيدا أيضا؛ لأن الحكم يقتضى أن يكون المحكوم عليه معلوما متصورا قبل الحكم ، فلما كان الأمر فى المبتدإ وخبره على هذا الوجه لزم أن يكون المبتدأ معرفة أو نكرة كالمعرفة ليكون معلوما للمخاطب قبل التكلم ، ولزم أن يكون الخبر نكرة أو معرفة كالنكرة ليكون مجهولا للمخاطب قبل الكلام ، والجملة بنوعيها منزلة منزلة النكرة إلا أن الجملة الخبرية مضمونها واقع قبل الكلام ضرورة كونها حديثا عن شىء، والإنشائية مضمونها غير واقع لكون مضمونها يطلب وقوعه بنفس الكلام ، وأما النعت مع المنعوت فإن المقصود به توضيح المنعوت أو تخصيصه من بين مايشاركه فى جنسه ، فلزم أن يكون معلوما للمخاطب قبل الكلام، ضرورة أنه لايمكن أن توضح له شيئا مبهما غير معلوم له بشىء مبهم مثله ، ولما كانت الجملة الإنشائية من طبيعتها ألايكون مضمونها معلوما قبل الكلام لم تصلح أن تكون نعتا، أما الجملة الخبرية فلكونها حديثا عن شىء وقع وحدث قبل الكلام يجوز أن تكون معلومة له قبل الكلام ، فلهذا وقعت نعتا ، فافهم ذلك .

ومما يستشهد به على وقوع الجملة الإنشائية خبرا عن المبتدإ قول أعرابى :

وَجَــدُّ الْفَرَزْدَقِ أَتْعِسْ بِهِ وَدَقَّ خَيَاشِيمَهُ الْجَنْدَلُ

فإن الخبر ههنا قوله « أتعس به » وهى جملة تعجبية ، والعلماء ينصون على أن جملة التعجب يقصد بها إنشاء التعجب ، وقد أعرب قوم من النحاة جملة « فليذوقوه » فى قوله تعالى « هـذا فليذوقوه » خبرا عن اسم الإشارة على ماسبق بيانه فى أواخر باب المبتدإ والخبر ، وقد جوز النحاة أن تكون جملة «نعم» وفاعلها فى محل رفع خبرا مقدما عن المخصوص بالمدح، وأنت تعلم أن المقصود بنعم إنشاء المدح ، فجملتها — وإن كانت خبرية لفظا — إنشائية فى المعنى كجملة « بعتكه » فى قوله « زيد بعتكه » إذا كان المقصود بها إنشاء عقد البيع ، ولذلك نظائر لاتحصى كثرة ، فهذا — من صنيع النحاة — يدل على أنهم لايرون شيئا من الحرج فى أن يجعلوا الجملة الإنشائية خبرا عن المبتدإ ولا فى أن يخرجوا على ذلك القرآن الكريم الذى يعترفون بأنه جاء على المنهج العالى من الفصاحة، ولا فى أن يحكموا على باب مطرد مقيس بما يقتضيه ، وهذا كله واضح إن شاء الله ، فاحفظه واعرف علته التى قدمنا لك ، والله المسئول أن يتولاك ويرشدك ويوفقك .

أى جاءوا بلَبَنٍ مخلوطٍ بالمـاء مَقُولٍ فيه عند رؤيته هذا الكلام .

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول: ذَكَرَ فى البديع أن الوصف بالجملة الفعلية أقوى منه بالجملة الاسمية.

الثانى : فُهِم من قوله « فأعطيت ماأعطيته خبرا » أنها لاتقترن بالواو ، بخلاف الحالية ، فلذلك لم يقل ماأعطيته حالا .

(ونَعَتُوا بِمَصْدَرٍ كَثِيرًا) وكان حقُّه أن لاينعت به ، لجموده ، ولـكنهم فعلوا ذلك قصداً للمبالغة ، أو توسُّعًا بحذف مضاف (فَالْتَزَمُوا الْإِفْرَادَ وَالتَّذْكِيرَا) تنبيهاً على ذلك ، فقالوا : رجُلٌ عَدْلٌ ، ورِضًا ، وزَوْرٌ ، وامرأة عَدْلٌ ورِضًا وزَوْرٌ ، ورَجُلَانِ عَدْلٌ ورِضًا وزَوْرٌ ، وكذا فى الجمع : أى هو نفس العدل، أوذو عدل ، وهو عند الـكوفيين على التأويل بالمشتق : أى عادل ومَرْضِىٌّ وزائر(١) .

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : وقوعُ المصدر نعتا — وإن كان كثيراً — لايطَّرد ، كما لايطرد وقوعه حالا ، وإن كان أكثر من وقوعه نعتا .

الثانى : أطلق المصدر ، وهو مُقيَّد بأن لايكون فى أوله ميم زائدة كمَزار ومَسِير ، فإنه لايُنْعَت به ، لاباطِّراد ولا بغيره .

(ونَعْتُ غَيْرِ وَاحِدٍ إِذَا اخْتَلَفْ فَعَاطِفًا فَرِّقْهُ لَا إِذَا ائْتَلَفْ)

مثالُ المختلف : « مررت برجلين كريمٍ وبخيل » ، ومثال المؤتلف : « مررت برجلين كريمَيْنِ » أو « بخيلين » .

ويستثنى من الأول اسم الإشارة ، فلا يجوز تفريق نعته ، فلا يقال : « مررت بهذين الطويل والقصير » ، نَصَّ على ذلك سيبويه وغيره : كالزِّيادى والزَّجَّاج والمبرد ، قال الزيادى : وقد يجوز ذلك على البدل أو عطف البيان .

﴿تنبيهات﴾ — الأول — قيل : يندرج فى غير الواحد ماهو مفرد لفظا مجموع معنى، كقوله:

٧٨٥ — فَوَافَيْنَاهُمُ مِنَّـــا بِجَمْعٍ كَأُسْدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشِيبِ

---

(١) حاصل ما ذكره أن النعت بالمصدر كالإخبار به على واحد من ثلاث تأويلات : الأول المبالغة فى المنعوت والمخبر عنه حتى كأنه هو نفس الحدث، والثانى : على أن الـكلام على حذف مضاف هو وصف أو بمعناه، الثالث: على أن المصدر يراد به الوصف ، وقد بينا فيما مضى هذه الوجوه بيانا شافيا.

٧٨٥ — هذا بيت من الوافر ، وهو من قصيدة لحسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ، ومطلع هذه القصيدة قوله :

... ...

عَرَفْتُ دِيارَ زَيْنَبَ بالكَثِيبِ كخَطِّ الْوَحْيِ فى الوَرَقِ القَشِيبِ
تَعَاوَرُهَا الرِّياحُ وَكُلُّ جَوْنٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٌ سَكُوبِ
فأَمْسَى رَسْمُهَا خَلَقًا وأَمْسَتْ يَبَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الحَبِيبِ
فَدَعْ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ ورُدَّ حَزَازَةَ الصَّدْرِ الكَئِيبِ
وَخَبِّرْ بالَّذِى لاَعَيْبَ فِيهِ بِصِدْقٍ غَيْرِ إخْبَارِ الكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ المَلِيكُ غَدَاةَ بَدْرٍ لَنَا فى المُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمُ حِرَاءٌ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الغُيُوبِ
فوافيناهمُ منا بجمع كأُسْدِ الغاب ، ... البيت ، و بعده :
أمامَ محمدٍ قَدْ آزَرُوهُ عَلَى الأَعْدَاء فى لَفْحِ الحُرُوبِ
بأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٌ وَكُلُّ مُجَرَّبٍ خَاظِى الكُعُوبِ

اللغة : « عرفت ديار زينب بالكثيب — البيت » الكثيب : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة ، وقيل : الكثيب ما اجتمع من الرمل واحدودب ، ويجمع على أكثبة وكثبان ، وهى تلال الرمل ، والوحى : الكتابة ، والقشيب : الجديد ، شبه آثار الديار بالسطور فى الورق ، وهو معنى يكثر دوره على ألسنة الشعراء ، فمن ذلك قول الهذلى :

عَرَفْتُ الدِّيارَ كَرَقْمِ الدَّوِىِّ يَزْبُرُهَا الكَاتِبُ الحِمْيَرِىُّ

وقال لبيد بن ربيعة :

فَمَدَافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّىَ رَسْمُهَا خَلَقًا كمَا ضَمِنَ الْوُحِىَّ سِلاَمُهَا

« تعاورها الرياح وكل جون — البيت » تعاورها : أصله تتعاورها ، فحذف إحدى التاءين تخفيفا ، ومعنى « تعاورها الرياح » تداولت عليها فمرة تهب الجنوب ومرة تهب الشمال ومرة تهب القبول ومرة تهب الدبور ، وهكذا . ونظيره قول ميمون بن قيس الأعشى :

دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبًا وَدَبُورُ

والوسمى — بفتح الواو وسكون السين — المطر يأتى فى أول الربيع بعد الخريف ، سمى بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات ، والمطر الذى يليه يقال له : الولى ، ثم الذى يليه يقال له الربعى ،

... ...

ولم يرد ههنا مطر وقت دون وقت ، وإنما أراد المطر مطلقا، والجون : السحاب الأسود ، والمنهم : اسم الفاعل من انهم المطر — بزنة اندك وانشق — إذا سال وتتابع ، وأصل الانهمام ذوبان الشيء بعدجمود وصلابة ، وسكوب : أى دائم الهطلان «فأمسى رسمها خلقا — البيت» الرسم — بفتح الراء وسكون السين — ماكان لاصقا بالأرض من آثار الديار ، والطلل — بفتح الطاء واللام جميعا — ماكان بارزا ظاهرا ، والخلق — بفتح الخاء واللام جميعا — البالى ، واليباب — بفتح الياء، بزنة السحاب — الخراب الذى ليس فيه أحد « فدع عنك التذكر كل يوم — البيت » رد الشيء : صرفه ورجعه ، والحزازة — بفتح الحاء — ماحز فى القلب وأوجعه من غيظ ونحوه . يقول : لست مفيدا شيئا بذكر الديار والتوجع عليها ، فاترك هذا واصرف همك إلى ماتفيد منه « وخبر بالذى لاعيب فيه — البيتين » قوله « بما صنع المليك » فى أول ثانى هذين البيتين بدل من قوله «بالذى لاعيب فيه» فى صدر البيت الأول منهما ، والنصيب : الحظ من كل شيء ، يقول : أذع فى الناس ما صنعه الله تعالى لنا من الحظ ضد المشركين يوم بدر « غداة كأن جمعهم حراء — البيت » حراء — بكسر الحاء ، والمد — جبل بمكة معروف ، والغيوب : جمع غيب ، وهو ما أطمأن من الأرض، وجنحها : جانبها وناحيتها وكنفها ، شبه جيش المشركين بجبل حراء ، وقد تكشفت جوانبه عن أرض مطمئنة منخفضة ، ويروى « جنح الغروب » ويراد به حين تضيف الشمس للغروب « فوافيناهم منا بجمع — البيت » وافيناهم : جئناهم وأتيناهم وأقبلنا عليهم ، والغاب : جمع غابة ، وهى مأوى السباع والوحوش ، والمردان : جمع أمرد ، وهو الذى لم يبلغ حد نبات الشعر بوجهه ، وشيب : جمع أشيب ، وهو الذى ابيض شعره ، وأصله بضم الشين مثل مرد وحمر فكسرت الشين لتسلم الياء من قلبها واوا كبيض ونحوه « أمام محمد قد آزروه — البيت » آزروه : عاونوه وشدوا أزره وقوى بهم ساعده ، ولفح الحروب : أصله من قولهم «لفحته النار» و «لفحته ريح السموم» ونحو ذلك : أى أحرقته بحرها ووهجها ، ويروى «وهج الحروب» وقوله «بأيديهم صوارم مرهفات — البيت » الصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع ، وأراد بكل مجرب الرمح الذى تمرس بالحرب ، والكعوب : جمع كعب ، وهو مابين العقدتين من عقد الرمح ، وأراد بخاظى الكعوب أن كعوبه صلبة غليظة ، يريد أنها لاتتكسر .

الإعراب : « وافيناهم » فعل ماض وفاعله ومفعوله « منا » جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من جمع ، وأصله صفة له فلما تقدم عليه أعرب حالا ، لأن الصفة من الموصوف بمنزلة التأخر عنه لايجوز أن تتقدم عليه « كأسد » جاء ومجرور متعلق بمحذوف صفة لجمع ، وأسد مضاف و « الغاب » مضاف إليه « مردان » صفة ثانية لجمع مجرور بالكسرة الظاهرة « وشيب » الواو

... ...

حرف عطف ، شيب : معطوف على مردان ، والمعطوف على المجرور مجرور ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « بجمع ... مردان وشيب » فإن قوله «مردان وشيب» وقعا نعتين لجمع ، ولما كان معناهما مختلفا فرق بينهما بحرف العطف ، وعطف ثانيهما على أولهما .

وههنا شيء لابد من بيانه وتوجيه نظرك إلى تورك الشارح على الاستشهاد بهذا البيت ، ثم رد هذا التورك عليه .

أصل القاعدة أن النعت إذا كان متعددا ، وكان المنعوت غير واحد ، فإما أن يكون النعت المتعدد مختلفا ، وإما أن يكون متحدا ، فإن كان متحدا ثنيته أو جمعته فقلت : مررت برجلين كريمين أو مررت برجال كرماء ، وإن كان النعت المتعدد مختلفا جئت به على لفظيه أو ألفاظه ، وجمعت بينها بحرف العطف فقلت : مررت برجلين كريم وبخيل ، أو مررت برجال كريم ، وعالم ، وشجاع ، وهكذا . وقولنا فى العبارة عن المنعوت المتعدد « غير واحد » عبارة مجملة تحتاج إلى البيان ، فما المراد بغير واحد ؟ هل الغرض أنه غير مفرد بل هو مثنى أو مجموع ؟ أو المراد أنه دال على أكثر من واحد ، سواء أكانت دلالته بمادته كلفظ جمع وجماعة أو كانت دلالته على التعدد بصيغته كالمثنى وجمع المذكر السالم وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم ؟ الذى فهمه الشارح من قولهم « المنعوت غير واحد » أنه يكون مثنى أو مجموعا ، فلما فسر غير الواحد بهذا التفسير الضيق قال : إن الاستشهاد على هذه القاعدة بهذا البيت فيه نظر لأن المنعوت هنا وهو قوله « جمع » ليس مثنى ولا مجموعا ، ولو أنه توسع فى تفسير غير الواحد كما توسع فيه غيره بحيث يصبح شاملا لكل مادل على متعدد من المثنى والجمع واسم الجمع واسم الجنس والاسمين المتعاطفين أو الأسماء المتعاطفة لما كان لهذا النظر محل .

والحاصل أن الخلاف بين الشارح وغيره فى صحة الاستشهاد بهذا البيت لهذه القاعدة مبنى على الاختلاف فى تفسير « غير الواحد » الذى وصف به المنعوت ، فمن ضيق فى تفسيره حتى جعله قاصرا على المثنى والمجموع لم يصحح الاستشهاد بهذا البيت ، والشارح من هذا الفريق ، ومن توسع فى تعريفه حتى جعله يشمل الأنواع التى ذكرناها كلها صحح الاستشهاد بهذا البيت ، وممن ذهب هذا المذهب العلامة الدمامينى .

فإن قلت : فإذا أنا اقتصرت فى تفسير غير الواحد حتى جعلته لايشمل غير المثنى والمجموع كما ذهب إليه الشارح ، فكيف أعرب هذا البيت ؟ وهل له وجه فى العربية ؟

فالجواب عن ذلك أن له وجها فى العربية صحيحا لاغبار عليه ، بل إنه يجب عليك أن تبحث له عن وجه فى العربية لأنه من كلام من يحتج بكلامه ، ولو أنك لم تجد له وجها فى العربية إلا أن تجعله

وفيه نظر .

الثانى : قال فى الارتشاف : والاختيارُ فى « مررت برجلين كريم وبخيل » القطعُ .

الثالث : قال فى التسهيل : يُغَلَّبُ التذكير والعقل عند الشمول وُجوبا ، وعند التفصيل اختيارا .

(ونَعْتَ مَعْمُولَىْ) عاملين (وَحِيدَىْ مَعْنَى * وعَمَلٍ أَتْبِـعْ بغَيْرِ اسْتِثْنَا) أى : أتبع مطلقا ، نحو : « جاء زيدٌ وأتى عمرو العاقلان » ، و « هذا زيد وذاك خالد الكريمان » ، و « رأيت زيداً وأبصرت عمراً الظريفين » . وخَصَّصَ بعضُهُمْ جوازَ الإتباع بكون المتبوعين فاعلى فعلين أو خبرى مبتدأين ، فإن اختلف العاملان فى المعنى والعمل ، أو فى أحدهما — وجبَ القطعُ بالرفع على إضمار مبتدإ ، أو بالنصب على إضمار فعل ، نحو : « جاء زيدٌ ورأيت عمراً الفاضلان » أو « الفاضلين » ، ونحو : « جاء زيد ومَضَى بكر الكريمان » أو « الكريمين » ، ونحو : « هذا مؤلم زيدٍ وموجعٌ عمراً الظريفان » أو « الظريفين » ، ولا يجوز الإتباع فى ذلك ، لأن العمل الواحد لا يمكن نسبتهُ لعاملين من شأن كل واحد منهما أن يستقلَّ

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : إذا كان عاملُ المعمولين واحداً ففيه ثلاث صور : الأولى : أن يتَّحد العمل والنسبة نحو : « قام زيد وعمرو العاقلان » ، وهذه يجوز فيها الإتباع والقطع

نعتا لوجب عليك أن ترد تفسير الشارح الضيق ، ولو قال به ألف نحوى معه لأن النصوص العربية هى التى تحكم على القواعد ، وليست القواعد هى التى تحكم على النصوص العربية الموثوق بنسبتها إلى قائليها كهذا البيت ، والوجه الذى يستطيع الشارح أن يخرّج عليه هـذا البيت هو أن يجعل « مردان وشيب » بدلا من « جمع » وهو الذى يسمونه بدل المفصل من المجمل ، وهذا الوجه نفسه جائز مع المثنى والمجموع كما فى قول الشاعر :

بَكَيْتُ وَمَا بُكَا رَجُلٍ حَزِينٍ   عَلَى رَبْعَيْنِ مَسْلُوبٍ وَبالِ

وهو متعين فى الجوامد نحو قول كثير عزة فى تائيته الطويلة :

وكُنْتُ كَذِى رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ   ورِجْلٍ رَمَى فِيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ

فاعرف هذا وتدبره ، فإنه جيد مفيد .

فى أماكنه من غير إشكال . الثانية : أن يختلف العمل وتختلف نسبة العامل إلى المعمولين من جهة المعنى ، نحو : « ضرب زيدٌ عمراً الكريمان » ، ويجب فى هذه القطعُ قطعا . الثالثة : أن يختلف العمل وتتّحد النسبة من جهة المعنى ، نحو : « خاصم زيدٌ عمراً الكريمان » ، فالقطع فى هذه واجب عند البصريين ، وأجاز الفراء وابن سَعْدان الإتباعَ ، والنصُّ عن الفراء أنه إذا أتبع غُلِّبَ المرفوعُ ، فتقول : « خاصم زيد عمراً الكريمان » ، ونص ابن سَعْدان على جواز إتباع أيٍّ شئت لأن كلا منهما مخاصِمٌ ومُخاصَمٌ ، والصحيحُ مذهبُ البصريين ، قيل : بدليل أنه لا يجوز « ضارب زيد هنداً العاقلة » برفع العاقلة نعتا لهند ، لكن ذكر الناظم فى باب أبنية الفعل من شرح التسهيل أن الأسمين من نحو : « ضَارَبَ زيدٌ عمرًا » ليس أحدهما أولى من الآخر بالرفع ولا بالنصب ، قال: ولو أتبع منصوبُهما بمرفوع أو مرفوعهما بمنصوب لجاز ، ومنه قول الراجز :

٧٨٦ — قَدْ سَالَمَ الحَيَّاتُ مِنْهُ القَدَمَا الأُفْعُوَانَ والشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا

٧٨٦ — هذا الشاهد بيتان من الرجز المشطور ، وقد نسبه الأعلم الشنتمرى للعجاج ، ونسبه جماعة منهم اللخمى وابن السيد إلى مساور العبسى ، ونسبه آخرون منهم الحلوانى إلى شاعر جاهلى اسمه ابن جبابة — بضم الجيم ، وبعدها باءان موحدتان بينهما ألف — وهى أمه ، واسمه النوار ابن الأعنق حيدة بن كعب ، وهو من الشعراء اللصوص ، وأورده البغدادى (الخزانة ٤/٥٦٩ بولاق) ضمن قصيدة رواها عن أبى محمد الأعرابى فى كتابه « ضالة الأديب » وإليكها بروايته :

عَنْبَسِيَّةٌ لَمْ تَرْعَ قفًّا أَدْرَمَا ولم تجشَّمْ عُرُفُطًا مُعَجَّمَا
كأَنَّ صَوْتَ شَخْبِها إذا هَمَى بين أكُفِّ الحَالِبِينَ كُلَّمَا
شَدٌّ عَلَيْهِنَّ الْبَنَانَ الْمُحْكَمَا سَحِيفُ أفعى فى خَشِيٍّ أعْشَمَا
وقد حَلَبْنَ حَيْثُ كانَتْ قُيَّمَا مَثْنى الوِطَابِ والوِطَابَ الزُّمَّمَا
وقِمَّا يَكْسِي ثُمَالاً قَشْعَمَا يَحْسَبُهُ الجَاهِلُ مالَمْ يَعْلَمَا
شَيْخًا عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا لَوْ أَنَّهُ أبانَ أَوْ تَكَلَّمَا
لَكَانَ إيَّاهُ ، ولكِنْ أَعْجَمَا أَتْعَبْنَ ذَا ضَبْعِيَّةٍ مُلَوَّمَا

... ...

عِنْدَ كِرامٍ لَمْ يَكُنْ مُكَرَّمَا ... عَذَّبَهُ اللهُ بِهَا وأغْرَمَا
وُلَيِّدًا حَتَّى عَسَى وَاعْرَنْزَمَا ... قَدْ سالَمَ الحَيَّاتُ مِنْهُ القَدَمَا
الأُفْعُوانَ وَالشُّجاعَ الشَّجْعَمَا ... وَذَاتَ قَرْنَيْنِ ضَروسًا ضِرْزِمَا
يَبِتْنَ عِنْدَ عَقِبَيْهِ جسما ... حَتَّى غَدَوْتَ وغَدا مُسَلَّمَا
يَتْبَعُ مِنْهَا الدُّلَّخَاتِ الرُّوَّمَا ... يَعْرِفْنَ مِنْهُ الرَّزَّ والتَّكَلُّمَا

اللغة : «عبسية لم ترع قفا — البيت» وصف إبلا منسوبة إلى عبس ، وهى قبيلة ، ولم ترع : من الرعى ، والقف — بضم القاف وتشديد الفاء — ما ارتفع وغلظ من الأرض ، ولم يبلغ أن يكون جبلا ، والأدرم : المستوى ، ويقال : هو الذى لانبات فيه ، وتعجم — بتشديد الجيم — أى لم تعض ، وتقول « عجمت العود أعجمه » من باب نصر — إذا عضضته لتعرف صلابته، وأراد أنها لم تمضغ ، والمعجم : اسم المفعول منه ، والعرفط — بزنة قنفذ — شجر من أشجار البادية ، قال أبو حنيفة الدينورى : هو من العضاه ، وهو مفترش على الأرض لايذهب فى السماء ، وله ورقة عريضة وشوكة حجناء ، وهو مايلتحى لحاؤه وتصنع منه الأرشية ويخرج فى برمه غلفة كأنه الباقلى تأكله الإبل والغنم ، وهو خبيث الريح ، وبذلك يخبث ريح راعيته وأنفاسها حتى تتنحى عنها ، وهومن أخبث المراعى . اه . وقال الأزهرى : العرفط شجرة قصيرة متدانية الأغصان ذات شوك كثير تنبت فى الجبال . اه « كأن صوت شخبها إذا همى — البيت » وصف حلب الناقة وشبه صوت درتها بصوت أفاع فى خشى ، والشخب — بفتح الشين وسكون الخاء — خروج اللبن من الضرع ، وفعله من بابى فتح ونصر ، وهمى يهمى : أى سال «شد عليهن البنان المحكما — البيت» فى شد ضمير مستتر يعود إلى الشخب ، ومعنى شدّ غنى ، والبنان : مفعول بشد على تقدير اللام ، والضمير المجرور محلا بعلى فى قوله «عليهن» يعود إلى الأكف ، يقال : شد فلان شعرا ، والمراد ترنم به ، والسحيف — بالسين والحاء المهملتين بزنة أمير — الصوت ، والأفعى : الحية ، والخشى — بفتح الخاء المعجمة — يابس النبت ، والأعشم : كل شجرة يابسها أكثر من رطبها ، شبه صوت شخب هذه النوق بكشيش الأفعى إذا همت بأن تثب للعض « وقد حلبن حيث قبا — البيت » قيم : جمع قائمة ، والقياس قوم ، ومثنى الوطاب : مفعول حلبن على حذف مضاف ، أى ملء مثنى الوطاب ، والمثنى ههنا : معناه المكرر ، والوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن خاصة والزمم — بضم الزاى وتشديد الميم — جمع زام ، مأخوذ من قولهم « زم فلان القربة » أى ملأها «وقمعا يكسى ثمالا قشعما — البيت» القمع — بكسر القاف وفتح الميم — آلة تجعل فى فم

... ...

السقاء ونحوه يصب فيها اللبن ، وتقول «قمعت الوطب» تريد أنك وضعت القمع فى رأسه ، والثمال — بضم الثاء المثلثة ، بزنة الغراب — الرغوة ، والقشعم — بفتح القاف وسكون الشين — الضخم من كل شىء « يحسبه الجاهل ما لم يعلما — البيت » أى يحسب الرغوة التى عبر عنها بالثمال وما : مصدرية ظرفية ، ويعلم هنا : بمعنى يعرف ، ومفعوله محذوف ، وهو ضمير الثمال ، وشيخا : مفعول ثان ليحسب ، وما بعده صفتان له ، شبه الرغوة التى تعلو القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وكثير من الناس — ومنهم الأعلم الشنتمرى — يزعم أن هذا البيت فى وصف جبل عمه الخصب وحف به النبات ، وسيأتى هذا البيت فى شواهد باب نونى التوكيد « لو أنه أبان أو تكلما — البيت » الضمير يعود إلى الثمال أيضا ، وأبان : أفصح عما فى ضميره ، وقوله « لكان إياه » يعنى لكان الثمال هو ذلك الشيخ ، والأعجم : الذى لا يقدر على الكلام أصلا ، وقوله «أتعبن ذا ضبعية ملوما » فنون الإناث عائدة إلى الإبل التى يصفها ، وذا ضبعية — بفتح الضاد وسكون الباء — أى ذا قوة ، والملوم : الذى يكثر الناس من لومه لسوء ما يأتى ، وأراد الراعى ، وقوله « عند كرام » يروى فى مكانه « عبد كرام » وقوله «عذبه الله بها» أى عذبه بخدمة هذه الإبل ، وأغرم : جعله ذا غرام ، والوليد : تصغير الوليــد ، وعسى : معناه هنا اشتد وقوى وصلب ، واعرنزم : اجتمعت أعضاؤه واشتدت « قد سالم الحيات منه القدما — البيت » الأفعوان — بالضم — الذكر من الأفاعى ، والشجاع : ذكر الحيات ، والشجعم : الجرىء ، وقيل : هو الطويل مع عظم جسم ، والميم فيه زائدة « وذات قرنين » ضرب من الحيات له قرون من جلده وليست كقرون الحيوان ، قال اللخمى : ذات قرنين حية لها قرنان وهما لحمتان فى رأسها من عن يمين وشمال ، وقيل : أراد بذات قرنين العقرب ، والضروس — بفتح الضاد الشديدة العض ، ويروى فى مكان هذه الكلمة « ضموز » وهى الحية التى لا تصفر لخبثها ، فإذا عرض لها إنسان ساورته وثبا ، والضرزم — بكسر الضاد وسكون الراء ثم زاى مكسورة — الحية المسنة ، وذلك أخبث لها وأكثر لسنها ، وقيل : هى الشديدة النهش ، وأراد بهذا الكلام وصف الراعى بغلظ القدمين وصلابتهما لطول الحفى فذكر أنه يطأ على الحيات والعقارب فيقتلها « يبتن عند عقبيه — البيت » أى تبيت الحيات عند قدمى هذا الراعى ، ويروى فى مكانه :

هَمَمْنَ فى رِجْلَيْهِ حَتَّى هَوَّمَا ثُمَّ اغْتَدَيْنَ وَغَدَا مُسَـــلِّمَا

وقوله : « يتبع منها الدلحات الخ — البيت » هذا عود إلى وصف الإبل ، فضمير « منها » يعود إلى الإبل ، والدلح — بضم الدال وتشديد اللام مفتوحة — جمع دالحة ، وهى اسم الفاعل وفعله « دلح الرجل وغيره » إذا سار بحمله غير منبسط الخطا لثقل الحمل عليه ، والروم — بزنة

... ...

الدلح — جمع رائمة . وتقول : « رئمت الناقة ولدها رئمانا » إذا عطفت عليه وأحبته ، والرز — بكسر الراء وتشديد الزاى — الصوت .

الإعراب : « قد » حرف تحقيق مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، « سالم » فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، « الحيات » فاعل سالم مرفوع بالضمة الظاهرة ، « منه » جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من القدم « القدما » مفعول به لسالم منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، « الأفعوان » بدل من الحيات منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وستعرف فى بيان الاستشهاد بالبيت وجه مجىء التابع مخالفاً للمتبوع فى إعرابه ، فى ظاهر الحال ، « والشجاع » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والشجاع : معطوف على الأفعوان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « الشجعما » نعت للشجاع منصوب بالفتحة .

الشاهد فيه : قوله « سالم الحيات منه القدما الأفعوان » فإن قوله « الأفعوان » المنصوب — بدليل أنه عطف عليه المنصوب وهو قوله « والشجاع الشجعما » — قد وقع بدلا من قوله : « الحيات » وهو مرفوع لكونه فاعلا لسالم ، وقد علم أن الفاعل مرفوع ، فاختلف إعراب البدل عن إعراب المبدل منه ، والقاعدة المعروفة التى لا اختلاف فيها أن كل تابع يجب أن يوافق متبوعه فى إعرابه ، فيكون ظاهر هذا الكلام نقضاً لهذه القاعدة المستمرة المطردة ، هذا . ولكن العلماء المحققين وجدوا لهذا الكلام توجيها جعله يجرى على المهيع المتلئب المعروف من لغة العرب . وبيان ذلك أن قوله « الحيات » فاعل لفعل يقتضى بصيغته أن يكون فاعله متعددا وأن يكون كل واحد من المتعدد قد فعل بصاحبه مثل مافعله صاحبه به ، وهذا الفعل هو سالم ، وصيغته هى المفاعلة ، والمفاعلة تقتضى البتة ذلك الذى قلناه فى شأن فاعلها ، فيكون « الحيات » فاعل المسالمة هو والقدم ، وكل واحد منهما قد فعل المسالمة بصاحبه ، ووقعت عليه المسالمة من صاحبه ، فالمعنى يقتضى أن يكون « الحيات » فاعلا ومفعولا ، وأن يكون « القدم » فاعلا ومفعولا ، إلا أنه نصب أحدهما بعد مارفع الآخر ، وقد كان — من حيث المعنى — يصح أن يجعل الذى جعله فاعلا مفعولا ويجعل الذى جعله مفعولا فاعلا ، من غير أن يتغير المعنى فى قليل ولا كثير ، فلما كان قوله « الحيات » فاعلا لفظا ، وهو فى المعنى مفعول كما أنه فاعل — جاز مراعاة هذا المعنى فيعطف عليه ويبدل منه بالرفع تبعاً للفظ والمعنى ، وبالنصب تبعاً للمعنى فقط .

قال الأعلم : « الشاهد فيه نصب الأفعوان والشجاع وما بعدها ، وحمله على المعنى ، لأنه لما قال * سالم الحيات منه القدما * علم أن القدم مسالمة للحيات ، لأن ما سالم شيئا فقد سالمه

... ...

الآخر ، فكأنه قال : « سالت القدم الأفعوان » اه كلامه ، وهو ظاهر بعد الذى بالغنا لك فى توضيحه .

وكل هذا الذى ذكرناه إنما يجرى على رواية رفع « الحيات » ونصب « القدم » . وفى البيت رواية أخرى ذكرها الأثبات الثقات من العلماء ، ومنهم ابن هشام فى مغنى اللبيب فى أبواب الحذف ، وهـذه الرواية بنصب « الحيات » مع ذكر « القدما » على ماهى فى الرواية الأولى ، وللعلماء فى هذه الرواية تخريجان :

أحدهما : جعل « الحيات » مع نصبه فاعلا ، وقد علمت فيما ذكرناه فى باب الفاعل أن من العرب من يجىء بالفاعل منصوبا وبالمفعول مرفوعا فيقول : خرق الثوب المسمار ، وكسر الزجاج الحجر ، اعتمادا على انسياق المعنى إلى الذهن وأن العقل سيحدد الفاعل فاعلا وإن كان منصوبا، والمفعول مفعولا وإن كان مرفوعا ، فهذا الشاعر — على هذا التخريج — قد جاء بالفاعل منصوبا اعتمادا على تفريق العقل بين الفاعل والمفعول، وأتى بالمفعول منصوبا على ماهو الأصل فيه، ثم أبدل من الفاعل المنصوب اسما منصوبا وهو قوله « الأفعوان » فالتابع موافق للمتبوع فى إعرابه الذى جاء عليه .

والتخريج الثانى : إعراب « الحيات » مفعولا منصوبا بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ، ولا غبار فى ذلك ، لامن حيث المعنى ولا من حيث المشهور من لغات العرب ، وإعراب « القدما » فاعلا مرفوعا بالألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، وكان من حقه أن يقول : « قد سالم الحيات منـه القدمان » بالنون التى تلى علامة الإعراب فى المثنى وجمع المذكر السالم ، لكنه حذف هذه النون لقصد التخفيف حين اضـطرته القافية إلى حذفها ، ومع أن حذف نون المثنى فى مثل هـذا الموضع ضرورة تجد له أمثلة ، وقد خرج عليه العلماء بعض الشواهد ، فمن ذلك قول الشاعر :

كَأَنَّ أُذْنَيْهِ إذا تَشَـــوَّفَا قَادِمَةً أوْ قَلَمًا مُحَـــرَّفَا

وقد مضى ذكرها فى باب إن وأخواتها ، وأن من العلماء من ذهب إلى أن أصل الكلام كأن أذنيه قادمتان أو قلمان محرفان ، غير أنه حذف نون المثنى حين اضطر ، ومن ذلك قول الآخر :

الْحَافِظُو عَـــوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لا يأْتِيهُمُ مِنْ وَرائِهِمْ نَطَـــفُ

فقد سبق أن ذكر الشارح هذا الشاهد وذكر أنه روى بنصب « عورة » على أنه مفعول به وحذف النون من جمع المذكر السالم من غير إضافة لأنه اضطر إلى ذلك ، وكل هذه التخريجات لاتخلو عن تكلف .

فنصب « الأفعوان » وهو بدل من « الحيات » وهو مرفوع لفظا ، لأن كل شيئين تَسَالما فهما فاعلان مفعولان ، وهذا التوجيه أسهلُ من أن يكون التقدير قد سالم الحيات منه القدم وسالمت القدم الأفعوان .

الثانى : قوله « أتبع » يوهم وجوبَ الإتباع ، وليس كذلك ، لأن القطع فى ذلك منصوصٌ على جوازه .

(وَإنْ نُعُوتٌ كَثُرَتْ وَقَدْ تَلَتْ) أى : تبعت منعوتاً (مُفْتَقِرًا لِذِكْرِهِنَّ) بأن كان لايُعْرف إلا بذكر جميعها (أُتْبِعَتْ) كلُّها لتنزيلها منه حينئذ منزلة الشى الواحد ، وذلك كقولك : « مررت بزيد التاجر الفقيه الكاتب » إذا كان هذا الموصوفُ يشاركه فى اسمه ثلاثةٌ : أحدهم تاجر كاتب ، والآخر تاجر فقيه ، والآخر فقيه كاتب .

(وَاقْطَعْ) الجميع (أَوْأَتْبِعِ) الجميعَ ، أو اقطع البعضَ وأتبع البعض (إنْ يَكُنْ) المنعوت (مُعَيَّناً * بِدُونِهَا) كلها ، كما فى قول خِرْنِقَ :

٧٨٧ — لاَيَبْعَدَنْ قَوْمِى الَّذِينَ هُمُ سُمُّ العُـدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْـتَرَكٍ والطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

---

٧٨٧ — هذان بيتان من الكامل ، وهما من كلام خرنق — بكسر الخاء وسكون الراء المهملة وكسر النون وآخره قاف — بنت بدر بن هفان البكرى اليشكرى، إحدى شواعر الجاهلية وأخت طرفة بن العبد البكرى لأمه ، من كلة لها ترثى فيها زوجها عمرو بن مرثد وابنها علقمة ابن عمرو وأخويه : شرحبيلا وحسان ، وبعد البيتين المستشهد بهما قولها :

إنْ يَشْرَبُوا يَهَبُوا وَإنْ يَذَرُوا يَتَوَاعَظُوا عَنْ مَنْطِقِ الْهُجْـرِ
قَـومٌ إذا رَكِبُوا سَمِعْتَ لَهُمْ لَغَطًا مِنَ التَّأْبِيهِ وَالزَّجْـرِ
الخَالِطِينَ نَحِيتَهُمْ بِنُضَارِهِمْ وَذَوِى الْغِنَى مِنْهُمْ بِذِى الفَقْرِ
هٰـذَا ثَنَائِى مابَقِيتُ عَلَيْهِمُ فإذا هلَـكْتُ أَجَنَّـنِى قبرى

وانظر هذه القطعة فى ديوانها (ص ١٠) وفى أمالى القالى (٢ / ١٥٨) وثلاثة أبيات من

... ...

أولها فى التنبيه للبكرى (٧٥) وفى اللآلى (ص ٥٤٨) وذكر تخريجها فى اللآلى، فانظره إن شئت.

اللغة: «لايبعدن قومى — البيت» لايبعدن: معناه لايهلكن، وهو دعاء جاء بلفظ النهى، يقال: «بعد يبعد بعدا» بوزن: فرح يفرح فرحا — إذا هلك، وقالوا: «بعد يبعد» بضم العين فيهما «بعدا» بضم فسكون — ضدّ قرب، وقد يستعمل هذا فى الهلاك أيضا لتقارب معناها، كما قال الله تعالى: (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) فإن قلت: فكيف تدعو لقومها بألا يهلكوا وهم قد هلكوا؟ فالجواب: أن العرب قد جرت عادتها باستعمال هذا اللفظ فى الدعاء للميت، ولهم فى ذلك غرضان: أحدهما: أنهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل القدر، وكأنهم لايصدقون بموته، وقد بين هذا المعنى زهير بن أبى سلمى المزنى فى قوله:

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تأْبَى نُفُوسُهُمْ ... وكَيْفَ بِحِصْنٍ والجِبَالُ جُنُوحُ

ولم تَلْفِظِ المَوْتَى القُبُورُ، ولم تَزَلْ ... نُجُومُ السَّمَاءِ، والأَدِيمُ صَحِيحُ

يريد أنهم يقولون: مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون: كيف يجوز ذلك الأمر والجبال لاتزال جاثمة فى أماكنها لم تنسف، والنجوم لم تنكدر، والقبور لم تخرج موتاها، ولا يزال جرم العالم صحيحا لم يحدث له حادث؟. والغرض الثانى: أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يذهب الحديث عنه، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياة له جديدة، وقد أفصح الشاعر عن هذا المعنى إذ يقول:

فأَثْنُوا عَلَيْنَا لاأَبا لأَبِيكُمُ ... بِأَفْعَالِنَا، إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الخُلْدُ

وقال الآخر يرثى يزيد بن مزيد الشيبانى:

فإِنْ تَكُ أَفْنَتْهُ اللَّيالِى فأَوْشَكَتْ ... فإِنَّ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِى اللَّيَالِيَا

وقال المتنبى بعد ذلك وأحسن:

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِى وحاجَتُهُ ... مَاقَاتَهُ، وفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ

وقد بين مالك بن الريب المازنى مافى هذا من المحال فى قصيدته التى يرثى فيها نفسه، حيث يقول:

يَقُولُونَ لاتَبْعَدْ وهُمْ يَدْفِنُونَنِى ... وأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إلاَّ مَكَانِيَا ؟

وقول خرنق: «سم العداة» السم معروف، وتجوز فى سينه الحركات الثلاثة، والعداة:

... ...

جمع عاد مثل قاض وقضاة وغاز وغزاة ، وقد حكى أبو زيد قولهم : «أشمت الله عاديك» أى عدوك، ولا يكون العداة جمع عدوّ لأن عدوا فعول ، ولا يجمع فعول على فعلة ، إنما يجمع على فعلة فاعل إذا كان معتل اللام ، والآفة : العلة ، والجزر : جمع جزور — بفتح الجيم ، بزنة صبور — والجزور : الناقة التى تنحر ، فإن كان ماينحر من الغنم فهو جزر — بفتح الجيم والزاى — وصفت قومها بالشجاعة والنجدة وأنهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم، ثم وصفتهم بالكرم والجود وأنهم ينحرون الإبل للأضياف فكأنهم آفة للإبل تصيبها فتهلكها ، فإن قلت : كيف قالت : «الذين هم سم العداة ... إلخ؟» وهذه العبارة إنما تقال فى الأحياء الموجودين الذين يفعلون ماتذكره، وكان من حق المعنى أن تقول : «الذين كانوا سم العداة — إلخ» فالجواب عن هذا من وجهين : أحدهما : أن من سنن العرب فى كلامهم أن يضمنوا الكلام معنى كان ، ومن ذلك قوله تعالى : (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) فقد قال الكسائى : أراد سبحانه ما كانت تتلو الشياطين . والوجه الثانى : أنها دعت لهم ببقاء الذكر بعد موتهم فصاروا بمنزلة الموجودين ولما كان ذلك كذلك كانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه « النازلون بكل معترك — البيت » المعترك — ومثله المعرك والمعركة — موضع القتال ، وأصل اشتقاقه من قولهم : « عركت الرحى الحب » إذا طحنته ، أرادوا أن الحرب تطحن الأبطال كما تطحن الرحى مايقع فيها ، ولهذا تجدهم يقولون: «دارت رحى الحرب» وقد بين هذا المعنى زهير بن أبى سلمى المزنى فى قوله :

فَتَعْرُكْكُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... وتَلْقَحْ كشافاً ثم تُحْمِلْ فتفطم

ومعنى قولها : « النازلون بكل معترك » أنهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم ، وقال ابن السيد : النزول عن الحرب على نحوين : أحدهما : هذا الذى ذكرناه ، والآخر : مايكون فى أول الحرب ، إذ ينزل المحاربون عن إبلهم ويركبون خيلهم ، وذلك أنهم اعتادوا أن يقودوا خيولهم ولا يركبوها ليريحوها ، فإذا قربوا من عدوهم وأغاروا نزلوا عن الإبل إلى الخيل مخافة أن يتبعوا فيدركوا ، ويقال : إن فى قولها : « النازلون بكل معترك » إشارة إلى أن حالهم فى القتال على الخيل كحالهم فى القتال على الأقدام ، وأنهم لايكفون عن النزول إذ أن أحوال الناس فى ذلك مختلفة ، ولا ينزل فى ذلك الموضع إلا أهل البأس والشدة ، وانظر إلى قول مهلهل بن ربيعة :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا فَنَزَلْنَا ... وأَخُو الحَرْبِ مَنْ أَطَاقَ النُّزُولاَ

وقولها : « والطيبون معاقد الأزر » تريد أنهم أعفاء ، ومن سنن العرب أن تكنى بالشىء

... ...

عما يحويه ويشتمل عليه ، فإذا وصفوا أحدا بطهارة الكم أرادوا أنه لايسرق ولايخون ، وإذا وصفوه بطهارة الجيب أرادوا أن قلبه لاينطوى على غش ولا مكر لوقوع الجيب على الفؤاد أو قريبا منه ، وكذلك يكنون بطهارة الإزار وطيبه ، وطهارة الذيل ، وبطيب الحجزة ، على ماجاء فى قول النابغة الذبيانى :

* رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ *

والمعاقد — فى قول الخرنق — جمع معقد ، وهو موضع العقد ، والأزر : جمع إزار ، وهو اسم لما يستر النصف الأسفل من الإنسان ، فأما مايستر النصف الأعلى منه فهو رداء « إن يشربوا يهبوا — البيت » الهجر — بضم الهاء وسكون الجيم — الفحش والكلام القبيح ، قالوا : وليس هـذا الكلام بمدح تام ، لأنها جعلت العلة فى كرمهم شرب الخمر ، وهذا مثل قول أخيها طرفة بن العبد البكرى :

فإذا ماشَرِبُوها وَانْتَشَوْا وَهَبُوا كُلَّ أَمُونٍ وَطِمِرْ

ونظيرها قول حسان بن ثابت :

وَنَشْرَبُهَا فتَتْرُكُنَا مُلُوكاً وَأُسْداً مايُنَهْنِهُنَا اللِّقاء

وامرؤ القيس أحسن من هؤلاء جميعاً فى قوله :

سَمَاحَةُ ذَا وَبِرُّ ذَا وَوَفاء ذا وَنَائِلُ ذا إِذَا صَحَا وَإذا سَكِرْ

فأخبر أنه جواد فى الحالين جميعا : فى حال الصحو ، وفى حال السكر ، وهذا هو المدح التام ، ونظيره قول عنترة بن شداد :

وَإِذَا شَرِبْتُ فإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وعِرْضِى وَافِرٌ لم يُكْلَمِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى وكما عَلِمْتِ شَمَائِلِي وتَكَرُّمِي

« قوم إذا ركبوا — البيت » اللغط — بفتح اللام ، والغين مفتوحة أو ساكنة — هو الأصوات المختلطة ، والجلبة ، والتأبيه : التصويت والدعاء ، تقول : « أبهت بالرجل تأبيها » إذا صحت به ودعوته ، وفى الحديث «أن ملك الموت سئل: كيف تقبض الأرواح ؟ فقال : أؤبه بها كما يؤبه بالخيل فتجىء إلىّ» . وقد قال البغدادى : استدل بعضهم بهذا البيت وما بعده على أن الأبيات الأولى دعاء لمن بقى من قومها ، وردّ ذلك بأنها قالت بعد ذلك :

... ...

لَاقَوْا غَــــدَاةَ قُلَابَ حَتْفَهُمُ سَـــــوْقَ الْعَتِيرِ يُسَاقُ لِلْعَتْرِ

وقولها : « الخالطين نحيتهم بنضارهم — البيت » النحيت : الخامل الساقط الذكر ، والنضار — بضم النون ، بوزن الغراب — الخالص النسب ، العزيز ، الشهير ، تقول : إنهم خلطوا خاملهم برفيعهم وفقيرهم بغنيهم فاكتسبوا الغنى وحميد الخصال ، فليس فيهم خامل ولا فقير ، ومثله قول زهير بن أبي سلمى المزنى :

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَـــذْلُ

ويروى : « الخالطين لجينهم بنضارهم » واللجين — بضم اللام وفتح الجيم وسكون الياء وآخره نون — أصله الفضة ، وأصل النضار الذهب ، ويطلق النضار على من يكون صافى النسب تام الكمال لاتشوبه هجنة ولا منقصة ، ويطلق اللجين والفضة على من يكون أدنى رتبة من هؤلاء ولا يصل إلى منزلتهم ، وانظر قول الشاعر وهو الذى أنشده يعقوب بن السكيت وهو الشاهد رقم (٢١١) الذى مرّ فى باب « ما » العاملة عمل ليس :

بَنِى غُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمُ ذَهَبٌ وَلا صَرِيفٌ وَلٰكِنْ أَنْتُمُ الْخَزَفُ

وقولها : « هذا ثنائى — البيت » تقول : أثنى عليهم ماحييت إلى أن أموت ، فإذا أجننى قبرى انقطع ثنائى ، وروى العينى عجز هذا البيت :

* وإذا هلكت وجننى قبرى *

وقال ابن السيد : هذا كلام لافائدة فيه على ظاهره .

الإعراب : « لا » حرف دعاء ، مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « يبعدن » فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة فى محل جزم بلا الدعائية ، ونون التوكيد الخفيفة حرف مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « قومى » قوم : فاعل يبعد مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة لياء التكلم ، وهو مضاف وياء التكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « الذين » نعت لقومى مبنى على السكون فى محل رفع « هم » مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع « سم » خبر المبتدإ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و «العداة» مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة «وآفة» الواو حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، وآفة : معطوف على الخبر ، والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « الجزر » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، والجملة من المبتدإ وخبره لامحل لها من الإعراب صلة الموصول « النازلون » نعت ثان لقومى

... ...

مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم ، والنون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد « بكل » جار ومجرور متعلق بالنازلين ، وكل مضاف و « معترك » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « والطيبون » الواو عاطفة ، الطيبون : معطوف على قوله النازلون ، وهى صفة مشبهة « معاقد » منصوب على التشبيه بالمفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « الأزر » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قولها : «النازلون» وقولها : « والطيبون » فإن الأول نعت لقولها : «قومى» والثانى معطوف عليه ، ويجوز فيهما الإتباع بإعراب الأول نعتا ، والثانى معطوفا عليه ، كما فعلنا فى إعراب الشاهد ، ويجوز فيهما القطع ، ولك فى القطع وجهان : أحدهما أن تبقيهما مرفوعين ، ورفع أولهما حينئذ على أنه خبر مبتدإ محذوف وجوبا ، ورفع ثانيهما بالعطف عليه أو بتقدير مبتدإ . والوجه الثانى أن تنصبهما ، ونصب الأول حينئذ على أنه مفعول به لفعل محذوف وجوبا وتقديره : أعنى ، أو أمدح النازلين بكل معترك ، ونصب الثانى على أنه معطوف على الأول أو بتقدير فعل ، ويجوز لك أن ترفع الأول على الإتباع أو على القطع بتقدير مبتدإ ونصب الثانى على القطع بتقدير فعل ، كما يجوز لك أن تنصب الأول على القطع بتقدير فعل ، وترفع الثانى على القطع بتقدير مبتدإ ، ولا يجوز فى هذه الحال الأخيرة أن ترفع الثانى على الإتباع ، والسر فى ذلك أن القاعدة عندهم أن الإتباع بعد القطع ممتنع ، لأنه يشبه العود إلى الشىء بعد الانصراف عنه ، وهو مما تمجه النفوس السليمة والطباع المستقيمة . وحاصل الأمر أنه يجوز لك فى الأول الإتباع والقطع ، فإذا أتبعت الأول جاز لك فى الثانى الإتباع والقطع ، وإذا قطعت الأول لم يجز لك فى الثانى إلا القطع ، وأن الإتباع هنا يكون بالرفع ليس غير ، والقطع يكون بالرفع ويكون بالنصب ، وأن العامل فى حال القطع محذوف وجوبا لما علمت فى باب المبتدإ والخبر فى مباحث حذف المبتدإ وجوبا ، ومنه تعلم أنه يجوز لك فى « النازلون » و « الطيبون » رفعهما ، ونصبهما ، ورفع الأول مع نصب الثانى ، ونصب الأول مع رفع الثانى ، فإن رفعتهما جميعا كان لك فيهما ثلاثة أوجه من الإعراب ، وهى : إتباعهما ، وقطعهما بتقدير مبتدإ للأول وعطف الثانى عليه عطف مفرد على مفرد أو بتقدير مبتدإ لكل منهما وعطف جملة الثانى على جملة الأول ، ولك إتباع الأول وقطع الثانى بتقدير مبتدإ ، ولا يجوز قطع الأول بتقدير مبتدإ وإتباع الثانى . وإن نصبتهما لم يكن فيهما إلا القطع بتقدير فعل للأول ، وعطف الثانى عليه عطف مفرد على مفرد ، أو بتقدير فعل لكل منهما ، وعطف جملة الثانى على جملة الأول ، ولا يجوز لك إتباعهما ولا إتباع أحدهما وقطع الآخر ، وإن رفعت الأول ونصبت الثانى جاز لك فى الأول الإتباع والقطع بتقدير مبتدإ ، ولم يجز لك فى الثانى إلا

فيجوز رفع « النازلين » و « الطيبين » على الإتباع لقومى ، أو على القطع بإضمار هُم ، ونصبهما بإضمار أمدح أو أذكر ، ورفع الأول ونصب الثانى على ماذكرنا ، وعكسه على القطع فيهما .

(أَوْ بَعْضَهَا اقْطَعْ مُعْلِنَا) : أى إذا كان المنعوت مفتقرا إلى بعض النعوت دون بعض وجب إتباع المفتقَر إليه ، وجاز فيما سواه القطع والإتباع ، هكذا فى شرح الكافية .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : إذا قُطع بعضُ النعوت دون بعض قُدِّم المُتْبَعُ على المقطوع ، ولا يعكس ، وفيه خلاف . قال ابن أبى الرَّبيع : الصحيح المنع . وقال صاحب البسيط : الصحيح الجواز . ولو فرق بين الحالة الثانية — وهى الاستغناء عن الجميع — فيجوز ، والحالة الثالثة — وهى الافتقار إلى البعض دون البعض — فلا يجوز ؛ لكان مذهباً .

الثانى : إذا كان المنعوت نكرة تعين فى الأول من نعوته الإتباعُ ، وجاز فى الباقى القَطْع ، كقوله :

٧٨٨ — وَيَأْوِى إلى نِسْوَةٍ عُطَّلٍ ... وشُعْثاً مَرَاضِيعَ مِثْلَ السَّعَالِى

القطع بتقدير فعل ، والواو حينئذ عطفت جملة الثانى على جملة الأول ، وإن نصبت الأول ورفعت الثانى لم يجز لك إلا قطعهما ، لكن الأول بتقدير فعل والثانى بتقدير اسم ، والواو عطفت جملة الثانى على جملة الأول ، وقد أوضحنا لك هذه المسألة إيضاحا لاتحتاج بعده إلى شىء ، فاعرفه والله يرشدك .

٧٨٨ — هذا بيت من المتقارب ، وهو من قصيدة طويلة لأمية بن أبى عائذ الهذلى ، وقد رواها البغدادى فى خزانة الأدب (٤١٩/١ بولاق) وشرحها نقلا عن أبى سعيد السكرى فى شرح شعر الهذليين ، وقد اطلعت على هذه القصيدة فى شعر الهذليين (١٧٢/٢ طبع دار الكتب المصرية) ووجدت بيت الشاهد يروى فيها على وجه آخر ستعرفه ، ومطلع هذه القصيدة قوله :

أَلا يَا لَقَوْمٍ لِطَيْفِ الخَيَالِ ... يُؤَرِّقُ مِنْ نَازِحٍ ذِى دَلَالِ

أَجَازَ إلَيْنَـا عَلَى بُعْدِهِ ... مَهَاوِىَ خَرْقٍ مَهَابٍ مَهَالِ

صَحَارَى تَغَوَّلُ جِنَّـانُهَا ... وَأَحْدابَ طَوْدٍ رَفِيعِ الجِبَالِ

... ...

خَيَالٌ لِجَعْدَةَ قد هَاجَ لِي   نُكَاساً منَ الحُبِّ بَعدَ اندمالِ
تَسَدَّى مَعَ النَّوْمِ تِمْثَالُهَا   دُنُوَّ الضَّبَابِ بِطَلٍّ زُلَالِ

وقبل البيت المستشهد به قوله :

فلمَّا وَرَدْنَ صَدَرْنَ النَّقِيلَ   كأَوْبِ مَرَامِى غَوِىٍّ مُغَالِ
فأَسْلَكَهَا مَرْصَـدًا حَافِظاً   بِهِ ابْنُ الدُّجَى لاصِقاً كالطِّحَالِ
مُقِيتاً مُعِيدًا لأَكْلِ القَنِيـ   ـصِ ذَا فَاقَةٍ مُلْحِماً لِلْعِيَالِ
لَهُ نِسْوَةٌ عَاطِلاتُ الصُّدُو   رِ عُوجٌ مَرَاضِيعُ مثلُ السَّعالِى
تَرَاحُ يَدَاهُ لِمَحْشُـورَةٍ   خَوَاظِى الْقِدَاحِ عِجَافِ النِّصَالِ

اللغة : « ألا يالقوم لطيف الخيال — البيت » الطيف ههنا مصدر « طاف الخيال يطيف طيفا » ، ويؤرق : يسهد ويبعد النوم ، ومن نازح : أى من حبيب بعيد ، وهذا المطلع من أبيات سيبويه فى مباحث الاستغاثة ، أورده شاهدا على أن اللام الأولى فى « يا لقوم » مفتوحة واللام الثانية فى « لطيف الخيال » مكسورة ، فرقا بين المستغاث به والمستغاث من أجله ، قال سيبويه : معناه « من لطيف الخيال من نازح ذى دلال يؤرقنى ، وذكر النازح لأنه أراد الشخص ، والدلال : الدلالة بحسن وحجة ونحوهما « أجاز إلينا على بعده — البيت » أجاز الخيال : أى قطع إلينا على بعـد ، والمهاوى : المواضع يهوى ويسقط فيها ، وهو مفعول أجاز ، والخرق — بفتح فسكون — الفلاة الواسعة تتخرق فيها الرياح ، والمهاب — بفتح الميم — موضع الهبوب والمهال — بفتح الميم أيضا — موضع الهول « صحارى تغول جنانها — البيت » الصحارى : جمع صحراء ، وتغول : تتلون كتلون الغول ، والجنان — بكسر الجيم — جمع جان ، وهو أبو الجن ، والأحداب : منصوب بالعطف على مهاوى ، وهو جمع حدب — بفتح الحاء والدال جميعا — وهو ما ارتفع من الأرض « خيال لجعدة قد هاج لى — البيت » أى ذلك الخيال خيال جعدة ، وجعدة : اسم امرأة ، ويقال : « عرض لى نكس ونكاس » بزنة قفل وغراب — وهو العود إلى المرض بعد الإفاقة منه ، واندمل : برئ بعض البرء وأفاق بعض الإفاقة « تسدّى مع النوم تمثالها — البيت » أى غشينا خيالها كما تغشى الضباب الأرض ، والضباب : الغيم ، والطل : الندى ، والزلال : الصافى « فلما وردن صدرن النقيل — البيت » النقيل : الناقلة فى السير ، وأصله إذا وقع فى حجارة ناقل قوائمه بأن يضعها بين كل حجرين ، والمغالى : الرامى الذى يغالى

... ...

فى الرمى : أى يغالب غيره فيه ليعرف أيهما أبعد مرمى سهم ، يقول : آبت ورجعت كأوب السهام ، وأوبها إذا نزع النازع فى القوس ، فإذا أرسل إليهم فقد آب من حيث نزع « فأسلكها مرصدا حافظا — البيت » أى فأسلكها الفحل — وهو حمار الوحش — مكانا يرصد به الرامى الوحش والضمير فى « به » يعود إلى المرصد ، وابن الدجى : الصياد ، والدجى — بضم الدال — جمع دجية ، وهى هنا بيت الصائد تكون حفيرة يستتر فيها لئلا يراه الوحش فينفر منه ، ولاصقا : أى قد لصق الصياد بأرض حفيرته ليخفى نفسه عن الصيد كما لصق الطحال بجنب الإنسان « مقيتا معيدا لأكل القنيص — البيت » المقيت : المقتدر ، تقول : « أقات فلان على كذا » تريد أنه اقتدر عليه ، والمعيد الذى قد اعتاد الشىء ، يريد أنه قد تعود أكل مايصطاده ، والملحم : اسم الفاعل من « ألحم » أى أطعم اللحم « له نسوة عاطلات الصدور — البيت » هذا هو بيت الشاهد كما ورد فى شعر الهذليين ، ولكنه ورد فى لسان العرب كما رواه النحاة ، وعاطلات الصدور : أى ليس عليهن حلى ، ويروى «عطلات الصدور» بغير ألف بعد العين ، والعوج : المهازيل ، والمراضيع : جمع مرضع بإشباع كسرة الضاد فى الجمع حتى تتولد ياء ، والمراضع : التى لها ولد يرضع ، والسعالى : جمع سعلاة ، وأراد بالسعالى الغيلان ، والضمير فى « يأوى » على رواية اللسان والنحاة يرجع إلى ابن الدجى وهو الصياد « تراح يداه لمحشورة — البيت » تراح يداه : تخف ، تقول : « راحت يداه بكذا » إذا خفت له وأسرعت فيه ، والمحشورة : نبل قد ألطف قذذها ، وذلك أسرع لها وأبعد فى المرمى ، والخواظى : جمع خاظية ، وهى المتينة المكتنزة ، والقداح : جمع قدح — بكسر القاف وسكون الدال — وهو عمود السهم ، ومعنى « عجاف النصال » أنها قد أرهفت وحددت حتى بدت كالهزيلة ، وإضافة خواظى إلى القداح وعجاف إلى النصال من إضافة الصفة إلى الموصوف ، فإنه أراد أن قداح هذا السهم متينة ونصاله مرهفة محددة .

المعنى : أصل الكلام جار فى أنه شبه ناقته بحمار وحش ووصفه بأشياء كثيرة ، ثم وصف أن هذا الحمار أورد أتنه الماء ثم أصدرها فأسلكها مكانا فيه صياد يترصده ويرتقبه ، ثم وصف هذا الصياد بأنه مختف فى حفيرة وأنه حريص على وقوع الوحش فى يده لأنه متعود أن يأكل من لحوم مايصيد ، ولأنه يرجع فى بيته إلى نسوة شديدات الضر والحاجة ، فليس فى أيديهن ولا فى نحورهن حلى ، وهن شعث عليهن غبرة الحاجة والجوع ، مع حاجتهن إلى الطعام لكونهن مراضع ، فهو لذلك شديد الحرص على الصيد .

الإعراب : « يأوى » فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى

الثالث : يستثنى من إطلاقه النعتُ المؤكِّدُ نحو : « إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ » والملتزَمُ نحو : « الشِّعْرَى العَبُور » ، والجارى على مُشَارٍ به نحو : « هذا العالم » فلا يجوز القطع فى هذه .

(وَارْفَعِ أَوِ انْصِبْ إِنْ قَطَعْتَ) النعتَ عن التبعية (مُضْمِرَا * مُبْتَدَأً أَو نَاصِبًا لَنْ يَظْهَرَا) أى لايجوزُ إظهارهما .

وهذا إذا كان النعت لمجرد مدح أو ذم أو ترحم ، نحو : « الحمد لله الحميدُ » بالرفع بإضمار هو ، ونحو : « وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ » بالنصب بإضمار أذمُّ ، أما إذا كان للتوضيح أو للتخصيص فإنه يجوز إظهارهما ، فتقول : مررت بزيدٍ التاجرِ بالأوجه الثلاثة ، ولك أن تقول : هو التاجر ، وأعنى التاجر .

الصياد المعبر عنه بابن الدجى فى الأبيات السابقة على بيت الشاهد « إلى » حرف جرّ « نسوة » مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بقوله : يأوى « عطل » صفة لنسوة مجرورة بالكسرة الظاهرة « وشعثا » الواو حرف عطف ، شعثا : مفعول به لفعل محذوف ، والتقدير أعنى شعثا ، أو أرحم شعثا ، أو نحو ذلك ، منصوب بالفتحة الظاهرة « مراضيع » صفة لشعث « مثل » صفة ثانية لشعث ، ومثل مضاف و « السعالى » مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وجملة الفعل المحذوف وفاعله معطوفة بالواو على جملة « ويأوى » مع معمولاته .

الشاهد فيه : قوله : « نسوة عطل وشعثا — إلخ » فقد اجتمع فى هذه الألفاظ منعوت نكرة — وهو قوله « نسوة » — وأكثر من نعت — وذلك قوله « عطل » وقوله « شعث » — وقد رأينا الشاعر أتبع النعت الأول لذلك المنعوت المنكر ، ثم قطع مابعده إلى النصب بتقدير فعل ، فأما إتباع أول نعوت النكرة فهو واجب لايجوز العدول عنه فى الأعرف الأشهر من مذاهب النحويين ، وذهب سيبويه إلى جواز قطعه ، وأما قطع مابعد الأول فهو أمر جائز ، سواء أتعين مسمى النكرة بالأول أم لم يتعين ، وذلك لأن المقصود من نعت النكرة التخصيص ، وقد حدث التخصيص المقصود بإتباع الأول منها ، وإن شئت أتبعت الثانى أيضا ، إلا أنك تحافظ على ماقررناه لك فى شرح الشاهد السابق من أنه لايجوز لك الإتباع بعد القطع . قال ابن خلف فى بيت الشاهد : « الشاهد فيه أنه نصب شعثا كأنه حيث قال إلى نسوة عطل صرن عنده ممن علم أنهن شعث ، ولكنه ذكر ذلك تشنيعا لهن وتشويها ، قال الخليل : كأنه قال : أذكرهن شعثا إلا أن هذا فعل لايستعمل إظهاره ، لأن ماقبله قد دل عليه فأغنى عن ذكره ، على مايجرى عليه الباب فى المدح والذم » اهـ . وأنشده سيبويه فى كتابه مرارا ؛ فأنشده مرة بنصب شعث على مابينا ، وأنشده فى مواضع بجر شعث على الإتباع ، واستشهد جار الله الزمخشرى بهذا البيت فى الكشاف عند تفسير قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة ، وأولو العلم ، قائما بالقسط) للاستدلال به على أن الاسم المنتصب على المدح كما يكون معرفة يكون نكرة كما فى هذا البيت .

(وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ والنَّعْتِ عُقِلْ) أى علم (يجوز حَذْفُهُ) ، ويكثر ذلك فى المنعوت (وَفِى النَّعْتِ يَقِلّْ) فالأول شرطُه إما كونُ النعتِ صالحاً لمباشرة العامل ، نحو : « أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ » أى دُروعاً سابغاتٍ ، أو كونُ المنعوتِ بعضَ اسمٍ مخفوضٍ بِمِنْ أوفى ، كقولهم : مِنَّا ظَعَنَ ومِنَّا أَقَامَ ، أى منا فريقٌ ظعن ومنا فريقٌ أقام ، وكقوله :

٧٨٩ — لَوْ قُلْتَ مَا فى قَوْمِهَا لَمْ تِيثَمِ   يَفْضُـــلُهَا فى حَسَبٍ ومِيسَمِ

---

٧٨٩ — هذا بيت من الرجز ، أو بيتان من مشطوره ، وبعده قوله :

عَفِيفَةُ الجَيْبِ حَـــرامُ المحرمِ   مِنْ آلِ قَيْسٍ فى النِّصَابِ الأَكْرَمِ

وهذا الرجز لحكيم بن معية الربعى ، أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهو راجز إسلامى كان مع العجاج وحميد الأرقط فى زمن .

اللغة : « لم تيثم » لم تقع فى الإثم ، وهو الذنب ، وأراد لم تكذب ، وأصل تيثم تأثم مضارع أثم إثما مثل علم يعلم علما ، فكسر حرف المضارعة كما يكسرها غير الحجازيين فصار « لم تئثم » فوقعت الهمزة ساكنة إثر كسرة فقلبها ياء كما يقول بعض العرب وهم أهل الحجاز : ذيب ، وبير ، فى ذئب ، وبئر « يفضلها » يزيد عليها « فى حسب » الحسب : مايعده المرء من مفاخره ، وأراد به ههنا شرف النسب ، وهو شرف الآباء « ميسم » — بكسر الميم بعدها ياء مثناة — هو الحسن والجمال « عفيفة الجيب » نسب العفة إلى جيبها والمراد مابداخله ، وقد ذكرنا ذلك فى شرح الشاهد رقم (٧٨٧) قريبا « النصاب » الأصل .

الإعراب : « لو » حرف شرط غير جازم مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « قلت » فعل ماض وتاء المخاطب فاعله « ما » حرف نفى مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « فى » حرف جر « قومها » قوم : مجرور بفى ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وقوم مضاف وضمير الغائبة مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « لم » حرف نفى وجزم وقلب « تيثم » مضارع مجزوم بلم ، وعلامة جزمه السكون ، وحرك بالكسر لأجل الروى ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، والجملة من الفعل وفاعله لامحل لها من الإعراب جواب لو « يفضلها » يفضل : فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وفاعله

أصله : لو قلت ما فى قومها أحدٌ يفضلها لم تأثم ، فحذف الموصوف وهو أحد ، وكسر حرف المضارعة من تأثم ، وأبدل الهمزة ياء ، وقدّم جواب لو فاصلا بين الخبر المقدم — وهو الجار والمجرور — والمبتدأ المؤخر، وهو «أحد» المحذوف .

فإن لم يَصْلُح ، ولم يكن المنعوت بعضَ ما قبله مِنْ مجرورٍ بِمِنْ أو فِى ؛ امْتَنَعَ ذلك : أى إقامةُ الجملة وشِبْهِهاَ مُقامه ، إلا فى الضرورة كقوله :

ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو ، وضمير الغائبة مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب ، وجملة الفعل المضارع وفاعله ومفعوله فى محل رفع صفة لموصوف محذوف يقع مبتدأ مؤخرا خبره المقدم الجار والمجرور ، وتقدير الكلام : مافى قومها أحد يفضلها « فى حسب » جار ومجرور متعلق بقوله يفضلها « وميسم » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، ميسم : معطوف على حسب ، والمعطوف على المجرور مجرور ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « مافى قومها يفضلها » فإن هذا الكلام قد اشتمل على نعت هو جملة « يفضلها » حذف منعوته — وهو « أحد » لأن تقدير الكلام : مافى قومها أحد يفضلها على ماعرفت فى إعراب البيت — وهذا النعت المحذوف هو بعض اسم مجرور بفى ، ألا ترى أن الأحد بعض قومها المجرور بفى ، قال سيبويه : « يريد مافى قومها أحد يفضلها ، كما قالوا : لو أن زيدا ههنا ، وإنما يريدون لكان كذا » اه . وقال الفراء : « من كلام العرب أن يضمروا من فى مبتدإ الكلام بمن ، فيقولون : منا يقول ذلك ومنا لايقوله ، وذلك أن من بعض لما هى منه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك ، قال الله تعالى : (وما منا إلا له مقام معلوم) وقال : (وإن منكم إلا واردها) ولا يجوز إضمار من فى شىء من الصفات إلا على هذا الذى نبأتك به ، وقد قالها الشاعر فى فى ، وليست أشتهيها ، قال : * لو قلت ما فى قومها ... البيت * وإنما جاز ذلك فى فى لأنك تجد معنى من، أنه بعض ما أضيفت إليه ، ألاترى أنك تقول : فينا الصالحون وفينا دون ذلك ، فكأنك قلت : منا ، ولا يجوز أن تقول : فى الدار يقول ذلك ، وأنت تريد فى الدار من يقول ذلك ، إنما يجوز إذا أضيفت فى إلى جنس المتروك » اه . والمراد بمن المضمرة فى كلامه من النكرة التى تفسر بإنسان ، وليس المراد به من الموصولة ، وقال السيرافى : « أكثر مايأتى الحذف مع من ، لأن من تدل على التبعيض ، وقد جاء مثله مع فى ، وليس مثل من فى الكثرة » اه .

٧٩٠ — * لَكُمْ قِبْصُهُ مِنْ بَيْنِ أَثْرَى وَأَقْتَرَا *

٧٩٠ — هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* لَكُمْ مَسْجِدَا اللهِ الْمَزُورَانِ والحْصَى *

وهذا البيت للكميت من قصيدة يمدح فيها بنى أمية ، وقد أنشد البيت الجوهرى فى الصحاح وابن منظور فى اللسان (ق ب ص) واستشهد به من شراح الألفية ابن القاسم لمثل ما استشهد به الشارح .

اللغة : « مسجدا الله » أراد بهما مسجد مكة وهو بيت الله الحرام الذى فيه الكعبة قبلة المسلمين ، ومسجد المدينة الذى يضم جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم « المزوران » تثنية مزور — بفتح الميم وضم الزاى — وهو اسم المفعول من « زاره يزوره » وأراد اللذين يزورها الناس « والحصى » أراد به العدد العديد من الأهل والتبع والأنصار ، وانظر إلى قول الأعشى وهو الشاهد رقم (٧٧٢) .

وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ

« لكم قبصه » هو بكسر القاف أو فتحها مع سكون الباء — ومعناه العدد الكثير من الناس ، والضمير يعود إلى الحصى ، ومن كلام العرب : « إن بنى فلان لفى قبص الحصى » أى إنهم لكثيرو العدد ، قال ابن منظور فى اللسان : « وقبص النمل (بالكسر) وقبصه (بالفتح) مجتمعه ، الليث : القبص : مجتمع النمل الكبير الكثير ، يقال : إنهم لفى قبص الحصى أى فى كثرتها ، لايستطاع عده من كثرته ، والقبص والقبص : العدد الكثير ، وفى الصحاح : العدد الكثير من الناس ، وفى الحديث : « فتخرج عليهم قوابص » أى طوائف وجماعات ، واحدها : قابصة ، قال الكميت : * لكم مسجدا الله المزوران ... البيت * أى من بين مثر ومقل ، وفى الحديث : « أن عمر رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده قبص من الناس » اهـ كلامه بحروفه ، وقد وقع فى نسخ الشرح « قبصة » بنقط التاء ، ولكنا أصلحناه بحذف النقطتين لما أثرناه لك من كلام ابن منظور « أثرى » كثر ماله وصار فى عدد الثرى وهو التراب « أقتر » افتقر وقل ماله .

المعنى : يمدح بنى أمية — على مايقول العينى — بأن الله تعالى قد جعل لهم الولاية على مسجديه اللذين يزورها الناس ، وجعل لهم العدد العديد من الأهل والأتباع والأنصار الذين لكثرتهم يوجد بينهم المثرى والفقير .

الإعراب : « لكم » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « مسجدا » مبتدأ مؤخر مرفوع بالألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، وهو مضاف و « الله » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « المزوران » نعت للمسجدين مرفوع بالألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، والنون عوض

... ...

عن التنوين فى الاسم المفرد «والحصى» الواو حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب، الحصى : معطوف على المبتدإ المؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « لـكم » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « قبصه » قبص : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد إلى الحصى مضاف إليه مبنى على الضم فى محل جر «من» حرف جر مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « بين » مجرور بمن وعلامة جره الـكسرة الظاهرة « أثرى » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو ، والجملة من الفعل الماضى وفاعله فى محل جر نعت لمنعوت محذوف يقع مضافا إليه ، وتقدير الـكلام : من بين من أثرى « وأقترا » الواو حرف عطف ، أقتر : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو ، والجملة نعت لمنعوت محذوف مجرور بالعطف على المنعوت السابق : أى ومن أقتر .

الشاهد فيه : قوله : « من بين أثرى وأقترا » حيث حذف المنعوت وأبقى النعت ، وتقدير الـكلام : من بين من أثرى ومن أقتر، أى من بين رجل أثرى ورجل أقتر ، ففى العبارة المذكورة — على هذا الذى اخترناه — حذف منعوتين ، وهما : « من » الأولى و « من » الثانية ، وإبقاء نعتين أحدهما: جملة «أثرى» مع فاعله المستترفيه، وثانيهما: جملة « أقتر » معفاعله المستترفيه أيضا ، وأنت خبير — بعد بيان الشاهد وإعراب البيت — أن الكلام لم يستوف الشرط الذى يجوزمعه حذف المنعوت ، وهو أن يكون ذلك المنعوت بعض اسم مجرور بمن أو فى ، لأن المنعوت فى هذا الكلام مجرور بإضافة « بين » إليه ، فيـكون الحذف فى هذا البيت مما سوغته الضرورة .

فإن قلت : « خبرنى عن « من » المحذوفة فى الموضعين ، أموصولة هى أم نكرة ؟ .

فالجواب عن ذلك أن إعراب البيت وتقدير المحذوف مناديان بأنا اعتبرنا « من » المحذوفة فى الموضعين نـكرة موصوفة ، ولم نعتبرها موصولة ، ولو اعتبرناها موصولة لم تكن الجملة إلا صلة لها ، ولم يكن فى البيت شاهد لحذف المنعوت وبقاء النعت .

فإن قلت : فهذا الذى ذكرته مستقيم ، ولـكن أفلا يجوز أيضا أن تـكون « من » المحذوفة فى الموضعين موصولة ؟ .

فالجواب عن ذلك أنا لا نرى لك قط أن تحمل الكلام على حذف الموصول وإبقاء الصلة ، لأن حذف الموصول وإبقاء صلته لايجوز عند جمهرة العلماء فلا نحمل عليه .

فإن قلت : فالكلام على تقدير حذف المنعوت وبقاء النعت محمول فى هذا البيت على الضرورة لعدم استيفاء الشرط ، فهلا جوزت أن يكون من حذف الموصول وبقاء الصلة ، ويكون ذلك

وقوله :

٧٩١ — * تَرْمِي بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرْ *

ضرورة أيضا ؟ وأىّ فرق بين الضرورتين حتى جوّزت واحدة منهما ومنعت من الأخرى ؟ .

قلت : إن أصل الموضوع فى حذف النعت وبقاء المنعوت الجواز ، غاية ما فى الأمر أن يكون الشاعر قد أطلق الأمر إطلاقا فلم يتقيد فيه بالشرط الذى التزمه غيره من المتكلمين بلغة العرب ، فأما حذف الموصول وبقاء الصلة فأمر غير جائز ، لا مع التقيد بشرط معين ، ولا مع الإطلاق ، فلما افترق الأمران جوزنا لك الحمل على الجائز منهما مقيدا وجعلنا الضرورة قاصرة على عدم وجود هذا القيد ، ولم نبح لك أن تحمله على هذا الوجه الآخر لأنه مما لايجوز بتة ، نعم قد جوز الكوفيون والأخفش وتبعهم ابن مالك فى بعض كتبه حذف الموصول وإبقاء صلته ، واشترط بعضهم لهذا الجواز أن يكون الموصول المحذوف معطوفا على موصول آخر مذكور ، فإن أبيت إلا مجاراة هؤلاء والأخذ بمذهبهم صح لك أن تجعل « من » المحذوفة موصولة ، ولكن لاينبغى أن يفوتك أن الشرط الذى اشترطه بعضهم غير متحقق فى « من » الأولى ، فيكون الحذف على هذا ضرورة أيضا ، فأما من لم يشترط هذا الشرط منهم فالحذف عنده مستقيم لاشىء فيه .

فإن قلت : فإنى أراك جعلت جملة « أقتر » نعتا لمحذوف معطوف على المنعوت المحذوف ، فهلا جعلت جملة « أقتر » معطوفة على جملة « أثرى » حتى يقل المحذوف ويصير واحدا ؟ .

فالجواب عن ذلك : أنا لانرى لك أن تحمله على هــذا لوجهين : الأول : أن « بين » كما ذكرناه مرارا لاتضاف إلا إلى متعدد . والثانى : أنا لو جعلنا جملة « أقتر » معطوفة على جملة « أثرى » لزم أن يكون المثرى والمقتر شخصا واحدا ، وليس المعنى على ذلك أصلا ، ونظير هذا ماذكرناه فى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وهو الشاهد رقم (١٢٣) :

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ ؟

حيث لم نجوز أن تعطف جملة « يمدحه » على جملة « يهجو » لأن المعنى يفسد عليه ، إذ يصير المادح هو الهاجى ، وذلك مما لايستقيم .

٧٩١ — هذا بيت من الرجز المشطور ، وقبله قوله :

مَالَكَ عِنْدِى غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرْ وَغَيْرُ كَبْدَاءَ شَدِيدَةِ الْوَتَرْ

ولم أعثر لهذا الرجز على نسبة إلى قائل معين ، وقال العينى : «أقول : لم أقف على اسم راجزه» اه وقال البغدادى : « لم يعرف له قائل » اه .

... ...

اللغة : « سهم » السهم — بفتح السين وسكون الهاء — واحد السهام ، وهى النبال ، والسهم أيضا : حجر يوضع فوق باب بيت يبنى ليصاد فيه الأسد ، فإذا دخله وقع الحجر فسدّ الباب عليه « كبداء » الكبداء — بفتح الكاف وسكون الباء بعدها دال مهملة — القوس إذا كانت واسعة المقبض « الوتر » — بفتح الواو والتاء المثناة جميعا — مجرى السهم من القوس العربية « ترمى » الضمير راجع إلى الكبداء التى هى القوس « أرمى البشر » أشد الناس رميا وأكثرهم إصابة للهدف .

الإعراب : « ترمى » فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى الكبداء التى هى القوس « بكفى » الباء حرف جر مبنى على الكسر لامحل له من الإعراب ، كفى : مجرور بالباء وعلامة جره الياء المفتوح ما قبلها تحقيقا المكسور مابعدها تقديرا لأنه مثنى ، وهو مضاف إلى محذوف يحتاج الكلام إليه ، وتقدير الكلام : بكفى رجل — إلخ « كان » فعل ماض ناقص مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، واسمه ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى المضاف إليه المحذوف الذى قدرناه برجل « من » حرف جر « أرمى » مجرور بمن ، وهو أفعل تفضيل كما ظهر من بيان معناه فى لغة البيت ، وأرمى مضاف و « البشر » مضاف إليه ، مجرور بالكسرة الظاهرة ، وسكن لأجل الوقف ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر كان ، والجملة من كان واسمها وخبرها فى محل جر صفة لذلك المضاف إليه المحذوف، والتقدير : ترمى هذه الكبداء بكفى رجل موصوف بأنه كان من أرمى البشر ، ويجوز عندى أن تكون « كان » زائدة لوقوعها بين شيئين متلازمين ليسا جارا ومجرورا ، وهما النعت ومنعوته ، وعلى هذا يكون الجار والمجرور وهو قوله « من أرمى البشر » متعلقا بمحذوف صفة لذلك المضاف إليه المحذوف ، وتقدير الكلام : ترمى هذه الكبداء بكفى رجل موصوف بأنه من أرمى البشر ، بل هذا الإعراب عندى أحسن مما ذكرناه أولا ، لأن الإعراب الأول سيلزم عليه إخراج « كان » عما وضعت له إلى أن يصير معناها الاستمرار ، لأن المعنى ليس على أنه كان فى الزمن الماضى المقطع من أرمى البشر؛ لأن ذلك لايفيد الوعيد المقصود من الكلام ، وإنما المعنى على أنه كان ولم يزل من أرمى البشر ، ومجىء كان زائدة بين النعت والمنعوت مما نص النحاة على جوازه ؛ ومما ورد منه قول الشاعر ، وهو الشاهد رقم (١٩٦) السابق فى باب « كان » :

فَكَيْفَ إذا مَرَرْتَ بِدَارِ قَوْمٍ وَجِيرانٍ لَنَا كانُوا كِرامِ

وقوله :

٧٩٢ — كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِى أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

والثانى : كقوله تعالى : « يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً » أى كلَّ سفينةٍ صالحة .

والضرورة فى هذا البيت فى اتصال « كان » بواو الجماعة ، ولو لم تكن متصلة بالواو لم يكن فيه ضرورة .

الشاهد فيه : قوله : « بكفى كان من أرمى البشر » حيث حذف المنعوت وهو المضاف إليه القدر ، وأبقى النعت وهو جملة « كان من أرمى البشر » أو الجار والمجرور الذى هو قوله : « من أرمى البشر » على ما اخترناه فى الإعراب ، وليس المنعوت — وهو رجل القدر — بعض اسم مجرور بمن أو فى كما هو ظاهر ، بل هو مضاف إليه ، والمضاف هو قوله « كفى » كما علم فى إعراب البيت ، والحذف فى هذه الحالة ضرورة من ضرورات الشعر .

٧٩٢ — هذا بيت من الوافر ، وهو من قصيدة للنابغة الذبيانى ، يقولها حين قتلت بنو عبس نضلة الأسدى ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين ، وأراد عيينة بن حصن أن يخرج بنى أسد من حلف بنى ذبيان ، وأول القصيدة التى منها بيت الشاهد قوله :

غَشِيتُ مَنَازِلاً بِعُرَيْتِنَاتٍ فَأَعْلَى الْجِزْعِ لِلْحَىِّ الْمُبِنِّ
تَعَاوَرَهُنَّ صَرْفُ الدَّهْرِ حَتَّى عَفَوْنَ ، وَكُلُّ مُنْهَمِرٍ مُرِنِّ

وقبل البيت المستشهد به قوله :

أَتَخْذُلُ نَاصِرِى وَتُعِينُ عَبْسًا ؟ أَيَرْبُوعَ بْنَ غَيْظٍ لِلْمِعَنِّ
كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِى أُقَيْشٍ البيت ... ، وبعده :
تَكُونُ نَعَامَةً طَوْرًا ، وطَوْرًا هُوِىَّ الرِّيحِ تَنْسِجُ كُلَّ فَنِّ
إذا حَاوَلْتَ فى أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّى لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّى
هُمُ دِرْعِى الَّتِى اسْتَلْأَمْتُ فِيهَا إلى يَوْمِ النِّسَارِ ، وهُمْ مِجَنِّى
وهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وهُمْ أَصْحَابُ يَوْمَ عُكَاظَ ، إِنِّى
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ أَتَيْتُهُمُ بِنُصْحِ الصَّدْرِ مِنِّى
بِكُلِّ مُجَرَّبٍ كَاللَّيْثِ يَسْمُو عَلَى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

... ...

اللغة : « غشيت منازلا — البيت » غشيت : أراد أنه جاءها ونزل فيها ، ويروى فى مكانه « عرفت » وعريتنات : اسم مكان بعينه ، والجزع : مكان أيضا ، وقوله « للحى » يروى فى مكانه « بالخيف » وقـوله « المبن » اسم الفاعل من قولهم : « أبن فلان بالمكان » إذا أقام به ، وقالوا أيضا : « بن بالمكان » من باب ضرب « تعاورهن صرف الدهر — البيت » يقع فى نسخة «عفاهن» أى غيرهذه الديار وأتى عليها ، وصرف الدهر : أحداثه ونوازله ، وعفون : تغيرن ، وفى هذا البيت استعمل «عفا» متعديا ولازما ، وهو مما أتى على الوجهين جميعا «وكل منهمر» أراد به المطر الشديد الانهمال والنزول ، وهو معطوف على صرف الدهر الذى هو فاعل عفاهن والمرن : الذى يسمع له صوت ، تقول : أرن إرنانا ، تريد أنه صوّت « أتخذل ناصرى وتعز عبسا — البيت » هذا خطاب لعيينة بن حصن ، وأراد بناصره بنى أسـد ، ويروى : « وتعز قيسا » وقوله : « أيربوع بن غيظ للمعن » هذا نداء ليربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان ، وهم قوم النابغة ، والمعن — بكسر الميم وفتح العين المهملة — المتعرض فى الأمور ، وعنى به عيينة بن حصن ، واللام فى « للمعن » تتعلق بمحذوف ، وكأنه قال : يابنى يربوع تعجبوا لهذا المتعرض «كأنك من جمال بنى أقيش — البيت » هذا أيضا خطاب لعيينة بن حصن ، يقول : إنك لرجل سريع الغضب شديد النفور ، وإنك لتنفر مما لاينفر منه ، وقيل : معناه إنك جبان فى الحروب لاتقدر على الطعن والضرب ، ولـكنك تنفر منها كما ينفر الجمل من صوت الشن وقعقعته ، وأقيش — بضم الهمزة على زنة التصغير — أبو قبيلة من عكل ، ويقعقع : مضارع مبنى للمجهول من القعقعة ، وهى تحريك الشىء اليابس الصلب حتى يسمع منه صوت ، والشن — بفتح الشين وتشديد النون — القربة اليابسة البالية ، وجمعه شنان ، قال أبو عمرو : جمال بنى أقيش ضعاف تنفر من كل شىء تراه ، وقال الأصمعى : جمال بنى أقيش حوشية ليست منتفعا بها فيضرب بنفارها المثل ، ومن أمثالهم : «فلان مايقعقع له بالشنان» أى إنه لايفزع مما لاحقيقة له ، ولا يكترث بضوضاء الغوغاء ، وقد اسـتعمل الحجاج بن يوسف الثقفى هذا المثل فى خطبته التى خطبها مقدمه على الـكوفة حيث يقول : « إنى والله يا أهل العراق مايقعقع لى بالشنان » يريد لا أخوف بما لا أصل له ولا تهولنى جلبتـكم ولا يعسر علىّ كبح غوغائـكم « تـكون نعامة طورا — البيت » قال أبو عمرو : تتخيل مرة كذا ومرة كذا ، وقوله : « هوى الريح » تقديره : وتهوى طورا هوى الريح ، والفن : اللون ، وجمعه : فنون ، قال الأصمعى : كأنه يهوى هوى كل فن : أى ضرب من الجرى « هم درعى التى استلأمت فيها — البيت » تقول : استلأم فلان ، تريد أنه لبس اللأمة وتحصن بها ، واللأمة — بفتح اللام وسكون الهمزة — الدرع .

... ...

والمجن — بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون — الترس، وأراد أنهم وقايته التي يتقي بها الأعداء. وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي في رائيته الطويلة :

فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

ويوم النسار — بكسر النون بزنة الكتاب — يوم كان لأسد وغطفان على تميم ، والنسار : اسم ماء لبني عامر من تميم حدثت عنده الوقعة « وهم وردوا الجفار على تميم — البيت » الجفار — بكسر أوله — اسم ماء بنجد لبني تميم ، وفي هذا البيت من العيوب التضمين ، وهو أن يتوقف البيت على البيت الذي بعده ، وذلك لأن الشعر العربي مبناه على وحدة كل بيت واستقلاله عما بعده وما قبله ، ومن أجل هذا تجد كثيرا من الشعر العربي يروى بتقديم بعض الأبيات وتأخير بعضها « بكل مجرب كالليث — البيت » المجرب : الشجاع الذي جرب الحرب ، أو الذي جربوه في الحرب فوجدوه صادق الإقدام ، فيجوز أن تقرأ هذه الكلمة بفتح الراء على زنة المفعول وأن تقرأ بكسر الراء على زنة الفاعل ، والرفن — بكسر الراء وفتح الفاء وتشديد النون — فسره أبو عمرو بالسريع ، والذيال : الطويل الذيل ، والأوصال : المفاصل ، واحدها وصل — بكسر فسكون ؛ يريد أنه يرتفع على فرس سابغ الذنب سريع السير .

الإعراب : « كأنك » كأن : حرف تشبيه ونصب مبني على الفتح لا محل له من الإعراب ، وضمير المخاطب اسمه مبني على الفتح في محل نصب ، وخبر كأن محذوف ، وتقدير الكلام : كأنك جمل من جمال بني أقيش « من » حرف جر « جمال » مجرور بمن ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، وجمال مضاف و « بني » مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة ؛ لأنه جمع مذكر سالم ، وهو مضاف و « أقيش » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لخبر كأن المحذوف « يقعقع » فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة الظاهرة ، « بين » ظرف مكان منصوب بقوله : يقعقع ، وبين مضاف و « رجليه » مضاف إليه ، وضمير الغائب العائد إلى الجمل المحذوف مضاف إليه ، وهذا الضمير هو الذي أحوج إلى تقدير المحذوف « بشن » جار ومجرور متعلق بقوله : يقعقع .

الشاهد فيه : قوله « كأنك من جمال بني أقيش » حيث حذف المنعوت وأبقى النعت ، وتقدير الكلام : كأنك جمل من جمال بني أقيش ، فجمل هو المنعوت المحذوف ، وهو في التقدير خبر كأن التشبيهية ، وقوله : « من جمال بني أقيش » هو النعت المذكور في الكلام ، هذا بيان كلام الشارح المحقق رحمه الله ، وأنت ترى أنه قد جعل حذف المنعوت في هذا البيت من قبيل الضرورة كالبيتين السابقين ، لأن المنعوت في تقديره ليس بعض اسم مجرور بمن أو في .

... ...

وفى هذا الكلام نظر ظاهر ، وبيانه أنك لو قدرت الموصوف المحذوف فى هذا البيت قبل قوله « يقعقع » لصار نظم الكلام هكذا : كأنك من جمال بنى أقيش جمل يقعقع بين رجليه بشن ، فيكون الجمل المقدر بعض الجمال المجرور بمن ، وعلى هذا يكون البيت مما حذف فيه المنعوت حذفا مطردا شائع النظير فى كلام العرب ، ويكون قوله « من جمال بنى أقيش » جارا ومجرورا متعلقا بمحذوف حال من الضمير المستتر فى « يقعقع » العائد إلى الجمل المحذوف ، وتكون جملة « يقعقع » مع نائب فاعله فى محل رفع صفة للجمل المحذوف ، ولا شك أن حمل النص على ما لاضرورة فيه متى أمكن ، أولى من حمله على مافيه ضرورة .

هذا ، وقد أورد جار الله الزمخشرى هذا البيت فى المفصل شاهدا لحذف المنعوت إذا ظهر أمره ظهورا يستغنى به عن ذكره ، ولم يجعله من باب الضرورة ، مع أنه جعل المنعوت المحذوف خبرا لكأن التشبيهية كما جعله الشارح ههنا ، فاتفقا فى شىء ، واختلفا فى شىء ، فأما الأمر الذى اتفقا فيه فأنهما جعلا المنعوت المحذوف خبرا لكأن ، وأما الأمر الذى افترقا فيه فهو أن الشارح — تبعا لابن هشام وإمامهما ابن مالك — جعل الحذف فى البيت ضرورة ؛ لكون المحذوف ليس بعض اسم مجرور بمن أو فى ، وأن جار الله — تبعا لسيبويه إمام النحاة — جعل الحذف مطردا مقيسا ؛ لكون المحذوف ظاهرا ظهورا يجعله مستغنى عن ذكره .

قال سيبويه فى باب « حذف المستثنى استخفافا » مانصه : « وذلك قولك : ليس غير ، وليس إلا ، كأنه قال : ليس إلا ذاك ، وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب مايعنى ، وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأيته فى حال كذا ، وإنما يريد : مامنهما واحد مات ، ومثل ذلك قوله تعالى جده : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) ومن ذلك من الشعر * كأنك من جمال بنى أقيش * أى كأنك جمل من جمال بنى أقيش ، ومثل ذلك قوله أيضا : « لو قلت ما فى قومها لم تيثم — البيت » اهـ .

قال أبو رجاء غفر الله له ولوالديه : وعبارة سيبويه هذه تشتمل على وجهتى نظر : فالأمثلة التى ذكرها — إذا استثنيت منها البيت المستشهد به ههنا وهو بيت النابغة الذى نحن بصدد شرحه — كلها قد حذف فيها المنعوت وهو بعض اسم مجرور بمن أو فى ، وكذلك المثال الذى جاء به ، والذى ذكر أنه سمعه من بعض العرب الموثوق بهم ، وكذلك الآية الكريمة التى تلاها ، فهذا هو الذى جعل ابن مالك ومن حذا حذوه يحددون الموضع الذى يجوز فيه حذف المنعوت من غير ضرورة ولا شذوذ ، فأما بيت النابغة فلا يدخل تحت هذا التحديد؛ لأن سيبويه — كما رأيت — جعل المحذوف خبرا لكأن ، ولو أنه لم يذكر ذلك التقدير لأمكن أن نطبق عليه القاعدة المحدودة

... ...

على نحو ماذكرناه فى التنظير الذى بدأنا به بعد شرح عبارة الشارح ، ووجهة النظر الثانية أن سيبويه رحمه الله يقول فى مفتتح كلامه : « ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفا واكتفاء بعلم السامع مايعنى » فهذه العبارة تكاد تنادى بأن علة الجواز إنما هى قصد التخفيف مع اكتفاء المتكلم بعلم السامع مايقصده ، وهذا هو الذى أخذ منه جار الله قاعدته ، والذى نستريح إلى الأخذ به هو هذا ، لوجهين : أحدهما : أن سيبويه علل الحذف بالتخفيف وعلم السامع ، فإن قوله : « تخفيفا » مفعول لأجله كما هو ظاهر ، وثانيهما : أن الشواهد التى ذكرها ليست كلها على التحديد الذى أخذ به ابن مالك ، فإن بيت النابغة لايمكن فيه ذلك التحديد بعد أن قدر المحذوف خبرا لكأن ، وليس مما يجمل بأهل النظر أن يجعلوا واحدا من الشواهد التى ساقها غير متطابق على قاعدته التى يقعدها استنادا إلى هذه الشواهد ، على أنا لو أسقطنا هذا الشاهد من بين الشواهد التى استند إليها سيبويه لم نجد مساغا لأن نحدد الموضوع بالنظر فى الأمور التى اشتركت فيها الشواهد الأخرى؛ لأن العلة منصوصة فى كلامه على وجه يشعر بأنه اعتبرها علة ، فلزمنا أن نقف عند تعليله ونكتفى بما اكتفى هو به ، بقى أن يقال : لعل ابن مالك رحمه الله فهم عبارة سيبويه على نفس الوجه الذى فهمتم عبارته عليه ، ولكنه خالفه فى الاكتفاء بالتخفيف وعلم السامع بما يعنيه المتكلم . والجواب عن هذا أن هذا عين ما نحاول إثباته ، وهو أن ابن مالك رحمه الله قد خالف سيبويه فى هذا التحديد ، وسيبويه أولى أن يؤخذ برأيه لأنه المشافه للعرب الموثوق بعربيتهم .

وقال جار الله الزمخشرى فى المفصل مانصه : « وحق الصفة أن تصحب الموصوف ، إلا إذا ظهر أمره ظهورا يستغنى معه عن ذكره ، فحينئذ يجوز تركه وإقامة الصفة مقامه ، كقوله :

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

وقوله :

رَبَّاء شَمَّاء لايَأْوِى لِقُلَّتِهَا إلا السَّحَابُ وَإلا الْأَوْبُ والسَّبَلُ

وقوله عز وجل : (وعندهم قاصرات الطرف عين) وهذا باب واسع ، ومنه قول النابغة : * كأنك من جمال بنى أقيش * أى جمل من جمالهم ، وقال : * لو قلت ما فى قومها لم تيثم * أى : ما فى قومها أحد ، ومنه : * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أى رجل جلا ، وقوله : * ترمى بكفى كان من أرمى البشر * أى بكفى رجل ، وسمع سيبويه بعض العرب الموثوق بهم يقول : مامنهما مات حتى رأيته فى حال كذا وكذا ، يريد : مامنهما واحد مات ، وقد يبلغ من

وقوله :

٧٩٣ — * فَلَمْ أُعْطَ شَــيْئًا ولَمْ أُمْنَعِ *

أى : شيئاً طائلا

الظهور أنهم يطرحونه رأسا ، كقولهم : الأجرع والأبطح والفارس والصاحب والراكب والأورق والأطلس » اهـ كلامه بحروفه ، ولك فيما قدمناه القنع والكفاية .

٧٩٣ — هذا عجز بيت من المتقارب ، وصدره قوله :

* وَقَدْ كُنْتُ فِى الْحَرْبِ ذَا تُدْرَإٍ *

وهذا البيت من كلة للعباس بن مرداس السلمى يقولها لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول — صلوات الله عليه — قد قسم غنائم حنين ، فأعطى منها قوما من المؤلفة قلوبهم ، ومنهم عيينة بن حصن الفزارى والأقرع بن حابس ، عطاء كثيرا يتألفهم به على الإسلام ، ولم يعط العباس مثلهم ، فكره العباس ذلك وقال :

أَتَجْعَلُ نَهْبِى وَنَهْبَ الْعُبَيْــدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَــعِ

اللغة : « نهبى » النهب — بفتح النون وسكون الهاء — أصله مصدر « نهب الشىء ينهبه نهبا » من باب فتح — إذا غنمه ، وهو هنا بمعنى اسم المفعول : أى المنهوب ، مثل الخلق بمعنى المخلوق فى نحو قوله تعالى : (هــذا خلق الله) « العبيد » — بضم العين المهملة وفتح الباء ، بزنة المصغر — اسم فرس العباس بن مرداس ، وكان العباس يلقب نفسه ويلقبه الناس : « فارس العبيد » وقوله : « عيينة » هو عيينة بن حصن الفزارى « والأقرع » هو الأقرع بن حابس ، على ماذكرناه فى مطلع الكلام على البيت «حصن» هو أبو عيينة «حابس» أبو الأقرع « يفوقان » يفضلانه ويزيدان عليه « مرداس » هو أبو العباس قائل هذه الأبيات « مجمع » اسم للمكان الذى يجتمع الناس فيه المفاخرة والمباهاة والمنافرة ونحو ذلك .

المعنى : ذكر الشاعر أنه اغتم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق الغنائم فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وجماعة آخرين أكثر مما أعطاه ، وهو يدعى أن هذه الغنائم إنما غنمها هو وفرسه ، ولم يكن لأحد فى غنمها كبير فضل ، فإن يكن أحد أولى بالتفضيل فيما يعطاه من هذه الغنائم فقد كان هو الأحق والأولى بالفضل ، وسبب هذا الغضب ما كان من

... ...

معتاد أهل الجاهلية من إيثار الأبطال الصناديد بالحظ الأوفر ، وخاف أن يكون الرسول صلوات الله عليه لم يقدر له بطولته ، واعتقد — مع ذلك — أن من ينزل به رسول الله عن منزلته لم يرتفع بعد ذلك كما صرح به فى بيت من أبيات هذه الكلمة ، فهو يقول : إننى أنا وفرسى العبيد أصحاب هذه الغنائم التى فرقتها بين فلان وفلان ممن لم يكن لهم كبير غناء فى غنمها ، فكيف تصيرنى بهذه المنزلة ، منزلة التى لم يعط شيئا جزيلا ولم يمنع بالمرة .

الإعراب : « وقد » الواو حرف عطف ، قد : حرف تحقيق « كنت » كان : فعل ماض ناقص ، وتاء المتكلم اسمه مبنى على الضم فى محل رفع « فى الحرب » جار ومجرور متعلق بكان « ذا » خبر كان منصوب بالألف نيابة عن الفتحة لأنه من الأسماء الستة ، وهو مضاف و « تدرإ » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « فلم » الفاء حرف عطف ، لم : حرف نفى وجزم وقلب « أعط » فعل مضارع مبنى للمجهول ، مجزوم بلم ، وعلامة جزمه حذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، وهو مفعوله الأول « شيئا » مفعول ثان ، وله صفة محذوفة يدل عليها سياق الكلام ، وتقدير الكلام : فلم أعط شيئا جزيلا أوطائلا ، أونحو ذلك « ولم » الواو حرف عطف ، لم : حرف نفى وجزم وقلب « أمنع » فعل مضارع مبنى للمجهول مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون ، وحرك بالكسرة لأجل الروى ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا .

الشاهد فيه : قوله : « فلم أعط شيئا » حيث ذكر المنعوت — وهو قوله : « شيئا » — وحذف النعت وهو ينويه ، وأصل الكلام : « فلم أعط شيئا عظيما » أو نحو ذلك ، لكنه لما اعتقد أن هذا المعنى ينساق إلى ذهن السامع من العبارة ارتكن على هذا فحذف النعت ، ولا يمكن أن يكون الكلام على ظاهره من غير تقدير ذلك المحذوف ، ويدل لهذا الذى نقوله أمران : الأول : أن الواقع أنه كان قد أعطى شيئا لكنه اعتقد أن هذا الذى أعطيه شىء قليل لايتناسب مع بلائه فى الحرب ، ولو كان يريد ظاهر الكلام لقيل له جوابا على هذا الكلام : لقد كذبت ، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجبه بهذا الجواب ، بل استرضاه وأعطاه مثل ما كان قد أعطى الذين عناهم بكلمته . الثانى : أنه يقول بعد ذلك : « ولم أمنع » فلو كان الكلام الأول الذى هو محل الشاهد على ظاهره لتناقض مع هذه العبارة ، لأن المعنى يصير « لم أعط شيئا بالمرة ، ولم أمنع بالمرة » وهذا ظاهر التناقض ؛ فلدفع هذا التناقض وجب تقدير ذلك المحذوف .

فإن قلت : فقد صح عندى أن قوله : « فلم أعط شيئا » لابد له من نعت يطابق الواقع ويدفع التناقض ، وأن تقديره على ماذكرت ، لكن أيجوز أن يكون فى قوله : « ولم أمنع » تقدير أيضا ؟ .

وقوله :

٧٩٤ — وَرُبَّ أَسِيلَةِ الْخَدَّيْنِ بِكْرٍ   مُهَفْهَفَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ

أى : فرعٌ فاحمٌ وجيدٌ طويلٌ .

فالجواب عن ذلك : أنه يجوز أن تجعل المفعول الثانى لأمنع محذوفا مع نعته ، وتقدير الكلام على هذا : فلم أعط شيئا مغنيا ، ولم أمنع الشىء الحقير ، ويجوز ألا تقدر هذا وأن تجعل الفعل المتعدى إلى مفعولين بمنزلة المتعدى إلى مفعول واحد وتكتفى بالنائب عن الفاعل .

٧٩٤ — هذا بيت من الوافر ، وهو من كلمة للمرقش الأكبر ، وهو عمرو بن سعد ابن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد عشاق العرب وفرسانهم ، وأول هذه الكلمة قوله :

سَرَى لَيْلاً خَيَالٌ مِنْ سُلَيْمَى   فَأَرَّقَنِى وَأَصْحَابِى هُجُودُ
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِى كُلَّ حَالٍ   وَأَرْقُبُ أَهْلَهَا وَهُمُ بَعِيدُ
عَلَى أَنْ قَدْ سَمَا طَرْفِى لِنَارٍ   يُشَبُّ لَهَا بِذِى الْأَرْطَى وَقُودُ
حَوَالَيْهَا مَهاً جُمُّ التَّرَاقِى   وَأَرْآمٌ وَغِزْلَانٌ رُقُودُ
نَوَاعِمُ لا تُعَالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ   أَوَانِسُ لا تُرَاحُ وَلا تَرُودُ
يَرُحْنَ مَعاً بِطَاءَ الْمَشْيِ بُدًّا   عَلَيْهِنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ
سَكَنَّ بِبَلْدَةٍ وَسَكَنْتُ أُخْرَى   وَقُطِّعَتِ الْمَوَاثِقُ وَالْعُهُودُ
فَمَا بَالِى أَفِى وَيُخَانُ عَهْدِى ؟   وَمَا بَالِى أُصَادُ وَلا أَصِيدُ ؟
وَرُبَّ أَسِيلَةِ الْخَدَّيْنِ بِكْرٍ   مُهَفْهَفَةٍ ... البيت ، وبعده :
وَذُو أُشُرٍ شَتِيتُ النَّبْتِ عَذْبٌ   نَقِىُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرُودُ
لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا مِنْ شَبَابِى   وَزَادَتْهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ
أُنَاسٌ كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصْلاً   عَنَانِى مِنْهُمُ وَصْلٌ جَدِيدُ

اللغة : « سرى ليلا خيال من سليمى — البيت » سرى : أصله بمعنى سار ليلا ، والخيال : عنى به طيف المحبوبة ، وأرقنى : أسهرنى وأطار النوم عن جفنى ، وهجود : نيام « فبت أدير أمرى كل حال — البيت » أراد أنه حين زاره الطيف أخذ يفكر فى أمره ويقلبه على جهات

... ...

كثيرة ، وانتصاب «كل حال» على نزع الخافض ، أى : على كل حال «على أن قد سما طرفى لنار — البيت» سما : ارتفع ، طرفى : أراد به عينه ، يشب : يرفع الحطب حول هـذه النار ، والوقود — بفتح الواو — هو الحطب ، والأرطى — بفتح الهمزة وسكون الراء — شجر ينبت فى الرمل ، وذو الأرطى : مكان ينبت فيـه هذا الشجر «حوالها مهاً جمّ التراقى — البيت» حوالها : أى حول هذه النار ، أى يحيط بها ويلتف حولها ، والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة من بقر الوحش ، والعرب تشبه النساء بهن فى سـعة عيونهن ، وجمّ التراقى : أراد أنهن قد امتلأن باللحم فلا حجم لعظامهن ، والتراقى : جمع ترقوة ، وهو مقدم الحلق فى أعلى الصدر ، والأرآم : جمع رئم ، وهى الظبية البيضاء «يرحن معا بطاء المشى بدا — البيت» يرحن معا : أراد يذهبن مجتمعات ويعدن مجتمعات لاتنفرد إحداهن ، بطاء المشى : من عادة العرب أن يصفوا المرأة ببطء المشى كناية عن عبالتها وامتلاء بدنها حتى لكأنها من وفرة اللحم عليها لاتكاد تقل بدنها ، وانظر إلى قول الأعشى ميمون بن قيس :

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا ... تَمْشِي الهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ
كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَرُّ السَّحَابَةِ لارَيْثٌ وَلا عَجَلُ
تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاساً إِذَا انْصَرَفَتْ ... كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ
لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِيرَانُ طَلْعَتَهَا ... وَلا تَرَاهَا لِسِرِّ الجَارِ تَخْتَتِلُ
يَكَادُ يَصْرَعُهَا لَوْلا تَشَدُّدُهَا ... إِذَا تَقُومُ إِلَى جَارَاتِهَا الْكَسَلُ

والبد فى بيت المرقش — بضم الباء وتشديد الدال — جمع بداء ، وهى الكثيرة لحم الفخذين حتى إنهما لتصطكان ، والمجاسد : جمع مجسد — بكسر الميم أو ضمها مع سكون الجيم — وهو الثوب الذى صبغ بالجساد ، والجساد هو الزعفران ، أو الثوب الذى يلى الجسد «سكنّ ببلدة وسكنت أخرى — البيت» المواثق : جمع موثوق ، والعهود : جمع عهد ، وأراد العهود التى كانت بينه وبين عمه عوف فى شأن تزويجه ابنته أسماء «ورب أسيلة الخدين بكر — البيت» أسيلة الخدين : أى ناعمتهما فى استرسال وطول وحسن ، والبكر — بكسر الباء وسكون الكاف — العذراء ، و«المهفهفة» المكتنزة اللحم التى لم يسترخ بدنها ولم يعظم بطنها ، ويروى فى مكانه «منعمة» أى أنها تعيش فى نعيم أهلها ، يريد أن قومها ذوو يسار لايمتهنونها فى العمل ، والفرع — بفتح الفاء وسكون الراء — الشعر ، والجيد — بكسر الجيم — العنق «وذو أشر شتيت النبت عذب —

... ...

البيت » أراد بذى الأشر الفم ، والأشر — بضم الهمزة والشين جميعا — تحزز فى الأسنان ، وإنما يكون ذلك فى أسنان الأحداث ، والشتيت : المتفرق ، وأراد أن فمها متفرق الأسنان ليست أسنانه متلاصقة ، والبرود — بفتح الباء — البارد « لهوت بها زمانا من شبابى — البيت » هذا خبر قوله « ورب أسيلة الخدين بكر » والنجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة السريعة « أناس كلما أخلقت وصلا — البيت » أخلقت : أبليت ، وعنانى : أورثنى العناء والهم والتعب .

المعنى : وصف هذا الشاعر امرأة بأنها ناعمة الخدين فى استرسال وطول ، وبأنها عذراء خفيفة اللحم مكتنزته ، وبأن لها شعرا سابغا أسود وعنقا طويلا ، وستعرف وجه هذين الوصفين للشعر والجيد فى بيان الاستشهاد .

الإعراب : « رب » حرف تقليل وجر شبيه بالزائد ، مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « أسيلة » مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الشبيه بالزائد ، وأسيلة مضاف ، و «الخدين» مضاف إليه مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه مثنى ، والنون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد «بكر» نعت لأسيلة الخدين مجرور بالكسرة الظاهرة « مهفهفة » نعت ثان لأسيلة الخدين مجرور بالكسرة الظاهرة « لها » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « فرع » مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة ، وله نعت محذوف تقديره : لها فرع فاحم « وجيد » معطوف على فرع ، وله نعت محذوف ، وتقدير الكلام : وجيد طويل .

الشاهد فيه : قوله : « لها فرع وجيد » حيث ذكر منعوتين — وهما قوله : « فرع » وقوله : « جيد » — وحذف نعت كل منهما ، وأصل الكلام : لها فرع فاحم وجيد طويل ، لكنه لما اعتقد أن كل من يسمع هذه العبارة يهتدى إلى معرفة المحذوف ارتكن على ذلك وحذف النعتين .

فإن قلت : فما الذى يدل على أن فى الكلام حذفا ؟ .

فالجواب عن ذلك : أن الكلام فى التمدح بصفات غانية والتغزل بها ، وليس من المعقول أن يكون الشاعر قد أراد فى بيت الشاهد ماهو ظاهره من غير ملاحظة محذوف ، لأنك لا تمدح إنساناً بأن له شعراً وبأن له عنقاً ، فإن جميع الناس كذلك ، لكل واحد منهم شعر ولكل واحد منهم عنق ، وليس معنى هذا الظاهر إلا كما تمدح إنسانا فتقول عنه : إنه إنسان ، وإنه آدمى ، فما لم ترد معنى إنسان كامل فى إنسانيته وآدمى عظيم لم يكن لكلامك فى هذا المقام معنى مقبول ، ولكان كلامك هذا مغسولا باردا جافا .

... ...

فإن قلت : فقد صح عندى أن المقام يقتضى محذوفا ما ، لكن ذلك لا يكفى ، بل لابد من أن تقوم قرينة تعين ذلك المحذوف وترشد إليه بذاته ، حتى لايتفرق الذهن ، وحتى لايذهب كل سامع فى تقدير ذلك المحذوف مذهبا غير الذى يذهب الآخر إليه ، فما الذى يرشد إلى ذلك المحذوف ويعينه من بين الصفات العديدة التى يوصف بها الشعر والصفات العديدة التى يوصف بها العنق ؟ .

فالجواب عن ذلك : أن قرينة المدح والتغزل بصفات هذه المرأة قد دلت على أن المحذوف من جنس الصفات التى يمدح بها ذلك المنعوت المذكور ، واستقراء كلام العرب وتتبع عباراتهم التى يذكرون فيها شعر أحبائهم وجيدهم يرشد إلى أنهم كثيراً ما يصفون الفرع (وهو الشعر) بشدة السواد ، انظر إلى قول امرئ القيس بن حجر الكندى يصف فاطمة بنت عمه :

وفَرْعٍ يزِينُ المَتْنَ أسْوَدَ فاحِمٍ ... أثِيثٍ كقِنْوِ النَّخْلةِ المُتَعَثْكِلِ
غدائِرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلاَ ... تَضِلُّ العِقَاصُ فى مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

وانظر إلى قول الآخر :

بَيْضَاء تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فرْعَهَا ... وَتَغِيبُ فيه وَهْوَ جَثْلٌ أسْحَمُ
وَكأنَّهَا فيهِ نَهَارٌ ساطِعٌ ... وَكأنَّهُ ليْلٌ عليْهَا مُظْلِمُ

وانظر إلى قول الآخر ، وقد أحسن الوصف :

نَشَرَتْ عَلَيَّ ذَوَائبًا مِنْ شَعرِها ... حَذَرَ الكَواشِحِ والعَدُوِّ المُحْنَقِ
فكأنّنى وكأنّها وكأنّهُ ... صُبْحانِ باتَا تحْتَ ليْلٍ مُطْبِقِ

وربما وصفوا الشعر بالوفرة والطول وفى بيتى امرئ القيس والبيتان بعدهما هذا الوصف أيضا ، وانظر إلى قول الأعشى ميمون :

فأفْضَيْتُ منْهَا إلى جَنَّةٍ ... تَدَلَّتْ عَلَيَّ عَناقِيدُهَا

فقد شبه الشعر فى هذا البيت بعناقيد الأشجار وأغصانها ، وكان بشار بن برد يعجب من حسن هذا البيت ويقدمه على جميع ماقال الشعراء فى الشعر ، وقد أخذ هذا التشبيه السرى الرفاء وذلك حيث يقول :

مَصْقُولَةٌ بِسَنَا الصَّبَاحِ وُجُوهُهَا ... مَصْبُوغَةٌ بدُجَى الظَّلامِ طِرارُهَا

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : قد يَلِى النعتُ « لا » أو « إما » فيجب تكررها مقرونَيْن بالواو ، نحو : « مررت برجل لا كريمٍ ولا شُجَاعٍ » ، ونحو : « ائتنى برَجُلٍ إمَّا كريمٍ وإما شُجَاعٍ » .

الثانى : يجوز عطفُ بعضِ النُّعُوتِ المختلفة المعانى على بعض ، نحو : « مررت بزيد العالم والشجاع والكريم » .

الثالث : إذا صَلَحَ النعتُ لمباشَرَة العامل جاز تقديمه مُبْدَلاً منه المنعوتُ ، نحو : « إلى صِراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ اللهِ » .

الرابع : إذا نُعِتَ بمفرد وظَرْف وجُملة قُدِّم المفرد ، وأخرت الجملة ، غالباً ، نحو : « وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ » وقد تُقَدَّمُ الجملة ، نحو : « وهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ » « فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ — الآية » .

﴿ خاتمة ﴾ : من الأسماء ماينْعَتُ ويُنْعَتُ به كاسم الإشارة ، نحو : «مررت بزيد هذا» «وبهذا العالم» ، ونَعْتُه مصحوبُ أل خاصَّةً ؛ فإن كان جامداً مَحْضاً — نحو : «بهذا الرجل» — فهو عطفُ بيانٍ على الأصح ، ومنها ما لايُنْعَتُ ولا ينعت به ، كالمضمر مطلقاً ، خلافاً للكسائى فى نعت ذِى الغيبة تمسكا بما سُمِع من نحو : « صلى الله عليه الرءوفِ الرحيمِ » وغيرُه يجعله بَدَلاً ، ومنها مايُنْعَت ولا يُنْعَتُ به ، كالعَلَم ، ومنها ماينعت به ولا ينعت، كأىٍّ، نحو : « مررت بفارسٍ أىِّ فارسٍ » ، ولا يقال : جاءنى أىُّ فارس ، والله أعلم .

أَغْصانُ بانٍ أَغْرَبَتْ فى حَمْلِها ... فغَرَائبُ الْوَرْدِ الجَنِىُّ ثِمَارُهَا

وقد كثر وصفهم العنق بالطول ، ومن ذلك قول امرىء القيس :

وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ ... إذا هِىَ نَصَّتْهُ وَلا بمُعَطَّلِ

وربما كنوا عن طوله ، كما فى قول الحماسى :

أَكَلْتُ دَمًا إنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ ... بَعِيدَةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

أراد بقوله : « بعيدة مهوى القرط » أن عنقها طويل ، فإذا ألقى قول المرقش « لها فرع وجيد » لمن يعرف مايستحسن العرب من صفات الشعر والجيد علم — من غير جهد ولا مشقة — أنه عنى « لها فرع فاحم وجيد طويل » ولك فى هذا الكفاية كل الكفاية .

التوكيد

هو فى الأصل مصدر، ويُسَمَّى به التابع المخصوص، ويقال: أكَّدَ تأكيداً، وَوَكَّدَ تَوْكِيدًا، وهو بالواو أكثر.

وهو على نوعين: لفظى وسيأتى، ومَعْنَوِى، وهو: التابعُ الرافعُ احتمالَ إرادة غيرِ الظاهر، وله ألفاظ أشار إليها بقوله:

(بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْعَيْنِ الِاسْمُ أُكِّدَا مَعَ ضَمِيرٍ طَابَقَ الْمُؤَكَّدَا)

أى: فى الإفراد والتذكير وفُرُوعهما، فتقول: « جاء زيد نفسه، أو عينه، أو نفسه عينه» فتجمع بينهما، والمراد حقيقته، وتقول: «جاءت هند نفسها أو عينها» وهكذا، ويجوز جرهما بباء زائدة فتقول: جاء زيد بنفسه وهند بعينها.

(واجمعهما) أى النفس والعين (بأَفْعُلٍ إنْ تَبِعَا * ما لَيْسَ وَاحِداً تَكُنْ مُتَّبِعاً) فتقول: « قامَ الزَّيْدَانِ أوِ الهِنْدَانِ أنْفُسُهُمَا أوْ أعْيُنُهُمَا، وقامَ الزَّيْدُونَ أنْفُسُهُمْ أوْ أعْيُنُهُمْ، والهنداتُ أنْفُسُهُنَّ أوْ أعْيُنُهُنَّ » ولا يجوز أن يؤكد بهما مجموعين على نُفُوسٍ وعُيُونٍ، ولا على أعْيانٍ، فعبارتُه هنا أحسن من قوله فى التسهيل: « جمع قلة » فإن عَيْناً تجمع جمع قلة على أعيان، ولا يؤكد به.

﴿ تنبيه ﴾: ما أفهمه كلامُه من منع مجىء النفس والعين مؤكَّداً بهما غيرُ الواحد — وهو المثنى والمجموع — غيرَ مجموعين على أفْعُل هو كذلك فى المجموع.

وأما المثنى فقال الشارح — بعد ذكره أنّ الجمعَ فيه هو المختار — : ويجوز فيه أيضاً الإفراد، والتثنية.

قال أبو حيان: وَوَهِمَ فى ذلك؛ إذ لم يقل أحد من النحويين به.

وفيما قاله أبو حيان نظر، فقد قال ابن إياز فى شرح الفصول: ولو قلت: « نفساهما » لجاز، فصرح بجواز التثنية.

وقد صرّح النحاة بأن كل مثنى فى المعنى مضاف إلى متضمنه يجوز فيه الجمع ، والإفراد ، والتثنية ، والمختار الجمع ، نحو : « فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا » ويترجّح الإفراد على التثنية عند الناظم ، وعند غيره بالعكس ، وكلاهما مسموع كقوله :

٧٩٥ — * حَمَامَةَ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرَنَّمِى *

---

٧٩٥ — هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه قوله :

* سَقَاكِ مِنَ الغُرِّ الغَوادِى مَطِيرُهَا *

وقد ذكر العلماء أن هذا البيت وقع فى قصيدة للشماخ بن ضرار الغطفانى ، كما وقع فى قصيدة لتوبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية الذى يقول فيها :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سلَّمَتْ ... عَلَيَّ وَدُونِى جَنْدَلٌ وصَفَائحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَوْ زَقَا ... إِلَيْهَا صَدًى مِنْ جانِبِ القَبْرِ صائحُ

فأما قصيدة الشماخ بن ضرار فذكر العينى أن أولها هو قوله :

تُغالِبُنِى نَفْسِى عَلَى تَبَعِ الهَوَى ... وقدْ جاءَ نَفْسِى مِنْ هَواها نَذِيرُهَا
وأَمْرٍ تُرَجِّى النَّفْسُ لَيْسَ بضائرٍ ... وتَخْشَى عليْها ضَيْرَةً ما تَضِيرُهَا
وقدْ قُلْتُ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ نَصِيحَةً ... مَقالَ شَفِيقٍ لوْ يَعِيهِ ضَمِيرُهَا
فأَنْبأْتُها أَنَّ الحَيَاةَ وأَهْلَهَا ... كَعارِيَةٍ أَوْفَى بهَا مُسْتَعِيرُهَا
إلى أَهْلِها ؛ إِنَّ العَوارِىَ حَقُّها ... أَداءٌ بإِحْسانٍ إِلى مَنْ يُعِيرُهَا
قِفَا فاسْأَلاَ يا صاحِبَيَّ حَمَامَةً ... تُخَبِّرُنَا عن أهلِها أوْ نُطِيرُهَا
حَمامةَ بَطْنِ الوادِيَيْنِ تَرَنَّمِى ... سقاكِ مِنَ الغُرِّ الغَوادِى مَطِيرُهَا

قال : ويروى « حمامة دار الجارتين » اهـ كلامه (وانظره بهامش خزانة الأدب ٤/٨٦).
وأقول : قد راجعت ديوان الشماخ بن ضرار من أوله إلى آخره فوجدت له قصيدة على هذا الروى مطلعها قوله :

عفَتْ ذِرْوَةٌ مِنْ أَهْلِها فَحفِيرُهَا ... فَمَرْجُ المَرَوْراةِ الدَّوانى فدُورُهَا
عَلَى أَنَّ لِلْمَيْلاءِ أَطْلالَ دِمْنَةٍ ... بأَسْقُفَ تَسْدِيها الصَّبَا وتُنِيرُهَا

... ...

وليس له قصيدة أخرى على هذا الروى ، وليس فى هذه القصيدة بيت واحد من هذه الأبيات التى رواها العينى .

وأما قصيدة توبة فقد روى أبو على القالى فى أماليه (١/٨٨ دار الكتب) أبياتا منها أولها البيت المستشهد بصدره ، وبعده قوله :

أَ بِينِى لَنا ، لا زالَ رِيشُكِ نَاعِماً ... وَلا زِلْتِ فى خَضراء غضٍّ نَضِيرُهَا
وكُنْتُ إذا مازُرْتُ لَيْلَى تبَرْقَعَتْ ... فقدْ رابَنى مِنها الغَداةَ سُفُورُهَا
وَقدْ رابَنى منْها صُـــدُودٌ رأَيْتُه ... وَ إعْراضُها عنْ حاجَتى و بُسُورُهَا
وَأُشرِفُ بالقُورِ اليفَاعِ لعَلَّنى ... أرَى نارَ لَيْلَى أوْ يَرانى بَصِيرُهَا
يقُولُ رِجالٌ : لا يَضِيرُكَ نأْيُها ... بَلَى ، كلُّ مَاشَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا
بَلَى قدْ يَضِيرُ العَيْنَ أنْ تُكْثِرَ البُكَى ... وَيُمْنَعَ منهَا نوْمُها وسُرُورُهَا
وَقدْ زَعَمتْ لَيْـــلى بأَنِّىَ فَاجِرٌ ... لنَفْسِى تُقاهَا أوْ عليْهَا فُجُورُهَا

ولم يتعرض البكرى فى السمط ولا فى التنبيه لنسبة هـذه الأبيات لتوبة بشىء ، وقد روى صاحب تزيين الأسواق (١/١١٥ بولاق) قصيدة توبة بن الحمير بتمامها منسوبة إليه ، ومطلعها عنده قوله :

نأَتْكَ بلَيْلَى دارُها لا تَزُورُهَا ... وَشطَّتْ نَواهَا وَاسْتَمرَّ مَرِيرُهَا
وَخفَّتْ نَواها مِنْ جَنوبِ عفيرةٍ ... كَمَا خَفَّ مِنْ نيْلِ المَرامِى جَفِيرُهَا

وفيها الأبيات التى رواها أبو على القالى ، ولـكنها ليست متصلة ، وبعضها سابق على البيت المستشهد بصدره وبعضها متأخر عنه ، ولولا خوف الإطالة لذكرت لك القصيدة بطولها . وليلى صاحبة توبة هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية — وهو الذى يلقب بالأخيل ، وإليه تنسب — من بنى ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وفى نسبها اضطراب واختلاف كثير .

اللغة : « تغالبنى نفسى على تبع الهوى — البيت » تبع الهوى : اتباعه والجرى وراءه ، ونذير نفسه الذى جاءه : هو عزم أحبته على الارتحال ، أو نزول الشيب برأسه ، أو نحو ذلك مما يحول بين النفس والاسترسال فى هواها « وأمر ترجى النفس — البيت » حذف الضمير المنصوب العائد على الأمر ، وأصل الكلام : وأمر ترجيه النفس ، وضائر : ضار ، تقول : « ضاره

... ...

يضيره ضيرا » بمعنى ضره يضره ضرا « وقد قلت للنفس اللجوج — البيت » اللجوج : التى لاتكف ولا ترجع ، ويعيه : يحفظه ويعمل به « وأنبأتها أن الحياة — البيت » أنبأتها: أخبرتها والعارية — بتخفيف الياء — ما تأخذه من غيرك لتنتفع به ثم ترده ، وأوفى بها : أراد أداها ، وقول الشماخ : « عفت ذروة — البيت » عفت : درست وذهبت معالمها ، وذروة — بفتح الذال وقد تكسر كما ذكر ياقوت — والحفير : ماءان لغطفان ، والمرج — بالفتح — الفضاء ، وأرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب ، والمروراة : أرض خالية لاشىء فيها من النبات أو غيره ، وهو مفرد ، وإنما وصفه بالجمع فى قوله : « الدوانى » لأن من سنن العرب أن يثنوا اسم البلد أو البقعة أو يجمعوه باعتبار جهتيه أو جهاته فيجعلون كل جهة من جهاته كأنها بلدة أو بقعة برأسها ، وهذا منهم إيماء إلى سعة المكان « على أن للميلاء — البيت » الميلاء : اسم امرأة ، والأطلال : جمـــع طلل ، وهو ما بقى من آثار الديار شاخصا مرتفعا عن الأرض ، والدمنة — بكسر الدال وسكون الميم — آثار الناس ، وأصل معنى تسديها : تنسج سداها ، وتنيرها : تنسج نيرها — بكسر النون — وهو لحمة الثوب ، والصبا — بفتح الصاد — ريح الشمال ، وأراد أنها تختلف عليها ولا تزال تعمل فى آثارها ، ومثله قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

لِمَنِ الدِّيارُ كَأَنَّهُنَّ سُطُورُ تُسْدِى مَعالِمَها الصَّبَا وتُنِيرُ

« حمامة بطن الواديين ترنمى — البيت » ترنمى: أمر من الترنم ، وهو التغنى ومد الصوت وتطريبه ، والغر —بالضم— جمع غراء ، والغوادى : جمع غادية ، وهى التى تجىء فى وقت الغداة « أبينى لنا لازال ريشك ناعما — البيت » هذه رواية أبى على ، وروى صاحب تزيين الأسواق « ولا زلت فى خضراء دان بريرها » والدانى : القريب ، والبرير — بفتح الباء — أول مايظهر من ثمر الأراك « وكنت إذا مازرت ليلى تبرقعت — البيت » يروى « إذا ماجئت ليلى » ورابنى : أوقعنى فى الريبة ، وهى الشك ، والسفور : مصدر سفرت المرأة تسفر — من باب جلس — إذا ألقت الخمار عن وجهها ، ولهذا البيت وما بعده قصة « وقد رابنى منها صدود رأيته — البيت » البسور : مصـــدر بسر الإنسان — من باب قعد — إذا كلح وجهم وجهه ، فهو باسر ، وفى القرآن الكريم : (وجوه يومئذ باسرة) أى متكرهة مقطبة « وأشرف بالقور اليفاع — البيت » القور — بضم القاف — الجبل ، واليفاع : المرتفع العالى ، وروى « وأشرف بالأرض اليفاع » يريد أنه يصعد فوق المرتفعات من الأرضين ليبصر ليلى وقومها وليتعرف حالهم ، وحديث الشعراء عن الحمام وغنائه ، وسجعه وترنمه ، وأنه يثير الأشجان ويحرك البلابل ، مستفيض كثير .

....

الإعراب : « حمامة » منادى بحرف نداء محذوف منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « بطن » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو مضاف و « الواديين » مضاف إليه مجرور بالياء المفتوح ماقبلها المكسور مابعدها نيابة عن الكسرة لأنه مثنى ، والنون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد « ترنمى » فعل أمر مبنى على حذف النون ، وياء المؤنثة المخاطبة فاعل مبنى على السكون فى محل رفع « سقاك » سقى : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر ، وكاف المخاطبة المؤنثة مفعول به مبنى على الكسر فى محل نصب « من » حرف جر مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « الغر » مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة «الغوادى» نعت للغر مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل «مطيرها» مطير : فاعل سقى مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف وها : مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر ، وجملة « سقاك مطيرها » من الفعل وفاعله ومفعوله لامحل لها من الإعراب لأنها دعائية .

الشاهد فيه : قوله « بطن الواديين » فإن « بطن » مثنى فى المعنى ، وذلك من قبل أنهما واديان ولكل واد منهما بطن البتة ، فلما أراد إضافة البطنين إلى ما تضمنهما — وهو قوله « الواديين » — أفرد الأول الذى هو المضاف وأبقى الثانى الذى هو المضاف إليه على تثنيته ، وأصل الكلام : « حمامة بطنى الواديين » المضاف مثنى والمضاف إليه مثنى أيضا ، لكن لما كان المضاف والمضاف إليه كالكلمة الواحدة استثقلوا التثنيتين فيهما ، لأن ذلك يشبه جعل علامة التثنية فى وسط الكلمة ؛ فتحاشوا ذلك وعدلوا إلى إفراد المضاف ؛ لأنهم بأمن من اللبس ، ولأن المعنى المقصود مفهوم للسامع .

وههنا أمران : أحدهما : مترتب على الآخر ، فأما الأول فمن استعمالات العرب فى كل مثنى أضيف إلى مثنى مثله ، مثل أن تريد الحكم على قلب زيد بن على وقلب زيد بن عمرو بالطهارة والنقاء مثلا ، فكيف تعبر عن ذلك ؟ والجواب عن هذا أن الأصل أن تقول : « قلبا الزيدين طاهران نقيان » فتجىء بالمضاف مثنى وبالمضاف إليه مثنى ، وقد استعملت العرب ذلك ، وشاهده هو البيت الآتى (رقم ٧٩٦) فقد قال الراجز : « ظهراهما » ولكنهم رأوا هذا الوجه — الذى هو الأصل — ثقيلا لما بينا فعدلوا عنه إلى وجهين آخرين : الوجه الأول : أن يجيئوا بالمضاف مفردا ويبقوا المضاف إليه على حاله كما فى هذا البيت الذى نحن بصدد شرحه ، والوجه الثانى : أن يجمعوا المضاف ويبقوا المضاف إليه على تثنيته ، وشاهد ذلك قوله تعالى : (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) فإن أصل الكلام : فقد صغى قلباكما ؛ لأنهما اثنتان كما ينادى به افتتاح

... ...

الآية الـكريمة ، ولـكل واحدة منهما قلب ، فهذه ثلاثة أوجه فى المسألة : أولها : بقاء كل من المضاف والمضاف إليه على تثنيته ، وهذا الوجه هو الأصل . وثانيها : إفراد المضاف وبقاء المضاف إليه على تثنيته ، ثالثها : أن يجمع المضاف ويبقى المضاف إليه على تثنيته، وبعبارة أخرى ليس لك فى المضاف إليـــه إلا وجه واحد هو بقاؤه على التثنية ، ولك فى المضاف ثلاثة أوجه : إفراده ، وتثنيته ، وجمعه .

وأما الأمر الثانى : فعن أرجح هـذه الأوجه الثلاثة وترتيبها فى الرجحان ، والجواب عن ذلك أن أرجح الوجوه الثلاثة هو أن تجمع المضاف وتبقى المضاف إليه على تثنيته ، وهذه لغة القرآن على ماتلونا لك من الآية الـكريمة ، ولا خلاف بين العلماء فى أن هذا الوجه أرجح الوجوه الثلاثة ، وإنما الخلاف بينهم فى أرجح الوجهين بعده ، فذهب ابن مالك إلى أن إفراد المضاف وبقاء المضاف إليه على تثنيته يلى هذا الوجه فى الرجحان ، ثم تثنية كل من المضاف والمضاف إليه. وذهب أبو حيان إلى أن إفراد المضاف مرجوح قليل لاينبغى أن يقاس عليه ، والتثنية أرجح منه لأنها الأصل ، قال فى شرح التسهيل : « ومن العرب من يضع المفرد موضع الاثنين ، ووجه ذلك أنه لما أمن اللبس ، وكره الجمع بين تثنيتين فيما هو كالـكلمة الواحدة ؛ صرف لفظ التثنية الأولى إلى لفظ المفرد لأنه أخف من الجمع ، وذلك قليل جداً لاينبغى أن يقاس عليه . ومنه قوله :

* حمامة بطن الواديين ترنمى *

أراد بطنى الواديين ، فأفرد » اهـ كلامه .

فإن قلت : فما اتصال هذه المسألة بباب التوكيد ؟ .

فالجواب عن ذلك أن نقول لك : إن لفظ « النفس » ولفظ « العين » يؤكد بكل منهما المفرد والمثنى والجمع ، فإذا أكد بهما أو بواحد منهما المفرد جىء بالتأكيد مفرداً ، وإذا أكد بهما أو بواحد منهما جمع جىء بالتأكيد جمعا ، فهل إذا أكد بهما أو بواحد منهما المثنى يجاء بلفظ التأكيد مثنى ؟ ثم إن لفظ التأكيد يضاف إلى ضمير مطابق للمؤكد فى الإفراد والتثنية والجمع ، فإذا كان المؤكد مفردا جىء بلفظ التأكيد مفردا مضافا إلى ضمير المفرد الغائب ، فيقال « نفسه » أو « عينه » وإذا كان المؤكد جمعا جىء بلفظ التوكيد جمعا مضافا إلى ضمير جماعة الغائبين ، فيقال : « أنفسهم » أو « أعينهم » أو « أنفسهن » أو « أعينهن » فهـــل إذا كان المؤكد مثنى جىء بلفظ التأكيد مثنى مضافا إلى ضمير المثنى الغائب ؟ هذا موضع اتصال هذه المسألة بباب التوكيد ، والجواب : أنه يجب حينئذ أن يضاف لفظ التأكيد إلى ضمير المثنى ، ولـكن لايجب الإتيان بلفظ التأكيد مثنى ، بل الأرجح من وجوه ثلاثة أن يؤتى به جمعا فيقال « أنفسهما » أو « أعينهما » ويلى هـذا الوجه عند ابن مالك أن يؤتى بلفظ التأكيد مفردا ؛

وكقوله :

٧٩٦ — ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنْ ظَهْرَاهُما مِثْلُ ظهورِ التُّرْسَيْنْ

فيقال : « نفسهما » أو « عينهما » وبعده أن يؤتى بلفظ التأكيد مثنى كما هو الأصل ، فيقال : « نفساها » أو « عيناها » فى حالة الرفع ، و « نفسيهما » أو « عينيهما » فى حالتى النصب والجر؛ والوجه الثالث أرجح عند أبى حيان من الوجه الثانى ، بل الوجه الثانى ضعيف عنده لايجوز أن يتكلم به فى سعة الكلام .

٧٩٦ — هذا بيت من الرجز ، أو بيتان من مشطوره ، أو هو بيت من السريع ، فكثيراً مايأتى السريع على زنة الرجز ، وكثيرا مايغيرون فى وزن الرجز بالحذف والزيادة لأنه البحر الذى يحدون به ويرتجلون عليه ، وعلى كل حال هو لخطام المجاشعى من أرجوزة أولها :

حَيِّ دِيارَ الحَيِّ بيْنَ السَّهْبَيْنْ وطَلْحَةِ الدَّوْمِ وقدْ تَعَفَّيْنْ
لَمْ يَبْقَ مِنْ آيٍ بِهاَ تُحَلَّيْنْ غَيْرُ حُطامٍ ورَمادٍ كِنْفَيْنْ
وغَيْرُ نُؤْيٍ وَحِجاجَىْ نُؤْيَيْنْ وغَيْرِ وُدٍّ جاذِلٍ أوْ وُدَّيْنْ

إلى أن قال :

ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنْ ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنْ
جُبْتُهُمَا بالنَّعْتِ لا بالنَّعتَيْنْ عَلَى مَطارِ القَلْبِ سامِي العيْنَيْنْ

وقد وقعت نسبة البيت المستشهد به فى كتاب سيبويه إلى خطام المجاشعى كما ذكرنا ، وقال أبو على : وهو لهميان بن قحافة (انظر سيبويه ١/٢٤١) .

اللغة : «حى» أمر من التحية «ديار» جمع دار « الحى » هنا : القبيلة « السهبين » اسم موضع بعينه ، ولم يذكر ياقوت غير « السهب » بالإفراد ، وقال : سبخة بين الحتين والضياعة ، وفيه يقول طفيل الغنوى :

وبالسَّهْبِ مَيْمُونُ الخَليقةِ قَوْلُهُ لِملتمِسِ المَعرُوفِ أَهلٌ وَمَرْحَبُ

و « طلحة الدوم » موضع بعينه أيضا « تعفين » ضمير النسوة الذى فيه يعود إلى ديار الحى، ومعناه : درسن وتغيرن ؛ تقول : عفا المنزل يعفو عفاء ، تعنى درس وتغير ، ويأتى « عفا »

... ...

متعديا تقول : « عفتــه الريح » وقوله : « لم يبق من آى » الآى : جمع آية ، وهى العلامة « تحلين » وصفن بها ، وتقول : حليت فلانا تحلية ، تريد وصفته ؛ يقول : لم يبق من علامات حلولهم فى ديارهم تحليها وتصفها غير ماذكر ، ومن : حرف زائد ، وآى : فاعل يبق ، وغير : منصوب على الاستثناء أو مرفوع على البدلية ، وجملة تحلين صفة لآى « حطام » — بضم الحاء المهملة — ماتكسر من الحطب. والمراد به دق الشجر الذى قطعوه وظللوا به الخيام، و« كنفين » — بفتح الكاف وسكون النون هنا — مثنى كنف ، وهو الجانب والناحية ، وأصله بفتح الكاف والنون جميعا ، ويصح أن تجعل « رماد » مضافا إلى « كنفين » ويصح أن تنون « رماد » أى رماد من جانبى الموضع ، ويقال : إن « كنفين » هنا بكسر الكاف وسكون النون ، والكنف — بالكسر — وعاء يجعل الراعى فيه أداته « نؤى » النؤى — بضم النون وسكون الهمزة بعدها — حفيرة يحفرونها حول الخيمة يتحاشون بها أن يدخل ماء المطر الخيمة ، ويؤخذ ترابها ويجعل حاجزا للخيمة ، فجعل ذلك الحاجز كحجاج العين ، والحجاج — بكسر الحاء المهملة أو فتحها ، بزنة الكتاب أو السحاب — العظم الذى ينبت عليه الحاجب « جاذل » منتصب ثابت « ود » الود : الوتد « مهمهين » المهمه — بزنة جعفر — الصحراء المقفرة ، سموها بذلك على تقدير أن سالكها لخوفه منها يقول لمن معه : مه ، مه ، يريد كف عن الكلام « قذفين » — بفتح القاف والذال جميعا ، أو ضمهما جميعا — مثنى قذف ، ويقال : « هذه مفازة قذف » تريد أنها بعيدة الأرجاء مترامية الأطراف، والمراد أنها واسعة جدا ، وذلك أبعث على الهول والخوف منها« مرتين» — بفتح الميم وسكون الراء — مثنى مرت ، وهى الأرض التى لانبات فيها ولا ماء ، ومن هنا قالوا : « رجل مرت » إذا كان ليس له شعر بحاجبيه « ظهراهما » مثنى ظهر ، وظهر الأرض: ما ارتفع منها وظهر « الترسين » مثنى ترس — بضم التاء وسكون الراء — وهو من أداة الحرب ، يتقى به ضربات السيوف ، وهو المجن أيضا ، شبه ظهر الأرض بظهر الترس فى الاحديداب لتأكيد أنها لاتنبت شيئا « جبتهما » قطعتهما وخرقتهما وسرت فيهما « بالنعت » أى الوصف ؛ يقول : اكتفيت فى الدلالة فيهما بأن نعتا لى مرة واحدة . وصف نفسه بالشجاعة والإقدام على المخاوف وبالاهتداء والمعرفة بالسير فى الفلوات الموحشة .

الإعراب : « ومهمهين » الواو واو رب حرف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، مهمهين : مجرور لفظا بواو رب ، وهو فى المحل مرفوع بالابتداء ، وعلامة رفعه الألف المقدرة نيابة عن الضمة وقد منع من ظهور هذه الألف اشتغال المحل بالياء التى اقتضتها واو رب «قذفين»

(وكِلاَ أذْكُرْ فى) التوكيد المَسُوق لقصد (الشُّمُولِ) والإحاطة بأبعاض المتبوع ، (وكِلاَ) و (كِلْتَا) و (جميعاً) ، فلا يؤكد بهن إلا ما له أجزاءٌ يصحُّ وقوعُ بعضها موقعه ؛ لِرَفْع احتمال تقدير بعضٍ مضافٍ إلى متبوعهن ، نحو : « جاء الجَيْشُ كُلُّهُ ، أوْ جَمِيعُهُ ، والقَبِيلةُ كُلُّهَا ، أوْ جَمِيعُهَا ، والرِّجالُ كُلُّهُمْ ، أوْ جَمِيعُهُمْ ، والهِنداتُ كُلُّهُنَّ ، أوْ

نعت لمهمهين ، باعتبار لفظه ، مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه مثنى ، والنون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد « مرتين » نعت ثان لمهمهين ، وإعرابه كإعرابه « ظهراهما » ظهرا : مبتدأ مرفوع بالألف نيابة عن الضمة لأنه مثنى ، وهو مضاف وضمير الغائبين العائد إلى المهمهين مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « مثل » خبر المبتدإ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « ظهور » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو مضاف ، و « الترسين » مضاف إليه ، مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه مثنى ، والنون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد ، وجملة المبتدإ والخبر فى محل جر نعت لمهمهين أيضا ، وخبر المبتدإ المجرور لفظا بواو رب هو قولهما : « جبتهما » الواقع فى البيت التالى لبيت الشاهد .

الشاهد فيه : قوله : « ظهراهما » وقوله : « ظهور الترسين » فإن الأصل أن المضاف مثنى والمضاف إليه مثنى أيضا فى كل واحدة من هاتين العبارتين ، وذلك أن معنا مهمهين ولكل مهمه منهما ظهر ، ومعنا ترسان ولكل واحد منهما ظهر ، وقد أتى الراجز فى العبارة الأولى بالمضاف مثنى وبالمضاف إليه مثنى على ماهو الأصل ، وأتى فى العبارة الثانية بالمضاف جمعا وبالمضاف إليه مثنى ، وقد عرفت أن هذا الثانى أرجح الوجوه الثلاثة التى استعملتها العرب فى مثل ذلك ، قال سيبويه (١/٢٤١) : « وسألت الخليل عن ما أحسن وجوههما ، فقال : لأن الاثنين جميع ، وهذا بمنزلة قول الاثنين : نحن فعلنا ، ولكنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يكون منفردا وبين مايكون شيئا من شىء ، وقد جعلوا أيضا المنفردين جمعا ، قال الله جل ثناؤه : (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا : لاتخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض) وقد يثنون مايكون بعضا لشىء ، زعم يونس أن رؤبة كان يقول : ما أحسن رأسيهما ، قال الراجز : * ظهراهما مثل ظهور الترسين * وقالوا : وضعنا رحالهما يريد رحلى راحلتين ، فأجروه مجرى شيئين من شيئين » اه . وقال الأعلم فى بيت الشاهد : « الشاهد فيه تثنية الظهرين على الأصل ؛ والأكثر فى كلامهم إخراج مثل هذا إلى الجمع كراهة لاجتماع تثنيتين فى اسم واحد ، لأن المضاف إليه من تمام المضاف ، مع ما فى التثنية من معنى الجمع ، وأن المعنى لايشكل ، ولذلك قال : مثل ظهور الترسين ، فجمع الظهر » اه كلامه .

جَمِيعُهُنَّ ، والزَّيْدَانِ كِلاَهُما ، والهِندانِ كِلْتاهُما » ؛ لجواز أن يكون الأصل : جاء بعضُ الجيشِ ، أو القبيلةِ ، أو الرجال ، أو الهندات ، أو أحَدُ الزيدين ، أو إحْدَى الهندينْ .

ولا يجوز « جاءني زَيْدٌ كُلُّهُ » وَلا « جَمِيعُهُ » ، وكذا لايجوز « اخْتَصَمَ الزَّيْدَانِ كِلاهُما » ولا « الهِندانِ كِلْتاهُما » لامتناع التقدير المذكور .

وأشار بقوله : (بالضَّمِيرِ مُوصَلاَ) إلى أنه لابدَّ من اتصال ضمير المتبوع بهذه الألفاظ ؛ ليحصل الربط بين التابع ومتبوعه كما رأيت ، ولا يجوز حذفُ الضمير استغناء بنية الإضافة ، خلافاً للفراء والزمخشري ، ولا حُجَّة في « خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً » ولا قراءة بعضهم : « إنَّا كُلاًّ فِيهاَ » على أن المعنى جميعه وكلنا ، بل « جميعاً » حالٌ « وكُلاًّ » بدل من اسم « إن » أو حال من الضمير المرفوع في « فيها » .

وذكر في التسهيل أنه قد يُسْتَغْنى عن الإضافة إلى الضمير بالإضافة إلى مثل الظاهر المؤكد بكل ، وجَعَل منه قول كُثَيِّر :

٧٩٧ — * يا أشْبَهَ النَّاسِ كلَّ النَّاسِ بالقَمَرِ *

---

٧٩٧ — هذا نصف بيت من البسيط ، وقد رواه العيني عجزا لبيت من كلام لكثير عزة ، والبيت بتمامه مع بيت تال له هكذا :

كَمْ قدْ ذَكَرْتُكِ لوْ أُجْزَى بذِكْرِكُمُ ... يا أشْبَهَ النَّاسِ كلَّ النَّاسِ بالقَمَرِ
إنِّي لَأَجْذَلُ أنْ أمْشِي مُقَـــابِلَهُ ... حُبًّا لِرُؤْيَةِ مَنْ أشْبَهْتِ في الصُّوَرِ

وانظره بهامش خزانة الأدب (٤/٨٨) وروى أبو علي القالي في أماليه (١/١٩٥ دار الكتب) أبياتا فيها بيت الشاهد ، والبيت الذي رواه العيني معه ، ونسبها إلى عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، وها كها بروايته :

يا لَيْتَني قدْ أجَزْتُ الحَبْلَ نحْوَكُمُ ... حبلَ المُعَرَّفِ ، أوْ جاوَزْتُ ذا عُشَرِ
إنَّ الثَّواء بأرْضٍ لا أراكِ بهـــا ... فاسْتَيْقِنِيهِ ثَواءٌ حقٌّ ذِي كَدَرِ
وَما مَلِلْتُ ، وَلٰكِنْ زادَ حُبُّكُمُ ... وَلا ذَكَرْتُكِ إلاَّ ظَلْتُ كالسَّدِرِ
أذْرِي الدُّمُوعَ كَذِي سُقْمٍ يُخامِرُهُ ... وَما يُخامِرُنِي سُقْمٌ سِوَى الذِّكْرِ

... ...

كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكِ لوْ أُجْزَى بِذِكْرِكُمُ يا أشبهَ النَّاسِ كلَّ النَّاسِ بالقَمَرِ
إنّى لأَجْذَلُ أنْ أمْسِى مُقابِلَهُ حُبًّا لِرُؤْيةِ مَنْ أَشْبَهْتِ فى الصُّورِ

وراجعت ديوان كثير عزة المطبوع فى الجزائر فلم أجد البيتين فى أصله ، ووجدت ناشره قد زادهما فى الشعر المنسوب إلى كثير (١٩٦/٢) نقلا عن العينى وعمن أخذ عنه ، وراجعت ديوان عمر بن أبى ربيعة المخزومى المطبوع فى مدينـــة ليبسك (١٩٠٩) فوجدت فى أصله القطعة التى رواها أبو على القالى ، وهى ثابتة فى الديوان (١٤/١) ببعض تغيير سننبه عليه فى لغة الأبيات .

اللغة : « أجزت » قطعت « الحبل » موضع عند عرفات ، ويقال فيه : « حبل عرفة » وقد سماه « حبل المعرف » وفيه يقول أبو ذؤيب الهذلى :

فرَوَّحَها عنــــدَ المَجازِ عَشِيَّةً تُبادِرُ أُولَى السَّابِقاتِ إلى الحَبْلِ

وقال الحسين بن مطير :

خليلَىَّ مِنْ عَمْرٍو قِفَا فتعـــرَّفَا لِسُهْمَةَ دارًا بَيْنَ لِينـــةَ فالحَبْلِ
تَحَمَّلَ مِنها أَهْلُها حـــينَ أَجْدَبَتْ وكانُوا بِها فى غيْرِ جَدْبٍ وَلا مَحْلِ
وقدْ كانَ فى الدَّارِ الَّتى هاجَتِ الهَوَى شِفاءُ الجَوَى لوْ كانَ مُجْتَمِـعَ الشَّمْلِ

« جاوزت » أراد تعديت « ذا عشر » — بضم العين وفتح الشين — واد بين البصرة ومكة من ديار تميم ثم لبنى مازن بن مالك بن عمرو من نواحى نجد ، وفيه يقول الشاعر :

قدْ قُلْتُ يوْمَ اللِّوَى مِنْ بطْنِ ذِى عُشَرٍ لِصاحِبَىَّ ، وقَدْ أَسْمَعْتُ مَاقَــــلاَ :
عُوجَا عَلَىَّ صُدُورَ العِيسِ وَيْحَكُمَا حتَّى نُحَيِّىَ مِنْ كُلْثُومَةَ الطَّلَلاَ

وقال نصر : عشر واد بالحجاز ، وقيل : شعب لهذيل قرب مكة عند نخيلة اليمانية « إن الثواء بأرض لا أراك بها — البيت » الثواء — بفتح الثاء — الإقامة ، وهو أحد مصادر « ثوى بالمكان يثوى » مثل رمى يرمى ، ثويا وثواء ، وقال الحارث بن حلزة :

آذَنَتْنا بِبَيْنِهـــا أَسْماءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وجملة « فاستيقنيه » معترضة بين اسم إن وخبرها ، ومعنى استيقنيه تيقنى به وتأكدى منه

... ...

وليكن منك بمنزلة اليقين الذى لايشوبه شك « ثواء حق ذى كدر » حق : صفة لثواء الواقع خبرا لإن « وما مللت ولكن زاد حبكم — البيت » مل يمل — من باب علم يعلم — سئم ، ومصدره الملل — بالتحريك — والملالة، وقوله «ولا ذكرتك» كذا وقع فى رواية أبىعلى ، ووقع فى ديوان عمر «وما ذكرتك» والسدر ـ بفتح السين المهملة وكسر الدال ـ المتحير ، تقول: سدر الرجل يسدر ـ من باب فرح يفرح ـ سدرا بالتحريك وسدارة، إذا تحير «أذرى الدموع كذى سقم يخامره — البيت » أذرى الدموع : أذرفها ولا أبقى عليها ، تقول : « أذرى فلان دمعه » و « أذرت العين دمعها » إذا صبته وأسقطته ، والسقم — بالضم هنا ، وفيه لغة أخرى بفتح السين والقاف جميعا — المرض ، ويخامره : يخالطه ، وقوله : «وما يخامرنى سقم» هكذا وقع فى رواية أبى على ، ووقع فى ديوان عمر بن أبى ربيعة « وما يخامر من سقم سوى الذكر » والذكر — بكسر الذال المعجمة وفتح الكاف — جمع ذكرة — بالكسر — وهى نقيض النسيان . يقول : إنى لأرخص دمع عينى وأذرفه كمن حل به مرض فهو يتوجع من شدة آلامه ، والحقيقة أنه مابى من مرض ، وإنما مرضى هو ذكرى إياكم « كم قد ذكرتك ؟ لو أجزى بذكركم — البيت » أجزى: مضارع مبنى للمجهول من الجزاء ، وهو المكافأة ، و « لو » فى هذا الموضع يحتمل أن تكون شرطية وجوابها محذوف ، والتقدير : لو أجزى بذكركم لنفعنى ذلك ، وجملة الشرط وجوابه معترضة ، ويحتمل أن تكون « لو » حرفا دالا على التمنى فلا جواب لها « إنى لأجذل أن أمسى مقابله » أجذل : مضارع من الجذل ، وهو الفرح والسرور ، تقول : « جذل فلان يجذل جذلا » مثل فرح يفرح فرحا فى الوزن والمعنى ، وأمسى — بالسين المهملة — أى أكون وقت المساء ، ووقع فى ديوان عمر وفى العينى « أمشى » بالشين المعجمة مضارع من المشى ، ومقابله : ظرف معناه معنى قدامه وفى الجهة المقابلة له ، والضمير المجرور محلا بالإضافة عائد على القمر ، يقول : إن الفرح ليملأ قلبى إذا أمسيت فى مقابلة القمر ؛ لأننى أتمثلك فى هذا القمر الساطع، ولأننى أحب أن أرى أشباهك وأمثالك ، وفى هذا تشبيه ضمنى لها بالقمر .

الإعراب : « كم » خبرية بمعنى كثير ، وهى اسم مبنى على السكون إما فى محل رفع على أنه مبتدأ ، وإما فى محل نصب على أنه مفعول مطلق عامله ذكر الآتى : أى ذكرتك ذكرا كثيرا ، أو فى محل نصب على أنه مفعول فيه لتأوله بالوقت : أى ذكرتك فى أوقات كثيرة « قد » حرف تحقيق مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « ذكرتك » ذكر : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون المأتى به لدفع كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، والتاء ضمير المتكلم مبنى على الضم فى محل رفع فاعل ذكر ، والكاف ضمير المؤنثة المخاطبة مفعول به مبنى على الكسر فى محل نصب ، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله فى محل رفع خبر كم الخبرية إن جعلتها فى محل رفع مبتدأ ، فإن جعلتها فى محل نصب فهذه الجملة

... ...

لامحل لها لأنها ابتدائية حينئذ « لو » حرف دالّ على التمنى مبنى على السكون لامحل له من الإعراب ، أو حرف شرط غير جازم مبنى على السكون لامحل له أيضا « أجزى » فعل مضارع مبنى للمجهول مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « بذكركم » الباء حرف جر مبنى على الكسر لامحل له من الإعراب ، ذكر : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بقوله أجزى ، وذكر مضاف وضمير جماعة المخاطبين مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله ، مبنى على السكون فى محل نصب ، وجواب الشرط — إن قدرت لو شرطية — محذوف ، والتقدير : لو أجزى بذكرى إياكم لاسترحت ، أو لنفعنى ، أو نحو ذلك « يا » حرف نداء مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « أشبه » منادى منصوب بالفتحة الظاهرة ، وأشبه مضاف و « الناس » مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « كل » توكيد للناس وتوكيد المجرور مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، وكل مضاف و « الناس » مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « بالقمر » الباء حرف جر مبنى على الكسر لامحل له من الإعراب ، والقمر : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بأشبه .

الشاهد فيه : قوله « الناس كل الناس » فإن كلة « كل » توكيد للناس قبله . وقد كان من حق الكلام أن يضيف لفظ التوكيد إلى ضمير غيبة عائد على المؤكد فيقول : « يا أشبه الناس كلهم » كما قال الله تعالى : (فسجد الملائكة كلهم) ولكنه لما لم يستقم له الوزن بالضمير عدل إلى وضع الاسم الظاهر المماثل للفظ المؤكد موضع الضمير .

هكذا خرج ابن مالك رحمه الله تعالى هذا البيت ، وعلى تخريجه استشهد الشارح به ، وعليه أعربناه ، قال ابن مالك رحمه الله فى شرح الكافية الشافية له : «وقد يخلف الضمير الاسم الظاهر، نحو قوله : * يا أشبه الناس كل الناس بالقمر * » اه

وخالف فى هذا أبو حيان ، وزعم أنه لايجوز فى توكيد المعرفة بكل إلا إضافة كل إلى ضمير المؤكد ، وخرّج هذا البيت على أن « كل الناس » نعت للناس قبله ، وجعله نظير قولهم : « أطعمنا شاة كل شاة » فإن كل شاة فى هذا المثال نعت لشاة التى قبلها وليست توكيدا .

ورد ابن هشام — قدس الله روحه ! — قول أبى حيان ، ووجه الرد أن لفظ كل الذى ينعت به يدل على الكمال ، فأما « كل » التى يؤكد بها فهى دالة على عموم الأفراد ، ولا شك أن المراد فى قول الشاعر : « يا أشبه الناس كل الناس » عموم أفراد الناس ، وليس المراد به فردا

(وَاسْتَعْمَلُوا أَيْضًا كَكُلٍّ) فى الدّلالة على الشّمول اسماً موازناً (فاعِلَهْ مِنْ عَمّ فى التَّوْكِيدِ) فقالوا : « جاء الجَيْشُ عامَّتُهُ ، وَالقَبيلةُ عامَّتُهَا ، وَالزَّيْدُونَ عامَّتُهُمْ ، وَالهِنْدَاتُ عامَّتُهُنَّ » ، وعُدَّ هذا اللفظ (مِثْلَ النَّافِلَهْ) أى : الزائد على ما ذكره النحويون فى هذا الباب ، فإن أكثرهم أغفله ، لكن ذكره سيبويه ، وهو من أجلّهم ، فلا يكون حينئذ نافِلَةً على ما ذكروه ، فلعله إنما أراد أنّ التاء فيه مثلُها فى « النافلة » أى تَصْلُح مع المؤنث والمذكر ، فتقول : « اشتَرَيْتُ العَبْدَ عامَّتَهُ » كما قال تعالى : « وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً » .

﴿ تنبيه ﴾ : خالف فى « عامة » المبردُ ، وقال : إنما هى بمعنى أكثرهم .

* * *

(وَبَعْدَ كلٍّ أَكَّدُوا بأَجْمَعَا جَمْعاءَ أَجْمعِينَ ثُمَّ جُمَعَا)

فقالوا : « جاء الجَيْشُ كُلُّهُ أجمَعُ ، والقَبيلةُ كلُّها جَمعاء ، والزَّيْدُونَ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ ، والهِندات كُلُّهُنَّ جُمَعُ » .

(وَدُونَ كلٍّ قدْ يجِيء أَجْمَعُ جَمْعَاءُ أَجْمَعُونَ ثُمّ جُمَعُ)

المذكورات ، نحو : « لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » « لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِين» وهو قليل بالنسبة لما سبق .

وقد يتبع أجمع وأخواته ، بأكْتَعَ وكَتْعاء وأكْتَعِينَ وكُتَعَ ، وقد يُتبع أكْتَعُ وأخواته بأبْصَعَ و بَصْعاء وأبْصَعِينَ و بُصَعَ ، فيقال : « جاء الجَيْشُ كُلُّهُ أجمَعُ أكْتَعُ أبْصَعُ ، والقَبيلةُ كُلُّها جَمْعاء كَتْعاء بَصْعاء ، والقومُ كُلُّهُمْ أجمَعُونَ أكْتَعُونَ أبْصَعُونَ ، والهِندات كُلُّهُنَّ جُمَعُ كُتَعُ بُصَعُ » .

وزاد الكوفيون بعد أبصع وأخواته أبْتَعَ و بَتْعاء وأبْتَعِينَ و بُتَعَ .

قال الشارح : ولا يجوز أن يُتَعَدَّى هذا الترتيبُ ، وشذ قولُ بعضهم « أجمَعَ أبصع » ،

واحدا يدعى له أنه الكامل فى الناسية لأنه جامع لكل أوصافها ، فلما كان المعنى المقصود هو الذى تدل عليه كل التوكيدية وجب المصير إليها ، وللك فى هذا القدر الكفاية والمقنع إن شاء الله تعالى .

وأشذ منه قول الآخر « جُمَع بُتَع » ، وربما أُكِّدَ بأكتع وأكتعين غيرَ مسبوقين بأجمعَ وأجمعين ، ومنه قول الراجز :

٧٩٨ — يا ليْتَنى كُنْتُ صَبِيًّا مُرْضعَا تحملُنى الذلفاءُ حوْلاً أكْتَعَا

إذا بَكَيْتُ قَبَّلَتنى أرْبَعَا إذًا ظَلِلْتُ الدَّهرَ أبكى أجْمَعَا

وفى هذا الرجز أمور : إفراد أكتع عن أجمع ، وتوكيد النكرة المحدودة ، والتوكيد بأجمع غير مسبوق بكل ، والفَصْلُ بين المؤكِّد والمؤكَّد ، ومثله فى التنزيل : « وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ » .

---

٧٩٨ — هذا الشاهد بيتان من الرجز ، وقد قال العلامة العينى : « قائله راجز من الرجاز لم أقف على اسمه » اهـ . وذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد أن هذا الرجل الأعرابى رأى امرأة جميلة تحمل صبيا رضيعا ، وكان الصبى يبكى ، فكلما بكى قبلته ، فيهدأ ويسكن ، فقال ذلك الرجز .

اللغة : « الذلفاء » هو هنا علم على امرأة بعينها ، وأصله وصف المؤنث من الذلف — بفتح الدال المعجمة واللام جميعا — وهو صغر الأنف مع استواء أرنبته ، تقول : رجل أذلف بين الذلف ، وامرأة ذلفاء بينة الذلف ، وقد ذلف يذلف — مثل فرح يفرح — ورجال ذلف — بضم فسكون — ونساء ذلف أيضا ، وقد وقع الذلفاء علما أيضا فى قول الشاعر :

إنَّمَا الذَّلْفَاءُ يَاقُوتَةٌ أُخْرِجَتْ مِنْ كِيسِ دِهْقَانِ

« حولا أكتعا » الحول : العام ، والأكتع : من ألفاظ التوكيد فى الاستعمال العربى ، وأصله قولهم : « حول كتيع » أى تام كامل ، كقولهم : حول مجرم — بزنة اسم المفعول — وإن لم يستعملوا منه توكيدا .

الإعراب : « يا » حرف نداء ، والمنادى به محذوف ، وتقدير الكلام : يا هؤلاء ليتنى إلخ ، أو نحو ذلك ، أو هو حرف تنبيه ، مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « ليتنى » ليت : حرف تمن ونصب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والنون حرف يؤتى به لوقاية الأفعال والمبنيات من جر أواخرها مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، والياء ضمير المتكلم اسم ليت مبنى على السكون فى محل نصب « كنت » كان : فعل ماض ناقص مبنى على فتح مقدر على آخره لا محل له من الإعراب ، والتاء ضمير المتكلم اسم كان مبنى على الضم فى محل رفع « صبيا » خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة « مرضعا » نعت لخبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة ، والجملة

... ...

من كان واسمه وخبره فى محل رفع خبر ليت « تحملنى » تحمل : فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب «الذلفاء» فاعل تحمل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « حولا » ظرف زمان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « أكتعا » توكيد لحول منصوب بالفتحة الظاهرة « إذا » ظرف لما يستقبل من الزمان مبنى على السكون فى محل نصب بقبل « بكيت » بكى : فعل ماض مبنى على فتح مقدر لامحل له من الإعراب ، والتاء ضمير المتكلم فاعل بكيت مبنى على الضم فى محل رفع ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل جر بإضافة إذا إليها « قبلتنى » قبل : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على تأنيث الفاعل مبنى على السكون لامحل له من الإعراب ، والنون للوقاية ، والياء مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب ، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله لامحل لها من الإعراب جواب إذا الشرطية غير الجازمة « أربعا » مفعول مطلق لأنه صفة لوصف محذوف ، والتقدير : قبلتنى تقبيلا أربعا « إذن » حرف جواب وجزاء مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « ظللت » ظل : فعل ماض ناقص ، والتاء ضمير المتكلم اسم ظل مبنى على الضم فى محل رفع « الدهر » ظرف زمان منصوب بقوله أبكى الآتى وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « أبكى » فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، وجملة الفعل المضارع وفاعله فى محل نصب خبر ظل « أجمعا » توكيد للدهر ، منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : فى هذه الأبيات عدة شواهد للنحاة فى باب التوكيد ، ونحن ندلك على أربعة منها :

الأول : فى قوله : « حولا أكتعا » فإن كلة « حولا » نكرة ، وقد أكده بقوله : « أكتعا » ومن شرط المؤكد عند علماء البصرة أن يكون معرفة ليتساوى مع لفظ التوكيد فى التعريف فإن ألفاظ التوكيد كلها معارف ، إما بالإضافة إلى الضمير ، وإما بالعلمية ، كما قرره الشارح العلامة ، والكوفيون يجيزون توكيد النكرة إن كانت محدودة كيوم وشهر وحول ، وكان التوكيد من ألفاظ الشمول والإحاطة ككل وجميع وتوابعه ، قال ابن مالك فى الكافية الشافية التى اختصر منها الألفية ، مانصه :

ومنَعُوا توْكِيدَ منْكُورٍ ، وَإنْ يُفِدْ فإنَّهُ بِتَجْـــوِيزٍ قَمِنْ
وَشَاعَ فى المَحْدُودِ ، فالْبَصْرِىُّ يَمْنَعُ ، والمُجَـــوِّزُ الـكُوفِىُّ

... ...

وَقَدْ رَوَى فى ذاكَ بَعْضُ مَنْ وَعَى قَدْ صَرَّتِ البَكْرَةُ يَوْمًا أَجْمَعَا

وقال فى شرحه مانصه : « النكر المحدود يوم وليلة وشهر وحول ، ونحوها مما يدل على مدة معلومة المقدار ، وغير المحدود : مايصلح للقليل والكثير كحين وزمان ووقت ومدة ، فلا خلاف فى منع توكيد النكرة غير المحدودة ، إذ لا فائدة فى توكيدها ، وقول الشاعر :

أُلاكَ بَنُو خَيْرٍ وشَرٍّ كِلَيْهِمَا جَمِيعاً ، ومَعْرُوفٍ أَلَمَّ ومُنْكَرِ

محمول على نية الألف واللام فى خير وشرّ ، حكاه الخليل ، ويجوز أن يجعل « كليهما » توكيدا ؛ لأن الذاكر خيرا وشرا قد يظن أنه غالط ، فإذا ذكر « كليهما » أفاد العلم بأنه لم يغلط . وأما المحدودة فاختلف فى توكيدها ، فمنعه البصريون ، وأجازه الكوفيون ، وإجازته أولى بالصواب ؛ لصحة السماع بذلك ، ولأن فى ذلك فائدة ، لأن من قال : « صمت شهرا » قد يريد جميع الشهر ، وقد يريد أكثره ، ففى قوله احتمال ، فإذا قال : « صمت شهرا كله » ارتفع الاحتمال ، وصار قوله نصا على مقصوده ، فلو لم ينقل استعماله عن العرب لكان جديرا بأن يستعمل قياسا ، فكيف به واستعماله ثابت ؟ كقول الراجز :

* قَدْ صَرَّتِ البَكْرَةُ يَوْمًا أَجْمَعَا *

وكقول الآخر :

* تحمِلُنى الذَّلْفَاءُ حَوْلاً أَكْتَعَا *

والثانى : فى قوله « حولا أكتعا » أيضا ، وذلك حيث أكد قوله : « حولا » بقوله : « أكتعا » من غير أن يسبقه التوكيد بأجمع ، والأصل فى التوكيد بأكتع أن يكون مسبوقا بأجمع ، ولو أنه أتى به على الأصل لقال : « حولا أجمع أكتع » قال ابن مالك : « وقد أكد بأكتع وأكتعين غير مسبوقين بأجمع وأجمعين ، ومنه قول الراجز :

يالَيْتَنِى كُنْتُ صَبِيًّا مُرْضَعَا تَحْمِلُنِى الذَّلْفَاءُ حَوْلاً أَكْتَعَا

إذا بَكَيْتُ قَبَّلَتْنِى أَرْبَعَا إِذًا ظَلِلْتُ الدَّهْرَ أَبْكِى أَجْمَعَا

والثالث : فى قوله : « ظللت الدهر أبكى أجمعا » حيث أكد الدهر بقوله أجمع ، من غير أن يسبقه التوكيد بكل كما فى قوله تعالى : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) وقد نص على هذا ابن مالك فى الكافية الشافية وفى الخلاصة .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : زعم الفراء أن أجمعين تُفيد اتحادَ الوقت ، والصحيحُ أنها كـكل فى إفادة العموم مطلقاً ، بدليل قوله تعالى : « لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » .

الثانى : إذا تـكررت ألفاظ التوكيد فهى للمتبوع ، وليس الثانى تأكيداً للتأكيد .

الثالث : لا يجوز فى ألفاظ التوكيد القطعُ إلى الرفع ، ولا إلى النصب .

الرابع : لا يجوز عطفُ بعضها على بعض ، فلا يقال : « قامَ زَيْدٌ نَفْسُهُ وعينُهُ » ، ولا « جاءَ القوْمُ كُلُّهُمْ وَأَجْمَعُونَ » وأجازه بعضهم ، وهو قول ابن الطَّرَاوَة .

الخامس : قال فى التسهيل : وأُجْرِيَ فى التوكيد مُجْرَى كُلٍّ ما أفاد معناه من الضَّرْعِ والزَّرْعِ ، والسَّهْلِ والجبل ، واليد والرجل ، والبطن والظهر ، يُشير إلى قولهم : مُطِرْنا الضَّرْعَ والزَّرْعَ ، ومُطرنا السَّهْلَ وَالجَبَلَ ، وضرَبْتُ زيداً اليَدَ والرِّجْلَ ، وضربْتُهُ البَطْنَ والظَّهْرَ (١) .

السادس : ألفاظ التوكيد معارف ، أما ما أُضيف إلى الضمير نظاهر ، وأما أجمع وتوابعه فنى تعريفه قولان : أحدهما : أنه بنية الإضافة ، ونُسب لسيبويه ، والآخر بالعلمية عُلِّق على معنى الإحاطة .

(وإنْ يُفِدْ توْكِيدُ مَنْـكُورٍ) بواسطة كونه محدوداً ، وكون التوكيد من ألفاظ الإحاطة (قُبِلْ) وفاقاً للـكوفيين والأخفش ؛ تقول : « اعْتَـكَفْتُ شَهْراً كُلَّهُ » ، ومنه قوله :

الرابع : فى قوله : « الدهر أبكى أجمعا » أيضا : حيث فصل بين المؤكد الذى هو الدهر ولفظ التوكيد ، والأصل أن يكون التوكيد بجوار المؤكد وإن كان الفصل جائزا ووازدا فى أفصح الـكلام .

قال ابن مالك رحمه الله تعالى بعد أن ذكر هذا الرجز ، مانصه : « وفى هذا الرجز إفراد أكتع من أجمع ، وتوكيد نـكرة محدودة ، فى قوله حولا أكتعا ، وفيه التوكيد بأجمع غير مسبوق بكل ، وفيه الفصل بأبكى بين التوكيد والمؤكد . ومثله فى الفصل قوله تعالى : (ولا يحزنّ ويرضين بما آتيتهن كلهن) » اهـ كلامه .

(١) وهكذا من كل كلام يذكر فيه متقابلان : إما بالتضاد ، وإما بغيره ، نحو «هذا يقر به الأسود والأحمر » أى الناس كلهم .

٧٩٩ — * يا لَيْتَ عِدَّةَ حوْلٍ كُلِّهِ رَجَبُ *

٧٩٩ — هذا عجز بيت من البسيط ، وصدره قوله :

* لٰكِنَّهُ شاقَهُ أنْ قِيلَ ذا رَجَبٌ *

قال العينى : « ولم أقف على اسم قائله » قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه: وقد عثرت — بعد طويل البحث — على قائل هذا البيت ، والأبيات التى معه ، والسبب الذى قيل الشعر من أجله ، ولكن النحاة غيروا رويه ليتفق مع المشهور من لغة العرب على مانبينه، وهاك الأبيات ومنها بيت الشاهد على الأصل فى روايته ، ثم نتكلم على مافيه . ذكر ياقوت فى معجم البلدان قال: حدث الزبير بن بكار قال : لما ولى الحسن بن زيد المدينة منع عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى أن يؤم بالناس فى مسجد الأحزاب ، فقال له : أصلح الله الأمير ! لم منعتنى مقامى ومقام آبائى وأجدادى من قبلى ؟ فقال : مامنعك منه إلا يوم الأربعاء ، يريد قوله :

يا لَلرِّجالِ لِيَوْمِ الْأَرْبِعاءِ أمَا ... يَنْفَكُّ يُحْدِثُ لِى بَعدَ النُّهَى طَرَبَا

إذْ لا يَزَالُ غَزالٌ فِيهِ يَفْتِنُنِى ... يأْتِى إلى مَسْجِدِ الْأَحزابِ مُنْتَقِبَا

يُخَبِّرُ النَّاسَ أنَّ الْأَجْرَ هِمَّتُهُ ... وَما أَتَى طالِباً لِلْأَجْرِ مُحْتَسِباَ

لوْ كانَ يَطْلُبُ أجْرًا ما أَتَى ظُهُرًا ... مُضَمَّخًا بِفَتِيتِ المِسْكِ مُخْتَضِباَ

لٰكِنَّهُ ساقَهُ أنْ قِيلَ ذا رَجَبٌ ... يا لَيْتَ عِدَّةَ حوْلٍ كُلِّهِ رَجَباَ

فإنَّ فِيهِ لِمَنْ يَبْغِى فَوَاضِلَهُ ... فَضْلاً وَلِلطَّالِبِ الْمُرْتَادِ ماطَلَبَا

كَمْ حُرَّةٍ دُرَّةٍ قدْ كُنْتُ آلَفُها ... تَسُدُّ مِنْ دُونِها الْأَبوابَ وَالْحُجُباَ

قدْ ساغَ فِيهِ لها مَشْىُ النَّهارِ كَمَا ... ساغَ الشَّرابُ لِعَطْشانٍ إذا شرِباَ

يُقَالُ شَهْرٌ عظِيمُ الْحَقِّ فى سَنَةٍ ... يَهْوَى لهُ كلُّ مَكْرُوبٍ إذا كُرِبَا

فاخْرُجْنَ فِيهِ وَلاتَرْهَبْنَ ذا كَذِبٍ ... قدْ أبْطَلَ اللهُ فيهِ قوْلَ مَنْ كَذَبَا

اللغة : « يا للرجال ليوم الأربعاء — البيت » قد أنشد المبرد هذا البيت فى كامله ، وقد تعرض لبيان حركة لام الجر ، قال : هذا باب اللام التى للاستغاثة والتى للإضافة ، إذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة ، تقول : يا للرجال ، ويا للقوم ، ويا لزيد ، إذا كنت تدعوهم ، وإنما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له ، ووجب أن تفتحها ، لأن أصل اللام الخافضة إنما كان

... ...

الفتح ، فكسرت مع المظهر ليفصل بينها وبين لام التوكيد ، تقول : إن هذا لزيد ؛ إذا أردت إن هذا زيد(أى اللام للتوكيد) وتقول : إن هذا لزيد، إذا أردت أنه فى ملكه ، ولو فتحت لالتبستا، فإن وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها فقلت : إن هذا لك ، وإن هذا لأنت ، إذا أردت لام التوكيد لأنه ليس ههنا لبس ، وذاك أن الأسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة ، فلهذا أجريتها على الأصل، والاستغاثة تردها إلى أصلها ، من أجل اللبس ، والمدعو له فى بابه فاللام معه مكسورة ، تقول : يا للرجال للماء ، ويا للرجال للعجب ؛ ويا لزيد للخطب الجليل ، وقال الشاعر :

* يا للرجال ليوم الأربعاء ... البيت * وقال آخر (وهو قيس بن ذريح) :

تَكَنَّفَنى الوُشاةُ فأزْعَجُونى فيَا لَلنَّاسِ لِلْواشِى المُطاعِ

« النهى » جمع نهية — بوزن مدية ومدى — وهى العقل « طربا » الطرب : خفة تعرض للإنسان من فرح أو حزن ؛ يقول : كلما كففت عن الصبوة وتركت الميل إلى رغبات النفس عاودنى مايثير كامن أشجانى ويبعث ما اكتتمته من الحب « إذ لا يزال غزال فيه يفتننى — البيت » غزال : أراد به امرأة تشبه الغزال فى سعة العينين وحورها ، وقد ذكر قيس بن الملوح وجوه الشبه بين الغزال والنساء فى قوله :

فعَيْناكِ عَيْناها وجِيدُكِ جِيدُها سِوَى أنَّ عَظْمَ السَّاقِ مِنْكِ دقِيقُ

والضمير المجرور محلا بفى فى قوله : « فيه » يعود إلى يوم الأربعاء « يفتننى » يبعث الفتنة إلى نفسى « منتقبا » لابسا النقاب ، وهو — بزنة الكتاب — ما تستر به المرأة وجهها « يخبر الناس أن الأجر همته — البيت » يجوز فى « الناس » الرفع على أن يكون فاعل يخبر ؛ ويجوز أن يكون منصوبا على أن يكون مفعولا به لقوله يخبر ، وعلى هذا يكون فى قوله « يخبر » ضمير مستتر يعود إلى الغزال هو فاعله ، وهمته : أى مقصده وهمه وما اعتزم عليه ، يقول : إن هذا الغزال يذكر الناس أنه أتى إلى المسجد للعبادة وطلب الأجر والمثوبة على مايؤديه فى المسجد من العبادات ؛ ولكنه غير صادق فى هذا الخبر ، أو إن الناس يظنون به ذلك وليس ظنهم صحيحا « لو كان يطلب أجرا ما أتى ظهرا — البيت » تقول : « ضمخت فلانا بالطيب » تريد أنك لطخته به ونثرت عليه منه ، وفتيت المسك : الذى انتشرت رائحته « لكنه ساقه أن قيل ذا رجب » وقع فى رواية النحاة جميعا « شاقه » — بالشين المعجمة — أى بعث شوقه وأثاره ، ولكنه وقع فى رواية الأدباء بالسين المهملة ، ومعناه دفعه إلى هذا ، ووقع فى رواية النحاة « يا ليت عدة حول كله رجب » برفع « رجب » على أنه خبر ليت على المشهور من لغة العرب ، ولعل السر فى رواية النحاة أنهم لم يقفوا من هذه القصيدة إلا على بيت الشاهد فرووه

... ...

على الأشهر الأعرف من لغات العرب ، ولكنك قد رأيت الأبيات المتصلة بالبيت من قبله ومن قبلها ، وكلها تنادى بأن الرواية بالنصب ، وليس ذلك عجيبا من لغة العرب ، فقد مرّ بك فى باب « إن وأخواتها » أن من لغات العرب نصب المبتدإ والخبر جميعا بعد « إن وأخواتها » ومن ذلك قول الشاعر :

إذا جَنَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتأْتِ وَلْتَكُنْ خُطاكَ خِفافاً ؛ إنَّ حُرَّاسَنا أُسْدَا

وقول العمانى :

كأنَّ أُذْنَيْهِ إذا تَشَوَّفَا قادِمَةً أوْ قلَماً مُحَرَّفَا

ومنه فى ليت بذاتها قول الراجز :

* يا لَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَواجِعاً *

الإعراب : « لكنه » لكن : حرف استدراك ونصب مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب وضمير الغائب العائد إلى الغزال اسمه مبنى على الضم فى محل نصب « ساقه » ساق : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، وضمير الغائب مفعول به مبنى على الضم فى محل نصب « أن » حرف مصدرى مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « قيل » فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « ذا » اسم إشارة مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع « رجب » خبر المبتدإ مرفوع بالضمة الظاهرة ، والجملة من المبتدإ والخبر فى محل رفع نائب فاعل قيل ، وأن المصدرية مع مادخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل ساق ، والجملة من ساق وفاعله فى محل رفع خبر لكن ، « ياليت » يا : حرف نداء ، والمنادى به محذوف ، ليت : حرف تمن ونصب مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « عدة » اسم ليت منصوب بليت وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « حول » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « كله » كل : توكيد لحول مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو مضاف والضمير العائد إلى حول مضاف إليه مبنى على الكسر فى محل جر « رجبا » خبر ليت منصوب به على لغة قوم ينصبون الجزءين بالحروف المشبهة بالفعل فى المعنى وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : «حول كله» حيث أكد النكرة التى هى قوله «حول» بقوله «كله» وهذه النكرة محدودة ، لأنها وضعت لتدل على مدة لها ابتداء وانتهاء ، وهذا التوكيد من ألفاظ الإحاطة والشمول ، وتوكيد النكرة فى مثل هذه الحالة جائز عند الأخفش والكوفيين ، وهو الذى اختاره ابن مالك وصححه ، والبصريون يمنعونه مطلقا ، نعنى سواء أكانت النكرة محدودة

وقوله :

* تَحْمِلُنِى الذَّلْفَاءُ حَوْلاً أَكْتَعَا(١) *

كشهر ويوم وأسبوع وعام وسنة أم لم تكن محدودة كلحظة وزمان ومدة ، وسواء أكان التوكيد من ألفاظ الإحاطة والشمول ككل وجميع وتوابعهما أم لم يكن ، والحجة قائمة على البصريين بورود ذلك فى الشعر العربى المحتج به كما فى هذا البيت والبيت الذى بعده .

وههنا أمران يتعلقان بالبيت المستشهد به نرى لزاما أن ندلك عليهما :

الأول : « رجب » هل هو اسم منصرف أم غير منصرف ؟

والجواب عن هذا أن نقول لك : قال سعد الدين التفتازانى فى حاشيته على الكشاف : إن أريد برجب وصفر معينان فهما غير منصرفين ، وإن أريد بهما غير معينين فهما منصرفان ، وقال ناصر الدين اللقانى : وكأن وجه ذلك أن المعين منهما معدول عن المقرون بأل ، وذلك كما قالوه فى سحر : إن أريد به سحر يوم بعينه كان معدولا عن السحر فيكون ممنوعا من الصرف ، وإن أريد به سحر يوم أى يوم فهو غير معدول فهو منصرف ، وعلى ذلك يكون ما أريد به معين منهما مشتملا على العلمية والعدل فهو ممنوع من الصرف لاجتماع هاتين العلتين ، وقد يقال : إن رجب وصفر مشتملان على العلمية والتأنيث باعتبار المدة فيكونان ممنوعين من الصرف للعلمية والتأنيث .

الثانى : قال ابن هشام الأنصارى : « ومن أنشد كالناظم وابنه :

* يا ليت عدة شهر كله رجب *

فقد حرفه وغيره ؛ لأن المعنى يفسد على هذه الرواية ، وذلك لأن الشاعر تمنى أن يكون عدة الحول من أوله إلى آخره رجبا لما رأى فى رجب من الخير ، ولا يتمنى أن تكون عدة الشهر كله رجبا ؛ لأن الشهر الواحد لا يكون بعضه رجبا وبعضه غير رجب حتى يتمنى أن يكون كله رجبا» انتهى ببعض إيضاح .

(١) قد تقدم شرح هذا الشاهد قريبا فارجع إليه (فى ص ٣٦١ من هذا الجزء) والشاهد فيه هنا قوله : « حولا أكتعا » حيث أكد النكرة التى هى قوله « حولا » بقوله « أكتعا » والنكرة من الألفاظ المحدودة لأنها وضعت لتدل على مدة معلومة المقدار ذات أول وآخر معلومين ، والتوكيد من ألفاظ الإحاطة والشمول ، لأن « أكتع » من أخوات « أجمع » الدالة على ذلك ، فاعرفه .

وقوله :

٨٠٠ * قَدْ صَرَّتِ الْبَكْرَةُ يَوْمًا أَجْمَعَا *

٨٠٠ — هذا بيت من الرجز المشطور ، لايعلم قائله ، حتى ذكر كثير من العلماء أنه مصنوع ، وبعضهم يروى بعده :

* حَتَّى الضِّيَاءِ بِالدُّجَى تَقَنَّعَا *

وبعضهم يروى قبله :

* إِنَّا إِذَا خُطَّافُنَا تَقَعْقَعَا *

ولعلك إذا تأملت فيما يذكرونه سابقا على البيت المستشهد به أولاحقا له يستقيم عندك قول من قال : إن البيت مصنوع ؛ فإن الاتصال بينه وبين مايذكر معه غير تام .

اللغة : « خطافنا » الخطاف — بضم الخاء وتشديد الطاء — حديدة معقوفة تكون فى جانبى بكرة البئر « تقعقعا » التقعقع : صوت يحدث من قرع شىء يابس كالحديد بآخر مثله ، وقد ورد فى خطبة الحجاج بن يوسف الثقفى مقدمه العراق « إنى والله ما يقعقع لى بالشنان » أى مايصوت « صرت البكرة » صوتت ، والصرير : الصوت ، وقالوا للكلام الذى لايؤبه له : إنه صرير باب ، أو صوت ذباب ، ويقال : صريصر صريرا ، إذا سمع له صوت شديد ، والبكرة — بفتح فسكون — خشبة مستديرة فى وسطها محز يحبس الحبل يستقى عليها .

الإعراب : « قد » حرف تحقيق مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « صرت » صر : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والتاء حرف دالّ على التأنيث مبنى على السكون لامحل له من الإعراب ، وحرك بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين « البكرة » فاعل صرت مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « يوما » ظرف زمان منصوب بصرت ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « أجمعا » توكيد لقوله « يوما » منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « يوما أجمعا » حيث أكد النكرة — وهى قوله : « يوما » — بقوله : « أجمعا » وهذه النكرة محدودة ؛ لأنها وضعت للدلالة على زمن معلوم المدة معلوم المبتدأ والمنتهى ، ولفظ التوكيد من ألفاظ الإحاطة والشمول ، وقد بينا لك فى شرح الشواهد السابقة آراء العلماء فى هذه المسألة .

(وعَنْ نُحاةِ البَصْرَةِ المَنْعُ شَمِلْ) أى عَمَّ المفيدَ وغيرَ المفيد ، ولا يجوز « صُمْتُ زَمَناً كُلَّهُ » ولا « شَهْرًا نَفْسَهُ » .

(وَاُغْنَ بِكِلْتَا فى مُثَنًّى وَكِلاَ * عَنْ) تثنية (وَزْنِ فَعْلاَءَ وَوَزْنِ أَفْعَلاَ) كما استغنى بتثنية « سِيٍّ » عن تثنية سَوَاء ، فلا يجوز « جاءَ الزَّيْدَانِ أَجْمَعَانِ » ولا « الهِنْدَانِ جَمْعَاوَانِ » ، وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش قياساً معترفين بعدم السماع .

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : المشهور أن « كِلاَ » للمذكر « وكِلْتَا » للمؤنث ، قال فى التسهيل: وقد يُسْتَغْنَى بكليهما عن كلتيهما ، أشار بذلك إلى قوله :

٨٠١ — * يَمُتُّ بِقُرْبَى الزَّيْنَبَيْنِ كِلَيْهِمَا *

---

٨٠١ — هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه قوله :

* إلَيْكَ ، وقُرْبَى خالِدٍ وحَبِيبِ *

قال العينى (٤ / ١٠٦ بهامش خزانة الأدب) : « أقول قائله هشام بن معاوية » .

اللغة : « يمت » يتقرب ويتوسل ، تقول: « مت فلان إلى فلان يمت » من باب نصر — متا ومتاتا ، تريد أنه توسل إليه ، وكل شىء توسلت به إلى غيرك فهو ماتة ، وجمعه موات ، بتشديد آخره ، وقياس نظائره أن يكون من باب ضرب ؛ لأن المضعف اللازم كثر مجيئه كذلك ؛ إلا أنه خرج عن قياس أمثاله « بقربى » بضم القاف وسكون الراء — أى القرابة « الزينبين » مثنى زينب ، وهو علم امرأة ، و « خالد » و « حبيب » من أعلام الرجال .

الإعراب : « يمت » فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو « بقربى » الباء حرف جر مبنى على الكسر لامحل له من الإعراب ، وقربى : مجرور بالباء ، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، والجار والمجرور متعلق بقوله يمت ، وقربى مضاف و « الزينبين » مضاف إليه ، مجرور بالياء المفتوح ماقبلها المكسور مابعدها لأنه مثنى ، والنون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد « كليهما » توكيد للزينبين ، وتوكيد المجرور مجرور ، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه ملحق بالمثنى ، والضمير مضاف إليه «إليك» جار ومجرور متعلق بقوله «يمت» أيضا « وقربى » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، قربى : معطوف على قربى السابق مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وهو مضاف و « خالد » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة

وقال ابن عصفور : هو من تذكير المؤنث حملا على المعنى للضرورة ، كأنه قال : بقُرْبَى الشخصين .

الثانى : ذكر فى التسهيل أيضاً أنه قد يُسْتَغنى عن كليهما وكلتيهما بكُلِّهما ؛ فيقال على هذا : « جاء الزيدان كُلهُمَا » « والهندان كُلُّهُمَا » .

(وَإِنْ تُؤَكِّدِ الضَّمِيرَ المُتَّصِلْ) مستتراً كان أو بارزاً (بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ فَبَعْدَ) الضمير (المُنْفَصِلْ) حتما (عَنَيْتُ) المتصلَ (ذا الرَّفْعِ) نحو : « قُمْ أَنْتَ نَفْسُكَ ، أو عَيْنُكَ ، وقُومُوا أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ ، أو أَعْيُنُكُمْ » ؛ فلا يجوز : قم نفسُكَ ، ولا قوموا أعينكم ، بخلاف « قام الزَّيْدُونَ أَنْفُسُهُمْ » فيمتنع الضمير ، وبخلاف « ضربتهم أَنْفُسَهُمْ ، وَمَرَرْتُ بهم أَعْيُنِهِم » فالضمير جائز، لا واجب .

﴿ تنبيه ﴾ : ما اقتضاه كلامه هنا من وجوب الفصل بالضمير المنفصل هو ما صَرَّح به فى شرح الكافية ، ونَصَّ عليه غيرُه ، وعبارة التسهيل تقتضي عدم الوجوب . اهـ .

« وحبيب » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، حبيب : معطوف على خالد ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « الزينبين كليهما » حيث أكد المثنى المؤنث الذى هو قوله « الزينبين » بالاسم الموضوع للاستعمال فى توكيد مثنى المذكر وهو قوله « كليهما » والذى ذكره الشارح رحمه الله يحتمل وجهين : الأول : أن ابن مالك رحمه الله قد وجه هذا الكلام توجيها وأن ابن عصفور وجهه توجيها آخر ، وعلى هذا يكون حاصل توجيه ابن مالك أن الشاعر استغنى عن « كلتيهما » بذكر « كليهما » لكون المعنى مفهوما ، ويكون حاصل توجيه ابن عصفور أن الشاعر أول « الزينبين » بالشخصين ونحوه مما هو مذكر ؛ فصار الذى يؤكده هو اللفظ الموضوع لتوكيد المذكر ، والوجه الثانى من الوجهين اللذين يحتملهما كلام الشارح أن يكون ذكر كلام ابن عصفور تأييدا وإيضاحا لما نقله عن ابن مالك ، وعلى هذا يكون الوجه الذى نقل عنهما واحدا لكن أحد الكلامين — وهو كلام ابن عصفور — تعليل للكلام الآخر وهو كلام ابن مالك ، وحاصل ذلك أن الشاعر أكد بكليهما استغناء به عن كلتيهما، ووجه الاستغناء بهذا عن ذلك أنه أول الاسم الموضوع للمثنى المؤنث وهو قوله « الزينبين » بما هو مذكر كالشخصين ، فافهم هذا وتدبره .

(وأَكَّدُوا بِمَا سِوَاهُمَا) أي بما سوى النفس والعين (والْقَيْدُ) المذكور (لَنْ يُلْتَزَمَا) فقالوا : « قوموا كلكم ، وجاءوا كلهم » من غير فصل بالضمير المنفصل ، ولو قلت : « قوموا أنتم كلكم ، وجاءوا هم كلهم » لـكان حسناً .

(وَمَا مِنَ التَّوْكِيدِ لَفْظِيٌّ يَجِي * مُكَرَّرًا) ما : مبتدأ موصول ، ولفظى : خبر مبتدأ محذوف هو العائد ، والمبتدأ مع خبره صلة « ما » ، وجاز حذف صدر الصلة ـ وهو العائد ـ للطول بالجار والمجرور ، وهو متعلق باستقرار على أنه حال من الضمير المستتر فى الخبر ، إذ هو فى تأويل المشتق ، و « مكرراً » : حال من فاعل « يَجِى » المستتر ، وجملة « يجى » خبر الموصول : أى النوعُ الثانى من نوعى التوكيد ، وهو التوكيد اللفظى ، هو : إعادةُ اللفظِ أو تقويته بمُوافِقِهِ مَعْنًى ، كذا عرّفه فى التسهيل ، فالأول يكون فى الاسم ، والفعل ، والحرف ، والمركب غير الجملة ، والجملة ، نحو : « جاء زيد زيد » ، « ونكاحها باطلٌ باطلٌ باطل » ، وقوله :

٨٠٢ — فإيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ ؛ فإِنَّهُ إلى الشرِّ دَعَّاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبُ

---

٨٠٢ — هذا بيت من الطويل ، وقبله قوله :

وَمَنْ ذا الّذِى يَرْجُو الْأَبَاعِدُ نَفْعَهُ إذا هُوَ لَمْ تَصْلُحْ عَلَيْهِ الْأَقارِبُ

وهذان البيتان من كلام الفضل بن عبد الرحمن القرشى .

اللغة : « المراء » بكسر الميم ، بزنة الـكتاب — مصدر « مارى فلان فلانا » أى جادله ، أو دافعه عن الحق ولم يذعن له مع ظهوره ووضوح أمره ، ويقال : لا يكون المراء إلا اعتراضا ، أما الجدال فقد يكون ابتداء وقد يكون اعتراضا « دعاء » صيغة مبالغة لداع الذى هو اسم فاعل « دعاه يدعوه » أى طلب حضوره « جالب » اسم فاعل فعله « جلب الأمر يجلبه » من بابى نصر وضرب — إذا ساقه من موضع إلى آخر ، والأصل فيه الجلب للتجارة ، وهو أن يجىء بالشىء من بلد إلى بلد آخر ينفق فيه ويروج ، وأراد هنا أن المراء يكون سببا للشر .

الإعراب : « إياك » إيا : مفعول به لفعل محذوف وجوبا ، وأصل الـكلام أحذرك ، فلما حذف الفعل انفصل الضمير ، والـكاف حرف خطاب « إياك » توكيد للأول « المراء » مفعول ثان لأحذر المحذوف منصوب بالفتحة الظاهرة ، هذا رأى الناظم وابنه ومن ذهب مذهبهما ، وخلاصته

ونحو : « قام قام زيد » ، ونحو : « نَعَمْ نَعَمْ » ، وكقوله :

٨٠٣ — * فَحَتَّامَ حَتَّامَ الْعَنَاءُ الْمُطَوَّلُ ؟ *

أن العامل فى « إياك » فعل ينصب مفعولين مثل احذر ، أو جنب ؛ والجمهور على أن العامل فى « إياك » تقديره باعد ، وهو لا ينصب إلا مفعولا واحدا ، وعلى هذا يكون قوله « المراء » منصوبا على نزع الخافض ، وكأنه قال : باعد نفسك من المراء ، وسيأتى بيان هذه المسألة تفصيلا فى باب التحذير « فإنه » الفاء حرف تعليل ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، إن : حرف توكيد ونصب ، وضمير الغائب اسمه مبنى على الضم فى محل نصب « إلى الشر » جار ومجرور متعلق بقوله « دعاء » الآتى « دعاء » خبر إن مرفوع بالضمة الظاهرة « وللشر » الواو حرف عطف ، واللام حرف جر ، والشر : مجرور باللام ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بقوله جالب « جالب » معطوف على قوله دعاء الواقع خبر لإن .

الشاهد فيه : قوله « فإياك إياك » فإنه توكيد لفظى بإعادة المؤكد بلفظه ، والشارح يمثل به لتوكيد المفرد بالمفرد كما يدل عليه سياقه والإتيان به بين أمثلة توكيد المفرد بالمفرد ، فالمؤكد هو المفعول به وحده ، ومن الناس من ذهب إلى أن هذا من توكيد جملة بجملة ؛ ووجه ما ذهب إليه أن الضمير المنصوب لا بد له من عامل يعمل فيه النصب ، وهذا العامل فعل ، ولهذا الفعل فاعل ، فيكون معنا فعل وفاعله ومفعوله ، والضمير المؤكد بهذه المنزلة ، والضمير الواقع تأكيدا مثله ، فيجتمع جملتان تؤكد الثانية منهما أولاهما . وليس الذى ذهب إليه بلازم ؛ فإنا نسلم أن الضمير الأول المؤكد يحتاج إلى عامل ينصبه كما قال ، وهذا العامل فعل ، ولهذا الفعل فاعل ، ولكننا لا نسلم أنه يلزم تأكيد هذه الجملة برمتها ، بل قد يكون الغرض تأكيد المفعول به وحده ، ألا ترى أننى قد أقول لك « اضرب خالدا خالدا » إذا كنت أريد تقوية كون المضروب هو خالدا ، مثلا ، وهذا ظاهر إن شاء الله .

٨٠٣ — هذا عجز بيت من الطويل ، وصدره قوله :

* فَتِلْكَ وُلَاةُ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُكْثُهُمْ *

وهذا البيت من قصيدة للكميت بن زيد الأسدى من قصائده الهاشميات ، ومطلع هذه القصيدة قوله :

أَلَا هَلْ عَمٍ فِى رَأْيِهِ مُتَأَمِّلُ ؟ وَهَلْ مُدْبِرٌ بَعْدَ الإِسَاءَةِ مُقْبِلُ ؟

وقد سبق لنا ذكر هذا المطلع وبعض أبيات تتلوه فى شرح الشاهد (رقم ١٥٤) فى شواهد باب المبتدأ والخبر ، وقبل البيت المستشهد به ههنا قوله :

... ...

أَتَصْلُحُ دُنْيَانَا جَمِيعاً وَدِينُنَا ... عَلَى ما بِهِ ضَاعَ السَّوَامُ الْمُؤَبَّلُ
وَلَوْ وُلِّىَ الْهُوجُ الثَّوَائِجُ بِالَّذِى ... وُلِينَا بِهِ مَا دَعْدَعَ الْمُتَرَخِّلُ
بُرِينَا كَبَرْىِ الْقِدْحِ أَوْهَنَ مَتْنَهُ ... مِنَ الْقَوْمِ لاشَارٍ وَلا مُتَنَبِّلُ
وِلايَةَ سِلْغَدٍّ أَلَفَّ كَأَنَّهُ ... مِنَ الرَّهَقِ الْمَخْلُوطِ بِالنُّوكِ أَثْوَلُ
هُوَ الْأَضْبَطُ الْهَوَّاسُ فِينَا شَجَاعَةً ... وَفِيمَنْ يُعَادِيهِ الْهِجَفُّ الْمُثَقَّلُ
كَأَنَّ كِتَابَ اللهِ يُعْنَى بِأَمْرِهِ ... وَبِالنَّهْىِ فِيهِ الْكَوْدَنِيُّ الْمُرَكَّلُ
أَلَمْ يَتَدَبَّرْ آيَةً فَتَدُلَّهُ ... عَلَى تَرْكِ مَا يَأْتِى، أَوِ الْقَلْبُ مُقْفَلُ
فَتِلْكَ وُلاةُ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُلْكُهُمْ ... فَحَتَّامَ ... البيت، و بعده:
رَضُوا بِفِعَالِ السُّوءِ فِى أَهْلِ دِينِهِمْ ... فَقَدْ أَيْتَمُوا طَوْرًا عِدَاءً وَأَثْكَلُوا

اللغة: « أتصلح دنيانا جميعا — البيت » يروى تصلح بفتح حرف المضارعة مضارعا من الثلاثى على أن قوله « دنيانا » فاعل ، ويروى بضم حرف المضارعة على أن ماضيه أصلح ودنيانا مفعوله ، والسوام : ما رعى من المال ، تقول : سامت الماشية تسوم سوما ، أى رعت ، والمسيم — بضم الميم — الراعى ، قال الشاعر :

* وَهُلْكُ الْمُسِيمِ هُلْكُ السَّوامِ *

والمؤبل : الكثير . يقول : أتصلح الدنيا والدين على جوركم وفسادكم وعلى ماضاع من السوام الكثير « ولو ولى الهوج الثوائج — البيت » يقول : لو أنه ولى على الغنم بمثل ماولى علينا لم يبق منها شىء ولذهبت كلها ، والثوائج : الضأن ، وهى جمع ثائج أو ثائجة اسم الفاعل من ثأجت الغنم تثأج ثؤاجا : أى صوتت ، وقال الشاعر :

* إذا ثأَجُوا كَثُؤَاجِ الْغَنَمِ *

ودعدع : زجر ، والمترخل : صاحب الرخال ، والرخال — بضم الراء وفتح الخاء المعجمة — جمع رخل ، ونظيره ظئر وظؤار ، والرخل : الحمل . يقول : لو أن الراعى ولى غنمه بمثل مابلينا هؤلاء الناس لهلكت غنمه وذهبت « برينا كبرى القدح أوهن متنه — البيت » برينا : قطعنا كما يقطع القدح ويبرى ، وأوهن متنه : أضعفه ، والشارى : البائع ، والمتنبل : صاحب النبل ،

... ...

ومتى ولى نحت القداح غير حاذق به أفسده «ولاية سلغد ألف كأنه — البيت» السلغد — بوزن جردحل — أصله الذئب ، وقال الراجز :

وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدَا قَدْ وَلَدَتْ سِلْغَدًّا

والألف : الأحمق ، والرهق — بفتح الراء والهاء جميعا — الخبث ، وهو أيضا الفسق ، ويقال « فى فلان رهق » إذا كان يركب ما لا خير فيه ، والنوك : الحمق ، ويقال : رجل أنوك « هو الأضبط الهواس فينا شجاعة — البيت » الأضبط : الشديد ، والهواس : الأسد ، يقول : هو علينا كالأسد ، والهجف — بكسر الهاء وفتح الجيم — الظليم ، ويطلق الأضبط على الذى يعمل بكلتا يديه ، والهواس على الذى يقضى ليله ساهراً يجىء ويذهب ؛ يقول : هو على أهل دولته أسد جائر ، وعلى أعدائه نعامة من ضعفه «كأن كتاب الله يعنى بأمره — البيت» يعنى — بالبناء للمجهول — يهتم ، والمراد بأمره ونهيه ما وقع فى الكتاب الكريم من الأوامر والنواهى ، والكودنى : البليد كأنه كودن : أى برذون ، شبهه فى تثاقله بالبرذون ، والمركل : الذى يضربه صاحبه وراكبه برجله يستحثه من بطئه « ألم يتدبر آية فتدله — البيت » يروى « ألم يتدبر رأيه » وقوله : « فتلك ولاة السوء قد طال ملكهم — البيت » ولاة السوء : أراد الملوك فى ملكهم وسلطانهم ، وحتام : بمعنى إلى متى ، حتى غائية ، وما بعدها استفهامية وحذفت ألفها فرقا بين الخبر والاستفهام : أى فرقا بين ما الموصولة والاستفهامية ، والعناء — بفتح العين المهملة — المشقة والتعب ، والمطول : الطويل « رضوا بفعال السوء فى أهل دينهم — البيت » فعال السوء : الظلم ، والعداء : الموالاة بين الشيئين ، ومنه قول امرىء القيس :

فَعَادَى عِدَاء بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكاً وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاء فَيُغْسَلِ

أى والى وتابع طعن هذه وهذه ، ويروى « عداء » بفتح العين المهملة ، وهو الظلم ، يريد أيتموا الصبيان وأثكلوا الأمهات بقتل الحسين وزيد بن على ، رضى الله عنهما ! .

الإعراب : « حتام » حتى : حرف جر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، وما : اسم استفهام مبنى على السكون فى محل جر ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « حتام » جار ومجرور توكيد للجار والمجرور السابق « العناء » مبتدأ مؤخر ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « المطول » نعت للعناء مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « حتام حتام » فإنه توكيد لفظى بإعادة الأول بلفظه ، وهو من نوع توكيد المركب غير الجملة بمركب غير جملة ، فإن الجار والمجرور مركب من كلمتين ، ولكنه مركب غير تام : أى لا يفيد فائدة الجملة ، وهذا كلام لا يحتاج إلى توضيح .

والجملة (كَقَوْلِكَ أُدْرُجِى أُدْرُجِى) وقوله :

٨٠٤ — * لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ *

---

٨٠٤ — هذا عجز بيت من مجزوء الوافر ، أو من الهزج، وهو بتمامه مع بيت سابق عليه هكذا :

أَيَا مَنْ لَسْتُ أَقْلَاهُ   وَلا فى البُعْدِ أَنْسَاهُ
لَكَ اللهُ عَلَى ذَاكَ   لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ

ولم أعثر له على نسبة إلى قائل .

اللغة : « أقلاه » فعل مضارع من القلى ، وهو البغض والكراهية الشديدة ، والمشهور فى هذا الفعل « قلاه يقليه » مثل رماه يرميه ، ويقال « قلاه يقلوه » مثل غزاه يغزوه ، وحكى ابن جنى « قلاه يقلاه » مثل أباه يأباه ، و « قليه يقلاه » مثل رضيه يرضاه ، والفعل المضارع الذى فى بيت الشاهد يحتمل أن يكون من إحدى اللغتين اللتين حكاهما ابن جنى ، قال فى اللسان : « ابن سيدة : قليته قلى وقلاء ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ، وحكى سيبويه قلى يقلى — مثل أبى يأبى — وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمزة ، وله نظائر قد حكاها كلها أو جلها ، وحكى ابن جنى قلاه وقليه — الأخيرة كرضى — قال : وأرى يقلى إنما هو على قلى — كرضى يرضى — وحكى ابن الأعرابى قليته — كرميته — فى الهجر ، قلى — مكسور ومقصور — وحكى فى البغض قليته — بالكسر — أقلاه على القياس ، وكذلك رواه عنه ثعلب ، وتقلى الشىء — بتشديد اللام — تبغض ، قال ابن هرمة :

فَأَصْبَحْتُ لا أَقْلِى الحَيَاةَ وَطُولَهَا   أَخِيرًا ، وَقَدْ كانَتْ إِلَىَّ تَقَلَّت

وقال كثير عزة :

أَسِيئِى بِنَا أَوْ أَحْسِنِى ، لا مَلُومَةً   لَدَيْنَا ، وَلا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ

المعنى : يدعو لمخاطبه بأن يكون الله حافظا له وكالئا إياه وراعيا .

الإعراب : «لك» اللام حرف جر مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والكاف ضمير المخاطب مبنى على الفتح فى محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « الله » مبتدأ مؤخر ، مرفوع بالضمة الظاهرة « لك الله » جملة من مبتدأ وخبر مثل السابقة ، وهذه الجملة مؤكدة للجملة الأولى .

الشاهد فيه : قوله « لك الله لك الله » فإن الجملة الثانية تأكيد لفظى للجملة الأولى .

والثانى كقوله :

٨٠٥ — * أَنْتَ بِالْخَيْرِ حَقِيقٌ قَمِنُ *

٨٠٥ — هذا نصف بيت من الرمل، ولم أعثر له على سابق أو لاحق ، ولا نسبة إلى قائل معين .

اللغة : « قمن » هو بفتح القاف وكسر الميم — بمعنى حقيق وجدير وخليق ، يقال : فلان قمن أن يفعل كذا — بفتح القاف والميم جميعاً — وفلان قمن أن يفعل كذا — بفتح القاف وكسر الميم — وفلان قمين أن يفعل كذا، على زنة جدير وحقيق وحرىّ، فمن قال: قمن — بفتح القاف والميم جميعاً — أراد المصدر ، فلم يثن ولم يجمع ولم يؤنث ، بل يقول : هما قمن أن يفعلا ذلك ، وهم قمن أن يفعلوا ذلك ، وهن قمن أن يفعلن ذلك ، ومن قال : قمن — بكسر الميم — أراد الوصف فثنى وجمع وأنث ، فقال : هما قمنان ، وهن قمنات ، وهم قمنون ، وكذلك من قال : قمين ، وقال الشاعر ، وهو قيس بن الخطيم :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ ... بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ

قال ابن كيسان : قمين بمعنى حرىّ ، مأخوذ من « تقمنت الشىء » إذا أشرفت على أن تأخذه ، وقال غيره : مأخوذ من القمين بمعنى السريع والقريب ، وقال ابن سيدة : هو قمن — بفتح الميم — بكذا ، وقمن منه ، وقمن — بكسر الميم — وقمين : أى حر وخليق وجدير . وقال ابن برى : شاهد قمن — بالفتح — قول الحارث بن خالد المخزومى :

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا ... فَالْأُقْحُوانَةُ مِنَّـــا مَنْزِلٌ قَمَنُ

وشاهد قمن — بالكسر — قول الحويدرة :

وَمُنَاخِ غَيْرِ تَئِيَّةٍ عَرَّسْـــتُهُ ... قَمِنٍ مِنَ الْحِدْثَانِ نَابِي الْمَضْجَعِ

و « هذا المنزل لك موطن قمن » أى جدير أن تسكنه . ويقال : « أقمن بهذا الأمر أن يكون كذا ؟ » أى أخلق به ، وفى الحديث : « نهيت عن القراءة فى الركوع والسجود ، فأما الركوع فعظموا الرب فيه ، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء ، فإنه قمن أن يستجاب لكم » .

الإعراب : « أنت » ضمير منفصل مبتدأ مبنى على الفتح فى محل رفع « بالخير » الباء حرف جر ، والخير : مجرور بالباء ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بقوله : حقيق الآتى « حقيق » خبر المبتدأ مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « قمن » توكيد لفظى لقوله حقيق ، وتوكيد المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « حقيق قمن » فإنه توكيد لفظى بإعادة الأول بلفظ آخر غير لفظه مرادف له فى المعنى ، فإن « قمن » بمعنى حقيق على ما بيناه فى لغة الشاهد ، ولفظاهما مختلفان .

وقوله :

٨٠٦ — وَقُلْنَ عَلَى الفِرْدَوْسِ أَوَّلُ مَشْرَبٍ أَجَلْ جَيْرِ إِنْ كانَتْ أُبِيحَتْ دَعَاثِرُهْ

---

٨٠٦ — هذا بيت من الطويل ، وقائله مضرس بن ربعى ، وقبله قوله :

فَلَمَّا لَحِقْنَاهُمْ قَرَأْنَا عَلَيْهِمُ تَحِيَّةَ مُوسَى رَبَّهُ إِذْ يُحَاوِرُهْ

وَقُلْنَ عَلَى الفِرْدَوْسِ أَوَّلُ مَشْرَبٍ أَجَلْ جَيْرِ البيت ... ، وبعده :

فأَمَّا الأَصِيلُ الحِلْمِ مِنَّا فَزَاجِرٌ خُفَافًا حَلالاً أَوْ مُشِيرٌ فَذَاعِرُهْ

وَأَمَّا بُغَاةُ اللَّهْوِ مِنَّا وَمِنْهُمُ مَعَ الرَّبْرَبِ البَالِي الحِسَانِ مَحَاجِرُهْ

فَلَمَّا رَأَيْنَا بَعْضَ مَنْ كانَ مِنْهُمُ أَذَى القَوْلِ مَخْبُوءًا لَنَا وَهْوَ آخِرُهْ

صَرَفْنَا وَلَمْ نَمْلِكْ دُمُوعًا كَأَنَّهَا بَوَادِي جُمَانٍ بَيْنَ أَيْدٍ تُنَاثِرُهْ

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ المَاءِ بِيضٍ حَفَائِرُهْ

وقد وقع فى شعر طفيل الغنوى قصيدة لامية فيها بيت الشاهد مع بعض تغيير فى ألفاظه ، وهو هكذا :

وَقُلْنَ : أَلاَ البَرْدِيُّ أَوَّلُ مَشْرَبٍ أَجَلْ جَيْرِ إِنْ كانَتْ أُبِيحَتْ أَسَافِلُهْ

وانظر لسان العرب (ج ى ر) ومعجم البلدان لياقوت (مادة الفردوس) .

اللغة : « قلن » فعل ماض مسند لنون الإناث من القول « الفردوس » — بكسر الفاء وسكون الراء ، بزنة جردحل — يفسره الصبان بالبستان ، وهو معنى لغوى من معانى هذا اللفظ ولكنه كلام من لم يطلع على بقية الأبيات ، والصواب أن الفردوس هنا اسم لماء فى بلاد بنى يربوع ، وهو أيضاً اسم لروضة بعينها دون اليمامة ، وقال متمم بن نويرة اليربوعى :

وَرَدَّ عَلَيْهِمْ سَرْحَهُمْ حَوْلَ دَارِهِمْ ضِرَابٌ وَلَمْ يَسْتَأْنِفِ المُتَوَحِّدُ

حُلُولٌ بِفِرْدَوْسِ الأَيَادِ ، وَأَقْبَلَتْ سَرَاةُ بَنِى البَرْشَاءِ لَمَّا تَأَبَّدُوا

وقال بعض أهل اللغة : الفردوس اسم ماء بعينه لبنى تميم عن يمين الحاج من الكوفة ، ومن العلماء من يرويه « ألا الفردوس » بحرف الاستفتاح . « أجل » حرف جواب مثل نعم فى الوزن ، يقع فى التصديق وجواباً للمستفهم ، إلا أنهم يستحسنون استعماله فى التصديق كما يستحسنون استعمال نعم فى جواب الاستفهام « جير » — بفتح الجيم وسكون الياء وكسر الراء المهملة —

... ...

على ماهو الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين ، وربما فتحوا الراء وجعلوها مثل أين وكيف وقصدوا بذلك التخفيف « إن » هى فى كتب النحاة بكسر الهمزة على أنها شرطية ، وقد ضبطت فى لسان العرب ضبط القلم بفتح الهمزة على أنها مصدرية ولام التعليل مقدرة قبلها «أبيحت» فعل ماض مبنى للمجهول من الإباحة ، ضد المنع والحظر ، أى سوغت للواردين وأبيح لهم أن يستقوا منها ، ويجوز أن يكون من قولهم : «أباح فلان حمى فلان ، واستباحه» إذا انتهك حرمته ، ومنه قول الشاعر ، وهو من شواهد هذا الكتاب فى باب الاستثناء :

أَبَحْنَا حَيَّهُمْ قَتْلاً وَأَسْرًا عَدَا الشَّمْطَاءِ وَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ

« دعاثره » جمع دعثور — بوزن عصفور — وهو الحوض الذى لم يتأنق صانعه فى صنعه وكان من حق قياس الجمع أن يقال : « دعاثيره » بياء قبل الراء منقلبة عن الواو التى فى المفرد كما يقال : عصافير فى جمع عصفور ، إلا أنهم كثيرا ما يحذفون هذه الياء تخفيفا ، وقد شرحنا هذا واستشهدنا له فى موضع سابق .

الإعراب : « قلن » قال : فعل ماض مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة ، ونون النسوة فاعل مبنى على الفتح فى محل رفع « على الفردوس » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « أول » مبتدأ مؤخر ، وهو مضاف و « مشرب » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة وأعرب العينى ـ وتبعه الصبان ـ الجار والمجرور متعلقا بمحذوف حال من نون النسوة فى قوله : قلن ، وجعل قوله : « أول مشرب » مبتدأ خبره محذوف : أى قلن حال كونهن مقبلات على الفردوس أول مشرب لنا ، ولو جعلت الجار والمجرور متعلقا بمحذوف حال من نون النسوة كما جعلاه ، كان الأولى لك أن تجعل قوله : « أول مشرب » خبرا لمبتدأ محذوف ، ويكون تقدير الكلام : وقلن حال كونهن على الفردوس : هذا أول مشرب ، أى أول مكان نرده للشرب ، وإنما أغفلهما عن ذلك أنهما لم يذكرا أن الفردوس اسم لماء بعينه ، والأحسن من هذا كله هو الإعراب الذى صدرنا به ، وذلك من قبل أنه قد روى « ألا الفردوس أول مشرب » وعلى هذه الرواية يتعين فى ألا أن تكون حرف استفتاح مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، والفردوس : يجوز أن يكون مبتدأ ، وأول : خبر ، ومشرب : مضاف إليه ، ويجوز أن يكون الفردوس خبراً مقدماً ، وأول : مبتدأ مؤخراً ، وهو مضاف ، ومشرب : مضاف إليه . وبالجملة فهذه الرواية تحتم أن يكون « الفردوس أول مشرب » من قولهن ، فلتحمل الرواية الأخرى على هذا بقدر الإمكان « أجل » حرف جواب مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « جير » حرف جواب تأكيد لحرف الجواب الأول مبنى على الكسر لامحل له من الإعراب « إن » — بكسر الهمزة — حرف شرط جازم مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « كانت »

وقوله :

٨٠٧ — * صَمِّي لِمَا فَعَلَتْ يَهُودُ صَمَامِ *

فعل ماض فعل الشرط مبنى على الفتح فى محل جزم « أبيحت » أبيح : فعل ماض مبنى للمجهول مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على التأنيث مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هى يعود إلى دعائره الآتى ، وجملة الفعل ونائب فاعله المستتر فيه فى محل نصب خبر كان تقدم على اسمه « دعائره » دعائر : اسم كان تأخر عن خبره ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد إلى الفردوس مضاف إليه ، ويجوز أن يكون اسم كان ضميراً مستتراً فيه جوازاً تقديره هى ، وعلى هذا يكون قوله « دعائره » نائب فاعل قوله أبيحت ومضاف إليه ، وتكون جملة « أبيحت دعائره » فى محل نصب خبر كان ، وهذا الإعراب خير من السابق الذى يلزم عليه تقديم الخبر الفعلى .

الشاهد فيه : قوله « أجل جير » حيث أكد قوله « أجل » توكيداً لفظياً بقوله : « جير » وذلك من قبيل إعادة الأول بلفظ مرادف له فى المعنى ، وذلك واقع فى الحروف الجوابية وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى .

٨٠٧ — هذا عجز بيت من الكامل ، وصدره قوله :

* فَرَّتْ يَهُودُ وَأَسْلَمَتْ جِيرَانَهَا *

وهو للأسود بن يعفر أحد شعراء العرب فى الجاهلية ، وكان من ندماء النعمان بن المنذر وله ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٣٤ أوربة) وطبقات الجمحى ، والأغانى ، وخزانة الأدب (١٩٣/١) وله قصيدتان فى مفضليات الضبى ، « ويعفر » يقال بفتح الياء وضم الفاء ، وبضمهما معاً .

اللغة : « صمى » هو بفتح الصاد وتشديد الميم ، فعل أمر مسند لياء المؤنثة المخاطبة « صمام » بفتح الصاد وآخره مكسور مثل قطام وحزام ، اسم علم للداهية ، والعرب تقول : « صمى صمام » وحرفيته : اخرسى يا داهية ولا تستمعى لمن يطلب إليك الذهاب والانصراف ، وهم يريدون : زيدى واشتدى ولا تنفرجى ، قال فى اللسان : « الجوهرى : يقال للداهية : صمى صمام — مثل قطام وهى الداهية — أى زيدى ، وأنشد ابن برى للأسود بن يعفر (وذكر البيت المستشهد بعجزه) ويقال : صمى ابنة الجبل ، يعنى الصدى ، يضرب أيضا مثلا للداهية الشديدة ، كأنه قيل : اخرسى يا داهية ، ولذلك قيل للحية التى لا تجيب الراقى : صماء ، لأن الرقى لا تنفعها ، والعرب تقول للحرب إذا اشتدت وسفك فيها الدماء الكثيرة : « صمت حصاة بدم » يريدون أن الدماء لما

... ...

سفكت وكثرت استنقعت فى المعركة ، فلو وقعت حصاة على الأرض لم يسمع لها صوت ؛ لأنها لاتقع إلا فى نجيع (أى دم) وهذا المعنى أراد امرؤ القيس بقوله : * صمى ابنة الجبل * ويقال : بل أراد الصدى ، قال ابن برى : قوله : « حصاة بدم » ينبغى أن يكون « حصاة بدمى » بالياء ، وبيت امرئ القيس بكماله هو :

بُدِّلْتُ مِنْ وَائِلٍ وَكِنْدَةَ عَدْ وَانَ وفَهْماً ، صَمِّى ابْنَةَ الجَبَلِ

قَوْمٌ يُحَاجُونَ بِالْبَهَامِ ونِسْـوانٍ قِصَارٍ كَهَيْئَةِ الحَجَلِ

المحكم : صمت حصاة بدم : أى أن الدم كثر حتى لو ألقيت فيه الحصاة لم يسمع لها صوت ، وأنشد ابن الأعرابى لسدوس بنت ضباب :

إِنِّى إلى كلِّ أيْسـارٍ ونَادِبَةٍ أَدْعُو حُبَيْشًا كما تُدْعَى ابْنَةُ الجَبَلِ

أى أنوه به كما ينوه بابنة الجبل ، وهى الحية ، وهى الداهية العظيمة ، يقال : صمى صمام ، وصمى ابنة الجبل ، والصماء : الداهية ، وقال :

* صَمَّاءُ لا يُبْرِئُهَا طولُ الصَّمَمْ *

أى داهية عارها باق لا تبرئها الحوادث ، وقال الأصمعى فى كتابه فى الأمثال : صمى ابنة الجبل ، يقال ذلك عند الأمر يستفظع ، ويقال : صم يصم صمما — من باب فرح — وقال أبو الهيثم : يزعمون أنهم يريدون بابنة الجبل الصدى ، وقال الكميت :

إذا لَقِىَ السَّفِيرَ بِهَا وقالاَ لهَا صَمِّى ابْنَةَ الجَبَلِ السَّفِيرُ

يقول : إذا لقى السفير السفير ، وقالا لهذه الداهية : صمى ابنة الجبل ، قال : ويقال : إنها صخرة ، قال : ويقال : صمى صمام ، وهذا مثل إذا أتى بداهية ، ويقال : صمام صمام ، وذلك يحمل على معنيين ، على معنى تصامموا واسكتوا ، وعلى معنى احملوا على العدو » اه بحروفه ، وقال الميدانى : « صمى صمام ، يقال للداهية والحرب : صمام ، على وزن قطام وحذام ، وصمى ابنة الجبل ، وأصلها الحية فيما يقال ، أنشد ابن الأعرابى لسدوس بن ضباب :

إِنِّى إلى كلِّ أيْسَارٍ ونَادِبَةٍ أَدْعُو حُبَيْشًا كما تُدْعَى ابْنَةُ الجَبَلِ

أى أنوه به كما ينوه بابنة الجبل ، وهى الحية ، وإنما يقولون : صمى صمام ، وصمى ابنة الجبل ، إذا أبى الفريقان الصلح ، ولجوا فى الاختلاف : أى لا تجيبى الراقى ، ودومى على حالك قال ابن الأحمر :

... ...

فَرُدُّوا مَا لَدَيْكُمْ مِنْ رِكَابِى وَلَمَّا تَأْتِكُمْ صَمِّى صَمَامِ

فجعلها عبارة عن الداهية ، وقال الكميت :

إذا لَقِىَ السَّفِيرَ بِهَا وَنَادَى لَهَا صَمِّى ابْنَةَ الجَبَلِ السَّفِيرُ

بها ولها رجعان إلى الحرب » اهـ . وقال قبل ذلك بقليل « صمت حصاة بدم » ، قال الأصمعى : أصله أن يكثر القتل وتسفك الدماء حتى إذا وقعت حصاة من يد راميها لم يسمع لها صوت ؛ لأنها لا تقع إلا فى دم ، فهى صماء ، وليست تقع على الأرض فتصوت ، ومثله فى تجاوز الحد : بلغت الدماء الثنن ، وإنما جعل الصمم فعلا للحصاة وهو — أعنى الصمم — انسداد طريق الصوت على السامع حتى لا يدخل أذنه لأنهم جعلوا الدم سادا لما يخرج من صوت الحصاة إلى السامع ، فعدوا عدم الخروج كعدم الدخول ، ويجوز أن يقال : جعل الحصاة صماء لأنها لا تسمع صوت نفسها لكثرة الدم ، ولولا ذلك لصوتت فسمعت ، يضرب فى الإسراف فى القتل وكثرة الدم » اهـ . وقال أيضا : « صمى ابنة الجبل ، مهما يقل تقل ــ ابنة الجبل : الصدى ، وهو الصوت يجيبك من الجبل وغيره ، والداهية يقال لها ابنة الجبل أيضا ، وأصلها الحية فيما يقال ، يقول : اسكتى إنما تتكلمين إذا تكلم ، يضرب مثلا للإمعة الذليل : أى أنت تابع لغيرك ، قاله أبو عبيدة » اهـ . وقد أطلنا لك فى النقل عن علماء اللغة لشرح هذه العبارة لأن كلامهم يخالف ما أراد الشارح تبعا لغيره من الاستشهاد بهذا البيت ، والخلاصة أنه لا يختلف أحد فى أن «صمى» فعل أمر مسند لياء المخاطبة المؤنثة ، ولكنهم يختلفون فى تفسير « صمام » فمن العلماء من ذهب إلى أنه علم على الداهية ، وعلى هذا يكون « صمام » فى بيت الشاهد منادى بحرف نداء محذوف ، وتكون الداهية هى المعنية بياء المخاطبة فى قوله «صمى» ولا يكون على هذا الوجه شاهد لما أنشده الشارح من أجله هنا ، وإنما يكون شاهدا لاستعمال صيغة فعال فى النداء مثل يا خباث ويا فجار ويا دفار ، وما أشبه ذلك ، وقيل : إن « صمام » فى البيت اسم فعل أمر بمعنى صمى ، وعلى هذا يكون المعنى بياء المخاطبة هى الأذن ، ويكون كأنه قال : صمى صمى ، ويكون فى البيت شاهد للتأكيد اللفظى بإعادة اللفظ الأول بلفظ يرادفه ، وسنبين ذلك قريبا .

الإعراب : « فرت » فر : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والتاء علامة على تأنيث الفاعل حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « يهود » فاعل فر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « وأسلمت » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، أسلم : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى يهود ، والتاء حرف دال على تأنيث الفاعل مبنى على السكون لا محل

... ...

له من الإعراب « جيرانها » جيران : مفعول به لأسلم منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائبة المؤنثة العائد إلى يهود مضاف إليه « صمى » فعل أمر مبنى على حذف النون ، وياء المؤنثة المخاطبة فاعل مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « لما » اللام حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، وما : اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلق بقوله صمى « فعلت » فعل : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على تأنيث الفاعل « يهود » فاعل لفعل ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وجملة الفعل الماضى وفاعله لا محل لها من الإعراب صلة ما الموصولة المجرورة محلا باللام ، والعائد ضمير منصوب المحل محذوف ، وتقدير الكلام : للذى فعلته يهود « صمام » المطابق لاستشهاد الشارح بهذا البيت أن يكون اسم فعل أمر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، وتكون هذه الجملة من اسم الفعل وفاعله المستتر فيه توكيدا لفظيا لجملة صمى ، وهذا أحد وجهين فى هذه الكلمة ، والآخر أن يكون « صمام » منادى بحرف نداء محذوف ، وتقديره يا صمام ، مبنى على ضم مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة البناء الأصلى فى محل نصب .

الشاهد فيه : قوله « صمى صمام » وقبل أن نبين لك وجه استشهاد الشارح بهذه العبارة فى هذا الموضع نذكر لك أن صيغة فعال — بفتح الفاء والعين والبناء على الكسر — تحتمل وجهين : الأول : أن تكون صيغة اشتقت على هذه الزنة من مصادر الأفعال الثلاثية لتستعمل فى النداء ، نحو خباث ودفار ولكاع وما أشبه ذلك ، وعلى هذا الوجه حمل كل من قرأنا كلامه من أهل اللغة لفظ « صمام » فى بيت الشاهد ، والوجه الثانى الذى تحتمله صيغة فعال أن تكون اسم فعل أمر مأخوذا من مصدر الفعل الثلاثى أيضا ، نحو : سماع ، ونعاء ، وحماد ، وما أشبه ذلك ، وانظر إلى قول ابن مالك رحمه الله تعالى فى الخلاصة (الألفية) :

وَفُلُ بَعْضُ مَا يُخَصُّ بِالنِّدَا لُؤْمَانُ نَوْمَانُ كَذَا ، وَاُطَّرَدَا
فى سَبِّ الْأُنْثَى وَزْنُ يَا خَبَاثِ وَهٰكَذَا الْأَمْرُ مِنَ الثُّلَاثِى

وعلى هذا الوجه الثانى حمل الشارح رحمه الله تعالى قول الشاعر فى بيت الشاهد« صمام » وعليه يكون الشاهد فى البيت قوله «صمى صمام» حيث أكد الشاعر جملة «صمى» المؤلفة من فعل الأمر وفاعله ، بجملة « صمام » المؤلفة من اسم فعل الأمر وفاعله المستتر فيه وجوبا ، والثانى بمعنى المؤكد لا بلفظه ، فهو من التوكيد اللفظى بذكر مرادف اللفظ الذى ذكر أولا ، وهذا — مع كونه

ومنه توكيد الضمير المتصل بالمنفصل .

﴿ تنبيه ﴾ : الأكثرُ في التوكيد اللفظي أن يكون في الجمل ، وكثيراً ما يَقْترن بعاطف نحو : « كَلَّا سَيَعْلَمُونَ » الآية ، ونحو : « أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى » ونحو : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ » الآية ، ويأتي بدونه ، نحو قوله عليه الصلاة والسلام « وَاللهِ لَأَغْزُوَنَّ قُرَيْشاً » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ويجب الترك عند إيهام التعدد ، نحو : ضَرَبْتُ زَيْدًا ، ضَرَبْتُ زَيْدًا ، ولو قيل : « ثم ضَرَبْتُ زَيْدًا » لتُوُهِّم أن الضرب تكرر منك مرتين تراختْ إحداهما عن الأخرى ، والغرضُ أنه لم يقعْ منك إلا مرة واحدة اهـ .

* * *

(وَلَا تُعِدْ لَفْظَ ضَمِيرٍ مُتَّصِلْ إِلَّا مَعَ اللَّفْظِ الَّذِي بِهِ وُصِلْ)

فتقول : قُمْتُ قُمْتُ ، وعَجِبْتُ مِنْكَ مِنْكَ ، لأن إعادته مجرَّدًا تخرجه عن الاتصال .

(كَذَا الحُرُوفُ غَيْرَ مَا تَحَصَّلَا بِهِ جَوَابٌ كَنَعَمْ وكَبَلَى)

وأَجَلْ ، وجَيْرِ ، وإِي ، ولا ؛ لكونها كالجزء من مصحوبها .

فيُعَاد مع المؤكد ما اتصل بالمؤكد إن كان مضمراً ، نحو : « أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ » ويُعَاد هو أو ضميره إن كان ظاهرًا ، نحو : « إِنَّ زَيْدًا إِنَّ زَيْدًا فاضِلٌ » أو « إِنَّ زَيْدًا إِنَّهُ فاضِلٌ » وهو الأَوْلى ؛ ولا بُدَّ من الفصل بين الحرفين كما رأيت .

وشذ اتصالهما ، كقوله :

٨٠٨ — إِنَّ إِنَّ الْكَرِيمَ يَحْلُمُ مَا لَمْ يَرَيَنْ مَنْ أَجَارَهُ قَدْ ضِيمَا

صحيحا من جهة القياس على ما بينا أمره — ليس بسديد من قبل أن أهل اللغة الذين نقلوا لنا معاني الألفاظ العربية تكاد عبارتهم تجمع على تفسير هذا اللفظ بما يخالفه ، ولا يتم الاستشهاد في هذا الموضع بهذا البيت على الوجه الذي ارتضوه ، بل يكون قوله « صمام » منادى بحرف نداء محذوف على ما ذكرناه في إعراب البيت ، فتنبه لهذا واعرفه ، والله تعالى المسئول أن ينفعك به .

٨٠٨ — هذا بيت من الخفيف ، ولم أعثر له على سابق أو لاحق ، ولا عثرت له على نسبة إلى قائل معين .

... ...

اللغة : « الكريم » هو هنا الرجل الأبى الذى يشتد فى الحفاظ ولا يرضى الدنية « يحلم » هو فعل مضارع من الحلم ، وهو هنا الأناة والروية وعدم التسرع «ما » هى هنا المصدرية الظرفية التى تؤول بالمدة « أجاره » تقول : أجار فلان فلانا ، تريد أنه صيره فى جواره وحماه ومنعه من أن تناله يد أحد ، والعرب مشهورون بحماية الجار والذود عنه وتفديته بالأنفس والأموال ، ولهم فى ذلك أخبار تفوت حد المعقول « ضيما » هو فعل ماض مبنى للمجهول من الضيم — بفتح الضاد وسكون الياء — وهو بخس الحق وإيقاع المذلة ، تقول « ضام فلان فلانا يضيمه ضيما » تريد أنه انتقص حقه وأنزل به مالا ترضى به النفوس الأبية من الذل وتجاوز معه حدود النصفة والمعدلة .

المعنى : يتحدث هذا الشاعر عن الرجل الكريم النفس العالى الهمة ، فيقول : إنه ليحسن منه الصبر والأناة والتروّى فى كل أمر من أموره ، إلا أمراً واحداً فإنه لا يجمل به شىء من ذلك فيه ، وهذا الأمر هو أن يرى الرجل الذى صيره فى حماه وجعله فى كنفه وحاطه برعايته ، قد وقع عليه الضيم من أحد من الناس ؛ وذلك لأن ظلم الجار إذلال المجير .

الإعراب : « إن » حرف توكيد ونصب ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « إن » تأكيد للأول « الكريم » اسم إن الأولى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « يحلم » فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الكريم ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل رفع خبر إن « ما » مصدرية ظرفية ، حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب «لم» حرف نفى وجزم وقلب مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « يرين » فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة فى محل جزم بلم ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الكريم ، ونون التوكيد الخفيفة حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « من » اسم موصول مفعول به ليرى مبنى على السكون فى محل نصب «أجاره» أجار : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الكريم ، وضمير الغائب العائد إلى الاسم الموصول مفعول به لأجار مبنى على الضم فى محل نصب ، وجملة أجار وفاعله ومفعوله لا محل لها من الإعراب صلة الاسم الموصول « قد » حرف تحقيق مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « ضيما » فعل ماض مبنى للمجهول مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الاسم الموصول ، والألف للإطلاق ، وجملة الفعل الماضى المبنى للمجهول ونائب فاعله فى محل نصب مفعول ثان ليرى إن جعلتها علمية ، فإن جعلتها بصرية فالجملة فى محل نصب حال من الاسم الموصول .

وأسهلُ منه قوله :

٨٠٩ — حَـــتَّى تَرَاهَا وَكَأَنَّ وَكَأَنْ أَعْنَاقَهَا مُشَــدَّدَاتٌ بِقَرَنْ

الشاهد فيه : قوله : « إن إن الكريم » حيث أكد الشاعر الحرف غير الجوابى ، وهو إن ، توكيداً لفظياً ، بإعادته بلفظه ، من غير أن يفصل بين المؤكد والتوكيد ، وهذا شاذ لا يقاس عليه .

٨٠٩ — هذا بيت من الرجز ، أو بيتان من الرجز المشطور ، وبعضهم ينسبه لخطام المجاشعى ، وبعضهم ينسبه للأغلب العجلى ، والشاهد من قطعة نسوقها إليك بتمامها ، وهى :

إِنَّا عَلَى التَّشْوَاقِ مِنَّا والحَزَنْ مِمَّا نَعُدُّ لِلْمَطِىِّ المُسْــتَفِنْ
نَسُوقُهَا سَنًّا، و بَعْضُ السَّوْقِ سَنْ حَــــتَّى تَرَاهَا وكَأَنَّ وكَأَنْ
أَعْنَاقَهَا مُشَــدَّداتٌ بِقَرَنْ حتَّى إذا قَضَوْا لُبَانَاتِ الشجَنْ
وكلَّ حَاجٍ لِفُلَانٍ أَوْ لَهُنْ قاموا فَشَدُّوهَا لِمَا يُشْقِى الأَرِنْ
ورَحَلُوهَا رِحْلَةً فِيهَا رَعَنْ حتَّى أَنَخْنَـــاهَا إلى مَنٍّ وَمَنْ

وانظر لسان العرب (مادة ر ع ن) .

اللغة : « التشواق » — بفتح التاء — الشوق « المطى » جمع مطية ، وهى الدابة ، سميت بذلك لأنها تمطو فى سيرها : أى تسرع ، أو لأنه يركب مطاها : أى ظهرها « المستفن » أراد وصفها بكثرة الجرى وشدته ، وأنها تأتى منه بفنون بعد فنون ، يقولون : افتن الحمار بأتنه ، وذلك إذا أخذ فى طردها وسوقها يميناً وشمالا وعلى استقامة وغير استقامة ، فهو يفتن فى طردها أفانين الطرد ، وقالوا للحمار الوحشى : « فنان » لأنه يأتى بفنون من العدو ، قال الأعشى :

وإِنْ يَكُ تَقْرِيبٌ مِنَ الشدِّ غَالَهَا بِمَيْعَةِ فَنَّانِ الأَجَارِىِّ مُجْذِمِ

« نسوقها سنا » أى سوقا سريعا « قرن » — بفتح القاف والراء جميعا ، بوزن سبب وجبل وجمل — هو حبل تقرن فيه الإبل من أعناقها « لبانات » جمع لبانة — بضم اللام — وهى الحاجة والطلبة « حاج » جمع حاجة « الأرن » — بفتح الهمزة وكسر الراء — النشيط السريع ، قالوا : أرن البعير يأرن أرناً فهو أرن — مثل فرح يفرح فرحا فهو فرح — إذا نشط وأسرع فى سيره « رحلة فيها رعن » فيها خفة وطيش ، وقل فى اللسان : استرخاء لم يحكم

وقوله :

٨١٠ — * لَيْتَ شِعْرِي هَلْ ثُمَّ هَلْ آتِيَنْهُمْ *

شدها من الخوف والعجلة، قالوا: رجل أرعن وامرأة رعناء، بينا الرعونة والرعن ، والرعونة: الحمق والاسترخاء .

الإعراب : « حتى » حرف غاية مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « تراها » فعل مضارع إن جعلته مستقبلا فهو منصوب بأن المضمرة بعد حتى ، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وإن جعلت المضارع لحكاية الحال فهو مرفوع بضمة مقدرة على الألف ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، والضمير العائد إلى المطى مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب « وكأن » الواو واو الحال حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، كأن : حرف تشبيه ونصب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « وكأن » توكيد للحرفين السابقين « أعناقها » أعناق : اسم كأن منصوب بالفتحة الظاهرة ، وضمير الغائبات العائد إلى المطى مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « مشددات » خبر كأن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « بقرن » الباء حرف جر ، قرن : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، وسكن لأجل الوقف ، والجار والمجرور متعلق بقوله : مشددات .

الشاهد فيه : قوله : « وكأن وكأن » حيث أكد الشاعر الحرف غير الجوابى ، وهو الواو وقوله «كأن» توكيدا لفظيا، من غير أن يفصل بين التأكيد والمؤكد ، وهذا شاذ ، وهو مع شذوذه أخف مما وقع فى البيت السابق من قول الشاعر : « إن إن الكريم » ووجه خفة هذا عن سابقه أن المؤكد هنا حرفان لا حرف واحد ، والتوكيد كذلك ، فكل حرف لم يقع توكيده هنا بجانبه مباشرة مثل ما وقع فى البيت السابق ، بل فصل بين الواو والواو بكأن ، وفصل بين كأن وكأن بالواو ، فأما فى البيت السابق فقد وقعت إن بجانب إن من غير أن يفصل بينهما شىء أصلا ، وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى ، قال ابن هشام : « وشذ اتصال الحرفين كقوله :

* إن إن الكريم يحلم ما لم *

وأسهل منه قوله : * حتى تراها وكأن وكأن *

لأن المؤكد حرفان ، فلم يتصل لفظ بمثله » اهـ . ولو أنه أتى بما هو القياس لقال : « وكأن أعناقها وكأن أعناقها — إلخ » .

٨١٠ — هذا صدر بيت من الخفيف ، وعجزه قوله :

* أمْ يَحُولَنَّ دُونَ ذَاكَ الحِمَامُ *

وهذا البيت للكميت بن معروف .

وقوله :

٨١١ — لا يُنْسِكَ الأَسَى تَأَسِّياً فَمَا مَا مِنْ حِمَامٍ أَحَدٌ مُعْتَصِماً

اللغة : « ليت شعرى » المعنى الحرفى لهذه الكلمة ليتنى أعلم ، ويستعمل بعدها الاستفهام دائما ، وللعلماء فيها اختلاف : هل يجعل الاستفهام الواقع بعدها هو خبر المبتدأ أم أن خبر المبتدأ محذوف وجوبا وقد قام الاستفهام مقامه ؟ والثانى هو المختار « آتينهم » أراد أزورهم وأراهم « الحمام » بكسر الحاء ، بزنة الكتاب — الموت .

المعنى : يتلهف على أحبابه الذين فارقهم ، ويتمنى أن يقدر له العلم بأنه سيزورهم ويراهم أو يمنع من التمتع برؤيتهم وقوع الموت عليه أو عليهم .

الإعراب : « ليت » حرف تمن ونصب ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « شعرى » اسم ليت ، منصوب بها ، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « هل » حرف استفهام مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « ثم » حرف عطف ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب «هل» توكيد لحرف الاستفهام السابق «آتينهم» فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة ، ونون التوكيد الخفيفة حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، وضمير الغائبين مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب « أم » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « يحولن » فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، ونون التوكيد الثقيلة حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب «دون» ظرف متعلق بيحول منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف ، و «ذا» من ذاك : اسم إشارة مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر ، والكاف حرف دال على الخطاب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « الحمام » فاعل يحول ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « هل ثم هل آتينهم » حيث أكد الشاعر الحرف غير الجوابى ، وهو قوله « هل » توكيدا لفظيا ، وفصل بين لفظ المؤكد ولفظ التأكيد بقوله « ثم » ولكنه لم يأت بمدخول المؤكد فاصلا وهو قوله « آتينهم » ، وهذا شاذ ، إلا أنه مع شذوذه أخف مما جاء فى الشاهدين الآخرين لوجود الفاصل . ولو أن الشاعر أراد أن يوافق القياس لقال : « هل آتينهم ثم هل آتينهم ؟ » .

٨١١ — هذا بيت من الرجز ، أو بيتان من مشطوره ، ولم أقف لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

... ...

اللغة : « ينسك » فعل مضارع أصله النسيان ، وتقول : نسى فلان كذا ينساه — مثل رضيه يرضاه — وأنساه فلان كذا ينسيه — بضم ياء المضارعة — أى جعله ينساه ويغفل عنه ، وفى القرآن الكريم : (فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) « الأسى » هو الحزن ، تقول : أسى فلان يأسى أسى ، تريد أنه حزن ، وهو أسيان وأسوان : أى حزين « تأسيا » أى تسليا وتصبرا وتجلدا ، وذلك بجعل أحزان الناس أسوة لأحزانك : أى أن تعلم أنه لابد لمن عاش أن يلاقى بعض صروف الدهر ، وقالت الخنساء فى بعض مراثيها :

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى ... عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِى وَلَكِنْ ... أُعَزِّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّى

« حمام » بكسر الحاء وفتح الميم مخففة — الموت « مستعصما » ممتنعا ، ويروى « معتصما » وهو بمعناه .

المعنى : ينهى مخاطبه عن أن يلج فى الحزن ويتمادى فى الأسى على ما لحقه من نوائب الدهر ومصائبه ، ويقول له : لا تنس أن تتجلد وتتصبر وتتعزى بما وقع للناس ، وبأن تعلم أنه ليس لأحد ملجأ يقيه من الموت .

الإعراب : « لا » حرف نهى ، مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « ينسك » ينس : فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وعلامة جزمه حذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها ، والكاف ضمير المخاطب مفعول به أول مبنى على الفتح فى محل نصب « الأسى » فاعل مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « تأسيا » مفعول ثان لينسى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « فما » الفاء حرف دال على التعليل مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وما : حرف نفى يعمل عمل ليس مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « من » حرف جر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « حمام » مجرور بمن ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بقوله مستعصما الآتى « أحد » اسم ما النافية مرفوع بها وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « مستعصما » خبر ما النافية منصوب بها ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « فما ما من حمام » حيث أكد الشاعر الحرف غير الجوابى ، وهو « ما » النافية الحجازية ، توكيدا لفظيا ، بإعادة لفظ المؤكد بعينه ، من غير أن يفصل بينهما بفاصل ما ، لكن ما فى هذا البيت — مع شذوذه — أخف فى الشذوذ مما ورد فى الشاهد رقم ٨٠٩ من قول الشاعر « إن إن الكريم » ووجه الخفة فى هذا الشاهد أن الشاعر — وإن لم يفصل بين المؤكد والتأكيد بفاصل — قد فصل بينهما بالوقف على المؤكد ، وذلك من قبل أن المؤكد قد

للفصل فى الأوّليْن بالعاطف ، وفى الثالث بالوقف .

وأشَذّ منه قولُه :

٨١٢ — فَلاَ وَاللهِ لا يُلْفَى لِمَا بِي وَلا لِلِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاء

وقع فى آخر الشطر الأول من البيت أو فى آخر البيت الأول ، ثم وقع التأكيد مبتدأ به فى أول البيت الثانى أو أول النصف الثانى من البيت؛ فكأن المؤكد والتأكيد لم يتصلا فلم يثقل النطق بهما ، ولو أن الشاعر أراد أن يأتى بالكلام على مقتضى القياس لقال : ما من حمام أحد معتصما ما من حمام أحد معتصما ، أو لقال : ما أحد ما أحد معتصما من حمام .

٨١٢ — هذا بيت من الوافر، لمسلم بن معبد الوالبى، من قصيدة طويلة ، وكان السبب فى ذلك أن مسلم بن معبد هذا كان غائباً عن ماله ، فأتى المصدق فكتب إبله فى إبل الصدقة ، وكان عمارة ابن عبيد الوالبى عريفاً ، فلما قدم مسلم وعلم بما جرى ظن أن عمارة بن عبيد هو أغرى عامل الصدقات به ، وعمارة ابن عم مسلم ، ففى ذلك يقول :

بَكَتْ إِبِلِي وحُقَّ لَهَا الْبُكاء وفرَّقَهَا المَظَالِمُ والعَدَاء
إذا ذَكَرَتْ عِرَافَةَ آلِ بِشْرٍ وعَيْشًا مَا لِأَوَّلِهِ انْتِهَاء
ودَهْرًا قَدْ مَضَى ورِجَالَ صِدْقٍ سَعَوْا قَدْ كَانَ بَعْدَهُمُ الشَّقَاء
إذا ذُكِرَ الْعَرِيفُ لَهَا اقْشَعَرَّتْ ومَسَّ جُلُودَهَا مِنْهُ انْزِوَاء
فَظَلَّتْ وَهِيَ ضَامِرَةٌ تَفَادَى مِنَ الْجَرَّاتِ جَاهَدَهَا الْبَلاء
وكِدْنَ بِذِي الرُّبَا يَدْعُونَ بِاسْمِي وَلا أَرْضٌ لَدَيَّ وَلا سَمَاء
تُؤَمِّلُ رَجْعَةً مِنِّي ، وَفِيهَا كِتَابٌ مِثْلُ مَا لَزِقَ الْغِرَاء

وقبل البيت المستشهد به قوله :

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كُلَّ لَدٍّ فَمَجُّوا النُّصْحَ ثُمَّ ثَنَوْا فَقَاءُوا
وكُنْتُ لَهُمْ كَدَاءِ الْبَطْنِ يُؤْذِي وَرَاءَ صَحِيحِهِ دَاءٌ عَيَاء
إذا مَوْلًى رَهِبْتُ اللهَ فِيهِ وأَرْحَامًا لَهَا قِبَلِي رِعَاء
رَأَى مَا قَدْ فَعَلْتُ بِهِ مَوَالٍ فَقَدْ غَمِرَتْ صُدُورُهُمُ ودَاءُوا

... ...

فَكَيْفَ بِهِمْ وَإِنْ أَحْسَنْتُ قَالُوا: أَسَأْتَ، وَإِنْ غَفَرْتُ لَهُمْ أَسَاءُوا

فَلاَ وَأَبِيكَ لا يُلْفَى لِمَا بِى وَلا لِمَــــا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءُ

وقد رأيت أن البيت الشاهد يروى « فلا وأبيك » وسنذكر رواية أخرى فى عجزه عند بيان الاستشهاد بالبيت، وعلها لا يكون فيه شاهد، فترقبها.

اللغة: « بكت إبلى — البيت » المظالم: جمع مظلمة — بكسر اللام — وهو ما يأخذه الظالم من المظلوم، ومثله الظلامة — بضم الظاء — والظليمة، والعداء — بفتح العين المهملة — الظلم وتجاوز الحد، وهو مصدر عدا عليه يعدو عدواً وعداء « إذا ذكرت عرافة آل بشر — البيت » إذا: ظرف متعلق بقوله بكت فى البيت السابق، وفاعل ذكرت ضمير الإبل، والعرافة: عمل العريف، وهو أحد القائمين على جباية أموال الصدقات، والانثناء: الانكفاف والانزجار، تقول: « ثنا فلان فلانا يثنيه » تريد أنه كفه عما يفعل « ودهراً قد مضى ورجال صدق — البيت » دهراً، ورجال صدق، هما بالنصب معطوفان على قوله: « عرافة آل بشر » فى البيت السابق، وسعوا: كانوا سعاة، والساعى: أصله عام فى كل من ولى شيئاً على قوم، ثم خص فى الاستعمال بولاة الصدقات « إذا ذكر العريف لها اقشعرت — البيت » الضمير للإبل، والازواء: التقبض « فظلت وهى ضامرة تفادى — البيت » ضامرة: أراد جائعة، وأصل الضمور النحافة والهزال، وتفادى: أصله تتفادى، فحذف إحدى التاءين، وتقول: « تفادى فلان كذا » إذا تحاماه ولم يقربه وانزوى عنه، وقوله: « لددتهم النصيحة — البيت » أصل اللدود — بفتح اللام — ما يصب من الأدوية فى أحد شقى الفم، وتقول: « لددت فلانا » إذا صببت اللدود فى فمه، ومجه: رماه وطرحه ولفظه، وثنوا: عطفوا ومالوا، وقاءوا: أخرجوا ما فى بطونهم « وكنت لهم كداء البطن — البيت » داء البطن: هو الإسهال، ويؤذى: من الأذى والأذية وتسهل همزته فتنقلب واواً لانضمام ما قبلها، وبه يروى، والداء العياء — بفتح العين — الذى أعجز الأطباء فلم يعرفوا له علاجا، يريد أن ما أضمروه من العداوة والبغض لى لابد أن يقتلهم ويأتى عليهم لأنى منهم بمنزلة داء البطن المؤذى نشأ عنه ما أعجز الأطباء « إذا مولى رهبت الله فيه — البيت » رهبت الله: خفت الله فى جانبه، وغمرت صدورهم: امتلأت بالحقد، وداءوا: كان بهم الداء، وهو المرض، وأراد به العداوة والضغينة « فلا وأبيك — البيت » يلفى: مضارع مبنى للمجهول ماضيه المبنى للمعلوم ألفى، وتقول: « ألفيت الشىء ألفيه » من مثال أكرم يكرم — إذا وجدته، وأراد بقوله: « ما بى » ما فى نفسه من الهم والحزن والكدر مما يفعل به قومه، وأراد بقوله: « ما بهم » ما فى أنفسهم من الحسيكة والغل والحقد والحسد.

الإعراب: « فلا » الفاء للاستئناف، حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب، ولا: حرف زائد غير دال على النفى مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « والله » الواو حرف

... ...

قسم وجر مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، ولفظ الجلالة مقسم به مجرور بالواو وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف : أى أقسم والله « لا » حرف نفى مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « يلفى » فعل مضارع مبنى للمجهول مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « لما » اللام حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، وما : اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلق بقوله : يلفى « بى » الباء حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، وياء المتكلم ضمير مبنى على السكون فى محل جر بالباء ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة ما المجرورة محلا باللام « ولا » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، ولا : حرف زائد لتأكيد النفى « للما » اللام الأولى حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، واللام الثانية مؤكدة للأولى ، وما : اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر باللام الأولى ، والجار والمجرور معطوف بالواو على الجار والمجرور السابق « بهم » الباء حرف جر ، وضمير الغائبين مبنى على السكون فى محل جر بالباء ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة الموصول « أبداً » ظرف زمان منصوب على الظرفية بقوله : يلفى « دواء » نائب فاعل يلفى مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « للما » حيث أكد الشاعر الحرف غير الجوابى — وهو اللام الأولى — توكيداً لفظياً ، بإعادته بلفظه ، من غير أن يفصل بين المؤكد والتوكيد ، وهذا فى نفسه شاذ ، أعنى التوكيد اللفظى فى الحروف غير الجوابية من غير أن يفصل بين المؤكد والتوكيد ، وهو — مع شذوذه فى ذاته — بالغ الدرجة فى الخروج عن القياس ، من قبل أن كلا من المؤكد والتوكيد على حرف هجائى واحد ، ولم يفصل بينهما ولا بالوقف على الأول كما فصل الشاعر فى البيت السابق بين المؤكد والتوكيد بالفصل على المؤكد ، على ما بيناه لك هناك .

هذا ، واعلم أن رواية البيت المستشهد به على ما فى الشرح وعلى ما ذكرناه فى أبيات القصيدة التى هو منها — هى رواية النحاة ، فأما رواية الأدباء وحملة الشعر فقد جاءت على وجه آخر لا شذوذ فيه ولا مخالفة لما اطرد مجيئه عن فصحاء العرب ، فقد روى ابن الأعرابى هذا البيت على هذا الوجه :

فَلاَ واللهِ لاَ يُلْفَى لِمَا بِى وَمَا بِهِمُ مِنَ الْبَلْوَى دَوَاء

ولست أدرى ! أغيره النحاة عن الوجه الأصلى إلى ما ذكروه للاستشهاد به فى هذه المسألة ؟ أم وجده الأدباء خارجا عن القياس المتلئب عن العرب فى أمثال هذا التعبير فأصلحوا من اعوجاجه

لسكون الحرف المؤكد ، وهو اللام ، موضوعاً على حرف واحد .

وأسْهَلُ من هذا قوله :

٨١٣ — * فأَصْبَحْنَ لا يَسْأَلْنَهُ عَنْ بِمَا بِهِ *

وأقاموا بناءهم ؟ أم أنه روى عن قائله أو عن بعض رواته من العرب المحتج بنطقهم على الروايتين جميعاً فاستشهد النحاة بإحداهما وروى الأدباء روايته الأخرى ؟! والله سبحانه أعلم .

٨١٣ — هذا صدر بيت من الطويل ، وعجزه قوله :

* أَصَعَّدَ فى عُلْوِ الهَوَى أمْ تَصَوَّبَا ؟ *

وهذا بيت من قصيدة للأسود بن يعفر ، وأول هذه القصيدة قوله :

صَحَا سَكْرٌ مِنْهُ طَوِيلٌ بِزَيْنَبَا ... تعاقَبَهُ لَمَّا اسْتَبَانَ وَجَرَّبَا

وأحْكَمَهُ شَيْبُ الْقَذَالِ عَنِ الصِّبَى ... فكَيْفَ تَصَابِيهِ وقدْ صارَ أشْيَبَا

وكانَ لَهُ فِيما أفادَ حَلائِلٌ ... عَجِلْنَ إذا لاقَيْنَهُ قُلْنَ مرْحَبَا

فأَصْبَحَ لا يَسْأَلْنَهُ عَنْ بِمَا بِهِ ... أصَعَّدَ فى عُلْوِ الهَوَى أمْ تَصَوَّبَا

اللغة : « صحا سكر منه — البيت » تقول : سكر فلان — يسكر — بوزن طرب يطرب — سكراً — بالضم ، وبضمتين — وسكرا — بالفتح وبفتحتين — وسكرانا — بالتحريك — فهو سكر وسكران ، والأنثى سكرة وسكرى وسكرانة ، والسكر ثلاثة : سكر الشباب ، وسكر المال ، وسكر السلطان ، والسكر نقيض الصحو ، وتعاقبه : أراد أنه جاء عقيبه ، والضمير المستتر يعود إلى الصحو المدلول عليه بقوله صحا ، والضمير البارز يعود إلى السكر ، يريد أن الصحو قد حل محل السكر ، ونظير ذلك في عود الضمير على المفهوم مما قبله قول الآخر :

إذا زُجِرَ السَّفِيهُ جَرَى إلَيْهِ ... وخَالَفَ والسَّفِيهُ إلى خِلافِ

فإن الضمير المجرور محلا بإلى من قوله « جرى إليه » يعود إلى السفه المستفاد من قوله السفيه ، وقوله « استبان » معناه اتضح له الأمر وأن عقبى الجرى وراء نزوات الصبا ندامة « وأحكمه شيب القذال — البيت » أحكمه : يحتمل معنيين : الأول : أن يكون أراد به صيره ذا حكمة ومعرفة لحقائق الأمور ، والثانى : أن يكون أراد منعه ، مأخوذ من الحكمة — بفتح الحاء المهملة والكاف جميعاً — وهى ما أحاط بحنك الدابة من اللجام . قال صاحب اللسان : « يقال : أحكمت فلاناً ، أى منعته ، وبه سمى الحاكم لأنه يمنع الظالم ، وقيل : هو من حكمت الفرس

... ...

وأحكمته وحكمته (بالتضعيف) إذا قدعته وكففته ، وحكمت السفيه وأحكمته ، إذا أخذت على يده ، ومنه قول جرير :

* أَبَنِى حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ *

وحكمة اللجام (بالتحريك) ما أحاط بالحنك وفيها العذاران ، سميت بذلك لأنها تمنعه من الجرى الشديد ، مشتق من ذلك » اه كلامه . والقذال — بفتح القاف ، بزنة السحاب — جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس ، ويجمع على قذل كسحب وأقذلة كأرغفة ، والصبى — بكسر الصاد مقصوراً — الصبوة وميل النفس إلى شهواتها ، يريد أنه يمنعه من الجرى وراء شهوات نفسه شيب شعر رأسه « وكان له فيها أفاد حلائل — البيت » الحلائل : جمع حليلة ، وهى زوج الرجل ، سميت بذلك لأنها تحل له ، وفى التنزيل : (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) وقول الأسود : « فأصبحن لا يسألنه — البيت » صعد : ارتفع ، وصوب : انخفض ، وأراد جميع أحواله ، يقول : كان هؤلاء الحلائل أيام ميعة شبابه ، متى رأينه حيينه ، فلما كبر وشاب انصرفن عنه ، وهو مثل قول الآخر :

فَإِنْ تَسْأَلُونِى بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِى خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

الإعراب : «فأصبحن» الفاء حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، أصبح : فعل ماض ناقص يرفع الاسم وينصب الخبر مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، ونون النسوة العائد إلى الحلائل اسم أصبح مبنى على الفتح فى محل رفع « لا » حرف نفى مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « يسألنه » يسأل : فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة ونون النسوة فاعله مبنى على الفتح فى محل رفع ، وضمير الغائب مفعول به مبنى على الضم فى محل نصب ، والجملة من الفعل المضارع وفاعله ومفعوله فى محل نصب خبر أصبح « عن » حرف جر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، والباء فى قوله : « بما » حرف جر بمعنى عن توكيد لفظى بمرادف المؤكد ، وما : اسم موصول مبنى على السكون فى محل جر بعن ، والجار والمجرور متعلق بقوله : يسأل « به » الباء حرف جر ، والهاء ضمير الغائب مبنى على الكسر فى محل جر بالباء ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة ما .

الشاهد فيه : قوله : « عن بما » حيث أكد الشاعر الحرف غير الجوابى — وهو « عن » الجارة — توكيداً لفظياً بمرادفه أى اللفظ الدال على مثل معناه ، وهو الباء ، من غير أن يفصل بين التوكيد والمؤكد بشىء ما ، وهذا التوكيد شاذ فى نفسه ، ولكنه فى هذا البيت — مع

... ...

شذوذه — أخف من الشذوذ الواقع في البيت السابق على هذا البيت ، وذلك قول الشاعر : « لما » ووجه خفة ما في هذا البيت بالنظر إلى ما في البيت السابق أمران : أحدهما : أن المؤكد في هذا البيت موضوع على حرفين — وهو « عن » — والمؤكد في البيت السابق موضوع على حرف هجائي واحد ، وهو لام الجر ، والأمر الثاني : أن لفظ المؤكد ولفظ التأكيد في هذا البيت مختلفان وإن كان معناهما واحداً ، وفي البيت السابق تجد لفظ المؤكد ولفظ التأكيد واحداً ، فلما اختلف اللفظان ههنا خف الثقل والشذوذ ، ولما اتحد اللفظان في البيت السابق ، اشتد الشذوذ وقوى .

فإن قلت : فما الدليل على أن الباء في هذا الموضع بمعنى عن ، حتى يصح أن تكون تأكيداً لها ؟ .

فالجواب أن نقول لك : إن مجيء الباء بمعنى عن في غير هذا الموضع وارد في فصيح الكلام ومنه قوله تعالى : (ويوم تشقق السماء بالغمام) وقوله جل ذكره : (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) قال المفسرون : إن الباء في هاتين الآيتين بمعنى عن ، وإن أنكر ذلك قوم منهم الزمخشري في الآية الأولى فزعم أنها للسببية نظيرها في قوله سبحانه : (السماء منفطر به)

وأما في هذا الموضع — وهو ما بعد السؤال وما اشتق منه — فآية أن الباء تكون بمعنى عن ، أنك تجد السؤال يتعدى بعن وبالباء جميعاً ، انظر إلى قوله تعالى : (يسألون عن أنبائكم) وإلى قوله سبحانه : (فاسأل به خبيرا) ، وقوله جلت كلمته : (سأل سائل بعذاب واقع) ، وانظر إلى قول الشاعر :

سَأَلَتْنِي عَنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وأَكَلْ

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

أَسَاءَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تُسَائِلِ ... عَنِ السَّكْنِ أَمْ عَنْ عَهْدِهِ بِالأَصَائِلِ

وقول الشاعر :

فإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

وغير ذلك من الشواهد العربية الواردة في شعر من يحتج بشعره ، فإذا تبينت ذلك علمت أن الحرفين يتقارضان في هذا الموضع ، فيكون معنى أحدهما هو معنى الآخر ، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

لأن المؤكَّد على حرفين ، ولاختلاف اللفظين .

أما الحروف الجوابية فيجوز أن تؤكَّدَ بإعادة اللفظ من غير اتصالها بشيء ، لأنها لصحة الاستغناء بها عن ذكر المُجاب به هى كالمستقلّ بالدلالة على معناه ، فتقول : نَعَمْ نَعَمْ ، وبَلَى بَلَى ، ولاَ لاَ ، ومنه قوله :

٨١٤ — لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ ؛ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاثِقًا وعُهُودَا

---

٨١٤ — هذا بيت من الكامل ، وهو مما ينسب إلى جميل بن معمر ، المعروف بجميل بثينة ، وقد بحثت ديوان شعره فلم أجده فيه ، لكننى وجدت فى شعر كثير عزة قصيدة على هذا الروى ، وفيها بيت قريب أعظم القرب من بيت الشاهد ، فلعل هذا البيت هو أصل بيت الشاهد وحدث فيه بعض التغيير ليصلح للاستشهاد على ما جيء به من أجله ، وهاك جملة أبيات من قصيدة كثير التى أشرنا إليها :

وَلَقَدْ لَقِيتُ عَلَى الدُّرَيْجَةِ لَيْلَةً كَانَتْ عَلَيْكَ أَيَامِنًا وسُعُودَا
لا تَغْدِرَنَّ بِوَصْلِ عَزَّةَ بَعْدَمَا أَخَذَتْ عَلَيْكَ مَوَاثِقًا وعُهُودَا
إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا أَحَبَّ حَبِيبَهُ صَدَقَ الصَّفَاءَ وَأَنْجَزَ الْمَوْعُودَا
اللهُ يعْلَمُ لَوْ أَرَدْتُ زِيَادَةً فى حُبِّ عَزَّةَ مَا وَجَدْتُ مَزِيدَا
رُهْبَانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قُعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وسُجُودَا

وبعد أن كتبت هذا وجدت صاحب تزيين الأسواق (ج ١ ص ٥٢ بولاق) بعد أن أنشد ستة أبيات من هذه القصيدة منها الخمسة التى تلى الأول مما أنشدناه يقول مانصه : « وهذا الشعر رواه الحافظ مغلطاى كما هو عن جميل ، وقد رأيته فى النزهة منسوباً إليه ، وبعد ما ذكر بيتاً استشهد به على مجيء التوكيد بالحرف ، قال : وكثيرا ما نقله النحاة هكذا :

* لا لا أبوح بحب بثنة *

قال القالى : هو لكثير ، وذكر بثنة سبق قلم ، والأصل عزة ، أو أن الشعراء كثيرا مايعدلون عن اسم من يريدون إلى مالا يريدون تورية وغيره » اهـ . بحروفه ، والحمد لله رب العالمين .

اللغة : « ولقد لقيت على الدريجة ليلة — البيت » الدريجة — بضم الدال المهملة وفتح

... ...

الراء المهملة بعدها ياء ساكنة - هوهكذا في ديوان كثير، وفي معجم البلدان لياقوت (٥٧/٤) وهو تصغير درجة بفتح فسكون، ووقع في معجم ما استعجم للبكرى « الدريجة » وضبطه بضم الدال المعجمة وفتح الراء المهملة، وبفتح أوله وكسر ثانيه، وقال: هو موضع بنجد، وأنشد البيت، ونسبه لكثير، والأيامن: جمع أيمن، وهو خلاف الأيسر، يستعمل على الجمع بمعنى اليمن: أي البركة، وضد الأشائم: أي النحوس، والسعود: جمع سعد وهو اليمن أيضاً، وضده النحس وفي قوله: « كانت عليك » التفات من التكلم إلى الخطاب إن قرأت « لقيت » بتاء المتكلم، فإن قرأتها بتاء المخاطب لم يكن في الكلام التفات إلا على مذهب السكاكي، وأحسبك لا تحتاج إلى إيضاحه هنا «لاتغدرن بوصل عزة — البيت» الغدر: الخيانة وترك الوفاء، والمواثق: جمع موثق — بفتح الميم وكسر الثاء المثلثة وبينهما واو ساكنة — وهو العهد، والعهود: جمع عهد « إن المحب إذا أحب حبيبه — البيت » صدق الصفاء: أراد به أخلص له الود، وأنجز الموعودا: أي وفى بما عاهده عليه « رهبان مدين والذين عهدتهم — البيت » الرهبان: جمع راهب، وهو العابد من عباد النصارى، ومدين — بفتح الميم والياء بينهما دال مهملة ساكنة — قرية على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك، وهي قرية شعيب عليه الصلاة والسلام، وبها البئر التي استقى منها موسى الكليم صلى الله عليه وسلم لابنتي شعيب، وعهدتهم: أي عرفتهم، وحذر العذاب: أي خوفه، وقعودا: جمع قاعد، وتقول: « قعد فلان للأمر الفلاني » تريد أنه اهتم له « لو يسمعون كما سمعت كلامها — البيت » لو: حرف امتناع لامتناع، ويسمعون: شرطها، وهو مصروف بلو من الحال إلى الماضي: أي لو سمعوا، وقوله: « كما سمعت » ما: موصول حرفي، والمصدر المنسبك منها ومن الفعل بعدها مجرور بالكاف، والجار والمجرور يتعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف يقع مفعولا مطلقا: أي لو سمعوا سماعا مثل سماعي، وكلامها: تنازعه فعلا السماع قبله، وخروا: سقطوا على وجوههم، وبابه ضرب، وأتى بالظاهر والموضع للضمير في قوله: «خروا لعزة» استلذاذا بذكر اسمها، والركع: جمع راكع، والسجود: جمع ساجد. والمعنى: أن رهبان هذه القرية الذين عهدتهم منقطعين للعبادة والتبتل لو سمعوا كلام عزة مثل سماعي إياه لتركوا عبادتهم واستهاموا بها وخروا لها ما بين راكع وساجد، ويروى بيت الرهبان على وجه آخر، وهو:

رُكْبَانُ مَكَّةَ وَالّذِينَ أَرَاهُمُ ... يُبْلَوْنَ مِنْ حَرِّ الْفُؤَادِ هُمُودَا

ويبلون هنا على البناء للمجهول: أي يمتحنون، والهمود: جمع هامد، وهو البالي المسود المتغير.

... ...

وأبوح — فى رواية الشارح والنحاة — مضارع « باح فلان بسره يبوح به بوحا » إذا أفشاه وأظهره وأعلنه ، ويقال : « أباح » أيضاً ، وبثنة : هى هنا بفتح الباء وسكون الثاء المثلثة بعدها نون ، وأصل اسمها بثينة — على زنة التصغير — إلا أن جميلا نفسه كثيرا ما يغير فى اسمها ، ومما جاء فى شعره على هذه الزنة قوله :

وبُوحَا بِذِكْرِى عِنْدَ بَثْنَةَ وَانْظُرَا أَتَرْتَاحُ يَوْماً أَمْ تَهَشُّ إلى ذِكْرِى ؟

وقوله :

أَمِنْكِ سَرَى يَا بَثْنَ طَيْفٌ تَأَوَّبَا هُدُوًّا ، فَهَاجَ الْقَلْبُ شَوْقاً وأَنْصَبَا

وقوله :

وَقَالُوا : يَا جَمِيـلُ ؛ أَتَى أَخُوهَا فَقُلْتُ : أَتَى الحَبِيبُ أَخُو الحَبِيبِ
أُحِبُّكَ أَنْ نَزَلْتَ جِبَالَ حِسْمَى وأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةَ مِنْ قَرِيبِ

وقد ذكرها فى بيت واحد على وجهين ، وذلك قوله :

تَذَكَّرَ أُنْساً مِنْ بُثَيْنَةَ ذا الْقَلْبُ وَبَثْنَةُ ذِكْرَاهَا لِذِى شَجَنٍ نَصْبُ

وكثيرا ما يذكرها على الترخيم كقوله :

أَلا لَيْتَ رَيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ ودَهْـراً تَوَلَّى يَا بُثَيْنَ يَعُودُ

الإعراب : « لا » حرف نفى ، مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « لا » مؤكد لحرف النفى السابق « أبوح » فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « بحب » الباء حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، وحب : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بقوله : أبوح ، وحب مضاف و « بثنة » مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف ، والمانع له من الصرف العلمية والتأنيث « إنها » إن : حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وضمير الغائبة العائد على بثنة اسم إن مبنى على السكون فى محل نصب « أخذت » أخذ : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على تأنيث الفاعل مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى بثنة « على » جار ومجرور متعلق بقوله : أخذت « مواثقا » مفعول به لأخذ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وجملة أخذت وفاعله ومفعوله

(ومُضْمَرُ الرَّفْعِ الّذِي قَدِ انْفَصَلْ أَكِّدْ بِهِ كُلَّ ضَمِيرٍ اتَّصَلْ)

نحو: قُمْ أنْتَ ، ورأَيْتُكَ أنت ، ومرَرْتُ بك أنت ، وزيدٌ جاء هو ، ورأيتُنى أنا .

﴿ تنبيه ﴾ : إذا أتبعت المتصل المنصوب بمنفصل منصوب ، نحو : « رأيتُكَ إيَّاكَ » فمذهب البصريين أنه بدَل ، ومذهب الكوفيين أنه توكيد . قال المصنف : وقولهم عندى أصحُّ ؛ لأن نسبة المنصوب المنفصل من المنصوب المتصل كنسبة المرفوع المنفصل من المرفوع المتصل فى نحو : « فعَلْتَ أنْتَ » والمرفوع تأكيد بإجماع .

﴿ خاتمة ﴾ : فى مسائل منثورة : الأُولى : لا يُحذف المؤكَّد ويُقام المؤكِّد مقامه ، على الأصح ، وأجاز الخليلُ نحو : « مررت بزيد ، وأتانى أخُوهُ أنفُسَهُمَا » وقدَّره : هما صاحباى أنفسهما .

الثانية : لا يُفْصل بين المؤكَّد والمؤكِّد بإمَّا، على الأصح ، وأجاز الفراء : «مررت بالقوم إمَّا أجمعين وإما بَعْضِهِمْ » .

الثالثة : لا يَلِي العاملَ شيءٌ من ألفاظ التوكيد ، وهو على حاله فى التوكيد ، إلا « جميعاً وعامَّةً » مطلقاً ، فتقول : القَوْمُ قامَ جميعُهُمْ وعامَّتُهُمْ ، ورأيت جميعَهُمْ وعامَّتَهُمْ ، ومررت بجميعِهِمْ وعامَّتِهِمْ ، وإلا « كُلاًّ ، وَكِلاَ ، وَكِلْتَا » : مع الابتداء بكثرة ، ومع غيره بقلة ، فالأول نحو : « القومُ كلُّهم قائم ، والرجلان كِلاهما قائم ، والمرأتان كِلْتَاهما قائمة » ،

فى محل رفع خبر إن ، وجملة إن واسمها وخبرها لا محل لها من الإعراب تعليلية . « وعهودا » الواو حرف عطف ، عهودا : معطوف على قوله مواثقا ، منصوب بالفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « لا لا » فإن الشاعر قد أكد حرف النفى — وهو لا — توكيدا لفظيا بإعادته بلفظه ، من غير أن يفصل بين الحرفين بفاصل ، وحرف النفى من الحروف الجوابية : أى الحروف التى يجاب بها كلام سابق ، ولا شذوذ فى هذا البيت ؛ لأن حرف الجواب لا يشترط فى توكيده أن يذكر مع كل من المؤكد والتأكيد ما يراد إدخاله عليه فيكون فاصلا بينهما ، وهذا ظاهر إن شاء الله .

والثانى كقوله :

٨١٥ — يَمِيدُ إذا وَالَتْ عَلَيْهِ دِلاؤُهُمْ فَيَصْدُرُ عَنْهُ كُلُّهَا وَهْوَ ناهِلُ

---

٨١٥ — هذا بيت من الطويل ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، وقد استشهد به ابن هشام فى مباحث (كل) من مغنى اللبيب .

اللغة : « يميد » فسره العلامة الصبان بقوله يضطرب ، وفسره العلامة الأمير فى حاشيته على المغنى بقوله يتحرك . وذكرا ما يفهم منه أن الشاعر يصف بئرا طامية الماء كثيرته ويصف أن ماء هذا البئر لاينفد ، وعندى أن تفسير « ماد يميد » بالتحرك أو الاضطراب كلام من لم يطلع على استعمالات اللغة المتعددة الكثيرة لهذه المادة ، وأن خيرا من هذا التفسير أن يقال : إن « يميد » فى هذا البيت مأخوذ من قولهم « ماد الشىء يميد » إذا زكا وزاد ، وقالوا أيضا « مادهم يميدهم » أى زادهم ، وكأن الشاعر يقول : إن هذه البئر تزيد ماء كلما أخذوا منها بدلائهم ، وهذا أدل على أن مادتها لا تنقطع ، وقوله « والت » أراد توالت وتتابعت ، ويروى فى مكان هذه الكلمة « مادت » ولعلها أحسن ، والدلاء : جمع دلو ، مثل ظبى وظباء ، ويصدر : أى ينصرف عن الماء ، وفى القرآن الكريم (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير) أى أنهما لا يجرؤان على التقدم لسقى أغنامهما إلا أن ينتهى الرعاء من السقى ويرجعوا عن البئر ، توقيا للزحام وابتعادا عن المشادة ، والصدر — بالتحريك — ضد الورود ، وناهل : اسم الفاعل من قولهم « نهل فلان ينهل نهلا » مثل فرح يفرح فرحا — إذا شرب حتى روى وتضلع من الماء ، ويأتى الناهل بمعنى العطشان ، ومنه قول النابغة :

الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَغَى يَنْهَلُ مِنْهَا الْأَسَـلُ النَّاهِلُ

ينهل ، هنا : يشرب ، والأسل : الرماح ، والناهل : العطشان ، جعل الرماح كأنها تعطش إلى الدم فإذا شرعت فيه رويت ، ومنه قول جرير :

وأَخُوهُمَا السَّفَّاحُ ظَمَّأَ خَيْلَهُ حتَّى وَرَدْنَ جَبَا الْكُلاَبِ نِهَالاَ

ونظيره قول عمرة بن طارق :

فَمَا ذُقْتُ طَعْمَ النَّوْمِ حتَّى رَأَيْتَنِى أُعَارِضُهُمْ وِرْدَ الْخِمَاسِ النَّوَاهِلِ

وليس المراد فى بيت الشاهد هذا المعنى ، ولكن المراد أن جميع من يرد هذه البئر يرجعون عنها رواء بأنفسهم أو بمواشيهم وأنعامهم .

... ...

الإعراب : « يميد » فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى ماء البئر الذى يصفه « إذا » ظرف لما يستقبل من الزمان مبنى على السكون فى محل نصب ، وعامله قوله يميد « والت » فعل ماض ، والتاء حرف دال على التأنيث « عليه » جار ومجرور متعلق بقوله والت « دلاؤهم » دلاء : فاعل والت مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهومضاف وضمير الغائبين العائد إلى وراد الماء مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر ، وجملة والت وفاعله فى محل جر بإضافة إذا إليها « فيصدر » الفاء حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، ويصدر : فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « عنه » جار ومجرور متعلق بقوله يصدر « كلها » كل : فاعل يصدر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغيبة العائد إلى الجماعة الواردة الماء مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر ، ويروى « فيصدر عنه كلنا » بضمير التكلم ، وهو ظاهر « وهو » الواو واو الحال حرف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، هو : ضمير منفصل مبتدأ مبنى على الفتح فى محل رفع «ناهل» خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب حال من فاعل يصدر ، وعامله هو قوله يصدر .

الشاهد فيه : قوله « فيصدر عنه كلها » حيث استعمل لفظ « كل » المضاف إلى الضمير ، والذى أصله أن يستعمل تابعا لما قبله على أنه توكيد ، فى غير التوكيد ، وأولاه العامل ، وجعله فاعلا ، وهذا الاستعمال قليل فى العربية ، وهذا الكلام مجمل يحتاج إلى تفصيل وإيضاح ، ونحن نبين لك هذا الأمر بيانا تظهر منه حقيقة الموضوع وتفصيله ، فنقول : اعلم أن لفظ « كل» إما أن يضاف وإما أن يقطع عن الإضافة ، وإذا أضيف فإما أن يضاف إلى الضمير وإما أن يضاف إلى الاسم الظاهر ، فهذه ثلاث استعمالات لهذا اللفظ : الاستعمال الأول : أن يكون هذا اللفظ مضافا إلى اسم ظاهر ، ولا خلاف بين أحد فى أنه حينئذ يجوز أن يقع فى كل موقع من مواقع الإعراب ؛ فيقع مبتدأ ، ويقع فاعلا ، ويقع مفعولا ، ويقع فى غير هذه المواقع ، كما لا خلاف بين أحد فى أن وقوعه فى كل موقع من مواقع الإعراب كوقوعه فى غيره منها،لا يزيد وقوعه فى واحد منها فى الاستعمال عن موقعه فى موضع آخر؛ الاستعمال الثانى : أن يكون هذا اللفظ منقطعا فى الظاهر عن الإضافة ، والنحاة يذكرون أنه حينئذ يقع فى كل مواقع الإعراب كهو فى الاستعمال الأول ، نعنى أنهم يحكون جواز وقوعه مبتدأ وفاعلا ومفعولا وغير ذلك من المواقع . والاستعمال الثالث لهذا اللفظ : أن يكون مضافا إلى الضمير ، وهذا الاستعمال هو موضع كلامنا وكلام الشارح

... ...

المحقق فى هذا الموضع ، وهو فى هذا الاستعمال إما أن يكون تابعا لاسم قبله وإما أن يلى العامل ولا يتبع اسما قبله ، فإن كان تابعا لاسم قبله كان توكيدا ، وإن ولى العامل فالأكثر فى الاستعمال أن يكون هذا العامل هو الابتداء ويكون لفظ « كل » مبتدأ ، ووقوعه حينئذ واليا لعامل آخر غير الابتداء قليل ، فوقوعه وهو مضاف إلى الضمير فاعلا ومفعولا قليل ، وقد وقع لفظ « كلها » فاعلا لقوله يصدر ، فهو من القليل فى الاستعمال العربى ، هذا بيان ما أراد الشارح فى هذا الموضع .

ومما ذكرناه يتضح لك أن وقوع لفظ « كل » مبتدأ على أية حال كثير فى الاستعمال العربى ، نعنى سواء أكان مقطوعا فى اللفظ عن الإضافة ، أم كان مضافا إلى الاسم الظاهر ، أم كان مضافا إلى الضمير ، ونحن نسوق إليك جملة من شواهد ذلك قد أضيف هذا اللفظ فى بعضها إلى الاسم الظاهر ، وقد أضيف فى بعضها إلى الضمير ، وقد قطع فى بعضها عن الإضافة فى الظاهر ، وأول ما نذكر لك من ذلك قول الله تعالى : (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) فقد أضيف فى الآية الأولى من هذه الآيات إلى الاسم الظاهر وهو الاسم الموصول ، وأضيف فى الآية الثالثة إلى الضمير ، وهو مبتدأ فى كل منهما ، وقوله سبحانه : (كل له قانتون) وقوله : (كل آمن بالله) وقوله : (كل من عند ربنا) فلفظ « كل » منقطع عن الإضافة لفظا فى هذه الآيات الثلاث ، وهو مبتدأ فى كل واحدة منها ، ثم قوله عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن ربه : « يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته » الحديث ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » وقوله : « كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » وقوله : « أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد » الحديث ، وقول العرب فى أمثالهم : « كل فتاة بأبيها معجبة » و « كل أداة الخبز عندى ، غيره » و « كل شىء يحب ولده حتى الحبارى » و « كل شاة برجلها معلقة » و « كل نجار إبل نجارها » و « كل شىء أخطأ الأنف جلل » و « كل جدة ستبليها عدة » و « كل مجر فى الخلاء يسر » و « كل امرىء فى بيته صبى » و « كل ذات ذيل تختال » ونظائر ذلك كثير جدا ، وقد جاء فى شعر الفحول من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام الذين يستشهد بشعرهم جملة صالحة من هذا الاستعمال ؛ فمن ذلك قول الشاعر ، وهو الشاهد رقم ٦١٥ الذى تقدم مشروحا فى باب الإضافة :

إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بِالْبُرْدِ مِثْلُهُ دَوَالَيْكَ حَتَّى كُلُّنَا غَيْرُ لابِسِ

وقول كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى :

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإِنْ طَالَتْ سَلامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

... ...

وقول لبيد بن ربيعة العامرى ، وهو الشاهد رقم ٣ الذى مضى فى أول هذا الكتاب :

أَلاَ كُلُّ شَىْءٍ ـ ما خَلاَ اللهَ ـ باطِلُ وَكُلُّ نَعِيمٍ ـ لا مَحَالَةَ ـ زائِلُ

وقول السموأل بن عادياء اليهودى :

إذا المَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكلُّ رِداء يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

وقول الفرزدق :

وكُلُّ رَفِيقَىْ كُلِّ رَحْلٍ ، وَإِنْ هُما تَعَاطَى القَنَا قَوْماهُما ، أَخَوَانِ

وقول لبيد أيضا :

وكُلُّ أُناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنامِلُ

وقول الآخر ، وينسب إلى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه :

كُلُّ امْرِىءٍ مُصَبَّحٌ فى أَهْلِهِ وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِراكِ نَعْلِهِ

وقول قيس بن ذريح :

وكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمانِ وَجَدْتُهَا سِوَى فُرْقَةِ الأَحْبَابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ

وقول كثير عزة :

فقُلْتُ لَهَا : يا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إذا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ

ومما قدمناه تعلم أيضا أن لفظ كل المضاف إلى الاسم الظاهر أو المنقطع عن الإضافة لفظا يقع فى مواقع الإعراب الأخرى بكثرة ، ومن ذلك قول الله تعالى : (قد علم كل أناس مشربهم) وقوله سبحانه : (ثم توفى كل نفس ما كسبت) وقوله تبارك اسمه : (ووفيت كل نفس) وقوله سبحانه : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) وقوله : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) وقوله جل ذكره : (ولكل درجات مما عملوا) وقوله : (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون) وقوله : (قال لكل ضعف) وقوله : (قلنا احمل فيها من كل زوجين) وقوله : (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وقوله : (وكلا فضلنا على العالمين) وقوله : (يعرفون كلا بسيماهم) وقوله : (فكلا أخذنا بذنبه) ومن ذلك قول عنترة بن شداد العبسى :

جادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كالدِّرْهَمِ

فأنت تراه قد استعمل كلمة « كل » فى هذا البيت مرتين ، فاستعملها فاعلا فى صدر البيت ، ومفعولا به فى عجزه ، وهى فى كلتا المرتين مضافة إلى الاسم الظاهر .

وقولهم : كِلَيْهِمَا وتَمْرًا[1] ، أى أعطنى كِليهما ، وأما قوله :

وتعلم أيضا مما ذكرناه أن لفظ « كل » إن أضيف إلى الضمير فالأكثر أن يكون تابعا لاسم قبله توكيدا لذلك الاسم ، كما ورد فى قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) وقوله : (ولقد أريناه آياتنا كلها) وقوله : (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) وقوله : (وكذبوا بآياتنا كلها) وقوله : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فإذا لم يتبع لفظ اسم قبله يكون توكيدا له وأولى العامل فأكثر ما يجىء أن يكون مبتدأ كما وقع فى قوله تعالى : (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وكما فى الأمثلة التى ذكرها الشارح المحقق ، ويقل مجيئه فاعلا أو معمولا لغير الابتداء كما فى الشاهد الذى نحن بصدده ، وكما فى قول أبى النجم العجلى :

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِى عَلَىَّ ذَنْبًا كُلَّهُ لَمْ أَصْنَعِ

فيمن رواه بنصب « كله » على أنه مفعول مقدم لقوله « لم أصنع » .

قال ابن هشام فى مغنى اللبيب فى مباحث كل : « الثالث من أوجه استعمال كل أن تضاف إلى ضمير ملفوظ به ، وحكمها ألا يعمل فيها غالبا إلا الابتداء ، نحو (إن الأمر كله لله) فيمن رفع كلا ، ونحو (وكلهم آتيه) لأن الابتداء عامل معنوى ، ومن القليل قوله :

* يصدر عنها كلها وهو ناهل * ولا يجب أن يكون منه قول على رضى الله تعالى عنه :

* فلما تبينا الهدى كان كلنا * بل الأولى تقدير كان شانية » اه كلامه .

(١) هذا مثل من أمثال العرب ، وقبل أن نبين لك شيئا عنه نبادر فنقول : إن هذا المثل يروى بروايتين ؛ فيروى « كلاهما وتمرا » برفع كلا — على ما هو الظاهر — ونصب « تمرا » وهذه رواية الأكثرين من علماء العربية ، وتخرج هذه الرواية على أن « كلاهما » مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : لك كلاهما ، أو نحو ذلك ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : مطلوبى كلاهما ، وقوله « تمرا » مفعول لفعل محذوف ، والتقدير : وأطلب تمرا ، أو وأعطيك تمرا ، وعلى هذا تكون الواو قد عطفت جملة فعلية على جملة اسمية ، ويجوز أن يكون « كلاهما » مفعولا به لفعل محذوف ، وقد جاء على لغة من يلزم المثنى الألف فى أحواله كلها ، ويكون « تمرا » معطوفا عليه عطف المفرد على المفرد ، وكأنه قيل : أعطنى كليهما وتمرا ، والرواية الثانية « كليهما وتمرا » بالياء فى « كليهما » وتخريج هذه الرواية لا يحتمل إلا وجها واحدا ، وهو أن يكون « كليهما » مفعولا به لفعل محذوف منصوبا بالياء نيابة عن الفتحة ، على ما هو مشهور لغة العرب ، ويكون « تمرا » معطوفا على « كليهما » عطف المفرد على المفرد ، والاستشهاد بهذا المثل على الرواية الثانية حيث وقع لفظ « كليهما » المضاف إلى الضمير مفعولا به ، والأصل أن يقع إما تابعا لاسم مثنى قبله

... ...

يكون هو توكيدا له ، وإما واليا للعامل المعنوى على أنه مبتدأ ، فأما على الرواية الأولى فإنه يحتمل هذا ويحتمل أن يكون مبتدأ كما هو الكثير فيه ، بل احتمال الابتداء أظهر لأنه هو الجارى على الكثير فى لغة العرب ، وإن لزم عليه عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية . ثم نقول : قال المفضل ابن سلمة فى « الفاخر » (ص ١٢٠ ليدن) ما نصه : « كلاهما وتمرا — قال ذلك رجل مر بإنسان وبين يديه زبد وسنام وتمر ، فقال الرجل : أنلنى مما بين يديك ، فقال : أيهما أحب إليك زبد أم سنام ؟ فقال الرجل : كلاهما وتمرا ، ويقال : إن الذى قال ذلك عمرو بن حمران الجعدى ، وكان فى إبل لأبيه يرعاها ، فمر به رجل قد جهده العطش والجوع ، وبين يدى عمرو زبد وتمر وقرص ، فقال له الرجل : أطعمنى من زبدك وقرصك ، فقال عمرو : « كلاهما وتمرا ، ثم قراه وسقاه » اهـ . وقال الميدانى فى مجمع الأمثال (٨٢/٢ بولاق) : كلاهما وتمرا — ويروى : كليهما وتمرا ، أول من قال ذلك عمرو بن حمران الجعدى ، وكان حمران رجلا لسنا ماردا ، وإنه خطب صدوف — وهى امرأة كانت تؤيد الكلام وتشجع فى المنطق ، وكانت ذات مال كثير ، وقد أتاها قوم كثير يخطبونها ، فردتهم ، وكانت تتعنت خطابها فى المسألة ، وتقول : لا أتزوج إلا من يعلم ما أسأله عنه ، ويجيبنى بكلام على حده لا يعدوه ، فلما انتهى إليها حمران قام قائما لا يجلس ، وكان لا يأتيها خاطب إلا جلس قبل إذنها ، فقالت : ما يمنعك من الجلوس ؟ قال : حتى يؤذن لى ، قالت : وهل عليك أمير ؟ قال : رب المنزل أحق بفنائه ، ورب الماء أحق بسقائه ، وكل له ما فى وعائه ، فقالت : اجلس ، فجلس ، قالت له : ما أردت ؟ قال : حاجة ، ولم آتك إلا لحاجة . قالت : تسرّها أم تعلنها ؟ قال : تسر وتعلن ، قالت : فما حاجتك ؟ قال : قضاؤها هين ، وأمرها بين ، وأنت بها أخبر ، وبنجحها أبصر ، قالت : فأخبرنى بها ، قال : قد عرّضت ، وإن شئت بينت ، قالت : من أنت ؟ قال : أنا بشر ، ولدت صغيرا ، ونشأت كبيرا ، ورأيت كثيرا ، قالت : فما اسمك ؟ قال : من شاء أحدث له اسما ، وقال ظلما ، ولم يكن عليه الاسم حتما ، قالت : فمن أبوك ؟ قال : والدى الذى ولدنى ، ووالده جدى ، فلم يعش بعدى ، قالت : فما مالك ؟ قال : بعضه ورثته ، وأكثره اكتسبته ، قالت : فمن أنت ؟ قال : من بشر كثير عدده ، معروف ولده ، قليل صعده ، يفنيه أبده ، قالت : ما ورثك أبوك عن أوليه ؟ قال : حسن الهمم ، قالت : فأين تنزل ؟ قال : على بساط واسع ، فى بلد شاسع ، قريبه بعيد وبعيده قريب ، قالت : فمن قومك ؟ قال : الذين أنتمى إليهم ، وأجنى عليهم ، وولدت لديهم ، قالت : فهل لك امرأة ؟ قال : لو كانت لى لم أطلب غيرها ، ولم أضيع خيرها ، قالت : كأنك ليست لك حاجة ، قال : لو لم تكن لى حاجة لم أنخ ببابك ، ولم أتعرض لجوابك ، وأتعلق بأسبابك ، قالت : إنك لحمران بن الأقرع الجعدى ،

٨١٦ — فلمَّا تَبَيَّنَّا الهُدَى كانَ كُلُّنا عَلَى طاعةِ الرَّحْمٰنِ والحقِّ والتُّقَى

فاسمُ كان ضمير الشأن لا كلنا .

قال : إن ذلك ليقال ، فزوجته نفسها ، وفوضت إليه أمرها . ثم إنها ولدت له ولدا ، فسماه عمرا ، فنشأ ماردا مفوها ، فلما أدرك جعله أبوه راعيا يرعى له الإبل ، فبينا هو يوما إذ رفع إليه رجل قد أضرّ به العطش والسغوب ، وعمرو قاعد ، وبين يديه زبد وتمر وتامك (والتامك : السنام) فدنا منه الرجل ، فقال : أطعمني من هذا الزبد والتامك ، فقال عمرو : نعم ، كلاها وتمرا ، فأطعم الرجل حتى انتهى ، وسقاه لبنا حتى روى ، وأقام عنده أياما ، فذهبت كلمته مثلا ، ورفع كلاها : أى لك كلاها ، ونصب تمرا على معنى وأزيدك تمرا ، ومن روى كليهما فإنما نصبه على معنى أطعمك كليهما وتمرا ، وقال قوم : من رفع حكى أن الرجل قال : أنلنى مما بين يديك ، فقال عمرو : أيهما أحب إليك زبد أم سنام ؟ فقال الرجل : كلاها وتمرا : أى مطلوبى كلاها وأزيد معهما تمرا ، أو زدنى تمرا » انتهى كلامه ، وعبارة غيره فى تقدير الإعراب : « ورفع كلاها بتقدير : لك كلاها ، ونصب تمرا بتقدير : أزيدك، ورواية نصب كليهما بأطعمك مقدرا، وتمرا عطف عليه »اه

والخلاصة : أن هذا المثل يختلف فيه التقدير باختلاف شيئين: أولهما: الرواية، وثانيهما: القائل، فإن كان القائل هو طالب الطعام فإن رفع « كلاهما » كان التقدير : مطلوبى كلاهما وزدنى تمرا ، وإن نصب « كليهما » كان التقدير : أنلنى كليهما وتمرا ، وإن كان القائل هو صاحب الطعام فإن رفع « كلاهما » كان التقدير : لك كلاها وأزيدك تمرا ، وإن نصب « كليهما » كان التقدير : أنيلك كليهما وتمرا ، أو أعطيك كليهما وتمرا ، أو أطعمك كليهما وتمرا ، وما أشبهه .

٨١٦ — هذا بيت من الطويل ، وهو منسوب إلى أبى الحسنين أمير المؤمنين ، سيدنا علىّ ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأرضاه ! وقال العلامة الأمير « فى تاريخ النحاة : ما صح عندنا ولا بلغنا أن على بن أبى طالب — رضى الله عنه ! — قال شعرا إلا هذين البيتين :

تِلْكُمْ قُرَيْشٌ تَمَنَّتْنِى لِتَقْتُلَنِى فَلَا وَرَبِّكَ ما بَرُّوا وَما ظَفِرُوا

فإنْ هَلَكْتُ فَرَهْنٌ ذِمَّتِى لَهُمُ بِذَاتِ رَوْقَيْنِ لا يَعْفُو لَهَا أَثَرُ

وفى القاموس : داهية ذات روقين : أى عظيمة » اه كلام العلامة الأمير .

... ...

اللغة : « تبينا » تقول : تبينت الشيء ، تريد عرفته وكأنك قد طلبت بيانه وتكلفت لذلك وبحثت عنه حتى اتضح لك « الهدى » بضم الهاء مقصورا — الرشاد ، وأراد ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من كل ما فيه خير الناس في حالهم ومستقبلهم « والتقى » أصل هذه التاء واو ، وأصل هذه المادة الوقاية ، فأصل التقى الوقى ، فقلبت الواو المضمومة في أول الكلمة تاء كما قلبت في تجاه وأصلها وجاه بضم الواو من الوجه والمواجهة ، وكما قلبت في تخمة ، وأصلها وخمة — بضم الواو — من الوخامة .

الإعراب : « لما » ظرف بمعنى حين ، مبنى على السكون في محل نصب ، وهو متعلق بكان من قوله « كان كلنا » الذي هو جوابه « تبينا » فعل ماض مبنى على الفتح المقدر لا محل له من الإعراب ، ونا : فاعله « الهدى » مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وجملة الفعل وفاعله ومفعوله في محل جر بإضافة لما الحينية إليها « كان » فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير شأن محذوف « كلنا » كل : مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف ونا مضاف إليه مبنى على السكون في محل جر « على » حرف جر « طاعة » مجرور بعلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، وجملة المبتدأ وخبره في محل نصب خبر كان ، وطاعة مضاف و « الرحمن » مضاف إليه « والحق » معطوف على طاعة مجرور بالكسرة الظاهرة « والتقى » الواو حرف عطف ، التقى : معطوف على طاعة أيضا .

الشاهد فيه : قوله « كان كلنا على طاعة الرحمن » فإن ظاهره أن كلمة « كل » وقعت معمولة لكان على أن تكون اسم كان ، وهذا الظاهر غير لازم ، لأنه يجوز أن يكون اسم كان ضمير شأن محذوف ، وتكون كلمة « كل » مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ، وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب خبر كان ، ونظير ذلك قول الشاعر وهو الشاهد رقم ١٩٤ الذي سبق شرحه في باب كان وأخواتها (١/٣٦٧) :

إذا مُتُّ كانَ النَّاسُ صِنْفَانِ : شَامِتٌ   وَآخَرُ مُثْنٍ بِالَّذِى كُنْتُ أَصْـــنَعُ

فإن كان في هذا البيت رافعة لضمير شأن محذوف ، و « الناس صنفان » مبتدأ وخبر ، وجملتهما في محل نصب خبر كان ، فإذا كان هذا الإعراب محتملا في بيت الشاهد ، وله نظائر في كلام العرب ، وعليه يكون البيت مما وقع فيه لفظ « كل » مبتدأ كما هو غالب أحوالها إذا

الرابعة : يلزم تابعية « كل » بمعنى كامل ، وإضافته إلى مثل مَتْبُوعِه مطلقاً نعتاً لا توكيداً ، نحو : « رأيْتُ الرجُلَ كلَّ الرجلِ ، وأكلت شاةً كلَّ شاة » .

الخامسة : يلزم اعتبارُ المعنى فى خبر « كل » مضافاً إلى نكرة ، نحو : « كُلُّ نَفْسٍ ذائقَةُ المَوْتِ » ، « كُلُّ حِزْبٍ بِمـا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » ولا يلزم مضافاً إلى معرفة ، فتقول : كُلُّهُمْ ذاهِبٌ ، وذاهبون ، والله أعلم .

خرجت عن التوكيد ؛ لم يجز أن نحمله على ظاهره الذى هو قليل فى الاستعمال العربى ، لأنا حدثناك مرارا أنه متى أمكن حمل العبارة الواردة عن العرب المحتج بعربيتهم على وجه صحيح أو غالب فى الاستعمال لم يكن لنا أن نحملها على وجه شاذ أو قليل فى الاستعمال ، فكن على ثبت من هذا ، والله تعالى المسئول أن يرشدك ويوفقك .

العطف

(الْعَطْفُ إِمَّا ذُو بَيَانٍ أَوْ نَسَقْ ۝ وَالْغَرَضُ الآنَ بَيَانُ مَا سَبَقْ)

وهو عطف البيان .

(فَذُو الْبَيَانِ تَابِعٌ شِبْهُ الصِّفَهْ ۝ حَقِيقَةُ الْقَصْدِ بِهِ مُنْكَشِفَهْ)

فتابع : جنس يشمل جميع التوابع ، وشبه الصفة : مخرج لعطف النسق والبدل والتوكيد ، وحقيقة القصد إلى آخره : لإخراج النعت ، أى إنه فارق النَّعْتَ من حيث إنه يكشف المتبوع بنفسه لا بمعنًى فى المتبوع ولا فى سببيِّه (فَأَوْلِيَنْهُ مِنْ وِفَاقِ الأَوَّلِ) وهو المتبوع (ما مِنْ وفاقِ الأَوَّلِ النَّعْتُ وَلِى) وذلك أربعة من عشرة : أوجُهِ الإعراب الثلاثة والإفراد ، والتذكير ، والتنكير ، وفروعهن . وأما قول الزمخشرى : إن « مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ » عطفُ بيانٍ على « آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ » فمخالفٌ لإجماعهم . وقوله وقول الجرجانى : يشترط كونه أوضحَ من متبوعه فمخالف لقول سيبويه فى « يا هذا ذا الجُمَّةِ » : إن ذا الجُمَّةِ عطفُ بيانٍ ، مع أن الإشارة أوضَحُ من المضاف إلى ذى الأداة .

وإذا كان له مع متبوعه ما للنعت مع منعوته (فَقَدْ يَكُونَانِ مُنَكَّرَيْنِ ، كَمَا يَكُونَانِ مُعَرَّفَيْنِ) ؛ لأن النكرة تَقْبَلُ التخصيصَ بالجامد ، كما تقبل المعرفةُ التوضيحَ به ، نحو : لبستُ ثَوْبًا جُبَّةً .

هذا مذهب الكوفيين والفارسى وابن جنى والزمخشرى وابن عصفور ، وجَوَّزوا أن يكون منه : « أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ » فيمن نَوَّنَ كفارة ، ونحو : « مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ » .

وذهب غيرُ هؤلاء إلى المنع ، وأوجبوا فيما سَبَقَ البدلِيَّةَ ، ويخصون عطف البيان بالمعارف .

قال ابن عصفور : وإليه ذهب أكثر النحويين ، وزعم الشَّلَوْبين أنه مذهب البصريين .

قال الناظم : ولم أجد هذا النقل من غير جهته .

وقال الشارح : ليس قولُ مَنْ مَنَعَ بشىء .

وقيل : يختص عطفُ البيان بالعَلَم اسماً أو كنية أو لقباً .

(وصالحًا لِبَدَلِيَّةٍ يُرَى * فى غَيْرِ) ما يمتنع فيه إحلالُه محل الأول ، كما فى نحو : (يا غُلامُ يَعْمُرًا) وقوله :

٨١٧ — * أيا أخَوَيْنَا عبدَ شمسٍ ونوفلا *

---

٨١٧ — هذا نصف بيت من الطويل ، وعجزه فى رواية النحاة قوله :

* أُعِيذُكُمَا بِاللهِ أَنْ تُحْدِثَا حَرْبًا *

وهذا البيت من كلمة رواها ابن هشام فى السيرة (١٢/٢ بولاق — ٣٩٦/٢ بتحقيقنا) ونسبها لطالب بن أبى طالب أخى أمير المؤمنين أبى الحسنين على بن أبى طالب ، وابن عم الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم ، يمدح فيها النبى ودينه ويبكى على من قتل يوم بدر من قريش ، وهاك هذه الكلمة كما رواها ابن هشام :

أَلاَ إِنَّ عيْنِي أَنفَدَتْ دَمْعَها سَكْباً تُبكى عَلَى كَعْبٍ ، وَما إِنْ تَرَى كَعْبَاَ

أَلاَ إِنَّ كَعْباً فى الحُرُوبِ تَخَاذَلُوا وَأَرْداهُمُ ذا الدَّهْرُ وَاُجْتَرَحُوا ذَنْباَ

وَعامِرُ تَبكِى لِلْمُلِمَّاتِ غُدْوَةً فيالَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَرَى لَهُمَا قُرْباَ

هُما أَخَوَاىَ لَنْ يُعَدَّا لِغَيَّةٍ تُعَدُّ ، ولَنْ يُسْتَامَ جارُهُما غَصْباَ

فيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً : فِدًى لَكُماَ ، لا تبْعَثُوا بيْنَنَا حَرْباَ

وَلا تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ أَحادِيثَ فِيها كُلُّكُمْ يَشْتَكِى النَّكْباَ

أَلَمْ تَعْلَمُوا ما كانَ فى حَرْبِ داحِسٍ وَجَيْشِ أَبِى يَكْسُومَ إِذْ مَلَأُوا الشِّعْباَ

فلَوْلا دِفاعُ اللهِ لا شَىْءَ غَيْرُهُ لَأَصْبَحْتُمُ لا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْباَ

فما إِنْ جَنَيْنَا فى قُرَيْشٍ عَظِيمَةً سِوَى أَنْ حَمَيْنَا خيْرَ مَنْ وَطِىءَ التُّرْباَ

أَخا ثِقَةٍ فى النَّائِبَاتِ مُرَزَّأً كَرِيماً ثَنَاهُ ، لا بَخِيلاً ، وَلا ذَرْباَ

يُطِيفُ بِهِ الْعَافُونَ يَغْشَوْنَ بابَهُ يَؤُمُّونَ بَحْرًا لا نَزُورًا وَلا صَرْباَ

فَوَاللهِ لا تَنْفَكُّ نفْسِى حَزِينَةً تَمَلْمَلُ حتَّى تَصْدُقُوا الخَزْرَجَ الضَّرْباَ

... ...

اللغة: « ألا إن عيني أنفدت دمعها سكبا — البيت » أنفدت : أفرغت ، وتقول «نفد الشيء ينفد » من باب علم يعلم — أي فرغ وزال وانتهى ، وتقول « أنفدته أنفده » مثل أكرمته أكرمه ، وفي القرآن الكريم (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وفيه : (ما نفدت كلمات الله) والسكب : أصله مصدر « سكبت الدمع أسكبه سكبا » من باب نصر — إذا أرسلته وصببته ، والمراد هنا الوصف ، وقد أطلقوا السكب على الدمع والمطر وغيرهما مما يسيل ، وكعب : أراد به أبناء كعب بن مالك أحد أجدادهم « ألا إن كعبا في الحروب تخاذلوا — البيت » تخاذلوا : خذل بعضهم بعضاً ولم ينصره ، وأرداهم : أوقعهم في الردى وهو الهلاك ، وتقول: « ردى فلان يردى ردى » من باب طرب — إذا هلك ، وتقول: « أرديته أرديه » أي أهلكته أهلكه ، وذا : اسم إشارة ، واجترحوا : اكتسبوا ، وكأنهم فعلوا الذنب بجوارحهم « هما أخواي لن يعدا لغية — البيت » يعدا : أراد به ههنا معنى لن ينسبا ، وغية — بفتح الغين ، وتشديد الياء — ضد الرشدة ، وقالوا : «فلان ولد غية» إذا كان من زنا أولغير أبيه ، وقالوا في ضده : «فلان ولد رشدة » بكسر الراء وسكون الشين — إذا كان صحيح النسب ، ويستام : أصله قولهم : « سام فلان فلانا الخسف » إذا أوقعه به ، وكأنه جعل الخسف طعامه ، والجار : أراد به من دخل في جواره ولجأ إليه ، والغصب : أخذ الشيء عنوة من صاحبه « فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا — البيت » عبد شمس : بطن من قريش منهم بنو حرب بن أمية أبو سفيان وإخوته ، ونوفل : بطن آخر من قريش ، وفدى لكما : أراد أفديكما بنفسي أو نحو ذلك « ولا تصبحوا من بعد ودّ وألفة — البيت » الود — بتثليث الواو — المحبة ، والألفة — بضم فسكون — الائتلاف واتحاد الكلمة ، أحاديث : أي سيرا يتحدث بها الناس ، وكنى بهذه العبارة عن فنائهم وصيرورتهم خبرا بعد عين ، والنكبا : أصله النكباء ممدودا فقصره حين اضطر ، وأراد بالنكباء مصائب الدهر ونوائبه «ألم تعلموا ما كان في حرب داحس — البيت» داحس: اسم فرس قامت بسببه حرب طاحنة اشتهرت باسم حرب داحس والغبراء ، وهي أشهر من أن تذكر ، وأبو يكسوم : كنية ملك من ملوك الحبشة وهم الذين اجترءوا على بيت الله الحرام وجاءوا يهدمونه ، وهو حادث الفيل الذي أنزل الله تعالى فيه (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل — السورة) والشعب — بكسر الشين وسكون العين — الطريق بين جبلين « فلولا دفاع الله لا شيء غيره — البيت » السرب — بكسر السين المهملة وسكون الراء — القوم والعشيرة ، وهو أيضا النفس ، ومنه الحديث: « من أصبح آمنا في سربه » والسرب أيضا : المال الراعي ، ويصح هنا إرادة كل واحد من هذه المعاني ، وكنى بهذه العبارة عن أنهم كانوا لولا دفاع الله عنهم يهتضمون ويستذلون وتؤخذ أموالهم وأنفسهم

... ...

« فما إن جنينا فى قريش عظيمة — البيت » حمينا : أراد جعلناه فى حمانا ندفع عنه من يريد به السوء ، وعنى بخير من وطئ الترب النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، يقول : إن كان الدفاع عن خير الناس والقيام فى وجه من يناوئونه ويبغونه الغوائل يعد جريمة فإنا لم نقترف ولم نرتكب غير هذه الجريمة « أخا ثقة فى النائبات مرزأ — البيت » يصح لك أن تقرأ « أخا ثقة » بالإضافة وبالوصف بتنوين أخا وثقة منصوبين ، وثقة : أصله مصدر « وثق فلان بفلان ثقة » إذا اطمأنت نفسه إليه ، والمرزأ : الذى يحمل أرزاء الناس وينهض بما يحملونه من أعباء ، والثنا : هو الثناء بالمدح ، والذرب — بالفتح — الفاسد ، ومنه قالوا : « ذربت معدة فلان » إذا فسدت « يطيف به العافون يغشون بابه — البيت » العافون : جمع عاف ، وهو طالب المعروف والبر والخير ، ويغشون بابه : أراد أنهم يأتونه ويزدحمون عليه ثقة بأنهم ينالون منه ما يريدون ، ويؤمون : يقصدون ، وتقول : « أممت فلانا أؤمه » من باب نصر — إذا قصدته ، وشبهه بالبحر فى كثرة نفعه وعظيم جدواه ، والنزور : القليل ، ومثله النزر — بفتح النون وسكون الزاى ، والصرب — بفتح الصاد وسكون الراء المهملتين — المنقطع ، وهو أيضا القليل من الماء « فوالله لا تنفك نفسى حزينة — البيت » تململ : أصله تتململ ، فحذف إحدى التاءين ، وأصل معنى هذه الكلمة تتقلب على الملة — بفتح الميم وتشديد اللام — وهى التراب المتخلف من الحريق ، وأراد أنها لا تستقر من القلق والاضطراب .

الإعراب : « أيا » حرف نداء مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « أخوينا » منادى منصوب بالياء المفتوح ما قبلها تحقيقا المكسور ما بعدها تقديرا لأنه مثنى ، ونا : مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « عبد » عطف بيان على أخوينا منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و «شمس» مضاف إليه مجرور ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة « ونوفلا » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، نوفلا : معطوف على عبد شمس ، والمعطوف على المنصوب منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « أعيذكما » أعيذ : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، والكاف ضمير المخاطبين مفعول به مبنى على الضم فى محل نصب ، والميم حرف عماد ، والألف حرف دال على التثنية « بالله » جار ومجرور متعلق بأعيذ « أن » حرف مصدرى ونصب ، مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « تحدثا » فعل مضارع منصوب بحذف النون ، وألف الاثنين فاعله « حربا » مفعول به لتحدثا منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بحرف جر

(ونحو بِشْرٍ تابِعِ الْبَكْرِيِّ) فى قوله :

٨١٨ — أَنَا ابْنُ التَّارِكِ الْبَكْرِيِّ بِشْرٍ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعَا

محذوف ، وتقدير الكلام : أعيذكما بالله من إحداث حرب ، والجار والمجرور متعلق بقوله : أعيذ .

الشاهد فيه : قوله : « أيا أخوينا عبد شمس ونوفلا » فإن قوله : « عبد شمس ونوفلا » يتعين فيهما أن يكون « عبد شمس » عطف بيان على قوله : « أخوينا » وأن يكون « نوفلا » معطوفا بالواو على عبد شمس ، ولا يجوز فى هذا البيت أن تجعل « عبد شمس » بدلا من أخوينا و « نوفلا » معطوفا على البدل ، والسر فى ذلك أن حكم المعطوف بالحرف هو بنفسه حكم المعطوف عليه ، فلو كان المعطوف عليه عطف بيان وجب أن يكون المعطوف بالحرف عطف بيان أيضا ، ولو كان المعطوف عليه بدلا وجب أن يكون المعطوف بالواو ونحوها بدلا أيضا ، وعطف البيان من المنادى المضاف يكون منصوبا تبعاً للفظ المنادى ، سواء أكان عطف البيان مضافا أيضا كالمنادى أم كان مفردا علما ، أما البدل من المنادى فإنه يكون كمنادى مستقل بسبب كون البدل على نية تكرار العامل ، فكأن حرف النداء قد ذكر مع البدل ، ومعنى أنه يكون كمنادى مستقل أنه لو كان مضافا نصب ، ولو كان مفرداً علماً بنى على الضم ، فلو أنك جعلت « عبد شمس» بدلا لصح فى حد ذاته ، لكن يصبح قوله : « ونوفلا » خطأ ، لأنه كان يجب أن يأتى به مضموما لكونه مفرداً علماً ، فلما لزم على جعل « عبد شمس » بدلا أن يصير قوله : « ونوفلا » خطأ ، ولم يلزم على جعل « عبد شمس » عطف بيان شىء من ذلك لزم أن يتعين فى « عبد شمس » أن يكون عطف بيان تصحيحاً للكلام على ما تقتضيه قواعد العربية ، ومعنى هذا أن المانع من جعل «عبد شمس» بدلا عارض خارج عنه وهو عطف الاسم المنصوب — مع أنه مفرد علم — عليه ، فلو أن الشاعر أتى بالمعطوف بالواو مضموما لكان بدلا ، ولو أنه أتى بالمعطوف بالواو مضافا كالمعطوف عليه لجاز الوجهان : البدل ، وعطف البيان ، وهذا واضح غاية الوضوح مما قررناه لك .

٨١٨ — هذا بيت من الوافر للمرار بن سعيد الفقعسى ، وبعده قوله :

عَلَاهُ بِضَرْبَةٍ بَعَثَتْ بِلَيْلٍ نَوَائِحَهُ وَأَرْخَصَتِ الْبُضُوعَا

وَقَادَ الْخَيْلَ عَائِدَةً لِكَلْبٍ تَرَى لِوَجِيفِهَا رَهَجًا سَرِيعَا

عَجِبْتُ لِقَائِلِينَ صَهٍ لِقَوْمٍ عُلَاهُمْ يَفْرَعُ الشَّرَفَ الرَّفِيعَا

... ...

وكان خالد بن نضلة الفقعسى — وهو أحد أجداد المرار الفقعسى — قد ساق جيشاً إلى القلاب — بضم القاف ، بزنة الغراب ، وهو جبل فى ديار بنى أسد — وقتل فى هذا اليوم بشر بن عمرو بن مرثد سيد بنى أسد ، وهم من بكر ، وهو زوج الخرنق بنت بدر بن هفان ابن مالك بن ضبيعة ، التى هى أخت طرفة بن العبد البكرى لأمه ، وفى مقتله تقول زوجه الخرنق ترثيه :

لَقَدْ أَقْسَمْتُ آسَى بَعْدَ بِشْرٍ ... عَلَى حَىٍّ يَمُوتُ وَلا صديقِ
وَبَعْدَ الخَيْرِ عَلْقَمَةَ بْنِ بِشْرٍ ... كَمَا مالَ الجُذُوعُ مِنَ الحَرِيقِ
فَكَمْ بِقُلاَبَ مِنْ أَوْصَالِ خِرْقٍ ... أَخِى ثِقَةٍ وَجُمْجُمَةٍ فَلِيقِ
نَدَامَى لِلْمُلُوكِ إِذَا لَقُوهُمْ ... حُبُوا وَسُقُوا بِكَأْسِهِمُ الرَّحِيقِ

والمرار يقول كلمته التى منها بيت الشاهد يفخر بأن جده خالد بن نضلة قد قتل بشرا هذا ، وإن كان ليس هو الذى تولى قتله ؛ لكونه هو الذى قاد جموع بنى فقعس فى هذا اليوم .

اللغة : « التارك » اسم فاعل ، فعله « ترك يترك » من باب نصر — ومعناه هنا صير « البكرى » المنسوب إلى بكر بن وائل وهى قبيلة مشهورة « بشر » أراد به بشر بن عمرو بن مرثد « ترقبه » تترقبه وتنتظره ، وأراد أن الطير لما رأت الجيشين يتحاربان علمت من أول الأمر أن الدائرة تكون على بشر وقومه ، فانتظرت موته لتأكله ، وهذا نظير قول النابغة الذبيانى :

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا ... جُلوسَ الشيُوخِ فى ثِيَابِ المرانِبِ
جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ ... إذا ما الْتَقَى الجَمْعَانِ أَوَّلُ غالِبِ
لَهُنَّ عليهِمْ عادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا ... إذا عُرِضَ الخَطِّىُّ فَوْقَ الكَوَاثِبِ

وقد روى بعض الناس فى بيت المرار « عليه الطير تركبه » ويظهر لى أنه لم يعرف المعنى من « ترقبه » فحوله إلى « تركبه » وذلك نظير ما فهمه العينى من هذه الكلمة ، حيث زعم أن الطير رأته جريحا فانتظرت خروج روحه لتقع عليه ، وهو معنى غث سقيم لا يلتئم مع ما تقصده العرب من المعانى « وقوعا » هو جمع واقع ، تقول : « وقع الطائر يقع » تريد أنه نزل ، وجعله قوم منهم الصبان مصدرا « علاه بضربة بعثت بليل — البيت » النوائح : جمع نائحة ، وهى الباكية ، تقول : « ناحت المرأة تنوح نوحا ونواحا » تريد : بكت مع صوت ، والبضوع : يجوز

... ...

فى هذا اللفظ أن يكون جمع بضعة — بفتح فسكون — وهى القطعة من اللحم ، ومعنى العبارة على هذا : أن هذه الضربة جعلت لحم الأبطال رخيصا لا قيمة له ، لأنها جندلتهم وصرعتهم ، ويجوز أن يكون جمع بضع — بضم فسكون — وأصله فرج المرأة ، وأراد به المرأة نفسها ، ومعنى العبارة على هذا : أن هذه الضربة جعلت نساء حيه رخيصات القدر ، لأنها سبتهن وأوقعتهن فى حوزة أعدائهن « وقاد الخيل عائدة لكلاب — البيت » الوجيف — بفتح الواو — العدو والسير السريع ، والرهج — بفتح الراء والهاء جميعا — الغبار « يفرع الشرف » أى يسمو عليه ويزيد ارتفاعه على ارتفاعه .

الإعراب : « أنا » ضمير منفصل مبتدأ مبنى على السكون فى محل رفع « ابن » خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف ، و « التارك » مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، وهو مضاف و « البكرى » مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « بشر » عطف بيان على البكرى ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « عليه » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « الطير » مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب مفعول ثان للتارك ، ومفعوله الأول هو قوله البكرى الذى وقع مضافا إليه ، فإن هذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله « ترقبه » ترقب : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى الطير ، وضمير الغائب العائد إلى بشر مفعول به مبنى على الضم فى محل نصب « وقوعا » حال من الضمير المستتر فى ترقب .

الشاهد فيه : قوله : « التارك البكرى بشر » حيث يتعين فى قوله : « بشر » أن يكون عطف بيان على قوله : « البكرى » ولا يجوز أن يجعل بدلا ، والسر فى ذلك أن البدل على نية تكرار العامل ، والعامل فى قوله : « البكرى » هو قوله : « التارك » ؛ لأن التارك مضاف والبكرى مضاف إليه ، ولا يصح أن يكون التارك مضافا إلى بشر عند جمهور النحاة ، من قبل أن الاسم المحلى بأل لا تجوز إضافته إلا إلى المحلى بأل : كالجعد الشعر ، والحسن الوجه ، والضارب اللص ، أو إلى اسم مضاف إلى محلى بأل : كالحسن تقاسيم الوجه ، والضارب رأس الجانى ، فأما إضافة المحلى بأل إلى العلم غير المقرون بأل : كالضارب زيد ، فلا يجوّزها جمهور النحاة ، وجوزها الفراء ، فإن أردت أن تأخذ بمذهبه جاز لك أن تجعل قوله : « بشر » بدلا من البكرى ، ولكنه مذهب ضعيف ليس له مستند من القياس أو النص ، ولهذا ترى ابن مالك يقول :

* وليس أن يبدل بالمرضى *

فبشرٍ: عطف بيان من البكرى . (ولَيْسَ أنْ يُبْدَل) منه (بِالْمَرْضِيِّ) لامتناع « أنا الضاربُ زيدٍ » نعم الفراء يُجيزه ، فيُجيزُ الإبدال .

﴿ تنبيه ﴾ : يتعين أيضاً العطفُ ، ويمتنع الإبدال فى نحو: «هِنْدٌ ضَرَبْتُ زَيْدًا أخاها» و «زيدٌ جاء الرَّجُلُ أَخُوهُ» لأن البدل فى التقدير من جملة أخرى فيفوت الرَّبْطُ من الأولى ، بخلاف العطف .

﴿ خاتمة ﴾ : يفارق عطف البيان البدلَ فى ثمان مسائل :

الأولى : أن العطف لا يكون مُضْمَرًا ولا تابعاً لمضمر ؛ لأنه فى الجوامد نظيرُ النعتِ فى المشتق ، وأما قول الزمخشرى: إن « أنِ اُعْبُدُوا اللهَ » بيانٌ للهاء فى « إلاَّ ما أَمَرْتَنى بِهِ » فمردود .

الثانيـة : أن البيان لا يخالف متبوعَه فى تعريفه وتنكيره كما مرّ .

الثالثـة : أنه لا يكون جملة ، بخلاف البدل ، فإنه يجوز فيه ذلك ، كما سيأتى .

الرابعـة : أنه لا يكون تابعاً لجملة ، بخلاف البدل .

الخامسة : أنه لا يكون فعلا تابعاً لفعل ، بخلاف البدل .

السادسة : أنه لا يكون بلفظ الأول ، بخلاف البدل ؛ فإنه يجوز فيه ذلك بشرطه الذى ستعرفه فى موضعه ، هكذا قال الناظم وابنه ، وفيه نظر .

السابعة : أنه ليس فى نية إحلاله محلّ الأول ، بخلاف البدل .

الثامنة : أنه ليس فى التقدير من جملة أخرى ، بخلاف البدل .

وقد مرّ قريباً ما يَنْبَنِى على هاتين ، وسيأتى بيان ما يختص بالبدل فى بابه إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

والفيصل فى هذه المسألة أنه كلما صح لك أن تضع التابع فى موضع المتبوع وأمكن الاستغناء عنه فإنه يجوز لك فى إعرابه وجهان : أن تجعله بدلا ، وأن تجعله عطف بيان ، أما إن لم يمكن الاستغناء عنه ، نحو أن تقول : « بكر زارنى عمرو أخوه » فلا يكون لك إلا أن تجعله عطف بيان ، وإنما لم يصح الاستغناء عن قولك : « أخوه » فى المثال ، لأنك لو حذفته فقلت : « بكر زارنى عمرو » لـكنت قد قلت لغوا ؛ إذ لا رابط بين جملة الخبر التى هى قولك : « زارنى عمرو » والمبتدأ ، وكذا لو لم يصح إحلال التابع محل المتبوع كما فى هذا الشاهد والشاهد الذى قبله .

عطف النسق

(تَالٍ بِحَرْفٍ مُتْبِعٍ عَطْفُ النَّسَقْ) فتالٍ - أى تابع - جنسٌ يشمل جميع التوابع ، و « بحرف » يُخْرِج ما عدا عطف النسق منها ، و« مُتْبِع » يخرج نحو : «مَرَرْتُ بغَضَنْفَرٍ أى أسدٍ » ، فإن أسداً تابع بحرف ، وليس معطوفاً عطف نَسَق ، بل بيان ؛ لأن أى ليست بحرف مُتْبِع على الصحيح ، بل حرف تفسير ، وخلصَ التعريفُ للعطف بالحروف الآتى ذكرها (كاخْصُصْ بِوُدٍّ وَثَنَاء مَنْ صَدَقْ) فثناء : تابع لود بالواو ، وهى حرف مُتْبِع .

(فالعَطْفُ مُطْلَقاً بِوَاوٍ) و (ثُمَّ) و (فا) و (حتَّى) و (أَمْ) و (أَوْ) فهذه الستة تُشَرِّكُ بين التابع والمتبوع لفظاً ومعنى ، وهذا معنى قوله : مطلقاً (كَفِيكَ صِدْقٌ وَوَفا) وهذا ظاهر فى الأربعة الأوَل ، وأما أم وأو فقال المصنف : أكثرُ النحويين على أنهما يُشَرِّكان فى اللفظ ، لا فى المعنى ، والصحيح أنهما يشرِّكان لفظاً ومعنى، مالم يقتضيا إضراباً؛ لأن القائل « أزَيْدٌ فى الدَّارِ أمْ عَمْرٌو » عالم بأن الذى فى الدار أحد المذكورين ، وغيرُ عالم بتعيينه ، فالذى بعد « أم » مُسَاوٍ للذى قبلها فى الصلاحية لثبوت الاستقرار فى الدار وانتفائه وحصولُ المساواةِ إنما هو بأم ، وكذلك « أو » مُشَرِّكة لما قبلها وما بعدها فيما يُجاء بها لأجله ، من شك أو غيره ، أما إذا اقتضيا إضراباً فإنهما يشرِّكان فى اللفظ فقط ، وإنما لم ينبه عليه لأنه قليل .

(وأَتْبَعَتْ لَفْظًا فحَسْبُ) أى فقط - بقيةُ حروفِ العطفِ ، وهى : (بل ولا) و (لكِنْ ، كَلَمْ يَبْدُ امْرُؤٌ لكِنْ طَلاَ) و « قام زيد لاعمرو » و « ما جاء زيد بل عمرو » والطَّلاَ : الولد من ذوات الظِّلْفِ .

﴿ تنبيه ﴾ : اختلف فى ثلاثة أحرف مما ذكره هنا ، وهى : حتى ، وأم ، ولكن .

أما « حتى » فمذهب الكوفيين أنها ليست بحرف عطف ، وإنما يعربون ما بعدها بإضمار .

وأما « أم » فذكر النحاس فيها خلافاً ، وأن أبا عُبَيْدَةَ ذهب إلى أنها بمعنى الهمزة ، فإذا قلت : « أقائم زيد أم عمرو » فالمعنى : أعمرو قائم ؟ فتصير على مذهبه استفهامية .

وأما « لـكن » فذهب أكثر النحويين إلى أنها من حروف العطف ، ثم اختلفوا على ثلاثة أقوال : أحدها : أنها لاتكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو ، وهو مذهب الفارسى وأكثرِ النحويين ، والثانى : أنها عاطفة ولا تستعمل إلا بالواو ، والواوُ مع ذلك زائدة ، وصححه ابن عصفور ، قال : وعليه ينبغى أن يحمل مذهب سيبويه والأخفش ؛ لأنهما قالا : إنها عاطفة ، ولما مَثَّلاَ للعطف بها مَثَّلاه بالواو ، والثالث : أن العطف بها ، وأنت مُخير فى الإتيان بالواو ، وهو مذهب ابن كَيْسان .

وذهب يونس إلى أنها حرفُ استدراك ، وليست بعاطفة ، والواو قبلها عاطفة لما بعدها على ما قبلها عَطْفَ مفردٍ على مفردٍ .

ووافق الناظم هنا الأكثرين ، ووافق فى التسهيل يونس ، فقال فيه : وليس منها لـكن ، وفاقاً ليونس اه .

(فاُعْطِفْ بِوَاوٍ لاحِقاً أوْ سَابِقاَ فى الحُـكمِ أوْ مُصاَحِباً مُوافِقاَ)

فالأول نحو : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ » والثانى نحو : « كَذٰلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ » والثالث نحو : « فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ » وهذا معنى قولهم : الواو لمطلق الجمع .

وذهب بعض الـكوفيين إلى أنها ترَتِّبُ ، وحُـكى عن قطْرُب وثعلب والرَّبَعِىِّ ، وبذلك يُعْلم أن ما ذكره السيرافى والسهيلى من إجماع النحاة بَصْرِيِّهِمْ وكوفِيِّهِمْ على أن الواو لا تُرَتِّبُ غير صحيح .

﴿ تنبيه ﴾ : قال فى التسهيل : وتنفرد الواو بكون مُتْبَعِها فى الحـكم محتملا للمعية برُجْحان ، وللتأخر بكثرة ، وللتقدم بقلة .

(وَاْخْصُصْ بِها) أى بالواو (عَطْفَ الَّذِى لا يُغْنِى * مَتْبُوعُهُ) أى لا يكتفى الـكلامُ

به (كاصْطَفَّ هٰذا وَأَبْنِي) و« تخاصمَ زيدٌ وعمرٌو » ، و « جلستُ بينَ زيدٍ وعمرٍو » ، ولا يجوز فيها غير الواو . وأما قوله :

٨١٩ — * بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ *

٨١٩ — هذه قطعة من بيت من الطويل ، وهو بتمامه :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وهذا البيت مطلع معلقة امرئ القيس بن حجر الكندى ، وقد سبق الاستشهاد بعدة أبيات منها ، وسيأتى الاستشهاد بأبيات أخرى منها ، ومنها بيت يأتى قريبا فى هذا الباب .

اللغة : قال أبو جعفر النحاس فى شرح المعلقات : « السقط : ما تساقط من الرمل ، واللوى : منقطع الرمل حيث يدق ، والدخول وحومل : موضعان ، فهذا ما فيه من الغريب ، وأما ما فيه من النحو فإن أكثر أهل اللغة يقولون : إن قوله قفا إنما يخاطب به واحدا ، كقوله :

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَهُ ... كَلَمْعِ الْيَدَيْنِ فى حَبِيٍّ مُكَلَّلِ ؟

وحكى عن بعض فصحاء العرب : يا حرسى اضربا عنقه ، وزعموا أن قول الله جل ثناؤه : (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) مخاطبة للملك ، وهذا شىء ينكره حذاق البصريين ؛ لأنه إذا خاطب الواحد مخاطبة الاثنين وقع الإشكال ، والذى يذهب إليه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد أن قوله جل ثناؤه : (ألقيا فى جهنم) تثنية على التوكيد تؤدى عن معنى : ألق ، ألق ، وكذلك تقول فى قفا : إنه يؤدى عن قف قف ، وكان أبو إسحاق الزجاج يخالفه فى هذا ، ويقول فى قوله عز وجل : (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد) إنه مخاطبة للملكين وهما : السائق والشهيد ، وكذلك قفا نبك إنما يخاطب صاحبيه ، وقوله نبك مجزوم لأنه جواب الأمر ، وفيه من النحو أيضا قوله : بين الدخول فحومل ، لأنه لا يجوز أن تقول : المال بين زيد فخالد ، لأن بين إنما يقع معها الواو ؛ لأنك إذا قلت : المال بين زيد وعمرو ؛ فقد احتويا عليه ، فهذا موضع الواو لأنها للاجتماع ، وإن جئت بالفاء وقع التفريق فلم يجز ، وعلى هذا كان الأصمعى يرويه بين الدخول وحومل ؛ فأما الاحتجاج لمن رواه بالفاء فلأن هذا ليس بمنزلة قولك : المال بين زيد فعمرو ؛ لأن الدخول موضع يشتمل على مواضع ، فلو قلت : عبد الله بين الدخول ، تريد مواضع الدخول — تم الكلام ، كما تقول : دربنا بين مصر ، وعلى هذا قوله : بين الدخول ، ثم عطف بالفاء وأراد بين مواضع الدخول وبين مواضع حومل ، ولم يرد موضعا بين الدخول وحومل » اه بحروفه . وقال أبو زكريا التبريزى : « السقط : ما تساقط من الرمل ، وفيه ثلاث لغات : كسر السين ، وفتحها ، وضمها ،

... ...

والوى : حيث يسترق الرمل فيخرج منه إلى الجدد ، وقوله قفا فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون خاطب رفيقين له ، والثانى : أن يكون خاطب رفيقا واحدا لأن العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين ، قال الله تبارك وتعالى مخاطبا الملك : (ألقيا فى جهنم) وقال الشاعر :

فإنْ تَزْجُرانى يا أبْنَ عَفَّانَ أنْزَجِرْ ؛ وَإنْ تَدَعانى أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعاَ
أَبيتُ عَلَى بابِ القَوَافِى كأنَّما أُصادِى بِهاَ سِرْباً مِنَ الْوَحْشِ نُزَّعاَ

وقال الآخر :

فقُلْتُ لِصَاحِبِى : لا تَحْبِسانَا بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحاَ

والعلة فى هذا أن أقل أعوان الرجل فى إبله وماله اثنان ، وأقل الرفقة ثلاثة ، فجرى كلام الرجل على ماقد ألف منه خطابه لصاحبه ، قالوا : والدليل على ذلك أنه خاطب الواحد ، والبصريون ينكرون هذا ؛ لأنه إذا خاطب الواحد مخاطبته الاثنين وقع الإشكال ، وذهب المبرد فى قوله تعالى : (ألقيا فى جهنم) إلى أنه ثناه للتوكيد ، معناه : ألق [ألق] وخالفه الزجاج فقال : ألقيا مخاطبة الملكين ، وكذلك قفا إنما هو مخاطبة صاحبيه ، والقول الثالث : أنه أراد قفن — بالنون — فأبدل الألف من النون ، وأجرى الوصل مجرى الوقف ، وأكثر مايكون هذا فى الوقف ، ونبك : مجزوم لأنه جواب الأمر ، والجيد أن يقال : نبك جواب شرط مقدر ، كأن التقدير : قفا فإن تقفا نبك ، لأن الأمر لا جواب له فى الحقيقة ، ألا ترى أنك إذا قلت للرجل : أطع الله يدخلك الجنة ، معناه : أطع الله إن تطعه يدخلك الجنة ؛ لأنه لايدخل الجنة بأمرك ، إنما يدخلها إذا أطاع الله؟ وذكرى والذكر واحد ، وقوله «من ذكرى» من تتعلق بنبك ، والباء من قوله : «بسقط اللوى» يجوز أن تتعلق بقفا وبنبك وبمنزل ، وقوله «بين الدخول فحومل» دخول : موضع ، وحومل : موضع آخر ، وكان الأصمعى يرويه بين الدخول وحومل ، ويقول : لا يقال : المال بين زيد فعمرو ، إنما يقال : بين زيد وعمرو ، ومن رواه فحومل — بالفاء — يقول : إن الدخول موضع يشتمل على مواضع ، وكذلك حومل ، فلو قلت : عبد الله بين الدخول — تريد بين مواضع الدخول — لتم الكلام ، كما تقول : دورنا بين مصر ، تريد بين [دور] أهل مصر ، فعلى هذا عطف بالفاء ، وأراد بين مواضع الدخول وبين مواضع حومل » اهـ .

اللغة : « قفا » فعل أمر مبنى على حذف النون ، وألف الاثنين فاعل مبنى على السكون فى محل رفع ، هذا على أنه يخاطب اثنين ، وهو مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد المنقلبة ألفا إجراء للوصل مجرى الوقف ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، ونون التوكيد المنقلبة

... ...

ألفا حرف لامحل له من الإعراب ، على الوجه الآخر «نبك» فعل مضارع مجزوم فى جواب الأمر ، وعلامة جزمه حذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره نحن « من ذكرى » جار ومجرور متعلق بقوله : نبك ، وذكرى مضاف و « حبيب » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة «ومنزل» الواو حرف عطف ، منزل : معطوف على حبيب «بسقط» جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لمنزل ، ويجوز أن يتعلق بقفا وأن يتعلق بنبك ، وسقط مضاف و«اللوى» مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « بين » ظرف متعلق بمحذوف صفة لمنزل ، وهو مضاف و«الدخول» مضاف إليه «فحومل» الفاء حرف عطف، وحومل : معطوف على الدخول .

الشاهد فيه : قوله : « بين الدخول فحومل » ووجه الاستشهاد بهذه العبارة يستدعى أن نقرر لك قاعدتين : أما القاعدة الأولى فهى : أن كلمة بين واجبة الإضافة إلى متعدد ، سواء أكان تعدده بسبب التثنية أو الجمع ، أم كان تعدده بسبب العطف ، فمثال الأول قولك : جلست بين الزيدين ، وقولك : جلست بين الأدباء ، ومثال الثانى قولك : جلست بين زيد وبكر . وأما القاعدة الثانية فهى : أن أصل الفاء العاطفة أن تدل على الترتيب بغير مهلة ، ومعنى الترتيب أن العامل قد وقع معناه على المعطوف عليه أولا ، ووقع على المعطوف بعد وقوعه على المعطوف عليه ، وأن أصل وضع الواو العاطفة الدلالة على أن العامل قد وقع أثره على المعطوف والمعطوف عليه دفعة واحدة ، فإذا قلت : جلست بين زيد فعمرو — بالفاء — كان معناه أن الجلوس قد تم وقوعه أولا بين زيد ثم وقع مرة أخرى بين عمرو ، وهذا كلام لا يتحقق فيه ما تقتضيه كلمة بين من الإضافة إلى متعدد ، إلا أن يكون الواحد الذى أضيف بين إليه ذا أجزاء يصح أن يقع العامل بينها كأن تقول : دارنا بين مصر ، فإن مصر — وإن كانت لفظا مفردا — ذات أجزاء يصح أن تقع الدار بينها ، أما إذا قلت : جلست بين زيد وعمرو — فإن معناه أن الجلوس قد تم بين الاثنين دفعة واحدة ، وهذا معنى يليق بما تقتضيه بين مما ذكرنا ، إذا تقرر لك هذا ، فنقول : كان الأصمعى يقول : أخطأ امرؤ القيس ، وكان من حق العربية عليه أن يقول : بين الدخول وحومل ، وذلك نظرا إلى ظاهر الكلام من أن الدخول اسم مفرد لا تعدد فيه ، وقد عنى العلماء من بعده بتصحيح عبارة امرىء القيس ، فذكروا أن كلمة الدخول لا يراد بها فى هذا الموضع جزئى مشخص لا تعدد فيه ، وإنما يراد أجزاء ذلك المكان ، فكأنه قال : بين أماكن — أو بين أجزاء — الدخول ، ثم عطف عليه اسما آخر بالمعنى الذى أراده من الاسم الأول ، فكأنه قال : فأماكن — أو أجزاء — حومل ، وليس يخفى عليك أن هذا التخريج يصحح لك

فالتقدير بين أماكن الدخول فأماكن حَوْمل ، فهو بمثابة : « اختصم الزيدون فالعمرون » .

(وَالْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ بِاتِّصَالِ) أى بلا مُهلة ، وهو المعبر عنه بالتعقيب ، نحو : « أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ » وكثيراً ما تقتضى أيضاً التسبُّبَ إن كان المعطوفُ جملةً ، نحو : « فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ » .

وأما نحو : « أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا » ، ونحو : « تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ » الحديثَ ؛ فالمعنى : أردنا إهلاكها ، وأراد الوضوء .

القاعدتين جميعاً ، فأنت ترى أن بين قد أضيفت إلى متعدد من النوع الأول الذى ذكرناه فى نوعى التعدد السابقين ، وأنه لامانع حينئذ من العطف بالفاء ، لأن معناها يتحقق بعد هذا التأويل .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : والذى يدلك على أنهم قد يريدون باسم المكان المفرد أجزاءه ومواضعه أنهم ربما جمعوا اسم المكان ، فمن ذلك قول مطرود بن كعب الخزاعى :

مَيْتٌ بِرَدْمانَ ومَيْتٌ بِسَلْمَانَ ومَيْتٌ عِنْدَ غَزَّاتِ
ومَيِّتٌ أَوْجَعَنِى فَقْدُهُ ماتَ بِشَرْقِيِّ الْبُنَيَّاتِ

ردمان : موضع باليمن ، وبه مات المطلب بن عبد مناف ، وسلمان : موضع فى طريق العراق من مكة ، وفيه مات نوفل بن عبد مناف قبل أخيه المطلب ، وكان أخذ حبلا من كسرى لتجار قريش ، وغزات : موضع بديار جذام من مشارف الشام ، وأصله غزة — بالإفراد — ولكنه لما أراد أجزاء البلد ونواحيها جمعه ، وهو موضع الاستشهاد هنا ، وأراد بالميت عند غزات هاشم ابن عبد مناف ، والبنيات : موضع بغربى الحجون ، وأراد بالميت عند شرقى البنيات عبد شمس ابن عبد مناف ، وقبره بالحجون ، ولم يمت بمكة من أبناء عبد مناف غيره ، ومما يدل على أنه أراد بغزات غزة قوله هو نفسه يرثى هاشم بن عبد مناف :

ماتَ النَّدَى بالشَّامِ لمَّا أَنْ ثَوَى فِيهِ بِغَزَّةَ هَاشِمٌ ، لا يَبْعَدِ
لا يَبْعَدَنْ رَبُّ الْفَنَاءِ يَعُودُهُ عَوْدَ السَّقِيمِ يَجُودُ بَيْنَ الْعُوَّدِ

وأما نحو : « فَجَعَلَهُ غُثَاءً » أى جافًا هشيماً « أَحْوَى » أى أسودَ ، فالتقدير : فمضت مدة فجعله غُثاء ، أو أن الفاء نابت عن ثم ، كما جاء عكسه ، وسيأتى .

(وثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ بِانْفِصَالِ) : أى بمُهْلَةٍ وتَرَاخٍ ، نحو: « فأَقْبَرَهُ ثُمَّ إذا شاءَ أَنْشَرَهُ » وقد توضع موضعَ الفاء كقوله :

٨٢٠ — كَهَزِّ الرُّدَيْنِيِّ تَحْتَ الْعَجَاجِ   جَرَى فى الْأَنَابِيبِ ثُمَّ اضْطَرَبْ

---

٨٢٠ — هذا بيت من المتقارب ، وهو من كلام أبى دواد الإيادى — بضم الدال المهملة بعدها واو مفتوحة ، بزنة غراب — واسم أبى دواد جارية بن الحجاج ، وقال الأصمعى : اسمه حنظلة بن الشرقى ، وهذا البيت من كلمة له يصف فيها فرسا ، ومطلعها قوله :

وَقَدْ أَغْتَدِى فى بَيَاضِ الصَّبَاحِ   وَأَعْجَازُ لَيْــــلٍ مُوَلِّى الذَّنَبْ
بِطِرْفٍ يُنَازِعُنِى مَرْسِــــنًا   سَلُوبِ الْمَقَادَةِ مَحْضِ النَّسَبْ

وقبل البيت الشاهد قوله :

وَهَادٍ تَقَدَّمَ لا عَيْبَ فِيـــهِ كَالْجِذْعِ شُذِّبَ عَنْهُ الْكَرَبْ
إِذَا قِيدَ قَحَّمَ مَنْ قَادَهُ   وَوَلَّتْ عَــــلابِيُّهُ وَاجْلَعَبّْ
كَهَزِّ الرُّدَيْنِيِّ تَحْتَ الْعَجَاجِ   جَرَى فى الْأَنَابِيبِ ثُمَّ اضْطَرَبْ
غَدَوْنَا نُرِيدُ بِهِ الْآبِدَاتِ   نُؤَبِّبُهُ مِنْ بَيْنِ هَالٍ وَهَبْ

اللغة : « وقد أغتدى فى بياض الصباح — البيت » يصف أنه يخرج إلى الصيد فى أول النهار قبل أن ينتشر الضياء ، وهذا كقول امرىء القيس :

وَقَدْ أَغْتَدِى وَالطَّيْرُ فى وُكُنَاتِهَا   بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْــكَلِ

وقد جعل أبو دواد لليل أعجازاً وذنباً ، كما أن امرأ القيس قد جعل له صلباً وأعجازاً وكلــكلا ، وذلك فى قوله :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ   عَلَيَّ بأنواعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَــــلِى
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ   وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْــكَلِ

... ...

« بطرف ينازعنى مرسنا — البيت » الطرف — بكسر الطاء المهملة وسكون الراء — الفرس ، والمرسن — بفتح الميم وكسر السين بينهما راء ساكنة — موضع الرسن ، والرسن — بفتح الراء والسين جميعا — الحبل يقاد به الفرس ، وجمعه أرسان وأرسن ، وربما قالوا : المرسن — بكسر الميم وفتح السين — ومعنى قوله : « ينازعنى مرسنا » أنه شديد النشاط قوى الشكيمة ، وقال الجعدى يصف فرسا :

* سَلِسَ المَرْسِنِ كالسِّيدِ الأَزَلّْ *

أراد به أنه سهل القياد ليس بصلب الرأس ، وسلوب القادة : أى طويل القياد ، من قولهم رمح سلب — بزنة كتف — إذا كان طويلا ، ويجمع على سلب بضمتين ، قال الشاعر :

وَمَنْ رَبَطَ الجِحَاشَ فإنَّ فِينَا قَنًا سُلُبًا وَأَفراساً حِسَانَا

ومحض النسب: خالصه ، يعنى أنه ليس هجينا ولا مقرفا « وهاد تقدم لا عيب فيه — البيت » الجذع — بالكسر — أراد جذع النخلة ، وشذب عنه : نحى وأبعد ، والكرب — بفتح الكاف والراء جميعاً — أصول السعف الغلاظ العراض التى تيبس فتصير مثل الكتف ، شبه هادى الفرس — وهو عنقه — بجذع النخلة وقد نحى عنه كل نتوء فيه « إذا قيد قحم من قاده — البيت » قحم من قاده : ندبه فلم يضبط رأسه ، وربما طوح به فى وهدة ، وأصله القحمة — بالضم — وهى المهلكة ، والعلابى : جمع علباء ، وهو عصب العنق ، واجلعب : تعجل ومضى فى السير ، وربما أطلق الاجلعباب على الاضطجاع ، فهو من الأضداد « كهز الردينى تحت العجاج — البيت » الهز : تحريك الشىء بعنف ، والردينى : المنسوب إلى ردينة — بضم الراء وفتح الدال وسكون الياء — وهى امرأة كانت تجيد صنع الرماح وتقويمها ، ويقال : إن زوجها هو سمهر — بزنة جعفر — الذى تنسب إليه الرماح أيضا، فيقال : رماح سمهرية، والعجاج — بفتح العين والجيم بزنة السحاب — هو الغبار الثائر فى المعركة من أثر اضطراب الفرسان وحركتهم ، والأنابيب : جمع أنبوب أو أنبوبة — بضم فسكون — وهو كل ما بين عقدتين من عقد القصب الذى تتخذ منه الرماح ، واضطرب : تحرك بسرعة فى التواء « غدونا نريد به الآبدات — البيت » الآبدات : الوحوش ، واحدها آبدة ، ونؤبه : أراد نثيره ، وأصله: « أب للسير » أى تهيأ ، وهال وهب : من أسماء الأصوات تستعمل فى الزجر ليهب ويسرع .

الإعراب : « كهز » الكاف حرف جر ، وهز : مجرور بالكاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف يقع صفة لمصدر محذوف مأخوذ من قوله « اجلعب »

وأما نحو : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا » ، « ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا » . وقوله :

٨٢١ — إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَٰلِكَ جَدُّهْ

فى البيت السابق على بيت الشاهد ، وكأنه قال : اجلعب اجلعبابا مثل هز الرديني ، وهز مضاف و « الرديني » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « تحت » ظرف متعلق بهز ، وهو مضاف و « العجاج » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « جرى » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره التعذر ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى هز « فى الأنابيب » جار ومجرور متعلق بجرى « ثم » حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « اضطرب » فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وسكن لأجل الوقف وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الرمح ، وجملة اضطرب وفاعله معطوفة بثم على جملة جرى وفاعله .

الشاهد فيه : قوله : « ثم اضطرب » فإن ثم فى هذه العبارة قد خرجت عن أصل وضعها إلى موافقة الفاء فى معناها ؛ ألا ترى أن اضطراب الرمح يقع عقيب اهتزاز أنابيبه من غير مهلة بين الفعلين ؟ ولو بقيت ثم على أصلها لكان المعنى أن الاهتزاز يجرى فى أنابيب الرمح ، ثم تحدث فترة ، ثم يكون اضطراب الرمح بعد هذه الفترة ، وذلك غير مستقيم . هذا توجيه كلام الشارح المحقق ، وهو تابع فيه لابن هشام فى أوضحه ، وفى مغنى اللبيب ، والظاهر أن الأمر ليس على ما ذهبا إليه ، بل الجرى والاضطراب يقعان جميعا فى زمن واحد ، هكذا قال بعض العلماء ، وأجاب عنه الشيخ خالد بأن الترتيب يحصل فى لحظات يسيرة ، وملخص هذا الكلام أن المعترض يرى أن المقام لواو العطف التى تقتضى الجمع مطلقا ، وليس المقام للفاء التى تقتضى أن يحصل الهز أولا فى الأنابيب ، ويعقبه بغير مهلة حصول الاضطراب فى الرمح ، وجواب الشيخ خالد معناه أننا لا نسلم أن المقام لغير الفاء ؛ لأن الترتيب المشروط فى الفاء يحصل فى لحظات يسيرة لا يشعر بها الناظر .

٨٢١ — هذا بيت من الخفيف ، وهو من كلام الحسن بن هانئ ، المعروف بأبى نواس ، وأبو نواس ليس من الشعراء الذين يحتج بشعرهم على مفردات اللغة وقواعد النحو والتصريف ، وإنما يحتج بشعرهم فى علوم المعانى والبيان والبديع ، بل يحتج فى بعض مسائل هذه العلوم بشعر

... ...

الأعاجم ، والمؤلف يذكر هذا البيت تبعاً لغيره من النحاة ، ولعلهم لم يعرفوا قائله ، أو ذكروه على سبيل التمثيل به ، لا على سبيل الاحتجاج ، وبعد البيت الذى أنشده الشارح قوله :

وَأَبُو جَــدِّهِ فَسَادَ إِلى أَنْ ... يَتَلاَقَى نِزَارُهُ وَمَعَــدُّهْ

ثُمَّ آبَاؤُهُ إِلى الْمُبْتَدَا مِنْ ... آدمٍ ، لا أَبٌ وَأُمٌّ تَعُـدُّهْ

يا بْنَ مَحْبُوحَةِ الْبِطاحِ عُبَيْدَ اً ... للهِ غَوْثاً مِنْ مُسْتَغِيثٍ تَوَدُّهْ

فاهْتَبِلْ عِنْدِىَ الصَّنِيعَةَ وَاذْخَرْ ... نِى لِقَوْلٍ أُجِيــدُهُ وَأُجِدُّهْ

وَاُسْتَزِدْنِى إِلى مَكَارِمِكَ الْغُــرِّ وَفَضْلٍ إِلَيْكَ خَيَّمَ مَجْدُهْ

عَبْدَرِىٌّ إِذا انْتَمَى أَبْطَحِىٌّ ... تَالِدٌ نَشْــجُهُ عَتِيقٌ فِرِنْدُهْ

وهذه الكلمة مما مدح به أبو نواس العباس بن عبد الله بن أبى جعفر المنصور .

اللغة : « ساد » ماض من السيادة ، وتقول : « ساد الرجل يسود سيادة » إذا صار ذا مجد وسؤدد وشرف ، وقالوا : « السؤدد مع السواد » يريدون أن السيادة مع كثرة العدد ، ويستعمل « ساد » لازما كما فى هذا البيت ، ويستعمل متعديا أيضا ، فتقول « ساد قومه يسودهم » إذا زاد عليهم فى الشرف والرفعة ، ورأسهم ، واحتمل أعباءهم .

الإعراب : « إن » حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « من » اسم موصول اسم إن مبنى على السكون فى محل نصب « ساد » فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الاسم الموصول ، والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول « ثم » حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « ساد » فعل ماض « أبوه » أبو : فاعل مرفوع بالواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الستة ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد إلى الاسم الموصول مضاف إليه مبنى على الضم فى محل جر « ثم » حرف عطف « قد » حرف تحقيق مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « ساد » فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « قبل » ظرف زمان متعلق بساد منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف ، واسم الإشارة فى « ذلك » مضاف إليه مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، واللام للبعد ، والكاف حرف خطاب «جده» جد : فاعل ساد الأخير مرفوع بالضمة الظاهرة ، وضمير الغائب مضاف إليه .

... ...

الشاهد فيه : قوله : « ثم ساد أبوه ، ثم قد ساد قبل ذلك جده » فإن « ثم » فى هاتين العبارتين لايمكن أن يكون دالا على معناه الأصلى له ، ألا ترى أنه لو كان هذا الحرف دالا على معناه الأصلى لـكان حاصل معنى الـكلام أن سيادة الأب قد حصلت بعد سيادة الابن ، وفى زمان متراخ عن زمان حصول سيادة الابن ، وأن سيادة الجد قد حصلت بعد ما حصلت سيادة الأب بزمان متراخ عن زمان حصول سيادة الأب ، وهذا كلام فاسد من وجهين : الوجه الأول أن وجود الجد سابق على وجود الأب ، ووجود الأب سابق على وجود الابن الممدوح ، فـكيف تحصل سيادة آخرهم وجودا قبل سيادة أولهم وجودا بمدة يقع فيها سيادة ثالث هو الأب مع التراخى بين حصول كل سيادة وأخرى . والوجه الثانى : أن الشاعر يقول : « ثم قد ساد قبل ذلك جده » فبين أن ظرف سيادة الجد قبل ظرف سيادة الأب والابن .

فلما رأى العلماء أن « ثم » فى هذا البيت لا يمكن أن يكون دالا على معناه الذى وضع له تلمسوا له معنى يصح به الـكلام ، وقد أشار الشارح رحمه الله تعالى إلى ثلاثة وجوه كل واحد منها يصحح نظم البيت :

الوجه الأول ــ وهو ما أشار إليه بقوله : « فقيل ثم للترتيب فى الإخبار لاترتيب الحـكم » ــ والمراد من هذا أنا لا نسلم خروج « ثم » عن معناه الذى وضع له ــ وهو الدلالة على الترتيب والتراخى ــ ولـكنا ندعى أن الترتيب على ضربين : أولهما الترتيب فى الوجود بأن يحصل الثانى الذى هو المعطوف فى الخارج بعد حصول الأول الذى هو المعطوف عليه مع التراخى بين الحصولين ، وهذا النوع من الترتيب هو الذى لا يمكن تحقيقه ههنا ، وثانى ضربى الترتيب : أن يكون الغرض تقديم الأول فى الذكر والحديث عنه قبلا للاهتمام به أو لغير ذلك من الأغراض ، ويؤتى بعد ذلك بالثانى ، وإن كان الثانى قد حصل فى الوجود قبل الأول ، وهذا هو المعنى المقصود من « ثم » فى هذا البيت .

وهذا الوجه هو الذى ذهب إليه الفراء فى تخريج البيت ، وهو الذى حكى المثال الذى ذكره الشارح ، وقد اعترض عليه ابن عصفور ، فقال : وما ذكره الفراء ليس بشىء ؛ لأن ثم تقتضى تأخير الثانى عن الأول بمهلة ، ولا مهلة بين الإخبارين .

الوجه الثانى ــ وهو ما أشار إليه الشارح العلامة بقوله : « وقيل : إن ثم بمعنى الواو » ــ وحاصله أنا نسلم أن « ثم » هنا لا تدل على المعنى الذى وضعت له ، وإنما هى هنا بمعنى واو العطف : أى أنها لمطلق الجمع؛ فيعطف بها السابق فى الوجود على المتأخر ، كما فى الأمثلة والشواهد التى ذكرها الشارح فى معنى الواو .

فقيل : ثم فيه لترتيب الإخبار ، لا لترتيب الحكم ، وأنه يقال : بلغنى ما صَنَعْتَ اليوم ثم ما صنعت أمسِ أعْجَبُ ، أى : ثم أخبرك أن الذى صنعته أمسِ أعجبُ ، وقيل : إن ثم بمعنى الواو ، وقيل غير ذلك ، وأجاب ابن عصفور عن البيت بأن المراد أن الجد أتاه السُّؤدد من قِبَلِ الأب ، والأب من قِبَلِ الابن .

﴿ تنبيه ﴾ : زعم الأخفش والكوفيون أن « ثم » تقع زائدة ؛ فلا تكون عاطفة البتَّة ، وحملوا على ذلك قوله تعالى : « حَتَّى إذا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إلاَّ إلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا » .

وهذا الوجه هو جواب الأخفش عن البيت ، قال«ثم هنا بمعنى الواو لمطلق الجمع» ؛ واعترض عليه قوم بأنه لو صح أن ثم تقع موقع الواو لكان يصح أن يقال : اختصم زيد ثم عمرو ، واشترك زيد ثم عمرو ، وما أشبه ذلك مما لا يقع فيه من حروف العطف غير الواو ، وهذا مما أجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يقال ، وقد أجيب عن هذا الاعتراض بما حاصله أنا لا ندعى أن ثم إذا صح فى هذا البيت وقوعها موقع الواو يصح وقوعها فى كل موقع تقع الواو فيه ، ولكن دعوانا أنها تقع موقع الواو فى بعض المواطن ، فلا يلزمنا ما ذكرتموه .

والوجه الثالث ــ وهو الذى أشار إليه الشارح بقوله : « وأجاب ابن عصفور عن البيت ــ الخ» ــ قال ابن عصفور فى شرح الجمل بعد أن ذكر جواب الفراء ، واعترض عليه بما قدمناه ، وأما قول الشاعر : ❊ إن من ساد ثم ساد أبوه ❊

فينبغى أن يحمل على ظاهره ، ويكون الجد قد أتاه السؤدد من قبل الأب ، وأتى الأب من قبل الابن ، وذلك مما قد يتمدح به العرب ، وإن كان الأغلب الأعم فى كلامهم أن يمدحوا بتوارث السؤدد ، ويكون معنى البيت ــ على هذا الوجه ــ كمعنى قول ابن الرومى يمدح أبا الصقر :

قالوا: أَبُوالصَّقْرِ مِنْ شَيْبَانَ، قُلْتُ لَهُمْ: كَلاَّ لَعَمْرِى ، وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ
فَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلاَ بِابْنٍ ذُرَا شَرَفٍ ؟ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ عَدْنَانُ

وأنت لو تدبرت فى هذا الجواب وجدته غير صالح ، وعبارة البيت نفسه تنادى بعدم صلاحيته ألا ترى أن الشاعر يقول : « ثم قد ساد قبل ذلك جده » فصرح بأن سيادة الجد حاصلة قبل حصول سيادة الأب ، فكيف تأتيه السيادة من جهة الأب قبل حصول سيادة الأب؟ وللعلامة الصبان جواب عن هذا الاعتراض لا نرى أن نذكره لك لأنا لا نقره ، ولا نظن أحدا يقره عليه .

جعلوا : « تَابَ عَلَيْهِمْ » هو الجواب ، وثم زائدة ، وقول زُهير :

٨٢٢ — أَرَانى إذا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ ذا هَوًى

فَثُمَّ إذا أَمْسَيْتُ أَمْسَيْتُ غَادِيَا

وخُرِّجَتِ الآية على تقدير الجواب ، والبيت على زيادة الفاء .

* * *

---

٨٢٢ — هذا بيت من الطويل، وهو من قصيدة لزهير بن أبى سلمى المزنى ، وبعض الناس ينسبها لصرمة بن أبى أنس (ويقال : صرمة بن أنس) الأنصارى ، وهى ثابتة فى نسخ ديوان زهير التى بين أيدينا على تعددها واختلاف رواتها وشراحها ، وأولها :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هلْ يرَى النَّاسُ ماأَرَى ... مِنَ الْأمْرِ أَوْ يَبْدُو لَهُمْ ما بَدَا لِيَا

بَدَا لِيَ أَنَّ النَّاسَ تَفْنَى نُفُوسُهُمْ ... وَأَمْوالُهُمْ ، وَلا أَرَى الدَّهْرَ فَانِيَا

وَإِنِّى مَتى أَهْبِطْ مِنَ الْأَرْضِ تَلْعَةً ... أَجِدْ أَثَراً قَبْلِى جَدِيدًا وَعافِيَا

أرانى إذا ما بِتُّ بِتُّ ذا هَوًى ... فَثُمَّ إذا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا

إلى حُفْرَةٍ أَهْوِى إِلَيْهَا مُقِيمَةٍ ... يَحُثُّ إِلَيْهَا سَائِقٌ مِنْ وَرائِيَا

بَدَا لِيَ أَنِّى عِشْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً ... تِبَاعاً وَعَشْراً عِشْتُهَا وَثَمانِيَا

كَأَنِّى وَقَدْ خَلَّفْتُ تِسْعِينَ حِجَّةً ... خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنْكِبَيَّ رِدائِيَا

بَدَا لِيَ أَنَّ اللهَ حَقٌّ ، فَزَادَنِى ... إلى الْحَقِّ تَقْوَى اللهِ ما قَدْ بَدَا لِيَا

بَدَا لِيَ أَنِّى لَسْتُ مُدْرِكَ ما مَضَى ... وَلا سَابِقٍ شَيْئًا إذا كانَ جائِيَا

وَما إنْ أَرَى نَفْسِى تَقِيهَا كَرِيمَتِى ... وَما إنْ تَقِى نَفْسِى كَرِيمَةُ مالِيَا

أَلاَ لا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيا ... وَلا خَالِداً إلاَّ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا

وَإلاَّ السَّمَاءَ والْبِلاَدَ ورَبَّنَا ... وأَيَّامَنَا مَعْدُودَةً واللَّيَالِيَا

أَرَانى إذا ما شِئْتُ لاقَيْتُ آيَةً ... تُذَكِّرُنى بَعْضَ الَّذِى كُنْتُ نَاسِيَا

... ...

اللغة : « ألا ليت شعرى هل يرى الناس ماأرى — البيت » معنى هذا البيت : هل يرى الناس من الرشد مثل الذى أراه ، وهل يظهر لهم مثل ما يظهر لى من أن كل حى مصيره إلى الموت ؟ « بدا لى أن الناس تفنى نفوسهم — البيت » هذا بيان لما تمنى أن يظهر للناس مثل ما ظهر له فى البيت الأول ، وبدا : ظهر ، وتفنى نفوسهم : أى أنهم يموتون ، وتقول : فنى يفنى — بزنة رضى يرضى — وربما قال بعض العرب فنى يفنى — مثل أبى يأبى — وربما جاء فنى بمعنى كبر ، ومنه قول لبيد بن ربيعة :

حَبَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ بِسَبِيلِهِ وَيَفْنَى إذا ما أَخْطَأَتْهُ الْحَبَائِلُ

يريد أنه إذا أخطأه الموت كبر ، وقوله : « ولا أرى الدهر فانيا » هذا الكلام إذا فهم على ظاهره كان معناه أنه يرى بقاء الزمن وأنه لا يفنى ؛ فيكون إنكارا للبعث ، لكن المعروف عن زهير أنه كان ممن يرى البعث بعد الموت ، وأنه أوصى بنيه أن يؤمنوا بالنبى إذا هم أدركوه ، فالأولى أن يفسر الدهر فى هذا البيت على أنه أراد به الله تعالى على نحو ما جاء فى الحديث « لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله » ويكون المعنى : إن كل شىء فى هذه الحياة الدنيا يصير إلى الفناء والذهاب وإن الباقى الذى لا يفنى هو الله « وأنى متى أهبط من الأرض تلعة — البيت » التلعة — بفتح التاء المثناة وسكون اللام — هى مجرى الماء من الجبل إلى الأرض ، والأثر — بالتحريك — ما يبقى فى أماكن نزول القوم وسكناهم مما يدل عليهم ويكون شاخصا : أى بارزا ، والعافى : الدارس البالى « أرانى إذا ما بت بت على هوى — البيت » أراد بقوله « بت على هوى » بت على أمر أريده وأتمناه وأهوى حصوله ، فإذا أصبحت جاء أمر لم يكن فى الحساب غير الذى بت عليه ، والمراد أن له حاجة لا تنقضى ، وقال أبو سعيد السيرافى فى قوله : « فثم إذا أصبحت » : والعربية لا تحتمل ذلك ، لأنه جمع بين حرفى عطف ، والصواب عندى فثم — بفتح الثاء ، على أنه اسم إشارة للمكان — أى فى ذلك المكان ، وقد روى الأعلم هذا البيت على وجه آخر ، وهو :

أَرَانى إذا ما بِتُّ بِتُّ عَلَى هَوًى وأَنِّى إذا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غادِيَا

وقال فى شرحه : « بت على هوى : أى أن لى حاجة لا تنقضى أبداً ؛ لأن الإنسان ما دام حياً فلابد من أن يهوى شيئاً ويحتاج إليه « إلى حفرة أهوى إليها مقيمة — البيت » أهوى : مضارع هوى يهوى — مثل رمى يرمى — أى سقط ، والهاوى : الشىء يسقط من أعلى إلى أسفل ، ووردت هذه الكلمة عند الأعلم « هُدى » بالدال مفتوحة على أنه مضارع مبنى للمجهول من الإهداء ،

... ...

وأراد بالسائق الأجل ، أو الذى يحمل جنازته ، ويروى : « يحث إليها سائق » بياء المتكلم «بدالى أنى عشت تسعين حجة — البيت» تباعا — بكسر التاء — أراد أنها متتابعة يتلو بعضها بعضا « بدا لى أنى لست مدرك ما مضى » بدا لى : ظهر لى ، ويكون معناه أيضا علمت ، وقوله : « ولا سابق » هذه رواية ثعلب ، ويرتفع « شىء » على أنه فاعل بسابق ، ومن الناس من يرويه : « ولا فائتى شىء » وهو بمعناه وإعرابه ، ويروى : « ولا سابق شيئاً » بجر سابق على أنه معطوف على « مدرك » الواقع خبراً لليس فى صدر البيت ، على التوهم : أى على أنه توهم دخول الباء الزائدة فى خبر ليس نظير قول الآخر :

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلا ناعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَا

وقد أنشدناه فى مبحث زيادة الباء فى خبر ليس ونحوها (ج ١ ص ٤٠٨) وعلى هذه الرواية ينتصب « شيئاً » على أنه مفعول به لسابق « وما إن أرى نفسى تقيها كريمتى — البيت » أراد بكريمتى مالى ، يقول : إن الموت نازل بى لا محالة ، لست أقدر على أن أدفعه عن نفسى بأكرم مالى ، ويروى : * وما إن أرى نفسى تقيها كريهتى *

أى شدتى وجرأتى « ألا لا أرى على الدهر باقياً — البيت » الرواسى الثابتة ، واحدها راس ، اسم فاعل من قولهم : « رسا الشىء يرسو » إذا ثبت فى مكانه ولم يزل « أرانى إذا ما شئت لاقيت آية — البيت » الآية : العلامة ، ومعنى قوله : « تذكرنى بعض الذى كنت ناسيا » أننى إذا غفلت عن حوادث الدهر من موت وغيره ونسيتها رأيت آية وعلامة من بعض ما يحدث لغيرى وينوبه وينزل به فتذكرنى ما كنت قد نسيته وغفلت عنه .

الإعراب : « أرانى » أرى : فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب « إذا » ظرفية تضمنت معنى الشرط مبنى على السكون فى محل نصب بأصبحت الثانى « أصبحت » أصبح : فعل ماض مبنى على الفتح المقدر لا محل له من الإعراب ، وتاء المتكلم فاعله مبنى على الضم فى محل رفع ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل جر بإضافة إذا إليها وهى شرط إذا على ماهو معروف « أصبحت » فعل وفاعل ، وهذه الجملة جواب إذا ، والفعل هو الناصب لمحل إذا على ما ذكرناه قبل « ذا » حال من تاء المتكلم منصوب بالألف نيابة عن الفتحة لأنه من الأسماء الستة ، وهو مضاف و « هوى » مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين منع ظهورها التعذر « فثم » الفاء حرف زائد ، وثم : حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « إذا » ظرف تضمن

... ...

معنى الشرط مبنى على السكون فى محل نصب بأمسى الثانى « أمسيت » فعل ماض وفاعله ، والجملة فى محل جر بإضافة إذا إليها « أمسيت » فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها جواب إذا « غاديا » حال من تاء المتكلم فى قوله : أمسيت .

الشاهد فيه : قوله : « فثم » فإن ظاهر البيت أنه قد توالى فيه حرفا عطف ، والمشهور أن معنى كل واحد منهما غير معنى الآخر ، فلا يصلح أن يكون الثانى تابعا للأول ، وقد حاول جماعة من النحاة أن يتلمسوا وجها لتصحيح الكلام : أما الأخفش والكوفيون فزعموا أن « ثم » فى هذا البيت حرف زائد ، وزعموا أن « ثم » تأتى زائدة ، واستدلوا على ذلك بالآية الكريمة التى تلاها الشارح رحمه الله ، قالوا : إن قوله سبحانه (تاب الله) جواب إذا الشرطية ، والجواب لا يقترن بثم إذ لا دلالة لها على التعليل الذى هو قد تفيده الفاء ، فتكون ثم زائدة ، وزعم قوم أن « ثم » فى هذا البيت بمعنى الفاء ، وليست مخالفة لها فى المعنى كما هو المشهور ، فهى بدل منها ، وجعلوا هذا البيت دليلا على صحة الإبدال فى الحروف ، والراجح غير ما ذهب إليه الأخفش والكوفيون وغير ما ذهب إليه هؤلاء ، وحاصله أن الفاء هى الزائدة ، و « ثم » حرف عطف بمعناها المعهود ، وهو الدلالة على الترتيب والتراخى .

فإن قلت : فلماذا كان القول بأن معنى ثم هو معنى الفاء وأن ثم بدل من الفاء مرجوحا ؟ .

قلت : لأن إبدال الحرف من الحرف لم يثبت فى غير هذا البيت فلا يصح أن نحمله عليه ؛ لأنه حمل على ما لا نظير له فى العربية .

فإن قلت : فإذا كان معنى الحرفين واحدا وكان البدل غير جائز لما ذكرت فليكن الثانى توكيدا لفظيا للأول .

قلت : وهذا أيضا لا يصح ؛ لأنك قد عرفت قريبا أن توكيد الحرف غير الجوابى يلزم فيه أن يفصل بين الحرفين بمعمول أولهما ، ولا فاصل هنا بين الحرفين ، وحمله على الشذوذ غير جائز ، لما ذكرنا لك مرارا من أنه لا يصح أن يحمل كلام على وجه شاذ متى وجد محمل سائغ .

فإن قلت : فلماذا كان القول بزيادة الفاء محتملا سائغا راجحا ؟ .

فالجواب عن ذلك أن نقول : إن زيادة الفاء واردة فى كلام العرب فى غير هذا البيت ، وبعضها مطرد مقيس ، وبعضها غير مطرد ولا مقيس ، وننبهك إلى وقوع الفاء زائدة زيادة لازمة بعد « أما » نحو قوله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر) وإلى زيادة الفاء

(وَاخْصُصْ بِفَاءٍ عَطْفَ ما لَيْسَ) صالحاً لجعله (صِلَهْ) لخُلُوِّهِ من العائد (على الّذِى اسْتَقَرَّ أَنَّهُ الصِّلَهْ) نحو : « اللذان يقومان فيغضبُ زيدٌ أخواك » وعكسه ، نحو : « الّذِى يقُومُ أخواكَ فيغضبُ هُوَ زيدٌ » ، فكان الأولى أن يقول كما فى التسهيل : وتنفرد الفاء بتسويغ الاكتفاء بضمير واحد فيما تضمن جملتين ، من صلة أو صفة أو خبر ، ليشمل مسألتى الصلة المذكورتين ، والصفة نحو : « مَرَرْتُ بامْرَأَةٍ تَضْحَكُ فَيَبْكِى زيدٌ » « وبامْرَأَةٍ يَضْحَكُ زيدٌ فتبكى » ، والخبر نحو : « زيدٌ يقومُ فتقعُدُ هند » « وزيدٌ تقعُدُ هندٌ فيقومُ » ومن هذا قوله :

وَإِنْسَانُ عَيْنِي يَحْسُرُ المَاءُ تَارَةً ... فَيَبْدُو ، وَتَارَاتٍ يَجُمُّ فيَغرَقُ[1]

ويشمل أيضاً مسألتى الحال ولم يذكره ، نحو : جاء زيد يضحك فتبكى هند ، وجاء زيد تبكى هند فيضحك ، فهذه ثمانُ مسائل يختص العطف فيها بالفاء دون غيرها ، وذلك لما فيها من معنى السببية .

فى خبر المبتدأ (انظر بحثنا المستفيض فى هذا الموضوع فى آخر باب المبتدأ والخبر فى الجزء الأول من هذا الكتاب) ومما وردت فيه الفاء زائدة غير ما أشرنا إليه قول الشاعر :

يَمُوتُ أُنَاسٌ أَوْ يَشُبُّ فَتَاهُمُ ... ويَحْدُثُ نَاسٌ والصَّغِيرُ فَيَكْبُرُ

أراد : والصغير يكبر ، فزاد الفاء ، ونظيره قول الأسود بن يعفر :

فَلَنَهْشَلٌ قَوْمِى ، وَلِى فى نَهْشَلٍ ... نَسَبٌ ، لَعَمْرُ أَبِيكَ غَيْرُ غلابِ

هذا البيت أول القصيدة فالفاء زائدة فى قوله : « فلنهشل » وقد وردت الفاء زائدة مع « ثم » كما ورد فى البيت المستشهد به ، وذلك فى قول أبى كبير الهذلى :

فَرَأَيْتُ ما فِيهِ فثُمَّ رُزِئْتُهُ ... فَلَبِثْتُ بَعْدَكَ غيْرَ رَاضٍ مَعْمَرِى

وليس يخفى عليك أن كل ما ذكرناه إنما يجرى على رواية من روى « فثم » بضم الثاء على أنها حرف عطف فى الأصل ، فأما من رواه بفتح الثاء على أنها اسم إشارة للمكان بمعنى هنا ، أو رواه « وإنى إذا أمسيت أمسيت غاديا » فلا يجرى شيء من هذا الكلام كله فيه .

(١) سبق شرح هذا البيت فى باب المبتدإ والخبر (انظر الشاهد رقم ١٤٢) .

(بَعْضًا بحَتَّى اعْطِفْ عَلَى كُلٍّ، وَلا يَكُونُ إلاَّ غَايَةَ الّذِى تَلاَ)

أى : للعطف بحتى شرطان :

الأول : أن يكون المعطوفُ بعضاً من المعطوف عليه ، أو كبعضه ، كما قاله فى التسهيل ، نحو : أَكَلْتُ السَّمَكَةَ حتَّى رَأْسَهَا ، وأَعْجَبَتْنِى الجَارِيَةُ حتَّى حَدِيثُهَا ، ولا يجوز : حتى وَلَدُها ، وأما قوله :

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَىْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا[1]

فعلى تأويل ألقَى ما يُثقله حتى نعلَه .

والثانى : أن يكون غايةً فى زيادة أو نقصٍ ، نحو : ماتَ النَّاسُ حتَّى الأَنْبِيَاءُ ، وقَدِمَ الْحُجَّاجُ حتَّى الْمُشَاةُ ، وقد اجتمعا فى قوله :

٨٢٣ — قَهَرْنَاكُمُ حتَّى الْكُمَاةَ فَأَنْتُمُ تَهَابُونَنَا حتَّى بَنِينَا الْأَصَاغِرَا

(١) قد مضى شرح هذا الشاهد شرحا وافيا فى باب حروف الجر ، وهو الشاهد رقم ٥٣٧ فارجع إليه هناك إن شئت ، وقد أنشد الشارح هنا هذا البيت ليبين أن ما بعد حتى فيه — على رواية النصب — بعض ما قبله على التأويل فيه ، وذلك لأن مراد الشاعر أن يقول : ألقى ورمى وطرح كل شىء يثقله حتى نعله ، ولا شك أن النعل بعض ما يثقله ؛ فهو يلقيه ليتخفف ويسرع فى الهرب .

٨٢٣ — هذا بيت من الطويل ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، وهو مما استشهد به ابن هشام فى مغنى اللبيب فى مباحث حتى .

اللغة : « قهرناكم » فعل ماض مأخوذ من القهر — بالفتح — وهو الغلبة : أى غلبناكم « الكماة » بضم الكاف ، بزنة قضاة وغزاة ورماة وبناة وسعاة — جمع كام مثل قاض وغاز ورام وبان وساع ، والمستعمل من هذه المادة هو الكمي — بفتح الكاف وكسر الميم وتشديد الياء — وهو الشجاع المتكمي فى سلاحه : أى المستتر فيه من كثرة ما يلبس منه ، وكأنهم قدروا تحويل كمي إلى كام ثم جمعوه كما يجمع أمثاله ، قال ابن منظور : « وتكمى فى سلاحه : تغطى بها ، والكمى : الشجاع المتكمي فى سلاحه ، لأنه كمى نفسه — أى سترها — بالدرع والبيضة ، والجمع الكماة ، كأنهم جمعوا كاميا مثل قاض وقضاة » اهـ وقول الشاعر فى بيت الشاهد : « تهابوننا » من الهيبة ، وهى هنا الخوف « الأصاغر » جمع أصغر ، وهو أفعل التفضيل من الصغر .

... ...

المعنى : لقد غلبناكم غلبة فائقة واعتلينا بالنصر والقهر عليكم حتى شجعانكم وأبطالكم؛ فصرتم بسبب ما نالكم منا تحذروننا وتخافوننا وتخشون بأسنا حتى إنكم لتخشون أصغر أبنائنا مخافة أن يرديكم .

الإعراب : « قهرناكم » قهر : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره ، ونا : فاعله مبنى على السكون فى محل رفع ، والكاف ضمير المخاطبين مفعول به مبنى على الضم فى محل نصب ، والميم علامة الجمع « حتى » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « الكماة » معطوف على ضمير المخاطب منصوب ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة «فأنتم» الفاء حرف دال على التفريع ، وأنتم : ضمير منفصل مبتدأ « تهابوننا » فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، وواو جماعة المذكرين فاعله مبنى على السكون فى محل رفع ، ونا : مفعوله مبنى على السكون فى محل نصب ، وجملة الفعل المضارع وفاعله ومفعوله فى محل رفع خبر المبتدأ « حتى » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب «بنينا» بنى : معطوف على نا فى قوله «تهابوننا» منصوب وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم ، ونا : مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر «الأصاغرا» نعت لبنى منصوب بالفتحة الظاهرة ، والألف للإطلاق .

الشاهد فيه : قوله : « قهرناكم حتى الكماة » وقوله : « تهابوننا حتى بنينا » فإن ما بعد حتى فى العبارة الأولى غاية لما قبلها فى القوة والزيادة ، وما بعدها فى العبارة الثانية غاية لما قبلها فى النقص والضعف ، فقد اجتمع فى هذا البيت الغايتان ، قال ابن هشام فى مغنى اللبيب : « الثالث من أوجه حتى أن تكون عاطفة بمنزلة الواو ، إلا أن بينهما فرقا من ثلاثة أوجه : أحدها أن لمعطوف حتى ثلاثة شروط : أحدها : أن يكون ظاهرا ، لا مضمرا ، كما أن ذلك شرط مجرورها ، ذكره ابن هشام الخضراوى ، ولم أقف عليه لغيره ، والثانى : أن يكون إما بعضا من جمع قبلها كقدم الحجاج حتى المشاة ، أو جزءا من كل نحو : أكلت السمكة حتى رأسها ، أو كجزء نحو : أعجبتنى الجارية حتى حديثها ، ويمتنع أن تقول : حتى ولدها ، والذى يضبط لك ذلك أنها تدخل حتى حيث يصح دخول الاستثناء ، وتمتنع حيث يمتنع ، ولهذا لا يجوز : ضربت الرجلين حتى أفضلهما ، وإنما جاز * حتى نعله ألقاها * لأن إلقاء الصحيفة والزاد فى معنى ألقى ما يثقله ، والثالث : أن يكون غاية لما قبلها : إما فى زيادة ، أو نقص ، فالأول نحو : مات الناس حتى الأنبياء ، والثانى نحو : زارك الناس حتى الحجامون ، وقد اجتمعا فى قوله :

قَهَرْنَاكُمُ حَتَّى الْكُمَاةَ فَأَنْتُمُ تَهَابُونَنَا حَتَّى بَنِينَا الأصَاغِرَا

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : بقى شرطان آخَرَانِ : أحدُهما أن يكون المعطوف ظاهراً ، لا مضمراً ، كما هو شرطٌ في مجرورها إذا كانت جارة ، فلا يجوز : قامَ النَّاسُ حتَّى أنا ، ذكره ابنُ هشامٍ الخضراوى ، قال في المغنى : ولم أقف عليه لغيره .

ثانيهما : أن يكون مفرداً ، لا جُملة ، وهذا يؤخذ من كلامه ، لأنه لابُدَّ أن يكون جُزْءًا مما قبلها أو كجزء منه ، كما تقدم ، ولا يتأتَّى ذلك إلا في المفردات ، هذا هو الصحيح . وزعم ابنُ السِّيدِ في قول امرئ القيس :

الفرق الثانى : أنها لاتعطف الجمل ، وذلك لأن شرط معطوفها أن يكون جزءاً مما قبلها أو كجزء منه ، كما قدمناه ، ولا يتأتى ذلك إلا في المفردات ، هذا هو الصحيح ، وزعم ابن السيد في قول امرىء القيس :

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَـكِلُّ مَطِيُّهُمْ ... وَحَتَّى الْجِيَادُ ما يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ

فيمن رفع تـكل : أن جملة تـكل معطوفة بحتى على سريت ، الثالث : أنها إذا عطفت على مجرور أعيد الخافض ، فرقا بينها وبين الجارة ، تقول : مررت بالقوم حتى بزيد ، ذكر ذلك ابن الخباز ، وأطلقه ، وقيده ابن مالك بألا يتعين كونها للعطف ، نحو : عجبت من القوم حتى بنيهم ، وقوله :

جُودُ يُمْنَاكَ فَاضَ فى الْخَلْقِ حَتَّى ... بَائِسٍ دانَ بِالإِســـــاءَةِ دِينًا

وهو حسن ، ورده أبو حيان ، وقال في المثال : هى جارة ؛ إذ لا يشترط في تالى الجارة أن يكون بعضا أو كبعض ، بخلاف العاطفة ، ولهذا منعوا : أعجبتنى الجارية حتى ولدها ، وقال في البيت : محتملة . وأقول : إن شرط الجارة التالية مايفهم الجمع : أن يكون مجرورها بعضا أو كبعض ، وقد ذكر ذلك ابن مالك في حروف الجر ، وأقره أبو حيان عليه ، ولا يلزم من امتناع : أعجبتنى الجارية حتى ابنها ، امتناع : عجبت من القوم حتى بنيهم ، لأن اسم القوم يشمل أبناءهم ، واسم الجارية لا يشمل ابنها ، ويظهر لى أن الذى لحظه ابن مالك أن الموضع الذى يصح أن تحل فيه إلى محل حتى العاطفة فهى فيه محتملة للجارة ، فيحتاج حينئذ إلى إعادة الجار عند قصد العطف ، نحو : اعتكفت فى الشهر حتى فى آخره ، بخلاف المثال والبيت السابقين ، وزعم ابن عصفور أن إعادة الجار مع حتى أحسن ، ولم يجعلها واجبة » اهـ . وهذا الكلام هو الذى صدر المؤلف هنا عنه ، وقد أثبتناه برمته لتعرف أصله ولتقف على الخلاف فى المسألة .

٨٢٤ — سَرَيْتُ بِهِمْ حتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ
وَحتَّى الجِيَــــادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسانِ

٨٢٤ — هذا بيت من الطويل ، وهو من قصيدة لامرئ القيس بن حجر الكندى ، وأولها قوله :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ ... وَرَبْعٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْــذُ أَزْمَانِ
أَتَتْ حِجَجٌ بَعْدِى عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ ... كَخَطِّ زَبُورٍ فى مَصَاحِفِ رُهْبَانِ
ذَكَرْتُ بِهَا الحَىَّ الجَمِيعَ فَهَيَّجَتْ ... عَقَابِيلَ سُقْمٍ مِنْ ضَمِيرٍ وَأَشْجَانِ
فَسَحَّتْ دُمُوعِى فى الرِّدَاءِ كَأَنَّهَا ... كُلًى مِنْ شَعِيبٍ ذَاتُ سَحٍّ وَتَهْتَانِ
إِذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ ... فَلَيْسَ عَلَى شَىْءٍ سِــوَاهُ بِخَزَّانِ

وقبل البيت المستشهد به هنا قوله :

وَخَرْقٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ مَضَلَّةٍ ... قَطَعْتُ بِسَامٍ سَاهِمِ الوَجْهِ حُسَّانِ
يُدَافِــعُ أَعْطَافَ المَطَايَا بِرُكْنِهِ ... كَمَا مَالَ غُصْنٌ نَاعِمٌ بَيْنَ أَغْصَانِ
وَمَجْرٍ كَغُــلَّانِ الأُنَيْعِمِ بَالِغٍ ... دِيَارَ العَــدُوِّ ذِى زُهَاءٍ وَأَرْكَانِ
سَرَيْتُ بِهِمْ حتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ ... وَحتَّى الجِيَادُ ... البيت ، وبعده :
وَحَتَّى تَرَى الجَوْنَ الَّذِى كَانَ بَادِنًا ... عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ نُسُورٍ وَعِقْبَانِ

اللغة : « قفا » قد مضى شرح هذه العبارة من قول امرئ القيس فى شرح الشاهد رقم (٨١٩) « ذكرى » بكسر الذال المعجمة وسكون الكاف وآخره ألف مقصورة — بمعنى التذكر ، وعرفان — بكسر العين وسكون الراء المهملتين — مصدر بمعنى المعرفة ، وربع : يروى فى مكانه « ورسم » والربع — بالفتح — المنزل ، وقد يخصونه بما ينزل فيه القوم وقت الربيع ، والرسم : ما بقى من آثار الديار لاطئا ولاصقا بالأرض ، وعفت : درست وامحت ، وآياته : جمع آية ، وهى العلامة « أتت حجج بعدى عليها فأصبحت — البيت » الحجج — بكسر ففتح — جمع حجة ، وهى السنة أو الحال ، والزبور — بفتح الزاى ، بزنة رسول — الكتاب ، والمصاحف : جمع مصحف ، وهو الكتاب أيضا ، والرهبان : جمع راهب ، وهو العابد من عباد النصارى ، وقد كثر فى شعر العرب تشبيه آثار الديار بالكتابة فى الصحف ، ومنه قوله :

.. ..

عَرَفْتُ الدِّيارَ كَرَقْمِ الدُّوِىْ يُزَبِّرُهَا الْـكاتِبُ الحِمْيَرِىْ

« ذكرت بها الحى الجميع فهيجت — البيت » الحى : أراد القوم الذين كانوا يحلونها ، والجميع : أراد المجتمعى الشمل . وهيجت : أثارت ، والضمير المستتر يعود إلى الديار أو الآيات ، وعقابيل سقم : أراد بقايا داء دفين ومرض قديم العهد ، والأشجان : جمع شجن ، وهو الحزن « فسحت دموعى فى الرداء كأنها — البيت » سحت : همت وهطلت وانصبت وسالت ، وأراد بقوله : « كأنها كلى من شعيب » أنها تشبه رقعا فى مزادة (قربة) بالية قد تقطعت جوانبها وانشعبت ، والتهتان — بفتح التاء وسكون الهاء — مصدر « هتن المطر » أى دام نزوله وتوالى وتتابع « إذا المرء لم يخزن عليه لسانه — البيت » يخزن لسانه : أراد يمسك لسانه عن الـكلام « وخرق كجوف العير قفر مضلة — البيت » الخرق — بفتح الخاء وسكون الراء — الفلاة ، سميت بذلك لأن الرياح تتخرق فيها ، وقوله : « كجوف العير » أراد به أنها خالية لا أنيس بها ، وقفر — بفتح فسكون — موحشة ، ومضلة — بفتح الميم والضاد — يضل السالك فيها ؛ لأنها غير ذات أعلام للهداية ، وقطعت : أراد أنه جاب هذه الفلاة وسار فيها ، وساهم : هو الفرس العالى الشرف ، وساهم الوجه : متغيره ، أو لحمه قليل ، وحسان — بضم الحاء وتشديد السين المهملتين — غاية فى الحسن « يدافع أعطاف المطايا بركنه — البيت » يدافع : أراد يدفع ، والأعطاف : جمع عطف — بالـكسر — وهو الجانب والناحية ، وركنه : منكبه ، وأراد أنه يسبق المطايا السائرة فكلما مر بإحداهن دفع فى جانبها بمنكبه لتخلى له الطريق «ومجر كغلان الأنيعم بالغ — البيت » المجر — بفتح الميم وسكون الجيم — الجيش الـكثير العدد ، والأنيعم : اسم مكان يقول فيه حضرمى بن عامر الأسدى :

لَقَدْ شاَقَنِى لَوْلا الحَيَاءُ مِنَ الصِّبَا لِمَيَّةَ رَبْعٌ بِالْأُنَيْعِمِ دارِسُ

والغلان — بضم الغين المعجمة وتشديد اللام — نبت ، واحده غال ، وقال مضرس ابن ربعى الأسدى :

وَلَمْ أَنْسَ مِنْ رَيَّا غَدَاةَ تَعَرَّضَتْ لَنَا دُونَ أَبْوابِ الطِّرافِ مِنَ الْأَدَمْ
تَعَرُّضَ حَوْراءِ المَدَامِعِ تَرْتَعِى تِلاَعاً وَغُلاَّناً سَوائِلَ مِنْ رَمَمْ

« سريت بهم حتى تـكل مطيهم — البيت » سريت : أصله بمعنى سرت ليلا ، وأراد هنا مجرد السير ، ويروى فى مكانه « مطوت بهم » ومعناه سرت بهم سيرا سريعا ، وتـكل : تعى

... ...

وتتعب ، والمطى : جمع مطية ، وهى الدابة التى تركب مطلقا ، سميت بذلك لأنها تمطو فى سيرها : أى تسرع ، فهى على هذا فعيلة بمعنى فاعلة ، أو لأن الراكب يقتعد مطاها أى ظهرها ، فهى على هذا فعيل : بمعنى مفعولة ، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية ، والجياد : أراد الخيل ، وما : نافية ، ومعنى « ما يقدن بأرسان » أنها من شدة الجرى والتعب قد ذلت وانقادت فلا تحتاج إلى أن تقاد « وحتى ترى الجون الذى كان بادنا — البيت » الجون — بفتح الجيم وسكون الواو — الفرس الأشهب ، هنا ، وبادنا : ضخما ، والعوافى : سباع الطير ، واحدها عافية .

الإعراب : « سريت » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره ، وتاء المتكلم فاعله ضمير مبنى على الضم فى محل رفع « بهم » الباء حرف جر بمعنى مع مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، والضمير العائد على مجر فى البيت السابق ، ومعناه العسكر الكثير العدد ، مبنى على السكون فى محل جر بالباء ، والجار والمجرور متعلق بقوله : سرى « حتى » هى حرف غاية وجر ، إذا رويت « تكل » بالنصب ، و « تكل » فعل مضارع منصوب بأن المضمرة وجوبا بعد حتى ، وأن مع ما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بحتى على تقدير مضاف ، وأصل الكلام على هذا : سريت بهم إلى زمان كلال مطيهم : أى إعيائها ، والجار والمجرور متعلق بقوله «سرى» أيضا ؛ فإن رويت « تكل » بالرفع كانت حتى حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، و « تكل » فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « مطيهم » فاعل بتكل ، وضمير الجر مضاف إليه ، وجملة الفعل المضارع وفاعله معطوفة بحتى على جملة « سريت بهم » وقوله : « وحتى » الواو حرف عطف ، حتى : حرف ابتداء « الجياد » مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة «ما» حرف نفى مبنى على السكون لا محل له من الإعراب «يقدن» فعل مضارع مبنى للمجهول مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة ، ونون النسوة نائب فاعل مبنى على الفتح فى محل رفع « بأرسان » جار ومجرور متعلق بقوله : يقدن ، وجملة يقدن من الفعل المضارع ونائب فاعله فى محل رفع خبر المبتدأ الذى هو قوله : الجياد ، فإن قدرت حتى الأولى حرف غاية وجر ونصبت « تكل » لزم أن تقدر المعطوف بالواو فى قوله : « وحتى الجياد ما يقدن بأرسان » وتقدير الكلام على هذا : سريت بهم حتى كلال مطيهم وسريت بهم حتى الجياد ما يقدن بأرسان . وإنما لزم هذا التقدير على هذا الوجه لئلا تعطف حتى الابتدائية على حتى الغائية ، وهو مما لا يجوز ، أما إن رفعت « تكل » وجعلت جملة « تكل » معطوفة على جملة « سريت بهم » فإن هذا التقدير ليس بلازم ، وتكون جملة « حتى الجياد ما يقدن » معطوفة على الجملة التى قبلها ، لكن فيه عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية ، وهو خلاف الأصل ؛ وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى .

فيمن رفع « تكلُّ » : إن جملةَ « تكلُّ مطيُّهم » معطوفةٌ بحتى على « سَرَيْتُ بهم » .

الثانى : حتى بالنسبة إلى الترتيب كالواو ، خلافاً لمن زعم أنها للترتيب كالزمخشرى ، قال الشاعر :

٨٢٥ — رِجَالِىَ حَتَّى الأَقْدَمُونَ تَمَالَأُوا
عَلَى كُلِّ أَمْرٍ يُورِثُ المَجْدَ وَالحَمْدَا

الشاهد فيه : قوله : « حتى تكل مطيهم » فإن ابن السيد — بكسر السين المهملة — البطليوسى زعم أن « حتى » فى هذه العبارة حرف عطف إذا رفعت « تكل » وقد عطفت جملة « تكل مطيهم » على جملة « سريت بهم » واستدل بهذا على أنه يجوز أن تأتى حتى لعطف جملة على جملة أخرى، قال العلامة الصبان: «والصحيح أنها (أى حتى) ابتدائية فى الموضعين» اه . يريد بالموضعين قوله : « حتى الجياد ما يقدن بأرسان » وهذا لا خلاف فيه ، وقوله : « حتى تكل مطيهم » على رواية الرفع ، وهو الذى خالف فيه ابن السيد البطليوسى، قال ابن الملا فى شرحه على مغنى اللبيب : « ومما يوهى القول بأن حتى ههنا عاطفة أنها لو كانت كذلك لم تقترن فى الجملة الثانية بالواو ؛ لأن العاطف لا يقترن بعاطف آخر ، مع ما فى عطف الاسمية على الفعلية من القبح ، هذا . والمفهوم من كلام الرضى تجويز كونها عاطفة للجمل ، فإنه قال : وكل ما ذكرناه من الأحكام لحتى العاطفة للاسم ، ثم قال : وأما العاطفة للجملة فنحو : نظرت إليه حتى أبصرته ، ويجوز أن يقال: حتى فى هذا المثال ومثله ابتدائية ، وإنها لا تعطف الجمل أبداً » اه كلام ابن الملا الحلبى بحروفه .

٨٢٥ — هذا بيت من الطويل ، وقد بحثت طويلا فلم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : «الأقدمون» يريد بهم الكبار الطاعنين فى السن «تمالأوا» أى اجتمعوا أو تعاونوا « يورث » يكسب « المجد » هو السيادة والشرف « والحمد » الثناء والذكر الجميل وطيب الأحدوثة .

المعنى : أراد أن قومه الكبار الطاعنين فى السن منهم والأحداث والشبان قد توافقوا على الاتسام بسما السيادة ، والاتصاف بصفات السؤدد ، والتطبع بطباع كرام الناس وذوى المنزلة الرفيعة منهم ، وذلك مما يكسبهم المجد والرفعة ، ويعقبهم السيادة وعلو المنزلة بين الناس ، وهو فوق ذلك يجلب لهم طيب الحديث عنهم وثناء الناس عليهم .

الثالث : إذا عُطِفَ بحتى على مجرور، قال ابن عصفور : الأحسن إعادة الجار؛ ليقع الفَرْقُ بين العاطفة والجارة ، وقال ابن الخباز : تلزم إعادته للفرق ، وقيده الناظم بأن لا يتعين كونُها للعطف ، نحو : اعْتَكَفْتُ فى الشهْرِ حتى فى آخِرِهِ ، فإن تعين العطفُ لم تلزم الإعادة ، نحو : عَجِبْتُ مِنَ الْقَوْمِ حتى بَنِيهِمْ ، وقوله :

الإعراب : « رجالى » رجال : مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على الفتح فى محل جر « حتى » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « الأقدمون » معطوف على المبتدإ ، مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم ، والنون عوض عن التنوين فى الاسم المفرد « تمالأوا » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره حركة المناسبة ، وواو الجماعة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع ، وجملة الفعل وفاعله فى محل رفع خبر المبتدأ وما عطف عليه «على» حرف جر «كل» مجرور بعلى ، وهو مضاف و «أمر» مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة «يورث» فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى أمر ، والجملة من الفعل المضارع وفاعله فى محل جر صفة لأمر « المجد » مفعول به ليورث منصوب بالفتحة الظاهرة « والحمدا » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، الحمد : معطوف على المجد منصوب بالفتحة الظاهرة ، والألف للإطلاق .

الشاهد فيه : قوله : « حتى الأقدمون » فإن حتى فى هذه العبارة عاطفة على ما ذكرناه فى إعراب البيت ، والمعطوف بها فى هذا البيت يوجد فى خارج الأعيان قبل الأجزاء الأخرى من المعطوف عليه ، فدل ذلك على أن حتى مثل الواو فى عدم إفادة الترتيب الخارجى ، بل يعطف بها المتقدم فى الوجود الخارجى ، والمتأخر فيه ، والمصاحب لما قبله ، فأما الترتيب الذهنى فلا بد منه ، قال العلامة سعد الدين التفتازانى فى شرحه على التلخيص المعروف بالمطول : « التحقيق أن المعتبر فى حتى ترتيب أجزاء ما قبلها ذهنا من الأضعف إلى الأقوى ، أو بالعكس ، ولا يعتبر الترتيب الخارجى ؛ لجواز أن تكون ملابسة الفعل لما بعدها قبل ملابسة الأجزاء الأخرى ، نحو قولك : مات كل أب لى حتى آدم ، أو فى أثناء ملابسته الأجزاء الأخر نحو قولك : مات الناس حتى الأنبياء ، أو فى زمن واحد نحو قولك : جاءنى القوم حتى زيد ، إذا جاءوك معاً وزيد أضعفهم » اهـ .

٨٢٦ — جُودُ يُمْنَاكَ فَاضَ فِي الْخَلْقِ حَتَّى بَائِسٍ دَانَ بِالْإِسَاءَةِ دِينَا

٨٢٦ - هذا بيت من الخفيف ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

اللغة : « جود » الجود — بضم الجيم — البذل والعطاء والسخاء « يمناك » اليمنى — بضم الياء وسكون الميم وبعد النون ألف مقصورة — هى اليمين ، ويقال للأخرى : اليسرى واليسار « فاض » كثر وزاد حتى عم الناس وانتشر فيهم ، وأصله قولهم : « فاض ماء البحر » إذا زاد عن ارتفاع شاطئه حتى سال على ما حوله « البائس » المحتاج المفتقر ، وهو وصف من البؤس — بالضم — وهو سوء الحال « دان بالإساءة » اتخذ الإساءة ديدناً له وعادة له لا يتحول عنها ولا يتركها .

الإعراب : « جود » مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف ويمنى من « يمناك » مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وهو مضاف والكاف ضمير المخاطب مضاف إليه مبنى على الفتح فى محل جر « فاض » فعل ماض ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود على جود ، والجملة من الفعل الماضى وفاعله فى محل رفع خبر المبتدأ «فى الخلق» جار ومجرور متعلق بقوله فاض «حتى» حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « بائس » معطوف على الخلق ، مجرور بالكسرة الظاهرة « دان » فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى بائس ، والجملة فى محل جر صفة لبائس « بالإساءة » جار ومجرور متعلق بقوله : دان « دينا » مفعول مطلق مؤكد لعامله وهو دان منصوب بالفتحة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « حتى بائس » حيث وردت حتى فى هذه العبارة عاطفة ، وقد عطفت قوله : « بائس » المجرور على قوله : « الخلق » وأنت ترى أن الشاعر لم يعد مع المعطوف العامل فى المعطوف عليه — وهو فى — ولو أنه أعاده لقال : « فاض فى الخلق حتى فى بائس — إلخ » وإنما لم يقل ذلك لأن « حتى » فى هذا البيت تتعين لأن تكون عاطفة ، ولا يجوز فيها أن تكون جارة ، فدل هذا على أنه لا يلزم إعادة العامل مع المعطوف بحتى إلا أن تكون حتى محتملة لأن تكون عاطفة ، ولأن تكون جارة ، فيعاد العامل معها حينئذ إن أريد بها العطف ، أما إذا كانت متعينة لأن تكون عاطفة ، فلا يلزم إعادة العامل ، وهذا ما ذهب إليه ابن مالك رحمه الله .

الرابع : حيث جاز الجر والعطف فالجر أحسن ، إلا فى باب « ضَرَبْتُ القَوْمَ حتى زَيْدًا ضَرَبْتُهُ » فالنصب أحسن على تقدير كونها عاطفة و « ضربته » توكيداً ، أو ابتدائية وضربته تفسير . وقد روى بهما قوله : * حتى نَعْله ألقاها * وبالرفع أيضاً على أن حتى ابتدائية و « نعله » مبتدأ و « ألقاها » خبره اه .

(وَأَمْ بِهَا اُعْطِفْ إِثْرَ هَمْزِ التَّسْوِيَةِ) وهى الهمزة الداخلة على جملة فى محل المصدر ، وتكون هى والمعطوفة عليها فعليتين ، وهو الأكثر نحو : « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ » الآية واسميتين كقوله :

٨٢٧ — وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ فَقْدِيَ مَالِكاً أَمَوْتِيَ نَاءٍ أَمْ هُوَ الْآنَ وَاقِعُ ؟

---

٨٢٧ — هذا بيت من الطويل ، وقد قال العلامة البغدادى فى شرحه لشواهد مغنى اللبيب «والبيت من شعر لمتمم بن نويرة اليربوعى رثى به أخاه مالك بن نويرة سيد بنى يربوع الذى قتله خالد ابن الوليد ، وكان سبب قتله — فيما يقال — أنه كان قد ارتد فيمن ارتد من العرب بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ أبا بكر — رضى الله عنه ! — خبره بعث إليه خالد بن الوليد ، فحاربه ، فقتله ، ورثاه أخوه متمم بأشعار كثيرة » اه بتصرف قليل ، وقال ابن الملا الحلبى فى شرحه على المغنى : « البيت من الضرب الثانى من الطويل ، ولا يعرف قائله ، وقال شيخنا : لعل قائله متمم ابن نويرة يرثى أخاه مالكا » اه بحروفه . قلت : ولم أعثر على القطعة التى منها هذا البيت .

اللغة : « لست أبالى » قال الجوهرى : « وقولهم : لا أباليه معناه لا أكترث به ، فهو فعل متعد بنفسه ، ويقرب من معنى الفعل القلبى ، لأن معنى لا أكترث به لا أفكر فيه ازدراء به » وأقول : إنه يتعدى بنفسه أحيانا ، ويتعدى بالباء أحيانا أخرى ، وقد ورد تعديه بالباء فى غير موضع من الحديث ، فمن أنكر تعديه بالباء فهو محجوج بما فى الصحيحين « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبالى بتأخير العشاء » وبما فى البخارى عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء بما أخذ المال أمن حرام أم حلال » وقال فى المصباح : « قولهم : لا أباليه ولا أبالى به : أى لا أهتم به ولا أكترث له ، وقالوا : لم أبال ، ولم أبل ، حذفوا الألف من الأخيرة للتخفيف كما حذفوا الياء من مصدره حين قالوا : لا أباليه بالة ، والأصل بالية — مثل عافاه عافية — قالوا : ولا يستعمل إلا مع الجحد (أى حرف النفى) والأصل فيه قولهم : تبالى القوم ، إذا تبادروا إلى الماء القليل فاستقوا ؛ فمعنى لا أبالى لا أبادر إهمالا له ، وقال أبو زيد

... ...

ما باليت به مبالاة ، والاسم البلاء — بزنة الكتاب — وهو الهم الذى تحدث به نفسك » اه كلام الفيومى . قلت : وقوله : « قالوا : ولا يستعمل إلا مع الجحد » هذا هو المشهور المعروف فى كلام العرب ، وقد اعتذروا عن قول زهير بن أبى سلمى المزنى :

لَقَدْ بالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى ... وَلٰكِنْ أُمُّ أَوْفَى لا تُبَالِى

بأنه ترك حرف النفى مع « باليت » لأنه ذكره فى قوله : « لا تبالى » لكنى عثرت على قول الراجز :

مالِى أَراكَ قائِمًا تُبَالِى ... وَأَنْتَ قَدْ قُمْتَ مِنَ الهُزالِ

ورأيت صاحب اللسان يقول : « ويقال : بالى فلان فلانا مبالاة ، إذا فاخره ، وبالاه يباليه ، إذا ناقصه ، وبالى بالشىء يبالى به ، إذا اهتم به ، وقيل : اشتقاق باليت من البال بال النفس، وهو الاكتراث ، ومنه أيضا : لم يخطر ببالى ذلك الأمر ، أى لم يكرثنى » اه . وقال ابن فارس فى المجمل : « اشتبه على اشتقاق أبالى حتى رأيت فى شعر ليلى الأخيلية :

تُبَالِى رَوَايَاهُمْ هُبَـــالَةَ بَعْدَما ... وَرَدْنَ وحُولُ المَاءِ بِالجَمِّ يَرْتَمِى

قالوا فى تفسيره : التبالى : المبادرة بالاستقاء ، يقال : تبالى القوم ، إذا تبادروا الماء فاستقوه عند قلة الماء ، وقال بعضهم : تبالى القوم ، إذا قل الماء فاستقى هذا والآخر ينتظر حتى يجرى الماء فيستقى ، فأصل قولهم : لا أبالى به لا أبادر إلى اقتنائه وانتظارى به ، بل أنبذه ولا أعتد به » وقول الشاعر فى بيت الشاهد : « فقدى » هو أحد مصادر فقد ، تقول: فقدته فقدا — من باب ضرب — وفقدانا ، إذا عدمته « ناء » أى بعيد ، تقول : نأى ينأى — من باب فتح — نأيا ، إذا بعد .

المعنى : وصف الشاعر شدة حزنه على فقد أخيه ، وعظيم لوعته لفراقه ، فيقول : إنه لم يعد له أرب فى هذه الحياة ، وإنه لا يجد للحياة مساغا ، وسواء عنده نزل به الموت الآن أم تأخر نزوله به .

الإعراب : « لست » ليس : فعل ماض ناقص مبنى على فتح مقدر على آخره ، والتاء ضمير المتكلم اسم ليس مبنى على الضم فى محل رفع « أبالى » فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا ، والجملة من الفعل المضارع وفاعله فى محل نصب خبر ليس « بعد » ظرف متعلق بأبالى منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف وفقد

... ...

من « فقدى » مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على الفتح فى محل جر ، وهذه الإضافة من إضافة المصدر إلى فاعله « مالـكا » مفعول به لفقد منصوب بالفتحة الظاهرة «أموتى» الهمزة للاستفهام حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وموت : مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه « ناء » خبر المبتدإ مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين منع من ظهورها الثقل « أم » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « هو » ضمير منفصل مبتدأ مبنى على الفتح فى محل رفع « الآن » ظرف زمان متعلق بقوله «واقع» الآتى منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « واقع » خبر المبتدأ الذى هو الضمير المنفصل ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة وجملة « أموتى ناء » من المبتدإ وخبره فى محل نصب بقوله «أبالى» الذى هو من أفعال القلوب على ما بينا فى لغة الشاهد ، وجملة «هو واقع الآن» فى محل نصب بالعطف بأم المتصلة على جملة المبتدأ والخبر قبلها .

الشاهد فيه : قوله : « أموتى ناء أم هو الآن واقع ؟ » حيث وقعت أم بين جملتين اسميتين أولاهما : قوله : « موتى ناء » والثانية : قوله : « هو واقع الآن » ؛ فعطفت الثانية منهما على الأولى ، وأنت خبير — بعد الذى بيناه فى لغة البيت وصرحنا به فى الإعراب — أن كل واحدة من هاتين الجملتين حينئذ فى تأويل مفرد يقع مفعولا به لأبالى ، وتقدير الكلام على هذا : ولست أبالى نأى موتى أم وقوعه الآن ؟ .

قال ابن هشام فى مغنى اللبيب : « أم الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين ، ولا تكون الجملتان معها إلا فى تأويل المفردين ، وتكونان فعليتين ، نحو قوله تعالى : (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) وقوله سبحانه : (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) واسميتين كقوله : * ولست أبالى بعد فقدى مالـكا ... البيت *

ومختلفتين نحو : (سواء عليهم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) وأم الواقعة بعد همزة يطلب بها وبأم التعيين قد تقع بين المفردين ، وذلك هو الغالب فيها ، نحو قوله تعالى : (أأنتم أشد خلقاً أم السماء ؟) وبين جملتين ليستا فى تأويل المفردين ، وتكونان أيضاً فعليتين كقوله :

فَقُمْتُ لِلطَّيْفِ مُرْتاعاً فَأَرَّقَنِى فَقُلْتُ: أَهِيَ سَرَتْ أَمْ عادَنِى حُلُمُ ؟

... ...

وذلك على الأرجح فى هى من أنها فاعل بمحذوف يفسره سرت ، واسميتين كقوله :

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِى ، وَإِنْ كُنْتُ دارِيًا شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ابْنُ مِنْقَرِ؟

الأصل : أشعيث — بالهمز فى أوله والتنوين فى آخره — فحذفهما للضرورة ، والمعنى : ما أدرى أى النسبين هو الصحيح » اه .

وقال ابن الملا الحلبى : « منع أبو حيان وقوع أم الواقعة بعد همزة التسوية بين جملتين اسميتين قائلا : إن وقوعها بين اسميتين ليس من كلام العرب ، وينبغى أن تكون الاسمية مما يتأتى تأويلها بالمصدر بأن يكون خبرها مشتقاً ، كما تشهد به الشواهد ، وقد نقل أبو على عن الأخفش استهجان وقوع الاسمية بعد نحو سواء ، وذلك مبنى على أن همزة التسوية بمعنى إن الشرطية ، وهو مختار الرضى ، ومما يدل على أن همزة التسوية ليست بمعنى إن الشرطية كما ذهب إليه الرضى دخولها على الاسمية ، واعتذاره عن آية (أدعوتموهم أم أنتم صامتون) بأنه إنما جاز لتقدم الفعلية ساقط ، فإن الهمزة فى هذا البيت باشرت الاسمية ، وهو نص فى جواز ما منعه ، ولا يفيده التعليل بتقدم الفعلية فى الآية ؛ فإن الجملة المعطوفة على جملة الشرط يمتنع كونها اسمية » اه كلامه .

وهاك كلام المحقق الرضى الذى رد عليه ابن الملا ، فإنه بحث نفيس ، قال : (٣٤٨/٢) ما نصه : « وأما همزة التسوية وأم التسوية فهم اللتان تليان قولهم : سواء ، وقولهم : لا أبالى ، ومتصرفاته ، نحو قولك : سواء على أقمت أم قعدت ، ولا أبالى أقام زيد أم قعد ، فعند النحاة قولك أقمت أم قعدت جملتان فى تقدير مفردين معطوف أحدهما على الآخر بواو العطف : أى سواء على قيامك وقعودك ، فقيامك : مبتدأ ، وقعودك عطف عليه ، وسواء : خبر مقدم ، وقد أجاز أبو على أيضاً أن يكون سواء مبتدأ ، وأقمت أم قعدت خبره ، لـكونهما فى الظاهر فعلين ، قال أبو على : إنمـا جعل الفعلان مع الحرفين فى تأويل اسمين بينهما واو العطف لأن ما بعد همزة الاستفهام وما بعد عديلتها مستويان فى علم المستفهم ، لأنك إنمـا تقول : « أقمت أم قعدت » إذا استوى عندك قيام المخاطب وقعوده ، فتطلب بهذا السؤال التعيين ، فلما كان الـكلام استفهاماً عن المستويين أقيم همزة الاستفهام وعديلتها مع ما بعدهما مقام المستويين ، وهما قيامك وقعودك وهذا كما أقيم لفظ النداء مقام الاختصاص فى « أنا أفعل كذا أيها الرجل » لجامع الاختصاص ، فـكل منادى مختص ، ولا ينعكس ، وكل استفهام بأم المتصلة تسوية ، ولا ينعكس ، والذى يظهر لى أن « سواء » فى مثله خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : الأمران سواء ، ثم بين الأمرين بقوله : أقمت أم قعدت ، وهذا كما فى قوله تعالى : (اصبروا أو لا تصبروا ، سواء عليكم) أى الأمران

... ...

سواء ، وسواء لا يثنى ولا يجمع ، وكأنه فى الأصل مصدر ، وحكى أبو حاتم تثنيته وجمعه ، ورده أبو على ، وقولك : « أقمت أم قعدت » فى معنى : إن قمت وإن قعدت ، والجملة الاسمية المتقدمة — أى : الأمران سواء — دالة على جزاء الشرط : أى إن قمت وإن قعدت فالأمران سواء علىّ ولا شك فى تضمن الفعل بعد سواء وما أبالى معنى الشرط ، ولذلك استهجن الأخفش — على ماحكى أبو على عنه فى الحجة — أن تقع بعدها الجملة الابتدائية نحو: سواء علىّ — أو ما أبالى — أدرهم مالك أم دينار ، ألا ترى إلى إفادة الماضى فى مثله معنى المستقبل ؟ وما ذلك إلا لتضمن معنى الشرط ، وأما قوله تعالى : (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) فلتقدم الفعلية ، وإلا لم يجز ، ومن وقوع الاسمية موقع الفعلية قوله تعالى : (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء) أى فتستووا ؛ لتقدم الاستفهام الدال عليه ، ومن ذلك قوله :

لَوْ بِغَيْرِ الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ   كُنْتُ كالغَصَّانِ بالْمَاءِ اعْتِصَارُ

وكذلك استقبح الأخفش وقوع المضارع بعدهما ، نحو : سواء علىّ أتقوم أم تقعد ، وما أبالى أتقوم أم تقعد ، لكون إفادة الماضى معنى الاستقبال أدل على إرادة معنى الشرط فيه ، قال أبو على : ومما يدل على ما قال الأخفش أن ماجاء فى التنزيل من هذا النحو جاء على مثال الماضى قال الله تعالى : (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) وقال سبحانه : (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) وقال : (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) وقال الشاعر :

سَواءٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أنْصَاعَتِ النَّوَى   بِخَرْقاءَ أمْ أنْحَى لَكَ السَّيْفَ ذابِحُ

وقال الآخر :

ما أُبالِى أنَبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ   أمْ لَحَانِى بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وأما قول الآخر :

فإنَّكَ لا تُبالِى بَعْدَ حَوْلٍ   أظَبْىٌ كانَ أمَّكَ أمْ حِمارُ

فإن تقديره : أ كان ظبى كان أمك ، نحو قوله تعالى : (وإن أحـد من المشركين استجارك) وإنما أفادت الهمزة فائدة إن الشرطية لأن إن تستعمل فى الأمر المفروض وقوعه المجهول فى الأغلب ، فلا يقال : إن غربت الشمس ، وكذا حرف الاستفهام يستعمل فيما لم يتيقن حصوله فجاز قيامها مقامها ، فجردت عن معنى الاستفهام ، وكذا أم جردت عن معنى الاستفهام ، وجعلت بمعنى أو ؛ لأنها مثلها فى إفادة أحد الشيئين ، أو الأشياء ، فمعنى : « سواء علىّ أقمت أم قعدت »

... ...

إن قمت أو قعدت ، وترشدك إلى أن « سواء » سادة مسد جواب الشرط ، لا خبر مقدم ، أن معنى « سواء أقمت أم قعدت » و « لا أبالى أقمت أم قعدت » فى الحقيقة واحد ، ولا أبالى ليس خبراً لمبتدأ ، بل المعنى : إن قمت أو قعدت فلا أبالى بهما ، وقول ابن سينا :

سِيَّانِ عِنْدِىَ إنْ بَرُّوا وإنْ فَجَرُوا ... إذْ لَيْسَ يَجْرِى عَلَى أَمْثالِهِمْ قَلَمُ

يقوى ذلك ، وإن لم يكن الاستشهاد به مرضياً ؛ لأن القائل ليس عربياً » اهـ كلامه .

وقد لخصه العلامة عصام الدين فى شرحه على الكافية حيث قال بعد أن ذكر أم المتصلة : « وتقدير هذا التركيب مع سواء : سواء قيامك وقعودك ، على أن سواء خبر ، والفعل مبتدأ ، وأم بمعنى الواو ، على ما عليه جمهور النحاة ، وعند الرضى أن سواء خبر مبتدأ محذوف : أى الأمران سواء ، والجملة دالة على الجزاء ، وقولك : « أقمت أم قعدت » مستعار لمعنى إن قمت أو قعدت ، لعلاقة أن كلا من حرف الشرط والاستفهام يدخل على مجهول ، وأيده بلزوم الفعل بعد الهمزة ؛ لأن الفعل لازم للشرط ، وبلزوم مضى الفعل الواقع بعد الهمزة وأم ؛ لأن الماضى المنتقل إلى معنى المستقبل أدل على اعتبار إن الشرطية ، والماضى ههنا بمعنى المستقبل أبدا . وبأن توجيههم لا يجرى فى « لا أبالى » بخلاف هذا التوجيه فإنه مطرد ، وفى الأخير نظر ، لأنهم جعلوا الفعلين مفعولين لقولك : لا أبالى : أى لا أبالى قيامك وقعودك » .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : ونحن لا نريد أن نأخذ بقول المحقق الرضى فى هذه المسألة — وإن أقام عليها ألف حجة — لأنا لا نرى فى هذه المسائل الاحتجاج بغير كلام العرب ، ولا نحب أن نحاول توجيه ما يثبت عندنا من كلامهم توجيها بعيدا ما دام ظاهره صحيحا ، وإنكار الرضى أن يقع بعد الهمزة التى للتسوية جملة اسمية ينبغى ألا يؤخذ به ، لأنه قد ورد فى شعر العرب المحتج بشعرهم ، من ذلك هذا البيت الذى نحن بصدده ، ومنه ما أنشده الفراء :

سَواءٌ — إذا ما أَصْلَحَ اللهُ أَمْرَهُمْ — ... علَيْنَا أَدَثْرٌ مالُهُمْ أمْ أَصَـــارِمُ

وقد جاء وقوع الجملة الاسمية بعد أم المسبوقة بهمزة التسوية فى أفصح الكلام ، وذلك قوله تعالى : (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) ولو كانت هذه العبارة على معنى الشرط ، وكان الشىء إذا كان بمعنى الشىء وجب أن يأخذ كل أحكامه ، لم يكن لعطف الجملة الاسمية هنا مساغ ؛ لأن الجملة الاسمية لا تعطف على فعل الشرط كما سمعت فى قول ابن الملا الذى أثرناه لك فى صدر بيان الاستشهاد ببيت ابن نويرة ، ثم نقول : ولو سلمنا أن الكلام على معنى الشرط ،

ومختلفتين نحو : «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ» الآية . وإذا عادلت بين جملتين فى التسوية فقيل : لا يجوز أن يُذكر بعدها إلا الفعلية ، ولا يجوز « سواءٌ علىَّ أزيدٌ قائمٌ أم عمرٌو مُنْطَلِقٌ » فهذا لا يقوله العرب ، وأجازه الأخفشُ قياساً على الفعلية ، وقد عادلت بين مفرد وجملة فى قوله :

٨٢٨ — سَوَاءٌ عَلَيْكَ النَّفْرُ أَمْ بِتَّ لَيْلَةً ... بِأَهْلِ الْقِبَابِ مِنْ عُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ

لا نسلم أنه يجب أن يأخذ كل أحكام الشرط حتى يمتنع الإتيان بالجملة الاسمية بعد الهمزة وبعد أم ، من قبل أن صورة الكلام ليست صورة الشرط ، وللصورة أحكام كما للمعنى ، فهو من حيث المعنى يصح أن يأتى بعد الهمزة بالجملة الفعلية ، وكذا بعد أم ، وليس يضرنا أن يكون ذلك هو الأكثر فى كلام العرب ، ومن حيث الصورة واللفظ يصح أن يؤتى بعد الهمزة وبعد أم بالجملة الاسمية ؛ فيكون المتكلم بالجملة الفعلية بعد همزة التسوية أو بعد أم المعادلة لها قد راعى المعنى ، والمتكلم بالجملة الاسمية بعدها قد راعى الصورة واللفظ ، وكم فى كلام العرب ما هو آخذ بحظ من المعنى وحظ من اللفظ .

ومن مراعاة المعنى — على ما قاله الجمهور — فى هذه المسألة بالذات أنهم ربما استعملوا الاسم الذى فى تقدير الجملة الفعلية بعد سواء التى تليها أم ، وذلك نحو قول الشاعر ، وسيأتى مشروحا :

سَوَاءٌ عَلَيْكَ النَّفْرُ أَمْ بِتَّ لَيْلَةً ... بِأَهْلِ الْقِبَابِ مِنْ نُمَيْرِ بْنِ عامِرِ

فإنه قد عطف الجملة الفعلية — وهى قوله : « بت ليلة » — على الاسم المقدر بالجملة الفعلية ؛ ألا ترى أن تقدير الكلام : سواء عليك أنفرت أم بت ليلة — إلخ ؟ فتراه أوقع النفر الذى هو مصدر مكان « أنفرت » إذ كان المعنى على ذلك ، وهو يؤيد ما ذهب إليه الجمهور من أن « سواء » خبر مقدم ، والهمزة والفعل بعدها فى تأويل المصدر على أنه مبتدأ مؤخر ، وليس ثمة ما يدعو إلى تقدير مبتدأ يخبر عنه بسواء وجعل « النفر » بدلا من ذلك المبتدأ ، فإن ظاهر الكلام مستقيم لا يحتاج إلى هذا التقدير ! .

٨٢٨ — هذا بيت من الطويل ، وقد أنشده أبو حيان نقلا عن ابن عطية فى تفسيره «البحر المحيط» عند بيان معنى قوله تعالى من سورة الأعراف: (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) ولم ينسبه ، ولم أعثر له على نسبة إلى قائل معين ، ولا وقفت له على سوابق أو لواحق تتصل به .

... ...

اللغة : «النفر» بفتح النون وسكون الفاء — أصل معناه التفرق والشراد ، تقول: «نفرت الدابة تنفر نفارا ونفورا » وفعله من بابى جلس وقعد ، وقالوا : « دابة نافر » و « نفور » ولم يقولوا : « دابة نافرة » وكل جازع من شئ فهو نفور ، ومن كلامهم « كل أزب نفور » وقالوا : « نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا » وقالوا : « نفر الحاج من منى نفرا » و « يوم النفر » و«ليلة النفر» بسكون الفاء أو فتحها فيهما — وهواليوم الذى ينفر الناس فيه من منى ، وأنشدوا لنصيب — وهو غير نصيب الأسود المروانى — :

أَمَا والَّذِى حَجَّ الْمُلَبُّونَ بَيْتَهُ ... وعَـــلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ والنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِى لِلْغَمْرِ حُبًّا وأَهْلِهِ ... لَيَالٍ أَقَامَتْهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْغَمْرِ
وهَلْ يَأْثَمَنِّى اللهُ فى أَنْ ذَكَرْتُهَا ... وعَلَّلْتُ أَصْحَابِى بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ
وسَكَّنْتُ مابِى مِنْ كَلَالٍ ومِنْ كَرًى ... وَما بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلا فَتْرِ

ووقع فى شواهد العينى «سواء عليك القفر» بالقاف بعدها قاف ، وأحسبه تحريف «القفر» بالقاف قبل الفاء — وهو الأرض الموحشة الخالية من الأنيس « القباب » جمع قبة — وهى الخيمة من أدم ، وإنما تكون القبة لأهل اليسار والنعمة ، وقد تكون القباب ههنا اسم موضع بعينه ، فقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان أربعة مواضع اسم كل واحد منها « القباب » أولها موضع بسمرقند ينسب إليه أحمد بن لقمان بن عبد الله أبو بكر السمرقندى المعروف بالقبابى ، وثانيها محلة بنيسابور على طريق العراق ينسب إليها أبو الحسن علىّ بن محمد بن العلاء القبابى النيسابورى ، وثالثها يسمى « قباب الحسين » محلة كانت خارج بغداد على طريق خراسان أضيفت إلى الحسين ابن سكين الفزارى على ما قاله ابن الكلبى ، وقال غيره : هى مضافة إلى حسين بن قرة الفزارى وكان قرة ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج ، ورابعها موضع بنجد على طريق حاج البصرة .

المعنى : يقول لمخاطبه : إنه لافرق بين أن تنفر وتأخذ فى طريقك غير ملو على شئ وأن تبيت بهؤلاء القوم الذين عرفوا بمنع الجار وحمايته ، فلن ينجيك مما تحذر شئ .

الإعراب : « سواء » خبر مقدم على مبتدئه مرفوع بالضمة الظاهرة « عليك » جار ومجرور متعلق بسواء « النفر » مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة « أم » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « بت » بات : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره ، وتاء المخاطب فاعله مبنى على الفتح فى محل رفع «ليلة » ظرف زمان متعلق بقوله بات منصوب بالفتحة

(أو) بعد (هَمْزَةٍ عَنْ لَفْظِ أيٍّ مُغْنِيَهْ) وهى الهمزة التى يُطْلَب بها وبأم التعيين، وتقع بين مفردين غالباً، ويتوسط بينهما ما لا يُسأل عنه، نحو: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بنَاهَا؟» أو يتأخر عنهما، نحو: «وَإِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ» وبين فعليتين، كقوله:

٨٢٩ — * فَقُلْتُ أَهِىَ سَرَتْ أَمْ عَادَنِى حُلُمُ؟ *

الظاهرة، والمصدر المنسبك من بات وفاعله مرفوع بالعطف على قوله «النفر» أى سواء عليك النفر وبياتك ليلة — إلخ «بأهل» الباء حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب، وأهل: مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلق بقوله: بت، وأهل مضاف و«القباب» مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة «من» حرف جر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب «عمير» مجرور بمن، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور جعله العينى متعلقا بالنفر، وليس بشىء، وإنما هو عندنا متعلق بمحذوف حال من أهل القباب، وعليه بينا معنى البيت «ابن» صفة لعمير مجرور بالكسرة الظاهرة، وهو مضاف و«عاص» مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة.

الشاهد فيه: قوله: «النفر أم بت ليلة» حيث جاء بعد همزة التسوية الواقعة بعد سواء باسم مفرد ثم عادله بجملة فعلية، وقد تقدم فى شرح الشاهد رقم (٨٢٧) أن هذا الاسم المفرد ينبىء عن جملة، وكأنه قد قال: سواء عليك أنفرت أم بت ليلة — إلخ، فلما كان هذا الاسم المفرد منبئا عن الجملة لكونه مصدراً استساغ الشاعر أن يقيمه مقام الجملة، لما قد عرفت من أن همزة التسوية لا يقع بعدها إلا جملتان كل واحدة منهما فى تأويل المفرد.

٨٢٩ — هذا عجز بيت من البسيط، وصدره قوله:

* وَقُمْتُ لِلطَّيْفِ مُرْتَاعاً فَأَرَّقَنِى *

وهذا البيت من قصيدة لزياد بن حمل — ويقال: زياد بن منقذ — وقد قدمنا صدر القصيدة التى منها هذا البيت عند الكلام على شرح الشاهد رقم ٤٦ فى باب النكرة والمعرفة، فى مباحث الضمير، ويلى ما ذكرناه هناك قوله:

يَا لَيْتَ شِعْرِىَ عَنْ جَنْبَىْ مُكَشَّحَةٍ وَحَيْثُ تُبْنَى مِنَ الْحِنَّاءَةِ الْأُطُمُ

عَنِ الْأَشَاءَةِ هَلْ زَالَتْ مَخَارِمُهَا وَهَلْ تَغَيَّرَ مِنْ آرَامِهَا إِرَمُ؟

... ...

يا لَيْتَ شِعْرِى مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِى ... جَرْدَاء سَابِحَةٌ أَمْ سَابِحٌ قُدُمُ
نَحْوَ الْأُمَيْلِحِ أَوْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا ... فى فِتْيَةٍ فِيهِمُ الْمَرَّارُ والحَكَمُ
مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ ولٰكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ ... لِلصَّيْدِ حِينَ يَصِيحُ الصَّائِدُ اللَّحِمُ
فَيَفْزَعُونَ إِلى جُرْدٍ مُسَحَّجَةٍ ... أَفْنَى دَوَابِرَهُنَّ الرَّكْضُ والْأَكَمُ
يَرْضَخْنَ صُمَّ الحَصَى فى كلِّ هَاجِرَةٍ ... كَمَا تَطَايَحَ عَنْ مِرْضَاخِهِ الْعَجَمُ

ومما يتصل ببيت الشاهد قوله :

زَارَتْ رُوَيْقَةُ شُعْثًا بَعْدَمَا هَجَعُوا ... لَدَى نَوَاحِلَ فى أَرْسَاغِهَا الخَدَمُ
وقُمْتُ لِلطَّيْفِ مُرْتَاعًا فَأَرَّقَنِى ... فقُلْتُ أَهْىَ سَرَتْ ... البيت، و بعده :
وكَانَ عَهْدِى بِهَا والمَشْىُ يَبْهَظُهَا ... مِنَ الْقَرِيبِ وَمِنْهَا النَّوْمُ وَالسَّأَمُ
وَبِالتَّكَالِيفِ تَأْتِى بَيْتَ جَارَتِهَا ... تَمْشِى الْهُوَيْنَا وَما تَبْدُو لَهَا قَدَمُ
سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا ... دُرْمٌ مَرَافِقُهَا فى خَلْقِهَا عَمَمُ
رُوَيْقَ ، إِنِّى وَما حَجَّ الحَجِيجُ لَهُ ... وَما أَهَلَّ بِجَنْبَىْ نَخْلَةَ الْحُرُمُ
لَمْ يُنْسِنِى ذِكْرَكُمْ مُذْ لَمْ أُلاقِكُمُ ... عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلا قِدَمُ
وَلَمْ تُشَارِكْكِ عِنْدِى بَعْدُ غَانِيَةٌ ... لا والّذِى أَصْبَحَتْ عِنْدِى لَهُ نِعَمُ

اللغة : « أهى » أصل الهاء مكسورة ، ولكنه سكنها ههنا حين أراد إقامة وزن البيت ، وليس ذلك مع همزة الاستفهام بكثير ، وإنما يكثر مع واو العطف وفائه ولام الابتداء ، قال ابن جنى : « سكن أول هى لاتصال حرف الاستفهام به ، إجراء للهمزة مجرى واو العطف وفائه ولام الابتداء ، غير أن الإسكان مع همزة الاستفهام أضعف منه مع هذه الحروف، من جهة كون الهمزة يجوز فصلها عن المستفهم عنه ، وذلك حين تقول : أزيد قام ؟ وأزيدا ضربت ؟ وليس كذلك واو العطف وفاؤه ولام الابتداء ؛ فإن هذه الحروف لا يجوز أن يفصلن عما اتصل بها » اهـ كلامه ، وقوله فى بيت الشاهد « سرت» هو فعل ماض متصل بتاء التأنيث من السرى — بضم السين مقصورا — وهو السير ليلا ، تقول: « سرى فلان يسرى» — مثل رمى يرمى — تريد أنه سار ليلا ، وتقول : « أسريته » و « أسريت به » « وسريت به » وقوله : « عادنى » هو

... ...

فعل ماض من العيادة ، وأصل العيادة زيارة المريض ، وقد يكون أراد هنا به مجرد الزيارة ، وقد يكون أبقاه على أصله بتنزيل حبه وما يعتريه منه منزلة المرض « حلم » هو بضم الحاء واللام جميعا — ما يراه الإنسان من الخيالات فى النوم .

المعنى : وصف أنه رأى حبيبته فى النوم فقام لطيفها خائفا فزعا قد أخذته الدهشة ونزلت به الحيرة ، فبات مسهد الجفن لا تغمض عينه بنوم ، ثم استفهم استفهاما تعجبيا قائلا : أسارت إلىّ حبيبتى ليلا أم زارنى خيالها ، وهذا من الحديث عن الطيف ، وللشعراء فيه شعر مستجاد ومعان رائقة ، وأشهر المشهورين بالحديث عن الطيف أبو عبادة البحترى .

الإعراب : « قمت » فعل وفاعل « للطيف » جار ومجرور متعلق بقام « مرتاعا » حال من تاء المتكلم فى قوله : قمت « فأرقنى » الفاء حرف عطف ، أرّق : فعل ماض ، مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى الطيف ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب « فقلت » الفاء حرف عطف وقال : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره ، وتاء المتكلم فاعله مبنى على الضم فى محل رفع « أهى » الهمزة حرف دال على الاستفهام التعجبى مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، هى : ضمير رفع منفصل فاعل بفعل محذوف يفسره الفعل بعده ، وأصل الكلام « فقلت أسرت » بضمير مستتر هو فاعل سرت ، فلما حذف الفعل برز الضمير وانفصل ، وقوله : « سرت » المذكور هو فعل ماض مبنى على فتح مقدر لا محل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على التأنيث ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوزا تقديره هى ، والجملة لا محل لها من الإعراب تفسيرية « أم » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « عادنى » عاد : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب « حلم » فاعل عاد مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « أهى سرت أم عادنى حلم » حيث وقعت أم المعادلة لهمزة الاستفهام بين جملتين فعليتين : الأولى قوله : « أهى سرت » والثانية قوله : « عادنى حلم » .

فإن قلت : فإنى أرى صدر قوله : « أهى سرت » ضميرا منفصلا ، وهو اسم ، فكيف زعمت أن قوله : « أهى سرت » جملة فعلية ، وقد عرفنا أن الجملة الفعلية ما كان صدرها فعلا ؟ .

فالجواب عن ذلك أن نقول لك : إن هذا الضمير الذى حسبته صدر الجملة ليس هو صدرها على الحقيقة ، ولكن صدرها فعل محذوف يفسره الفعل الذى ذكر بعد الضمير على ما بيناه

إذ الأرجح أن « هى » فاعلٌ بفعل محذوف ، واسميتين ، كقوله :

٨٣٠ — لَعَمْرُكَ ما أدرى ، وإنْ كُنْتُ دَارِيًا
شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ ، أمْ شُعَيْثُ ابْنُ مِنْقَرِ ؟

فى إعراب البيت ، وهذا أرجح المذهبين فى الاسم الواقع بعد همزة الاستفهام على ما بينه المصنف والشارح فى باب الاشتغال .

فإن قلت : فهل يتحقق الاستشهاد بالبيت لما ذكرت على المذهب الآخر ؟ .

فالجواب عن ذلك أن نقول لك : المذهب الآخر يجعل « هى » ضميرا منفصلا فى محل رفع بالابتداء ، ويجعل جملة « سرت » من الفعل وفاعله المستتر فيه فى محل رفع على أنها خبر المبتدأ ، وعلى هذا تكون الجملة اسمية ، فلا يتحقق الاستشهاد بالبيت لمثل ما استشهد به على المذهب الأول ، وهذا سر قول الشارح : « إذ الأرجح أن هى فاعل بفعل محذوف » .

٨٣٠ — هذا بيت من الطويل ، وقد نسبه سيبويه (ج ١ ص ٤٨٥) إلى الأسود بن يعفر ، ونسبه أبو العباس المبرد فى الكامل إلى اللعين المنقرى ، وقال ابن الملا الحلبى فى شرح المغنى : « البيت من الضرب الثانى من الطويل ، وقائله أبو نهشل الأسود بن يعفر بفتح الياء وقيل بضمها ، من عبد القيس بن نهشل بن دارم التميمى النهشلى ، جاهلى متقدم ، جعله ابن سلام فى الطبقة الثامنة من شعراء الجاهلية » اهـ كلامه بحروفه . وقال البغدادى فى الخزانة (٤٥١/٤) : « والبيت أنشده سيبويه للأسود بن يعفر ، وأنشده المبرد فى موضعين من الكامل للعين المنقرى ، ونقل أبو الوليد الوقشى عن البيان للجاحظ فيما كتبه على كامل المبرد أنه قال : ذكروا أن شعيث بن سهم بن محرز بن حزن أغير على إبله ، فأتى أوس بن حجر يستنجده ، فقال أوس : أو خير من ذلك ، أحضض لك قيس بن عاصم ، وكان يقال : إن حزن بن الحارث هو حزن بن منقر ، فقال أوس :

سَائِلْ بِهَا مَوْلَاكَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ ... فَمَوْلَاكَ مَوْلَى السُّوءِ إنْ لَمْ يُغَيِّرِ
لَعَمْرُكَ ما أدرى أمِنْ حَزْنِ مُحْرِزٍ ... شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أمْ لِحَزْنِ بْنِ مِنْقَرِ ؟

وقال فى شرح شواهد المغنى : والبيت أنشده سيبويه للأسود بن يعفر ، وقال السيرافى : وفى نسخة عتيقة من الكتاب قال أوس بن حجر بدل الأسود بن يعفر ، اهـ ، وأنشده المبرد فى موضعين من الكامل للعين المنقرى ، ثم ذكر كلام الوقشى السابق » اهـ كلام البغدادى .

اللغة : « عمرك » العمر — بفتح العين وسكون الميم — الحياة « ما أدرى » ما أعلم ، وتقول : « درى فلان الشىء يدريه دراية » إذا علمه ، وفعله مثل رمى يرمى « وإن كنت داريا »

... ...

أى وإن كنت من أهل الدراية والعلم عموما ، فلا تنافى بين هذه الجملة وما قبلها « شعيث » بضم أوله بزنة التصغير ، وآخره ثاء مثلثة ، ومن الناس من يرويه شعيب بباء موحدة فى آخره ، وهو تصحيف ، قال الأعلم فى شرح الشواهد والعسكرى فى كتاب التصحيف : وروايته بالباء الموحدة تصحيف « سهم » حى من قيس عيلان « منقر » بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه ، بزنة منبر — هو منقر بن عبيد — بالتصغير — بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

المعنى : يقول : إننى مع علمى التام بالأنساب ودرايتى الكاملة بها لا أدرى أيرجع نسب هذه القبيلة إلى بنى سهم أم إلى بنى منقر ، هجاهم وجعلهم أدعياء فى نسبهم لا يستقرون على أب .

الإعراب : « لعمرك » اللام لام الابتداء حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وعمر : مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف وكاف المخاطب مضاف إليه مبنى على الفتح فى محل جر ، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا : أى لعمرك قسمى « ما » حرف نفى ، مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « أدرى » فعل مضارع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « وإن » الواو عاطفة على محذوف ، إن : حرف شرط « كنت » كان : فعل ماض فعل الشرط مبنى على فتح مقدر على آخره فى محل جزم ، وتاء المتكلم اسم كان مبنى على الضم فى محل رفع « داريا » خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة « شعيث » مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « ابن » خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « سهم » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهمزة الاستفهام مقدرة قبل المبتدإ ، وأصل الكلام : أشعيث ابن سهم ، وجملة المبتدأ وخبره فى محل نصب بقوله : أدرى علق عن العمل فى لفظها بسبب الهمزة المقدرة « أم » حرف عطف « شعيث » مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة « ابن » خبر المبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « منقر » مضاف إليه ، مجرور بالكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « شعيث ابن سهم أم شعيث ابن منقر » حيث وقعت فى هذه العبارة « أم » المعادلة بين جملتين اسميتين : أولاهما قوله : « شعيث ابن سهم » وهى مؤلفة من مبتدأ وخبر ، وثانيهما : قوله : « شعيث ابن منقر » وهى مؤلفة من مبتدأ وخبر أيضا ، على ما اتضح لك من إعراب البيت ، هذا تقرير كلام الشارح فى هذا الموضع .

... ...

وسينشد الشارح هذا البيت مرة أخرى فى هذا الباب للاستشهاد به على جواز حذف همزة الاستفهام، وللعلماء خلاف فىحذف همزة الاستفهام : أهوضرورة شعرية أمهوجائز لاضرورة فيه؟ فالمفهوم من عبارة ابن مالك فى شرح كافيته أنه مطرد حيث فهم المعنى لا شذوذ فيه ولا ضرورة ، وقد صرح المحقق الرضى فى شرح كافية ابن الحاجب بذلك ، وذكر ابن هشام فى مباحث أم من مغنى اللبيب أن حذف همزة الاستفهام ضرورة ، ولكنه ذكر فى مباحث الهمزة المفردة أن حذفها جائز ، قال فى مباحث أم فى التعليق على بيت الشاهد : « الأصل أشعيث بالهمزة فى أوله والتنوين فى آخره ، فحذفهما للضرورة ، والمعنى ما أدرى أى النسبين هو الصحيح » اه . وقال فى مباحث الهمزة : « والألف أصل أدوات الاستفهام ولهذا خصت بأحكام أحدها جواز حذفها سواء تقدمت على أم كقول عمر بن أبى ربيعة :

بَدَا لِيَ مِنْهَا مِعْصَمٌ حِينَ جَمَّرَتْ وكَفٌّ خَضِـــيبٌ زُيِّنَتْ بِبَنَانِ
فَوَاللهِ ما أَدْرِى وإنْ كُنْتُ دارِيًا بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمانِ ؟

أراد أبسبع ، أم لم تتقدمها كقول الكميت .

طَرِبْتُ وَما شَوْقًا إِلى الْبِيضِ أَطْرَبُ وَلا لَعِبًا مِنِّى وَذُو الشَّـــيْبِ يَلْعَبُ

أراد أو ذو الشيب يلعب ، واختلفوا فى قول عمر بن أبى ربيعة :

ثُمَّ قالُوا : تُحِبُّهَا ؟ قُلْتُ بَهْرًا : عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى والتُّرَابِ

فقيل : أراد أتحبها ، وقيل : إنه خبر ، أى أنت تحبها » اه كلامه . والذى ذكره ابن هشام فىمباحث أم ذكر مثله الأعلم فىشرح شواهد سيبويه فى الكلام على هذا البيت، قال «الشاهد فيه حذف ألف الاستفهام ضرورة لدلالة أم عليها ، ولا يكون هذا إلا على تقدير الألف ؛ لأن قوله : ما أدرى يقتضى وقوع الألف وأم مساوية لها ، كما تقول : ما أدرى أزيد فى الدار أم عمرو » اه كلامه بحروفه .

وفى هذا البيت فائدة غير ما ذكرنا ، وحاصلها أن قوله : « شعيث ابن سهم » وقوله : « شعيث ابن منقر » يقرأ بالتنوين لولا الضرورة إلى حذفه ، ويكتب بالألف فى ابن ، والسر فى ذلك أن التنوين والألف إنما يحذفان للتخفيف إذا وقعت كلة ابن بين علمين وكانت صفة للأول منهما ، وهى ههنا خبر عن الأول لا صفة له ، ولهذا قال ابن هشام : « والأصل أشعيث بالهمزة فى أوله والتنوين فى آخره فحذفهما للضرورة » وقال البغدادى : « وإنما اعتبر منونا حذف تنوينه للضرورة لأنه أخبر عنه بابن ، والعلم المنون إنما يحذف تنوينه إذا وصف بابن لا إذا أخبر عنه ، ومن ثم تكتب ألف ابن أيضا وإن كان واقعا بين علمين » اه .

الأصل : أشعيث ، فحذفت الهمزةُ والتنوين منهما .

﴿ تنبيهان ﴾ : الأول : تسمى « أم » فى هذين الحالين مُتَّصلة ؛ لأن ما قبلها وما بعدها لا يُسْتَغْنَى بأحدهما عن الآخر ، وتسمى أيضاً مُعادلة ؛ لمعادلتها للهمزة فى إفادة التسوية فى النوع الأول ، والاستفهام فى النوع الثانى .

و يفترق النوعان من أربعة أوجه : أولها وثانيها : أنَّ الواقعة بعد همزة التسوية لاتستحق جواباً ؛ لأن المعنى معها ليس على الاستفهام ، وأن الكلام معها قابلٌ للتصديق والتكذيب ؛ لأنه خبر ، وليست تلك كذلك ؛ لأن الاستفهام معها على حقيقته . والثالث والرابع : أن أم الواقعة بعد همزة التسوية لا تَقَعُ إلا بين جملتين ، ولا تكون الجملتان معها إلا فى تأويل المفردين .

الثانى : قد بان لك أن همزة التسوية لا يلزم أن تكون واقعةً بعد لفظة سواء ، بل كما تقع بعدها تقع بعد : ما أبالى ، وما أدرى ، وليت شعرى ، ونحوهن .

(ورُبَّمَا حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ) المذكورة (إنْ * كانَ خَفَا المَعْنَى بِحَذْفِهَا أُمِنْ) كقراءة ابن مُحَيْصِنٍ « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ » وكما مرّ من قوله :

* شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ابْنُ مِنْقَرِ *

وهو فى الشعر كثير ، ومال فى شرح الكافية إلى كونه مطرداً .

(وَبِانْقِطَاعٍ وبِمَعْنَى بَلْ وَفَتْ) أى : تأتى أم منقطعة بمعنى بل (إنْ تَكُ مِمَّا قُيِّدَتْ بِهِ) وهو : أن تكون مسبوقة بإحْدَى الهمزتين لفظاً أو تقديراً (خَلَتْ) ولا يفارقها حينئذ معنى الإضراب ، وكثيراً ماتقتضى مع ذلك استفهامًا : إما حقيقيًّا، نحو: « إنَّهَا لَإبِلٌ أمْ شَاءٌ » أى : بل أهى شاء ؟ وإنما قدرنا بعدها مبتدأ محذوفًا لكونها لا تدخل على المفرد ، أو إنكاريًّا ، نحو : « أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ » أى : بل أله البنات ، وقد لا تقتضيه ألبتة ، نحو : « أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ؟ » أى : بل هل تستوى ؛ إذ لا يدخل استفهام على استفهام ، ونحو : « لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ، « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ؟ » ، وقوله :

٨٣١ — فَلَيْتَ سُلَيْمَى فى المَنَامِ ضَجِيعَتِى هُنَالِكَ أَمْ فى جَنَّةٍ أَمْ جَهَنَّمِ

٨٣١ — هذا بيت من الطويل ، وشراح الشواهد ينسبونه إلى عمر بن أبى ربيعة المخزومى ، ويذكرون قبله بيتين ، وهما :

فَيَا لَيْتَ أَنِّى حِينَ تَدْنُو مَنِيَّتِى شَمِمْتُ الَّذِى مابَيْنَ عَيْنَيْكِ والْفَمِ

ولَيْتَ طَهُورِى كَانَ رِيقَكِ كُلَّهُ ولَيْتَ حَنُوطِى مِنْ مُشَاشِكِ والدَّمِ

وهذه الأبيات الثلاثة ليست فى أصل ديوان عمر بن أبى ربيعة ، ولكن ناشره فى مدينة ليبسك فى عام ١٣١٨ أثبتها فى زيادة الديوان (القطعة رقم ٤٢٧) ضمن قطع أخرى التقطها من كتب الأدب ، وليس ذلك مما يقطع بنسبة هذه الأبيات إلى عمر .

اللغة : « تدنو » تقرب وتحين ويجىء وقتها « منيتى » المنية بفتح الميم وكسر النون وتشديد الياء — الموت ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة من « منى الله تعالى الأمر يمنيه » من باب رمى يرمى — إذا قدره ، وهذه التاء التى فى منية — على هذا — تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية ، وليست تاء التأنيث ؛ وذلك أن فعيلا إذا كان بمعنى مفعول استوى فيه المذكر والمؤنث فلم تلحقه علامة تأنيث « ما بين عينيك والفم » أراد خدها « طهورى » هو بفتح الطاء اسم لما يتطهر به من الماء كالوضوء والوقود فإنهما اسم لما يتوضأ به ولما توقد به النار ، وفى القرآن الكريم (وقودها الناس والحجارة) « ريقك » الريق — بكسر الراء — ماء الفم « حنوطى » بفتح الحاء — طيب يخلط فى الماء الذى يغسل به الميت ، ويقال له الحناط — بزنة الكتاب — أيضاً ، وفى الحديث «أن ثمود لما استيقنوا بالعذاب تكفنوا بالأنطاع وتحنطوا بالصبر لئلا يجيفوا وينتنوا» وروى عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أى الحناط أحب إليك ؟ قال : الكافور « مشاشك » المشاش — بضم أوله ، بزنة الغراب — كل عظم لا مخ فيه يمكنك تتبعه ، وقال أبو عبيد : المشاش رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين ، وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم «أنه كان جليل المشاش» : أى عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكفين والركبتين ، ومنه الحديث « ملىء عمار إيمانا إلى مشاشه » .

المعنى : يتمنى الشاعر فى هذه الأبيات أن يتاح له حين يقرب أجله ويدنو الموت منه أن يشم خد المحبوبة وهو فى النزع الأخير ، وأنه إذا مات غسلوه بريقها ، وحنطوه بدمها ومخ عظامها ، وأنه إذا انقلب إلى الآخرة ضاجعته هذه الحبيبة على أى حال ، سواء أكان مرجعه إلى دار النعيم أم كان مرده إلى دار الشقاء والعذاب الأليم ! ! .

وسميت منقطعة لوقوعها بين جملتين مستقلتين .

﴿ تنبيه ﴾ : حَصْرُ « أم » فى المتصلة والمنقطعة هو مذهب الجمهور ، وذهب بعضهم إلى أنها تكون زائدة . وقال فى قوله تعالى : « أَفَلاَ تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ » : إن التقدير : « أَفَلاَ تُبْصِرُونَ أَنَا خَيْرٌ » والزيادة ظاهرة فى قول ساعدة بن جُؤَيَّة :

٨٣٢ — يَالَيْتَ شِعْرِى وَلا مَنْجَى مِنَ الْهَرَمِ
أَمْ هَلْ عَلَى الْعَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ نَدَمِ ؟

الإعراب : « ليت » حرف تمن ونصب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « سليمى » اسم ليت منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « فى النام » جار ومجرور متعلق بقوله : ضجيعى الآتى « ضجيعى » خبر ليت ، مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « هنالك » هنا : اسم إشارة إلى المكان يقع ظرف مكان متعلقا بضجيعى، مبنى على السكون فى محل نصب ، واللام للبعد ، والكاف حرف خطاب « أم » حرف دال على الإضراب مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « فى » حرف جر « جنة » مجرور بفى وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف يقع خبرا لليت محذوفة أيضا ، والتقدير : بل ليتها ضجيعى فى جنة ، وإنما التزمنا ذلك التقدير نزولا على حكم أم الدالة على الإضراب حيث لا يجوز أن يليها غير جملة « أم » حرف دال على الإضراب أيضا « جهنم » مجرور بحرف جر محذوف ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف يقع خبرا لليت محذوفة مع اسمها ، وتقدير هذه المحذوفات : بل ليتها ضجيعى فى جهنم ، والذى أحوج إلى تقدير هذه المحذوفات كلها هو ماسبق تقريره من لزوم وقوع الجمل بعد أم الدالة على الإضراب .

الشاهد فيه : قوله : « أم فى جنة أم جهنم » فإن أم ههنا حرف دال على الإضراب الذى يدل عليه بل ، وليست دالة على معنى الاستفهام ولا مقتضية له البتة ؛ ألا ترى أن المتكلم بهذا الكلام لايستفهم به عن شىء غاب عنه علمه ولا يتطلب إجابة على هذا الكلام من السامع ، وإنما هو متمن هذه الأشياء التى ذكرها ، فدل ذلك على أن أم الدالة على الإضراب ربما جاءت غير دالة على الاستفهام ولا مقتضية إياه .

٨٣٢ — هذا بيت من البسيط ، وهو — كما قال الشارح — لساعدة بن جؤية أخو بنى كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة أحد شعراء هذيل، وجؤية : بضم الجيم وفتح الهمزة وتشديد الياء المثناة مفتوحة ، والبيت المستشهد به مطلع قصيدة له ثابتة فى ديوان الهذليين (١/١٩١) وبعده قوله :

... ...

والشَّيْبُ داءٌ نَجِيسٌ لا دَوَاءَ لَهُ   لِلْمَرْءِ كانَ صَحِيحًا صائبَ الْقُحَمِ
وَسْنانُ لَيْسَ بِقاضٍ نَوْمَةً أبدًا   لَوْلا غَدَاةُ يَسِيرُ النَّاسُ لَمْ يَقُمِ
فى مَنْكِبَيْهِ وَفى الْأَصْلابِ وَاهِنَةٌ   وَفى مَفَاصِلِهِ غَمْزٌ مِنَ الْعَسَمِ
إنْ تأتِهِ فى نَهَارِ الصَّيْفِ لا تَرَهُ   إلَّا يُجَمِّعُ ما يَصْلَى مِنَ الْجُحَمِ
حتَّى يُقالَ وَرَاءَ الْبَيْتِ مُنْتَبِذًا :   قُمْ لا أبَا لَكَ سارَ النَّاسُ فاحْتَزِمِ
فقامَ تُرْعَدُ كَفَّاهُ بِمِحْجَنِهِ   قَدْ عادَ رَهْبًا رَذِيًّا طائشَ الْقَدَمِ
تَاللهِ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ ذُو حِيَدٍ   أَدْفَى صَلُودٌ مِنَ الْأَوْعالِ ذُو خَدَمِ
يَأْوِى إلى مُشْمَخِرَّاتٍ مُصَعَّدَةٍ   شُمٍّ بِهِنَّ فُرُوعُ الْقَانِ والنَّشَمِ
مِنْ فَوْقِهِ شَعَفٌ قَرٌّ وأَسْفَلُهُ   جِيٌّ تَنَطَّقَ بِالظَّيَّانِ والْعَتَمِ
مُوَكَّلٌ بِشُدُوفِ الصَّوْمِ يَنْظُرُهَا   مِنَ الْمَغارِبِ مَخْطُوفُ الْحَشَا زَرِمُ
حتَّى أُتِيحَ لَهُ رَامٍ بِمُحْدَلَةٍ   جَشْءٍ وبِيضٍ نَوَاحِيهِنَّ كالسَّجَمِ
فَظَلَّ يَرْقُبُهُ حتَّى إذا دَمَسَتْ   ذاتُ الْعِشاءِ بِأَسْدافٍ مِنَ الْعَتَمِ
ثُمَّ يَنُوشُ إذا آدَ النَّهارُ لَهُ   بَعْدَ التَّرَقُّبِ مِنْ نِيمٍ ومِنْ كَتَمِ
دَلَّى يَدَيْهِ لَهُ سَيْرًا فأَلْزَمَهُ   نَفَّاحَةً غَيْرُ إنْباءٍ وَلا شَرَمِ
فَرَاغَ مِنْهُ بِجَنْبِ الرَّيْدِ ثُمَّ كَبَا   عَلَى نَضِيٍّ خِلالَ الصَّدْرِ مُنْحَطِمِ

اللغة : « ياليت شعرى ولا منجى من الهرم — البيت » يروى « ياليت شعرى ألا منجى من الهرم » وهى رواية أبى سعيد فى شرح ديوان الهذليين ، وقد ذكر رواية النحاة أيضا ، والمنجى : اسم مكان من النجاة ، أو هو مصدر بمعنى النجاة ، يريد لا مهرب له ولا مفر منه ، ثم قال : ياليت شعرى هل أندم على ما فات من شبابى إذا جاء الشيب ؟ والهرم لا بد منه « والشيب داء نجيس لا دواء له — البيت » النجيس — بفتح النون — والناجس : هو الذى لا يكاد يبرأ منه من ابتلى به ، ولا دواء له : أى لا شفاء له ، والقحم — بضم ففتح — جمع قحمة ، وهى الأمر يقتحمه الإنسان ، وصائب القحم : أى أنه إذا اقتحم أمرا أصاب وقصد فى اقتحامه ، يقول :

... ...

لقد كان شابا غير طياش ولا جبان « وسنان ليس بقاض نومة أبدا — البيت » يقول : أنت لا تراه الآن إلا على هيئة الوسنان ، فتراه كأنه نائم من الضعف مسترخ من ثقل الهموم التى أصابته « فى منكبيه وفى الأصلاب واهنة — البيت » يروى « فى مرفقيه وفى الأصلاب » والواهنة : أراد به الوجع الذى يأخذ فى المنكبين وفى العنق فيوهنها ويضعفها عن الحركة ، والعسم — بالتحريك — اليبس ، يريد أن مفاصله قد يبست وعجزت عن الحركة من الكبر « إن تأته فى نهار الصيف لا تره — البيت » يصلى : أى يصطلى به : أى يتدفأ به ، والجحم : جمع جحمة — بالضم — وهى حر النار ، يقول : إنك إن بحثت عن الهرم فى أيام القيظ والصيف لم تقع عينك عليه إلا فى حال كونه يجمع الوقود الذى يدخره لوقت الشتاء ليستدفئ به ، أراد أنه لا يرتحل ولا يغير ولا يبرح موطنه فى التماس ما يلتمسه الأقوياء « حتى يقال وراء البيت منتبذا — البيت » منتبذا : أى متخذا لنفسه مكانا بعيدا عن أماكن الناس ، واحتزم : أى شد وسطك بالحزام : أى تهيأ للارتحال كما تهيأ له الناس ، يقول : إنه ما يزال كذلك حتى يقال له وهو وراء البيت خال بنفسه : قم فقد سار الحى « فقام ترعد كفاه بمحجنه — البيت » المحجن — بزنة المنبر — أراد به العصا التى يتوكأ عليها ، والرهب — بالفتح — الرقيق الضعيف ، والرذى — بفتح فكسر فياء مشددة — المعى المطروح ، وطائش القدم : أراد أنه إذا أراد السير لم تطاوعه قدماه « تالله يبقى على الأيام ذو حيد — البيت » هذا قسم ، ويبقى منفى بحرف نفى مقدر : أى لا يبقى ، والحيد : الأنابيب تكون فى قرن الوعل ، والأدفى : الذى انحنى قرناه إلى ظهره ، والصلود — بفتح الصاد ، بزنة صبور — أصله الزند الذى إذا قدح صوّت ولم يخرج نارا ، وأراد به ههنا الذى يضرب برجله على الصخرة فتسمع لها صوتا ، ويقال : الصلود هو الذى إذا فزع صعد فى الجبل ، وذو خدم : أى أنه قد ابيضت أوظفته ، سواء أكانت من رجليه أم كانت من يديه ، والأعصم : الذى ابيضت يداه أو إحداهما « يأوى إلى مشمخرات مصعدة — البيت » يأوى : يسكن ، وأراد بالمشمخرات ههنا أعالى الجبال ، والشم : جمع أشم أو شماء ، وهى المرتفعة الشديدة الارتفاع ، والقان والنشم : ضربان من الشجر الذى ينبت فى الجبال ، وقال الأزهرى : القان شجر ينبت فى جبال تهامة « من فوقه شعف قر وأسفله — البيت » الشعف : رؤوس الجبال ، واحدها شعفة — بالتحريك — والقر — بفتح القاف وتشديد الراء — البارد ، والجى — بكسر الجيم وتشديد الياء — جمع جية ، وهى مناقع الماء ، أو هى بئار غير مطوية تمسك الماء أن يسيل ويتبدد ، والظيان — بفتح الظاء وتشديد الياء — شجر يشبه النسرين ، والعتم — بالتحريك — شجر الزيتون البرى « موكل بشدوف الصوم ينظرها — البيت » الشدوف : الشخوص ، والصوم : شجر على شكل

... ...

شخص الإنسان كريه المنظر جدا يقال لثمره : رؤوس الشياطين ، والمراد بالشياطين هنا الحيات ، وليس لهذا الشجر ورق ، وقال أبو حنيفة : للصوم هدب ، ولا تنتشر أفنانه ، ينبت نبات الأثل ولا يطول كطوله ، وقوله : « يرقبه » أى يحذره ويخافه لأنه يخشى أن يكون ناسا يريدون صيده ، ومخطوف الحشا : ضامر البطن ، وإنما صار إلى ذلك من الفزع ، والمغارب : جمع مغرب — بضم الميم وكسر الراء بينهما غين ساكنة — وهو المكان الذى يتوارى فيه ، وزرم — بفتح الزاى وكسر الراء — وصف من قولهم «زرم فلان» إذا انقطع عن بوله أو حاجته قبل إتمامها ، وبابه فرح ، و «أزرمه غيره» أى قطع عليه ، وفى الحديث «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل الحسن بن على فى حجره ، فبال ، فأرادوا أن يحملوه ، فقال النبى صلوات الله وسلامه عليه : « لا تزرموا ابنى » أى لا تقطعوا عليه ودعوه يتم بوله « حتى أتيح له رام بمحدلة — البيت » أتيح له : هيىء له وقدر ، والمحدلة — بضم الميم وسكون الحاء وفتح الدال — أراد القوس ، والجشء : القضيب الخفيف ، وهو وصف للمحدلة ، وأراد بالبيض السهام ، وهو عطف على محدلة ، والسجم — بالتحريك — شجر له ورق كورق الخلاف ، يريد أن نصال هذه السهام كورق هذا الشجر « فظل يرقبه حتى إذا دمست — البيت » يرقبه : يرصده ، والضمير المستتر يعود إلى الرامى المذكور فى البيت السابق ، والضمير البارز المتصل يعود إلى الوعل الذى عبر عنه بقوله : ذو حيد ، ودمست — من باب جلس — التبست ، وذات العشاء : الساعة التى من العشاء ، والأسداف : جمع سدف — بالتحريك — وهو الظلمة ههنا ، وربما أطلقوا السدف على الضوء ، والغسم — بالتحريك — اختلاط الظلمة ، وهو غبس الليل وسواده أيضا « ثم ينوش إذا آد النهار له — البيت » ينوش : يتناول ، وقالوا : « ناشت الناقة النبت » أى تناولته ، وآد النهار : أى مال إلى الزوال ، والترقب : التخوف والنظر ، والنيم — بكسر النون — شجر له شوك لين وورق صغار وله حب كثير متفرق يشبه الحمص حامض ، فإذا أينع اسودّ وحلا ، والكتم — بالتحريك — نبات لا يسمو صعدا ، ينبت فى أصعب الصخر ثم يتدلى خيطانا لطافا ، وهو أخضر ، وورقه كورق الآس أو أصغر « دلى يديه له سيرا فألزمه — البيت » دلى يديه : كأنه رماه من فوقه ، يقول : حط يديه له وهو يمشى ، ونفاحة : تنفح بالدم ، وغير إنباء : أى لم ينب سهمه حين رماه ، ولا شرم : أى لم يصب بعض جلده فيشقه ، ولكنه نفذ فيه حتى خرج من الشق الآخر « فراغ منه بجنب الريد ثم كبا — البيت » يقول : راغ هذا الوعل من الرامى بناحية ريد الجبل روغة ثم عثر والسهم فيه ، والنضى — بزنة علىّ — قدح بغير ريش ولا نصل أدركه طول

... ...

الزمان ، هذا أصله ، ثم استعملوا النضى فى السهم ، وقوله : « خلال الصدر » أراد أنه دخل بين أطباق الضلوع .

الإعراب : « يا » حرف نداء ، والمنادى به محذوف : أى يا قوم ليت شعرى — إلخ ، أو يا حرف دال على التنبيه «ليت» حرف تمن ونصب مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب «شعرى» اسم ليت منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وياء المتكلم مضاف إليه، مبنى على السكون فى محل جر ، وهى من إضافة المصدر إلى فاعله ، وخبر ليت محذوف وجوبا ، والتقدير : ليت شعرى (أى علمى) حاصل « ولا » الواو اعتراضية أو هى واو الحال حرف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، لا : نافية للجنس ، حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « منجى » اسم لا مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر فى محل نصب بلا « من » حرف جر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « الهرم » مجرور بمن ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بمنجى ، وعليه يكون خبر لا محذوفا ، أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لا ، والجملة من لا واسمها وخبرها لا محل لها من الإعراب إن جعلت الواو اعتراضية ، أو فى محل نصب حال إن قدرت الواو حالية « أم » زائدة «هل» حرف دال على الاستفهام التقريرى مبنى على السكون لا محل له من الإعراب «على العيش» جار ومجرور متعلق بقوله ندم الآتى آخر البيت « بعد » ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وهو مضاف و« الشيب » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « من » حرف جر زائد مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « ندم » مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد .

الشاهد فيه : قوله : « أم هل على العيش — إلخ » حيث وقعت « أم » فى هذه العبارة زائدة ، ووجه زيادتها ههنا أن قوله : «ليت شعرى» يتطلب شيئين : أولهما خبر ليت ، وثانيهما مفعول شعرى الذى هو مصدر مضاف إلى فاعله كما ذكرنا فى إعراب البيت ، وقد جرى استعمال العرب على أن يأتوا بمفعول هذا المصدر مقترنا بأداة الاستفهام ، وعلى أن يحذفوا خبر ليت ولا يذكرونه ، ولهذا قلنا لك فى إعراب البيت إن خبر ليت محذوف وجوبا ، فهذه الجملة المقترنة بأداة الاستفهام فى محل نصب بشعرى ، وعلى هذا تفهم السر فى كون « أم » زائدة مقحمة بين العامل الذى هو المصدر المضاف إلى فاعله ومعموله الذى هو جملة الاستفهام .

قال ابن هشام فى مغنى اللبيب فى مباحث أم : « الثالث (من وجوه استعمال أم) أن تقع

... ...

زائدة ، ذكره أبو زيد ، وقال فى قوله تعالى : (أفلا تبصرون أم أنا خير) : إن التقدير : أفلا تبصرون ؟ أنا خير ، والزيادة ظاهرة فى قول ساعدة بن جؤية * ياليت شعرى ولا منجى من الهرم ... * البيت » اه كلامه ، وهو الذى صدر الشارح المحقق عنه ، وعلى ما ذكره أبو زيد من زيادة أم فى الآية الكريمة يكون مفعول تبصرون محذوفا ، أو يكون الفعل منزلا منزلة اللازم فلا يحتاج إلى مفعول ، وتكون جملة (أنا خير) مستأنفة .

وفى « أم » فى الآية الكريمة اختلفت أنظار العلماء ، قال أبو حيان رحمه الله تعالى ما نصه : « الظاهر أن أم هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة ، أى بل أأنا خير ؟ وهو إذا استفهم أهو خير ممن هو ضعيف لا يكاد يفصح عن مقصوده إذا تكلم — وهو الملك المتحكم فيهم — قالوا له بلا شك : أنت خير ؛ وقال السدى وأبو عبيدة : هى بمعنى بل ، فيكون انتقل من ذلك الكلام إلى إخباره بأنه خير ممن ذكر ، كقول الشاعر :

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فى رَوْنَقِ الضُّحَى وصُورَتِهَا ، أَمْ أَنْتِ فى الْعَيْنِ أَمْلَحُ ؟

وقال سيبويه : أم هذه هى المعادلة : أى أم يبصرون الأمر الذى هو حقيق عنده أن يبصر ، وهو أنه خير من موسى ، وهذا القول قاله الزمخشرى حيث قال : أم هذه متصلة ؛ لأن المعنى : أفلا تبصرون أم تبصرون ، إلا أنه وضع قوله : أنا خير ، موضع تبصرون ؛ لأنهم إذا قالوا أنت خير فهم عنده بصراء ، وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب . اه . وهذا القول متكلف جدا ، إذ المعادل إنما يكون مقابلا للسابق ، وإن كان السابق جملة فعلية كان المعادل جملة فعلية أو جملة اسمية يتقدر منها فعلية ، كقوله تعالى : (أدعوتموهم أم أنتم صامتون) لأن معناه أدعوتموهم أم صمتم ، وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية ؛ لأن قوله : أنا خير ، ليس مقابلا لقوله : أفلا تبصرون ، وإن كان السابق اسما كان المعادل اسما أو جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله :

* أَمُخْدَجَ الْيَدَيْنِ أَمْ أَتَمَّتْ *

فأتمت معادل للاسم : أى أولدت ولدا مخدج اليدين أم متما ؟

وقيل : حذف المعادل بعد أم لدلالة المعنى عليه ؛ إذ التقدير : أفلا تبصرون أم تبصرون ، فحذف تبصرون ، وهذا لا يجوز إلا إذا كان بعد أم لفظ لا ، نحو أن تقول : أيقوم زيد أم لا ؟ تقديره : أم لا يقوم ، وكما تقول : أزيد عندك أم لا ؟ أى : أم لا هو عندك ، فأما حذفه دون لا فليس من كلامهم ، وقد جاء حذف أم والمعادل ، وهو قليل ، قال الشاعر :

دَعَانِى إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّى لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ ، فَمَا أَدْرِى أَرُشْدٌ طِلَابُهَا ؟

(خَيِّرْ) و(أَبِحْ) و(قَسِّمْ بِأَوْ وأَبْهِمِ * وَاشْكُكْ) فالتخيير والإباحة يكونان بعد الطلب ملفوظاً أو مقدراً، وماسواهما فبعد الخبر؛ فالتخييرُ نحو: تزوّجْ زينبَ أو أُختَها؛ والإباحة نحو: جالِسِ العلماءَ أو الزُّهّادَ، والفرق بينهما امتناعُ الجمعِ في التخيير، وجوازه في الإباحة؛ والتقسيمُ نحو: الكلمةُ اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ؛ والإبهام نحو: «أتَاهَا أمْرُنَا لَيْلاً أوْ نَهَاراً» وجعل منه نحو: «وَإِنَّا أوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» والشك نحو: «لَبِثْنَا يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ» (وَإِضْرَابٌ بِهَا أَيْضاً نُمِي) أي: نسب إلى العرب في قول الكوفيين وأبي عليّ وابن بَرْهان وابن جني مطلقاً، تمسكا بقوله:

٨٣٣ — كانُوا ثَمَانِينَ أوْ زَادُوا ثَمَانِيَةً   لَوْلا رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَّلْتُ أوْلادِي

يريد أرشد طلابها أم غيّ، وحكى الفراء أنه قرئ (أما أنا خير) دخلت الهمزة على ما النافية فأفادت التقرير» اهـ كلام أبي حيان، ولم يذكر القول بالزيادة، وممن قال بالزيادة أبو الحسن سعيد ابن مسعدة المجاشعي الأخفش، ذكره البغدادي نقلا عن كتاب المعاياة للأخفش.

٨٣٣ — هذا بيت من البسيط، وهو من قصيدة لجرير بن عطية بن الخطفي يمدح فيها معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وأول هذه القصيدة قوله:

قَدْ قَرَّبَ الحَيُّ إذْ هَاجُوا لِإِصْعَادِ   بُزْلاً مُخَيَّسَةً أَرْمَامَ أَقْيَادِ
صُهْباً كَأَنَّ عَصِيمَ الوَرْسِ خَالَطَهَا   مِمَّا تُصَرَّفُ مِنْ خَطْرٍ وَإِلْبَادِ
يَحْدُو بِهِمْ زَجِلٌ لِلْبَيْنِ مُعْتَرِفٌ   قَدْ كُنْتُ ذا حاجَةٍ لَوْ يَرْبَعُ الحَادِي
أَلاَ تَرَى العَيْنَ يَوْمَ البَيْنِ إذْ ذَرَفَتْ   هَاجَتْ عَلَيْكَ ذَوِي ضِغْنٍ وأَحْقَادِ
حَلَّأْتِنَا عَنْ قَرَاحِ المُزْنِ فِي رَصَفٍ   لَوْ شِئْتِ رَوَّى الغَلِيلَ الهَائِمُ الصَّادِي
كَمْ دُونَ بَابِكِ مِنْ قَوْمٍ نُحَاذِرُهُمْ   يَا أُمَّ عَمْرٍو وحَدَّادٍ وحَدَّادِ
هَلْ مِنْ نَوَالٍ لِمَوْعُودٍ بَخِلْتِ بِهِ   ولِلرَّهِينِ الَّذِي اسْتَغْلَقْتِ مِنْ فَادِي
لَوْ كُنْتِ كَذَّبْتِ إذْ لَمْ تُوتَ فَاحِشَةٌ   قَوْماً يَلِجُّونَ فِي جَوْرٍ وأَفْنَادِ
فَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثاً بَعْدَ مَوْقِفِنَا   مِمَّا ذَكَرْتِ إلى زَيْدٍ وشَدَّادِ

... ...

والبيت المستشهد به يقع آخر القصيدة ، وقبله قوله :

يا رُبَّما أُرْتَادَ كَمْ رَكْبٌ لِرَغْبَتِهِمْ ... فَأَحْمَدُوا الْغَيْثَ وَأَنْقَادُوا لِرُوَّادِ

سَارُوا عَلَى طُرُقٍ تَهْدِى مَنَاهِجُهَا ... إلى خَضَارِمَ خُضْرِ اللُّجِّ أَعْدادِ

سَارُوا مِنَ الْأَدْمَى والدَّامِ مُنْعَلَةً ... قُودًا سَوَالِفُهَا فى مَوْرِ أَعْضَادِ

سِيرُوا فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُمْ ... غَيْثٌ مُغِيثٌ بِنَبْتٍ غيرِ مِجْحَادِ

ماذا تَرَى فى عِيَالٍ قدْ بَرِمْتُ بِهِمْ ... لَمْ تُحْصِ عِدَّتَهُمْ إلاَّ بِعَدَّادِ

كانُوا ثَمَانِينَ أَوْ زادُوا ثَمَانِيَةً ... لَوْلا رَجاؤُكَ قَدْ قَتَّلْتُ أَوْلادى

اللغة : « قد قرب الحى إذ هاجوا لإصعاد — البيت » قرب : أدنى ، والحى : أصله القوم الحلول ، وهاجوا : ثاروا ، والإصعاد : مصدر أصعد القوم أى ساروا وذهبوا فى الأرض ، ومن أهل اللغة من يخص الإصعاد بالسير إلى نجد والحجاز واليمن ، والبزل — بالضم — جمع بازل ، وهو الجمل إذا فطر نابه وانشق ، وبزلا مفعول قرب ، مخيسة : مذللة قد دربت على السير وعودته ، والأرمام : جمع رمة ، بكسر الراء وتشديد الميم ، وأصلها الحبل ، أو البالى منه ، والأقياد : جمع قيد ، يريد أن الحى قد اعتزموا الرحيل فثاروا إلى إبلهم المعودة على السير فقربوها منهم ليرتحلوها « صهبا كأن عصيم الورس خالطها — البيت » الصهب — بالضم — جمع صهباء أو أصهب ، وهو الذى لونه الصهبة — بالضم — وهى الحمرة ، وحمر النعم خيارها ، ومنه الحديث « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » والعصيم — بفتح العين المهملة ، بزنة أمير — أثر الشىء وبقيته ، والورس — بفتح فسكون — نبت أصفر يزرع فى اليمن ويصبغ به ، ويقال : هو الزعفران ، والإلباد : مصدر « ألبد البعير » إذا ضرب بذنبه على عجزه وقد ثلط عليه وبال فيصير على عجزه لبدة من ثلطه وبوله « يحدو بهم زجل للبين معترف — البيت » الحداء — بالضم — الغناء ، ولما كان الأصل أن يكون الحداء لتنشيط الإبل على السير أطلقوه على السوق ، ويربع : مضارع قولهم : « ربع الرجل » من باب فتح — إذا وقف وانتظر وتحبس وتمهل ، وجواب لو محذوف : أى لو يتمهل الحادى وينتظر لذكرت هذه الحاجة ، أو هى الدالة على التمنى ؛ فلا جواب لها « ألا ترى العين يوم البين إذ ذرفت — البيت » البين — بالفتح — الفراق ومغادرة الحى أماكنهم ، وذرفت العين تذرف — من باب ضرب — إذا ألقت دمعها ، والضغن — بالكسر — الغل والحقد ، والأحقاد : جمع حقد ، وذوى ضغن وأحقادهم الوشاة ، استدلوا على حبه ببكائه فى أثر

... ...

الظاعنين « حلأتنا عن قراح المزن فى رصف — البيت » تقول : حلأ فلان فلانا — بتضعيف اللام — أى منعه ، والرصف — بفتح الراء والصاد المهملة جميعا — جمع رصفة — بالتحريك — وهى الحجارة المرصوف بعضها إلى بعض فى مسيل الماء ، أو هى السد المبنى للماء ، والغليل : حرقة الباطن من العطش ونحوه ، والهائم : الشديد العطش ، والصادى : العطشان أيضا « كم دون بابك من قوم نحاذرهم — البيت » الحداد : البواب ، سمى بذلك لأنه يمنع الناس من الدخول ، والحد : المنع ، ومنه قول النابغة الذبيانى :

إلاَّ سُلَيْمَانَ إذْ قالَ الْإِلٰهُ لَهُ   قُمْ فى الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ

« هل من نوال لموعود بخلت به — البيت » النوال فى الأصل : العطاء ، وأراد به ههنا ما كان يأمله من رد التحية أو التمهل للتوديع أو نحو ذلك ، واستغلقت : مأخوذ من قولهم : « غلق الرهن بيد الراهن » إذا لم يوجد له فداء ، ومنه قول زهير بن أبى سلمى المزنى :

إنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَانْفَرَقَا   وعُلِّقَ القَلْبُ مِنْ أَسْماء ما عَلِقَا

وخَلَّفَتْكَ بِرَهْنٍ لافِكاكَ لَهُ   يَوْمَ الْوَداعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا

« لو كنت كذبت إذا لم توت فاحشة — البيت » توت : مضارع مبنى للمجهول من الإتيان ، ويلجون : أراد أنهم يكثرون ، والأفناد : جمع فند — بالتحريك — وهو الكذب ، وأراد بالقوم الذين يلجون فى جور وأفناد الوشاة « يا ربما ارتادكم ركب لرغبتهم — البيت » ارتادكم : قصدكم وانتجعكم ، والركب : أصله ركاب الإبل خاصة ، وقد يطلقونه على كل راكبين إبلا كان ما يركبونه أو خيلا أو غيرهما ، فأحمدوا الغيث : أى وجدوا ما انتجعوه محمودا ، وأراد بالغيث الممدوحين ، لما عبر عن قصد المؤملين بالارتياد ، وأصل الارتياد طلب الكلأ والعشب ، استساغ أن يعبر عن ممدوحيه بالغيث ، لأنه سبب النبات ، والرواد : جمع رائد ، وهو الذى يتقدم أمام القوم ليرى لهم أماكن الخصب فيدلهم عليها ، وانقادوا لهم : تبعوهم « ساروا على طرق تهدى مناهجها — البيت » المناهج : جمع منهج — بفتح الميم والهاء بينهما هاء ساكنة — وهو الطريق الواضح ، وجمعه مناهج ، والخضارم : جمع خضرم — بكسر الخاء والراء بينهما ضاد ساكنة — وأصله البئر الكثيرة الماء ، ثم أطلقوه على السيد الكثير العطاء ، مجازا ، والأعداد : جمع عد — بكسر العين المهملة وتشديد الدال — وأصله الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين وماء الينبوع ، ثم أطلق على العطاء « ساروا من الأدمى والدام منعلة — البيت » الأدمى

... ...

— بفتحات — والدام : من بلاد بنى سعد ، قاله أبو سعيد السكرى ، ويكثر ذكر هذين الموضعين فى كلام جرير ، من ذلك قوله :

يا حَبَّذَا الخَرْجُ بَيْنَ الدَّامِ والأُدْمَى فالرِّمْثُ مِنْ بُرْقَةِ الرَّوْحانِ فالغُرَفُ

والقود — بالضم — جمع الأقود والقوداء ، والأقود من الخيل والإبل الذلول المنقاد ، وهو أيضا الشديد العنق لقلة التفاته ، والسوالف : جمع سالفة ، وهى صفحة العنق ، وقيل : مقدمها ، والمور — بالفتح — الطريق للموطوء المستوى ، والأعضاد : جمع عضد ، وهو ههنا : ناحية الطريق وجانبه « سيروا فإن أمير المؤمنين لكم — البيت » مجحاد : أى قليل النوال « ماذا ترى فى عيال قد برمت بهم — البيت » العيال : جمع عيل — بفتح العين وتشديد الياء مكسورة — وعيال الرجل : أهل بيته الذين يمونهم ويتكفل بهم من أزواج وأولاد وأتباع ، ونظيره جيد وجياد ، ويجمع العيل أيضا على عيايل وعيائيل وعالة — نظير سيد وسادة — وقد يطلق العيل على الجمع وقد يطلق العيال على الواحد ، وبرمت بهم — من باب فرح — أى ضجرت منهم وسئمتهم ، ولم تحص عدتهم : هكذا هو فى الديوان ، وروى « لم أحص عدتهم » وهو المذكور فى كتب النحاة وشراح الشواهد .

الإعراب : « كانوا » كان : فعل ماض ناقص ، وواو الجماعة العائد إلى العيال المذكورين فى البيت السابق اسم كان مبنى على السكون فى محل رفع « ثمانين » خبر كان منصوب بالياء نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم « أو » حرف عطف دال على الإضراب بمعنى بل ، مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « زادوا » زاد : فعل ماض ، وواو الجماعة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع « ثمانية » مفعول به لزاد منصوب بالفتحة الظاهرة « لولا » حرف دال على امتناع الجواب لوجود الشرط « رجاؤك » رجاء : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله : أى لولا رجائى إياك ، وخبر المبتدأ محذوف وجوبا ، والتقدير : لولا رجاؤك موجود « قد » حرف تحقيق مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « قتلت » قتل : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره ، وتاء المتكلم فاعله ، مبنى على الضم فى محل رفع « أولادى » مفعول به لقتل ، منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وياء المتكلم مضاف إليه ، والجملة جواب لولا .

الشاهد فيه : قوله : « أو زادوا ثمانية » حيث وردت فيه « أو » دالة على الإضراب مثل

... ...

بل ، ومجيء أو للإضراب على نحو مافى هذا البيت — أى من غير أن يتقدم على الكلام نفى أو نهى ، ومن غير أن يعاد مع أو العامل فى المعطوف عليه — هو قول الكوفيين وأبى علىّ الفارسى وتلميذه ابن جنى وابن برهان ، فأما سيبويه فإنه لم ينكر أن تأتى أو للإضراب ، لكنه اشترط فى مجيئها للإضراب شرطين : الأول أن يتقدم على الكلام نفى أو نهى ، والثانى أن يعاد بعد أو العامل فى المعطوف عليه ، ومما يؤيد ذلك أنه قال فى قوله تعالى : (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) : « ولو قلت : أو لا تطع منهم كفورا ، انقلب المعنى » يعنى يصير المعنى على الإضراب فيكون النهى عن طاعة الآثم مضروبا عنه والمقصود هو النهى عن طاعة الكفور ، قال ابن هشام فى مباحث أو من مغنى اللبيب ما نصه « السادس (من معانى أو) الإضراب كبل ، فعن سيبويه إجازة ذلك بشرطين : تقدم نفى أو نهى ، وإعادة العامل ، نحو : ما قام زيد أو ما قام عمرو ، ولا يقم زيد أو لا يقم عمرو ، ونقله عنه ابن عصفور ، ويؤيده أنه قال فى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) : ولو قلت أو لا تطع منهم كفورا انقلب المعنى ، يعنى أنه يصير إضرابا عن النهى الأول ونهيا عن الثانى فقط ، وقال الكوفيون وأبو على وأبو الفتح وابن برهان : تأتى للإضراب مطلقا ، احتجاجا بقول جرير :

ماذا تَرَى فى عِيَالٍ قدْ بَرِمْتُ بِهِمْ   لَمْ أُحْصِ عِدَّتَهُمْ إلاَّ بِعَدَّادِ
كانُوا ثمانِينَ أَوْ زَادُوا ثمانِيَةً   لَوْلا رَجاؤُكَ قدْ قَتَّلْتُ أَوْلادى

وقراءة أبى السمال : (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم) بسكون واو أو ، واختلف فى : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) . فقال الفراء : بل يزيدون ، هكذا جاء فى التفسير مع صحته فى العربية ، وقال بعض الكوفيين : بمعنى الواو ، وللبصريين فيها أقوال : قيل للإبهام ، وقيل للتخيير : أى إذا رآهم الرائى تخير بين أن يقول : هم مائة ألف ، أو يقول : هم أكثر ، نقله ابن الشجرى عن سيبويه ، وفى ثبوته عنه نظر ، ولا يصح التخيير بين شيئين الواقع أحدها ، وقيل : هى للشك مصروفا إلى الرائى ، ذكره ابن جنى ، وهذه الأقوال — غير القول بأنها بمعنى الواو — مقولة فى : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) ، (فهى كالحجارة أو أشد قسوة) » اهـ كلامه بحروفه .

وقراءة أبى السمّال « أَوْ كُلَّمَا عاهَدُوا عَهْدًا » بسكون الواو ، ونسبه ابن عصفور لسيبويه ، لكن بشرطين : تقدم نفى أو نهى ، وإعادة العامل ، نحو : ما قامَ زيْدٌ أو ما قام عمرٌو ، ولا يقُمْ زيْدٌ أو لا يقم عمرٌو ، ويؤيده أنه قال فى : « وَلا تُطِـعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا » : ولو قلت : أو لاتطع كفوراً ، انقلب المعنى ، يعنى أنه يصير إضرابًا عن النهى الأول ، ونهياً عن الثانى فقط .

(وَرُبَّما عاقَبَتِ) أو (الْوَاوَ) أى : جاءت بمعناها (إذا * لَمْ يُلْفِ ذُو النُّطْقِ لِلَبْسٍ مَنْفَذَا) أى : إذا أمن اللبس ، كقوله :

٨٣٤ — قَوْمٌ إذا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ ما بَيْنَ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أوْ سَافِعِ

---

٨٣٤ — هذا بيت من الكامل ، وقد نسبه جماعة من شراح الشواهد كالعينى والسيوطى إلى حميد بن ثور الهلالى ، وقال البغدادى فى شرح شواهد المغنى : « قال صاحب الصحاح : سفعت بناصيته أى أخذت ، قال الشاعر * مابين ملجم مهره أو سافع * ومنه قوله تعالى : (لنسفعا بالناصية) اهـ ورجعت إلى أمالى ابن برى عليه فوجدته قال : صدره : * قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم * ولم يتعرض لقائله ، وإنما قال : والبيت الذى بعده لحميد بن ثور الهلالى الصحابى ، وكأن العينى وقعت عينه عليه فظن أن بيت الشاهد لحميد بن ثور ، فنسبه إليه ، وقلده السيوطى ، وتبعه ابن الملا وغيره ، واستشهد به صاحب الكشاف وغيره عند تفسير تلك الآية ، فقال شارح أبياته : البيت نسبه أرباب الحواشى لعمرو بن معديكرب ، ونسبه العينى والسيوطى إلى حميد بن ثور ، والصاغانى رحمه الله قد التزم فى العباب أن يذكر قائل الأبيات ويكمل مااختصره الجوهرى ، فرجعت إلى العباب فوجدته قد أورد البيت كاملا ولم يذكر اسم قائله ، فرجعت إلى تهذيب اللغة للأزهرى فوجدته كالعباب ، وأنشد ابن فارس عجزه فى مجمل اللغة ، ثم فتشت الحماسات فلم أجده فيها ، ثم رجعت إلى ديوان عمرو بن معديكرب وديوان حميد بن ثور فلم أجده فيهما » اهـ .

اللغة : « الصريخ » صوت المستصرخ وهو الصارخ أيضا ، والمناسب هنا الأول ، لأن السماع يتعلق بالأصوات ، لا بالذوات ، ويروى « قوم إذا نقع الصريخ » ونقع فى هذه الرواية : أى ارتفع ، تقول : « نقع الصوت » و « استنقع » أيضا ، تريد ارتفع ، وما فى قوله : «ما بين ملجم» زائدة ، ومن الناس من يروى « من بين ملجم مهره — إلخ » وقال الدمامينى فى تخريج هذه الرواية : من هذه إما زائدة على رأى الكوفيين والأخفش : أى رأيتهم بين هذين القسمين لايخرجون

... ...

عنهما ، وإما للابتداء متعلقة بفعل الرؤية : أى إن رؤيتك إياهم ابتدأت من هذين القسمين « ملجم » اسم فاعل فعله « ألجم فلان فرسه » أى أدخل اللجام فى فمه ، وإضافة ملجم إلى مهره لفظية أفادت التخفيف « مهره » المهر — بالضم — ولد الخيل ، وأنثاه مهرة ، ويجوز هنا أن يكون « مهره » مذكرا مضافا إلى ضمير الغيبة راجعا إلى موصوف ملجم ، أى بين رجل ملجم مهره أو فريق ملجم مهره ، ويجوز أن يكون «مهرة» بتاء التأنيث «سافع» هو الممسك برأس فرسه ليركبه على وجه السرعة من غير لجام ، وله معمول محذوف ، وتقدير الكلام : أو سافع بناصية فرسه .

المعنى : وصف قوما بسرعة إجابة من يستنجدهم ويستصرخ بهم رجاء نصرتهم إياه فيقول : هم بين هاتين الحالتين المشعرتين بتمام المبادرة لانتهاز الفرصة مع ما فيه من التلويح إلى ما اتصفوا به من كمال الفروسية وقوة الشجاعة حيث لم تتوقف إجابتهم الصارخ على أن يكونوا على تمام الأهبة ، ونظير هذا البيت فى المعنى قول سلامة بن جندل :

إِنَّا إِذَا ما أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ الصُّرَاخَ لَهُ قَرْعُ الظَّنَابِيبُ

الإعراب : « قوم » خبر مبتدأ محذوف ، وتقدير الكلام : هم قوم ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة «إذا» ظرف تضمن معنى الشرط مبنى على السكون فى محل نصب بقوله: رأيتهم الآتى « سمعوا » فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وواو الجماعة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع ، والجملة فى محل جر بإضافة إذا إليها « الصريخ » مفعول به لسمعوا منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « رأيتهم » رأى فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره ، وتاء المخاطب فاعله مبنى على الفتح فى محل رفع ، وضمير الغائبين مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب ، والجملة لا محل لها من الإعراب جواب إذا « ما » زائدة « بين » ظرف متعلق برأى منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف « ملجم » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وملجم مضاف ومهر من « مهره » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الكسر فى محل جر « أو » حرف عطف بمعنى الواو مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « سافع » معطوف على ملجم مهره ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « بين ملجم مهره أو سافع » حيث وردت « أو » فى هذه العبارة بمعنى واو العطف ، وأنها دالة على حصول المعطوف والمعطوف عليه معا ، وهذا مبنى على ما قدمنا ذكره فى شرح الشاهد رقم (٨١٩) من أن من حق « بين » أن تضاف إلى متعدد لفظا أو معنى ، ومن أن الواو تدل على الجمع المطلق ، ومن صور الجمع المطلق أن يكون وقوع المعطوف بها والمعطوف عليه فى وقت واحد ، فلو أنك أبقيت « أو » على معناها الأصلى — وهو أنها تدل

وقوله :

٨٣٥ — فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ

على أحد الشيئين أو الأشياء — لزم أن تكون بين مضافة إلى شىء لاتعدد فيه ، وهو غير جائز ، وقد استشهد بهذا البيت لمثل ما هنا ابن هشام فى مباحث أو من مغنى اللبيب ، وسبقه إلى ذلك ابن مالك فى شرح التسهيل وفى شرح الكافية الشافية .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : وهذا الكلام إنما يتم إذا اعتبرت قوله : « ملجم مهره » مفردا فى اللفظ والمعنى ، وكذا قوله : « سافع » أما إذا تأولت قوله : « ملجم مهره » بما يدل على التعدد كأن تجعله بمعنى فريق ملجم مهره وفريق سافع بناصية فرسه ، أو طائفة أو نحو ذلك فإنه يصح حينئذ أن تبقى « أو » على معناها الأصلى ؛ لأن قوله : « بين ملجم مهره » على هذا المعنى كلام تام غير محتاج إلى شىء أصلا ، وهذا نظير ما قالوه فى قول امرىء القيس « بين الدخول فحومل » إن المعنى على بين أماكن الدخول فأماكن حومل ، وبعد كتابة ما تقدم رأيت الدماميني يقول : « ولقائل أن يقول : لم لا يجوز أن يكون المراد بين فريق ملجم مهره أو فريق سافع ، وكل واحد من الفريقين ذو تعدد ، فهو كقولك : جلست بين العلماء أو الزهاد ، فأو لأحد الأمرين ، ولا إشكال » اهـ . ثم وجدت ابن الملا قد اعترض عليه بأن المعنى على ما ذكره ينحط عن المعنى الذى تؤديه العبارة على أن «أو» بمعنى الواو ؛ لأن غرض الشاعر أن يمدح هؤلاء القوم بسرعة إجابة الصريخ فهم بين هاتين الحالتين الدالتين على المبادرة والمسارعة إلى النجدة ، قال : « ولا يفى بهذا الغرض إلا أن يقال : رأيتهم بين كذا وكذا ، دون أن يقال : رأيتهم بين فريق كذا أو فريق كذا » اهـ . ثم رأيت البغدادى يرد على ابن الملا بقوله : « ولا أرى فرقا كما زعم ؛ لأن المعنى رأيتهم إما بين فريق ملجم مهره وإما بين فريق سافع مهره ، والمبادرة المذكورة مفهومة أيضا » اهـ . والحق الذى يدركه أهل الذوق المتمرسون بأساليب العربية أن المعنى ينحط ، وأن فرقا بين أن تقول : القوم يشتملون على الفريقين ، وأن تقول : القوم يدور أمرهم بين أن يكونوا هذا الفريق أو هذا الفريق ، فتفهم ذلك وتذوقه ، والله تعالى المسئول أن يلهمك ويسددك .

٨٣٥ — هذا بيت من الطويل ، وهو من أبيات فى وصف الفرس من معلقة امرىء القيس ابن حجر الكندى ، وقبله قوله :

وَقَدْ أَغْتَدِى وَالطَّيْرُ فِى وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

... ...

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حالِ مَتْنِهِ كما زَلَّتِ الصَّفْوَاء بِالمُتَنَزَّلِ
عَلَى الْعَقْبِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ إذا جاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ
مِسَحٍّ إِذا ما السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثَرْنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ المُرَكَّلِ
يَزِلُّ الْغُلامُ الخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ وَيُلْوِى بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ المُثَقَّلِ
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَقَلُّبُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ
لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخاء سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ
ضَلِيعٌ إِذا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ
كَأَنَّ سَرَاتَهُ لَدَى الْبَيْتِ قائِمًا مَداكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلايَةُ حَنْظَلِ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذارَى دَوَارٍ فى مُلاءٍ مُذَيَّلِ
فأَدْبَرْنَ كالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعَمٍّ فى الْعَشِيرَةِ مُخْوَلِ
فأَلْحَقَنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فى صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ
فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ ما بَيْنَ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِواءٍ ... البيت، وبعده :
ورُحْنَا ورَاحَ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ مَتَى ما تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ

اللغة : « وقد أغتدى والطير فى وكناتها — البيت » أغتدى : أخرج فى وقت الغدوة ، وأراد هنا مجرد الخروج لقوله بعد « والطير فى وكناتها » والوكنات : جمع وكنة ، وهى وكر الطائر وعشه ، والعبارة كناية عن التبكير ، والمنجرد : أراد به الفرس القصير الشعر ، والأوابد : الوحش ، واحده آبد وآبدة ، وقيد الأوابد : كناية عن سرعة سيره لأنه يقيدها عن الحركة والفرار بسرعة سيره وشدة عدوه ، وهيكل : أى طويل متين الخلق « مكر مفر مقبل مدبر معا — البيت » مكر : أى معاود للكر والإقدام ، مفر : معاود للفرار ، مقبل : أى حسن الإقبال ، مدبر : حسن الإدبار ، والجلمود — بزنة العصفور — الصخر الأصم ، من عل : أى من مكان عال « كميت يزل اللبد عن حال متنه — البيت » الكميت : الذى يضرب لونه إلى

... ...

الحمرة فى سواد ، بزل اللبد : لا يكاد يثبت الجل على ظهره لملاسته ، ويروى : « عن حاذ متنه » والحاذ : وسط الظهر ، والصفواء : الصخرة الملساء ، والمتنزل : السيل الجارف « على العقب جياش كأن اهتزامه — البيت » العقب : أراد به الجرى بعد الجرى والعدو يعقب العدو ، وقيل : معناه أنك إذا حركته بعقبك جاش ولم يحوجك إلى استعمال السوط ، والجياش : الذى يزداد عدوا كلما حركته ، واهتزامه : صوت اندفاعه فى سيره ، والمرجل : القدر ، شبه صوت اندفاعه فى عدوه بصوت القدر يغلى فيها الماء « مسح إذا ما السابحات على الونى — البيت » المسح : الذى يصب الجرى صبا ، والسابحات : الخيل التى تجرى وكأنها تسبح لسهولة سيرها ولينه ، والونى : الفتور والإعياء ، أثرن الغبار : هيجنه بأقدامها ، والكديد : ما صلب من الأرض ، والمركل : الذى أكثرت الخيل من ركله بحوافرها . يريد أنه إذا كلت الخيل السوابح وأعيت وأثارت الغبار بأقدامها فإنه يصب الجرى صبا ولا يكون مثلها « يزل الغلام الخف عن صهواته — البيت » يزل : لا يكاد يثبت على ظهره ، الغلام الخف : أراد الشاب الخفيف الحاذق بالركوب ، والصهوات : جمع صهوة ، وهى وسط ظهر الفرس حيث يقعد الفارس ، ويلوى : يذهب ويميل ، والعنيف : الذى لا يرفق فى قياده « درير كخذروف الوليد أمره — البيت » درير : كثير الانصباب فى السير متتابعه ، والخذروف — بزنة العصفور — لعبة من لعب الصبيان يمرونها بين أيديهم بخيط فيسمع لها صوت ، وأمره : أحكم فتله ، أو أداره بالخيط « له أيطلا ظبى وساقا نعامة — البيت » أيطلا الظبى : خاصرتاه ، شبه أيطليه بأيطلى الظبى فى ضمورها وعدم انتفاخهما ، وساقا نعامة : شبه ساقيه بساقى النعامة فى صلابتهما وقصرها ، وذلك أمكن لسيره ، والسرحان — بكسر السين — الذئب ، وإرخاؤه : سرعة سيره ، والتتفل : ولد الذئب والثعلب وتقريبه : جريه « ضليع إذا استدبرته سد فرجه — البيت » ضليع : أى قوى الأضلاع ممتلئها استدبرته : نظرت إليه من خلف ، سد فرجه بضاف : أراد أنك ترى ذنبه الطويل قد سد ما بين فخذيه ، ليس بأعزل : أى ليس مائلا ، وهو من صفة الذيل « كأن سراته لدى البيت قائما — البيت » سراته — بفتح السين المهملة — أعلى ظهره ، والمداك : حجر يسحق عليه الطيب للعروس ، والصلاية : الحجر الذى يدق عليه حب الحنظل « فعن لنا سرب كأن نعاجه — البيت » عن : عرض وظهر ، والسرب — بالكسر — القطيع من بقر الوحش ، والنعاج ، هنا : البقر ، والعذارى : جمع عذراء ، وهى البكر من النساء ، ودوار : أى تدور حول صنم ، والملاء المذيل : الثياب الطويلة الذيل « فأدبرن كالجذع المفصل بينه — البيت » أدبرن : يعنى انصرفن متفرقات ، والضمير يعود إلى النعاج ، والجذع : الخرز ، المفصل : الذى كان بين

... ...

حباته خرزات تخالفها في اللون ، كالبيض في وسط السود ، والجيد — بكسر الجيم — العنق ، والمعم : المنسوب إلى كرام الأعمام ، والمخول : المنسوب إلى كرام الأخوال « فألحقنا بالهاديات ودونه — البيت » الهاديات : طلائع الوحوش ، والجواحر : المتخلفات عنها ، في صرة : أي في غبرة من شدة جريه وسرعة عدوه لأنه خلف وراءه ذلك الغبار ، ولم تزيل : لم تتفرق «فعادى عداء بين ثور ونعجة — البيت » عادى : والى الجرى وتابعه حتى جمع بين الثور والبقر على ما كان بينهما من بعد ، ودراكا : سريعاً ، ولم ينضح : لم يعرق « فظل طهاة اللحم ما بين منضج — البيت » طهاة : جمع طاه وهو الطباخ ، وصفيف الشواء : شرائح اللحم التى تشوى ، والقدير : القدر يطبخ فيها « ورحنا وراح الطرف يقصر دونه — البيت » الطرف : النظر ، يقصر دونه : لا يبلغ الغاية منه ، متى ما ترق العين : تصعد ناظرة إلى أعلاه ، تسفل : تنزل ناظرة إلى أسفله ، يعنى أنك لا تكاد تنظر إلى أعلاه حتى يبهرك أسفله فتنتقل بنظرك إلى أسفله .

الإعراب : « فظل » الفاء عاطفة ، ظل : فعل ماض ناقص مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب « طهاة » اسم ظل مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « اللحم » مضاف إليه من إضافة جمع الوصف إلى مفعوله « ما » حرف زائد مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « بين » ظرف متعلق بمحذوف خبر ظل ، وهو مضاف و « منضج » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وفى منضج ضمير مستتر تقديره هو فاعل لأنه اسم فاعل يعمل عمل الفعل المبنى للمعلوم « صفيف » مفعول به لمنضج منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و « شواء » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة « أو » حرف عطف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « قدير » معطوف على صفيف على توهم أنه أضاف منضجاً إلى صفيف فلهذا جاء بالمعطوف مجروراً ، وسنبين وجه ذلك تفصيلا فى الكلام على الاستشهاد بالبيت «معجل» نعت لقدير ، ونعت المجرور مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله : « بين منضج صفيف شواء أو قدير » حيث جاء فى هذه العبارة « أو » بمعنى واو العطف ووجهه ما ذكرناه فى شرح الشاهد السابق من أن بين تقتضى الإضافة إلى متعدد لفظاً أو معنى ، ومن أن معناها لايتم بوقوع « أو » التى لأحد الشيئين أو الأشياء بين الاسمين اللذين يضاف إليهما هذا اللفظ .

وفى هذا البيت إشكال ، وذلك فى قوله : « أو قدير » حيث جاء به مجروراً بدليل نعته بالمجرور الذى هو قوله : « معجل » وهو لا يصلح أن يكون معطوفا على « شواء » المجرور

... ...

بإضافة صفيف إليه ؛ إذ لو كان معطوفا على هذا المجرور لكان تقدير الكلام : ما بين منضج صفيف شواء أو صفيف قدير معجل ، ولا يقال لما طبخ فى القدر « صفيف قدير » فتعين أنه معطوف على المنصوب الذى هو « صفيف » والتقدير : ما بين منضج صفيف شواء أو منضج قدير معجل ، فيقال : كيف عطف المجرور على المنصوب ؟.

والجواب عن هذا أن نقول لك : قال أبو جعفر النحاس فى شرحه على المعلقات ما نصه : « وأما خفض قدير ففيه للنحويين أقوال : أحدها أن يكون معطوفا على صفيف ، فلما تباعد ما بينهما ، وكان ماقبله مخفوضا ؛ غلط فخفضه ، وهذا القول ليس بشىء ، والقول الآخر — وهو قول أكثر أهل اللغة ، وقد أجاز مثله سيبويه — أنه كان يجوز أن يقول : من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل (أى بإضافة منضج إلى صفيف ، وإضافة صفيف إلى شواء ، وعطف قدير على صفيف المضاف إليه) فاستساغ أن يعطف قدير بالجر على صفيف المنصوب ، لأنك لو عطفت اسما على اسم وكان يجوز لك فى الاسم الأول إعرابان ، فأعرب الاسم الأول بأحدهما ، ثم اعطف الثانى عليه بما كان يجوز لك أن تعرب الأول به ، فتقول : هذا ضارب زيد وعمرو (بجر كل من زيد وعمرو ؛ لأنك أضفت اسم الفاعل إلى الأول منهما ، وعطفت الثانى بالجر عليه) وإن شئت قلت : هذا ضارب زيد وعمروا (بخفض الاسم الأول بالإضافة ، ونصب الاسم الثانى على المعنى وهو الوجه الذى كان يجوز لك أن تعرب الاسم الأول به) لأنه قد كان يجوز لك أن تقول : هذا ضارب زيدا وعمرا ، وكذلك تقول : هذا ضارب زيدا وعمرو (أى بتنوين اسم الفاعل ، ونصب الاسم الأول ، وخفض الاسم الثانى ، وهو نظير ما فى بيت امرىء القيس الذى نحن بصدد بيانه) لأنه قد كان يجوز لك أن تقول : هذا ضارب زيد وعمرو ، فهذا على مذهب سيبويه ، وأنشد :

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً   وَلا نَاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَا

والمازنى وأبو العباس محمد بن يزيد (المبرد) لا يجيزان هذه الرواية ، والرواية عندهما * ولا ناعبا إلا ببين غرابها * فأما القول فى قدير فإن قديرا معطوف على منضج صفيف شواء ، بلا ضرورة ، والمعنى : من بين منضج صفيف شواء وبين قدير ، والتقدير : من بين منضج قدير ثم حذف المضاف (وهو بين) وأبقى قديرا على حاله » اهـ ببعض تصرف .

والحاصل أن فى هذه الكلمة ثلاثة أقوال : الأول أنه جر « قدير » لمجاورته المجرور الذى هو « شواء » وإن كان فى الحقيقة معطوفا على المنصوب ، وهذا هو المسمى بالعطف على المجاورة نظير النعت على المجاورة فى قولهم : « هذا جحر ضب خرب » حيث جروا خربا مع كونه نعتا

وقول الراجز :

٨٣٦ – إنَّ بِهَا أَكْتَـلَ أَوْ رِزَامَا   خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الْهَامَا

لجحر المرفوع بسبب كون هذا النعت مجاورا لاسم مجرور وهو ضب . والقول الثانى : أنه جر المعطوف لأن المعطوف عليه قد كان يجوز جره بإضافة اسم الفاعل إليه ، وهذا هو العطف على المعنى ، وله نظائر منها البيت الذى أنشده أبو جعفر ، ومنها قول الشاعر وهو الشاهد رقم ٧٠٨ الذى مضى مشروحا فى باب إعمال اسم الفاعل :

هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا   أَوْ عَبْدَ عَمْرٍو أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقِ ؟

وقد أثرنا لك فى شرح هذا الشاهد عبارة سيبويه وأتينا لك من الشواهد على هذه المسألة بجملة صالحة تطمئن إليها نفسك . والقول الثالث : أنه جاء به مجرورا لأنه مضاف إلى « بين » محذوفا ، كل ما فى الباب أنه حذف المضاف وأبقى المضاف إليه على ما كان عليه قبل الحذف ؛ وله نظائر ذكرت فى باب الإضافة منها قول أبى دواد الإيادى ، وهو الشاهد رقم ٦٥٠ الذى سبق هناك مشروحا :

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً   ونَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا

والشرط الذى شرطوه لجواز ذلك — وهو أن يكون المحذوف معطوفا على مثله مذكور فى الكلام — متحقق فى هذا البيت ؛ فإن « بين » المحذوف معطوف على « بين » أخرى مذكورة فى الكلام ، بل نحن لو قلنا : إن الكلام على تقدير ما بين منضج صفيف شواء ومنضج قدير معجل ، لتحقق هذا الشرط أيضا ، ولا داعى لتقدير بين أخرى لأن تكريرها فى مثل هذا الموضع غير جار فى فصيح الكلام ، هذا تقرير الأقوال التى أشار إليها أبو جعفر مع الاستشهاد لها وبيان حقيقتها ، والله سبحانه هو المسئول أن ينفعك به .

٨٣٦ — هذا الشاهد بيتان من الرجز المشطور ، وهما لرجل من بنى أسد ، والذى رواه العلماء من هذا الرجز هو :

إِيتِ الطَّرِيقَ وَاجْتَنِبْ أَرْمَامَا   إِنَّ بِهَا أَكْتَلَ أَوْ رِزَامَا

خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الْهَامَا   لَمْ يَدَعَا لِسَارِحٍ مُقَامَا

وبعض العلماء يروى البيت الأخير من هذا الرجز هكذا :

* لَمْ يَدَعَا لِمُسْلِمٍ طَعَامَا *

... ...

وبعضهم يروى البيت الأول هكذا :

* خَلِّ الطَّرِيقَ وَاجْتَنِبْ أَرْمَامَا *

اللغة : « إيت الطريق » أراد اسلك الطريق أى طريق شئت فإنك آمن أن يصيبك مكروه ، وأتى من الأفعال التى وردت متعدية أحيانا ولازمة أخرى ، فأما مجيئه متعديا فهذا الرجز من شواهده ، وأما مجيئه لازما فنحو قولك : أتى زيد ، ومنه قوله تعالى : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) « واجتنب أرماما » أى لا تسلك طريق أرمام فإنك لا تأمن على نفسك ومالك إذا سلكته لأن بها قطاع طريق ، وأرمام : اسم جبل فى ديار باهلة بن أعصر ، وقيل : أرمام واد فى ديار بنى أسد ، وقيل أرمام : بين الحاجر وفيد ، ويوم أرمام من أيام العرب ، وقال الراعى النميرى :

تَبَصَّرْ خَلِيلِى هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ ... تَجَاوَزْنَ مَلْحُـوبًا فَقُلْنَ مُتَالِعَا
جَوَاعِلَ أَرْمَامٍ شِمَالاً وَصَارَةً ... يَمِينًا فَقَطَّعْنَ الْوِهَادَ الدَّوَافِعَا

وقال أبو عبيد البكرى : « إرمام بكسر أوله ، كأنه مصدر أرم إرماما : موضع فى ديار طيء أو ما يليها ، قال زيد الخيل لما حضرته الوفاة بفردة وهى ماء من مياه جرم :

أَمُطَّلِـعٌ صَحْبِى الْمَشَارِقَ غُدْوَةً ... وَأُتْرَكُ فِى بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ
سَقَى اللهُ مَا بَيْنَ الْقَفِيلِ فَطَابَةٍ ... فَبُرْقَةِ إِرْمَامٍ فَمَا حَوْلَ مُنْشِدِ
هُنَالِكَ لَوْ أَنِّى مَرِضْتُ لَعَادَنِى ... عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُشْفَ مِنْهُنَّ يُجْهَدِ

وقال جرير :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالْمَطِىُّ خَوَاضِـعٌ ... مِثْلُ الْجُفُونِ بِبُرْقَتَىْ إِرْمَامِ

وقال النمر بن تولب :

فَبُرْقَةُ إِرْمَامٍ فَجَنْبَا مُتَالِعٍ ... فَوَادِى الْمِيَاهِ فَالْبَدِىُّ فَأَنْجَلُ

والبدىّ وأنجل : واديان » اهـ . « أكتل » بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة ، و « رزام » بكسر الراء المهملة ، بزنة الكتاب — هما لصان من لصوص البادية ، وأخطأ الليث فزعم أن أكتل اسم للشديدة من شدائد الدهر وكذلك رزام ، وقول الراجز «خوربين»

... ...

هو تثنية خويرب مصغر خارب ، والخارب : اللص ، ويقال : هو سارق الإبل خاصة ، والصحيح أن كل لص خارب بدليل قوله بعد ذلك : * لم يتركا لمسلم طعاماً * وقال الآخر :

وَالخَارِبُ اللِّصُّ يُحِبُّ الخَارِبَا وَتِلْكَ قُرْبَى مِثْلُ أَنْ تُنَاسِبَا

* أَنْ تُشْبِهَ الضَّرَائِبُ الضَّرَائِبَا *

وتقول : « خرب فلان يخرب خرابة » مثل كتب يكتب كتابة — إذا سرق ، وقول الراجز : « ينقفان » هو بضم القاف مضارع نقف — من باب نصر — والنقف : كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب ، والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

الإعراب : « إن » حرف توكيد ونصب « بها » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر إن « أكتل » اسم إن منصوب بالفتحة الظاهرة « أو » حرف عطف بمعنى الواو مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « رزاما » معطوف على أكتل منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة « خويربين » حال من أكتل ورزام منصوب بالياء المفتوح ما قبلها المكسور ما بعدها نيابة عن الفتحة لأنه مثنى « ينقفان » فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، وألف الاثنين فاعله مبنى على السكون فى محل رفع « الهاما » مفعول به لينقفان منصوب بالفتحة الظاهرة ، والألف للإطلاق والجملة من الفعل المضارع وفاعله ومفعوله فى محل نصب حال ثانية .

الشاهد فيه : قوله : « أكتل أو رزاما خويربين » حيث جاءت فى هذه العبارة « أو » العاطفة بمعنى الواو ، والدليل على ذلك أنه لما أراد أن يجىء بحال من المتعاطفين ثنى الحال ، ولو أن « أو » باقية على أصل معناها لقال « خويربا ينقف الهام » وهذا تخريج الكوفيين لهذا البيت ، وهم الذين ذهبوا إلى أن « أو » تأتى بمعنى الواو من غير شرط على ما ذكره الشارح وما سبق لنا تقريره فى شرح الشواهد السابقة . قال الفراء « أو هنا بمعنى واو العطف ، أراد إن بها أكتل ورزاما وهما خاربان » اهـ كلامه . وقال البغدادى فى شرح شواهد المغنى : « أنشده شاهدا على أن الكوفيين ومن يتبعهم قالوا : أو فيه بمعنى الواو ؛ لأن الشاعر أراد إن بها أكتل ورزاما ، فلذلك قال : خويربين ، ونصبه على الحال منهما ، ولو كانت على بابها لقال : خويربا ، ونصبه على الحال من أحدهما » اهـ كلامه .

وذهب سيبويه والبصريون الذين لا يجيزون مجىء أو بمعنى الواو إلا مقيدا بالشرطين إلى أن قوله : « خويربين » فى هذا الرجز منصوب بفعل محذوف ، وتقدير الكلام : إن بها أكتل أو

وقوله :

٨٣٨ — وَقَالُوا لَنَــــا ثِنْتَانِ لابُدَّ مِنْهُمَا صُدُورُ رِماحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلاسِلُ

رزاما أذم خويربين ينقفان الهام ، وإليك عبارة سيبويه ، قال : « وسألت الخليل عن قوله ، وهو لرجل من بنى أسد :

إِنَّ بِهَا أَكْتَلَ أَوْ رِزَامَا خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الْهَامَا

فزعم أن خويربين انتصب على الشتم ، ولو كان على إن لقال : خويربا ، ولكنه انتصب على الشتم ، كما انتصب (حمالة الحطب) عليه » اه كلامه .

وقال الأعلم الشنتمرى فى شرح شواهده : « الشاهد فى نصب خويربين على الذم ، ولا يجوز أن يكون حالا من أكتل أو رزاما لأن الخبر عن أحدهما لاعتراض أو بينهما ، ولو كان حالا لأفرد كما تقول : إن فى الدار زيدا أو عمرا جالسا ، لأنك توجب الجلوس لأحدهما ، فلما لم يمكن فيه الحال لما بينا نصب على الذم » اه وقال أبو جعفر النحاس : « أنت إذا قلت : إن زيدا منطلق أو عمرا ، فقد أوجبت لواحد منهما الانطلاق ، فلا يجوز أن تجمعهما فى النعت ولا الحال ، وقول الراجز بها هو خبر إن » اه . وهذا هو المعنى بقول سيبويه : « ولو كان على إن لقال خويربا » يعنى أن الشاعر لو أراد أن يجعل هذا اللفظ حالا من اسم إن وما عطف عليه لوجب عليه أن يقول خويربا ، بالإفراد .

٨٣٨ — هذا بيت من الطويل ، وهو من أبيات لجعفر بن علبة الحارثى أنشدها أبو تمام فى الباب الأول من كتاب الحماسة ، وأول ما أنشده أبو تمام قوله :

أَلَهْفَا بِقُرَّى سَحْبَلٍ حِينَ أَحْلَبَتْ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْعَدُوُّ المُبَاسِــلُ

فَقَالُوا لَنَا : ثِنْتَــانِ لابُدَّ مِنْهُمَا صُدُورُ رِماحٍ ... البيت ، وبعده :

فَقُلْنَا لَهُمْ : تِلْكُمْ إِذًا بَعْدَ كَرَّةٍ تُغَادِرُ صَرْعَى نَوْؤُهَا مُتَخَاذِلُ

وَلَمْ نَدْرِ إِنْ جِضْنَا مِنَ المَوْتِ جَيْضَةً كَمِ الْعُمْرُ بَاقٍ وَالمَدَى مُتَطَاوِلُ ؟

إِذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَأْزِقًا فَرَجَتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَتْهَا الصَّيَاقِلُ

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِى يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ وَلِى مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

... ...

اللغة : « ألهفا بقرى سحبل حين أحلبت — البيت » التلهف : التوجع على الفائت بعد الإشراف عليه ، وألهفا يجوز أن يكون منادى مفردا ، ويجوز أن يكون منادى مضافا ، فإذا جعلته مضافا كان أصله ألهفى ، فكأنه فر من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فانقلبت الياء ألفا ، وكذلك يا غلاما أقبل ، وقول الشاعر :

* وَهَلْ جَزَعٌ إنْ قُلْتُ وَا بِأَبَاهُمَا ؟ *

وإنما المعنى بأبى هما ، وعلى ذلك قولهم فى عذارى : عذارى ، وفى صحار : صحارى ، وفى بقى : بقى ، وفى رضى : رضى ، وإذا كان ألهفا مفردا تكون الألف قد زيدت لامتداد الصوت به ليكون أدل على التحسر ، وقرى : اسم موضع ، وسحبل : اسم واد ، ويقال لكل ما اتسع وامتد : سحبل ، ويقال : ضب سحبل ، إذا كان ضخما طويلا ، ومعنى « أحلبت » أعانت ، وأصله الإعانة فى الحلب خاصة ، ثم عمت فى الإعانات كلها ، والولايا : جمع ولية ، وهى البرذعة ، وهى تكون كناية عن النساء إن شئت ، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت ، وشبهوا الرجل الضعيف الخوار الرخو بالولية لأنها رخوة منتفجة ، وقيل : الولايا هنا العشائر والقبائل ، وكأن ولية تأنيث ولى بمعنى القريب ، ويروى « أجلبت » بالجيم — وأصل الجلبة رفع الأصوات ، والباء فى « بقرى سحبل » تتعلق بنفس ألهفا ، وكذلك حين ، فكأنه قال : أتلهف فى هذا الموضع فى هذا الوقت « فقالوا لنا ثنتان لا بد منهما — البيت » التاء فى ثنتان كالتاء فى بنتان ، إلا أنه لم يستعمل واحد الثنتين بالتاء كما استعمل بنت ، وكذلك التاء فى اثنتان كالتاء فى قولهم : ابنتان ، إلا أنهم لم يقولوا اثنة كما قالوا ابنة ، ومجىء الهمزة فى أوله أحسن ؛ لأن اللغة العالية على ذلك ، قال عنترة :

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً ... سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ

واللغة الأخرى جيدة أيضا ، قال الشاعر :

لَقِيتُ ابْنَةَ الضَّمْرِىِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرٍ ... وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسْىَ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ

فَقَبَّلْتُهَا ثِنْتَيْنِ كَالثَّلْجِ مِنْهُمَا ... وَأُخْرَى عَلَى لَوْحٍ أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ

وأراد بالثنتين خصلتين ، ثم فسرهما بقوله : صدور رماح — إلخ ، وخص صدور الرماح لأن المقاتلة تقع به ، ويجوز أن يكون ذكر الصدور وإن كان المراد كلها ، كما قال الآخر :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ *

... ...

وقد علم أن الوطء على الصدور والأعجاز ، وكنى بالسلاسل عن الأسر ، والمراد بقوله : « لابد منهما » على سبيل التعاقب ، لا على سبيل الجمع بينهما ، وإلا سقط التخيير الذى أفاده أو من قوله : « أو سلاسل » ألا ترى أنك إذا قلت : « خذ الدينار أو الدرهم » فليس مرادك أن يجمع بينهما ، وإذا كان الأمر على ذلك فمعناه لا بد من أحدهما ، والعرب تذكر الشيئين وتريد أحدهما ، وعلى هذا يفسر قوله تعالى : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) يعنى الماء العذب والملح ، واللؤلؤ لا يكون إلا فى الماء الملح دون العذب ، ويقول الرجل : « سلبت الرجلين ثوبا » ويقول : « أخذت منهما سيفا » يريد من أحدهما ، وقوله : « أشرعت » أى صوبت للطعن « فقلنا لهم تلكم إذا بعد كرة — البيت» يقول : أجبناهم وقلنا لهم : تلكم التخيرة بعد عطفة تترك بيننا قوما مصرعين لايطيقون الحراك « ولم ندر أن جضنا من الموت جيضة — البيت » يقال : «جاض» و«حاض» اذا عدل وانحرف ، وقوله : « كم العمر باق » كم : فى موضع الظرف : أى كم يوما أو وقتا العمر باق ، والعمر : مرتفع بالابتداء ، والواو فى قوله : «والمدى متطاول» واو الحال ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، وكأنه قال : لم نعلم كم العمر باق وكم المدى متطاول إن جضنا « إذا ما ابتدرنا مأزقا فرجت لنا — البيت » المأزق — بزنة المسجد — مضيق الحرب ، يقول : إذا استبقنا إلى مضيق فى الحرب وسعته لنا سيوف مصقولة بأيماننا ، وجعل الفعل للسيوف على المجاز والسعة ، وقوله « جلتها الصياقل » اضطره إليه إتمام البيت ، ألا ترى أن السيوف لا تجلوها إلا الصياقل ، ولو أنه قال « اجتهد فى صقلها الصياقل » أو نحو ذلك لكان حسنا « لهم صدر سيفى يوم بطحاء سحبل — البيت » البطحاء : تأنيث الأبطح ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، ومعناه إنى أعمل صدر السيف فيهم لا أزيله عنهم ، فكأنه هو لهم وليس لى منــــه سوى مقبضه ، ونظير هذا البيت قول الشاعر :

مَنَا بِرُهُنَّ بُطُونُ الأَكُفِّ وَأَغْمَادُهُنَّ رُؤُوسُ المُلُوكِ

وانظر شرح التبريزى على الحماسة (١ / ٤٤ بتحقيقنا) .

الإعراب : « فقالوا » الفاء حرف عطف ، قال : فعل ماض ، وواو الجماعة فاعل مبنى على السكون فى محل رفع « لنا » جار ومجرور متعلق بقال « ثنتان » خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : قالوا لنا : هما ثنتان . ولا يجوز أن تجعل « لنا » من مقول القول وتجعله متعلقا بمحذوف خبر مقدم ، وثنتان مبتدأ مؤخرا ؛ لأنهم إنما يتوعدونهم بهذا الكلام ، ودليل ذلك قوله فى البيت بعده « فقلنا لهم تلكم إذا بعد كرة » فالكلام حوار دائر بينهم وبين أعدائهم ، فتفهم ذلك « لا » نافية للجنس حرف مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « بد » اسم لا مبنى على الفتح فى محل نصب « منهما » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لا « صدور » بدل من قوله ثنتان مرفوع وعلامة

... ...

رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف و « رماح » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة «أشرعت» أشرع : فعل ماض مبنى للمجهول مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والتاء حرف دالّ على تأنيث المسند إليه ، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى « أو » حرف عطف بمعنى الواو على ما ذكره الكوفيون ، مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « سلاسل » معطوف على صدور رماح ، والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله « صدور رماح أشرعت أو سلاسل » فإن الكوفيين زعموا أن « أو » فى هذه العبارة بمعنى واو العطف ، وإنما تكون « أو » فى هذه العبارة بمعنى الواو إذا قدرت مضافا بين من الجارة ومجرورها وهو الضمير ، على ما ذكرناه عن التبريزى فى بيان معنى مفردات هذا الشعر ؛ والتقدير : لا بد من إحداهما ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه فاتصل بالعامل ، ثم بين بعد ذلك الثنتين اللتين أجملهما من قبل فقال « صدور رماح — إلخ » فأما إذا أبقيت الكلام على ظاهره ولم تقدر مضافا فإن « أو » تكون على أصلها لأحد الشيئين أو الأشياء ، وكأنه قال : لمجموعكم خصلتان ولا بد أن ينال كل واحد منكم إحداهما : فإما أن تناله صدور رماحنا فيقتل ، وإما أن يستسلم ويستأسر فنقيده فى السلاسل .

وقد ذكر ابن جنى هذين الوجهين فى البيت ، قال : « لك فى منهما وجهان : إن شئت كان على حذف المضاف : أى لا بد من أحدهما ، وإن شئت كان على ظاهره : أى لا بد منهما جميعا ، فصدور الرماح لمن يقتل ، والسلاسل لمن يؤسر : أى يكون بعضنا كذا وبعضنا كذا ، فإن قيل : فهذا يوجب صدور الرماح والسلاسل ، قيل : لما جعلهم صنفين مقتولا ومأسورا كان لكل واحد منهم هذا أو هذا ، فمن هنا دخله معنى أو ، فهو إذن كلام محمول على معناه » اه .

وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب فى مباحث أو « السابع من معانى أو التقسيم ، والمراد بالتقسيم بيان أقسام الشىء ، سواء أكان تقسيم كل إلى أجزائه نحو قولك : السكنجبيل خل أو عسل ، أى أنه من هذين الجزءين ، أم كان تقسيم الكلى إلى جزئياته ، نحو قولهم : الكلمة اسم أو فعل أو حرف : أى أن الكلمة لا تخلو عن أن تكون واحدة من هذه الثلاث ، ذكر ذلك ابن مالك فى الألفية وفى شرح الكافية ، ثم عدل عنه فى التسهيل وهو آخر مؤلفاته ، فقال : تأتى أو للتفريق المجرد من الشك والإبهام والتخيير ، والتفريق هو جعل الشىء مفرقا ، أعم من أن يكون تقسيما أو لا يكون ، وأعم من أن يكون التقسيم تقسيم الكل إلى أجزائه أو تقسيم الكلى إلى جزئياته ، وأو التى للشك فيها تفريق وزيادة هى الشك ، وأو التى هى للإبهام فيها تفريق وزيادة هى الإبهام على المخاطب ، وأو التى للتخيير فيها تفريق وزيادة هى طلب المخاطب بأحد الشيئين ، ففى كل واحدة من هذه الثلاث تفريق مصحوب بغيره ، فلما صاحب التفريق شىء آخر نسبوها إلى ذلك الشىء

... ...

الآخر فقالوا : إنها للشك ، وإنها للإبهام ، وإنها للتخيير ، والمراد هنا أنها قد تأتى للتفريق المجرد عن مصاحبة شيء آخر من هذه الأشياء ، ومثل لذلك بقوله تعالى : (إن يكن غنيا أو فقيرا) وقوله سبحانه : (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) وبيان المعنى فى الآية الأولى : إن يكن المشهود عليه غنيا فلا تمتنعوا من الشهادة عليه طلبا لرضاه أو إن يكن فقيرا فلا تمتنعوا من الشهادة عليه رحمة له ، فأو هنا لمجرد التفريق : أى ذكر فرق وأقسام للمشهود عليه من غير مشاركة شك أو إبهام أو تخيير لذلك ، قال ابن مالك : وهذا التعبير أولى من التعبير بالتقسيم ؛ لأن استعمال الواو فى التقسيم أجود ، نحو الكلمة اسم وفعل وحرف ، ونحو قوله :

وَنَنْصُرُ مَوْلاَنَا وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا النَّاسِ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارِمُ

ومن مجيئه بأو قوله :

وَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لاَ بُدَّ مِنْهُمَا صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلاَسِلُ

والفرق بين التقسيم والتفريق أن التقسيم يقتضى أن يتقدم فى الكلام مقسم سواء أكان هذا المقسم كليا كالكلمة فى قولنا : الكلمة اسم وفعل وحرف ، أم كان كلا ، كالناس فى البيت الأول والثنتين فى البيت الثانى ، فأما التفريق فلا يقتضى غير قطع الاتصال بين شيئين ، سواء أتقدم ذكر هذين الشيئين بلفظ يشملهما أم لم يتقدم ، ومن البين أن مجيء الواو فى التقسيم أكثر لا يقتضى ألا تجيء له أو أصلا ، وإنما يقتضى أن يكون مجيء أوله أقل من مجيء الواو ، وابن مالك قد صرح بأن أو جاءت للتقسيم فى البيت الثانى ، على أن البيت المذكور ليس فيه دليل على أن أو فيه للتقسيم ، وذلك لأنه يحتمل أن يكون المعنى لا بد من أحدهما ، فيكون قوله فيما بعد صدور رماح أو سلاسل تفسيرا للأحد ، فلا تكون أو للتقسيم ، وعدل غير ابن مالك عن العبارتين جميعا فعبر بالتفصيل ، ومثله بقوله تعالى : (وقالوا كونوا هودا أو نصارى) وقوله سبحانه (وقالوا ساحر أو مجنون) إذ المعنى فى الأولى : وقالت اليهود كونوا هودا ، وقالت النصارى كونوا نصارى ؛ والمعنى فى الثانية : قال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم مجنون ، فأو فيهما لتفصيل الإجمال الذى فى قالوا ، وتعسف ابن الشجرى فقال فى الآية الأولى : إنها حذف منها مضاف وواو وجملتان فعليتان ، وتقديره : وقال بعضهم — يعنى اليهود — كونوا هودا ، وقال بعضهم — يعنى النصارى — كونوا نصارى ، قال : فأقام قوله (أو نصارى) مقام ذلك كله ، وذلك دليل على شرف هذا الحرف ، انتهى « اهـ كلام ابن هشام بإيضاح كثير جدا .

وجعل منه « وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ » أى : ويزيدون ، هذا مذهب الأخفش والجرمى وجماعةٍ من الكوفيين .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : أفهَمَ قوله « وربما » أن ذلك قليل مطلقاً ، وذكر فى التسهيل أن أو تعاقبُ الواوَ فى الإباحة كثيراً ، وفى عطف المصاحبة والمؤكد قليلا ، فالإباحة كما تقدم ، والمصاحب نحو قوله عليه الصلاة والسلام : « فإنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ » والمؤكد نحو : « وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا » .

الثانى : التحقيقُ أنَّ أو موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء ، وهو الذى يقوله المتقدمون ، وقد تخرُجُ إلى معنى بل والواو ، وأما بقية المعانى فمستفادة من غيرها .

الثالث : زعم قوم أن الواو تستعمل بمعنى أو فى ثلاثة مواضع :

أحدها : فى التقسيم ، كقولك : الكلمة اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ . وقوله :

* كَمَا النَّاسِ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارِمُ(١) *

وممَّنْ ذكر ذلك النَّاظِم فى التحفة وشرح الكافية . قال فى المغنى : والصَّوَاب أنَّها فى ذلك على معناها الأصلى ؛ إذ الأنواع مجتمعةٌ فى الدخول تحتَ الجنس .

ثانيها : الإباحَة ، قاله الزمخشرى ، وزَعم أنَّهُ يقال « جَالِسِ الْحَسَنَ وَابْنَ سِيرِينَ » أى أحدهما ، وأنه لهذا قيل « تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ » بعد ذكر ثلاثة وسبعة ؛ لئلاَّ يتوهم إرَادةُ

(١) هذا عجز بيت ، وصدره قوله :

* وَنَنْصُرُ مَوْلاَنَا وَنَعْلَمُ أَنَّهُ *

وهذا بيت من الطويل لعمرو بن براقة الهمدانى ، وهو الشاهد رقم ٥٧٢ الذى مضى شرحه شرحا وافيا فى باب حروف الجر ، وكان الاستشهاد به هناك فى قوله « كما الناس » حيث دخلت ما على حرف الجر ولم تكفه عن العمل فى المجرور ، والاستشهاد به هنا على مجىء الواو فى قوله « مجروم عليه وجارم » للتقسيم ، وقد ذكر ابن مالك فى شرح الكافية أن مجىء الواو للتقسيم أجود من مجىء «أو» له ، وقد سمعت عبارته فيما أثرناه لك من كلام ابن هشام فى شرح الشاهد السابق (رقم ٨٣٨) كما سمعت تعليق ابن هشام عليها .

الإباحة ، قال فى المغنى أيضاً : والمعروف مِن كلام النحويين أن هٰذَا أمر بمجالسة كُل منهما ، وجعلوا ذلكَ فَرْقاً بين العطف بالواو والعطف بأو .

ثالثها : التخيير ، قالهُ بعضهم فى قوله :

٨٣٩ — وَقَالُوا نَأَتْ فَاخْتَرْ لَهَا الصَّبْرَ وَالْبُكَى   فَقُلْتُ الْبُكَى أَشْفَى إِذًا لِغَلِيلِي

٨٣٩ — هذا بيت من الطويل ، وهو من قصيدة عدتها سبعة وأربعون بيتا ، لكثير عزة ، وقد رويت فى ديوانه بطولها ، ورواها أبو على القالى فى أماليه (٢/٦٥ بولاق) وأول هذه القصيدة — على مافى الديوان — قوله :

أَلاَ حَيِّيَا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلِي   وَآذَنَ أَصْحَابِي غَدًا بِقُفُولِ
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِتَذْهَبَ عَقْلَهُ   وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُهُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا   تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى تَغَشَّتْكَ عَبْرَةٌ   تُعَلُّ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نُهُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟   فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَنُّ خَلِيلِ
وَأَبْعَدُهُ نَيْلاً ، وَأَوْشَكُهُ قِلَى ،   وَإِنْ سُئِلَتْ عُرْفًا فَشَرُّ مَسُولِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى   خِلاَلَ الْمَلاَ يَمْدُدْنَ كُلَّ جَدِيلِ
تَرَاهُمْ رِفَاقًا بَيْنَهُنَّ تَفَاوُتٌ   وَيَمْدُدْنَ بِالْإِهْلاَلِ كُلَّ أَصِيلِ
تَوَاهَقْنَ بِالْحُجَّاجِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ   وَمِنْ عَزْوَرٍ وَالْخَبْتِ خَبْتِ طَفِيلِ

وقبل البيت المستشهد به ههنا قوله :

كَفَى حَزَنًا لِلْعَيْنِ أَنْ رَدَّ طَرْفَهَا   لِعَزَّةَ عِيرٌ آذَنَتْ بِرَحِيلِ
وَقَالُوا لَنَا فَاخْتَرْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْبُكَى   فَقُلْتُ الْبُكَى ... البيت ، وبعده قوله :
تَوَلَّيْتُ مَحْزُونًا وَقُلْتُ لِصَاحِبِي :   أَقَاتِلَتِي لَيْلَى بِغَيْرِ قَتِيلِ ؟
لِعَزَّةَ إِذْ يَحْتَلُّ بِالْخَيْفِ أَهْلُهَا   فَأَوْحَشَ مِنْهَا الْخَيْفُ بَعْدَ حُلُولِ
وَبُدِّلَ مِنْهَا بَعْدَ طُولِ إِقَامَةٍ   تَبَعَّثُ نَكْبَاءِ الْعَشِيِّ جَفُولِ
لَقَدْ أَكْثَرَ الْوَاشُونَ فِينَا وَفِيكُمُ   وَمَالَ بِنَا الْوَاشُونَ كُلَّ مَمِيلِ
وَمَازِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ طَرَّ شَارِبِي   إِلَى الْيَوْمِ كَالْمُقْصَى بِكُلِّ سَبِيلِ

... ...

اللغة : « ألا حبذا ليلى أجد رحيلى — البيت » أجد رحيلى : حان وقته ، تقول : أجدَّ فلان السير ، إذا انكمش فيه ومضى ؛ وكذلك قالوا : جدَّ فلان فى أمره ، وآذن : أعلم ، والقفول : مصدر « قفل الرجل » إذا رجع ، يقول : أعلمنى أصحابى أنهم عائدون إلى ديارهم غدا « تبدت له ليلى لتذهب عقله — البيت » تبدت : ظهرت ، وكأنها تكلفت ذلك وتصنعته ، وتذهب عقله : أراد ليحبها فيطير من حبها عقله ، وأم الصلت : كنية المرأة التى سماها ليلى ، وقد يكون الصلت اسم رجل ، وقد يكون وصفاً من قولهم : فلان صلت الجبين ، إذا كان جبينه واسعا أبيض ، وذلك مما يتمدح به ، وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان صلت الجبين ، وفى حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام كان سهل الخدين صلتهما ، فيكون كقولك : فلانة ذات جبين صلت « إذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة — البيت » تغشتك : أحاطت بك ، والعبرة — بفتح العين وسكون الباء — الدمعة ، وتعل — بالبناء للمجهول — أصله أن تشرب الشرب الثانى بعد شرب ، وأراد هنا أنه يبكى بعد بكاء سابق « وكم من خليل قال لى هل سألتها — البيت » سألتها : طلبت منها ما يطلب المحب من حبيبه من نظرة أو زورة أو غير ذلك ، وأضن : أفعل تفضيل فعله ضن يضن — من باب ظل — أى بخل « وأبعده نيلا وأوشكه قلى — البيت » الضمير فى « أبعده » يعود إلى الخليل الذى ذكر فى البيت السابق ، والنيل : العطاء ، وأوشكه : أقربه ، والقلى : — بكسر القاف — البغض ، ومسول : أصله مسئول مثل مضروب ، فسهل الهمزة بقلبها واوا بعد إلقاء حركتها على السين ثم حذف الواو ، وقد يكون سهل همزة الفعل الذى هو سأل فانقلبت ألفا فصار سال مثل خاف فأخذ منه اسم المفعول كمخوف « حلفت برب الراقصات إلى منى — البيت » أراد الجمال التى تحمل الحجاج إلى منى ، والملا — بفتح الميم مقصورا — الصحراء ، وقال تأبط شرا :

وَلٰكِنَّنِى أُرْوِى مِنَ الْخَمْرِ هَامَتِى وَأَنْضُو الْمَلاَ بِالشَّاحِبِ الْمُتَشَلْشِلِ

وقال الآخر :

أَلاَ غَنِّيَانِى وَارْفَعَا الصَّوْتَ بِالْمَلاَ فَإِنَّ الْمَلاَ عِنْدِى يَزِيدُ الْمَدَى بُعْدَا

والجديل — بفتح الجيم — حبل مفتول من شعر أو أدم يكون فى عنق البعير أو الناقة ، ويجمع على جدل ، مثل سرير وسرر ، وربما كان الجديل فى هذا البيت بمعنى المجدول : أى المفتول الشديد الفتل ، وعلى هذا يكون المراد بكل جديل أيدى النوق وأرجلها فإنه يقال لكل عظم موفر : جدل — بفتح الجيم وسكون الدال — ويجمع على جدول ، وقالوا من ذلك : جدل ولد الناقة والظبية يجدل جدولا — مثل قعد يقعد قعودا — أى قوى واشتد « تواهقن بالحجاج من بطن

... ...

نخلة — البيت » تواهقن : أراد أسرعن السير ، والضمير يعود إلى النوق ، وبطن نخلة : بستان بنى عامر ، وعزور : ثنية الجحفة ، والخبت : كل مطمئن من الأرض ، ويجمع على خبوت ، وطفيل — بفتح الطاء وكسر الفاء — موضع « وقالوا لنا فاختر من الصبر والبكا — البيت » المروى فى كتب النحاة « وقالوا نأت فاختر » ونأت : بعدت ، والنأى : البعد ، والصبر : حمل النفس على الاستقرار والثبات عند حصول مكروه ، وانظر إلى قول الشاعر :

أَبَتْ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بَلَائِي وَأَخْذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وَإِقْحَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطَلِ الْمَشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

تجده قد فسر الصبر تفسيرا جيدا « أشفى » أفعل تفضيل من الشفاء ، ومعناه البرء وزوال العلة « الغليل » بالغين المعجمة — الحرارة الناشئة عن العطش ، وأراد هنا مطلق حرارة الجوف سواء أكانت ناشئة عن الوجد والمحبة أم كانت ناشئة عن غيرها .

المعنى : وصف الشاعر أن قوما حدثوه عن عزة بأنها بعدت عنه ، وأنهم خيروه بين أن يحمل نفسه على الاستقرار والثبات مع حدوث ما يهيجها وهو بعدها عنه وأن يبكى لذلك ويجزع ، فاختار البكاء لأنه يشفى نجى البلابل .

الإعراب : « وقالوا » الواو عاطفة ، قال : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وواو الجماعة فاعله مبنى على السكون فى محل رفع « نأت » نأى : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين منع من ظهوره التعذر ، والتاء حرف دال على تأنيث الفاعل مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى عزة ، والجملة من الفعل وفاعله المستتر فيه فى محل نصب مقول القول « فاختر » الفاء حرف عطف تضمن معنى السببية مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، اختر : فعل أمر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، والجملة فى محل نصب عطف بالفاء على جملة مقول القول « من الصبر » جار ومجرور متعلق باختر ، وقوله «والبكى» معطوف على الصبر مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ، وعلى هذه الرواية يكون مفعول اختر محذوفا ، وكأنه قد قال : فاختر من الصبر والبكى أحدهما ، ومن رواه « فاختر لها الصبر والبكى » كان قوله « لها » جارا ومجرورا متعلقا باختر ، وقوله « الصبر » مفعولا به لاختر منصوب بالفتحة الظاهرة ، وقوله « والبكى »

... ...

معطوفا على الصبر ، وهو حينئذ منصوب بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « فقلت » الفاء حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، قال : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض لدفع كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، وتاء المتكلم فاعل مبنى على الضم فى محل رفع « البكى » مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « أشفى » خبر المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « إذن » حرف جواب مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « لغليلى » اللام حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، غليل : مجرور باللام ، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة لياء المتكلم ، وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر ، وجملة المبتدأ والخبر فى محل نصب مقول القول .

الشاهد فيه : قوله « فاختر لها الصبر والبكى » حيث جاءت الواو فيه دالة على معنى « أو » وهو التخيير ، ألا ترى أن الذين أمروه إنما أمروه بأن يتخير ، والتخيير إنما يكون بين شيئين يرضى بأحدهما ويهمل الآخر ، وبقاء الواو على أصل وضعها — وهو الدلالة على مطلق الجمع — يفسد المعنى .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : وهاهنا أمران لابد أن ندلك عليهما : الأول أن الاستشهاد بهذا البيت لا يتم إلا على رواية « فاختر لها الصبر والبكى » فأما على رواية « فاختر من الصبر والبكى » فإنه يتعين أن تكون الواو فيها دالة على مطلق الجمع الذى هو معناها الأصلى ، ومفعول اختر — على هذا — محذوف ، وتقدير الكلام : فاختر من الصبر والبكى أحدهما ، على ما قررناه فى إعراب البيت ، الأمر الثانى : أنه على رواية « فاختر لها الصبر والبكى » يدل على امتناع كون الواو باقية على معناها الأصلى الذى هو مطلق الجمع ثلاثة أمور : الأول : ما أشرنا إليه فى مطلع هذا الكلام من أنهم خيروه ، وأن معنى التخيير أن تعرض أمرين متنافيين ، أو كالمتنافيين ، على آخر ، وتكلفه قبول أحدهما وترك الآخر ؛ فلا يمكن أن يقبلهما معا ، ولا أن يرفضهما معا ، وقد سبق للشارح عند بيان الفرق بين التخيير والإباحة أنه ذكر أن التخيير لا يجيز الجمع بين الأمرين ، والإباحة تجوّز الجمع بينهما ، وهذا أمر واضح إن شاء الله تعالى . والثانى أن المراد بالبكى على ما قررناه فى لغة الشاهد هو الجزع والهلع وإظهار التحزن والأسف على نأى عزة محبوبته ، وهذا لا يتفق مع الصبر فلا يمكن الجمع بينهما . والثالث : أن الشاعر نفسه قد فهم ذلك لأنه تخير أحدهما فعلا وامتنع من قبول الآخر حيث قال « البكى أشفى إذا لغليلى » وكأنه قد قال : إن لم يكن من أحدهما بدّ فإنى أختار البكاء لأن فى البكاء راحة المحزون وتنفيسا عن صدر المكروب .

... ...

قال ابن هشام فى مغنى اللبيب فى معانى الواو المفردة : « الثالث من معانيها : أن تكون بمعنى أو فى التخيير ، قاله بعضهم فى قوله * وقالوا : نأت فاختر لها الصبر والبكى * قال : معناه أو البكى ؛ إذ لا يجتمع مع الصبر ، ونقول : يحتمل أن الأصل فاختر من الصبر والبكاء — أى أحدهما — ثم حذف من ، كما فى (واختار موسى قومه سبعين رجلا) ويؤيده أن أبا على القالى رواه بمن » اهـ كلامه .

قال أبو رجاء غفر الله تعالى له ولوالديه : ومراده بقوله « ويحتمل أن الأصل — إلخ » الإشارة إلى سقوط الاستدلال بالبيت على رواية « فاختر لها الصبر والبكى » وبيان ما أشار إليه أنه لا يلزم على هذه الرواية أن يكون قوله « الصبر » مفعولا به لاختر ، بل هو منصوب على نزع الخافض ، ومفعول اختر محذوف كما فى الرواية الأخرى ، واستدل على صحة هذا التخريج بأمرين : الأول أن له نظيرا فى أفصح الكلام وهو قوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا) فقومه فى الآية الكريمة منصوب على نزع الخافض ، أو على التوسع كما يقول بعض النحاة ، وسبعين : هو مفعول اختار ، ويكون الفرق بين الآية الكريمة والبيت أن المفعول الصريح ذكر فى الآية الكريمة وحذف فى البيت ، واستويا فى ذكر المنصوب على التوسع أو نزع الخافض . والأمر الثانى مما استدل به ابن هشام أن أبا على القالى روى البيت « فاختر من الصبر والبكى » فيكون مفعول اختر محذوفا بغير تردد ، فينبغى تخريج الرواية الأخرى على حذف مفعول اختر ونصب الصبر وما عطف عليه على نزع الخافض لتتحد الروايتان .

ومن نقل عبارة ابن هشام بنصها وما ذكرناه فى مطلع الكلام على هذا البيت من أن قصيدة كثير التى منها بيت الشاهد قد رواها أبو على القالى فى أماليه ، تفهم أن فى كلام الشارح انتقال نظر ، حيث ذكر أن الراوى هو أبو على الفارسى ، وعبارة الشارح هى عبارة ابن هشام فى مغنى اللبيب ، وفى عبارة ابن هشام « ويؤيده أن أبا على القالى » فلعل الشارح قرأ هناك « أبا على » فزاد « الفارسى » من عنده ، أو أن نسخته التى نقل عنها تحرفت فوقع فيها « أبا على الفارسى » .

وبعد ، فإن كلام ابن هشام وغرضه من قوله « ويحتمل » ظاهر بعد أن حققنا الموضوع على هذا الوجه ، لكن بقى أن هذا خلاف الأصل ؛ فلا يلجأ إليه إلا عند الاضطرار ، وفرق بين الآية الكريمة والبيت ؛ فإن ذكر المفعول فى الآية يقوم قرينة على أن (قومه) لا ينتصب على المفعولية إلا توسعا ، فأما البيت فلما لم يذكر فيه المفعول مع الفعل المتعدى بنفسه وذكر اسم آخر منصوب يصح أن يكون ناصبه هذا الفعل لم نستجز أن نجعل المفعول محذوفا والحذف خلاف الأصل ثم نذهب فنتلمس لهذا المنصوب عاملا مع صحة توجه العامل المذكور إليه .

أى : أو البكى ؛ إذ لا يجمع بين الصبر والبكى ، ويحتمل أن يكون الأصل « من الصبر والبكى » أى أحدهما ، ثم حذف من ، كما فى قوله تعالى « وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ » ويؤيده أن أبا على الفارسى رواه بمن اه .

* * *

(وَمِثْلُ أَوْ فِي الْقَصْدِ إِمَّا الثَّانِيَهْ * فِي نَحْوِ) تزوج (إِمَّا ذِي وَإِمَّا النَّائِيَهْ) « وَجَاءَنِي إِمَّا زَيْدٌ وَإِمَّا عَمْرٌو » .

﴿ تنبيهات ﴾ : الأول : ظاهر كلامه أنها تأتى للمعانى السبعة المذكورة فى أو ، وليس كذلك ؛ فإنها لا تأتى بمعنى الواو ، ولا بمعنى بل ، والعُذْرُ له أن ورود « أو » لهذين المعنيين قليل ومختلف فيه ، فالإحالة إنما هى على المعانى المتَّفَق عليها ، ولم يذكر الإباحة فى التسهيل ، لكنها بمقتضى القياس جائزة .

الثانى : ظاهرُه أيضا أنها مثل « أو » فى العطف والمعنى ، وهو ما ذَهَبَ إليه أكْثَرُ النحويين ، وقال أبو على وابنا كَيْسَان وبَرهان : هى مثلُها فى المعنى فقط ، ووافقهم الناظمُ ، وهو الصحيح . ويؤيده قولهم : إنها مُجَامعة للواو لزوما ، والعاطفُ لا يدخل على العاطف ، وأما قوله :

٨٤٠ — يَا لَيْتَمَا أُمُّنَا شَالَتْ نَعَامَتُهَا أَيْمَا إِلَى جَنَّةٍ أَيْمَا إِلَى نَارِ

= ومن التمحلات التى ذكرت فى هذا البيت أن يكون قوله « الصبر » مفعولا لاختر ، وقوله « والبكى » مفعولا لفعل محذوف ، وتقدير الكلام على هذا : فاختر الصبر واترك البكى ، وتكون الواو قد عطفت جملة على جملة . ومنها أيضا أن يكون قوله « الصبر » مفعولا به لاختر ، وقوله « والبكى » معطوفا عليه ، ويقدر لكل منهما ظرف خلاف ظرف الآخر ، وتقدير الكلام على هذا الوجه : فاختر الصبر ساعة والبكى ساعة أخرى ، أو فاختر الصبر اليوم والبكى غدا ، وما أشبه ذلك ، وكل ذلك تعسف .

٨٤٠ — نسب قوم هذا البيت إلى الأحوص ، وليس ذلك بسديد ، ورواه صاحب اللسان فى (أما) غير منسوب ، وهو بيت من البسيط من كلمة لسعد القرظ — بقاف مفتوحة فراء مهملة مفتوحة فظاء معجمة — ابن سيار ، يهجو فيها أمه ، وكان سعد هذا شريرا يعق أمه ، وكانت أمه كثيرا ما تعظه فلا يزداد إلا شرا ، وبعد البيت المستشهد به قوله :

... ...

تَلْتَهِمُ الوَسْقَ مَشْدُودًا أَشِظَّتُهُ كَأَنَّمَا وَجْهُهَا قَدْ سُفِعَ بِالقَارِ

لَيْسَتْ بِشَبْعَى وَلَوْ أَوْرَدْتَهَا هَجَرًا وَلاَ بِرَيَّا وَلَوْ صَافَتْ بِذِي قَارِ

خَرْقَاءُ بِالخَيْرِ لاَ تُهْدَى لِوِجْهَتِهِ وَهْيَ صَنَاعُ الأَذَى لِلأَهْلِ وَالجَارِ

اللغة : « شالت » ارتفعت ، والشائل : المرتفع « نعامتها » تطلق النعامة على الحيوان المعروف ، وتطلق على باطن القدم ، وتطلق على الخشبة التي يعلق عليها المصلوب ، وتطلق على النعش الذي يحمل عليه الميت ، وتطلق على جماعة الناس ، ويقول العرب « شالت نعامة فلان » كناية عن أنه مات ، فتكون النعامة في هذه العبارة بحسب الأصل صالحة لأن تكون باطن القدم ، لأن من مات ارتفعت رجله ، ولأن تكون النعش الذي يحمل عليه الموتى لأن من مات حمل نعشه فارتفع على أعناق الناس ، ويقولون « شالت نعامة فلان المصلوب » فتكون النعامة بمعنى الخشبة التي يعلق عليها المصلوب ، ويقولون « شالت نعامة بني فلان » يريدون أنهم تفرقوا بعد اجتماع ، ويقولون « جرى فلان جرى النعامة » فتكون النعامة الحيوان المعروف وهو مضرب المثل في سرعة الجري ، والمراد في البيت الدعاء عليها بالموت « أيما » الرواية في هذه الكلمة بفتح الهمزة وبعدها ياء ساكنة ، وأصل الكلمة إما — بكسر الهمزة وميم مشددة — ففتح الهمزة وأبدل من الميم الأولى ياء ، قال الفراء : قال الكسائي في باب أما وإما — بتشديد الميم فيهما — : إذا كنت آمراً أو ناهيا أو مخبرا فهو أما مفتوحة ، وإذا كنت مشترطا أو شاكا أو مخيرا أو مختارا فهي إما بكسر الهمزة ، قال : وتقول من ذلك في الأول : أما الله فاعبده ، وأما الخمر فلا تشربها ، وأما زيد فقد خرج . قال : وتقول في النوع الثاني إذا كنت مشترطا : إما تشتمن زيدا فإنه يحلم عنك ، وتقول في الشك : لا أدري من قام إما زيد وإما عمرو ، وتقول في التخيير : تعلم إما الفقه وإما النحو ، وتقول في المختار : لي دار بالكوفة فأنا خارج إليها، فإما أن أسكنها وإما أن أبيعها . قال الفراء : ومن العرب من يجعل إما بمعنى أما الشرطية ، قال وأنشدني الكسائي لصاحب هذه اللغة * يا ليتما أمنا شالت نعامتها — البيت * قال الجوهري : وقولهم أيما وأيما يريدون أما فيبدلون من إحدى الميمين ياء ، وقال المبرد : إذا أتيت بإما وأما فافتح الهمزة مع الأسماء واكسرها مع الأفعال ، وأنشد :

إِمَّا أَقَمْتَ وَأَمَّا أَنْتَ ذَا سَفَرٍ فَاللهُ يَحْفَظُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

كسرت « إما أقمت » لأن بعدها فعلا ، وفتحت « وأما أنت » لأن بعدها اسما ، وقال * أبا خراشة أما أنت ذا نفر * المعنى إذا كنت ذا نفر ، وقال الزجاج : إما التي للتخيير شبهت

... .

بإن التى ضمت إليها ما مثل قوله تعالى : (إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) قال : قال البصريون : إما هى أن المفتوحة ضمت إليها ما عوضا من الفعل ، وهو بمنزلة إذ ، المعنى : إذ كنت قائما فإنى قائم معك ، وينشدون * أبا خراشة أما أنت ذا نفر * قالوا : فإن ولى هذه الفعل كسرت فقيل : إما انطلقتَ انطلقتُ معك ، وأنشد * إما أقمت وأما أنت مرتحلا * فكسر الأولى وفتح الثانية ، فإن ولى هذه المكسورة فعل مستقبل أحدثت فيه النون (يريد أدخلت عليه نون التوكيد) فقلت : إما تذهبنّ فإنى ذاهب معك ، فإن حذفت النون جزمت فقلت : إما يأكلك الذئب فلا أبكيك . وقال الفراء فى قوله : (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) قال : إما ههنا جزاء ، أى إن شكر وإن كفر ، قال : وتكون على إما التى فى قوله عز وجل : (إما يعذبهم وإما يتوب عليهم) فكأنه قال : خلقناه إما شقيا أو سعيدا . وقال الجوهرى : إما بالكسر والتشديد : حرف عطف بمنزلة أو فى جميع أحوالها ، إلا فى وجه واحد ، وهو أنا نبتدئ فى أو على يقين ثم يدركنا الشك ، وإما نبتدئ بها على الشك ، ولا بد من تكريرها ، تقول : جاءنى إما زيد وإما عمرو ، وقال حسان بن ثابت :

إمَّا تَرَىْ رَأْسِى تَغَيَّرَ لَوْنُهُ   شَمَطًا فَأَصْبَحَ كَالثَّغَامِ المُمْحِلِ

يريد : إن ترى رأسى ، وما : زائدة ، قال : وليس من إما التى تقتضى التكرير فى شىء .

والخلاصة أن إما قد تكون مؤلفة من إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، وقد تكون حرف تفصيل ، وقد تكون حرف عطف ، على ما فى الأخير من خلاف ، وأن أما بالفتح قد تكون أن المصدرية مدغمة فى ما للعوض بها عن الفعل ، وقد تكون حرف تفصيل ، وقد تكون لغة فى إما التى تقتضى التكرير .

« تلتهم الوسق مشدودا أشظته — البيت » تلتهم : أراد تأكل أكلا فى نهم وشراهة ، والوسق — بفتح الواو وسكون السين المهملة — الحمل من التمر ونحوه ، والأشظة : جمع شظاظ — بكسر أوله — وهو العود الذى يدخل فى عروة الجوالق ، وقيل : الشظاظ خشبة صغيرة عقفاء محددة الطرف توضع فى الجوالق ، أو بين الأونين يشد بها الوعاء ، يريد أنها تأكل الوسق كله فى شراهة ونهم حتى تأتى على آخره قبل أن يحل عنه ، فكأنه يقول : تأكله بوعائه ، وسفع — بضم السين وسكون الفاء — تخفيف سفع — بكسر الفاء — وهو فعل مبنى للمجهول ، وتخفيف الفعل المكسور العين أو المضمومها كثير فى العربية ، وتقول : سفعت فلانا بالنار ، إذا ضربته بها ، والقار : ذلك الأسود الشديد السواد « هجر » مكان كثير التمر ، وفيه يقال : كمستبضع التمر إلى هجر ، و « ذو قار » موضع كانت فيه موقعة عظيمة بين العرب والفرس انتصر فيها العرب .

... ...

الإعراب : « يا » حرف تنبيه ، أو هو حرف نداء والمنادى به محذوف ، والتقدير : ياهؤلاء ليتما — إلخ « ليتما » ليت : حرف تمن مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وما : زائدة « أمنا » أم : اسم ليت منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف ونا مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « شالت » شال : فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على تأنيث الفاعل « نعامتها » نعامة : فاعل شالت مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائبة العائد على أمنا مضاف إليه ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل رفع خبر ليت « أيما » حرف دال على التقسيم مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « إلى » حرف جر « جنة » مجرور بإلى ، والجار والمجرور متعلق بشال «أيما» حرف عطف ، وستعرف تفصيل الخلاف فيها « إلى نار » جار ومجرور معطوف على الجار والمجرور السابق .

الشاهد فيه : قوله « أيما إلى جنة أيما إلى نار » فإن الأصل فى مثل هذا التعبير أن يقال : إما إلى جنة وإما إلى نار — بإثبات الواو العاطفة قبل إما الثانية ، وبكسر همزة إما ، وبتشديد ميمها — وبمثل هذا التعبير يستدل بعض النحاة على أن إما الثانية عاطفة ؛ لأن المعنى على العطف ؛ وحين رد عليهم الجمهور بأنه لو كانت «إما» عاطفة لجاءت — ولو فى بعض الأحيان — من غير الواو ، أما وهى لم تجىء إلا مع الواو فالدال على العطف هو الواو ، ولا دخل لإما فى الدلالة على العطف ، فنقضوا هذا الكلام بأنها قد جاءت دالة على العطف من غير أن تكون مسبوقة بالواو ، وذلك كما فى هذا البيت ، فأجاب الجمهور على التمسك بهذا الاستدلال بما ذكره الشارح نقلا عن ابن هشام فى المغنى بأن هذا البيت نادر لا نظير له فى كلامهم ، فلا يكون مستندا للقاعدة ، هذا توجيه الكلام .

قال ابن هشام فى مغنى اللبيب ما نصه : « وإما عاطفة عند أكثر النحويين ، يعنى إما الثانية فى نحو قولك : جاءنى إما زيد وإما عمرو ، وزعم يونس والفارسى وابن كيسان أنها غير عاطفة كالأولى ، ووافقهم ابن مالك ؛ لملازمتها غالبا للواو العاطفـــة ؛ ومن غير الغالب قوله : * أيما إلى جنة أيما إلى نار * وفيه شاهد ثان ، وهو فتح الهمزة ، وثالث ، وهو الإبدال ، ونقل ابن عصفور الإجماع على أن إما الثانية غير عاطفة كالأولى ، قال : وإنما ذكروها فى باب العطف لمصاحبتها لحرفه ، وزعم بعضهم أن إما عطفت الاسم على الاسم ، والواو عطفت إما على إما ، وعطف الحرف على الحرف غريب ، ولا خلاف فى أن إما الأولى غير عاطفة ؛ لاعتراضها بين العامل والمعمول فى نحو : قام إما زيد وإما عمرو ، وبين العامل ومعموله الآخر فى نحو : رأيت إما زيدا وإما عمرا ، وبين المبدل منه وبدله فى نحو : (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة) فإن ما بعد إما بدل مما قبلها » اهـ كلامه بحروفه .

فشاذ . وكذلك فتحُ همزتها و إبدال ميمها الأولى ياء ، وفتح همزتها لغة تميم ، وبها روى البيت المذكور .

وقد يقال : إن قوله «فى القصد» إشارة إلى ذلك : أى أنهاَ مثلُها فى القَصد : أى المعنى، لا مطلقا ، سيا أنه لم يَعُدَّهاَ فى الحروف أولَ البابِ .

وقد نقل ابنُ عصفور اتفاقَ النحويين على أنهاَ ليست عاطفة ، و إنما أوردهاَ فى حروف العطف لمصاحبتهاَ لها .

الثالث : مقتضى كلامه أنه لا بد من تَكْرارها ، وذلك غالب ، لا لازم ، فقد يستغنى عن الثانية بذكر ما يغنى عنهاَ ، نحو « إِمَّا أَنْ تَتَكَلَّمَ بِخَيْرٍ وَإِلاَّ فَاسْكُتْ » ، وقراءة أُبَيٍّ « وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَإِمَّا عَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » وقوله :

والحاصل أن النحاة مجمعون على أن إما الأولى فى نحو « اصطفيت إما زيدا وإما عمرا » ليست عاطفة ، وأنه لا خلاف بين المصنفين فى نقل هذا الإجماع ، وأما إما الثانية فاختلف النقل فيها ؛ فابن عصفور نقل الإجماع على أنها غير عاطفة نظير الأولى ، وغيره نقل فيها خلافا ، وهؤلاء الذين نقلوا الخلاف مختلفون فى النقل ؛ فمنهم من ينقل الخلاف على أنه رأيان : منهم من يقول : إما الثانية عاطفة ، وينسب هذا إلى الأكثرين ، ومنهم من قال : إما الثانية ليست عاطفة ، ومن الذين نقلوا الخلاف من جعلوا الآراء ثلاثة : الأول أن إما الثانية عاطفة والواو إما غير عاطفة وإما جزء من الكلمة فالعاطف هو « وإما » برمتها ، والثانى أن الواو هى العاطفة وإما ليست عاطفة ، والثالث أن الواو عاطفة وإما عاطفة أيضا ، وكل منهما كلمة برأسها ، فالواو عطفت إما الثانية على إما الأولى ، وإما عطفت ما بعدها على ما بعد إما الأولى . هذا تلخيص كلام ابن هشام .

والذى نختاره فى هذه المسألة أن إما الثانية ليست عاطفة أصالة، والذى يدل على العطف هو الواو التى لا تفارقها إلا نادرا ، ووجه الاستدلال بهذا على ما نذهب إليه أنها لو كانت عاطفة لم تكن الواو ملازمة لها ؛ لأن حرف العطف لا يدخل على مثله ، وأيضا فإنا رأينا لذلك شبها وهو دخول الواو على لا فى نحو قولك : لا زيد ولا عمرو صديق لنا ، وقد أجمع النحاة على أن عمرا فى هذا المثال معطوف على زيد، وعلى أن الواو هى العاطفة له ؛ وعلى أن «لا» مزيدة لتأكيد النفى وليست عاطفة ، فلتكن « إما » الثانية بمنزلة لا الثانية فى المثال الذى ذكرناه .

هذا ، والذى يؤخذ من عبارة ابن هشام أن همزة أما فى هذا البيت مفتوحة ، بل كلامه صريح فى هذا؛ فإنه يقول «وفيه شاهدثان ، وهو فتح الهمزة » لكن عبارة ابن قاسم فى شرح التسهيل أن الهمزة مكسورة فى هذا البيت ، قال ابن مالك فى التسهيل « وقد تبدل ميمها الأولى ياء » قال ابن قاسم «حكى الإبدال مع كسر الهمزة وفتحها، فمثاله مع الكسر * أيما إلى جنة أيما إلى نار * اهـ ويجمع بين الكلامين بأن فى البيت روايتين ، وعبارة الشارح تشير إلى ذلك . وفى هذا القدر كفاية ومقنع ، والله سبحانه ولى التوفيق والسداد .

٨٤١ — فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصِدْقٍ ... فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي
وَإِلاَّ فَاطَّرِحْنِي وَاتَّخِذْنِي ... عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي

٨٤١ — هذان بيتان من بحر الوافر ، وقائلهما هو المثقب العبدى ، والمثقب : لقبه ، وهو بتشديد القاف مكسورة ، لا مفتوحة كما يقع ضبطه فى بعض الكتب ، وإنما لقب بالمثقب لقوله فى القصيدة التى منها البيتان المستشهد بهما :

ظَهَرْنَ بِكِلَّةٍ وَسَدَلْنَ أُخْرَى ... وَثَقَّبْنَ الْوَصَاوِصَ لِلْعُيُونِ

والكلة — بكسر الكاف وتشديد اللام — الستر ، وسدلن أخرى : أرسلنها وأرخينها ، والوصاوص : جمع وصواص ، وهو البرقع الصغير ، واسم المثقب : عائذ — ويقال : عائذ الله — ابن محصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدى بن عوف بن دهن بن عذرة ، ينتهى نسبه إلى عبد القيس ابن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

وهذان البيتان من قصيدة له مطلعها :

أَفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِي ... وَمَنْعُكِ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي
فَلاَ تَعِدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ ... تَمُرُّ بِهَا رِيَاحُ الصَّيْفِ دُونِي
فَإِنِّي لَوْ تُخَالِفُنِي شِمَالِي ... خِلاَفَكِ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
إِذًا لَقَطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ بِينِي ... كَذَلِكِ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي

وقبل البيتين المستشهد بهما قوله :

إِلَى عَمْرٍو ، وَمِنْ عَمْرٍو أَتَتْنِي ... أَخِي النَّجَدَاتِ وَالْحِلْمِ الرَّصِينِ
فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصِدْقٍ ... فَأَعْرِفَ ... البيتين ، و بعدهما :
وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

اللغة : « أفاطم » يريد يا فاطمة ، فاستعمل حرف النداء الذى للقريب ، فإنها إن لم تكن قريبة المحل فهى دانية المنزلة من قلبه « بينك » البين — بالفتح — الفراق والبعد « متعينى » أراد زودينى بنظرة أو نحوها مما يزود الأحباء أحباءهم قبل افتراقهم « ومنعك ما سألت — إلخ »

... ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

وبعد : فإلى أول هذه الصفحة ، وقف (أبو رجاء) عن المسير . وقد انتهى فى التصحيح والمراجعة إلى نهاية صفحة ٤٩٦ من هذا الجزء الرابع ، وانتهى فى التعليق إلى نهاية الشاهد :

« فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ »

واستجابة للرغبة — التى أبداها حضرات السادة الأفاضل أصحاب المطبعة العامرة ، أولاد السيد مصطفى البابى الحلبى (تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته) — فى إكمال الكتاب ، أبدأ مستعينا بالله فى تصحيح الأوراق الباقية من عمل (أبى رجاء) ، وقد اضطررت إلى إضافة زيادات كثيرة هامة ، تشتدّ إليها الحاجة ، ويخل تركها بالكتاب مع التنبيه على أغاليط انحرف فيها (أبو رجاء) عن الجادة ، وقد وضعتها كالتعليق على التعليق ، والاستدراك على مايسمى بالتحقيق ، وفصلت بينها وبين تعليقات (أبى رجاء) بفاصل ذى خطين فى هوامش الصفحات . حتى إذا وصلت إلى قول مسكين الدارمى :

« تُعَلِّقُ فِى مِثْلِ السَّوَارِى سُيُوفَنَا فَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ »

حيث وقف (أبو رجاء) سلكت فى هـذا الشرح إن شاء الله ، مسلك أفاضل العلماء ومحققيهم ، فجعلت خدمة النص — للمصنف والشارح رحمهما الله — جلّ قصدى ، وأوردت فيه نصوص العلماء المتقدمين ، ثم أتبعت الشاهد بتفسير الغريب ، وإعراب المشكل ، وأعفيت القارئ من إعراب الواضحات ، إما لأن من بلغ مثل مبلغه من علم النحو والإعراب ، وحصل مثل ماحصل عليه ، لايخفى عليه علمه ، وإما لأن ما تكرر من إعراب الشواهد الكثيرة فى الأجزاء السابقة ، فيه كفاية ومقنع ، وإنما مثل هـذا الإعراب التفصيلى الذى حشده (أبو رجاء) فى صفحات الكتاب ، وضاعف به الحساب ، أليق بالطالب المبتدئ ، وهو للمنتهى تكرار ، نصون عملنا عنه ، ونستعيض عنه بذكر مالاغنى عنه ، وما لابد منه ، مما لا يوجد فى كتاب ، أو لا يوجد فى غير المطولات التى يعجز الكثيرين الحصول عليها .

والله الهادى والمعين ، بيده الخير ، وما توفيقى إلا به ، عليه توكلت وإليه أنيب ؟

عبد الله إسماعيل الصاوى

بإدارة إحياء التراث القديم بوزارة المعارف

... ...

يقول : إن بخلك بما أسألك أن تمنحيه يشبه فراقك تمام الشبه ، كلاهما يمنعنى من نيل ما أتمنى «فلا تعدى مواعد كاذبات — البيت» المواعد : جمع موعد ، وهو مصدر ميمى بمعنى البعد ، وإنما خص رياح الصيف ، لأنها رياح ليس من ورائها خير ولا نفع ، إنما تأتى بالغبار ولا تمطر ، ومن ذلك قالوا « سحابة صيف عن قليل تقشع » يريدون أن ما يكون من السحاب فى الصيف لا يأتى وراءه مطر ، وقوله «فإنى لو تخالفنى شمالى — البيت» خلافك : مصدر منصوب على أنه مفعول مطلق يراد به التشبيه : أى لو أن شمالى تخالفنى خلافاً يشبه خلافك ، وقوله «ما وصلت بها يمينى» معناه لو أن شمالى تخالفنى مخالفة مثل مخالفتك لم أجعلها عوناً ليمينى فى عمل ما أريد ، وفسر ذلك بقوله « إذاً لقطعتها ولقلت بينى — البيت» بينى : أمر من البين وهو الفراق والانفصال ، وأجتوى أكره وأبغض أشد البغض ، ونظير هذا البيت فى المعنى قول النابغة فى اعتذاره للنعمان بن المنذر :

فَلَوْ كَفِّى الشِّمَالُ بَغَتْكَ خَوْناً لَأَفْرَدْتُ الْيَمِينَ مِنَ الشِّمَالِ

والنابغة هو الآخذ ، والمثقب أقدم جاهلية منه ، فإن المثقب كان فى عهد الملك عمرو بن هند ، فأما النابغة فقد كان مع النعمان كما علمت ، وفى عمرو بن هند يقول المثقب «إلى عمرو ، ومن عمرو أتتنى — الأبيات» والنجدات : جمع نجدة ، وهى البأس والشدة ونصرة المستنصرين ، ويروى «أخو الفعلات» ويراد بها معنى النجدات الذى ذكرناه ، وقوله «فإما أن تكون أخى بصدق — البيت» الغث — بفتح الغين وتشديد الثاء — الردىء ، والسمين : ضده ، وهو الجيد ، وأصل الأول قولهم : غث الحيوان فهو غث وغثيث ، غثاثة ، أى هزل ، وأصل الثانى قولهم : سمن سمناً فهو سمين ، إذا امتلأ ، وقالوا أيضا : أغث اللحم ، يريدون أنه فسد ، وقالوا : فلان يتكلم بالغث وبالسمين ، يريدون أنه يجىء بالردىء فى كلامه وبالجيد ، وأراد بقوله «فأعرف منك غثى من سمينى[1]»

---

(١) وهذا معنى قول الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة أخيه » فإن الأخ إذا صدقت أخوته بصر أخاه بعيوبه فانصرف عنها ، وأرشده إلى محاسنه فاستكثر منها ، قال الشيخ الصبان رحمه الله « وأصل المعنى : فأعرف بك الردىء والجيد منى لتبيينك لى الردىء وإبعادك لى عنه وإعانتك لى عليه . ويوجد فى بعض النسخ بين هذين البيتين :

فَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمَيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ

وروى مؤخراً عنهما وهو الأولى. وقال شيخنا (يعنى شيخ الصبان رحمهما الله) وهو ساقط من خط المؤلف ، وأنشده ابن دريد مع بيتين غير هذين :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِى وَأَبَا رَبَاحٍ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ مُنْذُ حِينِ
لَيُبْغِضُنِى وَأُبْغِضُهُ وَأَيْضًا يَرَانِى دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِى

يريد أنه لشدة عداوتهما لا تختلط دماؤهما ، فلو ذبحا على حجر لافترق الدمان ، والعرب تقول إن دم المتباغضين لا يجتمع .

... ...

فأعرف عيوبى فأجتنبها وأعرف فضائلى فأتمسك بها ، لأنه إذا كان أخاً صادقا فى إخائه بين له حقيقة أمره وكشف عما يأتى وما يدع . وقوله « وإلا فاطرحنى واتخذنى — البيت » إلا : هى إن الشرطية المدغمة فى لا النافية ، وفعل الشرط محذوف ، وأصل الكلام : وإن لا تكن أخى بصدق ، فاطرحنى : أراد أبعدنى عن نفسك وأبعد نفسك عنى وليكن مكانك قصياً من مكانى ، وأتقيك : أحذرك ، وتتقينى : تحذرنى وتخاف صوالى ، شأن العدوين المجاهرين بالعداوة ، فأما أن يكون الظاهر خلاف الباطن فذلك هو النفاق الذى يصعب الاحتراز من صاحبه .

الإعراب : « فإما » إما : حرف دال على التفصيل مبنى على السكون لا محل له من الإعراب و « أن » حرف مصدرى ونصب « تكون » فعل مضارع ناقص منصوب بأن المصدرية وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، واسمه ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت « أخى » خبر تكون منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « بصدق » جار ومجرور متعلق بتكون ، وأن المصدرية مع ما بعدها فى تأويل مصدر مرفوع مبتدأ خبره محذوف ، والتقدير : إما كونك أخى بصدق حاصل ، وبعضهم يجعل هذا المصدر مرفوعا على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير على هذا : إما شأنك كونك أخى بصدق ، وبعضهم يجعل هذا المصدر منصوبا بفعل محذوف ، والتقدير على هذا : أظهر إما كونك أخى بصدق ، ونحوه « فأعرف » الفاء حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، أعرف : فعل مضارع منصوب بالعطف على تكون ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا « منك » من : حرف جر مبنى على السكون لامحل له من الإعراب ، والكاف ضمير المخاطب مبنى على الفتح فى محل جر بمن ، والجار والمجرور متعلق بأعرف « غثى » مفعول به لأعرف منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ، وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر « من » حرف جر « سمينى » مجرور بمن ، وعلامة جره كسرة مقدرة على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة المناسبة ، والجار والمجرور متعلق بأعرف ، وسمين مضاف وياء المتكلم مضاف إليه « وإلا » الواو حرف عطف ، إن : حرف شرط مبنى على السكون لامحل له من الإعراب ، ولا : حرف نفى مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، وفعل الشرط محذوف ، وتقدير الكلام : وإلا تفعل ذلك ، أو التقدير : وإلا يحصل ما ذكرت لك ، وما أشبه ذلك « فاطرحنى » الفاء واقعة فى جواب الشرط ، اطرح : فعل أمر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول به لاطرح مبنى على السكون فى محل نصب « واتخذنى » الواو حرف عطف ، اتخذ : فعل أمر ، مبنى على السكون لامحل له

وقد يستغنى عن الأولى بالثانية كقوله :

٨٤٢ — تُلِمُّ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْـــدُهَا وَإِمَّا بِأَمْـــوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا

من الإعراب ، والنون للوقاية ، وياء المتكلم مفعول أول مبنى على السكون فى محل نصب ، وجملة اطرحنى من الفعل وفاعله ومفعوله فى محل جزم جواب الشرط ، وجملة اتخذنى فى محل جزم معطوفة بالواو على جملة جواب الشرط « عدواً » مفعول ثان لاتخذ منصوب بالفتحة الظاهرة «أتقيك» أتقى : فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنا ، والكاف ضمير المخاطب مفعول به لأتقى مبنى على الفتح فى محل نصب ، و«تتقينى» الواو حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، تتقى فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، والنون للوقاية وياء المتكلم مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب .

الشاهد فيه : قوله « فإما أن تكون أخى ... وإلا فاتخذنى » حيث حذف إما الثانية وأقام مقامها قوله « وإلا » ولو أنه أتى بالكلام على الأصل لقال : فإما أن تكون أخى بصدق وإما أن تتخذنى عدواً أتقيك وتتقينى ، وعبارة العلماء فى هذا الوضع ظاهرها مختلف فى القائم مقام إما الثانية ؛ فمنهم من يقول : قامت إلا مقام إما الثانية ، وعبارة ابن مالك فى التسهيل « وربما استغنى عنها بوإلا » واستشهد لذلك أبو حيان شارح التسهيل ببيت المخرق الذى نحن بصدد شرحه ، وظاهر العبارة الأولى أن الذى قام مقام إما الثانية هو إلا وحدها ، وظاهر عبارة ابن مالك أن الذى قام مقام إما الثانية هو الواو وإلا جميعاً ، ولسنا نرى فيما بين العبارتين اختلافاً ؛ فإنك قد علمت فى شرح الشاهد السابق أن إما الثانية تسبقها الواو كما فى قوله تعالى : (فإما مناً بعد وإما فداء) وغير ذلك من شواهد مجىء إما داخلة فى باب العطف ، فقوله «وإلا» قد قام مقام إما الثانية والواو التى تسبقها ، فمن نظر إلى مجموع « وإما » قال : إنه يقوم مقامها « وإلا » فتكون الواو قائمة مقام الواو ، و « إلا » قائمة مقام « إما » ومن نظر إلى إما وحدها التى الكلام فيها قال : إنه يقوم مقامها إلا ، وهذا ظاهر إن شاء الله تعالى .

٨٤٢ — هذا بيت من الطويل ، وقد نسبه قوم إلى ذى الرمة غيلان بن عقبة ، وممن نسبه إليه العينى فى شرح شواهده ، وليس هذا البيت موجودا فى ديوان ذى الرمة ، وقد عثرت على هذا البيت ثانى أبيات قصيدة طويلة للفرزدق همام بن غالب ، يمدح فيها سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ويهجو الحجاج بن يوسف الثقفى غير أنه تغير فى أوله كلمة ، غيرها النحاة أو الرواة ، وأول هذه القصيدة من كلام الفرزدق على ما هو فى رواية الأدباء[1] :

---

(١) قول (أبى رجاء) فى رواية الأدباء ، هو من الأساليب التى انفرد بها حين يتجاهل المصدر الذى نقل عنه النص ، مثل هذا التعبير لا يقال مطلقاً على علاته وعمومياته ، فمن هم الأدباء

... ...

وَكَيْفَ بِنَفْسٍ كُلَّمَا قُلْتُ أَشْرَفَتْ ... عَلَى الْبُرْءِ مِنْ حَوْصَاءَ هِيضَ انْدِمَالُهَا
تُهَاضُ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا ... وَإِمَّا بِأَمْوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا
وَمَا كُنْتُ مَا دَامَتْ لِأَهْلِي حُمُولَةٌ ... وَمَا حَمَلَتْهُمْ يَوْمَ ظَعْنٍ جِمَالُهَا[1]
وَمَا سَكَنَتْ عَنِّي نَوَارُ فَلَمْ تَقُلْ ... عَلَامَ ابْنُ لَيْلَى وَهْيَ غُبْرٌ عِيَالُهَا
تُقِيمُ بِدَارٍ قَدْ تَغَيَّرَ جِلْدُهَا ... وَطَالَ وَنِيرَانُ الْعَذَابِ اشْتِعَالُهَا
لِأَقْرَبِ أَرْضِ الشَّامِ وَالنَّاسُ لَمْ يَقُمْ ... لَهُمْ خَيْرُهُمْ مَا بَلَّ عَيْنًا بِلَالُهَا

والبيت الأول من هذه الأبيات مروى فى اللسان (د هـ م) عن ابن برى غير منسوب[2] .

اللغة : « فكيف بنفس كلما قلت أشرفت — البيت » أشرفت على البرء : قاربته ، وكأنها اطلعت عليه من عال فرأته ، والبرء — بالضم — الشفاء من المرض ، وحوصاء : هى هكذا فى رواية الديوان ، وأصل الحوصاء أنثى الأحوص ، وهما وصفان من الحوص — بفتح الحاء المهملة والواو جميعا — وهو ضيق مؤخر العين كأنما خيطت ، وأراد هنا الوصف بالضيق مطلقا ، وأصل الكلام : أشرفت على البرء من جراحة حوصاء ، وما أشبه ذلك ، وكأنه يريد جراحة ضيقة المخارج ووقع فى اللسان وفى رواية النحويين مكان هذه الكلمة « دهماء » والدهماء تحتمل أمرين : الأول : أن تكون من الدهمة وهى الظلمة ، والثانى أن تكون اسما للداهية ، وعلى الروايتين ضرب الشاعر الحوصاء والدهماء مثلا ، وهيض : ماض مبنى للمجهول ، ومعناه أنه نكس بعد أن تماثل إلى الشفاء ،

الذين عناهم أبو رجاء ؟ وعلى أية حالة فالقصيدة فى ديوان الفرزدق الذى أخرجته وحققته عام ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٦ م (الصفحة ٦١٨) وما بعدها وعدد أبياتها سبعة وثلاثون بيتاً .

(١) هكذا ضبط (أبو رجاء) حمولة فى البيت بضم الحاء ، فخرج على الأصل الذى نقل منه وضبط عنه ، فهى فى ديوان الفرزدق بفتح الحاء ، وقال تعالى فى تنزيله العزيز (ومن الأنعام حمولة وفرشاً) بفتح الحاء أيضاً ، وجاء فى اللسان مادة (ح م ل) « والحمولة بالفتح : الإبل التى تحمل . ابن سيده : الحمولة (بفتح الحاء) كل ما احتمل عليه الحىّ من بعير أو حمار أو غير ذلك سواء كانت عليها أثقال أو لم تكن ، وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول به ، وفى حديث تحريم الحمر الأهلية « قيل لأنها حمولة الناس » الحمولة بالفتح : مايحتمل عليه الناس من الإبل سواء كانت عليها الأحمال أم لم تكن كالركوبة » بفتح الراء .

(٢) هذا البيت لم يرد فى مادة (د هـ م) فى اللسان كما يقول (أبو رجاء) ، وإنما ورد فى مادة (د م ل) غير أنه روى عجزه غير منسوب هكذا :

* عَلَى الْبُرْءِ مِنْ دَهْمَاءَ هِيضَ انْدِمَالُهَا *

... ...

قال في اللسان : « الهيض — بالفتح — كسر العظم بعد الجبور[1] ، وهو أشد ما يكون من الكسر وكذلك النكس في المرض بعد الاندمال ، قال ذو الرمة :

وَوَجْهٍ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حُرٌّ كَأَنَّمَا ... تَهِيضُ بِهَذَا الْقَلْبِ لَمْحَتُهُ كَسْرَا

وقال القطامي :

إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ جُبِرَتْ صُدُوعٌ ... تُهَاضُ وَمَا لِمَا قَدْ[2] هِيضَ اجْتِبَارُ اهـ .

والاندمال : الالتحام والتماثل والبرء ، وقول صاحب الشاهد « تهاض بدار قد تقادم عهدها — البيت » هكذا هو في الديوان ، والنحاة يروون صدر هذا البيت « تلم بدار قد تقادم عهدها » فأما تهاض فهو مضارع مبني للمجهول من الهيض ، وقد فسرنا الهيض في شرح البيت السابق ، وأما تلم فقد فسره الصبان على أنه فعل مضارع مبني للمعلوم من الإلمام بمعنى الزيارة[3] وهو بعيد كل البعد ، والذي يتفق مع الرواية الأخرى أن يكون « تلم » فعلا مضارعا مبنيا للمجهول ، والضمير المستتر فيه يعود إلى النفس المذكورة في البيت السابق[4] ويكون معناه يصيبها اللمم وهو المرض ، وتقادم عهدها :

(١) عبارة اللسان الهيض — وضبطه بالحركات بفتح الهاء وإسكان الياء — « الكسر بعد جبور العظم » لا كما توهمه عبارة أبي رجاء .

(٢) قد هنا زائدة زادها (أبو رجاء) من عنده فليست في اللسان الذي ادعى أنه نقل عنه ، وأظن أن العروضيين يتأذون أشد الأذى بوجودها ، وكذلك المغنون .

(٣) إليك عبارة الشيخ الصبان هي (قوله تلم) الضمير يرجع إلى النفس المذكورة ، في البيت قبله من ألم إذا نزل ، وفي بعض النسخ : تهاض بالبناء للمجهول من هاض العظم إذا كسره بعد جبر ج ٣ ص ٨٤ ، لتعلم أن (أبا رجاء) حرف قول الشيخ الصبان « من ألم إذا نزل » وادعى أنه قال « من الإلمام بمعنى الزيارة » ويا بعد ما بين المعنيين .

(٤) الذي ذهب إليه (أبو رجاء) تحكم فلا معنى لمتابعة راوية ثبت أنه أخطأ أو نسي لامحالة ، فالشاعر قال تهاض أو تلم والراوي هو الذي تصرف فجعل تهاض تلم أو جعل تلم تهاض . والأرجح عندي أن يكون ما قاله الشاعر هو تلم . لا تهاض لأن لفظ الهيض ذكر في البيت السابق فعدم تكرار اللفظ أولى بحس الشاعر وتلم تفسير وبيان له . فلا معنى لأن يجعل (أبو رجاء) رواية تهاض التي وردت بصيغة البناء المجهول ، لا معنى لأن يجعلها حكماً في تلم فيبنيها للمجهول أيضاً . والحس الأدبي للشعر العربي يأبى بناءها للمجهول ، ولا سيما والشيخ ابن عرفة الدسوقي في شرحه على المغني وافق الصبان في أنها مبنية للمعلوم إذ قال (قوله تلم أي تنزل) ولو تابع (أبا رجاء) لقال « ينزل بها » فالحق أن بناءها للمجهول تحكم لا مسوغ له البتة ، فتلم معناها تنزل كما ذكر الشيخ الصبان والشيخ ابن عرفة ، والنزول قد يكون حقيقياً إذا كان حسياً . وقد يكون مجازيا

... ...

طال الزمن على معرفها ورؤيتها ، وألم : فعل ماض من الإلمام وهو الزيارة ، والخيال : ما يراه الإنسان في النوم ، أو صورة الشيء تعرض لذهن الإنسان .

المعنى : وصف الشاعر أن نفسه كلما قاربت البرء وطمع هو في أن تندمل جروحها ويبرأ سقامها الذى أورثها إياه ولوعه بأحبابه وغرامه الشديد بهم تعرضت للانتكاس ورجعت إلى السقام بأشدما كانت عليه ، وذلك بسبب رؤيته الديار التى كانت مسرح هواه ودار ألافه ، وإما بعروض صور أحياء له ماتوا على ذهنه ، فهو لايفتأ يعتاده من أسباب التباريح ما يعيده إلى المرض ويجره مرة أخرى إلى اللأواء .

الإعراب : « تهاض » فعل مضارع مبنى للمجهول مرفوع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى النفس التى جرى ذكرها فى البيت الأول «بدار» جار ومجرور متعلق بتهاض «قد» حرف تحقيق مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « تقادم » فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب «عهدها» عهد : فاعل تقادم مرفوع وعلامه رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائبة العائد إلى الدار مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر ، والجملة من الفعل وفاعله فى محل جر صفة لدار «وإما» الواو حرف عطف ، إما : حرف تفصيل «بأموات» جار ومجرور معطوف على قوله بدار «ألم» فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « خيالها » خيال : فاعل ألم مرفوع بالضمة الظاهرة

إذا كان بمجرد الادكار والخطور بالبال ، فهو نزول على كل حال وليس معناه أصابها اللمم كما ذكر (أبو رجاء) لأنه نقل عن اللغويين فى تفسير الهيض أنه أشد مايكون من الكسر وقد نقل (أبو رجاء) ذلك عنهم فى الصفحة السابقة ، واللمم الذى قال (أبو رجاء) إنه المرض لم يقله أحد من أهل اللغة ، وإنما اللمم صغار الذنوب أو مادون الكبائر ، وقيل مقاربة الذنب ، وقيل الجنون . وكل هذه المعانى بعيدة كل البعد عن المعنى الذى قصد إليه الشاعر . فالشاعر يقول : إنه كلما آنس البرء من جراحه هيضت نفسه وانتكست ، ثم ذكر فى البيت الثانى سبب الهيض والانتكاس فبين أنه بسبب إلمامها ونزولها فى نفس الدور التى تطاول عليها العهد والتى كانت آنسة آهلة بأحبابه ، أو بسبب ورود أطياف وصور الذين ماتوا من أهله وإخوانه على ذاكرته .

والشاعر يعلل سبب الهيض والانتكاس بعلة طبيعية جرى الشعراء عليها ، ولكن (أبا رجاء) أراد أن ينال من الشيخ الصبان ويتعالم عليه ويسفه رأيه فارتكب هذا المركب الصعب ، ولو أفسد المعنى وتقوّل على اللغة مالم يقله أهلها .

... ...

وضمير الغائبة العائد إلى أموات مضاف إليه ، وجملة الفعل الماضى وفاعله فى محل جر صفة لأموات .

الشاهد فيه : قوله « وإما بأموات » فإنه معطوف على كلام سابق تقدمته فى الأصل « إما » ثم حذفت لأن فى ذكر الثانية المسبوقة بواو العطف إيماء إليها وإشارة لها ، وأصل الكلام : تلم هذه النفس إما بدار قد تقادم عهدها وإما بأموات ألم خيالها ، هذا وظاهر عبارة الشارح ـ وهى عبارة منقولة عن مغنى اللبيب لابن هشام ـ أن الفراء يجيز حذف « إما » الأولى حيث يقول الشارح « والفراء يقيس هذا ، فيجيز زيد يقوم وإما يقعد كما يجيز زيد يقوم أو يقعد » وإليك أولا عبارة ابن هشام حتى تعلم أن الشارح قد نقلها بحروفها ، قال ابن هشام : « وقد يستغنى عن إما الأولى لفظا كقوله(١) :

تَلِمُّ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْـدُهَا وَإِمَّا بِأَمْوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا(٢)

أى : إما بدار وإما بأموات ، والفراء يقيسه ، فيجيز زيد يقوم وإما يقعد ، كما يجوز أو يقعد اهـ . ولما لم يطلع القوم على كلام الفراء نفسه أخذوا يبحثون فى عبارة ابن هشام ، وانظر إلى ما قاله العلامة الدماميني : « ظاهر هذا الكلام أن الفراء لا يحتاج إلى تقدير إما قبل المعطوف ، وهو ظاهر قول ابن أم قاسم فى الجنى الدانى : وأجاز الفراء ألا تتكرر ، وأن تجرى مجرى أو ، فإن كان هذا هو المراد نافاه قول ابن هشام : والفراء يقيسه ، فإن هـذا الضمير المنصوب عائد إلى

---

(١) إليك نص عبارة ابن هشام حتى تعلم أن (أبا رجاء) لم ينقل إليك العبارة بحروفها ، كما ادعى ليصحح توركه على الشيخ المصنف رحمه الله ، قال ابن هشام :

« وقد يستغنى عن الأولى لفظاً كقوله :

سقته الرواعد من صيف [وإن من خريف فلن يعدما]

وقد تقدم وقوله : تلم » إلخ .

(٢) من العجيب جداً أن (أبا رجاء) ضبط تلم بالبناء للمعلوم هنا وفى موضع الشاهد من الصلب (ص ٥٠٠) بعد أن ادعى أنه بعيد كل البعد فى أول الصفحة ٥٠٢ ، ولعل قلمه قد عصاه فى هذه المرة فسبقه إلى كتابة الصواب .

وقد ذكرنى صنيع (أبى رجاء) ونقله عن اللغويين وحكمه على النصوص العربية بالذى رواه الجاحظ عن كيسان مستملى أبى عبيدة معمر بن المثنى رحم الله الجميع . قال الجاحظ : كان كيسان مستملى أبى عبيدة يكتب غير ما يسمع ، ويستملى غير ما يكتب ، ويقرأ غير ما يستملى ؛ أمليت عليه يوماً :

عجبت لمعشر عدلوا بمعتمر أبا عمرو

فكتب أبا بشر ، واستملى أبا زيد ، وقرأ أبا حفص !

أي : إما بدارٍ ، والفراء يَقِيسُ هذا ، فيجيز « زَيْدٌ يَقُومُ وَإِمَّا يَقْعُد » كما يجيز « أو يقعد » .

الرابع : ليس من أقسام إما التي في قوله « فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا » بل هذه ن الشرطية وما الزائدة[1] .

* * *

الاستغناء عنها لفظا ، والفراء على ظاهر كلامهم يرى أنها مستغنى عنها البتة ، لفظا وتقديراً »انتهى، ولو أن القوم ــ رحمهم الله تعالى : ــ اطلعوا على كلام الفراء ليعلموا أن الفراء يرى أن « إما » إذا لم تتكرر كما في هذا البيت فإنها تكون نائبة عن « أو » وقائمة مقامها ، وهاك عبارة الفراء بنصها حتى تعلم علم ذلك ، قال : «ولا تدخل أو على إما ،ولا إما على أو ،وربما فعلت العرب ذلك لتآخيهما في المعنى ، على التوهم ، فيقولون : عبد الله إما جالس أو ناهض ، ويقولون : عبد الله يقوم وإما يقعد ، وفي قراءة أُبيّ : (وإنا وإياكم لإما على هدى أو في ضلال مبين) فوضع « أم » في موضع « إما » وقال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُنَّ أَمْشِــينَ إِمَّا نُلَاقِهِ ... كَمَا قَالَ أَوْ نَشْفِ النُّفُوسَ فَنُعْذَرَا

وقال آخر :

تُلِمُّ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْــدُهَا ... وَإِمَّا بِأَمْــوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا

فوضع « إما » في موضع «أو» على التوهم ، وذلك إذا طالت الكلمة بعض الطول أو فرقت بينهما بشيء هنالك » اهـ بحروفه . وأنت إذا تدبرت في هذا الكلام أيقنت أن الفراء لايرى جواز حذف «إما» الأولى حذفاً قياسياً مطرداً بحيث يجوز أن يقاس عليه في الكلام،ولكنه يرى أن «إما» المذكورة ــ وهي الثانية في اعتبار الجمهور ــ قائمة مقام « أو » وعلى هذا يكون الفرق بين كلام الجمهور وكلام الفراء أن في بيت الشاهد حذفاً ، وأن المحذوف هو « إما » السابقة على المعطوف عليه وعلى الواو وإما الثانية » على ما بيناه في أول هذه الكلمة ، وأما الفراء فإنه يرى أنه لاحذف في البيت ، غاية ما في الباب أن الشاعر وضع كلمة في موضع كلمة أخرى على توهم أنه ذكر ما استوجبا =

(١) قال ابن عرفة الدسوقي في شرحه على المغني : ولذلك أكد الفعل وجوابها حينئذ قوله (فقولي إني نذرت) الآية . وعبارة الأشموني منقولة بالحرف الواحد عن ابن هشام . قال : إما المكسورة المشددة قد تفتح همزتها ، وقد تبدل ميمها الأولى ياء ، وهي مركبة عند سيبويه من أن وما ، وقد تحذف ما كقوله :

... ...

سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ مِنْ صَيِّفٍ وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَمَا

أى إما من صيف وإما من خريف ، وقال المبرد والأصمعى «إن» فى هذا البيت شرطية والفاء فاء الجواب ، والمعنى وإن سقته من خريف فلن يعدم الرى ، وليس بشىء ، لأن المراد وصف هذا الوعل بالرى على كل حال ، ومع الشرط لايلزم ذلك ، وقال أبوعبيدة «إن» فى البيت زائدة و«إما» عاطفة عند أكثرهم أعنى إما الثانية فى نحو قولك « جاءنى إما زيد وإما عمرو » وزعم يونس والفارسى وابن كيسان أنها غير عاطفة كالأولى ، ووافقهم ابن مالك لملازمتها غالباً الواو العاطفة ، ومن غير الغالب قوله :

يَالَيْتَمَا أُمُّنَا شَالَتْ نَعَامَتُهَا إِيْمَا إِلَى جَنَّةٍ إِيْمَا إِلَى نَارِ

وفيه « شاهد ثان » وهو فتح الهمزة « وثالث » وهو الإبدال .

ونقل ابن عصفور الإجماع على أن إما الثانية غير عاطفة كالأولى . قال وإنما ذكروها فى باب العطف لمصاحبتها لحرفه ، وزعم بعضهم أن إما عطفت الاسم على الاسم والواو عطفت إما على إما ، وعطف الحرف على الحرف غريب . ولا خلاف أن إما الأولى غير عاطفة لاعتراضها بين العامل والمعمول فى نحو « قام إما زيد وإما عمرو » وبين أحد معمولى العامل ومعموله الآخر فى نحو « رأيت إما زيدا وإما عمراً » وبين المبدل منه وبدله فى نحو قوله تعالى :

« حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَايُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ » فإن مابعد الأولى بدل مما قبلها .

ولإما معان خمسة « أحدها » الشك ، نحو « جاءنى إما زيد وإما عمرو » إذا لم تعلم الجائى منهما .

« الثانى » الإبهام نحو « وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ »

« الثالث » التخيير ، نحو « إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِما أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنَاً » و « إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى » .

ووهم ابن الشجرى فجعل من ذلك « إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » ووجه الوهم كما قال الشمنى : أن التخيير إنما يكون بعد الطلب ، ولا يقع بعد إما فيه إلا مفرداً صريحاً أو تأويلا ، وكلاهما منفى فى الآية ، قال وخفى هذا على بعضهم حتى قال : وجه الوهم أن التخيير يستلزم مخيراً ، وهو ممتنع على الله . وأجاب بأنه يجوز أن يكون تخييره تعالى من ذاته . نعم لابن الشجرى أن لايلتزم شيئاً مما سبق ويقول : المدار على استواء الأمرين وتحقق الخيرة بينهما ، وأيضا ظاهر أنه لايجتمع

... ...

التعذيب والتوبة . (قلت) وجه بأنها ليست للتخيير في الآية أن المعنى إما يعذبهم إن ماتوا مصرين على الذنب ولم يعقب ذنبهم أو يسبق موتهم توبة ، و « إما يتوب عليهم إن تابوا » .

« الرابع » الإباحة : نحو « تعلم إما فقهاً وإما نحواً » و « جالس إما الحسن وإما ابن سيرين » . ونازع فى ثبوت هذا المعنى لإما جماعة مع إثباتهم إياه لأو » .

« الخامس » التفصيل : نحو « إما شاكراً وإما كفورا » وانتصابهما على هذا على الحال المقدرة ، وأجاز الكوفيون كون إما هذه هى إن الشرطية وما الزائدة ، قال مكى ولا يجيز البصريون أن يلى الاسم أداة الشرط حتى يكون بعده فعل يفسره ، نحو « وإن امرأة خافت » وردّ عليه ابن الشجرى بأن المضمر ههنا « كان » فهو بمنزلة قوله :

قَدْ قِيلَ ذٰلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبَا

وهذه المعانى لأو ، إلا أن إما يبنى الكلام معها من أول الأمر على ماجىء بها لأجله ، من شك وغيره . ولذلك وجب تكرارها فى غير ندور ، و « أو » يفتتح الكلام معها على الجزم ثم يطرأ الشك أو غيره ، ولهذا لم تتكرر .

وقد يستغنى عن إما الثانية بذكر مايغنى عنها ، نحو : « إما أن تتكلم بخير وإلا فاسكت » وقول المثقب العبدى :

فإما أن تكون أخى بصدق فأعرف منك غثى من سمينى
وإلا فاطرحنى واتخذنى عدواً أتقيك وتتقينى

وقد يستغنى عن الأولى لفظاً كقوله :

سقته الرواعد من صيف وإن من خريف فلن يعدما

وقوله :

تُلِمُّ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَإِمَّا بِأَمْوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا

أى إمَّا بدار . والفراء يقيسه ، فيجيز زَيْدٌ يقُومُ وَإِمَّا يَقْعُدُ كما يجوز « أَوْ يَقْعُدُ » المذكورة [فى معنى أحد الشيئين أو الأشياء ، إلا أن أو تستعمل بمعنى إلى أو إلا دون إما] .

والامام الرضى رحمه الله كلام فى إما هذه نذكره هنا للفائدة ، قال : وأما إما فهى بمعنى

... ...

أو في جميع الأحكام المذكورة وفي عروض معنى الشك أو الإبهام أو التفصيل له في الخبر ومعنى التخيير أو الإباحة في الأمر ، إلا أن المعطوف عليه بإما لابد أن يكون مصدراً بإما أخرى ، نحو «جاءني إما زيد وإما عمرو» فمبنى الكلام مع إما على أحد الشيئين أو الأشياء [قولا واحداً لتقدم، إما الدالة على هذا المعنى] وإما مع أو ، فإن تقدم إما على المعطوف معنى أحد الشيئين بعد ذكر المعطوف عليه . تقول مثلا « قام زيد » قاطعاً بقيامه ، ثم يعرض الشك أو تقصد الإبهام فتقول « أو عمرو » ويجوز أن يكون شاكا أو مبهماً من أول الأمر وإن لم يأت بحرف دال عليه كما تقول مثلا « جاءني القوم » وأنت عازم من أول الأمر على الاستثناء بقولك « إلا زيداً »

فأما الثانية في كل كلام فلابد لها من تقدم إما أخرى داخلة على المعطوف عليه بخلاف أو ، فإنه يجوز فيه تقدم إما عليه وعدم تقدمه . نحو « جاءني إما زيد أو عمرو » و « جاءني زيد أو عمرو» وقد جاءت إما غير مسبوقة بإما أخرى في الشعر ، لكنها تقدّر حملا على الكثير الشائع من استعمالها ، أنشد الفراء :

تِلِمُّ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا ... وَإِمَّا بِأَمْوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا

أى إما بدار . وإما بأموات ، وقد تخلف الثانية إلا ، قال :

فإما أن تكون أخي بحق ... فأعرف منك غثي من سميني

وإلا فاطرحني واتخذني ... عدواً أتقيك وتتقيني

وتلزم الثانية الواو ، وربما ترد بلا واو ، نحو « خذ إما هذا إما ذاك » قال :

ياليتما أمنا شالت نعامتها ... إما إلى جنة إما إلى نار

ويروى إيما إلى جنة . وهي لغة في إما .

وقالوا إن إما لاتستعمل في النهي ، وحكى قطرب فتح همزة إما العاطفة . وهي عند سيبويه مركبة من إن وما بدليل حذف ما للضرورة قال :

سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ مِنْ صَيِّفٍ ... وإن من خريف فلن يعدما

[الصيف : مطر الصيف ، والواحدة صيفة] .

فارتكب الشاعر حذف إما الأولى وحذف « ما » من الثانية ، وقال :

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ فَاكْذِبَنْهَا ... فَإِنْ جَزَعاً وَإِنْ إِجْمَالَ صَبْرِ

فإن التقدير إما تجزع جزعا .

وقال غيره (أي غير سيبويه) هو مفرد غير مركب إذ الإفراد أصل للحروف ، وتأول البيتين بإن الشرطية ، وشرطها كان المحذوفة أي فإن كان جزعاً .

(وَأَوْلِ لَكِنْ نَفْيًا أَوْ نَهْيًا) نحو « ما قام زيدٌ لكِنْ عمرٌو » ، و « لَا تَضْرِبْ زَيْدًا لكِنْ عَمْرًا » .

﴿ تنبيه ﴾ يشترط لكونها عاطفةً مع ذلك : أن يكون معطوفها مفرداً ، وأن لا تقترن بالواو ، كما مثل ، وقد سَبَقَ ما في هذا الثاني[1] .

وهى[2] حرف ابتداء إن سُبِقَتْ بإيجاب ، نحو « قَامَ زَيْدٌ لكِنْ عَمْرٌو لَمْ يَقُمْ » ، ولا يجوز « لكن عمرو »[3] خلافا للكوفيين ، أو تَلَتْها جملة[4] ، كقوله :

= الكلمة التى وضعها من تقدم مثلها ، وأن سبب التوهم هو طول الكلام بذكر الجملة التى وقعت صفة للدار ، والكلمة الموضوعة هى « إما » والكلمة الأخرى التى يستدعيها الكلام هى « أو »

ومنع أبو على الفارسى ، وعبد القاهر الجرجانى من كونها عاطفة ، لأن الأولى داخلة على ماليس بمعطوف على شىء ، والثانية مقترنة بواو العطف ، فلا تصلحان للعطف . وشبهة من جعلها حرف عطف كونها بمعنى أو العاطفة ، ولا يلزم ذلك ، فإن معنى أن المصدرية هو معنى ما المصدرية ، والأولى تنصب المضارع بخلاف الثانية .

وقال الأندلسى : إما الأولى مع الثانية حرف عطف قدمت تنبيهاً على أن الأمر مبنى على الشك والواو جامعة بينهما عاطفة لإما الثانية على الأولى ، حتى تصيرا كحرف واحد ثم تعطفان معاً مابعد الثانية على مابعد الأولى .

قال الرضى : وهذا عذر بارد من وجوه ، لأن تقدم بعض العاطف على المعطوف عليه وعطف بعض العاطف على بعضه وعطف الحرف على الحرف غير موجود فى كلامهم ، فالحق أن الواو هى العاطفة ، وإما مفيدة لأحد الشيئين غير عاطفة والواو فى نحو قولهم :

إما إلى جنة إما إلى نار مقدرة »

(ص ٣٧٣ ج ثانى شرح الرضى على الكافية) .

(١) أى من الخلاف فى شرح قوله « وأتبعت لفظا فحسب » إلخ (ج ٤ ص ٤١٧ وما بعدها)

(٢) شروع فى محترزات الشروط ، قال الشيخ الصبان فكان الأولى التعبير بالفاء .

(٣) أى على أن « عمرو » معطوف كما فى التوضيح ، أما على أنه مبتدأ فيجوز .

(٤) أى أو سبقت بنفى ، لكن تلتها جملة فلا ينافى أن المسبوقة بإيجاب لايتلوها إلا الجملة .

٨٤٣ — إنَّ ٱبْنَ وَرْقَاءَ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ‍ ‍ ‍ ‍ لَـكِنْ وَقَائِعُهُ فِى الْحَرْبِ تُنْتَظَرُ

وليس فى هذا الكلام مايفيد أنه يرى جواز حذف «إما» الأولى ويقيس عليه ، فافهم ذلك وتدبره والله ينفعك به .

٨٤٣ — هذا بيت من البسيط ، وهو من قصيدة لزهير بن أبى سلمى المزنى يمدح فيها الحارث بن ورقاء الصيداوى ، ومطلع هذه الكلمة قوله :

أَبْلِغْ بَنِى نَوْفَلٍ عَنِّى فَقَدْ بَلَغَتْ ‍ ‍ ‍ ‍ مِنِّى الْحَفِيظَةُ لَمَّا جَاءَنِى الْخَبَرُ

الْقَائِلِينَ يَسَارًا لَا تُنَاظِرُهُ ‍ ‍ ‍ ‍ غِشًّا لِسَيِّدِهِمْ فِى الْأَمْرِ إِذْ أَمَرُوا

إِنَّ ٱبْنَ وَرْقَاءَ لَا تُخْشَى غَوَائِلُهُ ‍ ‍ ‍ ‍ لَـكِنْ . . . . البيت

وبعده :

لَوْلَا ٱبْنُ وَرْقَاءَ وَالْمَجْدُ التَّلِيدُ لَهُ ‍ ‍ ‍ ‍ كَانُوا قَلِيلًا فَمَا عَزُّوا وَمَا كَثُرُوا

وَالْمَجْدُ فِى غَيْرِهِمْ لَوْلَا مَآثِرُهُ ‍ ‍ ‍ ‍ وَصَبْرُهُ نَفْسَهُ وَالْحَرْبُ تَسْتَعِرُ

أَوْلَى لَـكُمْ ثُمَّ أَوْلَى أَنْ يُصِيبَكُمُ ‍ ‍ ‍ ‍ مِنِّى نَوَاقِرُ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ(١)

وَأَنْ تَقَلْقَلَ رُكْبَانُ الْمَطِىِّ بِكُمْ ‍ ‍ ‍ ‍ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شَنْعَاءَ تَشْتَهِرُ

اللغة . كان الحارث بن ورقاء الصيداوى — وهو أحد بنى أسد — قد أغار على بنى عبد الله ابن غطفان ، وهم أخوال زهير وفيهم كان يقيم ، فغنم الحارث ، وكان مما غنمه إبل زهير وراعيه يسار ، فقال زهير قصيدته التى أولها :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ يَأْوُوا لِمَنْ تَرَكُوا ‍ ‍ ‍ ‍ وَزَوَّدُوكَ اشْتِيَاقًا أَيَّةً سَلَكُوا

فلما أتت هذه القصيدة الكافية الحارث لم يلتفت إليها ، فقال زهير :

---

(١) الرواية فى حاشية الأمير على المغنى لابن هشام :

أولى لكم ثم أولى أن تصيبكم ‍ ‍ ‍ ‍ منى فواقر لا تبقى ولا تذر

قال والفواقر المصيبات ، وفسر البوادر بأنها مايسبق أمام الغضب ، والحرب مؤنثة لكن يصغر بلا تاء — أى يقال — حريب (مبحث لكن) .

... ...

تَعَلَّمْ أَنَّ شَرَّ النَّاسِ حَيٌّ ... يُنَادَى فِي شِعَارِهِمُ يَسَارُ

وَلَوْلَا عَسْبُهُ لَرَدَدْتُمُوهُ ... وَشَرُّ مَنِيحَةٍ أَيْرٌ مُعَارُ

إِذَا جَمَحَتْ نِسَاؤُكُمُ إِلَيْهِ ... أَشَظَّ كَأَنَّهُ مَسَدٌ مُغَارُ

فلما سمع الحارث هذه الكلمة قالوا للحارث اقتل يساراً ، فأبى عليهم ، وكساه ، ورده ، فقال زهير الكلمةالتى منها بيت الشاهد يمدح الحارث ويذم بنى أسد ، ولم يعرف الأصمعى هذه الكلمة وعرفها أبو عبيدة .

« بنى نوفل » هم جماعة من بنى أسد ، وهم قوم الحارث بن ورقاء «فقد بلغت منى الحفيظة» وقع فى رواية ، الأعلم الشنتمرى « فقد بلغوا منى الحفيظة » والحفيظة الغضب ، تقول « أحفظت فلانا » تريد أغضبته ، يقول زهير : أغضبونى بهذا الكلام الذى بلغنى عنهم ، وهو أمرهم الحارث بأن يقتل يساراً «القائلين يساراً لاتناظره»لاتناظره: أى لاتؤخره،وهذا نفى أريد به النهى ،والرواية فيه بالرفع على ما ذكرناه ، ولو أنه فتح على إرادة نون التوكيد الخفيفة لجاز ، وقوله «غشا» مصدر منصوب بفعل محذوف ، والغرض منه تأكيد معنى « لا تناظره » وسيدهم : هو الحارث بن ورقاء « إن ابن ورقاء لا تخشى غوائله » الغوائل : الخبائث ، وعن أبى محمد : غوائله ماغاله من شر، من نميمة أو فساد يدخل عليه ، وروى فى المغنى فى مبحث لكن «لاتخشى بوادره[1]»وتبعه الشارح ههنا . يقول : إن ابن ورقاء ليس ممن يقتل غيلة ويغدر ، ولكنه ممن يجاهد بالحرب وتتوقع فيها وقائعه «لولا ابن ورقاء والمجد التليد له ــ البيت» المجد التليد : ما ورثه عن آبائه ، ويقابله الطريف وهو ما أحدثه من المجد ولم يكن موروثاً ، يقول : كان الشرف فى غير بنى نوفل لولا ابن ورقاء والمجد فى غيرهم لولا مآثره ــ البيت » المآثر : جمع مأثرة ، وهى ماينقل ويتحدث به من الأفعال الكريمة ، وصبره نفسه : يريد حبسه إياها على شدة الحرب ومكروهها ، وتستعر: تشتد وتتقد ، والمسعر ــ بزنة المنبر ــ العود الذى تحرك به النار لتشتعل ، يقول : لولا ابن ورقاء بفعل الأفعال الكريمة التى يتناقل الناس أخبارها ويحدث بعضهم بعضاً بها ما كان لبنى الصيداء فخر يفاخرون به من ساماهم ، ولولا بأسه وصبره فى الحروب مانهيهم أحد « أولى لكم ثم أولى أن يصيبكم ــ البيت» أولى لكم : كلمة تهدد ووعيد، ومعناه وليكم الشر ، ووقع فى رواية الأعلم «أولى لهم»والنواقر ــ بالنون فى رواية ثعلب ، وأراد بها الكلمات التى يصاب فيها المعنى ، وأصل هذا اللفظ قولهم « نقر فلان » من باب ضرب ــ إذا أصاب الغرض الذى هدف إليه ، وقالوا « سهم ناقر » إذا أرادوا أنه أصاب الهدف ، وقال الراجز :

(١) البوادر جمع بادرة : وهى هنا الحدة والغضب ، والبادرة : الخطأ ، وبوادر الخيل: أوائلها .

أو تلت واواً، نحو «وَلٰكِنْ رَسُولَ اللهِ» : أى ولكن كان رسولَ الله(١)، وليس المنصوب معطوفاً بالواو ؛ لأن متعاطفي الواو المفردين لايختلفان بالإيجاب والسلب .

---

(١) مذهب المصنف أن لكن حرف استدراك لا عاطفة والواو هى العاطفة للجملة التى حذف بعضها على الجملة التى قبلها ، وقد يستشكل العطف بأن كون لكن حرف ابتداء يقتضى استئناف الجملة بعدها لاعطفها بالواو . ويجاب بأن المراد من كونها حرف ابتداء أنها غير عاطفة للجملة فلا ينافى العطف بغيرها . وخلاصة ماقالوه فى لكن هذه ساكنة النون أنها ضربان (الأولى) مخففة من الثقيلة وهى حرف ابتداء لايعمل خلافاً للأخفش ويونس لدخولها بعد التخفيف على الجملتين (الثانية) خفيفة بأصل الوضع فإن وليها كلام فهى حرف ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك ، وليست عاطفة، ويجوز أن تستعمل بالواو نحو «ولكن كانوا هم الظالمين» وبدونها نحو قول زهير « إن ابن ورقاء» البيت وزعم ابن أبى الربيع أنها حين اقترانها بالواو تكون عاطفة جملة على جملة . وأنه ظاهر قول سيبويه وإن وليها مفرد فهى عاطفة بشرطين (أحدهما) أن يتقدمها نفى أو نهى ، نحو « ما قام زيد لكن عمرو » و « لايقم زيد لكن عمرو » فإن قلت « قام زيد » ثم جئت بلكن جعلتها حرف ابتداء فجئت بالجملة فقلت « لكن عمرو لم يقم » وأجاز الكوفيون « لكن عمرو » على العطف وليس بمسموع .

« الشرط الثانى » أن لاتقترن الواو قاله الفارسى وأكثر النحويين ، وقال قوم لا تستعمل مع المفرد إلا بالواو . واختلف فى نحو « ما قام زيد لكن عمرو » على أربعة أقوال « أحدها » ليونس ، أن لكن غير عاطفة والواو عاطفة مفرداً على مفرد « الثانى » لابن مالك ، أن لكن غير عاطفة والواو عاطفة لجملة حذف بعضها على جملة صرح بجميعها ، قال فالتقدير فى نحو « ما قام زيد ولكن عمرو » ولكن قام عمرو . وفى « ولكن رسول الله » ولكن كان رسول الله ، وعلة ذلك أن الواو لاتعطف مفرداً على مفرد مخالف له فى الإيجاب والسلب ، بخلاف الجملتين المتعاطفتين ، فيجوز تخالفهما فيه نحو «قام زيد ولم يقم عمرو» و«الثالث» لابن عصفور ، أن لكن عاطفة والواو زائدة لازمة « والرابع » لابن كيسان ، أن لكن عاطفة والواو زائدة غير لازمة .

وسمع « مامررت برجل صالح لكن طالح » بالخفض ، فقيل على العطف وقيل بجار مقدر أى لكن مررت بطالح ، وجاز إبقاء عمل الجار بعد حذفه لقوة الدلالة عليه بتقدم ذكره .

وقول الأشمونى لأن متعاطفي الواو الخ بخلاف الجملتين فيجوز تخالفهما فى ذلك نحو « قام زيد ولم يقم عمرو » وقد يقال محل عدم اختلاف متعاطفي الواو إيجابا وسلباً إذا لم يصحبها ما يقتضى الاختلاف كلكن .

(وَ « لَا » نِدَاءً أَوْ أَمْرًا أَوَ اثْبَاتًا تَلا) لا : مبتدأ خَبَرُهُ تَلَا ، ونداء وما بعده مفعول بتلا ، وفى تلا ضمير هو فاعله يرجع إلى لا ، والتقدير : لا تَلَا نداء أو أمرًا أو إثباتاً .

* رَمَيْتُ بِالنَّوَاقِرِ الصُّيَّابِ(١) *

ووقع فى رواية الأعلم «بواقر» بالباء فى مكان النون ـ وهو جمع باقرة ، وهى الصيبة والداهية وأصله من « بقرت بطنه » كما أن الفاقرة ـ بالفاء ـ من «فقرت ظهره» ومهما يكن فإن مراده بالنواقر أو البواقر كلمات الهجاء التى يقذع فيها فتسمهم سمة لايطيقون الخروج منها ، وقوله «لاتبقى ولا تذر » معناه لا تبقى من أعراضهم بقية ولا تترك أديماً صحيحاً « وأن تقلقل ركبان المطى بكم ـ البيت » تقلقل : أصله تتقلقل ـ بتاءين ـ فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تتحرك ووقع فى رواية الأعلم « وأن تعلل » وفسره بأن ركبان المطى يروون قصائد الهجاء التى يقولها فيهم ويحدون بها الإبل ، والشنعاء : التى اشتهرت بالشر .

الإعراب : « إن » حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « ابن » اسم إن منصوب بها وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، وهو مضاف و «ورقاء» مضاف إليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لاينصرف والمانع له من الصرف ألف التأنيث الممدودة « لا » حرف نفى مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « تخشى » فعل مضارع مبنى للمجهول مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « بوادره » بوادر : نائب فاعل تخشى ، مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وهو مضاف ، وضمير الغائب العائد إلى ابن ورقاء مضاف إليه مبنى على الضم فى محل جر « لكن » حرف استدراك وابتداء ، مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « وقائعه » وقائع : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب العائد إلى ابن ورقاء مضاف إليه « فى » حرف جر مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « الحرب » مجرور بفى ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ،والجار والمجرور متعلق بقوله تنتظر الآتى «تنتظر» فعل مضارع مبنى للمجهول مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، ونائب فاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هى يعود إلى الوقائع ، والجملة من الفعل المبنى للمجهول ونائب فاعله فى محل رفع خبر المبتدأ .

الشاهد فيه : قوله « لكن وقائعه تنتظر » فإن « لكن » هذه حرف ابتداء ، وذلك أنها لما وقع بعدها جملة ، لامفرد يكون معطوفا بها على ماقبلها ، خرجت عن أن تكون حرف عطف.

(١) الصياب ضبط فى اللسان بضم الصاد وبتشديد الياء وتخفيفها : من صاب السهم يصيب ويصوب أصاب ، وسهم صَيُوب والجمع صيب . وضبطه مصحح الأساس الصياب بكسر الصاد وهو خلاف ما مشى عليه صاحب القاموس أيضا ، وبقية البيت :

أَعْدَاءَكُمْ فَنَأَنِي ذُبَابِي . أَى حدى أو شرى .

أى للعطف بلا شرطان(١) :

---

(١) كلام المصنف لا يفهم منه إلا الشرط (الثانى) ودكر الشارح للأول من باب التسامح .

وشروط العطف بلا ثلاثة (الأول) أن يتقدمها إثبات « كجاء زيد لا عمرو » أو أمر « كاضرب زيدا لا عمرا » .

قال سيبويه أو نداء ، نحو « يا ابن أخى لا ابن عمى » ، وزعم ابن سعدان إن هذا ليس من كلامهم (الثانى) أن لا تقترن بعاطف ، فإذا قيل « جاءنى زيد لا بل عمرو » فالعاطف بل ولا رد لما قبلها وليست عاطفة . وإذا قلت « ما جاءنى زيد ولا عمرو » فالعاطف الواو ؛ ولا توكيد للنفى .

وفى هذا المثال مانع آخر من العطف بلا وهو تقدم النفى ؛ وقد اجتمعا فى « ولا الضالين » أى لسبق النفى بغير فى الآية السابقة .

« الثالث » أن يتعاند متعاطفاها فلا يجوز « جاءنى لا زيد » لأنه يصدق على زيد اسماً لرجل ، بخلاف « جاءنى رجل لا امرأة » ولا يمتنع العطف بها على معمول الفعل الماضى ، خلافاً للزجاجى فإنه أجاز « يقوم زيد لا عمرو » ومنع « قام زيد لا عمرو » وما منعه مسموع فمنعه مدفوع ، قال امرؤ القيس :

كأنّ دثاراً حلقت بلبونه عقاب تنوفى لا عقاب القواعل

دثار اسم راع ، وحلقت ذهبت ، واللبون نوق ذوات لبن ، وتنوفى جبل عال ، والقواعل جبال صغار .

وقال الزجاجى فى علة منع « قام زيد لا عمرو » إن العامل مقدر بعد العاطف ، وتقدير العامل بعد العاطف هنا لا يصح إذ لا يقال « لا قام عمرو » إلا على الدعاء ، والحال أن الدعاء ليس بمراد مثل « لا غفر الله لزيد » وحينئذ فى العطف بلا على معمول الماضى إلباس الخبر بالإنشاء .

وقد رد على الزجاج بأنه لو توقفت صحة العطف على صحة تقدير العامل بعد العاطف لامتنع « ليس زيد قائما ولا قاعداً » .

فالعامل وإن كان مقدرا بعد العاطف ، لكن صحة العطف لا تتوقف على صحة تقدير العامل بعد العاطف والتلفظ به بعده ألا ترى إلى قولهم « ليس زيد قائما ولا قاعداً » فإن قاعداً عطف بالواو على قائما ، ولا يصح تقدير العامل بعد العاطف بحيث يقال « وليس لا قاعدا » لأنه لا يصح مباشرة ليس للا ، فإنه يغتفر فى التابع إلى تقدير ، وليس المقدر كالثابت من كل وجه .

أحدهما : إفراد معطوفها(١)، والثانى أن تسبق بأمر أو إثبات اتفاقاً، نحو «اضْرِبْ زَيْدًا لا عَمْراً» وجاءنى زَيْدٌ لَا عَمْرٌو» ، أو بنداء ، خلافاً لابن سَعْدَان ، نحو « يَا أَبْنَ أَخِي لَا أَبْنَ عَمِّي» ، قال السهيلى : وأن لا يصدق أَحَدُ متعاطفيها على الآخر(٢) ، فلا يجوز «جاءنى زَيْدٌ لا رَجُلٌ» وعكسه ، ويجوز «جَاءَنِي رَجُلٌ لَا أَمْرَأَة» وقال الزجاجى: وأن لا يكون المعطوفُ عليه معمولَ فعلٍ ماض ، فلا يجوز « جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمْرٌو(٣) » وَيَرُدُّهُ قوله :

وقد زاد بعضهم شرطاً رابعا للعطف بلا ، وهو أن يكون متعاطفاها مفردين ، فلا تعطف الجمل ، والحق أنها تعطف الجمل التى لها محل من الإعراب نحو « زيد يقوم لا يقعد » وأما «يقوم زيد لا يقعد» فلا يجوز لأنهما لا محل لهما من الإعراب ، وبين ماله محل وما ليس له محل فرق .

واعلم أن لا لنفى الحكم عن مفرد بعد إيجابه لمتبوع ، فلا يجىء إلا بعد خبر موجب أو أمر ولا يجىء بعد الاستفهام والتمنى والعرض والتحضيض ونحو ذلك ، ولا بعد النهى ، بل بعد الخبر المحض المثبت والأمر ، نحو « ضربت زيداً لا عمراً » و « اضرب زيداً لا عمراً » .

ولا تعطف بها الجملة الاسمية ولا الماضى على الماضى ، فلا يقال « قام زيد لا قعد » لأنه جملة ولفظة لا موضوعة لعطف المفردات ، وقد تعطف مضارعا على مضارع ، وهو قليل ، نحو « أقوم لا أقعد » والمجوّز مضارعته الاسم ، فكأنك قلت أنا قائم لا قاعد .

(١) أى إفراده ولو تأويلا فيجوز « قلت زيد قائم لا زيد قاعد » قال فى همع الهوامع للسيوطى ولا يعطف بها جملة لا محل لها فى الأصح كما سيجىء بعد .

(٢) هذا ظاهر فيما إذا كان المتناول والأعم الثانى لا الأول . ولك أن تقول جواز « جاءنى رجل لا زيد» إذا جعلت لا بمعنى غير صفة لرجل لا إذا كانت عاطفة كما هو فرض الكلام ، وقد علل الفارضى وغيره عدم جواز « جاءنى زيد لا رجل » وعكسه ، بأن الرجل يصدق بزيد فيلزم التناقض ، لا يقال المراد بالرجل غير زيد بقرينة العطف المقتضى للمغايرة فلا تناقض ، لأنا نقول المغايرة التى يقتضيها العطف صادقة بالمغايرة الجزئية ، كالمغايرة التى بين العام والخاص والمطلق والمقيد . فالتناقض غير منتف بحسب مدلول اللفظ ، وكالمثالين المذكورين فى الامتناع « قام زيد لا الناس » و « قام الناس لا زيد » قال التقى السبكى يخطر لى جواز « قام الناس لا زيد » إن أريد إخراج زيد من الناس على وجه الاستثناء لكن لم أر أحداً من النحاة عد لا من حروف الاستثناء .

(٣) علل هذا بأن العامل يقدّر بعد العاطف ، ولا يصح أن يقال « لا جاء عمرو » إلا على الدعاء ، ورد بأنه لو توقف صحة العطف على تقدير العامل بعد العاطف لامتنع « ليس زيد قائما ولا قاعداً » أى لمنع « لا » من تقدير ليس بعد الواو .

٨٤٤ — كَأَنَّ دِثَاراً حَلَّقَتْ بِلَبُونِهِ عُقَابُ تَنُوفَى لَا عُقَابُ الْقَوَاعِلِ

٨٤٤ — هذا بيت من الطويل ، وهو من قصيدة لامرئ القيس بن حجر الكندى . وكان سبب هذه القصيدة أن امرأ القيس نزل على خالد بن سدوس بن أصمع النبهانى ، فأغار عليه باعث ابن حويص الجديلى الطائى فى رجال معه ، فذهبوا بإبله ، فلما علم ذلك امرؤ القيس أخبر جاره خالدا ، فقال له خالد : أعطنى رواحلك ألحق بهـا القوم فأرد إبلك ، فأعطاه رواحله ، فركبها خالداً . فلما أدركهم قال : يابنى جديلة ، أغرتم على جارى ، فردوا إليه إبله ، فقالوا : ما هو لك بجار ، فقال : بلى والله ماهذه الإبل التى معكم إلا كالرواحل التى تحتى ، فقالوا : أكذلك ؟ ثم رجعوا إليه فأنزلوه عنها وذهبوا بها أيضاً . فلما عاد خالد إلى امرئ القيس بهذه الحال تحول عنه إلى جارية ابن مر الثعلى فأجاره وأكرمه ، فقال يمدحه وبنى ثعل :

دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِى حُجُرَاتِهِ وَلَـكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ
كَأَنَّ دِثَاراً حَلَّقَتْ بِلَبُــونِهِ عُقَابُ تَنُوفَى ... البيت ، وبعده :
تَلَعَّبَ بَاعِثٌ بِذِمَّـــةِ خَالِدٍ وَأَوْدَى عِصَامٌ فِى الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
أَبَتْ أَجَأٌ أَنْ تُسْلِمَ الْعَامَ جَارَهَا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْهَضْ لَهَا مِنْ مُقَاتِلِ
تَبِيتُ لَبُونِى بِالْقُرَيَّةِ أُمَّنَــا وَأَسْرَحُهَا غِبًّا بِأَكْنَافِ حَائِلِ
بَنُو ثُعَلٍ جِيرَانُهَا وَحُمَاتُهَـــا وَتُمْنَعُ مِنْ رُمَاةِ سَــعْدٍ وَنَابِلِ
تلاعب أَوْلَادَ الْوُعُـــولِ رِبَاعُهَا دُوَيْنَ السَّمَاءِ فِى رُءُوسِ الْمَجَادِلِ
مُـكَلَّلَةً حَمْــرَاءَ ذَاتَ أَسِرَّةٍ لَهَا حُبُـكٌ كَأَنَّهَا مِنْ حَبَـائِلِ
وَأَعْجَبَنِى مَشْىُ الْحُزُقَّةِ خَالِدٍ كَمَشْىِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ فِى الْمَنَاهِلِ (١)

اللغة : « دع عنك نهباً صيح فى حجراته ـ البيت » النهب : السلب ، وانتهاز الفرص لاختطاف شىء ما ، وحجراته : نواحيه ، والرواحل : النوق ، يريد التى ذهب بها باعث وبنو جديلة . يقول : اترك الحديث عن إبلى التى سطا عليها هؤلاء اللصوص وأخلوا منها أعطانها ، ولـكن هات حدثنى عن رواحلى التى ركبتها لتعيد إبلى المسروقة ، كيف مكنتهم من أخذها ؟ إنك لسيئ الجوار ضعيف الحماية للذمار « كأن دثاراً حلقت بلبونه ـ البيت » دثار : هو راعى إبل امرئ القيس كما علمت من قصة الأبيات ، وحلقت : نزلت فوقها وسقطت عليها من الجو ، واللبون ـ بفتح اللام

(١) رواية اللسان حلئت بالمناهل وكان (أبو رجاء) ضبط البيت هكذا « مَشْىُ الحَزقةِ خالدٌ » والتصويب عن اللسان ، كما كان (أبو رجاء) قد ضبط «وأسرحها» بفتح الهمزة والراء ، والصواب العكس وجعل أولاد الوعول برفع الدال والرباع بنصب العين وهو خطأ .

... ...

النوق التي كان يرعاها ويحتلبها ، وعقاب تنوفى : هى العقاب الساقطة من ثنية مشرفة صاعدة فى الهواء لارتفاعها ، القواعل : الجبال الصغيرة ، ويروى « عقاب ملاع » وهى السريعة الخاطفة « تلعب باعث بذمة خالد ــ البيت » تلعب به : أكثر من اللعب به وسخر منه ، وباعث : هو ابن حويص الذى أغار برجاله على الإبل وذهب بها ، بذمة خالد : بعهده ، ويروى فى مكانه « بجيران خالد » وقوله « أودى » أى هلك ، وعصام : راع من رعاة امرىء القيس قتل عند الغارة على الإبل ، ويروى « وأودى دثار » وقوله « وأعجبنى مشى الحزقة خالد ــ البيت » الحزقة : القصير البطين الضيق الباع ، والأتان : أنثى الحمار ، وحلئت ــ بالبناء للمجهول ــ منعت وطردت ، والمناهل جمع منهل ، وهو مكان ورود الماء . يقول كلما حاولت هذه الأتان أن ترد الماء طردت ومنعت من وروده ، شبه مشية خالد بمشية هذه الأتان تحقيراً لشأنه وسخرية به «أبت أجأ أن تسلم العام جارها البيت » أجأ : أحد جبلين لطىء ، واسم الآخر سلمى ، وأراد أهل أجأ وسكانه ، وقوله « فمن شاء الخ » يريد من أراد أن يعرف كيف تكون الهزيمة والفضيحة فلينهض لقتالها « تبيت لبونى بالقرية أمناً ــ البيت » اللبون : النوق المعدة للحلب ، والقرية : منزل من منازل جبل أجأ ، وأسرحها : أرسلها فى المرعى نهاراً ، والغب ــ بكسر الغين ــ أراد وقتاً بعد وقت ، والأكناف : جمع كنف ، وهو الناحية ، وحائل : جبل بعينه . يقول : إن إبله فى جوار هؤلاء الطائيين آمنة فى كل حال : فى مبيتها ليلا ، وفى وقت خروجها المرعى ، وفى وقت وجودها فيه « بنو ثعل جيرانها وحماتها ــ البيت » بنو ثعل : قوم من طىء مشهورون بالحذق فى الرماية ، وسعد ونابل رجلان من نبهان «تلاعب أولاد الوعول رباعها ــ البيت» الوعول : جمع وعل ، وهو تيس الجبل ، والرباع : الفصلان : أى الصغار من الإبل ، والمجادل : أراد بها الجبال « مكللة حمراء ذات أسرة البيت » يريد أن رؤوس الجبال قد كللتها السحب ، ذات أسرة : أى لها خطوط ، وحبك ــ بضم الحاء والبـــاء جميعاً ــ أى طرائق ، والحبائل : برود ملونة ، ويروى « كأنها من وصائل » .

الإعراب : « كأن » حرف تشبيه ونصب مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب « دثاراً » اسم كأن منصوب بالفتحة الظاهرة « حلقت » حلق : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على تأنيث المسند إليه مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « بلبونه » الباء حرف جر مبنى على الكسر لامحل له من الإعراب ، ولبون : مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بحلق ، ولبون مضاف وضمير الغائب العائد إلى دثار مضاف إليه مبنى على الكسر فى محل جر « عقاب » فاعل حلق مرفوع بالضمة الظاهرة ،

... ...

وهو مضاف و « تنوفى » مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر «لا» حرف عطف مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « عقاب » معطوف على عقاب الأول والمعطوف على المرفوع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وعقاب مضاف و «القواعل» مضاف إليه ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

الشاهد فيه : قوله «عقاب تنوفى لاعقاب القواعل» فإن «لا» فى هذه العبارة : حرف عطف والمعطوف بها معطوف على اسم معمول لفعل ماض ، ألا ترى أن المعطوف عليه هو قوله « عقاب تنوفى » وهو فاعل لفعل ماض هو قوله « حلقت » فهذا رد على الزجاجى صاحب الجمل الذى اشترط فى العطف بلا ألا يكون المعطوف عليه معمولا لفعل ماض ؛ وإليك عبارة شارح الجمل ، قال : «من النحويين من يمنع العطف بلا على معمول الفعل الماضى ، وإليه ذهب أبوالقاسم الزجاجى فى معانى الحروف ، واستدل على ذلك بأن لاحرف لاينفى به الماضى ، فإذا عطف به بعد الماضى كان نافياً له فى المعنى ؛ فمن أجل ذلك لم نجز العطف به بعد الماضى ، وبيان ذلك أنك لوقلت : قام زيد لاعمرو ، فكأنك قلت : لاقام زيد ولاعمرو ، وهذا الأخير لايجوز ، فكذلك ماكان بمعناه يلزم ألا يجوز ، والذى يدلك على فساد ما ذهب إليه الزجاجى أن لا قد ينفى به الماضى ، نحو قوله تعالى : (فلا صدق ولاصلى) فإذا جاز أن ينفى به الماضى فى اللفظ فأحرى أن يجوز نفى الماضى به فى المعنى ؛ ومما ورد نصاً فى الرد عليه ، قول امرىء القيس :

* كأن دثاراً حلقت بلبونه ... البيت * فعطف به بعدحلقت وهو ماض . اهـ كلام شارح الجمل ؛ وتلخيصه أنه ردّ على ما ذهب إليه الزجاجى بوجهين : الأول : أنا لانسلم أن «لا» لاينفى به الماضى بتة ، بل قد ينفى به الماضى كما فى الآية الكريمة ، والثانى : أنا إن سلمنا أن لاحرف لاينفى به الماضى فى اللفظ فلا نسلم أنه لاينفى به الماضى فى المعنى . والثالث : أنه قد ورد العطف بها بعد الفعل الماضى فى بيت امرىء القيس ، وهو نص فى موضع الخلاف . قال أبو رجاء غفر الله تعالى له: والذى يخطر لى أن تعليل الزجاجى غير مستقيم ، ألا ترى أنه جعل «قام زيد لاعمرو» فى معنى قولنا «لاقام زيد ولا عمرو» ثم بنى على ذلك منع هذه العبارة بناء على ما ادعاه من أنه لاينفى الماضى بلا ، مع أن صدر الكلام الأول إيجاب لانفى ، والغرض من الكلام الأول هو إثبات القيام لزيد ونفيه عن عمرو ، بل أنت لو دققت النظر لرأيت فى هذا التعليل ماينافض إجماع النحاة الذين يشترطون للعطف بلا أن يكون ماقبلها إثباتاً أو أمراً ، فإخراج صدر الكلام عن الإثبات هو بمثابة من أراد أن يبنى جداراً فهدم الأساس الذى يبنى عليه ، فتأمل فى ذلك والله يوفقك .

﴿ تنبيهات ﴾ :

الأول : فى

معنى الأمر الدعاء والتحضيض[١] :

الثانى : أجاز الفراء العطف بها على اسم لَعَلَّ كما يُعْطَف بها على اسم إنَّ ، نحو « لَعَلَّ زَيْدًا لَا عَمْراً قَائِمٌ » .

الثالث : فائدة العطف بها قَصْرُ الحكم على ما قبلها : إما قصر إفراد ،[٢] كقولك «زَيْدٌ كَاتِبٌ لا شَاعِرٍ» ردًّا على من يعتقد أنه كاتب وشاعر ، و إما قَصْر قَلْب ، كقولك « زَيْدٌ عَالِمٌ لَا جَاهِلٌ »[٣] ردًّا على من يعتقد أنه جاهل .

الرابع : أنه قد يُحْذف المعطوفُ عليه بلا ، نحو « أَعْطَيْتُكَ لَا لِتَظْلِم » أى : لتعدلَ لا لتظلم .

* * *

(١) قال أبو حيان : مثال الدعاء « رحم الله أبا بكر لا أبا جهل » ومثال التحضيض « هلاّ ضربت زيداً لا عمرا » وخالفه الرضى فقال : لا تجىء لا بعد الاستفهام والعرض والتمنى والتحضيض ونحو ذلك ، ولا بعد النهى ولا يعطف بها الاسمية ولا الماضى ، فلا يقال « قام زيد لا قعد » لأنها موضوعة لعطف المفردات وإنما جاز على قلة عطفها المضارع لمضارعته الاسم ، ولا يجوز تكريرها كسائر حروف العطف فلا يقال « قام زيد لا عمرو لا بكر » كما تقول « قام زيد وعمرو وبكر» بل لو قصدت ذلك أدخلت الواو فى المكرّر فقلت «ولا بكر ولا خالد» فتخرج لا عن العطف ، وتتمحض لتأكيد النفى لدخول العاطف عليه ، وإلا كانت الواو وكانت هى العاطفة ولا تأكيد . لكن الرضى قال فى الكلام على بل قيل لا تجىء بل بعد التحضيض والتمنى والترجى والعرض. والأولى أن يجوز استعمالها بعد ما يفيد معنى الأمر والنهى كالتحضيض والعرض . والظاهر أن العرض كالتحضيض عند أبى حيان . قال الشيخ الصبان : والقلب إلى جواز مجىء لا بعد الاستفهام أميل نحو « أقام زيد لا عمرو » .

(٢) لم يذكر الشارح قصد التعيين مع أنها تكون له نحو « زيد كاتب لا شاعر » المتردد فى أى الوصفين ثابت لزيد مع علمه بثبوت أحدهما لا على التعيين .

(٣) إنما مثل لقصر الإفراد ولقصر القلب بالمثالين المذكورين إشارة إلى ما قاله العلماء من اشتراط إمكان اجتماع الوصفين فى قصر الإفراد دون قصر القلب .

(وَبَلْ كَلَكِنْ)(١) فى تقرير حكم ما قبلها وجَعْل ضده لما بعدها(٢) (بَعْدَ مَصْحُوبَيْهَا)

(١) اعترض على المصنف بأن قوله (بل كلكن) إحالة على مجهول فإنه لم يذكر أولا معنى لكن . وأجيب بأن وجه الشبه الذى ذكره الشارح مشهور فى لكن فالإحالة على أمر مشهور معلوم للنحاة . قال الرضى : هذا الإطلاق من ابن مالك يعطى فى نحو قولك « ماجاءنى زيد بل عمرو » أن عدم مجىء زيد متحقق بعد مجىء بل أيضاً كما كان كذلك فى « ماجاءنى زيد لكن عمرو » بالاتفاق . وبه قال المصنف ، لأنه قال فى « ماجاءنى زيد بل عمرو » يحتمل إثبات المجىء لعمرو مع تحقق نفيه عن زيد ، قال الرضى والظاهر ماذكرناه أوّلا .

أما حكم مابعد بل الآتية بعد النفى أو النهى ، فعند الجمهور أنه مثبت ، فعمرو جاءك فى قولك « ماجاءنى زيد بل عمرو » فكأنك قلت « بل جاءنى عمرو » قبل إبطال النفى والاسم المنسوب إليه المجىء .

قالوا والدليل على أن الثانى مثبت حكمهم بامتناع النصب فى « مازيد قائم بل قاعد » ووجوب الرفع ... وعند المبرد أن الغلط فى الاسم المعطوف عليه فقط فيبقى الفعل المنفى مسنداً إلى الثانى .

وإذا ضممت « لا » إلى « بل » بعد الإيجاب أو الأمر ، نحو « قام زيد لا بل عمرو » « اضرب زيداً لا بل عمراً » فمعنى « لا » يرجع إلى ذلك الإيجاب والأمر المتقدم لا إلى مابعد « بل » .

ففى قولك « لا بل عمرا » نفيت بلا القيام عن زيد وأثبته لعمرو ببل ، ولو لم تجىء بلا لكان قيام زيد كما ذكرنا فى حكم المسكوت عنه يحتمل أن يثبت وأن لا يثبت ، وكذا فى الأمر نحو « اضرب زيداً لا بل عمرا » أى « لا تضرب زيدا بل اضرب عمرا » ولولا « لا » المذكورة لاحتمل أن يكون أمرا بضرب زيد ، وأن لا يكون مع الأمر بضرب عمرو .

وكذا لا الداخلة على بل بعد النهى والنفى راجعة إلى معنى ذلك النهى والنفى مؤكدة لمعناهما وما بعد لا بل الآتية بعد النهى والنفى باق على الخلاف المذكور بين الجمهور والمبرد .

ولا تجىء بل المفردة العاطفة للمفرد بعد الاستفهام ، لأنها لتدارك الغلط الحاصل عن الجزم بحصول مضمون الكلام وطلب تحصيله ، ولا جزم فى الاستفهام لا بحصول شىء ولا بتحصيله حتى يقع غلط فيتدارك ، وكذا قيل إنها لا تجىء بعد التحضيض والتمنى والترجى والعرض ، والأولى أن يجوز استعمالها بعد مايستفاد منه معنى الأمر والنهى كالتحضيض والعرض .

وأما بل التى تليها الجمل ففائدتها الانتقال من جملة إلى أخرى أهم من الأولى ، وقد تجىء للغلط ، والأولى تجىء بعد الاستفهام أيضاً ، كقوله تعالى « أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ » إلى قوله : « بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ » والتى لتدارك الغلط ، نحو « ضربت زيدا بل أكرمته » و « خرج زيد بل دخل خالد » وقد تشترك الجملتان فى جزء وقد لا تشتركان (ج ٢ ص ٣٧٩ الرضى على الكافية) .

(٢) المراد بالتقرير تثبيته فى ذهن السامع ، ومحصل بل أنها مع النفى والنهى تفيد أمرين :

ى : مصحوبَىْ لـكن ، وهما النفىُ والنهى :

(كَلَمْ أَكُنْ فِى مَرْبَعٍ بَلْ تَيْهَا)

الْمَرْبَعُ : منزل الربيع ، والتَّيْهاء : الأرض التى لايُهْتَدَى بها ، ونحو « لا تَضْرِبْ زَيْدًا بَلْ عَمْرًا » .

(وَانْقُلْ بِهَا لِلثانِ[1] حُكْمَ الْأَوَّلِ) فيصيرُ كالمسكوت عنه[2] .

تأكيدى ، وهو تقرير ما قبلها ، وتأسيسى ، وهو إثبات نقيضه لما بعدها ، ومع الخبر المثبت والأمر تفيد أمرين تأسيسيين ، هما إزالة الحكم عما قبلها بحيث يصير كالمسكوت عنه ، وجعله لما بعدها . قال الشمنى قال الرضى : وظاهر كلام الأندلسى وهو الظاهر أنها بعد النفى والنهى أيضا تصير الحكم الأول كالمسكوت عنه اه ، وفى كون هذا هو الظاهر نظر . وقد عد فى المغنى من الأمور التى شهرت بين المعربين والصواب خلافها قولهم : بل حرف إضراب قال وصوابه حرف استدراك وإضراب ، فإنها بعد النفى والنهى بمنزلة لكن سواء بسواء .

وقال الرضى : بل إما أن يليها مفرد أو جملة ، وهى مع المفرد لتدارك الغلط ، ولا يخلو إما أن تكون بعد نفى أو نهى أو إيجاب أو أمر ، فإن جاءت بعد إيجاب أو أمر ، نحو « قام زيد بل عمرو » فهى لجعل المتبوع فى حكم المسكوت عنه ، منسوبا حكمه إلى التابع ، فيكون الإخبار عن قيام زيد غلطاً يجوز أن يكون قد قام ، وإن لم يقم أفدت ببل أن تلفظك بالاسم المعطوف عليه كان غلطا عن عمد أو عن سبق لسان .

قال الرضى : ونقل صاحب المغنى ــ وهو غير ابن هشام ، لأن هذا متأخر عن مؤلف الكافية ــ عن الكوفيين أنهم لايجوزون العطف ببل بعد الإيجاب ، والظاهر أنه وهم من الناقل ، فإنهم يجوزون عطف المفرد بلكن بعد الموجب حملا على بل ، كما نقل عنهم ابن الأنبارى والأندلسى ، فكيف يمنعون هذا .

وإذا عطفت ببل مفرداً بعد النفى أو النهى ، فالظاهر أنهما للاضراب أيضاً ، ومعنى الإضراب جعل الحكم الأول موجباً كان أو غير موجب كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه ، ففى قولك « ماجاءنى زيد بل عمرو » أفادت بل أن الحكم على زيد بعدم المجىء كالمسكوت عنه ، يحتمل أن يصح هذا الحكم فيكون غير جاء ، ويحتمل أن لايصح فيكون قد جاءك كما كان الحكم على زيد بالمجىء فى « جاءنى زيد بل عمرو » احتمل أن يكون صحيحاً وأن لايكون .

(١) للثان أصله للثانى وقد حذفت الياء لضرورة النظم .

(٢) المسكوت عنه إما أصالة أو لعارض الإضراب ، فلذلك صح الإتيان بالكاف ومعنى كون زيد فى قولك « قام زيد بل عمرو » كالمسكوت عنه صيرورته كأنه لم يثبت له قيام ولم ينف عنه .

(فِى الْخَبَرِ الْمُثْبَتِ وَالْأَمْرِ الْجَلِى)[1]

« كَقَامَ زَيْدٌ بَلْ عَمْرٌو » ، و« لِيَقُمْ زَيْدٌ بَلْ عَمْرٌو » .

وأجاز المبرد وعبدُالوارث ذلك مع النفى والنهى ، فتكون ناقلة لمعناها إلى مابعدها ، وعلى ذلك فيصح « ما زَيْدٌ قَائِمًا بَلْ قَاعِدًا » و « بَلْ قَاعِدٌ » ويختلف المعنى[2] .

قال الناظم : وما جوّزه مخالف لاستعمال العرب .

ومَنَعَ الكوفيون أن يُعْطَفَ بها بعد غير النفى وشبهه ، ومَنْعُهم ذلك مع سعة روايتهم دليلٌ على قلته[3] .

ولا بد لكونها عاطفة من إفراد معطوفها كما رأيت ، فإن تَلَاها جملةٌ كانت حرفَ ابتداء لاعاطفة ، على الصحيح ، وتفيد حينئذ إضرابًا[4] عما قبلها : إما على جهة الإبطال ، نحو «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ » أى : بل هم عباد[5] ، ونحو «أَمْ يَقُولُونَ

---

(١) الجلى : الظاهر الواضح ، واحترز به عن العرض والتحضيض كما نص عليه فى الغزى . وقد نقل خلاف هذا القول عن الرضى .

(٢) أورد عليهما (أى على المبرد وعبدالوارث) أنه يلزم من قولهما أن لاتعمل مافى قائماً شيئا ، لأن شرط عملها بقاء النفى فى المعمول وقد انتقل عنه . وأجيب بأن انتقاضه بعد مضى العمل لايضر قياساً على النصب بعد فاء السببية أو واو المعية المسبوقين بنفى منتقض بعدها نحو :

وَمَا أُصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرَهُمْ ... إِلاَّ يَزِيدُهُمُ حُبًّا إِلَىَّ هُمُ

والرفع فى بل قاعد على أن قاعد خبر مبتدأ محذوف أى بل هو قاعد والنصب على معنى « بل ما هو قاعداً » . واختلاف المعنى لأن النصب يقتضى انتفاء القعود والرفع يقتضى ثبوته .

(٣) يفهم من قوله ومنع الكوفيون أن قول الناظم يوهم جواز كثرة العطف ببل «فى الخبر المثبت والأمر الجلى» لأنه ذكره مع العطف بها بعد النفى والنهى من غير تفصيل . وأما شبه النفى فهو النهى .

(٤) حينئذ أى حين تتلوها جملة ، وكلام الشارح يفيد أنها فى حال عطفها على المفرد ليست للإضراب مع أنها للإضراب ، وفى المغنى لابن هشام أنها للإضراب فى الأمر والإيجاب .

(٥) قيل فى نحو ذلك إنه للإضراب الإبطالى بناء على أن المضرب عنه القول بالمم ، أما إذا كان المضرب عنه القول ، فالاضراب الانتقالى ، إذ الإخبار بصدور ذلك منهم ثابت لايتطرق إليه الإبطال بحال .

به جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ » وإما على جهة الانتقال من غرض إلى آخر ، نحو « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » « ولدينا كتابٌ ينطقُ بالحقِّ وهمْ لا يُظلمونَ بلْ قلوبهمْ في غمرةٍ مِنْ هذا » وادَّعى الناظم فى شرح الكافية أنها لا تكون فى القرآن إلا على هذا الوجه والصواب ماتقدم[1] .

﴿تنبيهان﴾ : الأول : لايعطف ببل بعد الاستفهام ، فلا يقال : أضربت زيدًا بل عمرًا ، ولا نحوه[2] .

الثانى : تزاد قبلها لا لتوكيد الإضراب عن جعل الحكم للأول بعد الإيجاب[3] كقوله :

---

(١) أجيب عن الناظم بحمل كلامه على أن بل لا تكون فى القرآن بيقين إلا على وجه الانتقال ، والآيتان الأوليان ليست بل فيهما للإضراب الإبطالى بيقين لاحتمال أنها للإضراب عن القول فتكون انتقالية .

(٢) هذا التنبيه الأول مستفاد من قول الناظم : فى الخبر المثبت والأمر الجلى . وحكم لكن فى هذا مثل حكم بل ولا . وقوله نحوه أى نحو هذا التركيب ، مثاله «وهل ضربت زيداً بل عمراً »

(٣) المراد بزيادتها كونها ليست للعطف ولا لنفى ما بعدها ، كما قاله الشمنى وذلك لاينافى أنها نافية للايجاب قبلها . واعلم أن لا بعد الإيجاب تكون لنفى الإيجاب الذى قبلها وصيرورته نصاً فى النفى بعد صيرورته بحرف الإضراب ولولاها لكان كالمسكوت عنه يحتمل النفى وغيره ، وعليه فقول الشارح لتوكيد الإضراب غير ظاهر إذ ليس ما أفادته معنى تأكيدياً بل ذلك معنى تأسيسى ، أفاد ذلك الدمامينى ، وقوله عن جعل الحكم متعلق بالإضراب ، وبعد الايجاب متعلق بتزاد ، ومثله قوله فيما سيجىء « بعد النفى » ومقتضى جعله بل فى قوله « بل الشمس » للاضراب الذى قدم أنه مفاد بل الداخلة على جملة أنها فى قوله بل الشمس داخلة على جملة أى بل هو الشمس : وليس بلازم كما يفهم ذلك من شرح الفارضى والمغنى . ولذلك منع الاقتضاء بحمل قوله فيما مضى ، وتفيد حينئذ إضراباً . على معنى أنها إذا تلاها جملة لا تكون إلا للاضراب ، بخلاف ما إذا تلاها مفرد فإنها للاضراب فى الأمر والايجاب ، دون النفى أو النهى .

٨٤٥—وَجْهُكَ الْبَدْرُ، لاَ بَلِ الشَّمْسُ، لَوْ لَمْ ... يُقْضَ لِلشَّمْسِ كَسْفَةٌ أَوْ أُفُولُ

٨٤٥ — هذا بيت من الخفيف ، ولم أعثر له على نسبته إلى قائل معين(١) ولا وقفت له على سوابق أو لواحق .

اللغة : « البدر » هو القمر في الليلة التي يكتمل فيها نوره ويستولي الضوء على جميع جرمه « يقض » أي يقدر ويكتب « كسفة » بفتح الكاف وسكون السين — اسم بمعنى الكسوف ، وهو زوال ضوء الشمس وذهاب نورها فيما يرى الناظر ، وذلك إنما يكون باعتراض القمر بين الشمس والأرض ، والسر في ذلك أن جرم القمر مظلم كدر ، ومن شأن الأجسام المظلمة أن تحجب ما يقع وراءها ، وإنما يأخذ القمر نوره من الشمس إذا كان في مقابلتها ، فإذا كان تحتها وقع حائلا بينها وبين الأرض « أفول » هو الغروب ، تقول : أفلت الشمس تأفل — من باب قعد وجلس — أفولا : أي غربت ، وفي القرآن الكريم : (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت) .

المعنى : شبه إنسانا جميلا فقال : « إن وجهك مثل البدر في إشراقه وتلألئه ، ثم أضرب عن ذلك استقلالا لأن يكون جماله مثل جمال البدر فقال : بل إن وجهك لأعظم من ذلك فهو كالشمس لو لم يكن للشمس عيوب ، فإن [الشمس] تنكسف(٢) فيزول ضوؤها وهي تغرب ، وهذا نوع من التشبيه يسميه علماء البلاغة التشبيه المشروط ، ومن أمثلته التي يذكرونها قول الشاعر :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِباً ... لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أُفُولُ

الإعراب : « وجهك » وجه مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف والكاف ضمير المخاطب مضاف إليه مبني على الفتح في محل جر « البدر » خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « لا » زائدة « بل » حرف إضراب وعطف مبني على السكون لا محل له من الإعراب « الشمس » معطوف على البدر ، والمعطوف على المرفوع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « لو » حرف

---

(١) كلام (أبي رجاء) هذا يفيد أن البيت منسوب إلى شعراء كثيرين ادعوه ، والحق أن البيت لم ينسب إلى قائل أبداً معين أو غير معين .

(٢) في البروفة التي أصلحها أبو رجاء فإن تنكسف وقد زدت كلمة الشمس بين معكفين .

ولتوكيد تقرير ماقبلها بعد النفي ، ومنع ابن درستويه زيادتها بعد النفي ، وليس بشيء ، كقوله :

امتناع لامتناع مبني على السكون لامحل له من الإعراب « لم » حرف نفي وجزم وقلب مبني على السكون لامحل له من الإعراب «يقض» فعل مضارع مجزوم بلم ، وعلامة جزمه حذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها «للشمس» اللام حرف جر مبني على الكسر لامحل له من الإعراب ، والشمس : مجرور باللام وعلامة جره الكسرة الظاهرة والجار والمجرور متعلق بيقض «كسفة» نائب فاعل يقض مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة «أو» حرف عطف مبني على السكون لامحل له من الإعراب « أفول » معطوف على كسفة ، والمعطوف على المرفوع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وجواب لو محذوف لدلالة سابق الكلام عليه ، والتقدير : لو لم يكن للشمس كسفة أو أفول لكان وجهك مثلها .

الشاهد فيه : قوله « لا ، بل الشمس » حيث زيدت لاقبل بل حين قصد تأكيد معنى الإضراب ، هذا كلام الشارح ، وقد سبقه إلى ذلك صاحب المغني ابن هشام رحمه الله ، وأنت لو تدبرت في أن الحرف الزائد لايدل على معنى سوى التأكيد ، وفي أن معنى الإضراب هو جعل الحكم الأول كالمسكوت عنه ، والحكم الثاني هو المقصود ، تبين لك أن المعنى على هذا أن تشبيه وجه المخاطب بالبدر مسكوت عنه أي غير متعرض له بنفي ولا إثبات ، وأن المقصود تشبيه وجهه بالشمس وهذا خلاف ماعليه المحققون ، ولهذا قال الدماميني في شرحه على المغني : «وهو محل نظر» فقد قال الرضي : وإذا ضمت لاإلى بل بعد الإيجاب ، نحو قام زيد ، لا ، بل عمرو ، ونحو اضرب زيداً ، لا ، بل عمرا — نفيت بلا القيام عن زيد ، وأثبته لعمرو ، ولولم تجيء بلا لكان قيام زيد في حكم المسكوت عنه يحتمل أن يثبت وألا يثبت ، وكذا في « اضرب زيداً ، لا بل عمراً » ، أي لاتضرب زيداً ، بل اضرب عمراً ، ولولا «لا» المذكورة لاحتمل أن يكون أمراً بضرب زيد أولا يكون ، مع الأمر بضرب عمرو . اهـ ، وهو كلام صريح في أن « لا » الواقعة قبل بل ليست بزائدة ، بل هي لتأسيس معنى لايكون لولا وجودها ، فتأمل هذا الكلام واعقد عليه الخناصر ، والله تعالى المسئول أن يوفقك وأن ينفعك به ! وسيأتي في شرح البيت الذي بعد هذا زيادة إيضاح بنقل كلام الأئمة الأعلام في موضوع لاهذه أزائدة هي أم دالة على معنى النفي ، فارتقبه واعرف مايهدف له .

٨٤٦ــ وَمَا هَجَرْتُكِ لاَ بَلْ زَادَنِى شَغَفاً هَجْرٌ وبُعْدٌ تَرَاخَى لاَ إِلَى أَجَلِ

٨٤٦ ــ هذا بيت من البسيط ، ولم أعثر لهذا الشاهد على نسبة إلى قائل معين ، ولا عثرت له على سوابق أو لواحق .

اللغة : «ماهجرتك» يريد ماقطع ودادها ولا جذ حبل مودتها ، وأصله الهجر وهو مقاطعة الحبيب حبيبه وبت تواصلهما وانفصام عرى توادهما «زادنى شغفاً» الشغف ــ بفتح الشين والغين جميعاً ــ المحبة الزائدة ، وأصل ذلك قولهم « شغف فلانا حب فلانة » إذا وصل إلى شغاف قلبه ، وشغاف القلب ــ بكسر الشين ، بزنة الكتاب ــ حجابه المحيط به ، ويقال : هى جلدة رقيقة تسمى لسان القلب ، وفى القرآن الكريم : (وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ، قد شغفها حبا) وقوله « وبعد » هو ضد القرب ، وهو مصدر « بعد فلان عن فلان» إذا نأى عنه «تراخى» أى تمادى واستمر وطال زمنه « لا إلى أجل » أراد امتد إلى غير نهاية ، والأجل هو المدة المحدودة لشىء ما .

المعنى : يقول : لم تقع منى قطيعة لك ولا فصمت عرى حبنا ، ولكن زاد حبى لك وعظم ولوعى بك هذا الهجر الذى تصنعينه ، وهذا البعد الذى قد طال واستمر وتمادى من غير أن يكون له أجل محدود أعرف انتهاءه ، وأستطيع حمل نفسى على الصبر إلى أن يحين حينه .

الإعراب : « ما » نافية « هجرتك » هجر : فعل ماض ، وتاء المتكلم فاعله مبنى على الضم فى محل رفع ، وكاف المخاطبة مفعوله مبنى على الكسر فى محل نصب « لا » حرف دال على توكيد الإضراب مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « بل » حرف دال على الإضراب مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « زادنى » زاد : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب والنون حرف مجتلب لوقاية الفعل من الكسر مبنى على الكسر لامحل له من الإعراب ، وياء المتكلم ضمير مفعول به لزاد مبنى على السكون فى محل نصب « شغفاً » مفعول ثان لزاد منصوب بالفتحة الظاهرة «هجر» فاعل زاد مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة «وبعد» الواو حرف عطف مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، بعد : معطوف على هجر ، والمعطوف على المرفوع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة «تراخى» فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره التعذر ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى بعد ، والجملة من الفعل وفاعله المستتر فيه ، فى محل رفع صفة لبعد «لا» حرف نفى مبنى على السكون لامحل له من الإعراب «إلى» حرف جر مبنى على السكون لامحل له من الإعراب «أجل» مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلق بقوله تراخى .

الشاهد فيه : قوله « بل زادنى » حيث أتى بلا الزائدة قبل بل وبعد فعل منفى » وهو قوله

(وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ [(١)] رَفْعٍ مُتَّصِلْ) مستتراً كان أو بارزاً (عَطَفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلْ [(٢)])

«ماهجرتك» للدلالة على توكيد تقرير ماقبلها ، وفي هذا البيت رد على ابن درستويه الذي منع زيادة « لا » بعد النفي للدلالة على ماذكرنا . هذا بيان كلام الشارح المحقق ، وعبارته هي عبارة ابن هشام الأنصاري في حرف بل من مغنى اللبيب بحروفها ، قال رحمه الله : « وتزاد قبل بل لا لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب كقوله ✲ وجهك البدر ، لا ، بل الشمس ... البيت . ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النفي ، ومنع ابن درستويه زيادتها بعد النفي ، وليس بشيء ؛ لقوله✲وماهجرتك لا ، بل زادني شغفاً ... البيت . انتهى . قال ابن الملا الحلبي في شرحه « وتزاد قبلها لا لتوكيد الإضراب عن جعل الحكم للأول بعد الإيجاب ، بأن ينتفي الإيجاب الذي قبلها ، ويصير بها نصاً في النفي ، بعد أن كان بحرف الإضراب كالمسكوت عنه محتملا للنفي وعدمه ، فإن قلت : هب أن ذلك يتأتى فيما يكون إخباراً ، أما في الأمر فأني تكون نافية له والأمر لاينفي ؟ قلت : هي نافية له بحسب المعنى ؛ فإن لابعده تكون مثل لا الناهية حتى يكون معنى اضرب زيدا لا بل عمرا : لاتضرب زيداً بل اضرب عمراً ، فتدبر ، قال الشارح : وفيما ذكره المصنف نظر ؛ فقد قال الرضي : إذا ضممت لا إلى بل بعد الإيجاب أوالأمر نحو قام زيد لا بل عمرو ، واضرب زيداً لابل عمراً ـ فمعنى لايرجع إلى ذلك الإيجاب والأمر المتقدم ، لا إلى مابعد بل ؛ ففي قولك لا بل عمرو نفيت بلا القيام عن زيد وأثبته ببل لعمرو ، ولو لم تجيء بلا لكان قيام زيد مسكوتاً عنه يحتمل الثبوت وعدمه ، وكذا اضرب زيداً لابل عمراً ، لولا لا المذكورة لاحتمل أن يكون أمراً بضرب زيد وألا يكون ، مع الأمر بضرب عمرو ، وبها تقرر النهي عن ضربه ؛ فهذا نص في أن لا المذكورة قبل بل ليست زائدة ، بل هي لتأسيس معنى لم يكن ، وهو خلاف مافي المتن ، على أن المصنف قد قال في الكلام على شروط لا العاطفة ؛ فإذا قيل جاء في زيد لا بل عمرو فالعاطف بل ، ولا رد لما قبلها ، وليست عاطفة ، وهو يقتضي أنها غير زائدة أيضا ، وأجاب المحشي عنه بأنه أراد بالزيادة الذكر ، فلا تناقض ، وهو بعيد ولعل كلام المصنف ههنا مبني على القول بأنها زائدة ، فلا يرد عليه مابناؤه على غيره اهـ . ثم قال وتزاد لا قبل بل لتوكيد تقرير ماقبلها : أي ماقبل بل على الحالة التي هو عليها بعد النفي ومافي معناه من النهي ومنع ابن درستويه زيادتها بعد النفي وليس بشيء ؛ ووافقه ابن عصفور إلا أنه قال : ماذكر من زيادتها على بل في النفي والنهي لاينبغي أن يقال به إلا أن يشهد له السماع . لأن الجمع بين أداتي نفي على جهة التأكيد قليل في كلام العرب . قلنا : وقد شهد له السماع لقوله : وماهجرتك ، لا ، بل زادني شغفاً ... البيت » .

---

(١) قوله ضمير قيد أول احترز به عن الظاهر لعدم دخوله في هذا الباب ، وإنما لم ينبه الشارح إلى محترزه لظهوره .

(٢) لأن الضمير المتصل المرفوع كالجزء مما اتصل به ، فلو عطف عليه كان كالعطف على جزء الكلمة فإذا أكد بالمنفصل دل بإفراده مما اتصل به بالتأكيد على انفصاله في الحقيقة ، فحصل له نوع استقلال ، ولم يجعل العطف على هذا التوكيد ، لأن المعطوف في حكم المعطوف عليه فكان يلزم كون المعطوف تأكيداً للمتصل وهو باطل .

نحو «لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ» (أَوْ فَاصِلٍ مَّا[(١)]) إما بين العاطف والمعطوف عليه ، و إما بين العاطف والمعطوف كالمفعول به فى نحو « يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ » و «لا» فى نحو « مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا» وقد اجتمع الفصلان فى «مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ» (وَ بِلاَ فَصْلٍ يَرِدْ * فِي النَّظْمِ فَاشِياً وَضَعْفَهُ اعْتَقِدْ[(٢)]) من ذلك قوله :

٨٤٧ — ورَجَا الأُخَيْطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لِيَنَالاَ[(٣)]

٨٤٧ — هذا بيت من الكامل وهو من قصيدة طويلة لجرير بن عطية بن الخطفى ، يهجو فيها الأخطل التغلبي ، وأول هذه القصيدة قوله :

حَيِّ الْغَدَاةَ بِرَامَــةَ الْأَطْلاَلاَ رَسْمًا تَحَمَّلَ أَهْــلُهُ فَأَحَالاَ
إِنَّ السَّوَارِيَ وَالغَوَادِيَ غَادَرَتْ لِلرِّيحِ مُخْــتَرَقًا بِهِ وَمَجَالاَ
لَمْ أَرَ مِثْلَكَ بَعْدَ عَهْدِكَ مَنْزِلاً فَسُقِيتَ مِنْ سَبَلِ السِّمَاكِ سِجَالاَ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ جَمِيعِ أَهْلِكَ دِمْنَةً قَفْرًا ، وَكُنْتَ مَرَبَّةً مِحْلاَلاَ
وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الدِّيَارِ وَأَهْلِهَا وَالدَّهْــرِ كَيْفَ يُبَدِّلُ الأَبْدَالاَ

وقبل البيت المستشهد به قوله :

قَبَحَ الإِلٰهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا شَبَحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلاَلاَ
عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِجَبْرَئِيــلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالاَ
الْمُعْرِسِينَ إِذَا انْتَشَوْا بِبَنَاتِهِمْ وَالدَّائِبِينَ إِجَارَةً وَسُــؤَالاَ

(١) قال الشيخ خالد الأزهرى : ما اسم نكرة فى موضع جر نعت لفاصل ، بمعنى أى فاصل كان ، ويجوز المكودى أن تكون ما زائدة ؛ وإنما اكتفى بأى فاصل ، لأن فصل الكلام قد يغنى عما هو واجب ، نحو أبى القاضى بنت الواقف ، فلأن يغنى عما هو غير واجب أولى .

(٢) المذهب الثانى الضعيف وهو العطف بلا فاصل مذهب البصريين ، وأجازه الكوفيون بلا ضعف قياساً على البدل ، نحو « أعجبتنى جمالك » والفرق على الأول أن الثانى فى العطف غير الأول غالباً ، فلا بد من تقوية الأول بخلاف البدل وكالبدل التأكيد إلا النفس والعين .

(٣) الأخيطل : تصغير الأخطل تصغير تحقير ، ومن فى قوله من سفاهة رأيه للتعليل ، وما مفعول رجا ، واللام فى قوله لينالا للجحود ، والألف فى لينالا دالة على التثنية أى الأخطل وأبوه

... ...

وَالتَّغْلِبِيُّ إِذَا تَنَحْنَحَ لِلْقِرَى ... حَكَّ اُسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا
أَنَسِيتَ يَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَمَا ... كَانَتْ عَوَاقِبُهُ عَلَيْكَ وَبَالَا
حَمَلَتْ عَلَيْكَ حُمَاةُ قَيْسٍ خَيْلَهَا ... شُعْثًا عَوَابِسَ تَحْمِلُ الْأَبْطَالَا
مَازِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ ... خَيْلاً تَشُدُّ عَلَيْكُمُ وَرِجَالَا
زُفَرُ الرَّئِيسُ أَبُو الْهُذَيْلِ أَبَادَكُمْ ... فَسَبَا النِّسَاءَ وَأَحْرَزَ الْأَمْوَالَا
قَالَ الْأُخَيْطِلُ إِذْ رَأَى رَايَاتِهِمْ ... يَامَارَ سَرْجِسَ لَا نُرِيدُ قِتَالَا
هَلَّا سَأَلْتَ غُثَاءَ دِجْلَةَ عَنْكُمُ ... وَالْخَامِعَاتِ تُجَمِّعُ الْأَوْصَالَا
تَرَكَ الْأُخَيْطِلُ أُمَّهُ وَكَأَنَّهَا ... مَنْحَاةُ سَانِيَةٍ تُدِيرُ مَحَالَا
وَرَجَا الْأُخَيْطِلُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... مالم يكن ... البيت ، وبعده :
خَلِّ الطَّرِيقَ فَقَدْ رَأَيْتَ قُرُومَنَا ... تَنْفِى الْقُرُومَ تَخَطُّمًا وَصِيَالَا
لَوْ أَنَّ خِنْدِفَ زَاحَمَتْ أَرْكَانُهَا ... جَبَلاً أَصَمَّ مِنَ الْجِبَالِ لَزَالَا

والبيت المستشهد به قد أنشده المبرد فى الكامل مرتين (١ / ١٨٩ - ٢ / ٣٩) .

اللغة : « حى الغداة برامة ـ البيت » الغداة : لم يرد به ههنا وقتا دون وقت ، والأصل فى الغداة أنها الوقت من صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، ومثلها الغدوة بضم الغين وسكون الدال. ورامة : اسم موضع ، والأطلال : جمع طلل ، وهو مابقى من آثار الديار شاخصاً غير لاصق بالأرض ، والرسم : مابقى من آثار الديار لاصقاً بالأرض ، وتحمل أهله : ارتحلوا ، وأحال : تغير « إن السوارى والغوادى غادرت » السوارى : جمع سارية ، وهى السحابة التى تسير ليلا ، والغوادى : جمع غادية ، وهى السحابة التى تنشأ فى وقت الغداة ، ومما يروى عن ابنة الخس أنها سئلت : ما أحسن شىء ؟ فقالت : أثر غادية ، فى إثر سارية ، فى ميثاء رابية ، وغادرت : تركت ، والمخترق ـ بضم الميم وفتح الراء ـ موضع مرور الرياح «لم أر بعد عهدك منزلا ـ البيت» السبل ـ بفتح السين والباء جميعا ـ المطر ، والسماك ـ بكسر السين ـ نوء من أنواء الصيف كثير المطر ، والسجال ـ بكسر السين ـ جمع سجل ـ بفتح فسكون ـ وهو الدلو «أصبحت بعد جميع أهلك دمنة ـ البيت» جميع أهلك : اجتماعهم ، والدمنة ـ بكسر الدال ـ الأثر ، والقفر ـ بالفتح ـ الخالى الذى لا أنيس به ، وهزبة : أى مكاناً مأهولا ، والحلال ـ بكسر الحاء ـ الذى يحله أهله « قبح الإله وجوه تغلب كلما ـ

... ...

البيت» شبح الحجيج: رفعوا أكفهم ضارعين إلى الله بالدعاء ، والحجيج: جمع حاج ، والإهلال: التلبية وهى من أعمال الحج والعمرة « للعرسين إذا انتشوا بينانهم ــ البيت » أعرس الرجل وعرس ــ بالتضعيف» نزل ليلا المراحة ، وأراد هنا الوطء ، وانتشوا : سكروا ، والدائبين إجارة وسؤالا : أى الذين تستمر حياتهم على حالين إما إجارة أنفسهم وإما سؤالهم غيرهم « هلا سألت غثاء دجلة عنكم ــ البيت » الغثاء ــ بضم الغين . بزنة الغراب ــ ما يحمله السيل من القماش ، والخامعات : الضباع ، وتجمع الأوصال : كناية عن كونهم قد قتلوا ومزقوا وطارت أشلاؤهم «ترك الأخيطل أمه وكأنها ــ البيت» للنحاة : الطريق التى تسير فيها السانية ، مابين منتهى الرشاء إلى الركى ، والمحال : البكرة التى تستعمل فى استخراج الماء « ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ــ البيت » السفاهة : ضعف العقل وخفته « خل الطريق فقد رأيت قرومنا ــ البيت » القروم : جمع قرم ، وهو فى الأصل الفحل الكريم على أهله ، ويراد به السيد العظيم، والتخمط: هدير البعير ، وصياله : صولته وشدته على الناس .

الإعراب: « ورجا » الواو عاطفة ، رجا : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر «الأخيطل» فاعل مرفوع بضمة ظاهرة « من » حرف جر معناه التعليل مبنى على السكون لامحل له من الإعراب « سفاهة »مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، وهو مضاف ورأى من « رأيه » مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، وهو مضاف وضمير الغائب مضاف إليه مبنى على الكسر فى محل جر « ما » اسم موصول مفعول به لرجا مبنى على السكون فى محل نصب « لم » حرف نفى وجزم وقلب « يكن » فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون، واسمه ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو« وأب » الواو حرف عطف ، أب : معطوف على اسم يكن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة « له » جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لأب «لينالا» اللام لام الجحود مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، وينال : فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد لام الجحود ، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى اسم يكن ، وأن المضمرة بعد لام الجحود مع الفعل المضارع فى تأويل مصدر مجرور باللام ، والجار والمجرور يتعلق بمحذوف خبر يكن .

الشاهد فيه : قوله « لم يكن وأب » حيث عطف الاسم المرفوع الذى هو قوله « أب » على ضمير الرفع المستتر وهو اسم يكن وهو من نوع الضمير المتصل من غير أن يؤكد ضمير الرفع المتصل بضمير منفصل أو بفاصل ما، وهذا ضعيف على مانص عليه شيخ النحاة سيبويه ، فإنه قال(٣٨٩/١) : « هذا باب ما يحسن أن يشرك المظهر المضمر فيما عمل فيه ، وما يقبح أن يشرك المظهر المضمر فيما

... ...

عمل فيه ، أما ما يحسن أن يشركه المظهر فيه فهو المضمر المنصوب ، وذلك قولك : رأيتك وزيداً وإنك وزيداً منطلقان ، وأما ما يقبح أن يشركه المظهر فيه فهو المضمر فى الفعل المرفوع ، وذلك قولك : فعلت وعبد الله ، وأفعل وعبد الله ، وزعم الخليل أن هـذا إنما قبح من قبل أن هذا الإضمار يبنى عليه الفعل ، فاستقبحوا أن يشرك المظهر مضمراً يغير الفعل عن حاله إذا بعد منه ، وإنما حسن شركته المنصوب لأنه لا يغير الفعل فيه عن حاله التى كان عليها قبل أن يضمر ، فأشبه المظهر وصار منفصلا عندهم بمنزلة المظهر ؛ إذ كان الفعل لايتغير عن حاله قبل أن تضمر فيه ، وأما « فعلت » فإنهم قـد غيروه عن حاله فى الإظهار أسكنت فيه اللام ، فـكرهوا أن يشرك المظهر مضمراً يبنى له الفعل غير بنائه فى الإظهار حتى صار كأنه شىء فى كلة لايفارقها كألف أعطيت ، فإن نعته حسن أو يشركه المظهر ، وذلك قولك : ذهبت أنت وزيد ، وقال الله تعالى : (اذهب أنت وربك) و (اسكن أنت وزوجك الجنة) وذلك أنك لما وصفته حسن الـكلام حيث طولته ووكدته كما تقول : قد علمت أن لا تقول ذلك ، برفع الفعل المضارع بعد لا ، فإن أخرجت لا قبح الرفع فأنت وأخواتها تقوى المضمر وتصير عوضاً من السكون والتغيير ومن ترك العلامة فى مثل ضرب ، وقال الله تعالى : (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا) حسن لمـكان لا ، وقد يجوز فى الشعر ، قال « قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ... البيت الآتى » اهـ .

وقال أبو سعيد السيرافى « لاخلاف بين النحويين فى العطف على الضمير المنصوب ، وأما العطف على المرفوع فعند البصريين لايحسن إلا بالتوكيد أو ما هو بمنزلته ، والـكوفيون يجيزون العطف بغير توكيد ، والأمر فى ترك التوكيد عندهم أسهل منه عند البصريين ، وسيبويه يرى ترك التوكيد وما يقوم مقامه قبيحاً إلا فى الشعر ، والـكوفيون لايرونه قبيحاً » اهـ .

وقال أبو العباس المبرد (الـكامل ١ / ١٨٨) [فى الـكلام على قول الشاعر :

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّى وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبُ — الأبيات

« قوله فإنى وقياراً بها لغريب » أراد فإنى لغريب بها وقياراً ، ولو رفع لـكان جيداً ، تقول إن زيداً منطلق وعمراً وعمرو ، فمن قال عمراً فإنما رده على زيد ، ومن قال عمرو فله وجهان من الإعراب أحدهما جيد والآخر جائز ، فأما الجيد فأن تحمل عمراً على الموضع ، لأنك إذا قلت إن زيداً منطلق فمعناه زيد منطلق ، فرددته على الموضع . ومثل هذا لست بقائم ولاقاعداً ، والباء زائدة لأن المعنى لست قائماً ولا قاعداً ، ويقرأ على وجهين (إِنَّ اللهَ برىء من المشركين وَرَسُولُهُ) ، وَرَسُولَهُ : والوجـه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر فى الخـبر فإن][1] قلت : .

(١) الذى تراه بين القوسين المربعين زيادة أثبتها عن الكامل للمبرد ، فإن الكلام بدونها مبتور أوله وليس بمستقيم .

وقوله :

٨٤٨ — قُلْتُ إذْ أقْبَلَتْ وَزُهْرٌ تَهادَى كَنِعَاجِ الْفَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ

إن زيداً منطلق هو وعمرو ، حسن العطف ؛ لأن المضمر المرفوع إنما يحسن العطف عليه إذا أكدته كما قال الله تعالى : (اذهب أنت وربك فقاتلا) و (اسكن أنت وزوجك) وإنما قبح العطف عليه بغير تأكيد لأنه لا يخلو من أن يكون مستكناً فى الفعل بغير علامة أو فى الاسم الذى يجرى مجرى الفعل ــ نحو إن زيداً ذهب ؛ وإن زيداً ذاهب فلا علامة له ــ أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان عليه ــ نحو ضربت ، سكنت الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لأن الفعل والفاعل لا ينفك أحدهما من صاحبه فهما كالشىء الواحد ، ولكن المنصوب يجوز العطف عليه ويحسن بلا تأكيد لأنه لا يغير الفعل ؛ إذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه ، نحو ضربتك وزيداً ، فأما قول الله عز وجل: (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) فإنما يحسن بغير توكيد لأن لا صارت عوضاً ، والشاعر إذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر مالا يحسن فى الكلام ، قال عمر بن أبى ربيعة * قلت إذا أقبلت وزهر تهادى ... البيت . وقال جرير * ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ... البيت . فهذا كثير ، فأما النعت إذا قلت « إن زيداً يقوم العاقل » فأنت مخير ، إن شئت قلت العاقل بالنصب جعلته نعتا لزيد ، أو نصبته على المدح وهو بإضمار أعنى ، وإن شئت رفعت على أن تبدله من المضمر فى الفعل ، وإن شئت كان على قطع وابتداء كأنك قلت « إن زيداً قام » فقيل : من هو ؟ فقلت : العاقلُ ، كما قال الله عز وجل : (قل هل أنبئكم بشر من ذلكم النارُ) أى هو النارُ ، والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا (قل إن ربى يقذف بالحق علامُ الغيوب) برفع وعلامَ الغيوب » اه .

وقال مرة أخرى (الكامل ٢ / ٣٩) : وقرأ عيسى بن عمر (وامرأته حمالة الحطب) بنصب حمالة الحطب ــ أراد وامرأته فى جيدها حبل من مسد ، فنصب حمالة على الذم ، ومن قال إن امرأته مرتفعة بقوله (سيصلى ناراً ذات لهب) فهو يجوز ، وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى يؤكد نحو (اذهب أنت وربك فقاتلا) و (اسكن أنت وزوجك الجنة) فأما قوله (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) فإنه لما طال الكلام وزادت فيه لا ، احتمل الحذف ، وهذا على قبحه جائز ، أعنى : ذهبت وزيد ، وأذهب وعمرو ، قال جرير * ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ... البيت . وقال ابن أبى ربيعة المخزومى * قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ... البيت » اه وما أحسب هذا إلا كافياً لك ومقنعاً .

٨٤٨ — هذا بيت من الخفيف ، وهو أول بيتين ينسبان لعمر بن أبى ربيعة المخزومى زعيم الغزلين (انظر ديوانه بتحقيقنا) وثانى هذين البيتين قوله :

... ...

قَدْ تَنَقَّبْنَ بِالْحَرِيرِ وَأَبْدَيْنَ عُيُونًا حُورَ الْمَدَامِعِ نُجْلَا[1]

والبيت المستشهد به قد استشهد به سيبويه (١ / ٣٩٠) وأبو العباس المبرد فى الكامل (١/١٨٩ - ٢ / ٣٩) ونسبه لعمر فى المرتين .

اللغة : « زهر » جمع زهراء ، وأراد بها المرأة المشرقة الوجه « تهادى » أصله تتهادى فحذف إحدى التاءين، وذلك كثير فى كلامه وفى كلام غيره من العرب ، ومعنى تهادى تتمايل وتتبختر « كنعاج الفلا » النعاج : جمع نعجة، والمراد بها هنا الظبية أو بقرة الوحش ، والفلا : جمع فلاة[2] ، وهى الصحراء الواسعة[3] «تعسفن» سرن سيراً شديداً ليس فيه تؤدة ولا رفق[4] «تنقبن بالحرير» يريد اتخذن الحرير نقاباً فغطين به أوجههن « أبدين » أظهرن « حور » جمع حوراء ، وهى العين الشديدة السواد فى شدة بياض « المدامع » جمع مدمع ، وهو موضع نزول الدمع « نجلا » جمع نجلاء ، وهى الواسعة[5] .

---

(١) هكذا كتب أبو رجاء البيت وهو مدور أى أن صدر كلمة وأبدين إلى الياء فى نهاية الصدر وعجزها فى اول العجز ، وكان ينبغى أن يكتب هكذا :

قد تنقبن بالحرير وأبدي ن عيونا حور المدامع نجلا

(٢) الفلا : اسم جنس جمعى لفلاة .

(٣) ورواه المبرد فى كامله فى الموضعين كنعاج الملا ، والملا : هو المكان الخالى الواسع .

(٤) عسف عن الطريق يعسف : مال وعدل كاعتسف وتعسف ، أو خبطه على غير هداية ، والسير بالليل خبط عشواء ، وهذه المعانى كلها محتملة فى هذا البيت ، قال الشيخ الصبان وقيد بقوله تعسفن رملا لأنه أقوى فى التبختر .

(٥) قد أغفل أبو رجاء معنى البيت المستشهد به هنا كعادته . ولعله اعتمد على قوله فيما سبق انظر ديوانه بتحقيقنا . ومعنى البيت : أن عمر بن أبى ربيعة عند ماشاهد محبوبته تقبل مع النسوة الجميلات كالأنجم البيض الزهر فى الإشراق والوضاءة يتهادين فى مشيتهن ويتبخترن ويتمايلن، تبختر بقر الوحش حين ملن عن الطريق اللاحب والأرض المستوية إلى أخرى رملية فتعثرن فيها لاكتنازهن وعظم أجسامهن وضعفهن وعدم قدرتهن على المشى ، وهو من الصفات المحمودة فى النساء ، وقد أكثر الشعراء من مدح النساء بها .

وقول ابن أبى ربيعة ، قلت : يدل على أن بعد هذين البيتين أبياتاً أخرى كثيرة تتضمن حديث ابن أبى ربيعة التى هى مقول القول السابق فى أول البيت قلت الخ ، وأما البيت الثانى فهو وصف لحبيبته والنسوة اللاتى معها، اعترض لفظ قلت ومقول القول . ولكن أبا رجاء لم يثبت فى ديوان ابن ربيعة سوى هذين البيتين !

... ...

الإعراب : « قلت » قال : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره لامحل له من الإعراب ، وتاء المتكلم فاعله مبنى على الضم فى محل رفع « إذ » ظرف دال على التعليل يتعلق بقال مبنى على السكون فى محل نصب «أقبلت» أقبل : فعل ماض مبنى على الفتح لامحل له من الإعراب ، والتاء حرف دال على التأنيث ، والفاعل ضمير مستتر فيـه جوازاً تقديره هى « وزهر » الواو حرف عطف مبنىعلى الفتح لامحل له من الإعراب ، زهر : معطوف علىالضمير المستتر فىأقبلت مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة «تهادى» فعل ماض مبنى على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هى«كنعاج» الـكاف حرف جر ، ونعاج : مجرور بالـكاف ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الضمير المستتر فى تهادى ، ونعاج مضاف و « الفلا» مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر « تعسفن » تعسف : فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره لامحل له من الإعراب ، ونون الإناث فاعله مبنى على الفتح فىمحل رفع « رملا » مفعول به لتعسفن منصوب بالفتحة ، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله حال من نعاج .

الشاهد فيه : قوله « أقبلت وزهر » حيث عطف الاسم الظاهر ـ وهو قوله زهر ـ بالواو على الضمير المتصل المستتر بالفعل الذى هو قوله أقبلت ، من غير أن يؤكد الضمير المعطوف عليه بالضمير المنفصل أو يفصل بين العامل فى المعطوف عليه الذى استكن فيه الضمير وبين المعطوف بفاصل ما ، وهذا ضعيف على ما قدمنا لك بيانه فى شرح الشاهد السابق .

ومثل هذا الشاهد والذى قبله قول الراعى النميرى :

فَلَمَّا لَحِقْنَا وَالجِيَـادُ عَشِيَّةً ... دعَوْا يَا لَـكَلْبٍ وَاعْتَزَيْنَا لِعَامِرِ (١)

قال الأعلم فى شرح الشاهد الذى معنا : « الشاهد فىعطف الزهر على الضمير المستكن فى الفعل ، ضرورة ، وكان الوجه أن يقول : أقبلت هى وزهر ، فيؤكد الضمير المستكن ليقوى ، ثم يعطف عليه» اهـ وقال فىشرح بيت الراعى النميرى الذى أنشدناه قريباً : « الشاهد فى عطف الجياد على الضمير المتصـــل بالفعل ، وفيه قبح حتى يؤكد بضمير منفصل فيقال : لحقنا نحن والجياد » اهـ .

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل : « قال ابن مالك فى شرح تسهيله : ولايمتنع العطف دون فصل ، كقول بعض العرب : مررت برجل سواء والعدم (برفع العدم) فعطف العدم دون فصل

(١) رواه صاحب اللسان فى (عزا) منسوباً إلى الراعى هكذا :

فَلَمَّا الْتَقَتْ فُرْسَانُنَا وَرِجَالُهُمْ ... دَعَوْا يَالَـكَلْبٍ وَاعْتَزَيْنَا لِعَامِرِ

وهو على ضعفه جائز فى السَّعة ، نص عليه الناظمُ ؛ لما حَكَاه سيبويه من قول بعض العرب « مررتُ برجلٍ سَواءٍ والعَدَمُ » برفع العدم عطفاً على الضمير المستتر فى سواء لأنه مؤول بمشتق : أى « مُسْتَوٍ هُوَ والعدمُ » وليس بينهما فَصْل .

* * *

(وَعَوْدُ خَافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرِ خَفْضٍ لَازِمًا قَدْ جُعِلَا[1])

فى غير الضرورة ، وعليه جمهورُ البصريين[2] ، نحو « فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ » « وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفُلْكِ » ، « قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ » قال الناظم : (وَلَيْسَ) عودُ الخافض (عِنْدِى

ولا ضرورة على ضمير الرفع المستتر فى سواء (أى لأن سواء بمعنى مستو ففيه ضمير رفع فاعل به) ومنه قول جرير * ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ... البيت . وقال * قلت إذ أقبلت وزهر تهادى ... البيت * وهذا قول مختار لا مضطر ؛ إذ كان له أن ينصب أبا وزهرا على المفعول معه (وهذا مبنى على أن الضرورة هى ما ليس للشاعر عنه مندوحة ، وهو ما جرى عليه ابن مالك) ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين سئل عن قوله تعالى : (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً) قال : كنت وجار لى من الأنصار (برفع جار على أنه معطوف على تاء المتكلم المتصلة بكن بتقدير كان) ومن ذلك قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « كنت وأبو بكر وعمر » وهاتان العبارتان قد أخرجهما البخارى فى صحيحه » اهـ كلامه ببعض إيضاح .

وقال الدماميني : « وإنما اشترط التأكيد بالضمير المنفصل فى العطف لأن الضمير المتصل المرفوع كالجزء مما اتصل به لفظاً ومعنى ، أما لفظاً فمن حيث إنه متصل لا يجوز انفصاله كما جاز فى الظاهر ، وأما معنى فمن حيث إنه فاعل ، والفاعل كالجزء من الفعل ، فلو عطف عليه كان كالعطف على بعض حروف الكلمة ، فأكدوا أولا بمنفصل لأنه بذلك يظهر أن ذلك المتصل منفصل من حيث الحقيقة ، بدليل جواز إفراده مما اتصل به بتأكيده ، فيحصل له نوع استقلال ، ولا يجوز أن

(١) هذا شامل للحرفى والاسمى ، لكن لا يعاد الاسمى إلا إذا لم يلبس ، فإن ألبس نحو : جاءنى غلامك وغلام زيد ، وأنت تريد غلاماً واحداً مشتركا بينهما لم يجز ، نعم يجوز إذا قامت قرينة تدل على المقصود ، والذى ارتضاه الدماميني أن المعطوف الجار والمجرور على الجار والمجرور لا المجرور فقط على المجرور ، كما استظهره الرضى لئلا يقع إلغاء الجار واتصال الضمير بغير عامله ، فى نحو « المال بينى وبينك » و « مررت بك وبه » وكلاهما محذور .

(٢) أى وعلى اللزوم جمهور البصريين لأن الجار والضمير المجرور كالشىء الواحد ، فإذا عطف بدون الجار فكأنه عطف على بعض الكلمة ، وبعضهم قال غير ذلك .

لَازِمَا)[1] وفاقاً ليونس والأخفش والكوفيين (إذْ قَدْ أَتَى * في النَّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثْبَتَا) فمن النظم قوله :

٨٤٩ — * فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ *

يكون العطف على هذا التأكيد لأن المعطوف في حكم المعطوف عليه ، وكان يلزم على ذلك كون هذا المعطوف توكيداً للمتصل ، وهو محال ، وإنما جاز العطف مع فقد التوكيد بالمنفصل عند وجود فاصل غيره لأن طول الكلام قد يغني عما هو الواجب فيحذف طلباً للاختصار » اهـ كلامه.

٨٤٩ — هذا عجز بيت من البسيط ، وصدره قوله :

* فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتِمُنَا *

وهذا بيت أنشده سيبويه (١ / ٣٩٢) وأبو العباس المبرد (الكامل ٢ / ٣٩) ولم ينسبه واحد منهما إلى قائل معين ، كما لم ينسبه الأعلم الشنتمري في شرح شواهد سيبويه .

اللغة : « قربت » أخذت وجعلت وشرعت ، يقال « قربت تفعل كذا » أي جعلت تفعله[2] « تهجونا » أي تذمنا وتسبنا وتنسب إلينا المساوي .

المعنى : إن هجاءك إيانا وتعدادك مساوي تنسبها لنا يعد من عجائب الدهر ، وهي كثيرة ، ومتى كثرت العجائب فإنه لا يؤبه لها ولا يلتفت إليها بل لا تعد عجائب[3] .

الإعراب : « اليوم » ظرف زمان منصوب بقوله قربت الآتي « قربت » قرب : فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره لا محل له من الإعراب ، وتاء المخاطب فاعله مبني على الفتح في محل

---

(١) اختار هذا الرأي أبو حيان ، وقال ينبغي أن يقيد جواز العطف على الضمير المجرور بغير إعادة الجار ، بأن يكون الحرف ليس مختصاً بجر الضمير احترازاً من الضمير المجرور بلولا على مذهب سيبويه فإنه لا يجوز عطف الظاهر عليه بالجر ، أي لا بإعادة الجار ولا بدونه ، أي ولا عطف الضمير عليه إلا بإعادة الجار ، فلو رفعت على توهم أنك قد نطقت بالضمير مرفوعاً ففي جوازه نظر كما قاله الدماميني .

(٢) لو قال الشاعر « قاربت » لكان أولى وأحسن من « قربت » بتشديد الراء . وقد روي بتخفيفها ، ووجدت في حاشية الشيخ الصبان وفي هامش الرضي على الكافية هكذا : قد بت وهو حسن ، ومعنى بت أي صرت وأهله الصواب وأهل الرواية بالراء تصحيف وهي بالتشديد عامية.

(٣) المعنى : قربت الآن أيها الرجل أن تذمنا وتسبنا بالصريح بعد ذمك وسبك فينا بالكناية والتعريض ، وبعد أن كنت تقدرنا وترعى ودنا ، وقد كان ما بيننا وبينك من محبة عظيمة يحول دون حصول ذلك ، وحينما صدر ذلك منك فينا فارقنا لأن ذلك ليس بعجب من مثلك ومن مثل هذه الأيام.

... ...

رفع « تهجونا » تهجو : فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت ، وضمير المتكلم ومعه غيره مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب ، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله فى محل نصب حال ، أو تجعل ضمير المخاطب فى قربت اسم قرب لأنها من أفعال الشروع ، وجملة تهجونا فى محل نصب خبر قرب « وتشتمنا » الواو حرف عطف مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وتشتم : فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت ، ونا : مفعول به مبنى على السكون فى محل نصب ، والجملة من الفعل وفاعله ومفعوله فى محل نصب معطوفة على جملة تهجونا « فاذهب » الفاء فاء الفصيحة : أى أنها واقعة فى جواب شرط مقدر ، والتقدير فإن تفعل ذلك فاذهب ، واذهب : فعل أمر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت « فما » الفاء حرف دال على التعليل مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب ، وما : حرف نفى ، مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « بك » جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم « والأيام » الواو حرف عطف ، والأيام : معطوف على الكاف فى بك ، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة « من » حرف جر زائد مبنى على السكون لا محل له من الإعراب « عجب » مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، وجملة المبتدأ وخبره لا محل لها من الإعراب تعليلية .

الشاهد فيه : قوله « بك والأيام » حيث عطف الاسم الظاهر المجرور الذى هو قوله الأيام ، بالواو على ضمير الخفض وهو الكاف فى قوله بك ، من غير أن يعيد العامل فى المعطوف عليه مع المعطوف ، ولو أنه أعاده لقال : فاذهب فما بك وبالأيام ، والعطف على هذه الصورة التى جاء بها الشاعر جائز عند الكوفيين ومن وافقهم من البصريين ـ وهم يونس بن حبيب شيخ سيبويه ، والأخفش ـ وتبعهم فى الأخذ بهذا القول الشلوبين وابن مالك ، واستدلوا على ذلك بوروده فى الشعر نحو هذا البيت المستشهد به ههنا والبيت الذى بعده ، وبقراءة حمزة ـ وهى مروية عن ابن عباس والحسن ـ فى قوله تعالى . (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) بجر الأرحام ، وخرجوا هذه القراءة على أن الواو فى (والأرحام) واو العطف ، والأرحام : معطوف على الضمير المجرور محلا بالباء فى (به) .

ومثل هذه الشواهد قول الراجز :

آبَكَ أَيِّهْ بِيَ أَوْ مُصَدَّرِ مِنْ حُمُرِ الجِلَّةِ جَأْبٍ حَشْوَرِ

(آبك : أى ويحك ، وأيه : فعل أمر من التأييه وهو الدعاء ، والمصدر ـ بزنة المعظم ـ الشديد الصدر ، والحمر : جمع حمار ، وأراد حمر الوحش ، والجلة ـ بكسر الجيم ـ المسان ، واحدها

... ...

جليل، والجأب ـ بالفتح ـ الغليظ ، والحشور: الخفيف(١) وهذا البيت من شواهد سيبويه (٣٩١/١) قال قبل إنشاده(٢) : «وقد يجوز فى الشعر أن تشرك بين الظاهر والمضمر على المرفوع والمجرور إذا اضطر الشاعر ، وجاز قمت أنت وزيد ، ولم يجز مررت بك أنت وزيد ؛ لأن الفعل يستغنى بالفاعل، والمضاف لا يستغنى بالمضاف إليه لأنه بمنزلة التنوين ، وقد يجوز فى الشعر ، قال * آبك أيه بى أو مصدر ... البيت . » اهـ .

وقال الأعلم فى شرح هذا الشاهد : « الشاهد فى عطف المصدّر على المضمر المجرور ، دون إعادة الجار ، وهو من أقبح الضرورة » اهـ كلامه .

وقال أبو العباس المبرد : « وقول الله تبارك وتعالى : (والمقيمين الصلاة) بعد قوله (لكن الراسخون فى العلم منهم) إنما هو على المدح ، ومن زعم أنه أراد ومن المقيمين الصلاة فمخطىء فى قول البصريين لأنهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ، ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح كالضرورة ، والقرآن إنما يحمل على أشرف المذاهب ، وقرأ حمزة : (الذى تساءلون به والأرحام) بجر الأرحام وهذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يضطر إليه شاعر ، كما قال * فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ... البيت *»

(١) والحشور من الدواب الملز الخلق ، ومن الرجال العظيم البطن ، وأنشد :

* حَشْوَرَةُ الجَنْبَيْنِ مِعْطَاءُ القَفَا *

وقيل الحشور مثال الجرول : المنتفخ الجنبين ، والأنثى حشورة .

(٢) الصواب قبل إيراده . لأن الإنشاد يكون بالسماع ، ولا يتصور ولا يجوز فى العقل ولا فى الحس أن يسمع من فى القرن الرابع عشر الهجرى ممن كان فى الثالث أو الرابع بدون واسطة؛ بخلاف الإيراد ! فإنه الإثبات بالكتابة فالمناسب ذكره .

* * *

قُلْتُ: وإلى هنا والحمد لله كانت وقفة أبى رجاء الآخرة ، وقد رأيت كيف أنه روى بيت الشاعر السالف فزاد فيه حرفًا، وليست زيادة (قد) التى زادها أبو رجاء بأخف ضررًا من نقص كلمة (أنا) التى أفسد بها بيت الشاعر الآخر الوارد فى ص ٤٩٦ ج٤ آخر الصفحات التى أشرف على تصحيحها.

وهو : أَأَلْخَيْرُ الذِى (أَنَا) أَبْتَغِيهِ أَمِ الشَّرُّ الذِى هُوَ يَبْتَغِينِى

فقد زعم أبو رجاء أن أنا فى البيت زائدة فحذفها ، كما حذف الكلام على شاهد عده جمع من النحاة دليلا على جواز حذف إما الأولى من الكلام، وحذف ما من إما الثانية

وهو: سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ مِنْ صَيِّفٍ وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَمَا

... ...

وهو من البحر المتقارب من قصيدة للنمر بن تولب وأولها :

سَلاَ عَنْ تَذَكُّرِهِ تُكْتَمَا وَكَانَ رَهِيناً بِهَا مُغْرَمَا
وَأَقْصَرَ عَنْهَا وَآيَاتُهَا تُذَكِّرُهُ دَاءَهُ الأَقْدَمَا
فَأَوْصِ الْفَتَى بِابْتِنَاءِ الْعَلاَ ءِ وَأَنْ لاَيَخُونَ وَلاَ يَأْثَمَا
وَيَلْبَسَ لِلدَّهْرِ أَجْلاَلَهُ فَلَنْ يَبْنِيَ النَّاسُ مَاهَدَّمَا
وَإِنْ أَنْتَ لاَقَيْتَ فِي نَجْدَةٍ فَلاَ تَتَهَيَّبْكَ أَنْ تُقْدِمَا
فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيْنَمَا
وَإِنْ تَتَخَطَّاكَ أَسْبَابُهَا فَإِنَّ قُصَارَاكَ أَنْ تَهْرَمَا
وَأَحْبِبْ حَبِيبَكَ حُبًّا رُوَيْدًا فَقَدْ لاَ يَعُولُكَ أَنْ تَصْرِمَا
فَتَظْلِمَ بِالْوُدِّ مِنْ وَصْلِهِ رَقِيقٍ فَتَسْأَمَهُ أَوْ تَنْدَمَا
وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ بُغْضًا رُوَيْدًا إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا
فَلَوْ أَنْ مِنْ حَتْفِهِ نَاجِياً لَكَانَ هُوَ الصَّدَعَ الأَعْصَمَا
بِإِسْبِيلَ أَلْقَتْ بِهِ أُمُّهُ عَلَى رَأْسِ ذِي حُبُكٍ أَيْهَمَا
إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ وَالسَّاسَمَا
يَكُونُ لِأَعْدَائِهِ مَجْهَلاً مَضَلاًّ وَكَانَتْ لَهُ مَعْلَمَا
أَتَاحَ لَهُ الدَّهْرُ ذَا وَفْضَةٍ يُقَلِّبُ فِي كَفِّهِ أَسْهُمَا
فَرَاقَبَهُ وَهُوَ فِي قُتْرَةٍ وَمَا كَانَ يَرْهَبُ أَنْ يُكْلَمَا
فَأَرْسَلَ سَهْمًا لَهُ أَهْزَعَا فَشَكَّ نَوَاهِقَهُ وَالْفَمَا
فَظَلَّ يَشُبُّ كَأَنَّ الْوَلُو عَ كَانَ بِصِحَّتِهِ مُغْرَمَا
أَتَى حِصْنَهُ مَا أَتَى تُبَّعًا وَأَبْرَهَةَ الْمَلِكَ الأَعْظَمَا
لُقَيْمُ بْنُ لُقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنَ أُخْتٍ لَهُ وَابْنَمَا
لَيَالِيَ حُمِّقَ فَاسْتَحْصَنَتْ إِلَيْهِ فَغُرَّ بِهَا مُظْلِمَا
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ نَابِهٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلاً مُحْكَمَا

... ...

والنمر بن تولب هذا عكلي جاهلي صحابي ، يكنى أبا ربيعة ، أدرك الإسلام وهو كبير ، وكان جواداً فصيحاً شاعراً جريئاً على المنطق .

وقال صاحب منتهى الطلب في معرفة أشعار العرب : هو نمر بن تواب بن زهير بن أقيش بن عبيد بن وائل بن كعب بن الحرث بن عوف ، وعوف هذا هو عكل .

وقال ابن الكلبي : إنما هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد بن كعب بن عدى بن عوف ابن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر .

قال الأصمعي كان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس من حسن شعره .. وأنه عنى بقوله :

☆ إنا أتيناك وقد طال السفر ☆

النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو الفرج الأصبهاني : هو شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثاً .

ثم أخرج عن الأصمعي قال وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه شعر النمر بن تولب بشعر حاتم الطائي .

اللغة : سلا : هو من السلو ، يقال سلاه وسلا عنه ، أي نسيه وتركه وأبغضه ؟ والسلوان مصدر ، وقيل إن السلوان أو السلوانة خرزة شفافة إذا دفنتها في الرمل ثم بحثت عنها رأيتها سوداء يسقاها العاشق ليسلو عن المرأة التي يحبها ، أو أن يؤخذ من تراب قبر ميت فيذر على الماء فيسقاه العاشق ليسلو عن المرأة فيموت حبه ، وأنشد :

يَالَيْتَ أنَّ لِقَلْبِي مَنْ يُعَلِّلُهُ   أوْ سَاقِياً فَسَقَانِى عنكِ سُلْوانا

وقيل السلوان دواء يسقاه الحزين فيسلو ، والأطباء يسمونه المفرّح . وليس هو من السؤاله كما قال السيوطي «أمر من السؤال لاثنين» وكأنه قاسه على قول امرئ القيس : قفانبك من ذكرى أمر بالوقوف لاثنين ، والسياق إلى الإخبار أدعى منه إلى الإنشاء والطلب ، وقال السيوطي أيضاً : وشرحه شارح ديوانه أي النمر بن تولب ــ بأنه فعل ماض من السلو ، و « تكتما » على مالم يسم فاعله اسم امرأة بعينها ، وكانوا يسمون بئر زمزم تكتما . والرهين والرهن : ماوضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه ، والأنثى رهينة . وحكى ابن جنى أن رهين جمع رهن كعبد وعبيد ، قال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » أي محبوسة بعملها ، وقال « كل امرئ بما كسب رهين » أي محتبس بعمله . وكل شيء أو أمر يحتبس به شيء فهو رهينة ومرتهنة ، وإنه لرهين قبر وبلى ، وإنها لرهينة قبر وبلى .

« والمغرم » من الغرام وهو العذاب اللازم والشر الدائم والبلاء والحب والعشق ، وما لا يستطاع احتماله ، وفلان مُغْرَم بكذا أي ملازم له مولع به . يعشق النساء وغيرهن ،

... ...

ومبتلى بحبهن . وفى الحديث عن علىّ رضى الله عنه ، « فَمِنَ اللَّهِجُ بِاللَّذَّةِ ، السَّلِسُ القياد للشهوة « أو المغرم بالجمع والادخار » .

« وأقصر » أى كفّ وتحوّل وانتهى، والإقصار الكف عن الشئ، وأقصرت عن الشئ كففت عنه مع القدرة عليه ، فإن عجزت عنه قلت قصّرت بلا ألف . وقَصَرْتُ عن الشئ قصورًا عجزت عنه ولم أبلغه .

« وآياتها » وهو من الآية وهى العلامة ، يقال أيَّا آية أى وضع علامة ، وخرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيئاً ، قال برج بن مسهر الطائى :

خَرَجْنَا مَعَ النَّقْبَيْنِ لاَحَيَّ مِثْلُنَا ... بِآيَتِنَا نُزْجِي اللِّقَاحَ المَطَافِلاَ

والآية من التنزيل الجماعة من الحروف سميت بذلك لأنها علامة لانقطاع كلام عن كلام .
وقال ابن حمزة : الآية من القرآن كأنها العلامة التى يفضى منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية، والمراد من آياتها هنا علاماتها أى علامات الديار التى كانت تقيم بها «تكتم» محبوبته قبل أن يسلو عنها ، وهى آثار الديار التى هى النؤى والوتد والأثافى وبعر النياق والآرام وآثار الأقدام فى الرمال . مما يرى فى حياة البدو والعرب الرحل عادة .

« وتذكره داءه الأقدما » أى تعيد إلى خياله صور اجتماعه بمحبوبته والساعات التى أنس فيها بالاجتماع بها ، وحبه الذى طويت صفحته ومرت عليه الليالى والأيام ، بل السنون والأعوام .
« فأوص » فعل أمر من الوصية « وابتناء المعالى » وصية له بلزوم مكارم الأخلاق فى الكرم والنجدة والعفة وحماية الجار والضعيف « وأن لايخون ولا يأثما » وصية له بالكف عن ارتكاب الآثام والمحافظة على خلة الأمانة « ويلبس للدهر أجلاله » الأجلال جمع الجلّ وهو ما تلبسه الدابة لتصان به ، ويجمع على جلال أيضاً ، قال كثير :

وَتَرَى البَرْقَ عَارِضاً مُسْتَطِيرًا ... مَرَحَ البُلْقِ جُلْنَ فِي الأَجْلاَلِ

والمراد أن يعد الإنسان نفسه لتحمل تقلبات الدهر خيرها وشرها ، وعسرها ويسرها ، وحلوها ومرها « فَلَنْ يَبْنِيَ النَّاسُ مَا هَدَّمَا » إيصاء له بأن لايعتمد إلا على نفسه فى ابتناء المعالى ، والابتعاد عن الآثام ، إذ أن كل إنسان مشغول بحياطة نفسه ، منصرف بطبيعته عن إقامة وبناء بنيان هدمه أصحابه . ومن ضيع مجده وهدم مفاخر أجداده ، لم يبنها الناس له .

... ...

« وإن أنت لاقيت فى نجدة ... البيت » حث له على الشجاعة وترك الجبن ، والنجدة : القتال والشدة والشجاعة وشدة البأس فيه ، ولاقيت هو من لقاء الأعداء والأقران فى الحرب ، والتهيب الخوف ، والإقدام ضده .

وقوله «لايتهيبك» قيل إنه من باب القلب أى لا تهيبها ، وفى منتهى الطلب بلفظ فلا تتكأدك وهو بمعناه . و « فإن المنية من يخشها ... البيت » دليل على صـواب الإقدام ، وقبح التهيب والإحجام . والمنية : هى الموت ، و « من يخشها » من الخشية وهى الخوف ، و« تصادفه » هو من الصدف وهو جانب الجبل أو ما بين الجبلين ويقال لجانبى الجبل إذا تحاذيا صدفان ، وذلك لتصادفهما أى تلاقيهما ، وتحاذى هذا الجانب الجانب الذى يلاقيه ، وما بينهما فج أو شعب أو واد ، ومن هذا يقال صادفت فلاناً أى لاقيته ووجدته «وأينما» يعنى لابد ، وحتم أن تلاقيه فى آن ما من الزمان ، وفيه اكتفاء وهو حذف فعل الشرط وجوابه والاقتصار على الأداة أى أينما ذهب أو توجه . « وإن تتخطاك أسبابها » أى إن لم يصادفك الموت وتركتك أسبابه من الأمراض والأوصاب صغيراً فإن نهاية أمرك وآخرة عمرك وغايته الهرم ، وناهيك به بلاء ونصباً ، إذ هو ضعف وعجز ومرض وذلة وهوان ، و « قصاراك » أى جهدك وغايتك وفيه لغات قصرك ، وقصارك بفتح القاف وضمها وقصيراك .

وقوله «وأحبب حبيبك ... الخ » البيت الثالث بعده مأخوذ من قول النبى صلى الله عليه وسلم « أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » كان النمر بن تولب سمعه من الرسول نثراً فعقده فى أبياته شعراً .

وقوله « يعولك » معناه يشق عليك ، ويروى « يهولك » والمعنى واحد .

ومعنى « تسفه » تجهل وتظلم إذ تضع ودك فى غير موضعه ، وتمنح حبك إلى غير أهله ، ممن لايستحقونه «وتحكم» أى تكون حكيما عاقلا تضع الأمور فى مواضعها ، و «الصدع» مهمل الحروف مفتوحها الوعل الذى هو بين الجسيم والضئيل ، و « الأعصم » هو من العصمة وهى بياض فى اليد ، وهو إنما يقصد بالأعصم المستعصم فى قنن الجبال وكهوفها لايتوصل إليه بسوء ، و«إسبيل» هو على زنة قنديل بلد أو مكان ألقت به أمه فيه أى ولدته ، وقد قيل : « لا أرض إلا إسبيل ، وكل أرض تضليل » وربما أريد به مطلق مكان ، أى سبيل وهو الطريق الذى يسير فيه الناس والجماعات السابلة وتسلكه ، و« ذو الحبك » هو ذو الطرائق والمراد به الجبل المرتفع ، ومنه قول الله تعالى : «والسماء ذات الحبك » ، و« الأيهم » بالياء المثناة من تحت ، الذى لايهتدى إليه ، وقوله «إذا شاء طالع مسجورة » البيت « طالع » أى أتى فاطلع ورأى ، يقال فلان يطالع قرينه ، و «المسجورة» المملوءة ، و « النبع » بفتح النون وسكون الباء الموحدة ، شجر تعمل منه القسى ، و «السأسم» كعالم شجر أسود أو الآبنوس أو الشيزى أو شجر تعمل منه القسى ، وقال السيوطى هو السأسم . بهمزة بين سينين مهملتين وهو شجر الآبنوس .

... ...

وقوله « يكون لأعدائه مجهلا » البيت ، أعداء الوعل المتحدث عنه هم ضوارى السباع والناس ، لأن الأذى يأتيه من قبلهم ، وأراد « بالمجهل » مكاناً مجهولا لايصلون إليه فيه لعدم طروقهم له ومعرفتهم له ، والمجهل بفتح الهاء ، و « مضلا » بفتح الميم وكسر الضاد : الذى يضلل أعداءه ويجعلهم لايهتدون إليه ، وقوله «وكانت له معلماً» للعلم هو بفتح الميم واللام وإسكان العين ، يعنى أنها لاتخفى عليه هو ، وإن كانت مجهلا ومضلة لأعدائه .

ويعد هذا البيت هو الموضع المناسب للبيت المستشهد به ، وإن لم ينصّ أحد من الرواة على ذلك ، ولنتكلم عليه الآن فنقول :

اللغة : الرواعد : جمع راعدة ، والمراد بها السحب الممطرة التى يكون معها الرعد وأمطارها تكون شديدة غزيرة المطر ، قوية الرعد ، يقال رعدت السحاب ، وأرعدت إذا سمع منها صوت الرعد ، و « الصيف » بتشديد الياء المكسورة : المطر الذى يكون فى الصيف و « ان يعدما » من العدم وهو ضد الوجود .

المعنى : يصف المسجورة التى أقام فيها الوعل على رواية سقتها ، وعلى الرواية الأخرى يصف الوعل أو الصدع بأن السحب المواطر تهطل عليه فى الصيف ، فلا يزال موضعه ندياً رطباً يروع به النبات الذى يرعاه ويعيش عليه ، وكما يهطل ذلك عليه صيفاً فإنه لن يعدم السحب التى تمطره وتجوده بغيثها فى زمان الخريف .

الإعراب : « سقته » سقت فعل ماض والتاء فاعل وهى الرواعد والهاء فى سقته ضمير يعود على الصدع المتحدث عنه فى الأبيات السابقة ، قال السيوطى وفى ديوان النمر بن تولب وفى منتهى الطلب سقتها . وحينئذ فيكون الضمير عائداً إلى المسجورة ، و «من» حرف جر بيان لابتداء زمن السقى و « صيف » مجرور بها والجملة من الجار والمجرور فى محل نصب على الظرفية ، والأصل سقته الرواعد صيفاً أو من صيف ، وإنما شدد «صيف» لضرورة الشعر ، « وإن من خريف » وإن أصله وإن ما حذف ما وبقيت إن ، وقيل إن شرطية ، والفاء جوابها ، والتقدير وإن سقته من خريف فلن يعدم الرى فى الخريف أيضاً .

الشاهد فيه : جواز حذف إما الأولى من الكلام وما من إما الثانية ومذهب سيبويه أنه حذف منه إما أولا وما ثانياً ، وقال الأصمعى والمبرد : إن فى هذا البيت شرطية ، والفاء فاء الجواب ، والمعنى وإن سقته من خريف فلن يعدم الرى ، قال الدمامينى « وليس هذا القول بشئ لأن المراد وصف هذا الوعل (بفتح الواو والعين المهملة كفرس ، وبفتح الواو وكسر العين

... ...

ككنف ـ وهما مشهوران وبضم الواو وكسر العين كدئل وهذا نادر ، والمراد بالوعل تيس الجبل)
بالرى على كل حال لأن مدخل إن الشرطية مشكوك فيه غير مجزوم بوقوعه ولا بعدم وقوعه ، وبهذا
اندفع قول ابن الصائغ إن هذا بناء على القول بالمفهوم » قال الأعلم : وصف وعلا فى روضة مخصبة
فى جبل حصين لا يوصل إليه ، والأمطار ملازمة له لا تغب عنه فلا يحتاج إلى أن يسهل فيصاد .
ولا يلزم ذلك مع جعل إن شرطية أن يصير انتفاء العطش معلقاً بشرط سقى السحائب له فى الخريف
ومفهومه ثبوت العطش عند انتفاء الشرط وهو مناف للغرض . قال الدماميني « وفيه نظر لأنا
لا نسلم أن المقصود وصف لهذا الوعل بالرى على كل حال وإنما الغرض وصف حاله بحسب الواقع ،
فأخبر أولا بما وقع من سقى سحائب الصيف له ، وذلك مقتض لريه منها ، ثم أخبر بأن سحائب
الخريف إن سقته بعد ذلك حصل له الرى المستمر ، ولو سلم أن المقصود ما ذكر من وصفه بالرى
دائماً فمع الإتيان بإما التى هى هنا لأحد الشيئين لا يلزم ذلك » .

وقال أبو عبيدة إن فى هذا البيت زائدة ، وعلى هذا يتأتى ما ذكر من وصف الوعل بالرى على
كل حال ، ورد هذا بأن زيادتها لم تثبت بعد العاطف وثبتت بعد حذف إما وما ، وأبو عبيدة هذا
هو معمر بن المثنى ، قال الجاحظ فيه : لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم
منه ، وقال ابن قتيبة : كان مع معرفته ربما يكسر البيت إذا أنشده ، وكان يخطىء إذا قرأ القرآن
نظراً ، وكان يبغض العرب وألف فى مثالبها ، وكان يرى رأى الخوارج ؛ ومن مصنفاته كتاب
النقائض بين جرير والفرزدق طبع فى أوروبا وقد طبعت نحو نصفه والله المسئول فى الإعانة على
إكماله ، وقد توفى سنة تسع ومائتين وكان مولده سنة عشر ومائة .

ولنذكر شرح بقية الأبيات فنقول : معنى قوله « أتاح له الدهر » البيت ، أتاح عرض وقدر
وأتاحه الله تعالى فأتيح ، و « ذو الوفضة » الرامى بالسهام ، والوفضة خريطة الراعى لزاده وأدواته
والجعبة من أدم أى جلد ؛ ومعنى « يقلب فى كفه أسهما » أى ليس جاداً بها وإنما هو كمن يلهو بها ،
وقوله « فراقه وهو فى قترة » أى راقبه الصائد والصائد فى قترة ، والقترة بالضم الكوة النافذة
وعين التنور وحلقة الدرع وبيت الصائد : ناموس الصائد وقد أقتر واقتتر فيها أى استتر ومكث
فيها وهى كما قال أبو عبيدة : البئر يحتفرها الصائد يكمن فيها .

ويقال أيضاً القترة بالفتح الغبرة أو الدخنة يجعلها الصائد للوحش بأن يدخن بأوبار الإبل لئلا يجد
الصيد ريحه فيهرب منه ، ويصح أن يراد بالقترة الناحية وهى فى هذين حال من الصيد لا من الصائد

... ...

وقوله « وماكان يرهب أن يكلما » الرهب الخوف والخشية والفزع ، ومنه سمى الراهب أحد رهبان النصارى ، المتعبد في الصومعة لشدة خوفه وخشيته من الله ، وأصل الرهبانية من الرهبة ثم صارت اسماً لما فضل عن المقدار وأفرط فيه ، وقول الله تعالى « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » معناه كما جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم مالايصبرون عليه ، فاتخذوا أسراباً وصوامع وابتدعوا ذلك ، فلما ألزموا أنفسهم بذلك التطوع ودخلوا فيه لزمهم تمامه ، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفترض عليه لزمه أن يتمه ، وكانوا لخوفهم يترهبون بالتخلى من أشغال الدنيا ، وترك ملاذّها ، والزهد فيها ، والعزلة عن أهلها ، وتعهد مشاقها ، حتى إن منهم من كان يخصى نفسه ويضع السلاسل والصلبان الغلاظ الثقال في عنقه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا رهبانية في الإسلام » فنهى المسلمين عنها، وقال: « عليكم بالجهاد فإنه رهبانية أمتى » يريد أن الرهبان وإن تركوا الدنيا وزهدوا فيها ، وتخلوا عنها فلا ترك ولا زهد ولا تخلى أكثر من بذل النفس في سبيل الله ، وكما أنه ليس عند النصارى عمل أفضل من الترهب ، ففي الإسلام لا عمل أفضل من الجهاد ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله » .

و « يكلما » هو من الكلم أى الجرح والجمع كلوم وكلام ويكلم يصاب بجراح ، أى كان ذلك الوعل آمناً لم تحدثه نفسه بالخوف أو الخشية من أن يصيبه سهم بالجراح التى أصابه بها الصائد .

وقوله « فأرسل سهماً له أهزعا » الأهزع من السهام الذى يبقى في الكنانة وحده وهو أردؤها ، ويقال له سهم هزاع ، وقيل الأهزع خير السهام ، وأفضلها تدخره لشديدة ، وقيل هو آخر ما يبقى من السهام في الكنانة جيداً كان أو رديئاً ، وقيل إنما يتكلم به في النفى ، فيقال : مافى جفيره أهزع ، وما في كنانته أهزع ، قال صاحب اللسان : وقد يأتى به الشاعر في غير النفى للضرورة ، فإن النمر بن تولب أتى به مع غير الجحد فقال : ثم أورد البيت ، ونقل عن ابن برى أنه قد جاء أيضاً لغير النمر ، قال ريّان بن حُوَيص :

كَبِرْتُ ورقّ العَظْمُ منى كأنما رمى الدهر منّى كُلَّ عِرْقٍ بأهزعا

وربما قيلَ : رُميت بأهزع ، قال العجاج :

* لأنَّكَ كالرَّامى بغيرِ أهْزَعَا *

يعنى كمن ليس في كنانته أهزع ولا غيره ، وهو الذى يتكلف الرمى ولا سهم معه ، ويقال : مافى الجعبة إلا سهم هزاعٌ أى وحده ، وأنشد :

وبقيت بعدهم كسهم هزاع

... ...

وما بقى فى سنام بعيرك أهزع أى بقية شحم ، وقولهم ما فى الدار أهزع أى ما فيها أحد ، ويقال : ظل يهزع فى الحشيش أى يرعى ، وهزيع ومهزع اسمان ، والمهزع المدق ، وقال الشاعر يصف أسداً :

كَأَنَّهُمُ يَخْشَوْن منك مُدَرَّبَاً   بِحَلْيَةَ مَشْبُوحَ الذِّرَاعين مِهْزَعَا

وقوله « فشك نواهقه والفما » شك : هو من شَكَّه بالرمح والسهم ونحوهما يشكه شكا أى انتظمه ، قال طرفة : حِفَافَيْه شُكَّا فى العَسِيبِ بِمِسْرَد .

وهو من شككته بالرمح إذا خرقته ، وانتظمته ، وقال عنترة :

وشَكَكْتُ بالرُّمح الأَصَمِّ ثِيَابَهُ   لَيْسَ الكَرِيمُ على القَنَا بِمُحَرَّمِ

و«النواهق» من الحمر حيث يخرج النهاق من حلوقها ، ومن الخيل العظام النائتة فى خدودها ، وقال أبو عبيدة فى كتاب الخيل : الناهقان عظمان شاخصان فى وجه الفرس أسفل عينيه ، ومحل النواهق : ما كان أسفل من الجبهة فى قصبة الأنف ، وقيل نواهق الدابة عروق اكتنفت خياشيمها لأن النهاق منها الواحدة ناهقة — والمعنى أن السهم انتظم ناهقيه وفمه ، وعبر عن الناهقين بلفظ النواهق وهو جمع على لغة من يجعل الجمع ما زاد عن الواحد .

وقوله « فظل يشب كأن الولوع » البيت « يشب » من شب الفرس يشِب ويشُب شباباً وَشبيباً وشُبُوبًا إذا رفع يديه جميعًا كأنه ينزو نزواناً ، لعب وقَمَّص ، وأشببته إذا هيَّجته ، وكذلك إذا حَرَن « والولوع » القدر والحين ، والدهر الذى يولع بأحداث الزمان ومصائبه ، و « كان بصحبته مغرماً » أى وكانت أحداث الدهر وكوارثه مغرمة بملازمته .

وقوله « أتى حصنه ما أتى تبعاً » البيت ، الضمير فى حصنه يعود إلى الصدع المعتصم فى قنة الجبل أو المكان الذى وصفه الشاعر ، و « تبع » ملك اليمن واحد التبابعة ، وقد ورد لتبع ذكر فى القرآن الكريم . و « أبرهة » ملك الحبشة .

وقوله « لقيم بن لقمان من أخته » البيت ، لقيم تصغير لقمان ، ولقمان كما قال النسابون هو ابن عاد وهو غير لقمان الحكيم الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم ، قال النسابون : وكانت أخته تحت رجل أحمق فولدت له وأحمقت أى جاءت به ولداً أحمق مثل أبيه زوجها ، فأحبت أن تلد مولوداً يكون حكيما نجيباً مثل أخيها ، فرغبت إلى امرأة أخيها أن تتركها تنام فى مرقدها ليقع عليها أخوها لقمان عسى أن تلد ولداً مثله ، فأجابتها ، وأسكرتاه وضاجعته فغشيها فأتت منه بولد سمته لقيما ، تصغير

٨٥١ — وقوله : وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

لقمان خاله لأنه جاء منه وكان لقمان من أحزم الناس ، ولقيم مبتدأ ومن أخته جار ومجرور فى محل رفع خبر المبتدأ وفى قوله « فكان ابن أخت له وابنا » شاهد على جواز تعاطف الخبرين المستقل كل منهما بنفسه ، و « ابنا » أى ابناً و « ما » زائدة أى فكان ابن أخت له وابناً كذلك . وهذا الحديث أشبه بأسطورة من الأساطير الخيالية ، قال شارح الديوان عند هذا الموضع : ترك ما كان فيه وسلك طريقاً آخر ، وهو المسمى فى البديع بالاقتضاب وهو الانتقال إلى غير ملائم بخلاف حسن التخلص ، والاقتضاب طريقة العرب الأقدمين .

وقوله « ليالى حمق فاستحصنت » البيت ، هو شرح لبقية القصة التى سلف ذكرها ، وفاعل حمق يحتمل أن يكون زوجها كما يفهم من سياق القصة ، ويحتمل أن يكون لقمان لما غيب عن عقله بسبب السكر ، و « استحصنت » أى أتته كما تأتى المرأة الحصان زوجها ، و « مظلماً » بكسر اللام أى فى ليلة ذات ظلمة ، و « غرّبها » هو من غره يغرّه غرّا وغروراً وغرّة ، فهو مغرور وغرير أى خدع . وكل من غر فهو مغرور . والمراد أنه خدع بحيلة أخته وزوجه « وبها » أى جار ومجرور متعلق « بغرّ » والمراد أنه خدع بأخته وظنها زوجته .

وقوله « فأحبلها رجل نابه » البيت « النابه » المذكور المرتفع الذكر ، « والمحكم » القوى الذى ليس بضعيف .

٨٥١ — عجز بيت وهو وصدره :

تُعَلَّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفُنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

أنشده الفراء ، ولم يعزه إلى أحد ، ونسبه أبو عمرو بن بحر الجاحظ إلى مسكين الدارمى ، وهو من قصيدة طويلة من البحر الطويل ، جاء فى الشواهد الكبرى للعينى بهامش خزانة الأدب أن أولها :

لَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسٌ وَخِنْدِفُ أَنَّنِي بِثَغْرِهِمُ مِنْ عَارِمِ النَّاسِ وَاقِفُ
وَقَدْ عَلِمُوا أَنْ لن نُبَقِّي عَدُوَّهُمْ إِذَا قَذَفَتْهُ فِي يَدَيَّ الْقَوَاذِفُ
وَأَنَّ أَبَانَا بِكْرُ آدَمَ فَاعْلَمُوا وَحَوَّاءُ قَرْمٌ ذُو عَثَانِينَ شَارِفُ
وَأَنَّ عَلَى خُرْطُومِهِ مُتَهَافِيًا مِنَ الْقُطْنِ هَاجَتْهُ الْأَكُفُّ النَّوَازِفُ
وَلِلصَّدَأُ الْمُسْوَدُّ أَطْيَبُ عِنْدَنَا مِنَ الْمِسْكِ دَافَتْهُ الْأَكُفُّ الدَّوَائِفُ
نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ
وَيُضْحِكُ عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ اللَّوْنِ كَاسِفُ

... ...

وَأَنَّا أُنَاسٌ يَمْلَأُ الْبِيضَ هَامُنَا   وَنَحْنُ حَوَارِيُّونَ حِينَ نُزَاحِفُ
بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ كَأَنَّ كُعُوبَهُ   قَطًا سَابِقٌ مُسْتَوْرِدُ الْمَاءِ صَائِفُ
كَأَنَّ هِلَالًا لَاحَ فَوْقَ قَنَاتِهِ   جَلَا الْغَيْمَ عَنْهُ وَالْقَتَامَ الْحَرَاجِفُ
[لَهُ مِثْلُ حُلْقُومِ النَّعَامَةِ حُلَّةٌ   وَمِثْلُ الْقُدَامَى سَاقُهَا مُتَنَاصِفُ]

وهذا البيت الأخير انفرد بروايته الجاحظ، ولم يذكره العينى فى شواهده .

اللغة : قيس قبيلة عربية سميت باسم أول رجل منها ، واسمها قيس عيلان ، وقالوا إن اسم أبيها الناس بن مضر كذا قال صاحب القاموس وتابعه عليه شارحه ، وقال : والناس أخوه إلياس وإلى الأول تنسب قيس وإلى الثانى تنسب خندف ، والناس وإلياس ولدا مُضر لصلبه . وقال صاحب القاموس إن خندف سميت باسم امرأة إلياس بن مضر أولدها عمراً وهو مدركة ، وعامراً وهو طابخة، وعميراً وهو قمعة وأمهم خندف كزبرج، وهى ليلى بنت حلوان بن عمران، وكان إلياس خرج فى نجعة فنفرت إبله من أرنب فخرج إليها عمر فأدركها وخرج عامر فتصيدها وطبخها وانقمع عمير فى الخباء ، وخرجت أمهم ليلى تسرع فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فقالت مازلت أخندف فى أثركم . فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف — وهذا الكلام أشبه بالأساطير منه بالحق الصريح .

« والثغر » ما يلى دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان ، ويطلق على الناحية من الأرض والطريق السهلة ، وإنما قال بثغرهم وكان حقه أن يقول بثغرها لأنه أراد عامة أفراد قيس وخندف لا نفس القبيلتين .

و « العارم » الرجل الشرس الشديد الأذى . يقول إننى واقف فى ثغور خندف وقيس أدافع عنهم ، وأرد عدوان المعتدين وبطش الجبارين ، وإن قبائل خندف وقيس لا تجهل موقفى ومكانى ذلك .

« وقد علموا أن لن نبقى » البيت ، يريد أنهم علموا أنه لشجاعته ومحبته لهاتين القبيلتين يبغض أعداءها ولا يبقى على من يقع منهم أسيراً فى يديه « وقذفته » أى دفعته وساقته « والقواذف » جمع قاذفة وهى الناحية البعيدة ، وأصل القذف الرمى بالحجارة ، والتقاذف الترامى بها .

« وأن أبانا بكر آدم الخ » يصف أباهم بأنه الابن الأكبر لآدم وحواء ، فخراً وتعظماً على غيرهم ، لأن البكر أعز الأبناء على والده وكل عزيز فهو بكر ، لأنه يأتى على شوق ولهفة ، ومنه سميت الباكورة ، والبواكير أشهى وأحب من سواها وأطيب وأعز قيمة . وقد كان (أبو رجاء) فى أصل هذا الشاهد الذى كان أعده للطبع وقدمه إلى المطبعة ثم توقف عن شرحه ، وكان آخر عمله . ضبط كلمة بكر بفتح الباء وهو خطأ لأن الشاعر لم يرد بالبكر الفتية من الابل، فهى التى بفتح الباء وإنما أراد بالبكر أول ولد الأبوين وهى التى بكسر الباء .

... ...

« والقرم » الفحل والسيد «والعثانين» جمع العثنون وهى اللحية أو مافضل منها بعد العارضين أو ما نبت على الذقن وتحته سفلا أو هو طولها، وشعيرات طوال تحت حنك البعير، و « الشارف » المسن الهرم من النوق ومن السهام العتيق القديم ، وهو نعت لأبيهم بالفضل والتقدم والسنّ . وقد كتبه « أبو رجاء » فإن أبانا ــ بالفاء وكسر همزة إن ، مع أن الرواية فى الحيوان وفى الشواهد الكبرى للعينى « وأن أبانا » ، بحرف الواو إلى الفاء ، ولم ينصّ على ذلك ، وأخطأ فى كسر همزة إن مع أن جملة « أن أبانا » فى محل نصب بالعطف بالواو على مفعول علم فى قول الشاعر :

لقد علمت قيس . . . أن لن نبقى . . . وأن أبانا الخ .

وقوله «وأن على خرطومه متهافياً... البيت» الخرطوم كزنبور: الأنف أومقدمه أو ماضممت عليه الحنكين ، والتهافى : التطاير بحركة الريح وهبوبها ، والهفا مطر يمطر ثم يكف ، ويروى متهافتاً وهما بمعنى ، « والقطن » المعروف لنا وهوغيرالذى تحدثنا به المعاجم العربية فإن الذى عندنا وينبت بمصر لا يرتفع شجره فوق متر إلا قليلا ، بينما يقول صاحب اللسان ــ ويوافقه صاحب القاموس ــ قال أبو حنيفة الدينورى وهو العالم اللغوى النباتى : القطن يعظم عندهم شجره حتى يكون مثل شجر المشمش ويبقى عشرين سنة وأجوده الحديث ، وقول لبيد :

شَاقَتْكَ ظُعْنُ الْحَيِّ يَوْمَ تَحمَّلوا فَتَـكَنَّسُوا قُطُنًا تَصرُّ خيامها

أراد به ثياب القطن « اللسان مادة قطن » ، وهو وإن كانت تؤخذ منه الثياب ، إلا أنه لهذا يخالف القطن المعروف فى أيامنا هذه من هذه الناحية ، ومن ناحية أخرى فإن صاحب اللسان قال فى موضع آخر من مادة « قطن » عند الكلام على الحبوب القطنية : وإنما سميت الحبوب قطنية لأن مخارجها من الأرض مثل مخارج الثياب القطنية ، ويقال لأنها تزرع كلها فى الصيف وتدرك فى آخر وقت الحر . والقطن المعروف لنا يزرع فى الشتاء لا فى الصيف وإن كان يدرك فى نهاية الحر .

وقد صحف (أبو رجاء) هذا البيت فقال (كأن على خرطومه) مع أن الأصول كلها مجمعة على رواية (وأن) مع أن الواو لا تشتبه بالكاف فهى ولاريب زلة قلم .

« وهاجته » أثارته وحركته ، و « الأكف » جمع كف ، وهى الجارحة المعروفة ، و « النوازف » جمع نازفة وهى التى تقطر دماً ويسيل الدم منها ، أو الأكف الضعيفة المصفرة اللون من كثرة ما سكبت منها الدماء الغزيرة ، ويعنى بهذا أن أباه قوى شديد البأس والذين حوله ضعاف عاجزون ، أو أن حوادث الدهر ونوائبه أشبه بالهباء الذى لا شأن له ولا خطر .

« وللصدأ المسود ... البيت » الصدأ يكون للمعادن نتيجة لتفاعل أوكسيجين الهواء بالمعادن وإذا أطلق صرف إلى الحديد، ولكنه هنا يعنى به الدم المتجمد على الأجسام أو السيوف من مقارعة الأبطال ، وملاقاة الشجعان ، فإن الدم أحمر وإذا جمد اسودّ ومال لونه إلى السواد ، فلذا صح

... ...

نعته بالصدأ الأسود « والدّوف » الخلط يقال داف الشئ دوفاً وأدافه خلطه ، وإنما يستعمل هذا كثيراً فى الدواء والطيب ، يقال مسك مدوف ومدووف « والأكف الدوائف » الأيدى التى تخلطه ، والمعنى أنه مستطاب . و (أبو رجاء) انفرد برواية عجز هذا البيت هكذا : دافته الأكف النوادف . وقد عمى عليه الأمر واختلط فأكمل هذا البيت من الذى قبله ، ولم يراجع عمله .

وقوله « تعلق فى مثل السوارى سيوفنا فما بينها والكعب . . . » البيت ، وهو البيت المستشهد به .

اللغة : السوارى ، جمع سارية من حجر أو آجر وهى الأسطوانة العظيمة ، وإنما عنى بها أعناق الرجال ، والغوط بضم الغين جمع غوط بفتح الغين لغة فى الغائط ويجمع على أغواط وغيطان أيضاً مثل ثور وثيران ، وقد يجمع على غائط مثل جان وجنان ، وأما غائط وغوط فهومثل شارف وشرف ، قال صاحب اللسان وشاهد الغوط بفتح الغين قول الشاعر *ومابينها والأرض غوط نفانف* ويقال للأرض الواسعة الوعرة غائط ، وللمطمئن من الأرض غائط ، ولموضع قضاء الحاجة غائط ، لأن العادة أن يقضى الإنسان حاجته فى الموضع المنخفض حيث هو أستر له ، ثم توسع فيه ، حتى صار يطلق على النجو نفسه . والغيطان من بواطن الأرض : كل ما انحدر منها . ويروى غول بدل غوط وهو بمعنى البعد .

« والكعب » كل مفصل للعظام ، وكعب الإنسان ما أشرف فوق رسغه عند قدمه ، وقيل هو العظم الناشز فوق القدم ، قال ابن الأثير : الكعبان العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم عند الجنبين ، وهو من الفرس مابين الوظيفين والساقين ، وقيل مابين عظم الوظيف وعظم الساق وهو الناتئ من خلفه ، ويجمع على أكعب وكعوب وكعاب ، ورواية اللسان « وما بينها والأرض » بدل والكعب ، قال الشيخ الصبان « ومراده بالكعب كعب حامل تلك السيوف هكذا يظهر » .

« والنفانف » جمع النفنف ، وهو الهواء بين الشيئين ، وكل شئ بينه وبين الأرض مهوى فهو نفنف ، قال ذو الرمة :

تَرَى قُرْطَهَا مِنْ حُرَّةِ اللِّيتِ مُشْرِفاً عَلَى هَلَكٍ فِى نَفْنَفٍ يَتَطَوَّحُ

ويروى واضح الليت ، والنفنف مهواة بين جبلين ، والمفازة ، قال صاحب اللسان : النفانف لا تنبت شيئاً ، لأنها خشنة بعيدة من الأرض ، ومن ذلك تكون النفانف اسماً للهواء بين الشيئين ولنفس الأرض التى لاتنبت شيئاً ، وربما كان ذلك من باب التشبيه ، شبه الأرض التى لاتنبت شيئاً ، بالهواء الذى لاينبت شيئاً .

وقال ابن الأعرابى : النفنف ما بين أعلى الحائط إلى أسفل وبين السماء والأرض وأعلى البئر إلى أسفل .

... ...

وقد روى صاحب الحيوان « وما بينها والكعب منا تنائف » والتنائف جمع تنوفة ، وهى القفر من الأرض وأصل بنائها التنف وهى المفازة ، وقيل التنوفة من الأرض المتباعدة ما بين الأطراف ، وقيل التنوفة التى لاماء بها من الفلوات ولا أنيس وإن كانت معشبة ، وقيل التنوفة البعيدة وفيها مجتمع كلأ ولكن لايقدر على رعيه لبعدها ، والمعنى على الروايتين واحد ، لأن النفانف كالتنائف .

المعنى : يصف الشاعر فى هذا البيت قومه ونفسه بالطول والسموّ والعظم والشجاعة ، يعنى أن الرجل منهم لطوله وضخامته كالسارية ، وإذا وضع السيف بحمائله على عاتقه فكأنما علقه على سارية ، وذلك لفرط ضخامة أجسامهم ، وبين السيف وكعب الرجل مكان سحيق بعيد ، وقال ابن الأنبارى « يعنى أن قومه طوال وأن السيف على الرجل منهم كأنه على سارية من طوله ، وبين السيف وكعب الرجل منهم غائط وهو المكان المطمئن من الأرض ، ونفانف واسعة أى بين السيف والكعب مسافة » اهـ والشاعر يريد أن يصف قامات قومه بالطول والضخامة المستلزمة للقوة ، وكأنه يريد ضمنياً أن يقول إن السيوف تبدوا قصيرة بالنسبة إلى أجسامهم ، فيرى ما بينها وبين كعب حاملها أو الأرض التى يمشى عليها حامل السيف بعد ساحق كالمهواة بين الجبلين .

الإعراب : نعلق بنون المتكلم للعظم نفسه أو معه غيره مبنياً للفاعل ، فعل مضارع والفاعل تقديره نحن ، و « سيوفنا » بالنصب على المفعولية ، وروى « تعلق » بتاء التأنيث على صيغة المبنى للمجهول ، و « سيوفنا » بالرفع نائب الفاعل ، و « فى مثل السوارى » جار ومجرور متعلق بنعلق أو بتعلق ، صفة لمحذوف أى فى قامات هى مثل السوارى طولا ، « وما » الواو فيها للحال ، و «ما» مبتدأ ، و «بينها» ظرف مكان ، والضمير عائد على السيوف السابق الكلام عليها ، «والأرض» أو « والكعب » على إحدى الروايتين مجرور بالعطف على الضمير المخفوض فى بينها ، وتقدير الكلام وما بينها أى وما بين السيوف وبين الكعب أو بين الأرض غوط الخ . و « غوط » خبر المبتدأ ، والجملة من المبتدأ وخبره فى موضع نصب على الحال ، و « نفانف » صفة لغوط .

الشاهد فيه : فى قوله وما بينها والكعب ، أو الأرض فى الرواية الأخرى حيث عطف الاسم الظاهر المجرور الذى هو الكعب أو الأرض ، بالواو على الضمير المجرور وهو الهاء فى قوله « وما بينها » من غير إعادة العامل فى المعطوف عليه مع المعطوف وهو لفظ « بين » حذفه وأبقى عمله لتقدم ذكره . ولو أنه أعاده لقال : وما بينها وبين الكعب ، وفى هذه المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين ، فالكوفيون ذهبوا إلى أنه يجوز العطف على الضمير المخفوض ، وذلك نحو قولك : مررت بك وزيد ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

... ...

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنه لا يجوز أنه قد جاء ذلك فى التنزيل وكلام العرب. قال الله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » بالخفض وبتخفيف السين فى تساءلون ، وقد وجدتها فى الكامل للمبرد مضبوطة بالتشديد ، ونص الشيخ الصبان على أنها بالتخفيف وهى قراءة حمزة الزيات وهو أحد القراء السبعة ، وقراءة قتادة ، وإبراهيم النخعى ، ويحيى بن وثاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش ، ورواية الأصفهانى والحلبى عن عبد الوارث ، كما قرره ابن الأنبارى.

واحتجوا أيضاً بقول الله تعالى « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فيهن ، وما يُتْلَى عليكم » فما فى موضع خفض لأنه عطف على الضمير المخفوض فى « فيهن » .

وكذلك احتجوا بقول الله تعالى : « لكن الرّاسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة » فالمقيمين فى موضع خفض بالعطف على الكاف فى إليك ، والتقدير فيه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة ، يعنى من الأنبياء عليهم السلام . ويجوز أيضاً أن يكون عطفاً على الكاف فى « قبلك » والتقدير فيه : ومن قبل المقيمين بالصلاة ، يعنى من أمتك .

واحتجوا أيضاً بقول الله تعالى « وصدّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام » فعطف المسجد الحرام على الهاء من « به » .

واحتجوا بقوله تعالى « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » فقوله « من » فى موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض فى « لكم » فدل ذلك على جوازه .

واستدلوا أيضاً بقول الشاعر فى الشاهد قبله : فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ... البيت فالأيام خفض بالعطف على الكاف فى « بك » والتقدير : بك وبالأيام .

وبقول الآخر :

أكرّ على الكتيبة لا أبالى أفيها كان حتفى أم سواها

فعطف « سواها » بأم على الضمير فى « فيها » والتقدير : أم فى سواها .

كما احتجوا بقول الشاعر :

هَلاَّ سَأَلت بذِى الجَمَاجِمِ عَنْهُمُ وَأَبِى نَعَيْمٍ ذِى اللِّوَاءِ المُحْرِقِ

أى وعن أبى نعيم فقد خفض بالعطف على الضمير المخفوض فى عنهم ، وأبو نعيم هو النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، وسمى بالمحرق كمحدث ، لأنه كان يحرّق العرب فى ديارهم وهو فى البيت

... ...

بإسكان الحاء المهملة وتخفيف الراء المكسورة ، لضرورة الشعر، و « ذو الجماجم » موضع والجماجم هي الرءوس وسمى بذلك لأنه كان قد بنى بجماجم القتلى من بنى تميم وذبيان قتلهم بنو عامر في رواية ابن الكلبي . وقال ياقوت : هي رواية بعيدة عن الصواب ، لأن هذا المكان بظاهر الكوفة ووقعة بنى عامر وبنى تميم وذبيان كانت بشعب جبلة وهو بأرض نجد وليس بالكوفة ، ولعل الصواب ما حكاه البلاذرى عن ابن الكلبي : أن بلالا الرماح بن محرز الإيادى قتل قوماً من الفرس ونصب رءوسهم عند ذى الجماجم أو دير الجماجم .

قال ابن الأنبارى فهذه الآيات والشواهد كلها أدلة على جوازه .

وأما البصريون ، فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه لا يجوز وذلك لأن الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد فإذا عطفت على الضمير المجرور والضمير إذا كان مجروراً اتصل بالجار ولم ينفصل منه ، ولهذا لا يكون إلا متصلا بخلاف ضمير المرفوع والمنصوب ، فكأنك قد عطفت الاسم على الحرف الجار ، وعطف الاسم على الحرف لا يجوز .

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما قلنا ذلك لأن الضمير قد صار عوضاً عن التنوين ، فينبغى أن لا يجوز العطف عليه ، كما لا يجوز العطف على التنوين ، والدليل على استوائهما أنهم يقولون « يا غلامِ » فيحذفون الياء كما يحذفون التنوين ، وإنما اشتبها لأنهما على حرف واحد ، وأنهما يكملان الاسم ، وأنهما لا يفصل بينهما وبينه بالظرف ، وليس كذلك الاسم المظهر .

ومنهم من تمسك بأن قال : أجمعنا على أنه لا يجوز عطف المضمر المجرور على المظهر المجرور ، فلا يجوز أن يقال « مررت بزيدٍ وكَ » فكذلك ينبغى أن لا يجوز عطف المظهر المجرور على المضمر المجرور ، فلا يقال « مررت بك وزيدٍ » لأن الأسماء مشتركة في العطف ، فكما لا يجوز أن يكون معطوفاً لا يجوز أن يكون معطوفاً عليه ، والمعتمد من هذه الأدلة هو الدليل الأول .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : فهو أن احتجاجهم بقوله تعالى « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » لا حجة لهم فيه من وجهين :

أحدهما : أن قوله « والأرحام » ليس مجروراً بالعطف على الضمير المجرور ، وإنما هو مجرور بالقسم ، وجواب القسم قوله « إن الله كان عليكم رقيباً » .

والوجه الثانى : أن قوله « والأرحام » مجرور بباء مقدرة غير ملفوظ بها ، وتقديره : وبالأرحام ، فحذفت لدلالة الأولى عليها ، وله شواهد كثيرة في كلامهم ، من ذلك قول العرب : ما كل بيضاء شحمة ولا سوداء تمرة ، يريدون ولا كل سوداء فيحذفون كل الثانية لدلالة الأولى عليها .

... ...

وأما قوله « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم » فلا حجة لهم فيه أيضاً من وجهين :

أحدهما : أنا لا نسلم أنه فى موضع جر ، وإنما هو فى موضع رفع بالعطف على « الله » ، والتقدير فيه : الله يفتيكم فيهن ويفتيكم فيهن ما يتلى عليكم ، وهو القرآن وهو أوجه الوجهين .

والثانى : أنا نسلم أنه فى موضع جر ، ولكن العطف على النساء من قوله « ويستفتونك فى النساء » لا على الضمير المجرور فى « فيهن » .

وأما قوله « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين » فلا حجة لهم فيه أيضاً من وجهين :

أحدهما : أنا لا نسلم أنه فى موضع جر ، وإنما هو فى موضع نصب على المدح بتقدير فعل وتقديره : أعنى المقيمين ، وذلك لأن العرب تنصب على المدح عند تكرر العطف والوصف ، وقد تستأنف فترفع ، قال الله تعالى « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء » فرفع الموفون على الاستئناف ــ فكأنه قال : وهم الموفون بعهدهم إذا عاهدوا . ونصب « الصابرين » على المدح ، فكأنه قال : أذكر الصابرين .

ثم استشهدوا بقول الخرنق امرأة من العرب ، وهى أخت طرفة بن العبد البكرى لأمه :

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ ... سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزُرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزُرِ

فنصبت « الطيبين » على المدح ، فكأنها قالت : أعنى الطيبين ، ويروى أيضاً « الطيبون » بالرفع أى وهم الطيبون .

واستشهدوا أيضاً بقول الشاعر :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الهما ... م وليث الكتيبة فى المُزْدَحَمْ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَغُمُّ الأمو ... رُ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللُّجُمْ

فنصب « ذا الرأى » على المدح ، فكذلك ههنا .

وقال الشاعر الآخر :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم ... إلا نميراً أطاعت أمر غاويها
الظاعنين ولمّا يُظْعِنُوا أحداً ... والقائلون لمن دار نُخَلِّيهَا

وهو كثير فى الشعر ، ومن النثر قراءة ابن عباس والحسن وغيرهما « تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ » وحكاية قطرب « ما فيها غيره وفرسه » .

قيل : ومنه « وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » إذ ليس العطف على السبيل لأنه صلة المصدر وقد عطف عليه كفر . ولا يعطف على المصدر حتى تكمل معمولاته .

فرفع « القائلون » على الاستئناف ، ولك أن ترفعهما جميعاً ، ولك أن تنصبهما جميعاً ، ولك أن تنصب الأول وترفع الثانى ـ كما هى الرواية هنا ـ ولك أن تعكس فترفع الأول وتنصب الثانى لاخلاف فى ذلك بين النحويين .

والوجه الثانى : أنا نسلم أنه فى موضع جر ، ولكن بالعطف على « ما » من قوله « بما أنزل إليك » فكأنه قال يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين . قال ابن الانبارى رحمه الله تعالى : على أنه قد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عن هذا الموضع فقالت « هذا خطأ من الكاتب » .

وروى عن بعض ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه سئل عنه فقال : إن الكاتب لما كتب « وما أنزل من قبلك » قال : ما أكتب ؟ فقيل له : اكتب « والمقيمين الصلاة » يعنى أن الممل أعمل قوله : اكتب فى «المقيمين» على أن الكاتب يكتبها بالواو كما كتب ما قبلها ، فكتبها على لفظ الممل .

وأما قوله تعالى : « وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام » فلا حجة لهم فيه أيضاً لأن « المسجد الحرام » مجرور بالعطف على « سبيل الله » لا بالعطف على « به » والتقدير فيه : وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، لأن إضافة الصد عنه أكثر فى الاستعمال من إضافة الكفر به ، ألا ترى أنهم يقولون : صددته عن المسجد ، ولا يكادون يقولون : كفرت بالمسجد .

وأما قوله تعالى : « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » فلا حجة فيه أيضاً ، لأن « من » فى موضع نصب بالعطف على « معايش » أى جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد والإماء .

ثم ردوا على استشهادهم بقول الشاعر ، وقد مر الاستشهاد به فيما سبق : « فاذهب فما بك والأيام من عجب » .

وقالوا إنه لاحجة فيها أيضاً لأنه مجرور على القسم لا بالعطف على الكاف فى « بك » .

وأما قول الآخر : أفيها حتفى أم سواها ، نفى موضع نصب على الظرف ، وليس مجروراً على العطف ، لأن سوى لاتقع إلا منصوبة على الظرف .

وأما قول الآخر : وما بينها والكعب غوط نفانف : فلا حجة فيه أيضاً لأنه ليس مجروراً على ما ذكروا ، وإنما هو مجرور على تقدير تكرير « بين » مرة أخرى فكأنه قال : وما بينها وبين الكعب ، فحذف الثانية لدلالة الأولى عليها ، كما تقول العرب « ما كل بيضاء شحمة ولاسوداء تمرة » .

... ...

وقول الشاعر : أكل امرئ تحسبين امرءاً ونار توقد بالليل نارا

أراد وكل نار ، فاستغنى عن تكرير « كل » وهذا كثير فى كلامهم ، قال ابن الأنبارى : وهذا يبطل قول من توهم منهم أن ياء النسب فى قولهم « رأيت التيمى تيم عدى » اسم فى موضع خفض ، لأنه أبدل منها « تيم عدى » فخفضه على البدل ، لأن التقدير فيه : صاحب تيم عدى ، فحذف صاحب وجر ما بعده بالإضافة ، وهذا هو الجواب عن قول الآخر :

* وأبى نعيم ذى اللواء المحرق *

ثم لو حمل ما أنشدوه من الأبيات على ما ادعوه لكان من الشاذ الذى لايقاس عليه .

أما العطف على الضمير المرفوع المتصل فى اختيار الكلام ، فقد ذهب الكوفيون إلى جواز قولك « قمت وزيد » وأما البصريون فذهبوا إلى أن ذلك لايجوز إلاعلى قبح فى ضرورة الشعر ، وأجمعوا على أنه إذا كان هناك توكيد أو فصل ، فإنه يجوز معه العطف من غير قبح .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل أنه قد جاء ذلك فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : « ذو مرّة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » فعطف « هو » على الضمير المستكن فى استوى ؛ والمعنى : فاستوى جبريل ومحمد بالأفق وهو مطلع الشمس فدل على جوازه . واستدلوا بقول الشاعر : قلت إذ أقبلت وزهر البيت فعطف زهر على الضمير المرفوع فى أقبلت .

واستدلوا بقول الشاعر وهو جرير : ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ... البيت ، فعطف « وأب » على الضمير المرفوع فى « يكن » فدل على جوازه كالعطف على الضمير المنصوب المتصل .

أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنه لايجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل ، وذلك لأنه لايخلو إما أن يكون مقدراً فى الفعل أو ملفوظاً به ، فإن كان مقدراً فيه نحو « قام وزيد » فكأنه قد عطف اسماً على فعل ؛ وإن كان ملفوظاً به نحو « قمت وزيد » فالتاء تنزل بمنزلة الجزء من الفعل ، فلو جوزنا العطف عليه لكان أيضاً بمنزلة عطف الاسم على الفعل وذلك لايجوز .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين ، أما احتجاجهم بقوله تعالى : « فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » فالواو فيه واو الحال لاواو العطف ، والمراد به جبريل وحده ؛ والمعنى أن جبريل وحده استوى بالقوة فى حالة كونه بالأفق . وقيل فاستوى على صورته التى خلق عليها فى حالة كونه بالأفق ، وإنما كان قبل ذلك يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل .

وأما ما أنشدوه من قول عمر بن أبى ربيعة : قلت إذ أقبلت وزهر البيت ، وقول الآخر : مالم يكن وأب له لينالا . فمن الشاذ الذى لايؤخذ به ولا يقاس عليه ؛ على أنا نقول إنما جاء ههنا لضرورة الشعر ، والعطف على الضمير المرفوع المتصل فى ضرورة الشعر عندنا جائز فلا يكون لكم فيه حجة .

... ...

وأما تشبيههم له بالضمير المنصوب المتصل فلا وجه له بحال ، لأن الضمير المنصوب المتصل وإن كان فى اللفظ فى صورة الاتصال ، فهو فى النية فى تقدير الانفصال ، بخلاف الضمير المرفوع المتصل لأنه فى اللفظ والتقدير بصفة الاتصال فبان الفرق بينهما .

واعلم أنه يعطف بعض الأسماء على بعض فيعطف الظاهر على الظاهر والمضمر والمتصل والمنفصل ، والمضمر المتصل على مثاله وعلى المتصل والظاهر سواء صلح المعطوف لمباشرة العامل أم لا ؟ فيجوز : قام زيد وأنا ، وقمت أنا وزيد ، ورب رجل وأخيه .

قال أبو حيان : ووهم الأبدى فى منع عطف الضمير المنفصل على الظاهر ، لأن كلام العرب على جوازه ، ومنه قوله تعالى : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم » .

ولا يعطف على ضمير رفع متصل اختياراً إلا بعد الفصل بفاصل ما ضميراً منفصلا أو غيره ، نحو « كنتم أنتم وآباؤكم » ، « يدخلونها ومن صلح » ، « ما أشركنا ولا آباؤنا » فصل فى الأول بالضمير المذكور ، وفى الثانى بالمفعول ، وفى الثالث بلا ، وقوله « لقد نلت عبد الله وابنك غاية » . فصل بالنداء — وقوله : سئلت رعياً وقوماً كنت راجيهم ، فصل بالتمييز .
قال أبو حيان ولا يكفى الفصل بكاف رويدك بل لابد من التأكيد ، نحو « رويدك أنت وزيداً » .

هذا ، ولنعد إلى شرح بقية الأبيات فى قصيدة مسكين الدارمى المستشهد بأحد أبياتها ، لنبين معانيها الغامضة بياناً إجمالياً ، والله المستعان .

فقوله بعد بيت الشاهد « ويضحك عرفانُ الدروع جلودنا » البيت ، قد رواه الجاحظ « ويصبح عرفان الدروع » ، وقد ضبطه « أبو رجاء » ويضحك بصيغة المضارع المبنى المعلوم ، ورفع الجلود على أنه فاعل ، ونصب عرفان على المفعولية ، ولو كان كذلك لقال « وتضحك » لا « ويضحك » رعاية للمطابقة بين الفعل والفاعل ، إذ الجلود مؤنثة ، ويكون المعنى عليه أيضاً « وتضحك جلودنا لعرفان الدروع » وتبقى الجملة محتاجة إلى تتمة تبين جهة المعرفة التى للدروع ، وفى ذلك أيضاً ما فيه من الفصل بين الفعل والفاعل بغير ضرورة مع تقديم المفعول على الفاعل بلا مسوّغ ، اللهم إلا قلة البصر بالأساليب العربية وعدم الإلمام بتراكيبها ، وبذلك يتضح فساد الضبط الذى ذهب إليه « أبو رجاء » فى هذا البيت ، والضحك معروف ، والعرفان : العلم والمعرفة ، والضحك تصوير لحالة السرور عند الإقبال على الحرب ، والجلود التى تضحك للحرب ضد التى تقشعر فى حالة الضيق والغم بها . والمعنى على ما ذهبت إليه هو أن الشاعر يقول : إنه لكثرة ما لبست أجسامنا الدروع ولازمتها أصبح لكل درع منها معرفة وعلم فتهتدى إلى جسم صاحبه ، للصلة الوثيقة بينه وبين جلده ، حتى إن الدروع التى لا تبصر ولا تحس ولا تشعر تعرف جلود تلك الأجسام لا فى اليوم المضىء بشمسه ، بل فى اليوم المظلم القاتم الكاسف اللون ، وإن معرفة الدروع لجلودنا على هذه الصفة لتثير عجبنا ، فنضحك إعجاباً بها وسروراً بالحرب ؛ وفيه أيضاً مقابلة بين ضحك جلود الرجال

... ...

الحاربين وعبوس الجو وظلمته حين القتال ، وضحك الجلود أثناء إقبالها على الحرب فى مثل ذلك اليوم دليل على الشجاعة والقوة ، وهذا البيت شبيه بقول الفرزدق فى الشعر المنسوب إليه يمدح به الإمام علياً زين العابدين رضى الله عنه :

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ   رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جاءَ يَسْتَلِمُ

وقوله « وأنا أناس يملأ البيض هامنا » البيت ، هو معطوف على قوله فى أول القصيدة : « لقد علمت » والبيض جمع البيضة وهى الخوذة من الحديد تتخذ فى الحرب لباساً وغطاء للرأس تقيه النبال والنصال والسيوف فى القتال ، والهام جمع الهامة ، وهى الرأس ، وقيل الهامة ما بين حرفى الرأس ، وقيل هى وسط الرأس ومعظمه من كل شىء ، وقيل من ذوات الأرواح خاصة ، وقيل الهامة أعلى الرأس وفيه الناصية والقصّة وهما ما أقبل على الجبهة من شعر الرأس . يصف هامات قومه ورءوسهم بالعظم ، وهو دليل القوّة وآية الشجاعة ، فليست رءوسهم صغيرة ، ويلزم منه ألاّ تكون أجسامهم نحيفة ، ولا أبدانهم ضاوية ضعيفة ، وقد فهمه « أبو رجاء » على وجه آخر ، فضبطه بضم البيض على أنه فاعل يملأ ونصب الهام على أنها مفعول يملأ ، ولعلها سقطة أو زلة من سقطات القلم وجلّ من لا يسهو ، والدليل على ذلك أنه نسى كلمة « يملأ » من البيت فلم يكتبها ، نسأل الله العصمة من زلل القلم ، وخطل اللسان ، ومن الخوض فى مالا نحسن .

وقوله « نحن حواريون حين نزاحف » الحواريون جمع الحوارى ، وهم فى الأصل خلصاء عيسى عليه السلام ، وسموا حواريين لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ، والحوارىّ البياض والقصارون الذين يحورون الثياب ويبيضونها ، ثم غلب على كل مناصر وحميم ، وقال بعضهم : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد أخلصوا لهم ، وفى الحديث « الزبير ابن عمتى وحوارىّ من أمتى » أى خاصتى من أصحابى وناصرى ، وأصحاب النبى حواريون ، والحواريون فى اللغة الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب ، وكذلك الحُوّارَى من الدقيق ، سمى به لأنه ينقى من لباب البرّ ، وتأويله فى الناس الذى قد روجع فى اختياره مرة بعد مرة فوجد نقياً من العيوب .

وأصل التحوير فى اللغة : من حار يحور ، وهو الرجوع ، وقول الشاعر : ونحن حواريون ، أى مخلصون مبالغون فى نصر بعضنا لبعض ، وعند لقاء العدو كأصحاب عيسى عليه السلام ، و « نزاحف » من زحف إذا مشى ، زحف إليه يزحف زحفاً وزحوفاً وزحفاناً مشى ، ويقال زحف الدّبى إذا مشى قدماً ، والزحف الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة ، وفى الحديث : « اللهم اغفر له وإن كان فر من الزحف » أى فر من الجهاد ولقاء العدو فى الحرب ، وفى القرآن : (إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار) أى زاحفين وهو أن يزحفوا إليهم قليلا قليلا ، والمعنى أننا كلنا مخلصون أشداء أقوياء فى حربنا مع الأعداء ، قلوبنا جميعاً كأنها على قلب رجل واحد ، كأننا بنيان مرصوص ، قد نقينا وجربنا ووقع علينا الاختيار .

... ...

قوله « بكل رُدينى كأن كعوبه ... البيت » الرديني . قال الجوهرى : زعموا أنه منسوب إلى امرأة السمهرى تسمى ردينة ، وكانت هى وزوجها يقومان الرماح بخط هجر ، اهـ .

وفى اللسان : الردن أصل الكم ، يقال قميص واسع الردن ، وفيه أيضاً : ردنت المتاع ردناً نضدته ، والردن صوت وقع السلاح بعضه على بعض ، فلعل الردينيات سميت بذلك إما لصوتها أو لأنها كانت تنضد أو توضع فى جراب أشبه بكم القميص ، أما أنه منسوب إلى امرأة السمهرى ردينة وأن السمهرى سيف منسوب إلى زوج ردينة فكلام أشبه بالخرافات والأساطير ، ورحم الله الجوهرى فإن تعبيره بزعموا يفهم منه أن مكذوب مفترى ، و « كعوبها » جمع كعب وهو من القناة أنبوبها ، وما بين كل عقدتين منها كعب ، وكل شىء علا وارتفع فهو كعب .

و « القطا » طائر معروف سمى بذلك لثقل مشيه ، واحدته قطاة ، والجمع قطوات وقطيات ، وسميت بذلك إما من مشيها ، لأن القطو تقارب الخطو من النشاط ، وقيل سميت بذلك من صوتها لأنه يشبه أن يكون قطا قطا ، و « السابق » المتقدم على غيره فى الجرى وفى كل شىء ، وهو من السبق وسابقه مسابقة وسباقاً ، والعرب تقول للذى يسبق من الخيل سابق وسبوق . وإذا كان يسبق فهو مسبق ، وفى الحديث : « أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة ، وسلمان سابق الفرس » — يعنى إلى الإسلام — وقوله « مستورد الماء » يريد الجماعة من الطير ترد مناهل المياه ومواردها ، والموردة : الطريق إلى الماء ، وموارد القطا تخالف موارد الإبل ، قال الشاعر :

* فأوْرَادُ القَطَا سَهْلَ البِطَاحِ *

كذا ضبطه فى اللسان بنصب سهل ، وإنما انتصب على الظرفية أو على نزع الخافض ، يعنى إنما تريد القطا المياه التى فى سهول البطاح ، وسابق وصف للقطا ومعطوف عليه .

« والصائف » من صاف القوم أى أقاموا فى زمن الصيف بموضع فهم صائفون ، ويوصف به اليوم والمطر والقيظ ، فيقال : يوم صائف ومطر صائف ، وقيظ صائف ، قال الجوهرى وهو توكيد له كما يقال ليل لائل وهمج هامج . يصف جماعة القطا بذلك لورودها الماء فى زمن الصيف فهى لشدة ظمئها تسرع نحو الماء ، وهو على هذا وصف للقطا ، ويجوز أن يكون الصائف نعتاً « لمستورد الماء » والصائف هو المعوج من مجارى الماء ، وأصله من صاف أى عدل كالمضيق من ضاق ، وصاف الفحل عن طروقته عدل عن ضرابها ويكون مستورد الماء الصائف تشبيهاً ثانياً للسيوف الردينية فى بياضها واعوجاجها ، بعد تشبيهها « بالقطا السابق » فى سرعة تهاويها وشدة حركتها فى أيدى أصحابها حال الحرب ومضاربة الأعداء ونزولها على رؤوسهم . ويجوز أن يكون « صائف » اسم موضع ويكون خبراً والمبتدأ قوله « مستورد الماء » ومستورد بفتح الراء اسم مفعول من ورد الماء ، على حذف واو الحال ، والتقدير ومستورد الماء صائف أى المكان المسمى بصائف .

... ...

وقوله « كأن هلالا لاح فوق قناته » الهلال معروف تشبيه ثالث للسيف الرديني وما يرسمه في حركته من اليمين إلى اليسار فإنه يرسم نصف دائرة لامعة بيضاء تشبه الهلال في بياضه ولمعانه واستدارته ؛ يقول كأنه يرسم هلالا مضيئاً يشرق ويلوح فيبدد الغيم والسحب القاتمة ، والحراجف الرياح الباردة ، يقال ريح حرجف أي باردة ، قال الفرزدق :

إذا اغبرّ آفاقُ السماء وهتكت ... ستورَ بيوتِ الحيِّ نكباء حَرْجَفُ

وإنما جلت الحراجف الغيم عنـه والقتام ، لأن الليالي الباردة لا يكون فيها غيم ولا غبار ، وإنمـا يكون أديم السماء فيها صافياً .

وقوله « له مثل حلقوم النعامة حلة » الحلقوم كالحلق وهو مساغ الطعام والشراب في المريء ، وهو عند الخليل فعلوم ، وعند غيره فعلول ، قال ابن سيده : الحلقوم مجرى النفس والسعال من الجوف وهو أطباق غضاريف ليس دونه من ظاهر باطن العنق إلا جلد وطرفه الأسفل في الرئة وطرفه الأعلى في أصل عكدة اللسان ، ومنه مخرج النفس والريح والبصاق والصوت ، وجمعه حلاقم وحلاقيم ؛ و « النعامة » طائر معروف تكون للذكر والأنثى ، والجمع نعامات ونعائم ونعام ؛ وقد يقع النعام على الواحد ؛ قال أبو كندة :

وَلّى نَعَامُ بني صفوان زَوْزَأَةً ... لَمَّا رَأى أسداً بالغاب قَدْ وَثَبَا

والنعام أيضاً بغير هاء الذكر منها الظليم والنعامة الأنثى ، يصف السيف بأن له جراباً يتحلى به كمثل حلقوم النعامة في الطول والاستقامة والشدة مع الضيق ، وربما قصد أنه مزركش أيضاً كما هو الحال في حلقوم النعامة .

وإنما شبهه بحلقوم النعامة لأن حلقها ضيق ، ومن أمثالهم : « نزلنا في مثل حلقوم النعامة » . قال صاحب اللسان إنما يريدون به الضيق والشدة .

وقوله « ومثل القدامى ساقها متناصف » القدامى : قال ابن بري تكون واحداً كشكاعى وتكون جمعاً كسكارى ، والقوادم ريش الطائر ضد خوافيها الواحدة قادمة وخافية ، وقال ابن سيده : والقوادم أربع ريشات في مقدم الجناح ، الواحدة قادمة وهي القدامى والمناكب اللواتي بعدهن إلى أسفل الجناح ، والخوافي ما بعد المناكب ، والأباهر من بعد الخوافي ، وقيل قوادم الطير مقاديم ريشه ، وهي عشر في كل جناح ، وقال ابن الأنباري قدام الريش المقدم ، قال رؤبة :

خُلِقْتُ مِنْ جَنَاحِكَ الْغُدَافِي ... مِنَ الْقُدَامَى لا مِنَ الْخَوَافِي

ومن أمثالهم : ما جعل القوادم كالخوافي ، يشبه ما فوق القبض من السيف ودون القائم بقادمتي الطير في التساوي ، و « الساق » تكون للشجر وللدواب والطير والناس ، وهي من الإنسان ما بين الركبة والقدم ، ومن الخيل والبغال والحمير والإبل ما فوق الوظيف ، ومن البقر والغنم والظباء ما فوق الكراع ، قال :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ... ولكن عظم الساق منك رقيق

... ...

« والمتناصف » هو من التناصف وهو الاستواء فى الصفات ، قال ابن هرمة :

مَنْ ذَا رَسُولٌ نَاصِحٌ فَمُبَلِّغٌ عَنِّى عُلَيَّةَ غَيْرَ قِيلِ الْكَاذِبِ

أَنِّى غَرِضْتُ إِلَى تناصُف وَجْهِهَا غَرَضَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَائِبِ

غرضت أى اشتقت ، وقيل معناه خدمة وجهها بالنظر إليه ، وقيل إلى محاسنه التى تقسمت الحسن فتناصفته أى أنصف بعضها بعضاً فاستوت فيه ، وقال ابن الأعرابى تناصف وجهها محاسنها أى أنها كلها حسنة ينصف بعضها بعضاً ، يريد أن أعضاءها متساوية فى الجمال والحسن ، فكأن بعضها أنصف بعضاً فتناصف ، وهو فى شعر مسكين بمعنى التساوى ، قال الجاحظ : كل ذى رجلين وكل ذى أربع إذا اندقت إحدى قائمتيه أو إحدى قوائمه ظلع وتحامل ومشى مشياً إذا استكره نفسه واحتاج أن يستعين بالصحيحة فعل إلا النعامة ، فإنها متى انكسرت إحدى رجليها عمدت إلى السقوط وفقدان الاستقامة بالصحيحة وعدم القرب بها إلى مادنا من بعض الحاجة ، وليس فى الأرض ذو أربع ولا ذو رجلين كذلك .

وأنشد بعض الأعراب يخاطب امرأته :

قِفِى لاَ تَزِلِّى زَلَّةً لَيْسَ بَعْدَهَا جُبُورٌ وَزَلاَّتُ النِّسَاءِ كَثِيرُ

أُدِخْيَةَ عَنِّى تَطْرُدِينَ ، تَبَدَّدتْ بِلَحْمِكِ طَيْرٌ طِرْنَ كُلَّ مَطِيرِ

وَإِنِّى وَإِيَّاهُ كَرِجْلَىْ نَعَامَةٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ غِنًى وَفَقِيرِ

وكانت امرأته تجفو أخاه دحية وتطرده ، فأخبر أنه وأخاه كرجلى نعامة إن أصاب إحداهما شئ بطلت الأخرى . والمعنى على هذا : ومثل القدامى ساقاها متناصفان ، وربما كان متناصف من النصف أى يصف الساق بالقصر يقال للفرس : له ساقا نعامة وذلك لقصر ساقها ، كما قال امرؤ القيس :

* وَفَخْذُ ظَبْىٍ فَوْقَ سَاقِ نَعَامَة *

وقال الآخر :

لَهُ سَاقُ ظَلِيمٍ خَا ضِبٍ فُوجِئَ بِالذُّعْرِ

هكذا روى فى اللسان وهو خطأ من عدة وجوه تتضح لك فيما يأتى ، والبيت أورده ابن السيد البطليوسى فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، وهو :

لَهَا سَاقَا ظَلِيمٍ خَا ضِبٍ فُوجِئَ بالرعب

... ...

قال كذا رواه ابن قتيبة بتأنيث الضمير فى لها ، وكذلك رواه ابن السيد عن أبى نصر عن أبى على البغدادى ، قال وهو غلط من ابن قتيبة أو من الراوى عنه والصواب له لأن قبله :

وَقَدْ أَغْدُو بِطِرْفٍ هَيْـ كَلٍ ذِي مَيْعَةٍ سَكْبِ
مِسَحٍّ لَا يُوَارِى الصَّيْـ دُ مِنْهُ عَصِرِ اللَّهَبِ
لهُ ساقا ظلـيم . . . . البيت وبعده
وقصرى شنج الانسا ء نباح من الشعب

وقوله « له ساقا ظليم » تشبيه لساقيه فى قصرها بساقى الظليم ، وهو ذكر النعام ، والخاضب هو الذى أكل الربيع فاحمر ظنبوباه ، وأطراف ريشه ، والذى اخضرت له الأرض بالنبات ، أو الذى اغتلم فاحمرت ساقاه (٣٣٥ الاقتضاب) .

الشاهد فيه : والشاهد فيه قوله « فما بينها والكعب » فإنه عطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجر ، والتقدير : وما بينها وبين الكعب ، إلا أنه حذف الظرف لتقدم ذكره وبقى عمله . وهذا البيت أنشده الفراء ، ولم يعزه إلى أحد ، وقال الجاحظ فى كتاب الحيوان هو لمسكين الدارمى وقد اعتمدت على روايته .

والذى حكاه قطرب سماعه من العرب المحتج بأقوالهم ، وخفض الأرحام فى قراءة الحسن البصرى وابن عباس وغيرهم وهو حمزة من السبعة بالعطف على الهاء المخفوضة بالباء ، والتقدير : تساءلون به وبالأرحام . ونقل الدنوشرى والصبان أن حمزة يقرأ : تساءلون بالتخفيف ، وكذلك قال الدنوشرى ثم عقب بالاستفهام ، هل قراءة ابن عباس والحسن البصرى بتخفيف السين كذلك كما يقتضيه صنيع المصنف ، وقد أسلفنا لك القول قريباً فى ذلك ونقلنا إليك مذاهب علماء البصرة وعلماء الكوفة ، وأوردنا حجج كل طائفة بما يروى غلتك إن شاء الله . وفيما يأتى كلام المتأخرين نذكره زيادة فى الإيضاح ، فقد قال الصبان فى هذا الموضع : وأما ما قيل إن الواو فى الآية للقسم لا للعطف فعدول عن الظاهر مع أنه إن كان قسم الطلب فى قوله « واتقوا الله » ، ورد عليه أن قسم السؤال إنما يكون بالباء كما قاله الرضى وغيره ، وإن كان قسم خبر محذوف تقديره : والأرحام إنه لمطلع على ماتفعلون كما قيل زيادة فى التكلف ، هذا فى الآية ، أما قول العرب ما فيها غيره وفرسه فهو بالخفض أيضاً عطفا على الهاء المخفوضة بإضافة غير إليها ، وليس فى القراءة ولا فى الحكاية إعادة خافض لا حرف جر فى الأولى ولا مضاف فى الثانية ، واحتمل أن يكون قوله تعالى : « وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام » فالمسجد الحرام عطف

... ...

على الهاء المخفوضة بالباء ولو أعيدت لقيل وبالمسجد الحرام ، إذ ليس العطف على السبيل المخفوض بعن خلافا للزمخشرى ، فقد نقل التفتازانى أن صاحب الكشاف كتب هنا حاشية حاصلها أن عطف وكفر به على صد عن سبيل الله إنما جاز قبل تمامه بصلته التى من جملتها ، والمسجد الحرام المعطوف على سبيل الله لوجهين :

الأول : أن الكفر بالله والصد عن سبيله متحدان معنى ، فكأنه لافصل بالأجنبى بين سبيل الله وما عطف عليه ، ولأن عطف الكفر على الصد قبل تمامه بمنزلة أن يقال وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام .

الثانى : أن هذا التقديم لفرط العناية ومثله لايعد فصلا ، والأول أوجه .

هذا ومن قواعد النحاة أن لايعطف على المصدر حتى تكمل معمولاته ، لئلا يلزم هنا على تركه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى ، فلو عطف المسجد الحرام على السبيل لكان من جملة معمولات صد ، لأن المعطوف على معمول المصدر من جملة معمولاته ، ومتى كان للمصدر معمولات لايعطف عليه إلا بعد تمامها ، فلما عطف عليه علمنا أنه ليس من جملة معمولاته ، وأنه معطوف على الهاء من به ، إذ ليس معنا سواها وقد انتفى أحدهما فيتعين الآخر . لايقال الحصر ممنوع لجواز أن يكون معمولا لمصدر محذوف والتقدير وصد عن المسجد الحرام ، لأنا نقول المصدر لايعمل محذوفاً عند المحققين ، وإن كان بعضهم نقله عن سيبويه ، قال فى المغنى والصواب أن خفض المسجد بباء محذوفة لدلالة ماقبلها عليها لا بالعطف ومجموع الجار والمجرور عطف على به .

قال الدنوشرى وقول صاحب المغنى الصواب مخالف لقول المصنف « وليس عندى لازماً » لأن قول صاحب المغنى الصواب يقتضى لزوم ذلك ، ثم انظر هلا أورد أنه يلزم حذف الجار مع بقاء عمله وهو شاذ إلا فى مواضع تقدم ذكرها فى حروف الجر ليس هذا أحدها ، قال الصبان « اللهم إلا أن يقال محل المنع إذا حذف غير تال لعاطف مسبوق بمثل الجار » ويجاب بما تقدم « مامررت بصالح لكن طالح » من قوة الدلالة عليه بتقدم ذكره . هذا ، وأورد بعضهم أن ماقاله صاحب المغنى يؤدى إلى تعطيل مسألة العطف على المجرور بدون إعادة الجار إذ تقدير الجار يكون فى كل جزء من جزئياتها كقراءة حمزة . ويجاب بأن الأصل عدم حذف الجار فلا ترتكب إلا عند قوة الداعى كالعطف على المصدر قبل استكماله .

وقال السيوطى : ويعطف بالحرف على معمول معمولى ومعمولات عامل واحد لامعمولات عوامل ثلاثة بإجماع فيهما . فيقال ضرب زيد عمراً وبكر خالدا ، وظن زيد عمرا منطلقا ، وبكر جعفراً مقيما ، وأعلم زيد عمرا بكراً مقيما . وعبدالله جعفراً عاصما راحلا ، ولايقال إن زيداً فى البيت على فراش والقصر نطع عمراً أى وإن فى القصر على نطع عمرا بنيابة الواو عن إن وفى وعلى ، ولاجاء

... ...

من الدار إلى المسجد زيد والحانوت البيت عمرو ، لأنه بمنزلة تعديتين بمعد واحد وذلك لايجوز ، ولأنه لو جاز لجاز فى أكثر من عاملين ، وذلك ممتنع بإجماع .

قال السيوطى: وجوزه شيخنا الكافيجى وشرذمة مطلقا فى المجرور وغيره ، قال لأن جزئيات الكلام إذا أفادت المعنى المقصود منها على وجه الاستقامة لايحتاج إلى النقل والسماع وإلا لزم توقف تراكيب العلماء فى تصانيفهم عليه . وقد نقل ابن مالك وغيره الاجماع على الامتناع فى غير المجرور ، ورد بأن ابن الحاجب نقل الجواز عن قوم مطلقا ، وذكره الفارسى فى بعض كتبه عن قوم من النحويين ، قال أبو حيان ونسب الى الأخفش .

وإنما يجوز مع تأكيد الضمير ، قياساً على العطف على ضمير الفاعل إذا أكد ، والجامع بينهما شدة الاتصال بما يتصلان به وفرق الأول بأوجه : منها أن الضمير المجرور أشد اتصالا من ضمير الفاعل ، بدليل أن ضمير الفاعل قد يجعل منفصلا عند إرادة الحصر ويفصل بينه وبين الفعل ، ولا يمكن الفصل بين الضمير المجرور وعامله كما ذكره السيوطى فلم يؤثر توكيده جواز العطف، وجاز العطف على الضمير المنفصل لأن كلا من المذكورين ليس كالجزء فأجرى مجرى الظاهر مطلقا فى حالتى الرفع أو النصب بخلاف الضمير المتصل المنصوب بلا شرط ، وإذ فى قول ابن مالك «إذلابس» هى ظرفية لاتعليلية ، واعترض الشيخ الصبان على المصنف فى تمثيله للفاء بأن اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ، بأن الصواب حذف أن أو إبدال فانفجرت بفانبجست لأن الآية التى فيها فانفجرت هى هكذا « فقلنا اضرب بعصاك » والآية التى فيها أن هى هكذا «وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست» وقول الشارح وهذا الفعل المحذوف معطوف على «فقلنا» يدل على أنه أراد آية « فقلنا اضرب » الآية فكان الأولى حذف أن واستبدالها بفقلنا اضرب ، ويظهر أن هذه النسخة من النسخ الأولى ، بدليل أنه وجد مصلحاً فى بعض النسخ وقوله تعالى «فانفجرت» قال البهاء السبكى طوى ذكر فضرب هنا لسرعة الامتثال حتى إن أثره وهو الانفجار لم يتأخر عن الأمر ، ثم قيل فضرب وهذا كله محذوف ؛ وقال ابن عصفور حذف ضرب فانفجرت، والفاء الباقية فاء فضرب ليكون على المحذوف دليل ببقاء بعضه ، اهـ من الدمامينى .

وحذف العاطف وحده جائز على قول الفارسى وابن عصفور وأما ابن جنى فقد منعه وكذلك منعه السهيلى .

وتختص الواو بجواز عطفها عاملا قد حذف وبقى معموله مرفوعاً نحو قوله تعالى «اسكن أنت وزوجك الجنة» فزوجك فاعل لفعل محذوف معطوف على اسكن أى وليسكن زوجك فهو من عطف الأمر على الأمر أو منصوباً نحو قوله تعالى «والذين تبوؤا الدار والايمان» فالإيمان مفعول بفعل محذوف

تنبيهـــــات

الأول : فى المسألة مذهب ثالث ، وهو أنه إذا أُكّد الضمير جاز نحو مررت بك أنت وزيدٍ ، وهو مذهب الجَرْمىّ والزِّيادىّ ، وحاصل كلام الفرّاء ، فإنه أجاز « مررت به نفسه وزيدٍ » و « مررت بهم كلِّهم وزيدٍ » .

الثانى : أفهم كلامه جواز العطف على الضمير المتصل مطلقاً ، وعلى المتصل المنصوب بلا شرط نحو « أنا وزيدٌ قائمان ، وإياكَ والأسدَ » ، ونحو « جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ » .

(وَالْفَاء قَدْ تُحْذَفُ مَعْ مَا عَطَفَتْ وَالْـــوَاوُ إِذْ لاَ لَبْسَ)

وهو قيد فيهما ، أى تختص الفاء والواو بجواز حذفهما مع معطوفهما لدليـــل ، مثاله فى الفاء « أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ » أى فضرب فانفجرت ، وهذا الفعل معطوف على فقلنا .

معطوف على تبوؤا : أى وألفوا الإيمان فهو من عطف جملة على جملة أو مجرور نحو « ما كل بيضاء شحمة ، ولا سوداء تمرة » فسوداء مجرور بمضاف محذوف معطوف على كل أى ولا كل سوداء ، وإنما لم يجعل العطف فى هذه الأمثلة الثلاثة على الموجود فى الكلام بدون حذف ، لئلا يلزم فى المثال الأول وهو قوله « أسكن أنت وزوجك » رفع فعل الأمر وهو اسكن للاسم الظاهر ، وهو زوجك بيان الملازمة أنه لو جعل معطوفاً على فاعل اسكن المستتر فيه لكان شريكه فى عامله ، والأمر بالصيغة لا يرفع ظاهراً فلا يعطف على فاعله ظاهر ، وقد يقال يغتفر فى الثوانى مالا يغتفر فى الأوائل . ورب شىء يصح تبعاً ولا يصح استدلالا ومثل له فى المغنى بالحاج عن غيره يصلى عنه ركعتى الطواف ، ولو صلى أحد عن غيره ابتداء لم يصح على الصحيح . وفى التسهيل لا يشترط فى صحة العطف وقوع المعطوف عليه ، ولو سلم فاجتماع حذف الفعل وحذف حرف الأمر شاذ كما سيأتى فى باب التحذير ، فلا يحسن تخريج التنزيل عليه . ويمكن أن يقال إن من قدر ذلك أراد بيان معنى المقدر لا نفسه أى ويسكن والجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى .

أما فى المثال الثانى وهو قوله تعالى « والذين تبوؤا الدار والإيمان » فلئلا يلزم كون الإيمان متبوأ اللهم إلا أن يقال إن الإيمان مكان تبوأ ، فقد نقل السمهودى فى تاريخ المدينة عن صاحب القاموس وأقره عليه أن من أسماء المدينة الإيمان واستدل بالآية ، وحينئذ فالعطف بلا تقدير مع جعل التبوأ بمعنى التهيء . أما إذا لم يكن الإيمان اسما للمدينة فيلزم جعله متبوأ إذ لو جعل الإيمان معطوفا على الدار لكان معمولا لتبوؤا ، لأن المعطوف يشارك المعطوف عليه فى عامله وهو فاسد من جهة

ومثاله فى الواو قوله :

٨٥٢ — فَمَا كَانَ بَيْنَ الْخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِمًا أَبُو حُجُرٍ إِلاَّ لَيَـالٍ قَلاَئِلُ

أى بين الخير و بينى، وقولهم « رَاكِبُ النَّاقَةِ طَلِيحَانِ » أى والناقةُ ، ومنه « سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ » أى وَالْبَرْدَ .

المعنى لأن الإيمان لايتبوأ ، وإنما يتبوأ المنزل إذ التبوؤ التهيؤ يقال بوأت له منزلا أى هيأته له ، وفى إعراب الحوفى فى سورة آل عمران يقال تبوأ فلان الدار إذا لزمها . فعلى هذا يصح العطف ولا يحتاج إلى تقدير عامل آخر .

أما المثال الثالث وهو «ما كل بيضاء شحمة ولاسوداء تمرة» فإنه يلزم عليه العطف على معمولى عاملين مختلفين لأن بيضاء معمول كل وشحمة معمول ما ، فلو عطف سوداء على بيضاء أو تمرة على شحمة لزم العطف على معمولى عاملين وذلك لايجوز على الأصح عند سيبويه والأكثرين، وأجاز الأخفش العطف على معمولى عاملين إن كان أحدهما جاراً واتصل المعطوف بالعاطف أو انفصل بلا كهذا المثال . وقيل يجوز مطلقا حكاه الفارسى وابن الحاجب عن الفراء ، والأصح فى التسهيل المنع مطلقاً لأن العاطف حرف ضعيف لاينوب عن عاملين ، قال فى المغنى والحق جواز العطف على معمولى عاملين فى نحو فى الدار زيد والحجرة عمرو ، واتفقوا على أنه لايجوز العطف على معمولى عاملين مختلفين إن تأخر المجرور عن المرفوع أو المنصوب ، فلا يقال دخل زيد إلى عمرو وبكر خالد ، وإن زيدا فى الدار وعمرا الحجرة للفصل بين نائب الجار وهو العاطف والمجرور .

وحكاية أبى عثمان عن أبى زيد أنه سمع أكلت خبزاً لحماً تمرا أراد خبزاً ولحماً وتمراً ولا يكون ذلك إلا فى الواو وأوهو فى بعض النسخ بحذف وأو الأولى وهى الموافقة لقول ابن مالك فى التسهيل ويشاركها أى الواو فى ذلك أو، ومثله الدمامينى بقول عمر رضى الله تعالى عنه : صلى رجل فى إزار ورداء فى إزار وقميص فى إزار وقباء ، أى أوفى . وقال فى المغنى حكى أبو الحسن اعطه درهما درهمين ثلاثة ، وخرج على إضمار أو ، ويحتمل البدل المذكور .

قال الدمامينى وظاهره أن الفاء لا تشاركهما فى ذلك ، وقد قيل فى علمته النحو باباً باباً ، إن تقديره باباً فباباً ، ويشهد لذلك قولهم ادخلوا الأول فالأول .

وقول ابن مالك « بعطف عامل مزال — البيت » أورد عليه ابن هشام أن الفاء تعطف عاملا حذف وبقى معموله نحو « اشتريته بدرهم فصاعداً » ، لأن تقديره فذهب الثمن صاعداً .

* * *

٨٥٢ ـ البيت من الطويل من قصيدة للنابغة الذبيانى يرثى بها النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وأولها :

... ...

دَعَاكَ الْهَوَى وَاستجهلتكَ المَنَازل ... وَكَيْفَ تَصَابِى المَرْءِ وَالشَّيْبُ شَامِلُ

وَقَفْتُ بِرَبْعِ الدَّارِ قَدْ غَيَّرَ البِلَى ... مَعَارِفَهَا وَالسَّارِيَاتُ الْهَوَاطِلُ

أُسَائِلُ عَنْ سُعْدَى وَقَدْ مَرَّ بَعْدَنَا ... عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ سَبْعٌ كَوَامِلُ

وفيها يقول :

فَلاَ تَبْعَدَن إِنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ ... وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْماً بِهِ الحَالُ زَائِلُ

وبعده بيت الشاهد :

فَمَا كَانَ بَيْنَ الخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِماً ... البيت . . . و بعده

فإِنْ تَحْىَ لاَ أَمْلَلْ حَيَاتِى وَإِنْ تَمُتْ ... فَمَا فِى حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ

اللغة : دعاك الهوى أى استخفك بتذكر أيام الصبا والشباب ، واستجهلتك المنازل أمالتك نحوها ، وذهبت بلبك وصوابك ، وكل ما استخفك وأمالك فقد استجهلك ، « والتصابى » من الصبوة وهى جهلة الفتوة واللهو من الغزل ، والتصابى الميل إلى الجهل والفتوة والشوق إليه والشيب قد شمل شعره وعمه « وربع الدار » المنزل ودار الإقامة ومحلة القوم والدار بعينها وهو هنا أشبه بأن يكون مكان اجتماع القوم ونزولهم قرب الدار ، يقال ما أوسع ربع بنى فلان ، « والبلى » تقادم العهد والهلاك و « معارفها » آثارها التى تدل عليها وتعرف بها ، مثل النؤى والأثافى والوتد و « الساريات » جمع سارية ، وهى السحب ، سميت بذلك لأنها تسير وتمطر ليلا ، و « الهواطل » جمع هاطلة أى الممطرة . والهطل مطر ليس بالشديد و « العرصات » جمع عرصة ، قال الأصمعى كل جوبة منفتقة ليس فيها بناء فهى عرصة ، وقال الأزهرى عرصة الدار وسطها ، وقيل هو ما لا بناء فيه ، سميت بذلك لاعتراض الصبيان فيها ، والعرصة كل بقعة بين الدار واسعة ليس فيها بناء . « وسبع كوامل » أى سبع سنين كوامل لم ينقص منهن شىء وقوله « فلا تبعدن » بعد يبعد إذا هلك وهو من باب علم يعلم والمصدر بعداً بضم العين وفتحها ، وأراد بالحال حال الموت والحال يذكر ويؤنث ، وقد يقال حالة أيضاً ، ومعنى « لا أملل » من الملل والسأم ، يعنى إذا حييت لم أكره الحياة لما أدركه بك من الخير والنعمة ، والعيش الرغد والمال الوفير والرزق الكثير ، وإن تمت فما فى الحياة لى من خير بعدك ولا نفع فيها بسواك و « أبو حجر » كنية النعمان بن الحارث ، وهو بضم الحاء المهملة وإسكان الجيم ، وفى آخره راء وإنما ضمت الجيم هنا لوزن الشعر ضرورة ، ويقرب من هذا البيت قول الحطيئة من قصيدة يرثى بها علقمة بن علاثة الكلابى :

فَمَا كَانَ بَيْنِى لَوْ لَقِيتُكَ سَالِماً ... وَبَيْنَ الْغِنَى إِلَّا لَيَالٍ قَلاَئِلُ .

تنبيهـــــان

الأول : أم تشاركهما فى ذلك كما ذكره فى التسهيل ،

الإعراب : «فما كان» الفاء حرف عطف، وما نافية ، وكان فعل ماض ناقص، و«ليال» اسم كان ، و«بين» ظرف و«الخير» مضاف إليه ، والجملة من الجار والمجرور متعلق بليال ،

وقوله « بين الخير» خبر مقدم و «قلائل» بالرفع صفة لليال ، وقوله « لو » حرف شرط جازم ، « وجاء » فعل الشرط « وأبو حجر » فاعله ، و « سالما » حال من مجيء أبى حجر .

المعنى : أنه لم يكن بين حصول الخير والغنى والعز والنعمة والعيش الرغد وبين الشاعر إلا زمن يسير هو ليال قليلة العدد لو أن أبا حجر النعمان الغسانى لم يمت وعاد إليه سالما ، والشاعر يتحسر ويندب حظه المفقود وأمله الضائع فى الغنى والسعادة بموت أبى حجر، وإنما أراد مدح أبى حجر فى رثائه له باقتران الخير بوصوله ، ومجيء الخير بسببه وحلوله .

الشاهد : فى قوله « بين الخير لو جاء سالما » حيث حذف فيه المعطوف المجرور مع الواو وهو قوله « وبينى » ، والتقدير فما كان بين الخير وبينى إلا ليال قلائل لو جاء أبو حجر سالما .

والطايحان الضعيفان ، فكون الخبر مثنى دليل على حذف المعطوف ، ويحتمل أن يكون الأصل أحد طايحين ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما قال الموضح فى شرح قصيدة : بانت سعاد ، وحينئذ لاشاهد فيه ، لكن قال فى المغنى هذا لا يتأتى فى نحو غلام زيد ضربتهما .

وأما أم فإن أبا عبيدة معمر بن المثنى أنكر العطف بها وتبعه محمود بن مسعود الغزى صاحب البديع وقال إنها ليست بحرف عطف بل بمعنى همزة الاستفهام ، ولذا يقع بعدها جملة يستفهم عنها كما تقع بعد الهمزة نحو أضربت زيداً أم قتلته ، أ بكر فى الدار أم خالد ، أى أخالد فيها ؟ قال ولتساوى الجملتين بعدها فى الاستفهام حسن وقوعها بعد سواء ، لكن لما كانت تتوسط بين محتملى الوجود لشيئين أحدهما بالاستفهام كتوسط أو بين اسمين محتملى الوجود قيل إنها حرف عطف .

وزعم ابن كيسان أن أصلها أو ، أبدلت واوها ميما فتحولت إلى معنى يزيد على معنى أو ، قال أبو حيان وهى دعوى بلا دليل ، ولو كان كذلك لاتفقت أحكامهما ، وهما مختلفان من أوجه : منها أن السؤال بأو قبله بأم . وأنه يقدر مع أو بأحد ومع أم بأى ؟ وأن جواب أو بنعم أولا وجواب أم بالتعيين بالاسم أو الفعل ، وأن الأحسن مع أو تقديم الفعل ومع أم تقديم الاسم ،وأن أو لا يلزم معادلتها للاستفهام بخلاف أم، وأنك إذا استفهمت باسم وعطفت عليه كان بأو دون أم، أن العطف بعد أفعل التفضيل بأم دون أو وكذا ما لم يحسن السكوت عليه.

وهى قسمان متصلة تقع بعد همزة التسوية أو همزة يطلب بها وبأم التعيين ولذا تسمى معادلة

... ...

لمعادلتها للهمزة فى إفادة التسوية أو الاستفهام ، ويجمعهما أن يقال هى التى لايستغنى مابعدها عما قبلها ، ولا تقع إلا فيما يستعمل فى لفظ الاستفهام ، سواء أريد معناه أم لا ، وتختص الأولى أى التى تقع بعد همزة التسوية بأنها لاتقع إلا بين جملتين شرطهما أن يكونا فى تأويل المفردين .

وسواء الاسميتان والفعليتان فى ذلك والأغلب فيهما المضى والمختلفان كقوله تعالى « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا » وقوله « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون » وقول الشاعر :

ولست أبالى بعد فقدى مالكا أموتى ناء أم هو الآن واقع

بخلاف الأخرى فتقع بين مفردين وهو الغالب فيهما نحو « أأنتم أشد خلقاً أم السماء » وجملتين ليستا فى تأويلهما كقوله :

* فقلت أهى سرت أم عادنى حلم *

وقوله : لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

وهذا البيت للأسود بن يعفر بن عبد القيس بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم النهشلى يكنى أبا نهشل ، وقيل أبا الجراح . وهو جاهلى أعمى . ويعفر بفتح الياء وقيل بضمها كما فى الأغانى .

وهو شاعر جاهلى متقدم مقل ، وجعله ابن سلام فى الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير والمخبل السعدى والنمر بن تولب وهو من الأعشين . قال الأعلم الشنتمرى فى شرحه للكتاب كتاب سيبويه «شعيث» حى من تميم ثم من بنى منقر فجعلهم الشاعر أدعياء ، ثم شك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، و «سهم» هنا حى من قيس .

واستشهد سيبويه فى الكتاب بهذا البيت على حذف همزة الاستفهام ، لأن المعنى «أشعيث» وهو بالمثلثة ، وقد رواه بعضهم «شعيب» قال العسكرى وهو تصحيف . وقال الآمدى فى المؤتلف والمختلف « وأما شعيث بثاء معجمة بثلاث فهو شعيث بن ثواب أحد بنى حرامة بن لوزان بن ثعلبة ابن عدى بن فزارة ، كان شاعراً فصيحا خلا ، وهو القائل :

فإن يك إيفاء البقاع صبابة فانى لمستوف بقاعا فناظر

فهل ذاك مغن ذا هوى وصبابة وقد أدلجت بالظاعنين الأباعر

وكان قد أوعد بنى مرة بن عوف بالهجاء ، فلاذ به أرطاة بن سهية ، وعقيل بن علاثة واستكفياه ذلك فأعفاهما « وكانا يحذرانه » .

... ...

الإعراب : « لعمرك » اللام لام القسم وعمرك مبتدأ . والخبر محذوف تقديره قسمي ، « وما أدري » ما نافية وأدري فعل مضارع « وإن كنت داريا » جملة اعتراضية حال من المتكلم وقوله « شعيث بن سهم » شعيث مبتدأ وابن سهم خبره والجملة في موضع نصب، على المفعولية لقوله « ما أدري » وشعيث بن منقر كذلك شعيث مبتدأ وابن منقر خبره ، وهي معطوفة بأم على الجملة الأولى . وإنما حذف التنوين من شعيث للضرورة أو لمنع الصرف لأنه اسم القبيلة .

المعنى : الشاعر يهجو حي شعيث فجعلهم أدعياء لا نسب لهم معلوم . فيقول إني مع درايتي وعلمي بالأنساب لا أعلم لحي شعيث نسباً صحيحا أهم سهميون أم منقريون ؟

الشاهد فيه : حذف همزة الاستفهام الداخلة على الاسم المعطوف عليه إذ الأصل أشعيث بن سهم أم شعيث بن منقر ؟

قال السيوطي : وتختص الأولى أيضاً بأنها لا تستحق جوابا لأن المعنى ليس على الاستفهام ، فإن الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب لأنه خبر بخلاف الأخرى .

ويؤخر المنفي فيهما أي الأولى والأخرى فيقال سواء علي أجاء أم لم يجيء «أقام زيد أم لم يقم» ولا يجوز «سواء علي لم يجيء أم جاء ، ولا ألم يقم أم قام » فان كان ماقبلها وما بعدها مثبتا قدم ما شئت منهما .

وفصل الثانية من معطوفها أكثر لا واجب ولا ممنوع في الأصح ، مثال الفصل « أذلك خير أم جنة الخلد » ومثال الوصل «أقريب أم بعيد ماتوعدون» والتأخير نحو « أعندك زيد أم عمرو» « ألقيت زيداً أم عمراً » وقيل لا يجوز إلا الفصل وقيل لا يجوز إلا ضم أحدها مقدمين أم مؤخرين . وقد تحذف الهمزة وتنوى كقول الشاعر :

لعمرك ماأدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بثمان

أي أبسبع ، وقرئ سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم .

وقد تحذف أم والمعطوف عليها كقوله :

دعاني إليها القلب إني لأمره سميع فما أدري أرشد طلابها

أي أم غي . وقد يحذف هو أي المعطوف بها دونها بتعويض لا، نحو «أزيد عندك أم لا، أزيد يقوم أم لا» قيل ويحذف دونه أي دون تعويض وجعل منه قوله تعالى « أفلاتبصرون أم » أي أم تبصرون ، ثم ابتدأ « أنا خير أم هذا الذي هو مهين » . أي أم هو خير . قال ابن هشام وهذا باطل إذلم يسمع حذف معطوف دون عاطفه، وإنما المعطوف جملة «أناخير» ووجه المعادلة أن الأصل أم تبصرون ثم أقيمت الاسمية مقام الفعلية والسبب مقام المسبب لأنهم إذا قالوا له أنت خير كانوا عنده بصراء.

... ...

قال الزمخشرى ويحذف المعطوف عليه وجعل منه «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت» أى أتدعون على الأنبياء اليهودية، أم كنتم شهداء، ووافقه الواحدى. وقدر أبلغكم ماتنسبون إلى يعقوب من إيصائه بنيه باليهودية أم كنتم — والثانى من أم تسمى منقطعة، وسميت بذلك لأن الجملة بعدها مستقلة وهى التى تقع بعد غير همزة الاستفهام نحو قوله تعالى «ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدى» لأن الهمزة هنا للانكار، فهى بمعنى النفى أو الاستفهام بغير الهمزة نحو «هل يستوى الأعمى والبصير، أم هل تستوى الظلمات والنور».

واختلف فى معناها، فقال البصريون هى بمعنى بل، أى للإضراب والهمزة مطلقاً، وقال الكسائى وهشام هى كبل وتاليها أى مابعدها كتاليها، أى كما قبلها، فإذا قلت «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا — إلى قوله — أم نجعل الذين آمنوا» الآية فأم لم يتقدمها استفهام، وقد استؤنف بأم السؤال على جهة الانكار والرد، ولا يمكن أن يكون مابعدها موجباً فليس مثل ما قبلها. وقال الفراء هى كبل: إذا وقعت بعد استفهام كقوله:

فو الله ما أدرى أسلمى تغولت أم النوم أم كل إلى حبيب

أى بل كل، ورد بأن المعنى على الاستفهام أى بل كل إلى حبيب لأنها لما تمثلت لعينه لم يدر أذلك فى النوم أم صارت من الغول، لأن العرب تزعم أنها أى الغيلان تبدو متزينة لتفتن الناس من الأدميين. ثم لما جوز أن تكون تغولت داخله الشك فقال بل كل إلى حبيب، أى سلمى والغول كل منهما إلىّ حبيب.

وقال قوم تكون كبل إذا وقعت بعد الاستفهام والخبر، وقال أبو عبيدة هى كالهمزة مطلقاً، قال ومنه قوله تعالى «أم تريدون أن تسألوا رسولكم» وقال الهروى: هى كالهمزة إن لم يتقدم عليها استفهام، وردّ القولان بأنها لو كانت بمعنى الهمزة لوقعت فى أول الكلام، وذلك لايجوز، ولورودها للاستفهام بعده فى قوله:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فإنه استانف السؤال بأم عما بعدها مع تقدم الاستفهام، لأن المعنى بل أحبها لقوله بعده:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأحبة يوم البين مشكوم

وتدخل أم المنقطعة على هل كما تقدم وعلى سائر أسماء الاستفهام فى الأصح نحو «أم ماذا كنتم تعملون» ولا تدخل على حرفه وهو الهمزة وبذلك استدل على أنها بمعنى بل والهمزة، وإلا لدخلت عليها كما يدخل عليها فى قولك أقام زيد بل أقام عمرو ولا بدع فى دخولها على هل وإن كانت للاستفهام فقد دخلت عليها الهمزة فى قوله:

أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم

ومنه قوله :

٨٥٣ — فَمَا أَدْرِى أَرُشْدٌ طِلاَبُهَا

أى أم غى ، وإنما لم يذكرها هنا لقلته فيها .

وذهب الصفار إلى منع دخول أم على هل وغيرها ، لأنه جمع بين أداتى معنى ، وقال لا يحفظ منه إلا قوله : أم هل كبير بكى لم يقض عبرته . . . البيت

وقوله : * أم هل لامنى فيك لائم *

وقوله : * وما أنت أم ماذكرها ربعية *

وقوله تعالى « أم من هذا الذى هو جند لكم » ، « أم من يرزقكم »

قال أبو حيان ، وهذا من الصفار دليل على الجسارة وعدم حفظه لكتاب الله . قال وقد دخلت على كيف فى قوله : أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به

وعلى أين فى قوله :

فَأَصْبَحَ لاَ يَدْرِى أَيَقْعُدُ فِيكُمُ عَلَى حَسَكِ الشَّحْنَاءِ أَمْ أَيْنَ يَذْهَبُ

وأم لا تدخل على المفرد خلافاً لابن مالك فإنه قال بدخولها عليه ــ ومثله بقولهم « إنها لإبل أم شاء » لقول بعضهم إن هناك رواية « لإبلا أم شاء » بالنصب ، قال فهذا عطف صريح يقوى عدم الإضمار فى المرفوع .

٨٥٣ — هذه جملة من عجز بيت من بحر الطويل هو وصدره :

دَعَانِى إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّى لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِى أَرُشْدٌ طِلاَبُهَا

وهو من قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى أولها :

أَبِا الصَّرْمِ مِنْ أَسْمَاءَ حَدَّثَكَ الَّذِى جَرَى بَيْنَنَا يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ رِكَابُهَا

زَجَرْتَ لَهَا طَيْرَ الشَّمَالِ فَإِنْ تَكُنْ هَوَاكَ الَّذِى تَهْوَى يُصِبْكَ اجْتِنَابُهَا

وَقَدْ طُفْتُ مِنْ أَحْوَالِهَا وَأَرَدْتُهَا سِنِينَ فَأَخْشَى بَعْلَهَا وَأَهَابُهَا

ثَلاَثَةَ أَحْوَالٍ فَلَمَّا تَجَرَّمَتْ عَلَيْنَا بِهُونٍ وَاسْتَحَارَ شَبَابُهَا

فَقُلْتُ لِقَلْبِى يَالَكَ الْخَيْرُ إِنَّمَا يُدَلِّيكَ لِلْمَوْتِ الْجَدِيدِ حِبَابُهَا

... ...

وبعده بيت الشاهد :

دَعَانِى إِلَيْهَا القَلْبُ إنى لِأَمْرِهِ   سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِى أَرُشْدٌ طِلَابُهَا

وبعده :

وَأُقْسِمُ مَا إِنْ بَالَةٌ لَطَمِيَّةٌ   يَفُوحُ بِبَابِ الفَارِسِيِّينَ بَابُهَا

فَمَا الرَّاحُ رَاحُ الشَّأْمِ جَاءَتْ سَبِيَّةً   لَهَا غَايَةٌ تَهْدِى الكِرَامَ عُقَابُهَا

عُقَارٌ كَمَاءِ النِّىءِ لَيْسَتْ بِخَمْطَةٍ   وَلَا خَلَّةٍ يَكْوِى الشُّرُوبَ شِهَابُهَا

تَوَصَّلُ بِالرُّكْبَانِ حِينًا وَتُؤْلِفُ الْـ   ـجِوَارَ وَيُغْشِيهَا الأَمَانَ رِبَابُهَا

فَمَا بَرِحَتْ فِى النَّاسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ   ثَقِيفًا بِزِيزَاءِ الأَشَاةِ قِبَابُهَا

فَطَافَ بِهَا أَبْنَاءُ آلِ مُعَتِّبٍ   وَعَزَّ عَلَيْهِمْ بَيْعُهَا وَاغْتِصَابُهَا

فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ أَحْكَمَتْهُمْ وَلَمْ يَكُنْ   يَحِلُّ لَهُمْ إِكْرَاهُهَا وَغِلَابُهَا

أَتَوْهَا بِرِبْحٍ حَاوَلَتْهُ فَأَصْبَحَتْ   تُكَفَّتُ قَدْ حَلَّتْ وَسَاغَ شَرَابُهَا

بِأَرْىِ الَّتِى تَهْوِى إِلَى كُلِّ مَغْرِبٍ   إِذَا اصْفَرَّ لِيطُ الشَّمْسِ حَانَ انْقِلَابُهَا

بِأَرْىِ الَّتِى تَأْرِى الْيَعَاسِيبُ أَصْبَحَتْ   إِلَى شَاهِقٍ دُونَ السَّمَاءِ ذُؤَابُهَا

جَوَارِسُهَا تَأْرِى الشُّعُوفَ دَوَائِبًا   وَتَنْقَضُّ أَلْهَابًا مَصِيفًا شِعَابُهَا

إِذَا نَهَضَتْ فِيهِ تَصَعَّدَ نَفْرُهَا   كَقِتْرِ الغِلَاءِ مُسْتَدِرًّا صِيَابُهَا

تَظَلُّ عَلَى الثَّمْرَاءِ مِنْهَا جَوَارِسٌ   مَرَاضِيعُ صُهْبُ الرِّيشِ زُغْبٌ رِقَابُهَا

فَلَمَّا رَآهَا الخَالِدِىُّ كَأَنَّهَا   حَصَى الخَذْفِ تَكْبُو مُسْتَقِلًّا إِيَابُهَا

أَجَدَّ بِهَا أَمْرًا وَأَيْقَنَ أَنَّهُ   لَهَا أَوْ لِأُخْرَى كَالطَّحِينِ تُرَابُهَا

فَقِيلَ تَجَنَّبْهَا حَرَامٌ وَرَاقَهُ   ذُرَاهَا مُبِينًا عُرْضُهَا وَانْتِصَابُهَا

فَأَعْلَقَ أَسْبَابَ المَنِيَّةِ وَارْتَضَى   ثُقُوفَتَهُ إِنْ لَمْ يَخُنْهُ انْقِضَابُهَا

تَدَلَّى عَلَيْهَا بَيْنَ سِبٍّ وَخَيْطَةٍ   بِجَرْدَاءَ مِثْلِ الوَكْفِ يَكْبُو غُرَابُهَا

... ...

فلمّا اجْتلاَهَا بِالْإِيَامِ تَحَيَّزَتْ ثُبَاتٍ عَلَيْهَا ذُلهَا وَاكْتِئَابُهَا
فَأَطْيِبْ بِرَاحِ الشَّامِ صِرْفًا وَشُهْدَةً مُعَتَّقَةً صَهْبَاءَ وَهْيَ شَبَابُهَا
فَمَا إِنْ هُمَا فِى صَحْفَةٍ بَارِقِيَّةٍ جَدِيدٍ حَدِيثٌ نَحْتُهَا وَاقْتِضَابُهَا
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِئْتَ طَارِقًا مِنَ اللَّيْلِ وَالْتَفَّتْ عَلَيْكَ ثِيَابُهَا
رَأَتْنِي صَرِيعَ الْخَمْرِ يَوْمًا فَسُؤْتُهَا بِقُرَّانَ إِنَّ الْخَمْرَ شَغْبٌ صِحَابُهَا
وَلَو عَثَرَتْ عِنْدِى إِذَنْ مَا لَحَيْتُهَا بِعَثْرَتِهَا وَلَا أُسِيءُ جَوَابُهَا
وَلا هَرَّهَا كَلْبِي لِيُبْعِدَ نَفْرَهَا وَلَوْ نَبَحَتْنِي بِالشَّكَاةِ كِلاَبُهَا .

اللغة : « الصرم » القطع والهجر ، « وأسماء » حبيبته التى يتغزل فيها ، و « حدثك » أخبرك ، ويروى خبرك « والذى » اسم موصول فاعل حدثك ومعناه الفعل الذى سيتكلم عليه فى البيت التالى ، وهو قوله « زجرت لها طيرا » الخ . ويروى طير السنيح وهو ضد البارح والسانح ماولاك ميامنه حين يمر بك والعرب تتيمن به «وجرى بيننا» أى حدث على مرأى منا و «يوم استقلت» يوم احتملت ورحلت ، و « ركابها » إبلها ، وزجرت يروى بفتح التاء وضمها ، وفيه التفات على الثانى . وعلى الفتح الالتفات فى « طفت » أو فى « بيننا » والعرب تتشاءم بطير الشمال . و «فإن تكن هواك » يعنى إن كانت الطير التى زجرها هواه يعنى نفسها يقال فلان هوى فلانة ، وفلانة هوى فلان فأرادهمنا نفسها يريد إن صدق هذا الطير فانه سيصيبك ويحدث لك اجتنابها والبعد عنها أى تنحيها عنك وتباعدها منك . وقوله « وقد طفت من أحوالها » هو من الطواف ، وهو المشى حول أبيات الحبيبة وأحيائها أو « من أحوالها » أى طفت أحوالها ثم اقحم من ، و « من » زائدة ، والأحوال جمع حول ، و «أردتها» أى هويت حبيبتك وأحببت الاجتماع بها ، و «فأخشى بعلها » بيان لحاله وللسبب الذى أطال طوافه حول أبياتها سنين يخشى بعلها أن يتهمه بها ، « وأهابها » دليل على أنه أمكنه لقاؤها ولكنه كان يستحي أن يواجهها « وثلاثة أحوال » عطف بيان لقوله فى البيت السابق « سنين » ، و « تجرمت » انقضت تلك السنون وتكاملت ، و «هون» الهوان والذل « واستحار » تم واجتمع وتكامل . وقوله «فقلت لقلبي : يالك الخير» تقديره يا قلب لك الخير على تقدير حذف المنادى ، ويجوز أن يكون يا للتنبيه وهو الأولى عند ابن مالك ، قال السيوطى : ويحسنه أن القلب لما اشتغل بحبها ، فكأنه دخل فى غمرة وغفلة

... ...

لحسن لذلك تنبيهه ، «ويدليك» معناه يلقيك «والموت الجديد» قال الباهلي جديد الموت أوله ، وقال الأخفش الموت الجديد المعافص ، و « حبابها » من الحباب مصدر بمعنى الحب ، يقال حاببته حباباً ومحابة ، وقوله « دعاني » هوجواب لما في قوله في الأبيات السابقة « فلما تجرمت » ويروى عصاني . قال الأصمعي : أي جعل لايقبل مني وذهب إليها سفها ، ويرى مطيع بدل سميع ، وهو ودعاني رواية أبي عمرو بن العلاء .

قوله « وأقسم » أي وأحلف ، « والبالة » بالفارسية وعاء الطيب و « اللطمية » نسبة إلى اللطيمة ، وهي إبل تحمل المتاع والعطر ، فإن لم يكن في المتاع عطر فليست بلطيمة ، و « الفارسيون » هم التجار وكان كل شيء يأتيهم من ناحية العراق فهو عندهم فارسي ، و « بابها » يريد به فم الوعاء الذي به الطيب ، وهذا البيت انفرد بروايته في هذا الموضع الأخفش ولم يرد في نسخة الديوان الخطية ولا في كتب الشواهد أو شروحها .

وقوله « فما الراح » رواه الأخفش « ولا الراح » وهي لا تستقيم إلا مع وجودالبيت السابق و «السبية» المشتراة ، و « لها غاية » أي لها راية أي علامة ينصبها الخمار ليعلم الحي أنه جاء بخمر ، و «عقابها» راياتها أيضاً تدل عليها الكرام .

وقوله « عقار » من أسماء الخمر ، و «الشروب» جمع شرب وهو جمع شارب وهم الندامى ويروى « ويكوى الوجوه » و « ماء النيء » أي اللحم النيء الذي لم تمسه النار ، و «الخمطة» التي لم يصبها شيء من الريح كريح شجر النبق أو التفاح مثلا . و«الخلة» الحامضة ، قال السكري في تفسير قوله « ليست بخمطة ولاخلة» الخمطة التي أخذها طعم الإدراك ولم تدرك وتستحكم ، ولاخلة أي جاوزت القدر فخرجت من حال الخمر إلى حال الحمضة والخل . شبه الخمر في الصفاء واللون بما يقطر من اللحم النيء مع صفاء الريح وطيب النكهة وخلوصها من كل شائبة ، وأنها على ماينبغي في الطعم واللون والريح الطيب فلا تؤذي شاربيها بحدتها وحرارتها ، ويكوى الشروب أي ليس لها مض شديد مثل النار .

وقوله « توصل بالركبان » يعني أن تجار الخمر يخشون الاغارة عليهم وانتهابها منهم في سفرهم ، فهم يتوصلون بها من بلد إلى بلد مع القوافل ، ويعقدون ذمة الجوار بينهم وبين هؤلاء الركبان ليستأمنوا بهم ، وقوله « تؤلف الجوار » آلف وألف إذا جمع بين شيئين ، فالخمر تؤلف الجوار بين الناس ، و «يغشيها الأمان ربابها» الرباب عقد وجوار يأخذونه مع قوم فاذا جاوزوهم عقدوا الجوار مع آخرين ، وعبارة السكري وغيره في تفسيره قوله « تؤلف الجوار » أي تجاور في مكانين تجمع بين جوار قوم وجوار آخرين . وإذا تجاوروا في مكانين فقد تآلفوا .

... ...

وقوله « فما برحت » أى لم يزل أهلها فى جماعة ناس يعنى أهل الخمر ، حتى تبينت ثقيفاً أى استبانتهم ويروى تبيتت أى باتت فيهم ، والزيزاء ظاهر منقاد غليظ من الأرض أى حملت إلى عكاظ لتباع ، وثم ثقيف دارها ، والأشاءة موضع .

وقوله و « آل معتب » حى من ثقيف ، و « عز عليهم بيعها » أى على هؤلاء الذين يشترون الخمر ، صعب عليهم اشتراؤها لارتفاع ثمنها ، ولم يحل لهم اغتصابها ، وذلك أنه كان فى الشهر الحرام .

وقوله « فلما رأوا أن أحكمتهم » يعنى أصحاب الخمر ردوا الذين يشترونها ومنعوهم ولم يحل لهم أن يكرهوا أهلها وأن يغلبوهم عليها حتى أربحوا أصحابها . وقوله « تكفت » تقبض ، ومنه « اللهم اكفته إليك » أى اقبضه ، و « ساغ شرابها » أى سهل لما أتوهم بربح .

وقوله « بأرى التى تهوى » البيت ، الأرى عمل العسل أو هو العسل وكذلك أرى السحاب عمل السحاب وهو المطر . يقول هذه الخمر تمزج بالعسل لأنها كالنحل تهوى أى تطير إلى كل مغرب ، والمغرب كل موضع لايدرى ما وراءه ، أى فى ستره . و « ليط الشمس » الليط القشر من كل شىء قال السكرى وليس للشمس ليط وإنما هو لونها ، و « حال انقلابها » أى رجوعها إلى موضعها .

وقوله « بأرى التى تأرى اليعاسيب » البيت ، اليعسوب ذكر النحل ورئيسها وأميرها ، وفى كلمة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، وقد مر به مقتولا يوم الجمل : لهفى عليك يعسوب قريش ، جدعتُ أنفى وشفيتُ نفسى . و « الشاهق » الجبل العالى ، و « ذؤابها » أى أعاليها .

وقوله « جوارسها تأرى الشعوف » يروى تأرى بالواو ، والجوارس أواكل الثمر والشجر من النحل . يقال جرس يجرس إذا أكل الثمر ، وتأرى الشعوف أى تعمل فى الشعوف أعالى الجبال ، و « تنقض ألهاباً » يريد إلى لهب فتعسل فيه ، واللهب الشق فى الجبل ثم يتسع فى الطريق ، والصب والشعب دون اللهب كالطريق الصغيرة ، ويروى وتنصب ألهابا مصيفاً كرابها » معناه يصيفون بتلك الكراب والكربة فصل ما بين الجبلين ، و « مصيفاً شعابها » أى أنها تأكل فى أعلى الجبل وتحمل فتنزل إلى موضع بارد ، والشعب الطريق فى الجبل ويروى مضيقاً شعابها : وهو الموضع الضيق .

وقوله « إذا نهضت » يعنى النحل ، « وتصعد نفرها » : أى شق على النحل عملها وهو العسل فى الجبل ، ومنه يقال « ما تصعدنى شىء ، كما تصعدنى خطبة النكاح » ، وقوله « كقتر الغلاء » وهو نصل سهم ، قال السكرى : تسمية النصال بالقتر مأخوذة من قتير الدروع وهى رءوس مساميرها

... ...

لدقتها وصغرها. والغلاء : المغالاة في الرمي ، وهي أن يرفع الرامي يده بالسهم يريد به أقصى الغاية ، شبه سرعة النحل بفتر الغلاء في السرعة. والصياب : القصد ، صاب يصوب إذا قصد . وقوله « مستدراً صيابها » أي يجيء منفتلا ليس بمسترخ .

وقوله « تظل على الثمراء منها جوارس » الثمراء : جبل ، وقيل هضبة بشق الطائف مما يلي السراة ، ويقال فيه الثبراء أيضاً كما في ياقوت وفي اللسان الثمراء جمع ثمرة كشجراء جمع شجرة أي شجر مثمر ، « بمراضيع » أي هن صغار ، وصهب الريش من الصهبة : وهي أن تعلو الشعر حمرة وأصوله سود .

وقوله « فلما رآها الخالدي » الخالدي : رجل من بني خالد واسمه حرام كاسياً أي قريباً ، و« كأنها حصى الخذف » من صغرها ، « تكبو » أي تزل وتقع من بين الجبل . ويقول إن ذلك الرجل الذي يجني العسل لما رأى جماعة النحل تستقل في الجبل ، أي ترتفع ثم تزل عنه ، علم أن ثمة عسل فاعتزم أن يدخل بيتها ويجنيه . و « إيابها » جماعة الآيبين واحدها آيب .

وقوله « أجد بها أمراً » البيت. يعني أن الخالدي أجد أمره ، كضاق به ذرعاً أي ضاق به ذرعه ، و« قر عيناً » أي قرت عينه به ، و« طبت به نفساً » أي طابت نفسه به . وأيقن أن لها أي للنحل ، وأنه سيدخل بيت النحل فيشتار العسل أو ينقطع به الحبل فيصير لأخرى ، يعني الأرض التي ترابها كالطحين .

وقوله « فقيل تجنبها » أي لا تدن منها يا حرام ، « وراقه » : أعجبه ، و« ذراها » أعاليها والمراد بها أعالي العسل ، و« عرضها » يريد به قرص الشهدة ، والهاء في « وانتصابها » يعود للشهدة .

وقوله « فأعلق أسباب المنية » أي علق حباله وتدلى إليها ، وأسباب المنية : الحبال التي لو انقطعت لوافته منيته ، و« تموفته » أي مرانة صاحب العسل في العمل والجني ، وذلك أن النحل يأتي الجبل فيعسل في ملقة ملساء في وسط الجبل ، فيأتي الشائر الذي يشتار العسل ، فيصعد من وراء الجبل حتى يصير في أعلاه فيضرب فيه وتداً ثم يشد الحبل فيه ، ثم يتدلى عليه حتى يصل إلى الصخرة ، والملقة الصخرة الملساء .

وقوله « تدلى عليها » أي صاحب العسل ، و « السبُّ » الحبل ، و « الخيطة » الوتد ، و « الجرداء » الصخرة « ومثل الوكف » مثل النطع ، والباء في بجرداء بمعنى على وفي . و « الغراب » الطائر ، وكبوه أن يزل عن الصخرة .

وقوله « فلما اجتلاها » أي طردها ، و « الإيام » الدخان ، يقال : آم الرجل إياما أي دخن على النحل ليخرج من الخلية فيأخذ ما فيها من العسل . وفسر أبو عمرو الإيام بأنه عود يجعل في رأسه نار ثم يدخن به على النحل ليشتار العسل ، والإوام الدخان . و « تحيزت » تجمعت بعضها إلى بعض على النحل من ذلها واكتئابها . و « ثبات » أي جماعات .

... ...

وقوله « فأطيب » صيغة فعل التعجب ، و «راح الشام» الخمر المنسوبة للشأم و«الصرف» التى لم تخلط ولم تشب بشائبة . وأطيب خمر الشأم تكون فى بيسان، والمواضع التى اشتهرت بالخمر ونسبت إليها هى كما فى كتاب صفة جزيرة العرب: خمرعانات وخمر بيسان وخمرالحص قرية من أسفل الفرات، والفلسطينية من فلسطين ، وخمر ثات ، وخمر ضهر ، والحيرية نسبة إلى الحيرة ، وبيت رأس موضع للخمر بالأردن ، والمعتقة المتقادم عهدها ، والصهباء : اسم من أسماء الخمر والصهبة ميل لونها إلى الصفرة المشوبة بالحمرة . و « شبابها » مزجها وخلطها ، و«هى» الضمير فيه يرجع إلى قوله « وشهدة » والضمير فى « هما » يرجع إليها وإلى الخمر و « بارقية » أى منسوبة إلى بارق رجل كان يصنع الصحاف ، والصحفة وعاء ينحت من الخشب ، و « جديد» بمعنى جـديدة صفة للصحفة . «والحديث» صفة للنحت و«الاقتضاب» وهو الأخذ من شجرة ، ويجوز أن يكون تحتها لأحد الوصفين واقتضابها للاخر فيكون فيه لف ونشر، وقوله « بأطيب من فيها » يعود إلى قوله السابق «فما إن هما» أى الخمر والشهدة، وفى قوله «بأطيب» نوع من أنواع البديع يسمى التفضيل، وهو أن ينفى بما ونحوها عن ذى وصف أفعل تفضيل مناسب لذلك الوصف يعدى بمن إلى ما يراد مدحه أو ذمه ، فتحصل المساواة من الاسم المجـرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما ، لأنها نفت الأفضلية وإذا انتفت الأفضلية بقيت المساواة .

و « فيها » فمها ، والمراد رائحـة تنفسها وطيب شميمها و « الطارق » الذى يدق الباب من الطرق ،أو ومن الطروق الذى يأتى فى الليل، والتفاف الثياب كناية عن المضاجعة، وصريع الخمر، أى طال إدمانه لشربها ومعاقرته لها واشتدت عليه و « وسؤتها » يفهم منه أنه قد حصل لها منه ما يسوؤها على كل حال إما برؤيتها له يعاقر الخمر ، لأنها تعلم أن عاقبة ذلك ومغبته تلحق الضرر به ، وإما أن يكون قد ساءها بفعله وهو يشرب الخمر لبعده عن الصواب ، ويوطىء للعنيين قوله، « إن الخمر شغب صحابها » أى مصاحبيها أو مصاحبوها فإنها تذهب الحلم فتطيش عقولهم وتسبب الهرج والشغب بينهم أوهم نفس الشغب .

وهو مثل ويسمى هذا النوع بالتذليل، ويظهر أنها حين استاءت برؤيته بدر له منها فعل أساءه فعقب بالبيت الثانى و « عثرت » أى زلت من الزلل وهو السقوط بفعل ما يلام عليه ، وقوله « إذن ما لحيتها» شاهد على جواز اقتران جواب لو بإذن ، ولحاه لامه وعنفه ، و«أسيء» فعل ماض مبنى للمفعول. وقوله« ولا هرّها كلبى » الهرير النباح ، وقال الأصمعى هذا مثل : أى كناية عن أنه لا يأتيها من قبلى أذى ولو أتانى الأذى من قبلها ، والنفر مصدر نفر وإنما أراد به النفور وهو البعد ، « والشكاة » بالفتح والقصر القول القبيح .

... ...

الإعراب : «دعانى» فعل ماض و «القلب» فاعل وياء المتكلم مفعوله ، و «إليها» جار ومجرور متعلق بدعا ، و « إنى لأمره سميع » حال من القلب أو جملة اعتراضية و «إن» حرف توكيد وياء المتكلم اسمها و«لأمره» متعلق بسميع و«سميع» خبر إن ، واللام فى لأمره للتقوية وتقديم المعمول لإرادة الحصر أى إنى أسمع أمره لا أمر غيره . وجملة «إنى لأمره سميع» معطوفة على قوله دعانى ، و «فما أدرى» الفاء للسببية و « ما » نافية و « أدرى » فعل مضارع معلق عن العمل وجملة « أرشد طلابها» فى محل نصب على أنها مفعول أدرى والهمزة فى «أرشد» للاستفهام والمعادل لها محذوف تقديره « أم غى » وما بعد أم وهو غى معادل لما بعد الهمزة وهو رشد . وضمير المؤنث فى إليها وطلابها عائد إلى المحبوبة .

اللغة : والرشد بضم الراء وإسكان الشين المعجمة خلاف الغى ، والطلاب مصدر طالب بمعنى طلب كخداع بمعنى خادع ، ووجه العدول عن المجرد وهو الطالب إلى المزيد وهو الطلاب قصد المبالغة لأن المفاعلة فى الأصل للغالبة والفاعل متى غولب فى الفعل ازداد اجتهاده فيه وقويت داعيته إلى تحصيله فيجىء أبلغ وأقوى .

المعنى : أن قلب الشاعر أبى ذؤيب الهذلى دعاه إلى طلب الوصال من هذه المحبوبة ، فهل حقيقة الحال فى ذلك الطلب أرشد هو أم غىّ ، لكنه على كل حال لم يقو على مخالفة دعوة قلبه لأنه لا يسمع إلى أمر غيره ، وإنما غلب جانب الهوى على العقل إذ القلب يمثل الهوى والعشق ، ويدعو إلى الصبوة . و قوله « أدرى» من الدراية أى العلم وهو يكون من جانب العقل .

الشاهد فيه : هذا البيت شاهد على أن أم تشارك الواو والفاء فى جواز حذفها مع معطوفها بدليل حذف « أم » العاطفة و « غى» المعطوف المعادل لما بعد الهمزة فى قوله أرشد . وإنما يلزم تقدير ما ذكر بناء على أن الهمزة دائماً لا تكون إلا معادلة بين شيئين ، إما مصرح بهما كما تقدم فى الآية وفى الشعر ، أو بأحدهما كقول الشاعر «فما أدرى البيت» فإن طلابها حاصل فلا يسأل عن حصوله وإنما يسأل هل هو رشد أو غى .

* * *

بقى بيان وجه أن الزمخشرى أجاز حذف ما عطفت عليه أم فقال فى «أم كنتم شهداء» يجوز كون أم متصلة على أن الخطاب لليهود وحذف معادلها ، أى : أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء ؟ وجوز ذلك الواحدى أيضا ، وقدر : أبلغكم ما تنسبون إلى يعقوب من إيصاء بنيه باليهودية أم كنتم شهداء .

... ...

أما حذف المعطوف عليه بأم المتصلة نحو « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة » أى أعلمتم أن الجنة حفت بالمكاره، أم حسبتم . وقد وافق الزمخشرى فيه الواحدى لجوزه فى «أم كنتم شهداء» وهو كقوله « أعطيتك لا لتظلم » أى لتعدل لا لتظلم فى حذف المعطوف عليه .

وقول الشارح فيما يلى (بعطف عامل مزال) أى محذوف الخ وقال السيوطى فى الهمع : « قال ابن مالك وعطف عامل حذف وبقى معموله على عامل ظاهر يجمعها معنى واحد نحو قوله تعالى «والذين تبوؤا الدار والإيمان » أصله واعتقدوا الإيمان إذ التبوأ للدار، وليس للايمان ، لأنه ليس بمكان فاستغنى بمفعوله عنه لأن فيه وفى تبوؤا معنى لازموا وألفوا :

وقول الشاعر : * علفتها تبنا وماء بارداً * أى وسقيتها والجامع الطعم

وقول الشاعر : * وزججن الحواجب والعيونا * أى وكحلن والجامع التحسين

وجعله الجمهور من عطف الجمل باضمار فعل مناسب لتعذر العطف، وجعله قوم من عطف المفرد بتضمين الفعل الأول معنى يتسلط به عليه فيقدر آثروا الدار والإيمان ونحوه، قال أبو حيان فركب ابن مالك من المذهب مذهبا ثالثاً .

وقال أبو حيان فى الارتشاف : الذى أختاره التفصيل وذلك أنه إن صح نسبة العامل الأول الظاهر لما يليه حقيقة فالإضمار متعين فى الثانى لأنه أكثر من التضمين نحو «يجدع الله أنفه وعينه» أي ويفقأ عينيه . فنسبة الجدع إلى الأنف حقيقة. وإلا أى وإن لم يصح نسبته إليه حقيقة فالتضمين متعين فى الثانى لتعذر الاضمار نحو « علفت الدابة تبناً وماء » أى أطعمتها أو غذوتها . والأكثر على أنه أى التضمين ينقاس وضابطه أن يكون الأول والثانى يجتمعان فى معنى لهما . ومنع بعضهم قياسه . اهـ .

قال أبو حيان : وقد خرق إجماع النحويين فى ذلك ، فإنهم اتفقوا على تقدير مبتدأ فى قولهم « أهى إبل أم شاء » أى بل هى شاء ، وأما رواية النصب إن صحت فالأولى أن يقدر فيها ناصب .

قال أبو زيد الأنصارى : وترد أم زائدة واستدل لذلك بقوله :

ياليت شعرى ولا منجا من الهرم أم هل على العيش بعد الشيب من ندم

وقد مثل الرضى لجواز حذف أم العاطفة مع معطوفها بجواب من قال «أنا أصلى ليلا ونهاراً» لمن قال « أفى الليل تصلى أكثر » يعنى أم فى النهار .

أما حذف المعطوف بالواو معها فيجوز كقوله تعالى «سرابيل تقيكم الحر» أى والبرد . وقوله صلى الله عليه وسلم « بيدك الخير » أى والشر ، وقوله تعالى « وتلك نعمة تمنها على أن عبدت

الثاني : قد يحذف العاطف وحده ، ومنه قوله :

٨٥٤ — كَيْفَ أَصْبَحْتَ، كَيْفَ أَمْسَيْتَ مِمَّا يَغرِسُ الْوُدَّ فِي فُؤَادِ الْكَرِيمِ

أراد كيف أصبحت وكيف أمسيت ، وفى الحديث « تَصدَّقَ رجلٌ مِنْ دينارِهِ ، مِنْ دِرْهمِهِ ، مِن صاعِ بُرِّهِ ، مِنْ صاعِ تَمْره » .

وحكى أبو عثمان عن أبى زيد أنه سمع « أَكَلْتُ خُبْزًا لَحْمًا تَمْرًا » ، ولا يكون ذلك إلا فى الواو وأو ، (وَهْيَ) أى الواو (انفردت) من بين حروف العطف .

بنى إسرائيل» أى ولم تعبدنى. وكذا الواو يجوز حذفها دونه أىدون المعطوف بها فىالأصح كذلك كحديث « تصدق رجل من ديناره ، من درهمه من صاع بره ، من صاع تمره » وحكى «أكلت سمكا لحماً تمراً » أى ولحماً وتمراً بحذف الواو فيهما ، وقوله تعالى « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت » أى وقلت ، وقال الشاعر :

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يغرس الودّ فى فؤاد الكريم

أى وكيف .

ومنع ذلك ابن جنى والسهيلى وابن الضائع ، لأن الحروف دالة على معانى فى نفس المتكلم ، وإضمارها لا يفيد معناها ، قياساً على حروف النفى والتأكيد والتمنى والترجى وغير ذلك ، إلا أن الاستفهام جاز إضماره لأن للمستفهم هيئة تخالف هيئة الخبر وأوّل المسموع من ذلك على البدل .

* * *

٨٥٤ — البيت من البحر الخفيف ولم أقف على قائله ، وقد أورده السيوطى أيضا فى الهمع شاهداً على جواز حذف المعطوف بالواو معها ولم ينسبه إلى قائل .

اللغة : « كيف » اسم معناه الاستفهام قال اللحيانى هى مؤنثة وإن ذكرت جاز ، فأماقولهم كيف الشئ فكلام مولد . قال الأزهرى : كيف حرف أداة ونصب الفاء فراراً به من الياء الساكنة فيها لئلا يلتقى ساكنان . وقال الزجاج فى قول الله تعالى « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا » تأويل الآية كيف استفهام فى معنى التعجب وهذا التعجب إنما هو للخلق والمؤمنين : أى اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم . وقال فى مصدر كيف الكيفية : قال الجوهرى « كيف » اسم مبهم غير متمكن وإنما حرك آخره لالتقاء الساكنين وبنى على الفتح دون الكسر لمكان الياء ، وهو للاستفهام عن الأحوال ، وقد يقع بمعنى التعجب ، وإذا ضممت إليه ما صح أن يجازى به تقول كيفما تفعل أفعل ، قال ابن برى فى هذا المكان لا يجازى بكيف ولا بكيفما عند

... ...

البصريين ، ومن الكوفيين من يجازى بكيفما ، و « أصبح » الصبح أول النهار والصبح الفجر والصباح نقيض المساء والجمع أصباح وهو والصبيحة والصباح والإصباح والمصبح، قال الله عز وجل «فالق الإصباح» قال الفراء إذا قيل الأمساء والأصباح فهو جمع المساء والصبح ، قال ومثله الإبكار والأبكار وقال الشاعر :

أفنى رياحا وذوى رياح تناسخ الأمساء والأصباح

وقول الإنسان لصاحبه « كيف أصبحت » يجوز أن يكون بلفظها هكذا أو بالدعاء له بقوله له « صبحك الله بخير » أو « عم صباحاً » وأصبح القوم دنا وقت دخولهم فى الصباح كما يقال أمسوا إذا دخلوا فى المساء . وأصبح بمعنى صار هى من أخواتها « وقوله أمسيت » كذلك .

الإعراب : كيف : اسم استفهام مبتدأ ، وأصبحت فعل ماض وفاعل، وجملة « كيف أمسيت » معطوفة على الجملة الأولى مع حذف العاطف وهو الواو و «مما» متعلق بمحذوف تقديره « قولك » أى قولك كذا وكذا مما يغرس الود و « يغرس » فعل مضارع و « الود » مفعول و « فى فؤاد الكريم » جار ومجرور والكريم نعت له .

و « كيف أصبحت» أى ماذا حدث لك فى الصباح ، يسأل به فى وقت الصباح أو فى وقت المساء عن حال الإنسان فى وقت الصباح ، وقوله « كيف أمسيت » أى ماذا حدث لك فى المساء ، يسأل به فى وقت المساء أو فى وقت الصباح عن حال الانسان فى وقت المساء ، وجملة كيف أمسيت معطوفة على جملة كيف أصبحت .

المعنى : أن تعهد الناس بعضهم بعضا بالتحية والسؤال عن أحوالهم صبحا ومساء مما يغرس الحب والمودة فى قلوب الناس ويزيد فى إنشاء الروابط والصلات بينهم وليس المراد القصر على هذه الألفاظ بل كل ماأدى إلى السؤال والاستفسار عن حال المرء . فهو سبب لزيادة المحبة وشدة العلوق والمودة والوفاء ، وإدامة الصفاء بين الناس .

الشاهد فيه : حذف الواو من المعطوف إذ التقدير كيف أصبحت وكيف أمسيت وهذه الكلمات ومثلها ثمرتها غرس الود وتقويته وتنميته فى قلب الكرماء الطيبة أصولهم ، وهذا لا يمنع من أنها تبعث على الود والحب فى قلوب الناس جميعاً ، ولكن قلوب الكرماء أولى من غيرها فى سرعة ظهور آثارها .

قال ابن الأنبارى : وذهب الكوفيون إلى أن الواو يجوز أن تقع زائدة وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد وأبو القاسم بن برهان من البصريين .

... ...

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز أن تقع الواو زائدة ، واحتج الكوفيون بأن قالوا الدليل على جواز زيادتها أنه قد جاء ذلك كثيراً فى كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى «حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها» فالواو زائدة ، لأن التقدير فيه فتحت أبوابها لأنه جواب لقوله «حتى إذا جاءوها» كما قال تعالى فى صفة سوق أهل النار إليها « حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها » ولا فرق بين الآيتين .

وقال تعالى « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق» فالواو زائدة ، لأن التقدير فيه اقترب ، لأنه جواب لقوله تعالى «حتى إذا فتحت» .

وقال تعالى «إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت» . والتقدير فيه : أذنت ، لأنه جواب « إذا » اهـ .

قال والشواهد على هذا النحو ، من التنزيل كثيرة ، وكذلك هى فى الشعر على هذا النحو أكثر من أن تحصى ، فمن ذلك قول الشاعر :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى ... بِنَا بَطْنَ حِقْفٍ ذِى رِقَافٍ عَقَنْقَلِ

والتقدير فلما أجزنا «انتحى» والواو زائدة ، لأنه جواب « لما » وقال الشاعر الآخر :

حتى إذا قملت بطونكم ... ورأيتموا أبناءكم شبوا

وقلبتم ظهر المجن لنا ... إن اللئيم العاجزُ الخب

والتقدير فيه : قلبتم والواو زائدة ، وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا الواو فى الأصل حرف وضع لمعنى ، فلا يجوز أن يحكم بزيادته مهما أمكن أن يجرى على أصله ، وقد أمكن ههنا ، وجميع ما استشهدوا به على الزيادة يمكن أن يحمل فيه على أصله .

أما الجواب عن كلمات الكوفيين : أنه لا حجة لهم فى الآية الأولى لأن الواو فيها عاطفة وليست زائدة . وأما جواب إذا فمحذوف ، والتقدير فيه : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها فازوا ونعموا وكذلك قوله تعالى «حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب» الواو فيه عاطفة وليست زائدة والجواب محذوف ، والتقدير فيه : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون قالوا ياويلنا ، وحذف القول ، وقيل جوابها فإذا هى شاخصة .

وكذلك قوله تعالى : «إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت » الواو فيه عاطفة وليست زائدة والجواب محذوف ، والتقدير فيه : إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض

(وَحذفُ مَتبُوعٍ) أى معطوف عليه (بَدَا) أى ظهر (هُنَا) أى فى هذا الموضع وهو العطف بالواو والفاء ، لأن الكلام فيهما (اسْتَبِحْ) كقول بعضهم « و بك ... وأهلاً وسهلا » جواباً لمن قال له : « مَرْحَبًا بِكَ » ، والتقدير ومرحباً بك وأهلا . ونحو « أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا » أى أنهملكم فنضرب ، ونحو : « أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ » أى أعموا ، فلم يروا .

مدت وألقت مافيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يرى الإنسان الثواب والعقاب . ويدل على هذا التقدير قوله تعالى « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا » أى ساع إليه فى عملك ، والكدح عمل الإنسان من الخير والشر الذى يجازى عليه بالثواب والعقاب .

وأما قول الشاعر :

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى ... بنا بطن حقف ذى قفاف عقنقل

فالواو فيه أيضاً عاطفة وليست زائدة ، والجواب مقدر والتقدير فيه : فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن حقف ذى قفاف عقنقل خلونا ونعمنا . ويعضده قول أبى عبيدة إن الجواب فى البيت الذى بعده لأنه روى :

هَصَرْتُ بِفَوْدَىْ رَأْسِهاَ فتمايلت ... عَلَىَّ هضيم الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ

وكذلك أيضاً قول الآخر :

حتى إذا قملت بطونكم ... ورأيتم أبناءكم شبوا ... وقلبتم ظهر المجن لنا

الواو فيه عاطفة وليست زائدة ، والتقدير فيه : حتى إذا قملت بطونكم ورأيتم أبناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا بان غدركم ولؤمكم .

وإنما حذف الجواب فى هذه المواضع للعلم به توخياً للايجاز والاختصار ، وقد جاء حذف الجواب فى كتاب الله تعالى وكلام العرب كثيرا ، قال الله تعالى «ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً» فحذف جواب لو ولا بدّ لها من الجواب والتقدير فيه : ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض لكان هذا القرآن لحذفه للعلم به توخياً للايجاز والاختصار .

وقال تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم » لحذف جواب لولا ، والتقدير فيه : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة ، ولعاجلكم بالعقوبة .

وقال عبد مناف بن ربع الهذلى :

(بِعَطْفِ عَامِلٍ مُزَالٍ) أى محذوف (قَدْ بَقِيَ مَعْمُولُهُ) مرفوعاً كان نحو : « اُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ » أى وَلْيَسْكُنْ زوجك ، أو منصوباً ، نحو « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ » أى وألفوا الإيمان، أو مجروراً . نحو « مَا كُلُّ بيضاء شَحْمَةً ، وَلاَ سَوْدَاءَ تَمْرَةً » أى ولا كل سوداء ، وإنما لم يجعل العطف فيهن على الموجود (دَفْعاً لِوَهْمٍ اتُّقِي) أى حُذِر ، وهو أنه يلزم فى الأول رفع فعل الأمر الاسم الظاهر ، وفى الثانى كون الإيمان متبوأ ، وإنما يتبوأ المنزل . وفى الثالث العطف على معمولى عاملين ، ولا يجوز فى الثانى أن يكون الإيمان مفعولا معه لعدم الفائدة فى تقييد الأنصار بمصاحبة الإيمان إذ هو أمر معلوم .

* * *

حتى إذَا أَسْلَكُوهم فى قُتَائِدَةٍ   شَلا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةُ الشُّرُدَا

ولم يأت بالجواب ، لأن هذا البيت آخر القصيدة ، والتقدير فيه : حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة شلوا شلا ، فحذف للعلم به توخياً للايجاز والاختصار على ما بينا .

* * *

وقول الشارح : كقول بعضهم « وبك وأهلا وسهلا جواباً لمن قال له مرحباً » الواو لعطف جميع الكلام على كلام المتكلم الأول ، قالوا وفى « وعليكم السلام » جواباً لمن قال « السلام عليكم » أما الواو الثانية فهى لعطف « أهلا » على « مرحباً » المقدر ، عطف مفرد على مفرد وهى محل الشاهد . والتقدير ومرحباً بك وأهلا ، فبك متعلق بمرحباً ، وأهلا معطوف على مرحباً ، وهذا مبنى على أن العامل فى الجميع واحد أى صادفت كذا وكذا ؛ ومنهم من جعل ذلك من عطف الجمل وقدّر لكل واحد ما يناسبه ، وسيبويه يجعل مرحباً وأهلا منصوبين على المصدر .

* * *

أما حذف المعطوف عليه بالفاء فى نحو قوله تعالى « أفنضرب عنكم الذكر صفحاً » فهو خاص بالجمل ، فجملة « نضرب » معطوفة على جملة محذوفة أى أنهملكم فنضرب ، وأما نحو قوله تعالى « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم » فجملة « أفلم يروا » معطوفة على جملة محذوفة أى أعموا فلم يروا . وظاهره أن الفاء عطفت على جملة مقدرة بينها وبين الهمزة ، وأن الهمزة فى محلها الأصلى وهذا قول الزمخشرى وقول طائفة ، ومذهب سيبويه والجمهور أن الهمزة قدمت

وأمّا حذفه مع أو فى قوله :

من تأخير تنبيهاً على أصالتها فى التصدر ومحلها الأصلى بعد الفاء والأصل فأنضرب . فألم يروا . وهذا الحكم ليس خاصاً بالفاء والواو وإنما تشركهما فيه ثم .

وقال ابن هشام عند الكلام على مبحث كيف : ويقال فيها كى كما يقال فى سوف سو ، قال :

كى تجنحون إلى سلم وما ثُئرت قتلاكم واظى الهيجاء تضطرم

أى كيف بدليل أن الفعل بعدها مرفوع بثبوت النون، ولو كانت كى على حالها تعليلية لكان الفعل بعدها منصوباً بحذف النون ، وكيف اسم لدخول الجار عليه بلا تأويل فى قولهم « على كيف تبيع الأحمرين » ولإبدال الاسم الصريح منه بلا تأويل نحو « كيف أنت أصحيح أم سقيم » . وللإخبار به مع مباشرته الفعل فى نحو « كيف كنت » فبالإخبار به انتفت الحرفية وبمباشرة الفعل انتفت الحرفية وبمباشرة الفعل انتفت الفعلية .

وكيف تستعمل على وجهين (أحدهما) أن تكون شرطاً فيقتضى فعلين متفق اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو «كيف تصنع أصنع» ولا يجوز « كيف تجلس أذهب» باتفاق، ولا« كيف تجلس أجلس» بالجزم عند البصريين إلاقطربا من البصريين فقد وافق الكوفيين فى إجازة جزم الفعلين بها مطلقا سواء اقترنت بما أو لا . وإنما منع البصريون ذلك لمخالفتها لأدوات الشرط بوجوب موافقة جوابها لشرطها ، وقيل يجوز بشرط اقترانها بما وعلى هذا مشى صاحب الأجرومية حيث قال : « وكيفما » .

ومن أمثلة ورودها شرطاً قوله تعالى « ينفق كيف يشاء » ، « يصوركم فى الأرحام كيف يشاء »و« فيبسطه فى السماء كيف يشاء » وجوابها فى ذلك كله محذوف لدلالة ماقبلها عليه وهذا يشكل على إطلاقهم أن جوابها يجب مماثلته بشرطها .

(الوجه الثانى) من استعمالاتها وهو الغالب فيها أن يكون استفهاما إماحقيقياً نحو «كيف زيد» أو غيره نحو « كيف تكفرون بالله » الآية ، فإنه أخرج مخرج التعجب . وتقع خبراً قبل ما لا يستغنى نحو « كيف أنت » ومنه « كيف كنت » و « كيف ظننت زيداً » و « كيف أعلمته فرسك » لأن ثانى مفعولى ظن وثالث مفعولات أعلم خبر إن فى الأصل . وتقع كيف الاستفهامية قبل ما يستغنى نحو « كيف جاء زيد » أى على أى حالة جاء وعند ابن هشام أنها تأتى فى هذا النوع مفعولا مطلقاً أيضا . وأن منه « كيف فعل ربك » إذ المعنى أىّ فعل فعل ربك . ولا يتجه فيه أن يكون بدلا . ومثله « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » أى أىّ صنع يصنعون وقت مجيئنا من كل أمة بشهيد ؟ ثم حذف عاملها مؤخراً عنها وعن إذا ــ كذا قيل ــ والأظهر أن يقدر بين كيف وإذا ويقدر إذا خالية من معنى الشرط ، وأما قوله تعالى « كيف وإن يظهروا

٨٥٥ — * فَهَلْ لَكَ أَوْ مِنْ وَالِدٍ لَكَ قَبْلَنَا *

أى فهل لك من أخ أو من والد فنادر .

عليكم » فالمعنى كيف يكون لهم عهد وحالهم كذا وكذا . فكيف حال من عهد ، إما على أن يكون تامة أو ناقصة ، وقلنا بدلالتها على الحدث وجملة الشرط حال من ضمير الجمع .

وعن سيبويه أن كيف ظرف ، وعن السيرافى والأخفش أنها اسم غير ظرف ، ورتبوا على هذا أموراً ليس هنا موضع بسطها وإنما محله فى الكلام على أدوات الاستفهام .

٨٥٥ — صدر بيت لأبى أمية الهذلى من البحر الطويل وعجزه :

يُوَشِّجُ أَوْلاَدَ الْعِشَارِ وَيُفْضِلُ

وقد أورده السيوطى فى الهمع فى مسألة جواز حذف المعطوف بالواو مع عقب الكلام على جواز حذف الفاء ومتبوعها فقال : وقلّ فى « أو » أى حذفها أو متبوعها . نحو « صلى رجل فى إزار ورداء ، فى إزار وقميص ، فى إزار وقباء » أى « أو فى » ثم قال : وقال الهذلى : فهل لك أو من والد لك قبلنا » أى فهل لك من أخ أو والد اه ، ووجدت العينى فى الشواهد الكبرى قد نسبه لأبى أمية الهذلى ، وقد بحثت فى شعر الهذليين عن هذا البيت فما وجدته .

اللغة : « يوشج » روى بالجيم المعجمة قال العينى وهو من التوشيج بمعنى الإحكام ، والمعنى عليه غير ظاهر ، والذى أذهب إليه ويفهم به المعنى أن يوشج بمعنى رعى الوشيج ، وهو كما جاء فى اللسان عروق الشجر ، وفى حديث خزيمة « وأنفت أصول الوشيج » قيل هو ما التف من الشجر ، أراد أن السنة أنفت أصولها إذ لم يبق فى الأرض ثرى فمعنى « يوشج » يجعلها ترعى الوشيجة بمعنى أنه يتعهد المطافيل والصغار ويحوطهم ويعنى بشئونهم وأمورهم . وفى حديث على « ووشج بينها وبين أزواجها » قال صاحب اللسان أى خلط وألف ، يقال وشج الله بينهم توشيجاً ، وبينهم رحم واشجة ووشيجة مشتبكة متصلة . وأنشد :

تمتُّ بأرحامٍ إليكَ وَشيجَـــةٍ وَلاَ قُرْبَ بِالأرْحَامِ مَا لم تقرَّب

وقد وشجت بك قرابة فلان ، والاسم الوشيج ، وقد وشجها الله توشيجاً والواشجة الرحم المشتبكة المتصلة .

ومما يقوى ما ذهبت إليه ماقاله ابن منظور فى لسان العرب : « الوشج » ضرب من النبات وهو من الجنبة ، قال رؤبة :

تنبيهـــــان

الأول : قال فى التسهيل : ويغنى عن المعطوف عليه المعطوف بالواو كثيراً وبالفاء قليلا .

الثانى : قال فيه أيضاً : وقد يتقدم المعطوف بالواو للضرورة ، وقال فى الكافية :

وَمُتْبَعٍ بِالْوَاوِ قَدْ يُقَـــدَّمُ ۔ مُوَسَّطاً إِنْ يُلْتَزَمْ مَا يَلْزَمُ

وظاهره جوازه فى الاختيار على قلة ، قال فى شرحها قد يقع أى المعطوف قبل المعطوف عليه إن لم يخرجه التقديم إلى التصدير أو إلى مباشرة عامل عليه لا يتصرف ، أو تقدّم عليه . ولذا قلت :

* مُوَسَّطاً إِنْ يُلْتَزَمْ مَا يَلْزَمُ *

فلا يجوز « وعمرو زيد قائمان » لتصدر المعطوف وفوات توسطه ، ولا « ما أحسن وعمراً زيداً » ولا « ما وعمراً أحسن زيداً » لعدم تصرف العامل .

وَمَلَّ مَرْعَاهَا الْوَشِيجَ الْبَرْوَقَا

والجنبة من النبات فوق البقل ودون الشجر ، وقيل كل نبت يورق فى الصيف من غير مطر . والبروق ما يكسو الأرض من أول خضرة النبات وقيل هو نبت معروف . اه « لسان مادة وشج » .

ويروى « يوشع » بالحاء المهملة وهو من التوشيح ومعناه التزيين ، و « أولاد العشار » الحديثات العهد بالنتاج ، قال ثعلب ، و « العشار » من الإبل التى قد أتى عليها عشرة أشهر ، وبه يفسر قوله تعالى « وإذا العشار عطلت » . وقيل « العشار » اسم يقع على النوق حتى ينتج بعضها وبعضها ينتظر نتاجها ، قال الفرزدق :

كَمْ عمةٍ لكَ يا جريرُ وَخَالةٍ فَدْعَاء قد حلبتْ عَلَيَّ عِشَارِى

قال بعضهم ، وليس للعشار لبن . وإنما سماها عشاراً لأنها حديثة العهد بالنتاج وقد وضعت أولادها . ومعنى « يفضل » من الافضال وهو الإحسان والإجمال.

المعنى : أن أبا أمية الهذلى يمن على مخاطبه فى هذا البيت بأنه هو أو قبيلته حاطه ورعاه وكان به

ومثال التقديم الجائز قول ذى الرُّمة :

٨٥٦ — كَأَنَّا عَلَى أَوْلَادِ أَحْقَبَ لَاحَهَا ... وَرَمْىُ السَّفَا أَنْفَاسَهَا بِسِهَامِ

جَنُوبٌ ذَوَتْ عَنْهَا التَّنَاهِي وَأَنْزَلَتْ ... بِهَا يَوْمَ رَبَّابِ السَّفِيرِ خِيَامُ

رفيقاً أحوج ما يكون إلى الرعاية والرفق وقد شبهه « بأولاد العشار » لضعفها وعدم استطاعتها شيئا وأنه كأولاد العشار كان كلاً على الشاعر أوعلى قبيلته ولم يكن له من تولى رعايته وحمايته قبل رعيتهم له أحد من آباء أو من إخوة .

الإعراب : « فهل » الفاء بحسب ما قبلها ، و « هل » حرف استفهام ، و « لك » جار جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره هل أخ لك كائن أو موجود ، و « أو » حرف عطف ، و « من » زائدة و « والد » معطوف على « أخ » والتقدير فهل لك أخ أو والد .

وهذا نادر ، وقد كثر ذلك مع الواو كقولك « بلى وزيداً » لمن قال « ألم تضرب عمراً » وهو قليل مع الفاء ، كما تقدم . قال الشارح رحمه الله ، ومثاله قول الله تعالى « أن اضرب بعصاك البحر فانفلق » والتقدير فضرب فانفلق .

٨٥٦ — هذان البيتان من البحر الطويل وهما لذى الرمة واسمه غيلان بن عقبة من عدى الرباب ، أوردهما سيبويه رحمه الله تعالى فى باب المعرفة فقال : فى هذا باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً فى الأمة ليس واحد منها أولى به من الآخر ولا يتوهم به واحد دون آخر له اسم غيره ، نحو قولك للأسد أبو الحارث وأسامة ، وللثعلب ثعالة وأبو الحصين وسمسم ، وللذئب دألان وأبو جعدة ، وللضبع أم عامر وحضاجر وجعار وجيأل وأم عنثل وقثام ، ويقال للضبعان قثم . ومن ذلك قولهم للغراب ابن بريح — فكل هذا يجرى خبره مجرى خبر عبد الله ، ومعناه إذا قلت هذا أبو الحارث أو هذا ثعالة أنك تريد هذا الأسد أو هذا الثعلب وليس معناه كمعنى زيد وإن كانا معرفة وكان خبرهما نصباً من قبل أنك إذا قلت هذا زيد ، فزيد اسم لمعنى قولك هذا الرجل إذا أردت شيئاً بعينه قد عرفه المخاطب بحليته أو بأمر قد بلغه عنه قد اختص به دون من يعرف فكأنك إذا قلت هذا زيد قلت هذا الرجل الذى من حليته ومن أمره كذا وكذا بعينه فاختص هذا المعنى باسم علم يلزم هذا المعنى ، وليحذف الكلام وليخرج من الاسم الذى قد يكون نكرة ويكون لغير شىء بعينه لأنك إذا قلت هذا الرجل فقد يكون أن تعنى كماله ، ويكون أن تقول هذا الرجل وأن تريد كل ذكر تكلم ومشى على رجلين فهو رجل ، فاذا أراد أن يخلص ذلك

... ...

المعنى ويخصه ليعرف من تعنى بعينه وأمره ، قال : زيد ونحوه ، وإذا قلت هذا أبو الحارث فأنت تريد هذا الأسد أى هذا الذى سمعت باسمه أو هذا الذى قد عرفت أشباهه ولا تريد أن تشير إلى شىء قد عرفته بعينه قبل ذلك كمعرفتك زيداً . ولكنه أراد هذا الذى كل واحد من أمته له هذا الاسم . . . ومثل ذلك ابن آوى ، وابن عرس وأم حبين وسام أبرص ، وبعض العرب يقول أبو بريص وحمار قبان . كأنه قال فى كل واحد من هذا الضرب الذى يعرف من أحناش الأرض بصورة كذا . وأما ابن لبون وابن مخاض فنكرة لأنها تدخلها الألف واللام . وكذلك ابن ماء ، قال جرير :

وَابنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ ... لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ القناعيس

أدخل الألف واللام فى اللبون ليعرف الأول به لأنه اسم جنس نكرة بمنزلة ابن رجل ولم يجعل على منزلة ابن آوى وغيره فلذلك خالفه فى دخول الألف واللام على ما أضيف إليه .

وقال أبو عطاء السندى ، ويروى لأبى الهندى :

مُفَدَّمـــــةً قُزًّا كأنَّ رِقَابَهَا ... رِقَابُ بَنَاتِ الماءِ أفزعَها الرَّعدُ

وقبله :

سَتُغْنِى أبَا الهِنْدِىِّ عَنْ وَطْبِ سَالِمٍ ... أبَارِيقُ لَمْ يعلَق بهَا وَضَرُ الزُّبد

ويروى البيت الأول تفزع للرعد ، وهو أولى ولعله أصلح تحاشياً من الإقواء .

عرَّف بنات الماء باضافتها إلى الألف واللام لأنهم أنزلوا ابن ماء منزلة ابن لبون وعلة كعلته ، وقال الفرزدق :

وَجَدْنَا نَهْشَلاً فَضَلَتْ فُقَيْماً ... كَفَضْلِ ابْنِ المَخَاضِ عَلَى الْفَصِيلِ

فإذا أخرجت الألف واللام صار الاسم نكرة ، قال ذو الرمة :

وَرَدْتُ اعْتِسَافاً وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا ... عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلِّقُ

وكذلك ابن أفعل ، إذا كان أفعل ليس باسم لشىء ، وقال ناس كل ابن أفعل معرفة لأنه لا ينصرف ، وهذا خطأ ، لأن أفعل لا ينصرف وهو نكرة ، ألا ترى أنك تقول هذا أحمرُ قمدٌ فترفعه ، إذا جعلته صفة للأحمر ، ولو كان معرفة كان نصباً فالمضاف إليه بمنزلته ، قال ذو الرمة :

كأنَّا عَلَى أوْلادِ أحْقَبَ لاحَها ... وَرَمْىُ السَّفَا أنفَاسَهَا بِسِهَامِ

جَنُوبٌ ذَوَتْ عَنْهَا التَّنَاهِى وأنزلَتْ ... بِهَا يَوْمَ ذَبَّابِ السَّبِيبِ صِيَامِ

اهـ (الكتاب لسيبويه)

... ...

وهما من قصيدة أولها :

أَلا حَيِّيا بالزُّرق دَارَ مُقَامِ   لِمَىٍّ وإنْ هاجَت رجيعَ سَقَامِى
عَلَى ظهْرِ جَرْعاءِ الكثيب كأنها   سَنِيَّـــةُ رقم فِى سَرَاة قرامِ
إلَى جنب مأوى جامِلٍ لمْ تَدَعْ بِهِ   من الدِّمَنِ الأرواحُ غـــير حُطَامِ
كَأَنَّ بقَايا حائلٍ فى مُرَاحِهِ   لُقَاطاتُ وَدْعٍ أوْ قُيُوضُ يَمَامِ
تَرَائِكُ أَيْأسْنَ الْعَوَائِدَ بَعْدَهَا   أَهَفْنَ وَطَارَ الْفَرْخُ بَعْدَ رُزَامِ
خلاءٌ تَحِنُّ الرِّيحُ أوكُلَّ بُكْرَةٍ   بِهَا مِنْ خَصَاص الرِّمْثِ كُلُّ ظَلاَمِ
ولِلْوَحْشِ والجِنَّانِ كُلَّ عَشِيَّةٍ   بِهَا خِلْفَةٌ من عازِفٍ وبُغَامِ
كَحَلْتُ بِهَا إنْسَانَ عَيْنِى فأَسْبَلَتْ   بِمُنْتَسِفٍ بَيْنَ الْجُفُونِ تُؤَامِ
تُبَكِّى عَلَى مَىٍّ وقَدْ شَطَّتِ النَّوَى   وما كُلُّ هذا الحبِّ غَيْرُ غَرَامِ
لَيَالِىَ مَىٌّ مَوْتَةٌ ثُمَّ نَشْرَةٌ   لِمَا أَلْمَحَتْ من نَظْرَةٍ وكَلاَمِ
إذا انجردَتْ إلاَّ من الدرع وارْتَدَتْ   غَـــدَائِرَ مَيَّالِ القُرُونِ سُخَامِ
على مَتْنَةٍ كالنِّسْعِ تَحْبُو ذُنُوبُهَا   لِأَحْقَفَ مِنْ رَمْلِ الْغِنَاء رُكَامِ
أَلاَ طَرَقت مَىٌّ وَبينى وبينها   مَهَاوٍ لأصْحَابِ السُّرَى وترامِى
فَتًى مُسْلِمٌ الْوَجْهِ شَارَكَ حُبَّهَا   سَقَامُ السُّرَى فى جِسْمِهِ بِسَقَامِ
أَلاَ يا اسْلَمِى يا مَىُّ كُلَّ صَبِيحَةٍ   وإنْ كُنْتُ لا أَلْقَاكِ غَيْرَ لِمَامِ
وَأَنَّى اهْتَدَتْ مَىٌّ لِصُهْبٍ بِقَفْرَةٍ   وَشُعْثٍ بأجوازِ الْفَـــلاَةِ نِيَامِ
أَنَاخُوا وَنَجْمٌ لاَحَ بَارِقُ ضوئه   يُخَالِفُ شَرْقِىَّ النُّجُوم تَهَامِ
وَلَمْ تَسْتَطِعْ مَىٌّ مُهَاوَاتَنَا السُّرَى   وَلاَ لَيْلَ عِيسٍ فى الْبُرِينَ سَوَامِى
فَإنْ كُنْتِ إبْرَاهِيمَ تَنْوِينَ فَالْحَقِى   نَزُرْهُ وإلاَّ فارْجِعى بسَـــلامِ
صَفِىٌّ أميرِ المُؤْمِنِينَ وخاله   سَمِىٌّ خَلِيلِ اللهِ وابنِ هِشَامِ

إلى أن يقول :

... ...

إليكَ ابتعَثْنا العِيسَ وانتَعَلَتْ بنا فيافِيَ تَرْمِي بَيْنَهـا بسِهامِ
قِلاَصاً رَحَلْنا هُنَّ مِنْ حَيْثُ تَلْتَقِي بوَهْبِينَ فَوْضَى رَبْرَبٍ وَنَعامِ
يُرَاعِينَ نِيرَانَ الفَلاَةِ بأعْيُنٍ صَوافِي سَوَادِ المَأْقِ غَيْرِ ضِخامِ
وَآذَانِ خَيْلٍ فِي بَرَاطِيلَ حُشِّشَتْ بُرَاهُنَّ مِنْها فِي مُتُونِ عِظامِ
إذا مَا تَجَلَّتْ لَيْلَةُ الرَّكْبِ أصْبَحَتْ خَرَاطِيمُها مَغْمُورَةً بلُغامِ
فَكَمْ وَاعَسَتْ بالرَّكْبِ مِنْ مُتَعَسِّفٍ غَليظٍ وَأخْفافُ المَطِيِّ دَوَامِي
سَبَارِيتَ إلاَّ أنْ يَرَى مُتَأَمِّلٌ قنَازِعَ أسْنَامٍ بِهَا وَثُغَامِ
ومِن رحلة عَذْراءَ مِنْ كلِّ مَطْلَعٍ فَيَمْرُقْنَ مِنْ هَارِي التُّرَابِ رُكَامِ
وَكَمْ نَفَرَتْ مِنْ رَامِحٍ مُتَوَضِّحٍ هِجَانِ القَرَى ذِي سَفْعَةٍ وَخِدَامِ
لِيَاحِ السبيب أنْجَلِ العَيْنِ آلِفٍ لِمَا بَيْنَ غَضْنٍ مُغْبِلٍ وَهُيَامِ
وَكَمْ حَنَشٍ ذَعْفِ اللُّعَابِ كَأنَّهُ على الشَّرَكِ العَادِيِّ نِضْوُ عِصامِ
بأَغْبَرَ مَهْزُولِ الأفَاعِي مَجَنَّةٍ سَخَاوِيَّةٍ مَنْسُوجَةٍ بِقَتَـامِ
وَكَمْ خَلَّفَتْ أعْنَاقُهَا مِنْ نَحِيزَةٍ وَأرْعَنَ مِنْ قُودِ الجِبَالِ خُشَامِ
يُشَبِّهُهُ الرَّاءُونَ وَالآلُ عَاصِبٌ على نِصْفِهِ مِنْ مَوْجِهِ بِجَزَامِ
سَمَاوَةَ جَوْنٍ ذِي سَنَامَيْنِ مُعْرِضٍ سَمَا رَأسُهُ عَنْ مَرْتَعٍ بِحِجَامِ
إلَيْكَ وَمِنْ قِيفٍ كَأنَّ دَوِيَّهُ غِناءُ النَّصارَى أوْ حَنِينُ هِيَامِ
وَكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنْهَلٍ مُتَخَطًّا أفَلَّ وَأقْوَى بالجِمَامِ طَوَامِي
إذَا مَا وَرَدْنَا لَمْ نُصَادِفْ بِجَوْفِهِ سِوَى وارداتٍ مِنْ قَطًا وَحَمَامِ
كَأنَّ صِيَاحَ الكُدْرِ يَنْظُرْنَ عَقْبَنَا تَرَاطُنُ أنباطٍ عَلَيْهِ قِيَامِ
إذَا سَاقِيَانَا أفْرَغَا فِي إزَائِهِ على قُلُصٍ بالمُقْفِرَاتِ حِيَامِ

... ...

تَدَاعَيْنَ باسمِ الشِّيبِ فِي مُتَثَلِّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلاَمِ
زَهالِيلُ أشْبَاهٌ كَأَنَّ هُوِيَّهَا إذا نَحْنُ أدْلَجْنَا هُوِيُّ جَهَامِ

وبعده بيتا الشاهد وبعدهما :

كَأَنَّ شُخُوصَ الخَيْلِ هَامٍ مَكانُهَا على جَمَدٍ رَهْبَى شُخُوصُ خِيَامِ
يُقَلِّبْنَ مِنْ شَعْرَاءِ صَيْفٍ كَأَنَّهَا مَوَارِقُ لِلّدَغِ انْخِزَامُ مَرَامِي
نُسُورًا كَنَقْشِ العَاجِ بَيْنَ دَوَابِرٍ مُخَيَّسَةٍ أرْسَاغُهَا وَحَـــوَامِ
فَلَمَّا ادَّرَعْنَ اللَّيْلَ أَوْ كُنَّ مَنْصَفاً لِمَـا بَيْنَ ضَوْءِ فَاسِحٍ وَظَلاَمِ
تَوَخَّى بِهَا العَيْنَيْنِ عَيْنَيْ غُمَارَةٍ أَقَبُّ رَبَاعٍ أَوْ قُوَيْرِحُ عَامِ
طَوى البَطْنِ زَمَّامٌ كَأَنَّ سَحِيلَهُ عَلَيْهِنَّ إذْ وَلَّى هَدِيلُ غَـلاَمِ
يَشُجُّ بِهِنَّ الصُّلْبَ شَجًّا كَأَنَّمَا تَحَرَّقْنَ فِي قِيعَانِهِ بِضِرَامِ

اللغة : « ألا حييا بالزرق » يروى ألا حييا عند الزرق ، « والزرق » أكثبة بالدهناء ، و « الرجيع » الذى يعود بعد ما مضى ، و « السنية » غالية الثمن ، وكل غال فهو سنى ، يقال للشيء إذا كان غالياً إنه سنى ، وقوله « سراة قرام » السراة الظهر فى كل شيء « والقرام » الثياب ذات الحمل يستتر بها «والرقم » كل وشى ينقش مدوراً . و « الجامل » الجمال . «ومأواها» حيث تأوى بالليل ، « والعنن » حظائر من الشجر تعمل للإبل تكتنف فيها ، وهو الكنيف ، قال زهير :

تَاللهِ قَدْ عَلِمَتْ قَيْسٌ إذَا قَذَفَتْ رِيحُ الشِّتَاءِ بُيُوتَ الحَيِّ بِالعُنَنِ

وواحد « العنن » عنة ، قال الشاعر :

هَلَـكَتْ عَامِرٌ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرُ آلٍ وَعُنَّةٍ وَعَرِيشِ

« الآل » الخيمة « والحطام » ما تحطم وتكسر ، و « الأرواح » جمع ريح .

... ...

و «حائل» أى بعر أتى عليه حول فتغير لونه حتى صار إلى البياض و «القيوض» قشور واحدها قيض ، وهو قشر البيضة الأعلى « واليمام » طائر ، قال الأصمعى : هى الطيور الأهلية من الحمام و «مراح الجمال» المواضع التى تراح إليها عند العشية ، شبه بياض البعر الحائل ببياض الودع وقشور البيض لأنه قد حال وقد تغير من البياض إلى لون السواد .

و « ترائك » يعنى بيض النعام ، وكذلك بيض النعام وغيره ، إذا فسدت البيضة فهى الترائك بمعنى المتروكة ، ومن هذا قيل لبيضة الحديد التى تترك على الرأس تريكة أيضاً ، وجمعها ترائك ، قال الشاعر : * وترك جعلنا للرءوس قوانساً *

وقوله « أيأسن العوائد » يقول إن الترائك ، وهى البيضات التى فسدت أيأسن الأمهات اللواتى تعودهن ، فلم يبق للأمهات طمع أن يفرخن ، وأهفن أصابهن الهيف ، وهى الريح الحارة وقوله « بعد رزام » يعنى أنه طار الفرخ عن مكانه بعد أن كان رزاماً لا يستطيع النهوض .

وقوله « خلاء » نصب خلاء لأنه من صفة الدار ، أراد حيا بالزرق دار مقام خلاء أى خالية ، وقوله « أو كل بكرة » أراد تحن الريح كل ظلام فيها أو كل بكرة فقدّم وأخر « والرمث » شجر تأكله الإبل ، والخصاص الفرج بين الأغصان وكل فرجة خصاصة يقول الريح تحن أى تصوت من تلك الفرج التى بين أغصان الرمث ليلا ونهارا ، والحنين صوت الريح .

وقوله « للوحش والجنان » الجنان الجن « وعزف الجن » أصواتها ، وأراد من بين عازف ومن بين بغام للوحش ، وقوله «خلفة» أى صوتان مختلفان كما قال زهير :

بِهَا الْعِينُ وَالْآرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وقوله « خلفة » أى مختلفات فى ذهابهن ومجيئهن وقيل خلفة أى مختلفات الألوان ، وكذلك قول الله تعالى « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة » أى لونين مختلفين ، وقيل «خلفة» أى مختلفات يجىء هذا ويذهب هذا .

وقوله « كحلت بها إنسان عينى » يعنى كحلت بالدار إنسان عينى ، أى نظرت إليها وإلى معارفها وآياتها ، ، و « فأسبلت » أى سالت دموعها ، وقوله « بمعتسف » أى تجرى بدمع على غير مجاراة و «تؤام» تجرى قطرتين متتابعتين .

وقوله « غير غرام » الغرام البلاء ، وفى كتاب الله تعالى « إنا لمغرمون » أى مبتلون ، وفلان مغرم بفلانة أى مبتلى بها ، وقيل الغرام الهلاك ، «وشطت النوى» بعدت والنوى النية التى يتوجهون إليها .

... ...

وقوله «ليالى مى موتة ثم نشرة» أى تموت مرة وتحيا أخرى، و «لما ألحت» أى لما أمكنتنا من النظر إليها ومن اللح والكلام.

وقوله «إذا انجردت الخ الانجراد هنا التجرد،» «والغدائر» ضفائر الشعر الواحدة غديرة، وهى الذؤابة «والسخام» اللين من كل شئ من الشعر والريش والقطن والخز، وهو هنا يعنى شعرها، قال الراجز يصف الثلج:

كَأَنَّهُ بِالصَّحْصَحَانِ الأَنْجَلِ قُطْنٌ سَخَامٌ بِأَيَادِى غُزَّلِ

يعنى السراب، والصحصحان: ما استوى من الأرض، والأنجل الواسع، شبه بياض السراب ببياض القطن، ويقال للخمرة سخامية أى لينة سلسلة، وفى اللسان: وقيل السخام من الشعر: الأسود، والسخامى من الخمر: الذى يضرب إلى السواد.

وقوله «على متنة كالنسع، البيت» يقول إن شعرها مسبول على متنها مجدول كالنسعة التى قد جدلت وانفرت ويقال متن ومتنة، و «تحبو» أى تدنو والدنوب أسفل المتنين، و «الأحقف» يعنى هنا العجيزة شبهها بالرمل الأحقف وهو الذى فيه اعوجاج، و «الغناء» كثيب الرمل. يقول الأعشى فى الدنوب:

إذا تُلَاعِبُ قِرْناً سَاعَــــــــةً فَتَرَتْ وارْتَجَّ مِنْهَا ذَنُوبُ المَتْنِ وَالْكَفَلُ

وقوله «ألا طرقت مى. البيت» الطرق: التبييت. والطروق: المجىء بالليل خاصة، و «المهاوى» أمكنة تطرح من مكان إلى مكان واحدها مهوى، ويروى «رهاء لأصحاب السرى مترامى» والرهاء: الأرض الواسعة.

وقوله «فتى مسلهم الوجه. البيت» يقول ألا طرقت مىّ فتى مسلهم الوجه و«المسلهم» الضامر وقوله «شارك حبها» يقول هو سقيم من حبها ومن سرى الليل، فاشترك فى نحول جسمه ما اجتمع عليه من حبها مع السير المضنى فى الليل.

و «الإلمام» زيارة خفية بين الأوقات. و «أنى اهتدت» بمعنى كيف اهتدت إلى إبله صهب ورجال شعث بقفرة من الأرض.

وقوله «ولم تستطع مى، البيت» أى لم تستطع أن ترافقنا وتسير معنا، وتهوى معنا فى السهر، ولم تستطع أن تقاسى ليل عيس، و«العيس» الإبل فى ألوانها بياض، وواحدة البرين «برة» وهى حلق الأخشة من صفر فى طرف الجزيرة، ويقال برين فتجعل الإعراب فى البرو. والأجود أن

... ...

يقال فى النصب والجر برين ، وفى الرفع برون لأنه جمع برة « وسوام » رافعات رءوسها .

وقوله « فإن كنت إبراهيم » يقول للابل والرواحل إن كنت تنوين إبراهيم فالحقى نزره ، يعنى إبراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم المخزومى، ويعنى بإبراهيم بن هشام ممدوحه .

وقوله «سمى خليل الله» يعنى بخليل الله إبراهيم الخليل عليه السلام، وقوله « وابن هشام » يعنى الممدوح ، يقول هو ابن هشام ، فهو على هذا التقدير يجوز الرفع والنصب فيه وفيما قبله، ومن نصبه فهو على الصفة وعلى المدح بإضمار أعنى وهو الأجود .

وقوله « إليك ابتعثنا العيس » أى أثرناها ووجهناها ، « وانتعلت بنا فيافى » أى ركبت بنا فيافى ، يقول اتخذتها نعالا ، وقوله « بسهام » السهام الرمى بالحجارة والحر .

وقوله « قلاصاً رحلناهن من حيث تلتقى ، البيت » أى وضعنا عليها الرواحل أو اتخذناها رواحل وركائب فى أسفارنا .

و«نعام» أى مفرقة و«الربرب» القطيع من بقر الوحش ، ويروى قلاص بالرفع، و«القلاص» من الإبل الإناث والفتيات التى قد قويت و « وهبين » جبل من جبال الدهناء قال الأزهرى وقد رأيته وقال ابن سيده : وهبين اسم موضع ، قال الراعى :

رجاؤك أنسانى تذكر إخوتى   ومالك أنسانى بوهبين ماليا

و« فوضى ربرب» أى على غير نظام، يريد النعام والبقر، والقلاص أفتاء الإبل ولا تكون إلا إناثا .

وقوله « يراعين ثيران الفلاة بأعين » يقول هذه القلاص يراعين ثيران الفلاة وينظرن إليها بأعين شديدات السواد ، و « الصوافى » الصافيات النقية ليس فيها ما يكدرها . ويروى سواد الماء و«غير ضخام» أى مستديرة شداد .

وقوله « وآذان خيل ، فى براطيل خششت » خششت براهن ، أى أدخلت فى متون عظام ، وإذا كانت البرة فى العظم فهو خشاش . شبه آذان هذه القلاص بآذان الخيل فى استماعها للأصوات الخفية وقيل شبهها بآذان الخيل لأنها مؤللة محشورة دقاق الأعالى عراض الأسافل ، و«البراطيل» الحجارة الطوال ، شبه لحيها بالبراطيل ، وقيل شبه رءوسها بالبراطيل فى صلابتها وواحد البراطيل برطيل ، و « البرى » الحلق أخششت أى أدخلت فى عظام أنوفها .

وقوله « إذا ما تجلت ليلة الركب . البيت » يقول إن هذه الإبل تغمر خراطيمها وهى أنوفها بلغامها ، وهو زبدها ، وإنما سميت الأنوف خراطيم لأنها أشرف شىء فى الانسان أو الحيوان.

... ...

وقوله « فكم واعست » واعست : سارت فى الرمل المنعسف المكان الذى يعسف فيه السير الشديد .

وقوله « سباريت » السباريت الخالية من النبت والماء لا أعلام فيها ولاصوى بها أى لايهتدى به والواحد سبروت « القنازع » بقايا شجر متفرق بمنزلة شعر الأسنان ، و «الثغام » نبت أبيض يشبه الشيب ، « والمتأمل » الذى ينظر باستقصاء .

وقوله «ومن رملة عذراء من كل مطلع » يقول: فكم واعست هذه الإبل أيضاً من رملة عذراء والعذراء التى لم تسلك قبل ذلك ، و « المطلع » المصعد ، و « يمرقن »أى يخرجن ، يعنى الإبل ، « وهارى التراب » ما تناثر منه والهور دخان السراج ، «وهارى» يعنى هائر فقدم الراء وأخر الياء.

وقوله « وكم نفرت من رامح متوضح » الرامح ثور وقرنه بمنزلة الرمح ، « ومتوضح » أى أبيض ، و«القرا» الظهر و«هجان» أى أبيض و« السفعة » سواد فى وجه الثور يخالطها حمرة ، و « خدام » أى سوار فى قوائمه كالخلخال فى أرجل النساء وأصل الخدام الخلاخيل الواحد خدمة .

وقوله « لياح السبيب أنجل العين » لياح السبيب أى أبيض الذنب ، يعنى أن الثور أنجل العين أى واسعها ، ومنه والطعنة النجلاء أى الواسعة الفم ، وقال الأصمعى ، «المعبل» الذى سقط ورقه ، وقال آخرون ، هو الذى أورق ، و « الهيام » ما سال من الرمل وانهار ، و « الآلف » المقيم .

وقوله « وكم حنش ذعف اللعاب » يقول : وكم جاوزت من حنش ، و« الحنش » الأفعى ، والجمع أحناش ، و«الذعف» والذعاف السم القاتل بسرعة ، و « الشرك العادى » الطريق القديم و « النضو » الدقيق ، و«العصام» حزام فم القربة ، شبه الأفعى بخيط القربة .

وقوله « بأغبر مهزول الأفاعى » أى بلد أغبر اللون ، و « مجنة » أى كثيرة الجن ، و « مهزول الأفاعى » من الهزال لكونها فى جدوب من الأرض، وذلك أبلى بسمها ، و « السخاوى » الأرض اللينة الدقيقة ، و « القتام » التراب والغبار .

وقوله « وكم خلفت أعناقها » « النحيزة » قطعة من الأرض الغليظة، « والرعن » طرف الجبل ، و « القود » الطوال ، و « الخشام » الطويلة العالية ، وهى بمعنى الجبل ، وروى : « وكم خلفت أعناقها من بسيطة ، وأرعن معتز الجبال خشام » والبسيطة الأرض المستوية .

وقوله «يشبه الراءون والآل عاصب ، البيت » «العاصب» المعتصب بالعصابة و «الآل» السراب أى السراب محيط بهذا الجبل وعاصب عليه فى منتصفه مثل الحزام .

... ...

وقوله « سماوة جون ذى سنامين معرض » يقول هذا الجبل وهذه الأرض وهذا الأرعن يشبهه الراءون سماوة جون، و«السماوة» الشخص ، و«الجون» الأبيض والأسود يقال لهما جون وإنما ، يعنى بعيرا . يقول هذا الجبل فوق هذه الأرض يشبهه الراءون بشخص بعير معرض عنقه فى ناحية ، و « سما » أى ارتفع ، و « الحجام » مرسة أو سير يشد على فمه يمنعه من الرعاية والعض .

وقوله «إليك ، ومن فيف كأن دويه» يقول كم واعست هذه الابل بالركب إليك كذا و«من فيف» أيضا ، والفيف ما استوى من الأرض . ثم شبه دوى هذا الفيف بأصوات النصارى إذا هم قرأوا الانجيل ، وقوله « حنين هيام » أى عطاش تعرض إلى الماء ، ويقال : جمل هيمان وناقة هيمى مثل عطشان وعطشى .

وقوله « وكم عسفت من منهل متخطأ » « عسفت » قطعت ، و « المنهل » مورد الماء ، وقوله « متخطأ » يتخطاه الناس فلا ينزلونه من خوف الفلاة ، وخوف عطشها وجوعها ، إذا تقطعوها سيراً ، وقال بعضهم « تخطأه المطر » ولم يقع وهو أقل ومتخاطأ أى تتركه الناس لبعده ، و « أقل » هو من قولهم أرض أقل أى لا يصيبها المطر و «أقوى» أى خلاء، وقوله «بالجمام طوامى » الجمام ما ارتفع من الماء يطمو إذا كثر وارتفع ، جم يجم إذا اجتمع ماؤها الجمام .

وقوله «كأن صياح الـكدر ينظرن عقبنا » و«الـكدر» القطا فى لونها كدرة ، وقوله «ينظرن عقبنا» أى ما يبقى من الماء وكل لغة سوى العربية فهى رطان ورطانة وتراطن «أنباط».لايتكلمون بالعربية ،ويروى « أنباط عليه طغام » « والطغام » السفلة من الناس ، ومن لا خير فيه .

وقوله « إذا سافيانا أفرغا فى إزائه » أراد فى إزاء الحوض ، والإزاء مصب الماء ، و«حيام» أى تحوم حول الماء عطاشاً ، و « القلاص » الفتيات من الإبل .

وقوله « تداعين باسم الشيب فى متثلم » الشيب حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب ترشف الماء ، تقول : شب ، وشيب ، قاله الراعى :

إذا مادعت شيباً بجنب عنيزة مشافرها فى ماء مزن وباقل

و « المتثلم » الحوض قد تثلمت جوانبه ، و « البصرة » حجارة من الـكذان بيض ، فيها رخاوة ولين ، تشبه الجص ، وبها سميت البصرة ، من أجل حجارتها البيض ، ومن أجل كذانها، وهى الحجارة الهشة اللينة البيض ، و « السلام » الحجارة واحدها سلمة بالـكسر .

وقوله « زهاليل أشباه » بالرفع على الصفة يروى زهاليل أشباه بالجر على الاضافة ، والزهاليل

... ...

الملس ، واحدها زهلول و « الجهام » السحاب الذي قد هراق ماؤه ، و « وهوبها » مرها في السير من هوى في البئر .

وقوله : « كأنا على أولاد حقب لاحها » أحقب يعني حمار الوحش في حقويه بياض ، و « لاحها » أي أضمرها وغيرها ، و « السفا » شوك البهمى ، يقول إنها تأكله ، وقد هاج أي يبس فيصيب مشافرها وأنوفها فيدميها . فكأنها السهام ، وذلك مثل قوله : حتى آنفتها نصالها : آنفتها أي طعنتها في أنوفها ، شبه الشوك بالنصال .

وقوله « جنوب ذوت عنها التناهي » أراد لاحتها الجنوب من الرياح ورمى السفا فعطف الرمى على الجنوب وقدم المعطوف ، وأنفاسها يعني أنوفها ، وقوله « ذوت » أي يبست وهاجت و « التناهي » المواضع التي ينتهي إليها الماء تجف مياهها في الصيف ، وقوله « أنزلت بها » يعني الحمير يقول أنزلت الجنوب بالحمير يوما تذب فيه بأذنابها ، و « السبيب » الذنب ، و « الصيام » القائمة والصائم الثابت في مكانه لايبرحه ، و « الصيام » مجرور لأنه من صفة أولاد وأراد كأنه على أولاد أحقب صيام .

وقوله : « كأن شخوص الخيل هام مكانها » البيت ، يقول كأن شخوص هذه الحمير شخوص خيل ، قال الشاعر وهو أمية بن أبي الصلت :

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ وقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمُدُ

و « الجمد » جبل صغير ، وقوله « هام » يعني الحمير ، و « رهبي » موضع .

وقوله « يقلبن من شعراء صيف كأنها » الشعراء ذباب أزرق وموارق ، أي جوارح ، ومرق أي جرح و « المرامي » السهام ، والمرماة السهم ، ونصب موارق على الحال ، يريد كأن الشعراء الذباب في حال مروقها ، و قوله « لدغ انخرام مرامى » يعني الذباب موارق ثواقب ، أي كأنها في نفاذهن خزم مرام ، والواحدة مرماة أراد لدغ الذباب يقول كأنها سهام تخزم . وخزمها دخولها في الجلد واللحم .

وقوله : « نسوراً كنقش العاج بين دوابر » يقول كلما لسعتها الذباب رمحته بحوافرها ، فمن هناك يقلبن نسورا كنقش العاج في حسنها ، والنسور حشو الحافر والدوابر مآخير الحوافر وقوله « مخيسة » أي مذللة ، قد سلكن الحزن والجبال والأماكن الغليظة .

وقوله « فلما ادّرعن الليل أو كن منصفاً » ادرعن الليل يعني الحمير دخلت في سواد الليل ، كما يلبس الدرع منصفاً أي في نصف من الليل ، و « المنصف » بين الليل والنهار ، و « فاسح » أي منفرج والمنصف مابين النصف .

وقوله « توخى بها العينين » توخى تعمد وقصد يعني الحمار أقب ضامر رباع ، الرباع ما أوفى سنة ، وغمازة موضع ماء أي طلب بها ورد عيني غمازة .

... ...

وقوله «طوى البطن زمام» طوى البطن : ضامر ، و«زمام» أى رافع رأسه من نشاطه ومرحه ، و«سحيله» صوته إذا هو صوت فى آثارها يطردها إلى الماء ، وسمى سحيلا لصوته لأن الحمار يسحل و«هديل غلام» أى صوت غلام .

وقوله « يشج بين الصلب » الشيخ العلو أى أنه يعلو بهذه الأتن عليه ، و« الصلب » الأرض الصلبة و« الضرام » مادق من الحطب ، فتسرع النار فى إحراقه ، والقيعان ما استوى من الأرض ، الواحد قاع ، وهى أرض حرة من الطين لا رمل فيها .

اللغة : « أحقب » من صفة الحمار لبياض فى موضع الحقيبة منه وهو مؤخره أى حمر أولاد أحقب أى أولاد فحل من الحمير أحقب ، ومعنى « لاحها » ضمرها ، وغيرها ، و « السفا » قال فى القاموس هو التراب والهزال وكل شجر له شوك اوحدته سفاة . والمعنى الأول والثالث يناسبان ما هنا ، قال الصبان : وأما قول البعض هو شوك مخصوص فمع كونه مخالفا لما فى القاموس هو غير مناسب لقوله بسهام ، لأن معناه بشوك كالسهام ، وشوك البهمى : هو كالسنبل ؛ والحمر تكلف بالبهمى ورعيه وهو ضرب من الحرشف ، وإذا أسفى ـ أى صار ذا شوك ـ امتنعت منه ، وطلبت لين المرعى ، فأضمرها ذلك لهيج النبات وعدم الرطب وأراد بأنفاسها أنوفها لأنها مخارج الأنفاس ، وجعل شوك البهمى كالسهام ، وقوله « ورمى السفا » معطوف مقدم على الجنوب ، والتقدير : لاحها وغيرها جنوب أى ريح جنوبية وهى رياح حارة تهب على الغدران فأذوتها ، ولاحها أيضا رمى السفا أنفاسها ، وقوله أنفاسها أى الأولاد على حذف مضاف أى محل أنفاسها وبسهام متعلق برمى أى بشوك كالسهام ، وجنوب فاعل لاحها ومعنى «ذوت» جفت ويروى دوت بالدال المهملة قال فى القاموس دوى الماء أى علاه ماتسفيه الريح . قال الصبان فقول البعض أى جفت فيه نظر ، وأما ذوى بالمعجمة ففى القاموس ذوى البقل كرمى ورضى ذويا كصلى ذبل وأذواء الحر اهـ . وقوله عنها أى عن الجنوب أى من أجلها و « التناهى » الغدران واحدتها تنهية لأن السيل ينتهى إليها ويحبس فيه ، والتناهى فاعل دوت ونزلت بها ، وقد أرجع البعض الضمير إلى الجنوب فتكون الباء فى بها سببية .

ومعنى « أنزلت بها يوم ذباب » أى أنزلت الجنوب بالحمر يوم حر شديد لهبوبها فى استقبال القيظ ، والسبيب شعر أذنابها ، أى يهيج بها الذباب لشدة الحر فتذب بأذنابها ، و « الصيام » للممسكة عن الرعى ، وإنما وصف ضمرها وانطواء بطونها لتشبيه الرواحل بها .

المعنى : يصف الشاعر ذو الرمة مايلاقيه فى سفره على تلك الرواحل الضامرة السريعة ، فيشبهها بأولاد أحقب ، وهى الحمر الوحشية التى أضمرتها ريح الجنوب القاسية التى جففت المياه الغدران وأدمت مناخرها وأنوفها بالسفا المتقاذف كالسهام .

وفى اللسان « الأحقب » الحمار الوحشى الذى فى بطنه بياض ، وقيل هو الأبيض موضع الحقب ، قال صاحب اللسان والأول أقوى وإنما سمى بذلك لبياض فى حقويه والأنثى حقباء .

وقول الآخر :

٨٥٧ — وَأَنْتِ غَرِيمٌ لاَ أَظُنُّ قَضَاءه وَلاَ الْعَنَزِيَّ الْقَارِظَ الدَّهْرَ جَائِيَا

و « لاحها » هو من اللوح بالفتح أو اللوح بالضم وهو أعلى وأخف ، واللوح العطش شديداً كان أو خفيفاً ، لاح يلوح لوحاً ولواحاً ولؤوحاً ولوحاناً والتاح : عطش ، قال رؤبة :

* يمصعن بالأذناب من لوح وبعد *

ولاحه العطش غيره وأضمره وكذلك السفر والبرد والسقم والحزن ، وأنشد :

وَلَمْ يَلُحْهَا حَزَنٌ عَلَى أُبْنِمِ وَلاَ أخٍ وَلا أبٍ فَتَسْهِمِ

ومنه قول الله تعالى « لواحة للبشر » أي تحرق الجلد حتى تسوده ، يقال لاحه ولوحه .

وقوله « ورمى السفا » من رمى يرمى رمياً فهو رام ، وفي التنزيل العزيز « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » قال أبو إسحق ليس هذا نفي رمى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن العرب خوطبت بما تعقل . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضى الله عنه « ناولني كفاً من تراب بطحاء مكة ، فناوله كفاً فرمى به فلم يبق أحد من العدو إلا شغل بعينه » فأعلم الله عز وجل أن كفاً من تراب أو حصى لا يملأ به عيون ذلك الجيش الكثير بشر ، وأنه سبحانه وتعالى تولى إيصال ذلك إلى أبصارهم فقال « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » أي لم يصب رميك ذلك ويبلغ ذلك المبلغ بل إنما الله عز وجل تولى ذلك ، فهذا مجاز « ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى » وعن أبي العباس أنه قال : معناه وما رميت الرعب والفزع في قلوبهم إذ رميت بالحصى ولكن الله رمى ، وقال المبرد : معناه مارميت بقوتك إذ رميت ولكن بقوة الله رميت .

و « السفا » الخفة في كل شئ ، يكون في شعر الناصية أي خفتها ، فرس أسفى وأنثاه سفواء ، والسفواء في البغال السريعة ، والأسفى كذلك . وسفت الريح التراب تسفيه سفياً ذرته وقيل حملته فهو سفى ، وتراب ساف مسفى على النسب أواسم فاعل في معنى المفعول . وحكى ابن الأعرابي سفت الريح وأسفت فلم يعد واحداً منهما . والسافياء الريح التى تحمل تراباً كثيراً على وجه الأرض والسفا : هو اسم كل ما سفت الريح من كل ماذكرت . والأنفاس وصيام وصف لأولاد أحقب ، أي كأنا على أولاد أحقب صيام قال الصبان : قال البعض والمراد بيوم رباب السفير يوم شدة الحر . وفي القاموس الرباب كرمان وشداد الجماعة وذكر للسفير معاني أنسبها هنا الرياح يسفر بعضها بعضا .

الشاهد فيه : جواز تقديم المعطوف بالواو للضرورة في مذهب البصريين وفي حالة الاختيار عند الكوفيين بقلة ، والتقدير لاحها جنوب ورمى السفا فقد قدم رمى السفا في عجز البيت الأول المعطوف بالواو على جنوب الواقعة في صدر البيت الثاني ، وجنوب ورمى السفا فاعلا لاحها ، ولاحها أي ضمرها وغير ألوانها من شدة القيظ والريح المحملة بالأتربة والغبار .

* * *

٨٥٧ — هذا البيت من قصيدة من البحر الطويل لذي الرمة يمدح بها بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري ، وأولها :

... ...

أَلاَ حَيِّ بِالزُّرْقِ الرُّسومَ الخَوَالِيَا ... وَإِنْ لَمْ تَكُنْ إِلاَّ رَمِيمًا بَوَالِيَا
وَقَفْنَا بِهَا صُهْبَ العَتَانِينِ تَرْتَمِي ... بِنَا وَبِهَا الحَاجُ الْغَرِيبَ الْمَرَامِيَا
فَمَا كِدْنَ لَأْيًا بَيْنَ جَرْعَاءِ مَالِكٍ ... وَبَيْنَ النَّقَا يُعْرَفْنَ إِلاَّ تَمَارِيَا
بِنُؤْيٍ كَلاَ نُؤْيٍ وَأَوْرَقَ حَائِلٍ ... تَلَقَّطَ عنه الآخِرُونَ الأَثَافِيَا
وَشَامَاتِ أَطْلاَلٍ بِأَرْضٍ كَرِيمَةٍ ... تَرَاهُنَّ فِي جِلْدِ التُّرَابِ بَوَاقِيَا
عَفَتْ بُرْهَةً أَطْلاَلُ مَيٍّ وَأَدْرَجَتْ ... بِها الرِّيحُ تَحْتَ الْغَيْمِ قَطْرًا وَسَافِيَا
رَجَعْتُ إِلَى عِرْفَانِهَا بَعْدَ نَبْوَةٍ ... فَمَا زِلْتُ حَتَّى ظَنَّنِي الْقَوْمُ بَاكِيَا
هِيَ الدَّارُ إِذْ مَيٌّ لِأَهْلِكَ جِيرَةٌ ... لَيَالِيَ لاَ أَمْثَالُهُنَّ لَيَالِيَا
تَحَمَّلَ مِنْهَا أَهْلُ مَيٍّ فَوَدَّعُوا ... بِهَا أَهلَنا لا يَنْظُرُونَ التَّوَالِيَا
عَشِيَّةَ جاءُوا بِالجِمَالِ وَبَيْنَهُمْ ... مُمَالَجَةٌ لَمْ يُبْرِمُوهَا كَمَا هِيَا
فَقَالُوا أَقِيمُوا وَاظْعَنُوا وَتَنَازَعُوا ... وَكُلٌّ عَلَى عَيْنِي وَسَمْعِي وَبَالِيَا
وَأَبْصَرْتُهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ قِيَامَهُمْ ... هَتَكْنَ السُّتُورَ وَانْتَزَعْنَ الأَوَاخِيَا
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ ... وَأَنَّ الَّتِي أَرْجُو مِنَ الحَيِّ لاَهِيَا
عَلَى أَمْرِ مَنْ لَمْ يَشْوِنِي ضُرُّ أَمْرِهِ ... وَلَوْ أَنَّنِي اسْتَأْوَيْتُهُ مَا أَوَى لِيَا
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ مَيٍّ إِذِ الحَيُّ جِيرَةٌ ... على الْبُخْلِ مِنْهَا مَيِّتَ الشَّوْقِ سَالِيَا
أَقُولُ لَهَا فِي السِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... إِذَا كُنْتُ مِمَّنْ عَيْنُهُ الْعَيْنُ خَالِيَا
تُطِيلِينَ لَيَّانِي وَأَنْتِ مَلِيَّةٌ ... وَأُحْسِنُ يَا ذَاتَ الْوِشَاحِ التَّقَاضِيَا
وَأَنْتِ غَرِيمٌ لاَ أَظُنُّ قَضَاءَهُ ... وَلاَ الْعَنَزِيَّ الْقَارِظَ الدَّهْرَ جَائِيَا
وكُنْتُ أرى مِنْ وجهِ مَيَّةَ لَمْحَةً ... فأَبْرَقُ مَغْشِيًّا عليَّ مَكَانِيَا

... ...

وَأَسمعُ مِنْهَا نَبْأَةً فَكَأَنَّمَا أَصابَ بِهَا سَهْمٌ طَرِيرٌ فُؤَادِيَا
وَأَنْصِبُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ بِالضُّحَى إِذَا كَانَ عن فَرْطِ اللَّيَالِي بَدَا لِيَا
أُصَلِّي فَلاَ أَدرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا أَثِنْتَيْنِ صَلَيْتُ الضُّحَى أَمْ ثَمَانِيَا
وَإِنْ سِرْتُ فِي الأَرْضِ الفَضَاءِ حَسِبْتِنِي أُدَارِيُّ رَحْلِي أَنْ تَمِيلَ حِبَالِيَا
يَمِيناً إِذَا كَانَتْ يَمِيناً وَإِنْ تَكُنْ شِمَالاً يُنَازِعْنِي الهوَى عَنْ شِمَالِيَا
رَأَيتُ لهَا مَا لَمْ تَرَ العينُ مِثْلَه لِشَيْءٍ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ المَرَائِيَا
هِيَ السِّحْرُ إِلاَّ أَنَّ لِلسِّحْرِ رُقْيَةً وَأَنِّي لاَ أُلْفِي لِمَا بِيَ رَاقِيَا
تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحًا على بَابِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا
وَقَدْ عَرَفَتْ وَجْهِي مَعَ اسْمٍ مُشَهَّرٍ على أَنَّنَا كُنَّا نُطِيلُ التَّنَائِيَا
أَذُو زَوْجَةٍ بِالمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بِالبَصرةِ العَامَ ثَاوِيَا
فقلتُ لهَا لاَ إِنَّ أَهْلِي لَجِيرَةٌ لِأَكْثِبَةِ الدَّهْنَا جَمِيعًا وَمَالِيَا
وما كُنْتُ مُذْ أَبصَرْتِنِي فِي خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ القَوْمِ قَاضِيَا
وَلَكِنَّنِي أَقْبَلْتُ مِنْ جَانِبَيْ قَسَا أَزُورُ امْرَأً مَحْضًا نَجِيبًا يَمَانِيَا

وهي قصيدة طويلة نجتزئ هنا بما ذكرناه منها من أبيات:

شرح ما في هذه القصيدة من الغريب: فقوله «ألا» أداة استفتاح، «وحي» من حي يحيا حياة أو حيّ يحيي وقول الله تعالى «ويحيا من حي عن بينة» قرأها أهل المدينة «من حيي» وغيرهم من «حي عن بينة» قال الفراء كتابتها على الإدغام بياء واحدة وهي أكثر قراءات القراء، وقرأ بعضهم «حيي عن بينة» بإظهارها، قال وإنما أدغموا الياء مع الياء وكان ينبغي أن لا يفعلوا لأن الياء الأخيرة لزمها النصب في فعل فأدغم لما التقى حرفان متحركان من جنس واحد، قال

... ...

ويجوز الادغام فى الاثنين للحركة اللازمة للياء الأخيرة . فتقول حيا وحييا ، وينبغى للجميع أن لا يدغم إلا بياء لأن ياءها يصيبها الرفع وما قبلها مكسور ، فينبغى لها أن تسكن فتسقط بواو الجماعة وربما أظهرت العرب الإدغام فى الجمع إرادة تأليف الأفعال وأن تكون كلها مشددة فقالوا فى حييت حيوا وفى عييت عيوا ، قال وأنشدنى بعضهم :

يَحِدْن بنا عن كل حَيٍّ كأنّنا أخاريس عيُّوا بالسلام وبالكتب

قال وأجمعت العرب على إدغام التحية لحركة الياء الأخيرة كما استحبوا إدغام حى وعى للحركة اللازمة فيها ، فأما إذا سكنت الياء الأخيرة فلا يجوز الإدغام مثل يحى ويعى ، وقد جاء فى الشعر الإدغام وليس بالوجه ، وأنكر البصريون الإدغام فى مثل هذا الموضع ولم يعبأ الزجاج بالبيت الذى احتج به الفراء ، وهو قوله :

وكأنها بين النساء سبيكة تمشى بسدة بيتها فتُعِيّ

وأحياه الله فحَيِي ، وحيّ أيضاً والتحية السلام ، وقولهم حياك الله أى سلم عليك ، والتحية تفعلة من الحياة ، والحى ضد الموت والجماعة و « الزرق » أكثبة بالدهناء ، قال ذو الرمة :

وقرّبن بالزُّرق الجمائل بعد ما تَقَوّبَ عن غِربان أوراكها الخَطْرُ

و « الرسوم » جمع الرسم وهو الأثر ، وقيل بقية الأثر ، وقيل هو ما ليس له شخص من الآثار ، وقيل هو ما التصق بالأرض منها ، ورسم الدار ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض والجمع أرسم ورسوم ، و « الخوالى » الدور الخالية ، وخلت الدار فهى خلاء إذا لم يبق فيها أحد .

« والرميم » العظام البالية مثل الرمة ، قال الله تعالى « قال من يحيي العظام وهى رميم » قال الجوهرى إنما قال الله تعالى « وهى رميم » لأن فعيلا وفعولا قد استوى فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعدو وصديق . وقال اللحيانى الرميم ما بقى من نبت عام أول . جاء فى اللسان : الرميم الخلق البالى من كل شئ ، و « البوالى » الذواهب يقال بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاه هو ، قال العجاج :

والمرء يبليه بَلاَءَ السِّرْبالْ كَرُّ الليالى وانتقال الأحوال

وقوله « وقفنا بها صهب العثانين » أى أنخنا بها الجمال ، و « الصهبة » جمع الأصهب والصهبة الشقرة فى شعر الرأس ، وهى الصهوبة . الأزهرى : الصهب والصهبة لون حمرة فى شعر الرأس

... ...

واللحية إذا كان فى الظاهر حمرة وفى الباطن اسوداد ، وكذلك فى لون الإبل : بعير أصهب وصهابى وناقة صهباء وصهابية قال طرفة :

صُهَابِيَّةُ الْعُثْنُونِ مُؤْجَدَةَ القَرَى   بعيدة وَخْدِ الرِّجل مَوَّارةُ الْيَدِ

قال الأصمعى : الأصهب قريب من الأصبح ، والصهب والصهبة أن يعلو الشعر حمرة وأصوله سود فإذا دهن خيل إليك أنه أسود ، وقيل هو أن يحمر الشعر كله ، صهب صهباً واصهب واصهاب وهو أصهب ، وقيل الأصهب من الشعر الذى يخالط بياضه حمرة ، وفى حديث اللعان « إن جاءت به أصهب فهو لفلان » هو الذى يعلو لونه صهبة وهى الشقرة ، قاله الخطابى : والمعروف أن الصهبة مختصة بالشعر وهى حمرة يعلوها سواد . والأصهب من الإبل الذى ليس بشديد البياض ، وقال ابن الأعرابى : العرب تقول قريش الإبل صهبها وأدمها ، يذهبون فى ذلك إلى تشريفها على سائر الإبل ؛ وقد أوضحوا ذلك بقولهم : خير الإبل صهبها وحمرها . كما أن قريشاً خير الناس عندهم . وقيل الأصهب من الإبل الذى يخالط بياضه حمرة وهو أن يحمرّ أعلى الوبر وتبيض أجوافه . وفى التهذيب وليست أجوافه بالشديدة البياض ، وأقرابه ودفوفه فيها توضيح أى بياض ، قال والأصهب أقل بياضاً من الآدم فى أعاليه كدرة وفى أسافله بياض . ابن الأعرابى : الأصهب من الإبل الأبيض . الأصمعى : الآدم من الإبل الأبيض فإن خالطته حمرة فهو أصهب ... ابن الإعرابى : الصهبة أشهر الألوان وأحسنها حين تنظر إليها ، ورأيت فى حاشية : البهيا تأنيث البهية وهى الرائعة . وجمل صهابى أى أصهب اللون ويقال هو منسوب إلى صهاب اسم فحل أو موضع . التهذيب : وإبل صهابية منسوبة إلى فحل اسمه صهاب ، قال وإذا لم يضيفوا الصهابية فهى من أولاد صهاب ، قال ذو الرمة :

صُهَابِيَّة غلب الرقاب كأنماَ   يناط بِأَلْحِيْها فراعلة غُبْرُ

قيل نسبت إلى فحل فى شق اليمن . « وترتمى بنا وبها الحاج » نسب الارتماء إلى الحاج وهى جمع حاجة ما يطلبه الإنسان لمعائشه وضروورياته والقريب المكان البعيد ، و « المراميا » جمع مرمى وهو موضع الرمى وهو الهدف والمرامى الأهداف والمقاصد ، و « ما كدن لأيا » أى بعد جهد ، لم يكدن يعرفن و « جرعاء مالك » الجرعاء الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، وقيل هى الرملة السهلة المستوية ، وقيل هى الدعص لا تنبت شيئاً ، والجرعة عندهم الرملة العذاة الطيبة المنبت التى لا وعوثة فيها ، وقيل الأجرع كثيب جانب منه رمل وجانب حجارة وجمع الجرع أجراع وجراع وجمع الجرعة جراع وجمع الجرعة جرع وجمع الجرعاء جرعاوات وجمع الأجرع أجارع . وحكى سيبويه مكان جرع كأجرع ، والجرعاء والأجرع أكبر من الجرعة ، قال ذو الرمة فى الأجرع فجعله ينبت النبات :

... ...

* بأجْرَعَ مِرْبَاعٍ مَرَبٍّ مُحَلَّلِ *

ولا يكون مرباعاً مربا محللا إلا وهو ينبت النبات . وفى قصة العباس بن مرداس وشعره :

* وكَرِّى على المُهْرِ بالأجْرَعِ *

قال ابن الأثير : الأجرع المكان الواسع الذى فيه حزونة وخشونة ، وفى حديث قس « بين صدور جرعان »هو بكسر الجيم جمع جرعة بفتح الجيم والراء ، وهى الرملة التى لا تنبت شيئا ولا تمسك ماء ، و « النقا » من الرمل القطعة تنقاد محدودبة ، حكى يعقوب فى تثنيته نقيان ونقواء والجمع نقيان وأنقاء وهذه نقاة من الرمل الكثيب المجتمع الأبيض الذى لاينبت شيئا . و « إلا تماريا » أى بأى شئ شكاً وتمارياً فى معرفتها . و « التمارى » فى الشئ الشك فيه وكذا الامتراء والمراء المماراة والجدل ، والمراء من الامتراء والشك . وفى التنزيل العزيز « فلا تمار فيهم إلامراء ظاهراً » قال وأصله فى اللغة الجاب ولما كان الرجل فى الجدل يستخرج من مناظره كلاما ومعانى فى الخصومة وغيرها سمى به من مريت الشاة إذا حلبتها واستخرجت لبنها ، وقد ماراه مماراة ومراء وامترى فيه وتمارى شك ، قال سيبويه : وهذا من الأفعال التى تكون للواحد ، وقوله فى صفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يشارى ولا يمارى » يشارى يستشرى بالشر ، ولا يمارى لا يدافع عن الحق ولا يردد الكلام . وقوله عز وجل « أفتمارونه على ما يرى » وقرئ « أفتمارونه على ما يرى » فمن قرأ أفتمرونه فمعناه أفتجادلونه فى أنه رأى الله عز وجل بقلبه ، أو أنه رأى الكبرى من آياته . قال الفراء وهى قراءة العوام ، ومن قرأ « أفتمرونه على ما يرى » أى أتدفعونه عما يرى قال وعلى فى موضع عن ، وماريت الرجل وماررته إذا خالفته وتلويت عليه وهو مأخوذ من مرار الفتل ومرار السلسلة على الصفا . وقوله « بنؤى كلا نؤى » النؤى الحفير حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يميناً وشمالا ، ويبعده ، قوله :

وَمَوْقِدُ فتيةٍ ونُؤْىِ رَمَادٍ وَأَشْذَابُ الخيام وقَدْ بَلينا

وقال : عليها موقد ونؤى رماد ، وفيه لغات النؤى والنئ والنأى والنؤى بفتح الهمزة على مثال النئى الأخيرة عن ثعلب والجمع آناء على القلب مثل أبآر وآبار ونؤى على فعول ونئى تتبع الكسرة الكسرة ، ومعنى « بنؤى كلا نؤى » أى بمكان امحت آثاره وعفت حتى أصبح لا يعرف « والأزرق » الرماد ، ويروى و « أورق » أى صار ذا ورق ونبات ، و « حائل » الحائل المتغير اللون يقال رماد حائل ونبات حائل ورجل حائل اللون إذا كان أسود متغيراً ، وهو هنا اسم مكان بجبلى طيئ أو نجد ، و « حائل » أى أتى عليه حول أو عدة وأحوال و « تلقط » من اللقط وهو أخذ الشىء من الأرض لقطه يلقطه لقطاً

... ...

والتقطه أخذه من الأرض، وروى الآخرون بفتح الخاء وبكسرها ، وروى آخرون ، و «الأثافى» جمع الأثفية والأثفية الحجر الذى توضع عليه القدر ، و « الشامات » الشامة علامة مخالفة لسائر اللون ، والشامة الأثر الأسود فى الأرض والجمع شام وشامات ، قال ذوالرمة :

وإن لمْ تَـكونى غيرَ شَامٍ بقفرة تَجُرُّ بها الأذيال صيفية كُدْرُ

و « الأطلال » جمع الطلل وهو ما شخص من آثار الديار، والرسم ما كان لاصقاً بالأرض ، وقيل طلل كل شيء شخصه والجمع أطلال وطلول ، وطلل الدار يقال إنه موضع من صحنها يهيأ لمجلس أهلها وطلل الدار كالدكانة يجلس عليها ، قال أبوالدقيش : الدكان يكون بفناء كل بيت دكان ، عليه الشرب والمأكل فذلك الطلل ، و « جلد التراب » ما ظهر على وجه الأرض هو التراب نفسه و« عفت » أى ذهبت ودرست ، و « برهة » البرهة بضم الباء وفتحها الحين الطويل من الدهر ، وقيل الزمان يقال انتهت عنده برهة من الدهر كقولك أقمت عنده سنة من الدهر . و « أطلال مى » أى ديارها التى كانت تقيم فيها ، و « أدرجت » أى جعلته يدرج على وجه الأرض من غير أن ترفعه إلى الهواء ، أو جرت عليه جرياناً شديداً ، إلى أن جعلته يدرج بنفسه .

و « الغيم » السحاب ، وقيل هو أن لا ترى شمساً من شدة الدجن وجمعه غيوم وغيام ، و «القطار» ماء المطر، و « السافى » التراب، وأصل السفا الخفة فى كل شىء . وسفا الطير فى مشيه وطيرانه أسرع ، وسفت الريح التراب تسفيه سفياً ذرته وقيل حملته فهو سفىّ وتراب ساف مسفى على النسب أو يكون فاعلا فى معنى مفعول. و «التوالى» الأعجاز لاتباعها الصدور وتوالى الخيل مآخيرها من ذلك ، وقيل توالى الفرس ذنبه ورجلاه ، يقال إنه لخبيث التوالى، وسريع التوالى . وكله من ذلك ، والعرب تقول « ليس هوادى الخيل كالتوالى » فهواديها أعناقها وتواليها مآخرها ، وتوالى كل شىء آخره، وتاليات النجوم أواخراها ، ويقال « ليس توالى الخيل كالهوادى . ولا عفر الليالى كالدآدى » وعفرها بيضها وتوالى الظعن أواخرها وتوالى الإبل كذلك وتوالى النجوم أواخرها.
وقوله « مالجة » هو فى النسخة المخطوطة « محالجة » فى المطبوعة مخالجة ، وهو فى رأيى تصحيف . والمالجة مفاعلة وهو من ملج الصبى أمه يملجها ، إذا رضعها ، قال ابن منظور الملج تناول الشيء ، وفى الصحاح : تناول الثدى بأدنى الفم ، ورجل ملجان مصان يرضع الإبل والغنم من ضروعها ولا يحلبها لئلا يسمع وذلك من لؤمه ... وفى الحديث «لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان» يعنى أن تمصه هى لبنها ، وفى النهاية «لا تحرم الملجة والملجتان » الملج المصّ والملجة المرة والإملاجة المرة أيضاً ، من أملجته أمه: أى أرضعته ، يعنى أن المصة والمصتين لا يحرمان ما يحرمه الرضاع الكامل:

... ...

« اللسان مادة ملج » والذى يفهم من هذا أن الماجلة رضاع ناقص بلا إحكام ، شبه الشاعر حال القوم يجتمعون لاتمام أمر ، فلا يحكمونه بحال الرضيع يحاول الرضاع فلا يتمه ولا يوغل فيه .

و« القيان » قال ابن منظور : القينة الأمة المغنية تكون من التزين لأنها كانت تزين ، وربما قالوا للمتزين باللباس من الرجال قينة ، قال وهى كلمة هذلية ، وقيل القينة الأمة مغنية أو غير مغنية قال الليث عوام الناس يقولون القينة المغنية : قال أبو منصور إنما قيل للمغنية قينة إذا كان الغناء صناعة لها . لأن ذلك من عمل الإماء دون الحرائر والقينة الجارية تخدم حسب ، والقين العبد والجمع قيان ، وقول زهير :

رَدَّ القِيانُ رِجالَ الحَيِّ فاحتملوا إلى الظهيرة أمْرٌ بينهم لَبِكُ

أراد بالقيان الإماء أنهن رددن الجمال إلى الحى لشدّ أقتابها عليها ، و «هتكن» الهتك خرق الستر عما وراءه ، والاسم الهتكة بالضم والهتيكة الفضيحة ، وفى حديث عائشة رضى الله عنها «فهتك العرض حتى وقع بالأرض» والهتك أن تجذب ستراً فتقطعه من موضعه أو تشق منه طائفة يرى ماوراءه ، ولذلك يقال : هتك الله ستر الفاجر ورجل مهتوك الستر منهتكه ، وتهتك أى افتضح اهـ « لسان مادة هتك » .

و « الأواخى » جمع الأخية أو الآخية بالمد والتشديد وهى عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة ، وقال ابن السكيت : هو أن يدفن طرفا قطعة من الحبل فى الأرض ويبرز طرفه فيشد به . قال أبو منصور سمعت بعض العرب يقول للحبل الذى يدفن فى الأرض مثنياً ويبرز طرفاه الآخران شبه حلقة وتشد به الدابة : آخية . وقال أعرابى لآخر « أخ لى آخية أربط إليها مهرى » وإنما تؤخى الآخية فى سهولة الأرضين لأنها أرفق بالخيل من الأوتاد الناشزة عن الأرض ، وهى أثبت فى الأرض السهلة من الوتد، ويقال للآخية الإدرون والجمع الأدارين . وانتزاع الأواخى إزالتها ورفعها من الأرض .

و « البين » الفرقة ، وقد جاء بمعنى الوصل أيضاً فى كلام العرب ، وهو من الأضداد ، وشاهد الوصل قول الشاعر :

لقد فرّق الواشون بينى و بينها فقرّت بذاك الوصل عينى وعينها

وقال قيس بن ذريح :

لعمرك لولا البين لايقطع الهوى ولولا الهوى ما حن للبين آيب

فالبين هنا الوصل ، وأنشد أبو عمرو فى رفع بين قول الشاعر :

كأن رماحنا أشطان بئر بعيد بين جاليها جرور

... ...

وإنما أراد به فى هذا البيت التفرق .

وقوله «جد جده» الجد ضد الهزل، جد فى الأمر يجد ويجد بالكسرة والضم جداً، وأجد: حقق وصمم. وهو على جد أمر أى عجلة أمر، والجد الاجتهاد فى الأمور وفى الحديث «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جد فى السير جمع بين الصلاتين» أى اهتم به وأسرع فيه، وجد به الأمر وأجد: إذا اجتهد، وفى حديث أحد «لئن أشهدنى الله مع النبى صلى الله عليه وسلم قتل المشركين ليرين الله ما أجدى أى ما أجتهد. الأصمعى يقال أجد الرجل فى أمره يجد: إذا بلغ فيه جده، وجد لغة، ومنه يقال فلان جادّ مجد، أى مجتهد. وهو مثل للفرقة تقع بين الناس بشدة واجتهاد وسرعة، وقوله «وأن التى أرجو من الحى لاهيا» يريد بالتى محبوبته التى اختصها بالمحبة دون سائر الحى و «لاهيا» يحتمل أن يكون «لا» نافية و «هيا» ضمير يعود على المحبوبة وزيدت الألف للاشباع. ويكون المعنى أنها ليست على عهده بها مقيمة وباقية بالحى ولكنها ظعنت وتحملت مع القوم، ويحتمل أن يكون أراد لاهية من لها يلهو، ولهت المرأة فهى لاهية إذا سلت عنه وتركت ذكره وإذا غفلت عنه واشتغلت بغيره. وعامل المؤنث فى اللفظ معاملة المذكر. ومنه قول الله تعالى «لاهية قلوبهم» أى متشاغلة عما يدعون إليه، من لها عن الشئ إذا تشاغل بغيره يلهى، ومنه قوله تعالى «فأنت عنه تلهىّ» أى تتشاغل، والنبى صلى الله عليه وسلم لا يلهو لأنه صلى الله عليه وسلم قال «ما أنا من دد ولا الدد منى» وقوله «على أمر من لم يشونى ضر أمره» أى من أراد النيل منى وإهلاكى فلم ينل منى شيئاً، والشوى المقتل، والشئ اليسير الهين، والأصل فى الشوى الأطراف وهى ليست بمقتل وجلدة الرأس، يريد أن قصده بإضرارى ومبالغته بالأذى لى لم يضرنى فى قليل ولا كثير، يقال أشواه إذا رماه فأخطأه، وقوله لم يشونى أى لم يصب مقتلى ضر أمره أو لم يخطئنى و«الضر» بالفتح ضد النفع، وأما الضر بضمها فهو الفقر وسوء الحال وقوله «ولو أنى استأويته» أى طلبت إليه أن يأوى إلىّ ويسكن إلى جوارى لأنى أكنّ له الود وأريد به الخير، وقوله «ما أوى ليا» أى ما رثى لى ولا أجاب طلبى ولكنه نأى عن خير نفسه لعدم استئناسه وكثرة استيحاشه .

وقوله «إذا كنت ممن عينه العين خاليا» أى إذا كنت خاليا ممن عينه عين على أى رقيب على ،

وقوله «تطيلين ليانى وأنت ملية» هو من لويت الحبل ألويه لياً: إذا فتلته . ويروى تسيئين ليانى أى مطلى، واللى الجدل والتثنى لواه لياً والمرة منه لية وجمعه لوى ككوى، قال ابن منظور: لواه دينه وبدينه لياً ولياً ولياناً ولياناً مطله، قال ذو الرمة فى الليان :

تطيلين لَيَّانِى وأنت مَلِيَّةٌ وَأُحْسِنُ ياذاتَ الوشاحِ التقاضيا

قال أبو الهيثم : لم يجئ من المصادر على فعلان إلا «ليان» وحكى ابن برى عن أبى زيد

... ...

قال « ليان » بالكسر ، وهو لغية . قال وقد يجيء الليان بمعنى الحبس وهو ضد التسريح ، قال الشاعر :

يلقى غريمكم من غير عسرتكم بالبَذْل مَطلا وبالتسريح لَيَّانا

وألوى بحقى ولوانى : جحدنى إياه ، ولويت الدين ، وفى حديث المطل « لىّ الواجد يحله عرضه وعقوبته » قال أبو عبيد « اللىّ » المطل وأنشد قول الأعشى :

يَلْوِينَنِي دَيْنِي النهارَ وَأَقْتَضِي دَيْنِي إذا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدَا

لواه غريمه بدينه يلويه ليّاً ، وأصله «لويا» فأدغمت الواو والياء «اللسان مادة لوى». و «الملية» هى من قولهم ملؤ الرجل يملؤ ملاءة فهو مليء صار مليئاً أى ثقة فهو غنى مليء بين الملاء والملاءة ممدودين ، وفى حديث الدين « إذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع » المليء بالهمز الثقة الغنى وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء ، وفى حديث على كرم الله وجهه : والملىّ ، الغنى وفى الحديث « مطل الغنى ظلم » ، و « ذات الوشاح » الوشاح والإشاح على البدل كما يقال وكاف وإكاف والوشاح كله حلى النساء كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح المرأة به ، ومنه اشتق توشح الرجل بثوبه والجمع أوشحة ووشح ووشائح. وتوشح الرجل بثوبه وبسيفه وقد توشحت المرأة واتشحت . وقال الجوهرى الوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها ، و « التقاضى » هنا المجازاة ، يريد أنه يقابل الجميل بمثله ، و « اللمحة » النظرة بالعجلة ، قال الفراء فى قوله تعالى « كلمح بالبصر » قال كخطفة بالبصر . وقوله « فأبرق » هو من برق بصره برقاً وبرق يبرق بروقاً دهش فلم يبصر وقيل تحير فلم يطرف ، قال ذو الرمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مىّ سافراً كاد يبرق

وفى التنزيل «فاذا برق البصر» وبرق قرىء بهما جميعاً ، قال الفراء : قرأ عاصم وأهل المدينة « برق » بكسر الراء ، وقرأها نافع وحده بفتح الراء من البريق أى شخص ، ومن قرأ برق فمعناه فزع . و «مغشياً» هو من الغشاء الغطاء ، غشيت الشيء تغشية إذا غطيته ، وعلى بصره وقلبه غشو وغشوة وغشوة وغشوة وغشاوة وغشاوة وغشاوة وغاشية وغشية وغشاية وغشاية مثلثة الغين المعجمة فى الثلاثة أى غطاء. و « النبأة » صوت الكلاب ، وقيل هى الجرس أياً كان والصوت الخفى ، قال ذو الرمة :

وقد تَوَجَّسَ رِكْزًا مُقْفِرٌ نَدُسٌ بِنَبْأَةِ الصوت ما فى سمعه كذب

الركز : الصوت ، والمقفر : أخو القفرة يريد الصوت ، والندس : الفطن ، قال الأزهرى النبأة الصوت ليس بالشديد ، قال الشاعر :

... ...

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَهَا القَنَّا صُ قَصْرًا وقد دنا الإمساء

أراد صاحب نبأة . و «سهم طرير» هو من طر الحديدة طراً وطروراً إذا أحدّها ، وسنان طرير ومطرور محدد ، وطررت السنان حددته، وسهم طرير مطرور: أى محدد .

وقوله « أدارى رحلى أن تميل حباليا » أدارى هكذا رسم فى المخطوطة بدون همز من المداراة والمعنى عليها لا يستبين والوزن لا يستقيم ، وأظنه بالهمز «أدارىء» من المدارأة وهى المدافعة ومنه الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يصلى فجاءت بهمة تمر بين يديه فما زال يدارئها» قال ابن الأثير أى يدافعها . وروى بغير همز من المداراة قال الخطابى وليس منها . وقوله « رحلى » هو كما فى المطبوعة ورسم فى المخطوطة « رجلى » بالجيم المعجمة وقوله « حباليا » روى فى الحطية حياليا ، و« حيال » الشىء جانبه وإزاؤه ، وهو فى المخطوطة « حباليا » والحبال واحدها حبل والمراد بالحبال ميوله وأغراضه وهواه ، وعلى رواية « حياليا » المراد بها الجهة وهى ظرف مكان بمعنى الذى حوله ، والمعنى أنه يغالب رحله أو رجله ويدافعهما من إمالة قلبه حيث تكون محبوبته . و « المرائى » جمع المرآة التى ينظر فيها ، قال ابن منظور والكثير المرايا وقيل من حول الهمزة قال المرايا قال أبو زيد تراءيت فى المرآة ترائيا اه ولم يرد ذو الرمة بالمرائى المرآة وإنما أراد الرؤية .

اللغة : « الغريم » الذى له الدين ، والذى عليه الدين والجمع غرماء ، قال كثير :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

والغريم المغرم المولع بعشق النساء وغيرهن ، وفلان مغرم بكذا أى مبتلى به ، وفى حديث على رضى الله عنه «فمن اللهج باللذة ، السلس القياد للشهوة » والعرب تقول إن فلاناً لمغرم بالنساء إذا كان مولعاً بهن، وإنى بك لمغرم إذا لم يصبر عنه ، قال ونرى أن الغريم إنما سمى غريما لأنه يطلب حقه ويلح حتى يقبضه . و « قضاه » هو من قضى الغريم دينه قضاء أداه إليه، واستقضاه طلب إليه أن يقضيه ، وتقاضاه الدين قبضه منه ، قال :

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شىء لا يمل التقاضيا

أراد إذا ما تقاضى المرء نفسه يوم وليلة ، ويقال « تقاضيته حتى قضانيه » أى تجازيته فجزانيه

و « العنزى القارظ » إشارة إلى مثل من أمثال العرب وهو « حتى يؤوب القارظان » قال صاحب اللسان وهما رجلان أحدهما من عنزة والآخر هو عامر بن تميم بن يقدم بن عنزة خرجا ينتحيان القرظ ويجنيانه فلم يرجعا فضرب بهما المثل ، قال أبو ذؤيب :

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر فى القتلى كليب لوائل

وقال ابن الكلبى هما قارظان ، وكلاهما من عنزة فالأكبر منهما يذكر بن عنزة كان لصلبه ، والأصغر هو رهم بن عامر من عنزة، وكان من حديث الأول : أن خزيمة بن نهد كان قد عشق ابنته فاطمة بنت يذكر ، وهو القائل فيها :

... ...

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

وأما الأصغر منهما فانه خرج يطلب القرظ أيضاً فلم يرجع فصار مثلا فى الانقطاع والغيبة وإياهما أراد أبو ذؤيب فى البيت بقوله : وحتى يؤوب القارظان كلاهما .

قال ابن برى : ذكر القزاز فى كتاب الظاء أن أحد القارظين يقدم بن عنزة والآخر عامر ابن هيصم بن يقدم بن عنزة . ابن سيده : ولا آتيك القارظ العنزى ، أى لا آتيك ما غاب القارظ العنزى ، فأقام القارظ العنزى مقام الدهر ونصبه على الظرف ، وهذا اتساع وله نظائر ، قال بشر ابن أبى حازم الأسدى لابنته عند الموت :

فرجى الخير وانتظرى إيابى إذا ما القارظ العنزى آبا

التهذيب : من أمثال العرب فى الغائب لا يرجى إيابه « حتى يؤوب القارظ » وذلك أنه خرج يجنى القرظ ففقد فصار مثلا للمفقود الذى يؤيس منه ، و« القراظ » بائع القرظ ، والتقريظ مدح الإنسان وهو حى ، والتأبين مدحه ميتاً ، وقرظ الرجل تقريظا مدحه وأثنى عليه ، مأخوذ من تقريظ الأديم وهو أن يبالغ فى دباغه بالقرظ .

وقوله « جائياً » هو من المجىء وهو الإتيان اسم فاعل ، قال صاحب اللسان « وحكى ابن جنى رحمه الله أن جائى جاء على وجه الشذوذ .

الإعراب : الواو للحال من قوله فى البيت قبله « تطيلين ليانى » ، و « أنت » بكسر التاء لأن الخطاب لمحبوبته ، وجملة لا أظن قضاءه صفة لغريم ، و « جائياً » مفعول ثانى ظن ، وجملة « ولا العنزى القارظ » معطوف على مفعول أول ظن . و « القارظ » نعت للعنزى ، و « الدهر » منصوب على الظرفية الزمانية .

والمعنى : أن ذا الرمة يخاطب محبوبته مية فيقول لها : إن لى عليك ديناً لا أظنك تقضينه ، لأنك تمطليننى وتطيلين فيه ، فحقى عندك مضيع لا يقضى ولا أمل لى فى نيله وكما أن القارظ العنزى لا ترجى عودته إلى أهله أبد الدهر فإن دينى عليك وهو اللقاء ميئوس منه .

الشاهد فيه : جواز تقديم المعطوف قبل المعطوف عليه ، فإن الشاعر أراد : لا أظن قضاءه جائياً هو ولا العنزى ما بقيت أو ما بقى الدهر .

واعلم أن محل جواز تقديم المعطوف بالواو والفاء وثم وأو ولا على المعطوف عليه إنما هو فى ضرورة الشعر ، نحو ضربت وعمراً ، أو فعمراً ، أو ثم عمر ، أو أو عمراً ، أو لا عمرا زيداً ، بشرط أن لا يتقدم المعطوف على العامل ، فلا يجوز وزيد قام عمرو ، ولا مررت وزيد بعمرو . وذلك لأن العامل يعمل فى المعطوف بواسطة العاطف فهو كالآلة للعمل ومرتبة الآلة بعد مرتبة المستعمل لها ولئلا يكون التابع مقدما على متبوعه وعلى متبوع متبوعه أى العامل فى المتبوع ، فمن ثم لم يتقدم على

... .

معمول معطوف عليه التزم إضمار عامله ، فلا يقال « والأسد إياك » لأنه يكون إذن متقدما على العامل ، ولذا لم يتقدم على معطوف عليه لزم اتصال عامله ، فلا يقال « وزيد ضربت أنت » بالعطف على التاء ، ولم يتقدم على المعطوف عليه إذا كان مبتدأ مؤخراً لخبر دخله حرف ناسخ أولا . فلا يقال « إن وعمرو زيداً قائمان » و « ما وزيد عمرو قائمين » لضعف الحرفين ، فلا يعملان مع الفصل بغير الظرف ، وكذا لاتقول « أما وعمرو زيد فمنطلقان » « والذى وأبوه زيد ضاربان أنا » « هل وزيد عمرو قائمان » و « كيف وعمرو زيد قائمان » لأنه يتقدم على العامل أيضاً ، وهو إما الابتداء أو الخبر على المذهبين ، فإذا تقدم الخبر نحو « قائمان وزيد عمرو » و « كيف وزيد عمرو » جاز اضطراراً لتأخره عن العامل على المذهبين .

ويشترط أيضاً فى تقديم المعطوف اضطراراً أن لا يكون المعطوف عليه مقرونا بإلا أو بما فى معناها ، فلا تقول « ماجاءنى وزيد إلا عمرو » و « إنما جاءنى وزيد عمرو » وذلك لكون مابعد إلا فى حيز غير حيز ما قبلها لتخالفهما نفياً وإثباتاً ، فلا يقع قبلها المعطوف الذى هو فى حيز ما بعدها .

ويشترط أيضا فى كل ضمير راجع إلى المعطوف بالواو أو حتى مع المعطوف عليه أن يطابقهما مطلقا ، نحو « زيد وعمرو جاءانى » و « مات الناس حتى الأنبياء وفنوا » والضمير للمعطوف والمعطوف عليه .

وأما قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله » فالمعنى ولا ينفقون الكنوز لدلالة يكنزون على الكنوز . وقوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » . أى أن يرضوا أحدهما . لأن إرضاء أحدهما إرضاء للآخر ، وقوله تعالى « وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها » أى إلى الرؤية .

ويجوز « زيد وعمرو قام » على حذف الخبر من الأول اكتفاء بخبر الثانى ، وكذا يجوز « زيد قام وعمرو » على حذف الخبر من الثانى اكتفاء بالخبر فى الأول أى « وعمرو كذلك » وفى الموضعين ليس المبتدأ وحده عطفاً على المبتدأ ، إذ لو كان كذلك لقلت قاما .

وأما الفاء وثم ، فإن كان الضمير فى الخبر عن المعطوف بهما مع المعطوف عليه ففى مطابقته لهما خلاف ، قال بعضهم يجب حذف الخبر من أحدهما إما من الأول ، نحو « زيد فعمرو قام » و « زيد ثم عمرو قام » أى زيد قام فعمرو . وإما من الثانى نحو « زيد قام فعمرو » أى فعمرو قام أو فعمرو كذلك ، قالوا ولا يجوز المطابقة لأن تفاوتهما فى الترتيب يمنع اشتراكهما فى الإضمار .

وأجاز الباقون مطابقة الضمير ، وهو الحق ، نحو « زيد ثم عمرو قاما » إذ الاشتراك فى الضمير لايدل على انتفاء الترتيب حتى يناقض الفاء وثم ، إذ قد يقال « قام الرجلان » مع ترتيب قيامهما ، والإضمار والإظهار فى هذا سواء ، فقاما أو قام الرجلان مثلان فى احتمال اجتماع القيامين وترتبهما .

... ...

وإن لم يكن الضمير فى الخبر المذكور وجب المطابقة اتفاقاً ، نحو « جاءنى زيد فعمرو فقلت لهما » و « جاءنى زيد ثم بكر وهما صديقاى » .

وأما لا ولكن وبل وأم وأو فمطابقة الضمير معها وتركها موكولان إلى قصدك ، فإن قصدت أحدهما وذلك واجب فى الاخبارعن المعطوف بها مع المعطوف عليه مبتدأين ، وجب إفراد الضمير ، نحو « زيد لا عمرو جاءنى » و « زيد بل عمرو قام » و « زيد أو عمرو أتاك » وكذا تقول « زيد أو هند جاءنى » ولا تقول جاءتنى ، إذ المعنى أحدهما جاءنى والغلبة للتذكير ، وتقول فى غير الخبر « جاءنى إما زيد وإما عمرو فأكرمته » و « أزيداً ضربت أم عمرو فأوجعته » و « ماجاءنى زيد لكن عمرو فأكرمته » .

وإن قصدت بالضمير كليهما وجبت المطابقة نحو « زيد لا عمرو جاءنى مع أنى دعوتهما » و « زيد أو عمرو جاءنى وقد جئتهما وأكرمتهما » وتقول فى أو التى للاباحة « جالس الحسن أوابن سيرين وباحثه» ويجوز وباحثهما . وكذلك تقول «هذا إما جوهر أوعرض ــ أو إما عرض ثم تقول وهما حدثان » قال الله تعالى « إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما » وليس أو بمعنى الواو كما قال بعضهم . بل جواب الشرط محذوف ، والمعنى: إن يكن غنيا أو فقيراً فلابأس فان الله أولى بالغنى والفقير معاً . إنما قال الله تعالى «وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها» بإفراد الضمير مع أن الانفضاض إليهما كان معاً لأن الضمير راجع إلى الرؤية المدلول عليها بقوله «رأوا» ولا يستنكر عود ضمير الاثنين إلى المعطوف بأو مع المعطوف عليه . وإن كان المراد أحدهما لأنه لما استعمل أو كثيراً فى الاباحة جاز الجمع بين الأمرين فى نحو « جالس الحسن أو ابن سيرين » صار كالواو ولهذا جاز قول الشاعر :

وكان سيان أن لا يسرحوا غنما   أو يسرحوه بها واغبرت السرح

وهو من قولهم سرحت الماشية سرحاً ، والسرح المال السائم ، يقال فرس سريع وجمل سرح وناقة سرح أى سريعة . فقال مع سيان « أو يسرحوه » والحق « ويسرحوه » .

وأجاز البصريون تقــــدم المعطوف على المعطوف عليه فى ضرورة الشعر مثلا ، ومن ذلك قولهم « عليك ورحمة الله السلام » .

فأما الكوفيون فأجازوه مطلقاً فى حالتى الاضطرار والاختيار إن كان بالواو كما فى المثال السابق ، وقيل وإن كان بالفاء أو «ثم» أو «أو» أو «لا» كقوله :

أألطلال دار بالتباع فحمت   سألت فلما استعجمت ثم صمت

(وَعَطْفُكَ الْفِعْلَ عَلَى الْفِعْلِ يَصِحْ)

أى سألت لحمت ، وقوله :

فلست بنازل إلا ألمت برحلى أو خيالتها الكذوب

أى الكذوب هى أو خيالتها .

وإن لم يؤد إلى وقوع العاطف صدراً ، أو إلى مباشرته عاملا غير متصرف ، وإن لم يكن التابع مجروراً بل مرفوعاً كما تقدم أو منصوباً كقوله :

لعن الإله وزوجها معها هند الهنود طويلة البظر

ولم يكن العامل لايستغنى بواحد ، فإن فقد شرط من هذه لم يجز فى الاختيار عند الكوفيين ، ولا فى الضرورة عند البصريين ، فلا يقال « وعمرو زيد قائمان » ولا « إن وعمراً زيداً قائمان » ولا « مررت وعمرو بزيد » ولا « اختصم وعمرو زيد » وخالف ثعلب فى الأخير ، فلم يشترطه ، وجوز التقديم وإن لم يستغن العامل بواحد .

ويطابق الضمير المتعاطفين بعد الواو نحو « زيد وعمرو منطلقان ومررت بهما » ، ويفرد بعد غيرها غالباً ، مراعى فيه التأخير أو التقديم نحو « وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً » وندرت المطابقة فى الفاء مثل قوله تعالى « إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما »

وأما الفاء وثم ففيها الوجهان المطابقة وهى أحسن فى الفاء ، والإفراد وهو أحسن فى ثم للتراخى بين المعطوف والمعطوف عليه ، نحو « زيد فعمرو » أو « ثم عمرو قائمان » أو « قائم » .

وفصل الواو والفاء من المعطوف بهما ضرورة ، كقوله

يورثه مالا وفى الحى رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأما فصل غيرهما من حروف العطف فسائغ بقسم أوظرف سواء كان المعطوف اسماً نحو « قام زيد ثم والله عمرو » و « ما ضربت زيداً لكن فى الدار عمراً » أم كان المعطوف فعلا نحو « قام زيد ثم فى الدار قعد » أو « ثم أو بل والله قعد » قال السيوطى فى الهمع هكذا نقله أبو حيان عن الأصحاب معترضاً به إطلاق بن مالك جواز الفصل من غير استثناء الواو والفاء وتقييده بما إذا لم يكن فعلا ، ولا يتقدم على السكل معمول معطوفها ، فلا يقال « زيد قائم وضارب عمراً وعمراً ضارب »

وأما صحة عطف الفعل على الفعل فمشروطة باتحاد زمانيهما مضياً أو حالا أو استقبالا ، ونقل السيوطى أن ابن هشام قال : قال بعض الطلبة ـ فى الدرس ـ لايتصور لعطف الفعل على الفعل مثال ، لأن نحو « قام زيد وقعد عمرو » المعطوف فيها جملة لا فعل ، وكذا « قام وقعد زيد » لأن فى أحد الفعلين ضميراً قلت له : فاذا قلت « يعجبنى أن تقوم وتخرج » و « لم تقم وتخرج » و « يعجبنى أن يقوم زيد ويخرج عمرو » قال ابن هشام : فيالها خجلة وقع فيها ووجهه أن الفعل المعطوف منصوب أومجزوم ، فلولا أن العطف للفعل وحده لم يتأت نصبه أو جزمه .

بشرط اتحاد زمانيهما — سواء اتحد نوعهما ، نحو : « لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ » « وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ » أم اختلفا نحو قوله تعالى « يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ » ، « تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِى » الآية .

(وَاعْطِفْ عَلَى اسْمٍ شِبْهِ فِعْلٍ فِعْلاَ)

نحو : « صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ » ، « فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ » لاتحاد جنس المتعاطفين فى التأويل ، إذ المعطوف فى المثال الأول فى تأويل المعطوف عليه وفى الثانى بالعكس .

واتحاد نوع المتعاطفين بأن يكونا ماضيين أو مضارعين أو أمرين واختلافهما فى ذلك ، ونحو أوردهم فى قوله تعالى . « يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار » هو فى الآية معطوف على يقدم لأنه بمعنى يوردهم كما قال أبو البقاء ، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى رحمه الله تعالى يحتمل أن يكون أوردهم معطوفا على « اتبعوا أمر فرعون » فلا اختلاف فى اللفظ، قال الصبان : ويرد عليه وإن أقره شيخنا والبعض أن زمنى المتعاطفين حينئذ مختلفان لمضى زمن الاتباع واستقبال زمن الإيراد ، فلم يوجد عطف الفعل على الفعل ، إلا أن يراد بالنار ما يشمل نار القبر وهما متباعدان جداً ، فلا وجه حينئذ للفاء اهـ . ثم يحتمل أن يكون العطف فى الآية من عطف الجملة على الجملة لا الفعل على الفعل وكذا فى كثير من الأمثلة لكن لا يضر الاحتمال إذا كان المقصود التمثيل لا الاستشهاد .

والشاهد فى الآية التى أوردها المصنف وهى قوله تعالى « تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً » هو فى قوله « ويجعل » على قراءة الجزم عطفاً على جعل الذى هو فى محل جزم . فعطف يجعل وهو مضارع على جعل وهو ماض لاتحاد زمانيهما فى الاستقبال .

وكذلك يعطف الفعل الماضى أو المضارع على الاسم المشبه له فى المعنى، وقد مثل المصنف له بقوله تعالى « صافات ويقبضن » فعطف يقبضن وهو مضارع على صافات لأنها فى معنى يصففن ، ومثل له أيضاً بقوله تعالى « فالمغيرات صبحا فأثرن » قال الشيخ خالد فى شرح التصريح فعطف أثرن وهو ماض على المغيرات وهو اسم فاعل مشبه للفعل فى المعنى لأنه فى تأويل واللاتى أغرن — قيل والذى حسن ذلك تأويل يقبضن بقابضات وأثرن بمثيرات . وقال الصبان عليه الرحمة والرضوان: الظاهر أن أثرن معطوف على مغيرات قال وبه صرح فى التصريح وصوابه فى شرح التصريح كما قدمنا، ووجدت فى هامشه للشيخ يس ما نصه « كتب شيخنا العلامة الغنيمى بهامش نسخة الدنوشرى : وقد يقال إن المعطوفات إذا تكررت تكون على الأصح على الاول فلم يقل الشارح فعطف فى الأولى أثرن على العاديات . ويجاب عن ذلك بأن محل قولهم إن المعطوفات إذا تكررت تكون على الأول

(وَعَكْسًا اسْتَعْمِلْ تَجِدْهُ سَهْلاً)

كقوله :

٨٥٨ — * أُمَّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أَوْدَارِجِ *

مقيد بما إذا لم يكن العاطف حرفاً مرتباً فان كان مرتباً فالعطف على ما يليه ، كما نقل ذلك بعض مشايخنا عن الكمال ابن الهمام . وإذا عطفت بمرتب أشياء ثم عطفت بغير مرتب شيئاً فهو على ما يليه كما يؤخذ من كلام المغنى فى أول الجملة الرابعة من الجمل التى لا محل لها من الإعراب . ثم ينظر بكل تقدير محل أثرن من الإعراب فانه لا جائز أن يكون الجر لعدم دخوله على الأفعال ، ولا جائز أن يكون غيره لعدم وجوده هنا ، إذ الفرض أنه معطوف على مجرور فقط اللهم ، إلا أن يقال محل قولهم الجر لايدخل الأفعال إذا كان على سبيل الاستقلال أما إذا كان على سبيل التبع كما هنا فيدخل . فإن قلت إنهم صرحوا بأن الجملة الفعلية تقع فى محل جر فلم لم يكن فأثرن فى محل جر ولا إشكال ؟ قلت : الفرض أن المعطوف هو الفعل وحده كما صرحوا به لا الجملة بأسرها اه دنوشرى ، قال الصبان وأجاب الاسقاطى بأن الذى يظهر أن أثرن لا محل له من الاعراب لعطفه على ما لا محل له وهو صلة أل وما فيها من إعراب ليس بطريق الأصالة حتى يراعى فى الفعل المعطوف بل بطريق العارية من أل الموصولة لكونها على صورة الحرف فنقلوا إعرابها إلى صلتها ، فجاز أن يعطف عليها مالا محل له نظراً لأصلها .

وقول المصنف «وعكساً استعمل تجده سهلا» يعنى عطف الاسم المشبه للفعل فى المعنى على الفعل الماضى أو المضارع ، وقد مثل له المصنف بقول الشاعر « أم صبى قد حبا أو دارج »

* * *

٨٥٨ ــ هذا عجز بيت من بحر الرجز صدره :

* يارُبَّ بَيْضَاءَ مِنَ الْعَوَاهِجِ *

قال العينى : أنشده المبرد ، ولم يعزه إلى قائل وقبله فقال :

يَا لَيْتَنِي عُلِّقْتُ غَيْرَ خَارِجِ قَبْلَ الصَّبَاحِ ذَاتَ خَلْقٍ بَارِجِ

ومعنى « غير خارج » أى غير آثم ، و « البارج » من البروج وهو الظهور . وقد رواه ابن منظور : فى مادة درج من اللسان .

يا ليتنى قد زرت غير خارج أم صبى قد حبا أو دارج

قال صاحب اللسان إنما أراد أم صبى حاب أودارج ، وجاز له ذلك لأن قد تقرب الماضى من الحال حتى تلحقه بحكمه أو تكاد ، ألا تراهم يقولون « قد قامت الصلاة » قبل حال قيامها . وجعل مليحُ الدريجَ للقطا فقال :

يَطُفْنَ بِأَحْمَالِ الْجِمَالِ غُدَيَّةً دَرِيجَ الْقَطَا فِي الْقَزِّ غَيْرِ الْمُشَقَّقِ

... ...

قوله « فى القز » من صلة يطفن ، وقال :

تَحْسَبُ بِالدَّوِّ الغَزَالَ الدَّارِجَا حِمَارَ وَحْشٍ يَنْعَبُ المَنَاعِبَا

والثعلب المطرود قَرْماً هَائِجاً « درج لسان »

اللغة : « العواهج » جمع عوهج وهى الطويلة العنق من الظباء والظلمان والنوق ، وأرادبها ههنا المرأة التامة الخلق .

وجاء فى لسان العرب فى « مادة ع هـ ج » ما نصه « العوهج الظبية التى فى حقويها خطان سوداوان ، وقيل هى التامة الخلق الطويلة العنق ، وقيل الفتية ، وامرأة عوهج تامة الخلق حسنة وقيل الطويلة العنق ، قال :

هِجَانَ الْمُحَيَّا عَوْهَجُ الخَلْقِ سُرْبِلَتْ مِنَ الحُسْنِ سِرْبَالاً عَتِيقَ البَنَائِقِ

والعوهج الطويلة العنق ويقال للنعامة عوهج ، قال العجاج :

* فِى نَعْمَلَةٍ أَوْ ذَاتَ زِفٍّ عَوْهَجَا *

كأنه أراد الطويلة الرجلين ، وقال الأصمعى : العمهج والعوهج الطويل . والعواهج قوم من العرب قال :

يَا رُبَّ بَيْضَاءَ مِنَ الْعَوَاهِجِ شَرَّابَةٍ لِلَّــبَنِ الْمُمَاهِجِ

تمشى كَمَشْى الْفَشْرَاءِ الْفَاسِجِ حَـــلاَّلَةٍ لِلسُّرَرِ الْبَوَاعِجِ

لَيِّنَةَ الْمَسِّ عَلَى المعـــالج يطلى به دون الضجيع الوالج

وقوله « حبا » بالحاء المهملة من حبا الصبى على استه حبواً إذا زحف ، وقوله « دارج » هو من درج الصبى يدرج دروجا ودرجانا إذا قارب بين خطاه لكونه طفلا لم يستحكم قوته بعد فلا يقدر على المشى .

الإعراب : « يا » حرف لمجرد تنبيه ، إذ لا حاجة هنا إلى المنادى ، و « رب » ههنا للتكثير ، و « بيضاء » مجرور بالفتحة المقدرة نيابة عن الكسرة للمنع من الصرف لألف التأنيث الممدودة ، وقوله « من العواهج » جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره حاصلة أوموجودة ، وقوله « أمّ صبىّ » ويجوز أن يكون « أم » منصوباً على البدلية من « بيضاء » أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هى أم صبى حاب أو دارج ، وجملة «قد حبا» جملة فعلية وقعت صفة لصبى . وقوله « أو دارج » عطف على « قد حبا » .

... ...

المعنى : أن الشاعر يذكر أنه كثيراً ماخالل النسوة الجبلات الصغيرات السن اللاتى لم ييأسن من المحيض ولا الولادة ، ولكنه كان عفاً لم يقارف إثماً ولم يرتكب وزراً، وهذا على عكس امرئ القيس فقد كان يمتدح نفسه بالفجور وبالعهر ، وذلك فى مثل قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فألهيتها عن ذى تمائم محول

إذا ما بكى من خلفها انحرفت له   بشق وتحتى شقها لم يحول

الشاهد فيه : هو أن الشاعر قد عطف الاسم الذى هو « دارج » على الفعل الذى هو « قد حبا » قال ابن هشام ولا يجوز نصب « أم » إلا على القطع ، وقول العينى « أم صبى » بالنصب عطف بيان لبيضاء سهو لأن « بيضاء » مجرور رب لامنصوبة وفتحتها نائبة عن الكسرة لأنها غير منصرفة لألف التأنيث الممدودة. وقال الدنوشرى : قد يقال لفظ دارج معطوف على محل جملة حبا لكونه صفة للتنكير وليس من عطف الاسم على الفعل بل على الجملة ، وكذا يقال فيما أشبه . ثم قال : وكتب شيخنا الغنيمى بعده : وقد يجاب بأنه لما كان المقصود من الجملة هو الحدث صح ذلك ثم يتردد النظر حينئذ فى عامل الجر فى دارج ما هو .

ثم كتب الدنوشرى بعده : رددنا النظر فى ذلك . والذى استقر عليه الحال أن العامل فيه « أم » لأنه معطوف على الصفة والعامل فى الصفة هو العامل فى موصوفها ، ويكون قولهم عطف الاسم على الفعل فيه مساهمة سهلها مامر فليتأمل ، ثم كتب الغنيمى بعده : أقول لم تحرر المسألة كما ينبغى فان منشأ تردد النظر هو قولهم إن العامل فى التابع هو العامل فى المتبوع مع قولهم هنا إن المعطوف عليه هو الفعل ، وذلك مقتض لئلا يكون العامل هنا « أمّ » لأنه لم يعمل فى المتبوع إذ هو جزء الجملة المعمولة له « أم » وهو من حيث ذلك ليس معمولا لأم ودعوى العطف عليه هنا هو الجملة وأن قولهم عطف الاسم على الفعل فيه مسامحة كما لايخفى .

ثم كتب الدنوشرى : لم يبين سند المنع ولا يشك عاقل فى أن قوله « دارج » من عطف الصفة على مثلها .

قال الشيخ خالد الأزهرى رحمه الله : وأصل السؤال والجواب هنا مأخوذان من كلام الشهاب القاسمى . وقول ابن هشام المتقدم إن قول العينى « أم صبى » بالنصب عطف بيان لبيضاء سهو إلخ : إنما الساهى هو أى ابن هشام لاالعينى لجواز كون بيضاء مفعولا لفعل محذوف يفسره معدّى رب

وقوله :

٨٥٩ — * يَقْصِدُ فِى أَسْوُقِهَا وَجَائِرِ *

وجعل منه الناظم «يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ» وقدر الزمخشرى عطف مخرج على فالق ، وجعل ابن الناظم تبعاً لأصله المعطوف فى البيتين فى تأويل المعطوف عليه ، والذى يظهر عكسه لأن المعطوف عليه وقع نعتًا ، والأصل فيه أن يكون اسمًا .

* * *

المحذوف على وزان « رب رجل صالح لقيته » وإن كان المفسر فيما نحن فيه محذوفاً فهو مشكل ، إذ يلزم عليه حذف المفسر والمفسر جميعاً ، ثم قال : وكتب شيخنا الغنيمى بعده وقد قال : إن العينى لم يسه وإنما « أم » عطف بيان مقطوع فنصب ، إذ عطف البيان كالنعت فى جواز القطع كما صرحوا به، وحينئذ فقوله : ولا يجوز نصبها إلخ . هو عين كلام العينى .

* * *

٨٥٩ البيت من الرجز المسدس ولم أقف على اسم قائله وأورده الفراء فى إعراب القرآن واستشهد به أبو على الفارسى وابن الشجرى فى أماليه والعينى فى شواهده والبغدادى فى الخزانة والرضى فى الكافية ولم ينسبه أحد منهم إلى قائل . وصدره :

بَاتَ يُعَشِّيهَا بِعَضْبٍ بَاتِرِ

اللغة : « يعشيها » روى بالعين المهملة من العشاء بفتح العين وهو الطعام الذى يؤكل وقت العشاء . وروى بالغين المعجمة من الغشية ، ومنه قوله تعالى « فغشيهم من اليم ما غشيهم » « والعضب » بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة وفى آخره باء موحدة هو السيف ، ويروى « بسيف باتر » أى قاطع من البتر وهو القطع ، قال الجوهرى السيف الباتر القاطع . وقوله « يقصد » بالقاف المعجمة من القصد وهو ضد الجور قال الله تعالى «وعلى الله قصد السبيل» وقوله « اسوقها » جمع ساق ويروى وليس بصحيح « فى أسواقها » وقوله « وجائر » هو من الجور وهو ضد العدل .

الإعراب : « بات » فعل ماض ناقص من أخوات كان والفاعل مستتر وجوبا تقديره هو ، ويستعمل فيمن يعمل بالليل ، كما أن ظل يستعمل فيمن يعمل بالنهار ، والضمير المستتر فيه اسمه ويروى « بت أعشيها » وقوله « يعشيها » جملة من الفعل والفاعل والمفعول خبر ، والضمير فيه

....

يرجع إلى المرأة التي يعافها زوجها بالسيف ، والباء في « بعضب » متعلق بيعشيها : وقوله « باتر » بالجر صفة « لعضب » و « يقصد » جملة من الفعل، والفاعل وهو الضمير المستتر فيه الذي يرجع إلى مايرجع اليه الضمير الذي في « بات » ومحلها النصب على الحال وهذا قول العيني ، وقال البغدادي في الخزانة : وزعم العيني أن الضمير عائد على ما عاد عليه ضمير « بات » وأن الجملة حال، وهذا فاسد لأنه لو كان كما زعم لنصب جائراً لأنه معطوف عليه ، ولاجائز أن يكون منصوباً أو مرفوعا لأن الشعر من الرجز الذي يجب توافق قوافيه ، ويدل لما قلنا رواية الفراء :

بت أعشيها بعضب باتر يقصد في أسوقها وجائر

قال البغدادي : والقافيتان مضبوطتان بضبط القلم بالجر في نسخ صحيحة مقروءة وعليها خطوط العلماء : منها تفسير الفراء والزجاج ، ومنها إيضاح الشعر بخط ابن جني ، ومنها أمالي ابن الشجري كما ذكرنا . ولو رفع باتر على أنه نعت مقطوع من النكرة غير المخصصة لرفع جائر وفيه مالايخفى؛ وكذلك لايجوز أن يكون جملة يقصد خبراً ثانياً لبات أو بدلا من يعشيها لما ذكرنا .

ولا بأس هنا من إيراد فصل عقده ابن الشجري في أماليه بين فيه (شرط عطف الاسم على الفعل مضارعاً أو ماضياً وعكسه) قال : عطف اسم الفاعل على يفعل ، وعطف يفعل على اسم الفاعل جائز ، لما بينهما من المضارعة التي استحق بها يفعل الإعراب واستحق بها اسم الفاعل على الأعمال وذلك جريان اسم الفاعل على يفعل ، ونقل يفعل من الشياع إلى الخصوص بالحرف المخصص كنقل الاسم من التنكير إلى التعريف بالحرف المعرف ، فلذلك جاز عطف كل واحد منهما على صاحبه ، وذلك إذا جاز وقوعه في موضعه كقولك «زيد يتحدث وضاحك» و«زيد ضاحك ويتحدث» لأن كل واحد منهما يقع خبراً المبتدأ . وكذلك «مررت برجل ضاحك ويتحدث» و«برجل يتحدث وضاحك» لأن يفعل مما يوصف به النكرات فمن عطف الاسم على الفعل قول الراجز :

بات يعشيها بعضب باتر يقصد في أسوقها وجائر

فان قلت سيتحدث زيد وضاحك لم يجز لأن ضاحكا لا يقع موقع يتحدث من حيث لا يلي الاسم السين ، وكذلك « مررت بجالس ويتحدث » لايجوز لأن حرف الجر لا يليه الفعل ، فان عطفت اسم الفاعل على فعل لم يجز لأنه لا مضارعية بينهما ، فان قربت الفعل إلى الحال بعد جاز عطف اسم الفاعل عليه كقول الراجز :

أم صبي قد حبا ودارج

... ...

فان كان اسم الفاعل بمعنى فعل جاز عطف الماضى عليه كقوله تعالى «إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا» لأن التقدير إن الذين تصدقوا واللاتى تصدقن . اهـ أمالى ابن الشجرى وقوله «فى أسوقها» متعلق به .

المعنى : يصف الشاعر رجلا كريماً وفد عليه الأضياف ، فبادر إلى نحر الجزور وإكرام هؤلاء الضيفان. قال البغدادى فى خزانة الأدب : وزعم العينى أن الضمير للمرأة التى عاقبها زوجها بالسيف . ثم قال : ولا يخفى أن هذا غير مناسب لسياق الكلام .

الشاهد فيه : على أن «جائر» معطوف على «يقصد» لكونه بمعنى الفعل أى يقصد ويجور ، وأورده الفراء والزجاج فى تفسيرهما عند قوله تعالى «ويكلم الناس فى المهد» على أن جملة يكلم معطوفة على «وجيهاً» قال الزجاج : وجائز أن يعطف بلفظ يفعل على فاعل لمضارعه يفعل فاعلا : أى قاصد فى أسوقها وجائر .

قال البغدادى : وهذا من باب عتابه السيف ، وتحيته الضرب ، وباتر صفة أولى لعضب وجملة يقصد صفة ثانية له ، وجائر صفة ثالثة . وهو بمعنى قاطع من بتر بتراً من باب قتل إذا قطعه على غير تمام ، ويقصد مضارع قصد فى الأمر من باب ضرب : أى توسط ولم يجاوز الحد ، وفى متعلقه بيقصد وأسوق جمع قلة لساق : وهى ما بين الركبة والقدم ، «وجائر» من جار فى حكمه إذا ظلم . فإن قلت عقره الإبل إما قصد وإما جور ، فكيف وصف بهما ؟

قلت : هو على التوزيع أى يقصد فى أسوق إبل تستحق العقر كالنيب ، ويجوز فى أسوق إبل لا تستحق العقر كالحوامل ، وذوات الفصال . و «جائر» فى الحقيقة معطوف على جملة «يقصد» الواقعة صفة ثانية لعضب كقول راجز آخر :

أمّ صبيٍّ قد حبَا ودارج

قال ابن هشام . واعلم أن أقسام العطف ثلاثة :

(أحدها) العطف على اللفظ وهو الأصل نحو «زيد ليس بقائم ولا قاعد» بالخفض ، وشرطه إمكان توجه العامل إلى المعطوف ، فلا يجوز فى نحو «ما جاءنى من امرأة ولا زيد» إلا الرفع عطفا على الموضع لأن من الزائدة لا تعمل فى المعارف ، وقد يمتنع العطف على اللفظ وعلى المحل جميعاً نحو «ما زيد قائما لكن أو بل قاعد» لأن العطف على اللفظ إعمال ما فى الموجب وفى العطف على المحل اعتبار الابتداء مع زواله بدخول الناسخ ، والصواب الرفع على إضمار مبتدأ .

... ...

(والثانى) العطف على المحل نحو « ليس زيد بقائم ولا قاعداً » بالنصب ، وله عند المحققين ثلاثة شروط أحدها بإمكان ظهوره فى الفصيح ، ألا ترى أنه يجوز فى « ليس زيد بقائم » و « ما جاءنى من امرأة » أن تسقط « الباء » فتنصب و « من » فترفع ، وعلى هذا فلا يجوز « مروت بزيد وعمراً » خلافاً لابن جنى لأنه يجوّز « مررت زيداً » ، وأما قوله :

* تَمُرُّونَ الديارَ وَلَمْ تَعُوجُوا *

فضرورة ، ولا تختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائداً كما مثلنا ، بدليل قوله :

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون معدّ فلتزعك العواذل

وأجاز الفارسى فى قوله تعالى « وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة » أن يكون يوم القيامة عطفاً على محل هذه . والثانى : أن يكون الموضوع بحق الأصالة ، فلا يجوز «هذا ضارب زيداً وأخيه» لأن الوصف المستوفى لشروط العمل الأصل إعماله لا إضافته لا إلحاقه بالفعل بالفعل . وأجازه البغداديون تمسكا بقول امرىء القيس :

وظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

« الطهاة » الطابخون والواحد طاه ، و « الصفيف » من اللحم الرقيق ، و « القدير » الذى طبخ فى القدر ، ويقال للطباخ قدّار .

وفى خفض « قدير » وجهان أحدهما أنه خفض على الجوار على شواء . والوجه الآخر أنه أراد بين منضج صفيف شواء ، وعطف (أو قدير) على نية الاضافة فى صفيف ، وهذا العطف على الوضع مذهب لأهل الكوفة يجيزون فيه (هذا ضارب زيداً أو عمرو) على تقدير الاضافة فى زيد المنصوب وقد يجوز أن يكون معطوفا على منضج بلا ضرورة ، ويكون تقديره (من بين منضج قدير) ثم حذف منضجاً وأقام قديراً مقامه ، فهو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، ألا ترى أن بين هنا تقتضى الاضافة إلى اثنين متجانسين من حيث كان تبييناً للطهاة ، فإذا كان كذلك علمت أنه من بين منضج صفيف شواء ومنضج قديراً .

أما (الشرط الثالث) من شروط العطف على المحل فهو وجود المحرز أى الطالب لذلك المحل ، وابتنى على هذا امتناع مسائل :

إحداها قولهم « فإن زيداً وعمراً قائمان » وذلك لأن الطالب لرفع زيد هو الابتداء والابتداء هو التجرد والتجرد قد زال بدخول إن .

... ...

المسألة الثانية « إن زيداً قائم وعمرو » إذا قدرت عمراً معطوفا على المحل لا مبتدأ ، وأجاز هذه بعض البصريين لأنهم لم يشترطوا المجاز ، وإنما منعوا الأولى لمانع آخر وهو توارد عاملين « إن » والابتداء ، على معمول واحد وهو الخبر — وأجازها الكوفيون لأنهم لايشترطون المحرز ، ولأن إن لم تعمل عندهم فى الخبر شيئاً بل هو مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخولها ، ولكن شرط الفراء وهو من الكوفيين لصحة الرفع قبل مجىء الخبر خفاء إعراب الاسم لئلا يتنافر اللفظ ولم يشترط الكسائى ؛ كما أنه ليس بشرط بالاتفاق فى سائر مواضع العطف على اللفظ وحجتهما قوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون » الآية . وقولهم « إنك وزيد ذاهبان » وأجيب عن الآية بأمرين : أحدهما — أن خبر إن محذوف أى مأجورون أو آمنون أو فرحون والصابئون مبتدأ وما بعده الخبر . ويشهد له قوله :

خليلى هل طب فانى وأنتما وإن لم تبوحا بالهوى دنفان

أى إنى دنف ، وأنتما مبتدأ خبره دنفان ، ويضعفه أنه حذف من الأول لدلالة الثانى عليه ، وإنما الكثير العكس . والثانى أن الخبر المذكور لإن وخبر الصابئون محذوف أى كذلك ويشهد له قوله :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فانى وقيار بها لغريب

أى فمن يك بالمدينة مقيما ، فلست على صفته فإنى وقيار بالمدينة لغريب إذ لا تدخل اللام فى خبر المبتدأ حتى يقدم نحو «لقائم زيد» ويضعفه تقديم الجملة المعطوفة على بعض الجملة المعطوف عليها وعن المثال بأمرين : أحدهما أنه عطف على توهم عدم ذكر إن ، والثانى أنه تابع لمبتدأ محذوف ، أى إنك أنت وزيد ذاهبان ، وعليهما خرّج قولهم « إنهم أجمعون ذاهبون » وقد تقدّم الكلام فى الآية والخلاف بين أهل الكوفة وأهل البصرة وأجوبة كل طائفة .

المسألة الثالثة : من المسائل الممتنعة قولهم « هذا ضارب زيد وعمراً » بالنصب .

المسألة الرابعة : قولهم « أعجبنى ضرب زيد وعمرو » بالرفع أو « وعمراً » بالنصب ، منعهما الحذاق لأن الاسم المشبه الفعل لايعمل فى الفعل حتى يكون بأل أو منوناً أو مضافاً ، وأجازهما قوم تمسكا بظاهر قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حسباناً » وقول الشاعر :

فلم تخل من تمهيد مجد وسؤددا

وأجيب بأن ذلك على إضمار عامل يدل عليه المذكور : أى وجعل الشمس ، ومهدت سؤدداً أو يكون سؤدداً مفعولا معه ؛ ويشهد للتقدير فى الآية أن الوصف فيها بمعنى الماضى والماضى المجرد من أل لا يعمل النصب ، ويوضح لك مضيه قوله تعالى « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار

... ...

لتسكنوا فيه » الآية . وجوز الزمخشرى كون الشمس معطوفاً على محل الليل ، وزعم مع ذلك أن الجعل مراد منه فعل مستمر فى الأزمنة لا فى الزمن الماضى بخصوصيته مع نصه فى « مالك يوم الدين » على أنه إذا حمل على الزمن المستمر كان بمنزلته إذا حمل على الماضى فى أن إضافته محضة ، وأما قول الشاعر :

قد كنت داينت بها حسانا مخافة الإفلاس والليانا

فيجوز أن يكون «الليان» مفعولا معه ، وأن يكون معطوفاً على «مخافة» على حذف مضاف أى ومخافة الليان ، ولو لم يقدر المضاف لم يصح ، لأن الليان فعل لغير المتكلم إذ المراد أنه داين حسان خشية من إفلاس غيره ومطاله ، ولا بد فى المفعول له من موافقته لعامله فى الفاعل .

ومن الغريب قول أبى حيان إن من شرط العطف على الموضع أن يكون للمعطوف عليه لفظ وموضع فجعل صورة المسألة شرطاً لها ثم أسقط الشرط الأول الذى ذكرناه ولا بد منه .

والقسم (الثالث) من أقسام العطف على التوهم نحو « ليس زيد قائماً ولا قاعد » بالخفض على توهم دخول الباء فى الخبر شرط جوازه صحة دخول ذلك العامل المتوهم، وشرط حسنه كثرة دخوله هناك . ولهذا حسن قول زهير :

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

وقول الآخر :

ما الحازم الشهم مقداماً ولا بطلا إن لم يكن للهوى بالحق غلابا

ولم يحسن قول الآخر :

وما كنت ذا نيرب فيهم ولا منمش فيهم منمل

قال ابن منظور : النيرب الشر والنميمة ، قال الشاعر عدى بن خزاعى :

ولست بذى نَـــيْرَبٍ فى الصديـ ـق ومناعَ خـــير وسبَّابَها

والهاء للعشيرة ، قال ابن برى صواب إنشاده :

ولست بذى نَيْرَبٍ فى الكلا مِ ومَنَّاعَ قَوْمى وَسَبَّابها
ولا مَن إذا كان فى مَعشَرٍ أضاعَ العشـــيرة واغتابَها
ولـكن أطاوع ساداتهـــا ولا أعـــلم الناس ألقابها

... ...

ونيرب الرجل سعى ونم ، ونيرب الكلام : خلطه ، ونيرب ينيرب والنيربة : خلط القول ، كما تنيرب الريح التراب على الأرض فتنسجه ، وأنشد :

إذا النَّيْرَبُ الثرثــــارُ قال فأهْجَرا

ولا تطرح الياء منه لأنها جعلت فصلا بين الراء والنون ، والنيرب الرجل الجليد ، ورجل نيرب وذو نيرب أى ذو شر ونميمة وامرأة نيربة ؛ أبو عمرو النيربة النميمة (مادة نرب لسان)

و « النمش » الكذاب المزور المفسد ذات البين . قال ابن منظور : النمش النميمة والسرار ، والنمش الالتقاط لشئ كما يعبث الانسان بالشئ فى الأرض ، وروى المنذرى أن أبا الهيثم أنشده :

يامَنْ لِقَوْمٍ رأيُهم خُلْفٌ مَـدَنْ إنْ يسمعوا عوراء أصغوا فى أذَن

ونَمَشُوا بِكَلِمٍ غـــير حَسَنْ

قال : نمشوا خلطوا . وثور نمش القوائم فى قوائمه خطوط مختلفة ، أراد خلطوا حديثاً حسناً بقبيح ، قال ويروى نمشوا أى أسروا ، وعنز نمشاء . أى رقطاء ، ويقال فى الكذب نمش ومشن وفرش ودبش ، وبعير نمش ونهش إذا كان فى خفه أثر يتبين فى الأرض من غير أثرة ، ونمش الكلام كذب فيه وزوره ، قال الراجز :

قال لها وأولعتْ بالنَّمْشِ هل لك يا خليلتى فى الطفش

استعمل النمش فى الكذب والتزوير ، ومثله قول رؤبة :

عاذِلَ قَدْ أولعْتِ بالتَّرْقيشِ إلىَّ سِرًّا فاطْرُقِى وَمِيشى

يعنى بالترقيش التزيين والتزوير ، ونمش الدبى الأرض ينمشه نمشاً أكل من كلئها وترك ، والنمش الالتقاط والنميمة ، وقد نمش بينهم بالتخفيف ، وأنمش ورجل منمش مفسد ، قال :

وَمَا كنتُ ذا نَيْرَبٍ فِيهِمُ ولا منمشٍ منهم منمل

جر منمشاً على توهم الباء فى قوله ذا نيرب ، حتى كأنه قال وما كنت بذى نيرب ، ونظيره ما أنشده سيبويه من قول زهير :

بدا لى أن لست مدرك مامضى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

(مادة نمش لسان) .

... ...

و « النمل » النمام ، قال ابن منظور « عن الفراء : النَّملة والنُّملة والنَّملة بالحركات الثلاثة في النون والنميلة بفتحها كل ذلك النميمة ، ورجل نمل ونامل ومنمل ومنمل ونمال كله نمام وكذلك الإنمال . قال ابن برى : شاهد النملة قول ابن الورد الجعدى :

ألا لعن الله التى رزمت به فقد ولدَت ذا نُمْلَةٍ وغَوائِل

وجمعه أنمل ، وقد نمل ونمل ينمل نملا وأنمل قال الكميت :

ولا أزعج الكَلِمَ المحفظا تِ للأقربين ولا أُنمِلُ

وفيه نملة أى كذب ، و« امرأة منملة ونملى » « لسان مادة نمل »

قال ابن هشام : ولم يحسن قول الشاعر : وما كنت ذا نيرب ، البيت ، لقلة دخول الباء على خبر كان بخلاف خبر ليس وما ، وكما وقع هذا العطف فى المجرور وقع فى أخيه المجزوم أى نظيره ووقع أيضاً فى المرفوع اسماً وفى المنصوب اسما وفعلا ، وفى المركبات ، فأما المجزوم فقال به الخليل وسيبويه فى قراءة غير أبى عمرو « لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن » فإن معنى « لولا أخرتنى فأصدق » ومعنى « إن أخرتنى أصدق » واحد .

وقال السيرافى والفارسى هو عطف على محل فأصدق ، كقول الجميع فى قراءة الأخوين وهما حمزة والكسائى « من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم » بالجزم ، ويرده أنهما يسلمان أن الجزم فى نحو ائتنى أكرمك باضمار الشرط فليست الفاء هنا وما بعدها فى موضع جزم ، لأن ما بعد الفاء منصوب بأن مضمرة وأن والفعل فى تأويل مصدر معطوف مصدر متوهم مما تقدم ، فكيف تكون الفاء مع ذلك فى موضع الجزم وليس بين المفردين المتعاطفين شرط مقدر ، ويأتى القولان فى قول الهذلى :

فَأبلونى بليَّتَكُمُوا لعَلِّى أصالحكُم وَأَسْتَدْرِجْ نُوَيًا

أى نواى . وكذلك اختلف فى نحو « قام القوم غير زيد وعمراً » بالنصب ، والصواب أنه على التوهم ، وأنه مذهب سيبويه لقوله لأن غير زيد فى موضع إلا زيداً ومعناه ، فشبهوه بقول عقبة ابن الحرث الأسدى يخاطب معاوية :

... ...

معاوى إننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وبعده

أديروها بنى حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا

والشاهد فى « الحديدا » فانه عطف على محل بالجبال لا على التوهم ، وقد استنبط من ضعف فهمه من إنشاده هذا البيت هنا أنه يراه عطفاً على المحل ، ولو أراد ذلك لم يقل إنهم شبهوه به .

وأما العطف على التوهم فى المجزوم فقد قال به الفارسى فى قراءة قنبل « إنه من يتقى ويصبر فإن الله » باثبات الياء فى « يتقى » وجزم « يصبر » فزعم أن من موصولة ، فلهذا أثبت ياء يتقى ــ وإنها ضمنت معنى الشرط ــ ولذلك دخلت الفاء فى الخبر . وإنما جزم يصبر على توهم معنى من ، وقيل بل وصل يصبر بنية الوقف كقراءة نافع « ومحياى » وصلا لتوالى الحركات فى كلمتين كما فى يأمركم ويشعركم ، وقيل « من » شرطية ، وهذه الياء إشباع ولام الفعل حذفت للجازم أوهذه الياء لام الفعل ، واكتفى بحذف الحركة المقدرة ــ وأما المرفوع فقال سيبويه : واعلم أن ناسا من العرب يغلطون فيقولون « إنهم أجمعون ذاهبون » و « إنك وزيد ذاهبان » وذلك على أن معناه معنى الابتداء . فيرى أنه قال هم ، كما قال :

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى ولاسابق شيئاً إذا كان جائيا

ومراده بالغلط ما عبر عنه غيره بالتوهم ، وذلك ظاهر من كلامه ، ويوضحه إنشاده البيت ، وتوهم ابن مالك أنه أراد بالغلط الخطأ ، فاعترض عليه بأنا متى جوزنا ذلك عليهم زالت الثقة بكلامهم ، وامتنع أن نثبت شيئاً نادراً لإمكان أن يقال فى كل نادر إن قائله غلط .

* * *

وأما وقوع العطف على التوهم فى المنصوب حال كونه اسماً ، فقال الزمخشرى فى قوله تعالى « ومن وراء إسحق يعقوب » فيمن فتح الباء كأنه قيل ووهبنا له إسحق ويعقوب على طريقة قوله :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

وقيل هو على إضمار وهبنا أى ومن وراء إسحق وهبنا يعقوب بدليل فبشرنا ، لأن البشارة من الله تعالى بالشىء فى معنى ، الهبة وقيل هو مجرور عطفاً على « باسحق » أو منصوب عطفاً على محله ، ويرد الأول أنه لا يجوز الفصل بين العاطف والمعطوف على المجرور كمررت بزيد ، واليوم

... ...

عمرو ، وقال بعضهم فى قوله تعالى « وحفظاً من كل شيطان » إنه عطف على معنى « إنا زينا السماء الدنيا » وهو إنا خلقنا الكواكب فى السماء الدنيا زينة للسماء ، كما قال الله تعالى « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً » ويحتمل أن يكون مفعولا لأجله ، أو مفعولا مطلقاً وعليهما فالعامل محذوف أى : وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو وحفظناها حفظاً .

وأما المنصوب فعلا فكقراءة بعضهم «ودوا لو تدهن فيدهنوا» على معنى ودوا أن تدهن ، وقيل فى قراءة حفص « لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع » بالنصب إنه عطف على معنى لعلى أبلغ وهو لعلى أن أبلغ فان خبر لعل يقترن بأن كثيراً نحو الحديث « فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض » ويحتمل أنه عطف على الأسباب على حد قول الشاعر :

للبس عباءة وتقرّ عينى أحب إلىّ من لبس الشفوف

فهو من عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل المشار له بقول ابن مالك :

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه أن إن ثابتا أو منحذف

ومع هذين الاحتمالين فيندفع قول الكرخى : إن قراءة فأطلع حجة على جواز النصب فى جواب الترجى ، حملا له على التمنى .

* * *

وأما فى المركبات فقد قيل فى قوله تعالى « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم » إنه على تقدير ليبشركم وليذيقكم . ويحتمل أن التقدير وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلها .

وقيل فى قوله تعالى (أو كالذى مر على قرية) إنه على معنى : أرأيت كالذى حاج أو كالذى مر ، ويجوز أن يكون على إضمار فعل أى أو رأيت مثل الذى فحذف لدلالة « ألم تر إلى الذى حاج » عليه ، لأن كليهما تعجب ، وهذا التأويل هنا وفيما تقدم أولى لأن إضمار الفعل لدلالة المعنى عليه أسهل من العطف على المعنى ، وقيل الكاف زائدة ، أى : ألم تر إلى الذى حاج أو الذى مر . وقيل الكاف اسم بمعنى مثل معطوف على الذى أى ألم تنظر إلى مثل الذى حاج أو إلى مثل الذى مر .

ومن العطف على المعنى على قول البصريين نحو « لألزمنك أو تقضينى حقى » إذ النصب عندهم بإضمار أن ، وأن والفعل فى تأويل مصدر معطوف على مصدر متوهم ، أى ليكونن لزوم منى أو قضاء منك لحقى ، ومنه « تقاتلونهم أو يسلموا » فى قراءة أبى ، وأما قراءة الجمهور بالنون فبالعطف على لفظ تقاتلونهم أو على القطع بتقدير أو هم يسلمون .

... ...

ومثله « ما تأتينا فتحدثنا » بالنصب أى مايكون منك إتيان فحديث ، ومعنى هذا نفى الاتيان فينتفى التحديث ، أى « ما تأتينا فكيف تحدثنا » أو نفى الحديث فقط حتى كأنه قيل ماتأتينا محدثاً أى بل غير محدث ، وعلى المعنى الأول جاء قوله تعالى « لا يقضى عليهم فيموتوا » أى فكيف يموتون . ويمتنع أن يكون على الثانى إذ يمتنع أن يقضى عليهم ولا يموتون .

ويجوز رفعه ، فيكون إما عطفاً على تأتينا فيكون كل منهما داخلا عليه حرف النفى . أو على القطع فيكون موجباً ، وذلك واضح فى نحو قوله « ما تأتينا فتجهل أمرنا » و « لم تقرأ فتنسى » لأن المراد إثبات جهله ونسيانه ، ولأنه لو عطف لجزم تنسى ، وفى قوله :

غير أنا لم تأتنا بيقين فنرجى ونكثر التأميلا

إذ المعنى أنه لم يأت باليقين فنحن نرجو خلاف ما أتى به لانتفاء اليقين عما أتى به ولو جزمه أو نصبه لفسد معناه ، لأنه يصير منفياً على حدته كالأول إذا جزم ويصير منفياً على الجمع إذا نصب . وإنما المراد إثباته ، وأما إجازتهم ذلك فى المثال السابق فمشكلة ، لأن الحديث لا يمكن مع عدم الاتيان ، وقد يوجه قولهم بأن يكون معناه ما تأتينا فى المستقبل فأنت تحدثنا الآن عوضاً عن ذلك .

والاستئناف وجه آخر ، وهو أن يكون على معنى السببية وانتفاء الثانى لانتفاء الأول ، وهو أحد وجهى النصب وهو قليل وعليه قوله :

فلقد تركت أصيبية مرحومة لم تدر ما جزع عليك فتجزع

أى لو عرفت الجزع لجزعت عليك ، ولكنها لم تعرفه فلم تجزع ، وقرأ عيسى بن عمر «لا يقضى عليهم فيموتون» عطفاً على يقضى . قال ابن هشام : وأجاز ابن خروف فيه الاستئناف على معنى السببية كما قدمنا فى البيت ، أى فالمعنى انتفاء الموت لانتفاء القضاء ، ولا يصح القطع لأنه ينحل المعنى إلى : انتفى القضاء وثبت الموت .

وقرأ السبعة « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » وقد كان النصب ممكناً مثله فى فيموتوا — أى لأن المعنى : انتفى الاعتذار لا سيما الاذن لهم فيه أى لا يؤذن لهم فكيف يعتذرون ، وانتفى القضاء عليهم بالموت فلا يموتون — ولكن عدل عنه لتناسب الفواصل ، والمشهور فى توجيهه أنه لم يقصد إلى معنى السببية بل إلى مجرد العطف على الفعل وإدخاله معه فى سلك النفى لأن المراد « لا يؤذن لهم » نفى الإذن فى الاعتذار وقد نهوا عنه فى قوله تعالى « لاتعتذروا اليوم » فلا يتأتى العذر منهم بعد ذلك .

قال ابن هشام : وزعم ابن مالك بدر الدين أنه مستأنف بتقدير فهم يعتذرون . وهو مشكل على مذهب الجماعة لاقتضائه ثبوت الاعتذار مع انتفاء الإذن ، كما فى قولك « ما تؤذينا فنحبك »

... ...

بالرفع ، ولصحة الاستئناف يحمل ثبوت الاعتذار مع مجيء « لا تعتذروا اليوم » على اختلاف المواقف ، كما جاء في قوله « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان » ، « وقفوهم إنهم مسئولون » وإليه ذهب ابن الحاجب فيكون بمنزلة « ما تأتينا فتجهل أمورنا » ورده أن الفاء غير العاطفة السببية ، لا تسبب الاعتذار في وقت عن نفي الاذن فيه في وقت آخر ، وقد صح الاستئناف بوجه آخر يكون الاعتذار معه منفياً ، وهو ما قدمناه ونقلناه عن ابن خروف من أن المستأنف قد يكون على معنى السببية وقد صرح به هنا الأعلم ، وأنه في المعنى مثل « لا يقضى عليهم فيموتوا » ورده ابن عصفور بأن الاذن في الاعتذار قد يحصل ولا يحصل الاعتذار بخلاف القضاء عليهم فانه يتسبب عنه الموت جزما ، ورد عليه ابن الضائع بأن النصب على معنى السببية في « ما تأتينا فتحدثنا » باجماع ، مع أنه قد يحصل الاتيان ولا يحصل التحديث ، قال ابن هشام : والذى أقوله إن مجيء الرفع بهذا المعنى قليل جداً فلا يحسن حمل التنزيل عليه .

أما قولهم «لا تأكل سمكا وتشرب لبنا» إن جزمت فالعطف على اللفظ والنهى عن كل منهما ، وإن نصبت فالعطف عند البصريين على المعنى ، والنهى عند جميع النحاة عن الجمع ، أى لا يكن منك أكل سمك مع شرب لبن ، وإن رفعت فالمشهور أنه نهى عن الأول وإباحة الثانى ، وأن المعنى : ولك شرب اللبن ، وتوجيهه أنه مستأنف فلم يتوجه اليه حرف النهى .

وقال بدر الدين بن مالك إن معناه كمعنى وجه النصب ، ولكنه على طريق لا تأكل السمك وأنت تشرب اللبن .

قال ابن هشام : وكأنه قدر الواو للحال وفيه بعد لدخولها في اللفظ على المضارع المثبت ثم هو مخالف لقولهم ، إذ جعلوا لكل من أوجه الاعراب معنى .

وقد منع البيانيون — وابن مالك في شرح باب المفعول معه من كتاب التسهيل ، وابن عصفور في شرح الإيضاح ، ونقله عن الأكثرين — عطف الخبر على الانشاء أو عطف الإنشاء على الخبر وقيد بعضهم المنع بالجمل التى لا محل لها أما التى لها محل فقالوا بالجواز فيها اتفاقاً نحو « زيد أبوه قائم وما أفسقه » فما أفسقه جملة إنشائية عطف على الأولى ، ولذا جاز « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » على أن الواو من الحكاية لا من المحكى لأن الجملة التى لها محل فى قوة المفرد فكأن الانشائية والخبرية غير معتبرتين .

وأجازه مطلقا الصفار تلميذ ابن عصفور كما أجازه جماعة مستدلين بقوله تعالى «وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فان هذا إنشاء عطف على خبر وهو قوله تعالى « أعدت للكافرين » واستدلوا كذلك بقوله تعالى « وبشر المؤمنين » فانها إنشاء عطف على خبر وهو قوله « نصر من الله وفتح قريب » والآية الأولى في سورة البقرة والثانية في سورة الصف .

***

... ...

قال أبو حيان وأجاز سيبويه « جاءنى زيد ، ومن عمرو العاقلان » على أن يكون العاقلان خبراً لمحذوف لا أنه صفة لهما فإنه يجوز ، قال ويؤيده قول امرىء القيس :

وَإِنَّ شِفَائِى عَـــبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ   فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ من مُعَوَّلِ

وقول حسان :

تُنَاغِى غَزَالاً عِنْدَ بَابِ ابنِ عَامِرٍ   وَكَحِّلْ أَمَاقِيكَ الْحِسَانَ بِإِثْمِدِ

وهذه الرواية هى الشائعة ، والذى فى الشراح : وكحل مآقيك وهو جمع موق .

واستدل الصفار بهذا البيت ، وقوله :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم   وأكرومة الحيين خلوا كما هيا

فإن تقديره عند سيبويه هذه خولان ، قال ابن هشام : وأقول أما آية البقرة فقال الزمخشرى ليس المعتمد بالعطف الأمر حتى يطلب له مشاكل ، بل المراد عطف جملة ثواب المؤمنين على جملة عذاب الكافرين كقولك « زيد يعاقب بالقيد ، وبشر فلانا بالإطلاق » ، وجوز عطفه على اتقوا .

وأتم من كلامه أن يقال : المعتمد بالعطف جملة الثواب كما ذكر ويزاد عليه فيقال والكلام منظور فيه إلى المعنى الحاصل منه ، وكأنه قيل والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات فبشرهم بذلك .

وأما الجواب الثانى ففيه نظر ، لأنه لا يصح أن يكون جوابا للشرط ، إذ ليس الأمر بالتبشير مشروطاً بعجز الكافرين عن الاتيان بمثل القرآن. ويجاب بأنه قد علم أنهم غير المؤمنين ، فكأنه قيل فإن لم يفعلوا فبشر غيرهم بالجنات ، ومعنى هذا فبشر هؤلاء المعاندين بأنه لاحظ لهم من الجنة .

وقال فى آية الصف إن العطف على تؤمنون لأنه بمعنى آمنوا ولا يقدح فى ذلك أن المخاطب بتؤمنون المؤمنون وببشر النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا أن يقال فى تؤمنون إنه تفسير للتجارة لا طلب وإن يغفر لكم جواب الاستفهام تنزيلا لسبب السبب منزلة السبب ، كما فى بحث الجمل المفسرة من المغنى ، لأن تخالف الفاعلين لا يقدح تقول « قوموا واقعد يا زيد » ولأن يؤمنون لا يتعين للتفسير ، سلمنا ولكن يحتمل أنه تفسير مع كونه أمراً وذلك بأن يكون معنى الكلام السابق اتجروا تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، كما كان « فهل أنتم منتهون » فى معنى انتهوا أو بأن يكون تفسيراً فى المعنى دون الصناعة لأن الأمر قد يساق لافادة المعنى الذى يتحصل من المفسرة ، يقول : هل أدلك على سبب نجاتك ؟ آمن بالله كما تقول هو أن تؤمن بالله وحينئذ فيمتنع العطف لعدم دخول التبشير فى معنى التفسير .

... ...

وقال السكاكى الأمران معطوفان على قل مقدرة قبل يا أيها وحذف القول كثير وقيل معطوفان على أمر محذوف تقديره فى الأولى فأنذر وفى الثانية فأبشر ، كما قال الزمخشرى فى « واهجرنى مليا » إن التقدير فاحذرنى واهجرنى لدلالة «لأرجمنك» على التهديد . وأما قوله :

وهل عند رسم دارس من معول

فهل فيه نافية مثلها فى « فهل يهلك إلا القوم الظالمون » وأما « هذه خولان » فمعناه تنبه لخولان أو الفاء لمجرد السببية مثلها فى جواب الشرط . قال ابن هشام وإذ قد استدلا بذلك فهلا استدلا بقوله تعالى « إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر » ونحوه فى التنزيل كثير.

وأما وكحل أماقيك الحسان بأثمد . . . البيت ، فيتوقف على النظر فيما قبله من الأبيات ، وقد يكون معطوفاً على أمر مقدر يدل عليه المعنى أى فافعل كذا وكحل كما قيل فى « واهجرنى مليا » وأما ما نقله أبو حيان عن سيبويه من تجويز «جاءنى زيد ومن عمرو العاقلان» فغلط عليه ، قال ابن عرفة أى كذب فيه على سيبويه لأن هذا ليس من كلام سيبويه وإنما هو من كلام الصفار بتصرف من أبى حيان . قال ابن هشام . وإنما قال سيبويه : واعلم أنه لا يجوز « من عبد الله وهذا زيد الرجلين الصالحين » رفعت أو نصبت ، لأنك لاتثنى إلا على من أثبته وعلمته ولا يجوز أن تخلط من تعلم ومن لاتعلم فتجعلهما بمنزلة واحدة ، وقال الصفار : لما منعهما سيبويه من جهة النعت علم أن زوال النعت يصححهما ، فتصرف أبو حيان فى كلام الصفار فوهم فيه ، ولا حجة فيما ذكره الصفار إذ قد يكون للشىء مانعان ، ويقتصر على ذكر أحدهما ، لأنه الذى اقتضاه المقام .

أما عطف الجملة الاسمية على الفعلية وعكسه ففيه ثلاثة أقوال :

(أحدها) الجواز مطلقاً ، وهو المفهوم من قول النحويين فى باب الاشتغال فى مثل « قام زيد وعمراً أكرمته » إن نصب عمراً أرجح لأن تناسب الجملتين المتعاطفتين أولى من تخالفهما .

(والثانى) المنع مطلقا ، حكى عن ابن جنى أنه قال فى قوله :

عَاضَهَا اللهُ غلامًا بعد ما شابت الأصداغ والضرس نقِد

ومعنى « عاضها » أى زوجها بعد أن كبرت وصارت فى هذا السن ، ويحتمل أن يكون ولدت بعد أن بلغت سن اليأس « ونقد » هو من باب فرح أى تكسر وتأكل .

قال ابن جنى : إن الضرس فاعل بمحذوف يفسره المذكور ، وليس بمبتدأ ، ويلزمه إيجاب النصب فى مسألة الاشتغال السابقة وهى قولهم « قام زيد وعمراً أكرمته » مع أنهم صرحوا بجواز الرفع إلا إن كان أقدر الواو عند الرفع للاستئناف .

(والثالث) لأبى على أنه يجوز فى الواو فقط نقله عنه أبو الفتح ابن جنى فى سر الصناعة — وبنى عليه منع كون الفاء فى «خرجت فإذا الأسد حاضر» عاطفة . وأضعف الأقوال القول الثانى ، وقد لهج به الرازى فى تفسيره

خاتمة

فى مسائل متفرقة

الأولى : يشترط لصحة العطف صلاحية المعطوف ، أو ما هو بمعناه لمباشرة العامل، فالأول نحو: « قامَ زَيدٌ وعمرٌو » . والثانى نحو: « قامَ زيدٌ وأنا » فإنه لايصلح «قامَ أنا» ولكن يصلح « قُمتُ » والتاء بمعنى أنا ، فإن لم يصلح هو أو ماهو بمعناه لمباشرة العامل أضمر له عامل يلائمه وجعل من عطف الجمل ، وذلك كالمعطوف على الضمير المرفوع بالمضارع ذى الهمزة أوالنون وتاء المخاطب أوبفعل الأمر، نحو«أقومُ أنا وزيدٌ» و«نقوم نحنُ وزَيدٌ»و«تقومُ أنتَ وزيدٌ» و « اُسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ » أى وليسكن زوجك . وكذلك باقيها ، وكذلك المضارع المفتتح بتاء التأنيث نحو « لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِه » قال ذلك الناظم .

قال الشيخ أبوحيان وما ذهب إليه مخالف لما تضافرت عليه نصوص النحويين والمعربين من أن زوجك معطوف على الضمير المستكن فى اسكن المؤكد بأنت .

وذكر فى كتابه فى مناقب الشافعى رضى الله عنه أن مجلساً جمعه وجماعة من الحنفية ، وأنهم زعموا أن قول الشافعى بحل أكل متروك التسمية مردود بقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » فقال : فقلت لهم لا دليل فيها بل هى حجة للشافعى ، وذلك لأن الواو ليست للعطف على تأكلوا ، لتخالف الجملتين بالاسمية والفعلية ولا للاستئناف لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها ، فبقى أن تكون للحال . قال ابن عرفة فيه أن التأكيد يقتضى قصده استقلالا رداً على مخالف ، على أن الحال قد تأتى للعلة نحو « لا تضرب زيداً وهو أخوك ولا تشرب الخمر والله نهى عنه » . واعترض بأنه لو كانت للحال لقال وهو فسق من غير توكيد بإن واللام ، لأن التوكيد إنما يناسب المنكر حقيقة أو حكما والقرآن فى أعلى درجات البلاغة ولا منكر هنا . وأجيب بأن المشركين أنكروا ذلك فرد عليهم ، وفيه أن الخطاب إنما هو للمؤمنين بدليل تمام الآية وحينئذ فلا يناسب التوكيد للكفار ، إلا أن يقال إنه وإن كان الخطاب للمؤمنين إلا أن فيه تعريضاً بالكفار أى كلوا منه خلافا للكفار ، وفيه أنه وإن كان فيه تعريض إلا أن هذا لايساوى كون الواو للاستئناف لأنه الأصل فيها، سلمنا أنها للحال فلا نسلم أنها مقيدة لأن الأكل مما ذبح للأصنام واضح فى كونه فسقا فلا حاجة لبيانه، فبقى أن الحال مبينة لمعنى النهى مثل لا تضرب زيداً وهو أخوك ، وهى مسوقة لبيان العلة ، أى لا تضرب زيداً لأنه أخوك ، وهى أى تلك الحال لا تقيد المفهوم ، أى لا يستفاد منه عدم الأكل فى حال كونه فسقا كما لايستفاد منه عدم ضرب زيد فى حال كونه أخاً .

الثانية: لا يشترط فى صحة العطف صحة وقوع المعطوف موقع المعطوف عليه، لصحة « قامَ زَيدٌ وأنا » وامتناع « قامَ أنا وزيدٌ ».

قال ابن هشام فى الآية فتكون جملة الحال مقيدة للنهى. والمعنى لاتأكلوا منه فى حالة كونه فسقا، ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقا، والفسق قد فسره الله تعالى بقوله «أو فسقا أهل لغير الله به» فالمعنى لاتأكلوا منه إذا سمى عليه غير الله ومفهومه كلوا منه إذا لم يسم عليه غير الله انتهى ملخصا وموضحاً.

ولو أبطل العطف بتخالف الجملتين بالانشاء والخبر لكان صوابا، لأن جملة ولا تأكلوا إنشائية وجملة وإنه لفسق خبرية وقوله لكان صوابا فيه أن للخصم أن يلتزم خلاف مذهب المعترض، بأن يقول بمذهب الصفار إذ كل مسألة خلافية للمعترض أن يلتزم فيها خلاف مذهب المعترض.

أما واو المفعول معه فقد ذكر العلامة السيوطى أن أصلها للعطف والمعطوف لا يتقدم على عامل المعطوف عليه إجماعاً ولا يتقدم على صاحبه أيضاً — وأجازه ابن جنى فيقال « استوى والخشبة الماء » لوروده فى العطف قال الشاعر :

عليك ورحمة الله السلام

وسمع أيضا :

جمعت وفحشا غيبة ونميمة

ولأن باب المفعولية فى التقديم أوسع مجالا من باب التابعية، وإنما المانع هنا من التقديم الحمل على ذلك، فإذا جاء فى الأصل بقلة أو اضطرارا جاز هنا بكثرة وسعة ولا يجوز الفصل بين الواو والمفعول معه بظرف ولا بغيره فلا يقال « قام زيد واليوم عمراً » وإن جاز الفصل بالظرف بين الواو العاطفة ومعطوفها لأن الواو هنا نزلت منزلة الجار مع المجرور فمنعوا الفصل بينهما.

ويستخلص من كل ذلك : أن المسائل بالنسبة إلى العطف والمفعول معه خمسة أقسام :

(الأول) ما يجب فيه العطف ولا يجوز النصب على المفعول معه وذلك شيئان؟ أحدهما : أن لا يتقدم الواو إلا مفرد نحو « أنت ورأيك » و « كل رجل ضيعته » و « الرجال وأعضادها ، والنساء وأعجازها » هذا قول الجمهور. وجوز الصيمرى فيه النصب بلا تأويل، وجوز بعضهم فيه النصب على تأويل ما قبل الواو أنه جملة حذف ثانى جزأيها ، والتقدير كل رجل كائن وضيعته. والثانى : أن يتقدم الواو جملة غير متضمنة معنى فعل نحو قولك « أنت أعلم ومالك » والمعنى بمالك وهو عطف على أنت ونسبة العلم إليه مجاز.

(الثانى) ما يجب فيه النصب ولا يجوز فيه العطف ، وذلك أن يتقدم الواو جملة إسمية أو فعلية متضمنة معنى الفعل وقبل الواو ضمير متصل مجرور أو مرفوع لم يؤكد بمنفصل نحو « مالك وزيدا » و « ما شأنك وزيداً » و « ما صنعت وإياك » فيتعين النصب هنا على المفعول معه، ولا

الثالثة: لايشترط صحة تقدير العامل بعد العاطف، لصحة « اختصمَ زيدٌ وعمرٌو» وامتناع «اختصمَ زيدٌ واختصم عمرٌو ».

يجوز العطف لامتناعه إلا في الضرورة والنصب في الاصمية بكان مضمرة قبل الجار وهو اللام وشأن أي ماكان شأنك وزيداً ، أو بمصدر لابس منويا بعد الواو أي ما شأنك وملابسة زيدا أو ملابسك زيداً ، كذا نص عليه سيبويه .

وقال أبو حيان نقلا عن شيخه ابن الضائع ، وهكذا تقدير معنى الإعراب ؛ لأنه عند سيبويه مفعول معه وتقدير الملابسة يجعله مفعولا به لا مفعولا معه . وقال السيرافي وابن خروف المقدر فعل وهو لابس ، لأن المصدر لايعمل مقدراً .

(الثالث) ما يختار فيه العطف مع جواز النصب، وذلك بأن يكون المجرور في الصورة السابقة ظاهراً أو ضميرها المرفوع منفصلا . نحو « ما شأن عبد الله وزيد » و « ما أنت وزيد » فالأحسن جرّ زيد في الأول ورفعه في الثاني ، ولإمكان العطف وهو الأصل ، ويجوز فيه النصب مفعولا معه ، ومنعه بعض المتأخرين ، كابن الحاجب ورد بالسماع ، قال الشاعر·

وما أنت والسير في متلف .

وسمع « ما أنت وزيداً » و « كيف أنت وزيداً » و « كيف أنت وقصعة من ثريد » قال سيبويه أي ماكنت وزيداً ، وكيف تكون وقصعة من ثريد ؛ لأن كنت وتكون يقعان هنا كثيراً انتهى .

قال الفارسي وغيره : وكان هذه المضمرة تامة لأن الناقصة لا تعمل هنا ، و«كيف» حال دونها هنا ، واختاره الشلوبين : وقال أبو حيان الصحيح أنها الناقصة وأنها تعمل هنا و«كيف» خبرها، واختلف في تقدير سيبويه مع «ما كنت» ومع «كيف تكون» أذلك مقصود لسيبويه أم لا فقال السيرافي هو غير مقصود ولو عكس لأمكن ، ورد المبرد على سيبويه وقال يصلح في كل منهما الماضي والمستقبل وتابعه ابن طاهر ، ورد ابن ولاد على المبرد ، قال إنه لا يجوز إلا ما قدره سيبويه لأن «ما» دخلها معنى التحقير والانكار إذ يقال لمن أنكر عليه مخالطة زيد أو ملابسته ماأنت وزيداً لا لمن لم يقع منه ذلك ولا ينكر إلا ما ثبت واستقر دون مالم يقع وليست لمجرد الاستفهام ، وأما كيف فعلى بابها من الاستفهام والمعنى كيف تكون إذا وقع كذا ، أي على أي حال ، لكون الاستفهام إنما يكون عن المستقبل .

(والرابع) ما يختار فيه النصب مع جواز العطف ، وذلك أن يجتمع شروط العطف لكن يخاف منه فوات المعية المقصودة نحو « لا تغتذ بالسمك واللبن » و « لا يعجبك الأكل والشبع » أي مع اللبن ومع الشبع ، لأن النصب يبين مراد المتكلم ، والعطف لا يبينه وكذا إذا كان فيه تكلف من جهة المعنى نحو قول الشاعر :

الرابعة : فى عطف الخبر على الإنشاء وعكسه خلاف منعه البيانيون ، والناظم فى شرح باب المفعول معه من كتاب التسهيل . وابن عصفور فى شرح الايضاح ، ونقله عن الأكثرين وأجازه الصفار تلميذ ابن عصفور وجماعة مستدلين بنحو « وبشر الذينَ آمنوا » فى سورة البقرة « وبشرِ المؤمنينَ » فى سورة الصف .

فكونوا أنتم وبنى أبيكم مكان الكليتين من الطحال

فإن العطف وإن حسن من حيث اللفظ لكنه يؤدى إلى تكلف فى المعنى ، إذ يصير التقدير كونوا أنتم وليكونوا هم ، وذلك خلاف المقصود فإن لم يصلح الفعل للتسلط على المعطوف امتنع العطف عند الجمهور ، وجاز النصب على المعية وعلى إضمار الفعل الصالح نحو قول الله تعالى «فأجمعوا أمركم وشركاءكم » لا يجوز أن يجعل وشركاءكم معطوفا على أمركم لأن أجمع لا ينصب إلا الأمر والكيد ونحوهما ، فأما إن يجعل مفعولا معه أو مفعولا بأجمعوا مقدراً ، ومثله « تبوءوا الدار والإيمان » فالايمان مفعول معه أو مفعول باعتقدوا مقدراً ، فإن لم يحسن والحالة هذه مع موضع الواو تعين الاضمار وامتنع المفعول معه أيضاً كقوله :

إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

لأن زججن غير صالح للعمل فى العيون وموضع الواو غير صالح لمع فيقدر وكحلن .

وذهب جماعة منهم أبو عبيدة والأصمعى وأبو محمد اليزيدى والمازنى والمبرد إلى جواز العطف على الأول بتضمين العامل معنى يتسلط به على المتعاطفين واختاره الجرمى ، وقال يجوز فى العطف مثلا يجوز فى الافراد « نحو أكلت خبزاً ولبنا » فيضمن زججن معنى حسن .

(الخامس) ما يجوز العطف والمفعول معه على السواء ، وذلك إذا أكد ضمير الرفع المتصل نحو «ما صنعت أنت وإياك» ونحو «رأسه والحائط» أى خل أو دع ، و«شأنك والحج» أى عليك بمعنى الزم و«امرأ ونفسه » أى دع ، وذلك مقيس فى كل متعاطفين على إضمار فعل لا يظهر فالمعية فى ذلك والعطف جائزان ؛ والفرق بينهما من جهة المعنى أن المعية يفهم منها الكون فى حين واحد دون العطف لاحتماله مع ذلك التقدم والتأخر ، قال أبو حيان وفى تمثيل سيبويه بهذه الأمثلة رد على من يعتقد أن المفعول معه لا يكون إلا مع الفاعل . اهـ همع الهوامع

ووجدت العلامة الشمنى فى حاشيته على المغنى فى الكلام على عطف الاسمية على الفعلية وبالعكس عند قول المصنف « والثانى المنع مطلقا » حكى ابن جنى قال فى قوله : عاضها الله البيت المتقدم كتب ما نصه : هكذا رأينا فى النسخ بغير واو وقيل إنه فى الشرح «والثانى المنع مطلقا حكى عن ابن جنى وأنه قال » ويوجد فى بعض نسخ المغنى فى هذا المحل « حكى عن ابن جنى أنه قال بدون واو » فيشبه أن يكون ذلك تنبيها على مأخذ هذا القول ؛ يعنى أنه استنبط من كلام ابن جنى

قال أبو حيان : « وأجاز سيبويه « جاءني زيدٌ ومَنْ عَمْرٌو العاقلانِ » على أن يكون العاقلان خبراً لمحذوف ، ويؤيده قوله :

من أن الضرس فاعل لا مبتدأ أن ذلك هو الأولى نظراً إلى رعاية التناسب لا أنه ممنوع اهـ . قال الشمني وأقول الظاهر من قول ابن جني أنه فعل فاعل محذوف وليس مبتدأ وأن ذلك على سبيل الوجوب لا على سبيل الأولوية ، والنقد بكسر القاف المدّ كل اسم فاعل من نقدت السن بالكسر إذا تآكلت وتكسرت ، ومعنى البيت أن هذه المرأة عوضها الله غلاما تزوجته بعد ماوصلت في الكبر إلى هذه الحالة » وقد أسلفت الكلام عليه فيما قبل وعند قوله « وأضعف الثلاثة القول الثاني » كتب مانصه : لمجيء هذا العطف كثيراً نحو قوله تعالى « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون » وعند قوله « وأنهم زعموا أن قول الشافعي يحل أكل متروك التسمية » كتب مانصه : مذهب الشافعي أن متروك التسمية عمداً كان الترك أو نسيانا يحل أكله وهو قول أبي هريرة وابن عباس في رواية وأبي وعياض وأبي رافع وعطاء وابن المسيب والحسن وجابر وعكرمة وطاووس والنخعي وقتادة وربيعة ومالك في رواية ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري إلى أن الترك إن كان عمداً لا يؤكل وإن كان نسيانا يؤكل ، وهو قول مجاهد وطاووس أيضا وابن شهاب وابن جبير وعطاء في رواية والحسن بن يحي والحسن بن صالح وإسحق ومالك في رواية وأحمد في رواية وابن القاسم وعيسى وأصبغ واختاره النحاس وقال لا يسمى فاسقاً إذا كان ناسياً ، وذهب أشهب والطبري إلى أن ترك التسمية عمداً إن كان استخفافاً لا يؤكل وإلا يؤكل ، وظاهر الآية تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه عمداً كان الترك أو نسيانا ، وبه قال ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعبد الله بن يزيد الخطمي ، وابن سيرين والشعبي ونافع وأبو ثور وداود وأحمد في رواية . وقال الحسن في قوله تعالى « وإنه لفسق » لكفر قال الكرماني يريد مع الاستحلال ، وقال غير الحسن لمعصية ، والضمير في « إنه » عائد إلى الأكل ، وجوز الحوفي أن يعود على ما ، وجوز ابن عطية أن يعود على المصدر المفهوم من « لم يذكر » يعني ترك الذكر .

وفي البحر قال مانصه : وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب وتضمنت معنى التعليل كأنه قيل لفسقه .

وكتب العلامة الشمني عند قوله فبقي أن تكون للحال الخ مانصه : في حاشية التفتازاني : واعترض بأن التأكيد بإن واللام ينفي كون الجملة حالية لأنه إنما يحسن فيما قصد الاعلام بتحققه البتة والرد على منكر تحقيقا أو تقديرا على ما هو مبين في علم المعاني .

والحال الواقع من الأمر والنهي مبناه على التقدير كأنه قيل لا تأكلوا منه إن كان فسقا فلا يحسن وإنه لفسق بل وهو فسق .

والجواب أنه لما كان المراد بالفسق هنا الاهلال لغير الله كان التأكيد مناسبا ، كأنه قال

٨٦٠ — وَإِنَّ شِفَائِى عَـبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

لا تأكلوا منه إذا كان هذا النوع من الفسق الذى الحكم به متحقق والمشركون ينكرون انتهى .

واعترض بأنه لو سلم كونها حالية فلا نسلم أنها قيد للنهى بمعنى أن يكون النهى عن أكله فى هذه الحالة دون غيرها بل تكون إشارة إلى المعنى الموجب للنهى كما يقال « لا تهن زيداً وهو أخوك » و « لا تؤذ فلانا وهو محسن إليك » و « لا تشرب الخمر وهو حرام عليك » ولا يكون قيداً للنهى لأنه حينئذ لا يكون له فائدة لأن كونه منهياً عنه حال كونه فسقاً معلوم لا حاجة إلى بيانه . وقد اعترض على قول المصنف « فالمعنى لا تأكلوا منه إذا سمى عليه غير الله » بأن ما قدره أخص مما لم يذكر اسم الله عليه إذ الذى لم يذكر اسم الله عليه ينقسم إلى ما أهل به لغير الله وإلى ما لا يهل به لأحد ، بأن لم يذكر عليه اسم الله ولا اسم غيره وحمل الكلام على أعم المحلين أولى لأنه أعم فائدة فيحرم متروك التسمية عمدا بعموم هذا ، ولا يخص التحريم بما أهل لغير الله به .

قال الشمنى : وأقول ما قدره وإن كان أخص من مطلق ما لم يذكر اسم الله عليه لكنه مساو لما لم يذكر اسم الله عليه للقيد بكونه فسقا أهل به لغير الله كما هو المراد والمفروض ثم فى الشرح ، وأيضا فالتحريم إنما كان للاعراض عن تسمية الخالق الرازق والإخلال بتعظيمه لأنه مناسب ، وهو معنى عام يشمل متروك التسمية عمدا والمهل به لغير الله وهذا أولى من أن يجعل المناسب تسمية غير الله لأنها كالاشراك إذ هذا مناسب خاص ببعض الصور والأول عام مشترك بين الصور فكانت إضافة الحكم إليه أولى لمحلى من إضافته الى المناسب الخاص

٨٦٠ — البيت من البحر الطويل ، وهو لامرىء القيس من معلقته التى أولها :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومنزلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةُ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهُ مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ
تَرَى بَعَرَ الْآرَامِ فِى عَرَصَاتِهَـا وَقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُـلِ
كَأَنِّى غَـدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَىِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوفًا بِهَـا صَحْبِى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ
وَإِنَّ شِفَائِى عَـبْرَةٌ إِنْ سَفَحْتُهَا وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِن مُعَوَّلِ

و بعده :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَـلِ

... ...

وهى إحدى المعلقات السبع ، بل أولاها فى الوضع . وهى طويلة ، فلتطلب فى مكانها كديوان امرىء القيس أو المعلقات السبع أو العشر .

اللغة : سقط اللوى : منقطع الرمل ، وسقط الولد وسقط النار ثلاث لغات بفتح السين مع فتح القاف أو إسكانها مع كسر السين . سقط سقط وسقط . واللوى حيث يلتوى الرمل ويدق ، ويقال ألوى الرجل إذا أتى اللوى ، وتقول العرب : ألوية فأنزلوا . والدخول وحومل موضعان .

« وقفا » فعل أمر من « وقف » وقد زعم الفراء أن العرب تخاطب الواحد والجماعة مخاطبة الإثنين فتقول للرجل قوماعنا . وحكى أنه سمع بعضهم يقول : ويحك أرحلاها وأنشد عن أبى ثروان :

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر وإن تدعانى أحم عرضاً ممنعا

ويروى ذلك عنهم ، لأن أدنى أعوان الرجل فى أهله اثنان ، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة فيجرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى أن الشعراء كثيراً مايقولون : يا صاحبى ، ياخليلى ، قال امرؤ القيس :

خليلىّ مرا بى على أم جندب — ثم قال : ألم تر أنى كلما جئت طارقا — فقال ألم تر ، فرجع إلى الواحد . وأول الكلام اثنان قال ابن النحاس : والذى ذكره الفراء شيء ينكره أهل البصرة ، لأنه إذا خاطب الواحد مخاطبة الاثنين وقع الإشكال ، والذى يذهبون إليه أن تثنيته على محل التأكيد تؤدى معنى قف ، وهذا فيه نظر ، وقد قيل إنما يخاطب صاحبيه ، وقد قيل إنه أراد الأمر بالنون الخفيفة فوقف عليها بالألف وأجرى الوصل مجرى الوقف .

وقوله « بين الدخول وحومل » هكذا رواه الأصمعى بالواو لأن « بين » لايقع إلا على اثنين فصاعدا فلا ينبغى أن يكون النسق معها إلا بالواو أو نحو « اختصم زيد وعمرو » فزيد وعمرو سواء « وكلا زيد وعمرو حدثنى » لاتصلح الفاء فى شيء من هذا فلا تقول « اختصم زيد فعمرو » فلذلك اختار الأصمعى الواو وكلما طلب اثنين لم يفرق فيه بين الواحد وصاحبه بشيء نحو « بين زيد وعمرو درهم » ولا يقال « بين زيد درهم وعمرو » أما من رواه بالفاء فانه جعل الدخول اسم مكان يشتمل على منازل مفترقة تكتفى به بين كأنه إذا قال بين الدخول أراد بين منازل الدخول فيكون الكلام مكتفياً فيجوز له حينئذ أن ينسق بما شاء من حروف النسق ، كما يقول « نزلنا بين بغداد فالكوفة » ويجوز أن تكون الفاء بمعنى إلى فيكون المعنى أن سقط اللوى مابين الدخول إلى حومل ، كما تقول « هى أحسن الناس قرنا فقدما » يريدون ما بين قرن إلى قدم .

و « توضح فالمقراة » موضعان ، و « لم يعف إسمها » لم يندرس ، و « لما نسجتها » أى الذى نسجت عليها من الريحين ، لأن الأرواح تأتى بالتراب فتمحو الآثار . يقول فهذا الرسم باق لم يتغير فنحن نحزن عليه فلو عفا لاسترحنا كما قال ابن أحمر :

... ...

ألا ليت المنازل قد بلينا ولا يرمين عن شجر حزينا

فإن قيل أين فاعل نسجتها ؟ فإن في ذلك أجوبة منها أن تضمر الريح وتجعلها فاعلة – وإن لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام عليها مثل قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » ويجوز أن تكون من زائدة في الإيجاب ، على قول أبي الحسن ، فيكون التقدير لما نسجتها جنوب وشمال ، ويجوز أن يكون فاعل نسجت ضميراً و«ما» يؤنث على المعنى ، كما قالوا « ما جاءت حاجتك » بالنصب فأنث ضمير «ما» حيث كانت الحاجة مؤنثة. ويجوز إذا جعلت من زائدة في قول أبي الحسن أن تجعل ما مصدراً فلا يقتضي أن يعود عليه ما ذكر فتكون الهاء عائدة على المقراة ، ويجوز أن تكون الهاء للمواضع المذكورة كلها وقال « رسمها » ولم يقل رسومها اكتفاء بالواحد عن الجميع ، كما قال :

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

و « الآرآم » بهمزتين الظباء وبغير همز رءوس الكدى واحدها إرم ، و « العرصات » الدمن واحدتها عرصة ، و « قيعانها » جمع قاع وهي أرض سهلة ويقال ثلاث أقوع وهي القيعة ، ويروى « فلفل » وقلقل : شجر له حب أسود عن الخليل .

ومعنى البيت أنه وصف الدار بالخلاء عن أهلها على بعد ، وبعد عهدهم عنها حتى صارت مآلها للوحش ؛ ودل على بعد عهدها بالأنيس أن البعر يقدم عهده بالأنيس ، ويصغر ويتكرش حتى يصير كأنه حب الفلفل .

« والبين » الفراق ، و « تحملوا » ارتحلوا ، ويروى تكمشوا ، و « سمرات » جمع شجرة وهي شجرة أم غيلان ، و « الحنظل » شجر معروف ، ومعناه أنه بكى الديار عند تحملهم فكأنه ناقف حنظل : وناقف الحنظل ينقفها بظفره ، فإن صوتت علم أنها مدركة فاجتناها فعينه تدمع لحدة الحنظل وشدة رائحته ، كما تدمع عينا موخف الخردل ، فشبه نفسه حين بكى بناقف الحنظل .

وقوله : وقوفا بها صحبي البيت « الصحب » جمع صاحب ، و « المطي » الإبل وهي جمع مطية ، سميت مطية لأنها يمطى بها في السير ، أي يمد بها ، ولأنه يركب مطاها وهو ظهرها ، وهو يقع للمذكر والمؤنث ، وأنشد في تصداق ذلك :

إِنَّ الْحِمَارَ مَعَ الْحِمَارِ مَطِيَّةٌ فَإِذَا خَلَوْتَ بِهَا فَبِئْسَ الصَّاحِبُ

فسمي الحمار مطية ، وهو مذكر ، و « الأسى » الحزن : يقال منه رجل أسوان أو أسيان ، و « تجمل » مثل تجلد أي أظهر الجميل ، ونصب وقوفا على الحال ، والعامل فيها « قفا » تقول :

... ...

وقفت بدارك قائماً سكانها ، ويجوز أن يكون مصدراً من « قفا وقوفاً » مثل « وقوف صحبى » ويجوز أن يكون ظرفا مثل « مقدم الحاجّ » وهو ضعيف لأنه لايقال : لا أكلك وقوف زيد ، وهو يريد وقت وقوف زيد ، لأنه لايعرف أمد ، ويجوز أن تهمز الواو فتقول « أقوفا » لأن كل واو انضمت لغير علة فهمزها جائز، وموضع «أسى» نصب على الحال ونصب «مطيهم» بوقوفا وقوله :

وَإِنَّ شِفَائِى عَبْرَةٌ إِنْ سَفَحْتُهَا وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ من مُعَوَّلِ

وهو بيت الشاهد وهذه رواية الديوان ، وتروى فى كتب النحاة « عبرة مهراقة » بدل « عبرة إن سفحتها » والرواية المشهورة فى هذا البيت « وإن شفائى » بالإضافة إلى ياء المتكلم ، ويروى « وإن شفاء » بالتنكير مع التنوين ولم يذكر شراح القصيدة تلك الرواية ، إلا أن الخطيب التبريزى ، قال روى سيبويه هذا البيت « وإن شفاء عبرة » واحتج فيه بأن النكرة يخبر عنها بالنكرة و « سفحتها » صببتها ، ولو قالتمنى ؛ و « العبرة » بالفتح الدمعة ، وجمعها عبر كبدرة وبدر ، و « مهراقة » بفتح الهاء أى مصبوبة . قال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب : قد ذكر ابن قتيبة فى باب فعلت وأفعلت هرقت الماء وأهرقته ، وقد قال مثله بعض اللغويين ممن لا يحسن التصريف ، وتوهم أن هذه الهاء فى هذه الكلمة أصلية وهو غلط والصحيح أن هرقت وأهرقت فعلان رباعيان معتلان أصلهما أرقت فمن قال هرقت فالهاء عنده بدل من همزة أفعلت ، كما قالوا أرحت الماشية وهرحتها وأترت الثوب وهترته ، ومن قال أهرقت فالهاء عنده عوض من ذهاب حركة عين الفعل عنها ، ونقلها إلى الفاء لأن الأصل أريقت أو أروقت بالياء أو بالواو على الاختلاف فى ذلك ، ثم نقلت حركة الواو أو الياء إلى الراء فانقلب حرف العلة ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ثم حذفه لسكونه وسكون القاف ، والساقط من أرقت يحتمل أن يكون واواً فيكون مشتقاً من راق الشىء يروق ، ويحتمل أن يكون ياء ، لأن الكسائى حكى راق الماء يريق إذا انصبّ ، والدليل على أن الهاء فى هرقت وأهرقت ليست فاء الفعل على ما توهم من ظنها كذلك ، أنها لو كانت كذلك للزم أن يجرى هرقت فى تصريفه مجرى ضربت فيقال هرقت أهرق هرقا ، كما تقول ضربت أضرب ضرباً أى مجرى غيره من الأفعال الثلاثية التى يجىء مضارعها بضم العين وتجىء مصادرها مختلفة ، وكان يلزم أن يجرى أهرقت فى تصريفه مجرى أكرمت ونحوه من الأفعال الرباعية المصححة ، فيقال أهرقت أهرق إهراقا ، كما تقول أكرمت أكرم إكراما ، ولكن العرب لم تقل شيئا من ذلك . وإنما يقولون فى تصريف هرقت أهريق يفتحون الهاء وكذلك يفتحونها فى اسم الفاعل فيقولون مهريق وفى اسم المفعول مهراق لأنها بدل من همزة لو ثبتت فى تصريف الفعل لكانت مفتوحة ، ألا ترى أنك لو صرفت أرقت على ما ينبغى من التصريف ، ولم تحذف الهمزة منه لقلت فى مضارعه

... ...

يؤريق وفى اسم فاعله مؤريق . وفى اسم مفعوله مؤريق ، وقالوا فى المصدر هراقة كما قالوا إراقة . وإذا صرفوا أهرقت قالوا فى المضارع أهريق وفى المصدر إراقة وفى اسم الفاعل مهريق وفى اسم الفاعل مهراق فأسكنوا الهاء فى جميع تصريف الكلمة فهذا يدل على أنه رباعى معتل وليس بفعل صحيح وأن الهاء فيه بدل من همزة أرقت أو عوض كما قلنا، قال العديل بن الفرخ:

فَكُنْتُ كَمُهْرِيقِ الَّذِى فِى سِقَائِهِ ... لِرَقْرَاقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْد

وقال ذو الرمة :

فَلَمَّا دَنَتْ إِهْرَاقَةُ المَاءِ أَنْصَتَتْ

وقال الأعشى :

فى أراكَ مَرْدٍ يَكَادُ إِذَا مَا ... ذَرَّتِ الشَّمْسُ سَاعَةً يُهَرَاقُ

انتهى كلام ابن السيد . والأراك : شجر معروف والمرد الغض من ثمره ، وقيل هو النضيج منه وقيل المرد هنوات منه حمر ضخمة ، واحدته مردة (لسان م ر د) .

وقوله « فهل عند رسم دارس من معول » الرسم : الأثر ، والدارس : المنطمس ، والفاء فى جواب شرط مقدر . .

قال ابن جنى فى سر الصناعة : ومن ذلك قول امرئ القيس :

وَإِنَّ شِفَائِى عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

قال : فى قوله « معول » مذهبان : أحدهما أنه مصدر عولت بمعنى أعولت ، أى بكيت ؛ أى فهل عند رسم دارس من إعوال وبكاء . والآخر أنه مصدر عولت على كذا أى اعتمدت عليه كقولهم: إنما عليك معولىّ أى اتكالى . وعلى أىّ الأمرين حملت المعول ، فدخول الفاء على « فهل عند رسم » حسن جميل . أما على الأول ، فكأنه قال إن شفائى أن أسفح عبرتى ، ثم خاطب نفسه أو صاحبه ، فقال إذا كان الأمر على ما قدمته من أن فى البكاء شفاء وجدى فهل من بكاء أشفى به غليلى ، فهذا ظاهره استفهام لنفسه ومعناه التحضيض لها على البكاء ، كما تقول : قد أحسنت إلىّ فهل أشكرك ؟ أى فلأشكرنك ، وقد زرتنى فهل أكافئك ؟ أى فلأكافئك . وإذا خاطب صاحبه فكأنه قال قد عرفتما سبب شفائى وهو البكاء والإعوال ، فهل تعولان وتبكيان معى لأشفى وجدى ببكائكما .

وقوله : —

٨٦١ — تُنَاغِي غَزَالاً عِنْدَ دَارِ ابْنِ عَامِرٍ وَكَحِّلْ أَمَاقِيكَ الْحِسَانَ بِإِثْمِدِ

فهذا التفسير على قول من قال إن « معول » بمنزلة إعوال ، والفاء عقدت آخر الكلام بأوله ، لأنه كأنه قال : إن كنتما قد عرفتما ما أوثره من البكاء فأبكيا معي . كما أنه إذا استفهم نفسه فكأنه قال إذا كنت قد علمت أن في الإعوال راحة لي فلا عذر لي في ترك البكاء .

وأما من جعل « معول » بمعنى تعويلي على كذا أي اعتمادي واتكالي عليه ، فوجه دخول الفاء على فهل في قوله ، أنه لما قال : إن شفائي عبرة مهراقة ، فكأنه قال إنما راحتي في البكاء فما معنى اتكالي في شفاء غليلي على رسم دارس لاغناء عنده ، وهذا أيضاً معنى يحتاج معه إلى الفاء لتربط آخر الكلام بأوله فكأنه قال : إذا كان شفائي إنما هو في فيض دمعي فسبيلي ألا أعول على رسم دارس في دفع حزني وينبغي أن أجدّ في البكاء الذي هو سبب الشفاء انتهى كلام ابن جني .

ووقع في رواية ابن هشام « وهل عند رسم دارس من معول » بالواو بدل الفاء في « فهل » فقال في المغني في بحث هل : وفي عطف الإنشاء على الخبر من الباب الرابع إن هل فيه للنفي ، ولذا صح العطف إذ لا يعطف الانشاء على الخبر .

٨٦١ ــ البيت من البحر الطويل، لحسان بن ثابت الصحابي الخزرجي من قصيدته التي وهي :

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَاشَعْثُ مَانَبَا عَلَيَّ لِسَانِي فِي الْخُطُوبِ وَلاَ يَدِي
لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلاَهُمَا وَيَبْلُغُ مَالاَ يَبْلُغُ السَّيْفُ مِذْوَدِي
وَإِنْ أَكُ ذَا مَالٍ قَلِيلٍ أَجُدْ بِهِ وَإِنْ يُهْتَصَرْ عُودِي عَلَى الْجَهْدِ يُحْمَدِ
فَلاَ الْمَالُ يُنْسِينِي حَيَائِي وَعِفَّتِي وَلاَ وَاقِعَاتُ الدَّهْرِ يَفْلُلْنَ مِبْرَدِي
أُكَثِّرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمُ وَأَطْوِي عَلَى الْمَاءِ الْقَرَاحِ الْمُبَرَّدِ
وَإِنِّي لَمُعْطٍ مَاوَجَدْتُ وَقَائِلٌ لِمُوقِدِ نَارِي لَيْلَةَ الرِّيحِ أَوْقِدِ
وَإِنِي لَقَوَّالٌ لِذِي الْبَثِّ مَرْحَبًا وَأَهْلاً إِذَا مَاجَاءَ مِنْ غَيْرِ مَرْصَدِ
وَإِنِي لَيَدْعُونِي النَّدَى فَأُجِيبُهُ وَأَضْرِبُ بَيْضَ الْعَارِضِ الْمُتَوَعِّدِ
وَإِنِّي لَأُزْجِ الْمَطِيِّ عَلَى الْوَجَا وَإِنِّي لَتَرَّاكُ الْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ
وَأُعْمِلُ ذَاتَ اللَّوْثِ حَتَّى أَرُدَّهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رَحْلُهَا لَمْ تُقَيَّدِ

... ...

أُكَلِّفُهَا أَنْ تَدْلُجَ اللَّيْلَ كُلَّهُ تَرُوحُ إلى بَابِ ابْنِ سَلْمَى وَتَغْتَدِى
وَأُلْفِيتُهُ بَحْرًا كَثِيرًا فُضُولُهُ جَوَّادًا مَتَى يُذْكَرْ لَهُ الخَيْرُ يَزْدَدِ
فَلاَ تَعْجَلَنْ يَاقَيْسُ وَارْبَعْ فَإِنَّمَا قُصَارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مُهَنَّدِ
حُسَامٍ وأرماحٍ بِأَيْدِى أَعِزَّةٍ مَتَى تَرَهُمْ يَاابْنَ الخَطِيمِ تَبَلَّدِ
لُيُوثٌ لَهَا الْأَشْبَالُ تَحْمِي عَرِينَهَا مَدَاعِيسُ بِالخَطِّىِّ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
فَقَدْ ذَاقَتِ الْأَوْسُ القِتَالَ وَطُرِّدَتْ وَأَنْتَ لَدَى الْكَنَّاتِ فِي كُلِّ مَطْرَدِ
تُنَاغِى لَدَى الْأَبْوَابِ حُورًا نَوَاعِمًا وَكَحِّلْ مَآقِيكَ الْحِسَانَ بِإِثْمِدِ
نَفَتْكُمْ عَنِ الْعَلْيَاءِ أُمٌّ لَئِيمَةٌ وَزَنْدٌ مَتَى تَقْدَحْ بِهِ النَّارُ يُصْلِدِ

وهذا البيت آخر القصيدة ، وهذا شرح بعض ما غمض فى ألفاظها :

« لعمر أبيك » جواب والقسم محذوف تقديره قسمى ، و « الخير » بالجر بدل من أبيك يقول : ماكل لسانى ولا قصرت يدى فى مدافعة الخطوب ، و « المذود » اللسان ، أى ينال لسانى من الأعداء ما يناله السيف منهم يكنى بذلك عن شدة وقع تأثير شعره عليهم . و « شعث » مرخم شعثاء والرفع على القطع والنصب على لغة من ينتظر .

وقوله « وإن أك » أصله أكون فلما دخلت عليهما إن جزمتها فالتقى ساكنان فحذفت الواو فبقى « إن أكن » فلما كثر استعماله حذفوا النون تخفيفا ، فاذا تحركت أثبتوها ، قالوا إن يكن الرجل وأجاز يونس حذفها مع الحركة وأنشد :

إِذَا لَمْ تَكُ الحَاجَاتُ مِنْ هِمَّةِ الْفَتَى فَلَيْسَ بِمُغْنٍ عَنْكَ عَقْدُ الرَّتَائِمِ

وقال الآخر :

فَإِنْ لَمْ تَكُ الِمرْآةُ أَبْدَتْ وَسَامَةً فَقَدْ أَبْدَتِ المِرْآةُ جَبْهَةَ ضَيْغَمِ

ويفلان يثلمن . و « قوّال » صيغة مبالغة أى كثير القول ، و « البث » الحزن والغم ، الذى تفضى به إلى صاحبك ، وقوله « من غير مرصد » أى فجأة من غير ترقب ؟ كأنه يقول إذا قصدنى صاحب حاجة وشكا إلى ما ألم به من الحزن والأمور المكربة رحبت به ، كما أقول للضيف أهلا ومرحباً هذا إذا جاءنى على غير رتبة ومن باب أولى إذا جاء على موعد وارتقاب وفى البيت الثانى يقول إذا ودهمنى خطب لا أبالى به وأستقبله بصدر رحيب . وقوله « وإنى لمزج للمطى » أى سائق

... ...

لها سوقا لينا ، و « الوجا » الحفاء ، أي أنه صاحب أسفار وليس جليس بيته ، و « أعمل ذات اللوث » أي أحثها وأسوقها . وذات اللوث الناقة القوية . وضمير أكلفها للناقة ، و « ابن سلمى » هو النعمان بن المنذر اللخمي . وفي البيت الإيضاح وهو أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره خفاء والتباس فلا يفهم من أول وهلة ، حتى يوضحه في بقية كلامه ففي المصراع الأول إشكال على الذهن وفي المصراع الثاني إيضاح وتبيين .

وقوله « وألفيته » جملة مركبة من الفعل والفاعل والمفعول الأول «وبحراً» مفعول ثان ، و« فضوله » معمول لكثير اسم الفاعل و « و جواداً » صفة لبحرا ، و« يذكر »فعل الشرط ، و «الخير» نائب فاعل و «يزدد» جواب الشرط . وفي البيت التكميل وهو أن يأتي المتكلم بمعنى تام من مدح أو ذم أو وصف أو غيره من الأغراض الشعرية وفنونها ، ثم يرى الاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل فيأتي بمعنى آخر يزيده تكميلا ، وقول الشاعر متى يذكر إلخ تكميل .

وقوله « واربع » من ربع الرجل على نفسه من باب تبع إذا وقف و « توقف بها » أي قف واقتصر و « قصاراك » بضم القاف أي جهدك وغايتك وآخر أمرك ، و « تلقى بالبناء للمفعول ، و«المهند» السيف المطبوع في الهند ، و «حسام» بالجر صفة لمهند ومعناه الشديد القطع ، و «تبلد» أصله تتبلد أي تتحير وتتردد ، و«الليث» الأسد ، وأشد ما يكون جريئا إذا كان في غابه وعند أولاده ، و«الأشبال» جمع شبل بالكسر وهو ولد الأسد ، و «العرين» بفتح المهملة غابة الأسد ، و «مداعيس» صفة لأعز ، وهو جمع مدعاس وهي صيغة مبالغة لداعس من الدعس ، وهو الطعن بالرمح ، «الخطى» الرمح نسبة إلى الخط بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة موضع باليمامة وخط بهجر تنسب إليه الرماح لأنها تحمل إليه من بلاد الهند فتقوّم فيه ، و «المشهد» مكان الحرب لأن الأبطال تشهده أي تحضره وقوله « وطردت » بالبناء للمفعول مبالغة طردته وجملة « وأنت لدى الكنات » جمع كنة بالضم وتشديد النون وهي السقيفة أمام البيت . أو «الكنات» جمع كنة وهي امرأة الابن أو الأخ .

وقوله « مداعيس بالخطيّ » أي مطاعين بالرمح الخطيّ المنسوب إلى الخط موضع باليمامة ،

قال العيني : على أن بعضهم استدل به على عطف الانشاء على الخبر وقال في آخر هذا البحث : وأما « وكل مآ قيك الحسان بأعد » فيتوقف النظر فيما قبله من الأبيات وقد يكون معطوفاً على أمر مقدر يدل على المعنى أي افعل كذا وكل .

قال العيني : بعد سوق الأبيات التي قبله : وهو من قصيدة لحسان بن ثابت الصحابي الخزرجي أجاب بها قيس به الخطيم الجاهلي الأوسي التي مطلعها :

تروح من الحسناء أم أنت مغتد ... وكيف انطلاق عاشق لم يزود

... ...

ثم ساق قصيدة حسان إلى أن أتى على آخرها ، وقال : وهذا آخر القصيدة . وابن الخطيم بالخاء المعجمة شاعر فارس ، قدم مكة ودعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام ، وتلا عليه القرآن فقال إنى لأسمع كلاماً عجباً ، فدعنى انظر فى أمرى هذه السنة ، ثم أعود إليك فمات قبل الحول .

اللغة : « تناغى » هو من المناغاة وهى محادثة النساء والصغار باللين والرفق ، و « غزالا » أى الحيوان المعروف بالحسن واتساع العيون وجمالها مع الاتساق فى الأعضاء وصفاء البشرة، وإنما عنى محبوبته التى تشبه الغزال فى الحسن والجمال عند باب ابن عامر . ويجوز أن يكون غزالا حالا من تناغى اى يصفه بالحسن أى كغزال أو حالة كونك كغزال . غير أنه يبقى مفتقراً إلى مفعول وهو الشخص الذى يناغيه وحذفه مستساغ .

الشاهد فيه : عطف قوله . و « وكحل » على قوله أولا « تناغى » وكحل فعل طلب التكحيل إنشاء و « تناغى » إخبار عن حال المخاطب فهو من عطف الانشاء على الخبر .

قال العينى : وظاهر ماقدمنا أن هذا البيت ليس له تعلق إلا بالبيت المتقدم عليه ، وليس فيه أمر أو نهى لا لفظا ولا معنى ولا معنى فقط ولو كان فيه ذلك لكان قوله « وكحل » معطوفا عليه ، فلما انتفى ما يصلح أن يكون معطوفاً عليه تعين أن يكون معطوفاً على جملة « تناغى » فثبت الاستدلال به على جواز عطف الانشاء على الخبر .

هذا ، ولا يخفى أن كلام حسان فى معرض الاستهزاء بقيس والاستخفاف ، فإنه حيث جعله كالنساء فى ملازمتهن البيوت ومحادثة بعضهن بعضاً فيجوز بهذه القرينة أن يكون المعطوف عليه محذوفاً والتقدير تناغى لدى الأبواب حوراً نواعماً فكن من الحور ، وكحل مآقيك .

وروى السكرى أيضا كالرواية السابقة « فغن على الأبواب حوراً نواعماً » وعلى هذه الرواية لا يبقى نزاع فى أن غنّ فعل أمر من غنى يغنى غناء إذا ترنم بالغناء ويكون حوراً منصوباً بنزع الخافض أى فغنّ لهن أو يكون متعدياً بنفسه لتضمنه معنى أطربته إطراباً ، أى طربهن بترنمك وغنائك

أقول : وقد أريتك القصيدة كلها ، والبيت كما ترى ليس له صلة بغير عجز البيت الذى قبله وقد أورده النحاة على عادتهم فى إيراد الغرائب لتعزيز رأيهم ، والذى أظنه أنه وقع تحريف فى البيت وأنه لو صحح لما كان فيه شاهد لهذه المسألة ويحتمل أن يكون « وتكحل » بصيغة المضارع والخبر لا بصيغة الطلب والأمر وجملة وتكحل معطوف على تناغى ويكون كل مافى الأمر هو ضرورة يبيحها الشعر ويجوز أن يكون الواو أصلها فاء ويكون « فكحل » وتكون الفاء سببية لا عاطفة.

الإعراب : «تناغى» فعل مضارع والفاعل أنت و «غزالا» مفعول، ويصح أن يكون حالا من الفاعل فى تناغى أى حالة كونك مشبها الغزال فى حسن الصورة ، ولا ريب أن قيس بن الخطيم

الخامسة : فى عطف الجملة الاسمية على الفعلية وبالعكس ثلاثة أقوال

(أحدها) الجواز مطلقًا وهو المفهوم من قول النحويين فى نحو : « قامَ زيدٌ وعمرٌو أكرمته » إن نصب عمرو أرجح ، لأن تناسب الجملتين أوْلَى من تخالفهما

و (الثانى) المنع مطلقا

و (الثالث) لأبى على يجوز فى الواو فقط .

كان جميلا بدليل قوله «وكحل مآقيك الحسان» إلا أن يكون وصف مآقيه الحسان ليس على الحقيقة وإنما من باب الاستهزاء والتحقير لأن وصف الرجل بالجمال مما يعيبه وقوله « وكحل » فعل أمر على ماروى فى كتب النحو والشواهد .

وقوله «مآقيك» سكن الياء للضرورة وهو جمع «مأق» بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر القاف لغة فى الموق : وهو طرف العين الذى يلى الأنف . والمراد به ههنا العين من باب ذكر الجزء وإرادة الكل ، و « الإثمد » الكحل الأسود ، ويقال هو الكحل الأصفهانى . وقوله « نفتكم عن العلياء » أى عن المنزلة الرفيعة ، و « النفى » الطرد . و « الزند » العود الذى يقدح به النار وهو الأعلى والزندة السفلى فيها ثقب ، وإذا اجتمعا قيل لهما الزندان ، و «يقدح» بالبناء للمفعول . و «القدح» استخراج النار بالزندين ، وإذا أخرج الزند ناراً قيل « ورى الزند » ، وإذا لم يخرج قيل صلد الزند يصلد بالكسر صلداً وصلوداً ، ويقال : زند وارى ووری إذا كان سريع الورى كثير النار ، ومنه قولهم فلان وارى الزند يريدون بذلك أنه نجيح واضح الأمر .

والمعنى : أن حسانا يستهزئ بالشاعر ابن الحطيم ويحقره بقوله إن مثلك فى وقوفك بباب ابن عامر كمثل من يناغى الصغار ويشغل نفسه بمحادثة النساء بلين القول وتصنع الضعف ، والمناغاة مفاعلة من الجانبين فكما أنه يناغى فكذلك الشخص الذى بإزائه ليناغيه فهو يناغى بصيغة باسم الفاعل ويناغى بصيغة اسم المفعول . وكحل مآقيك الحسان بإثمد ما دامت حالتك على هذه الصفة .

أما قول المصنف رحمه الله فى مسألة العطف على معمولى عاملين فقد اعتمد على النقل فيه من ابن هشام رحمه الله وإليك نصه مع زيادات رأينا إضافتها للبيان : قال ابن هشام رحمه الله تعالى إن قولهم على عاملين فيه تجوز يعنى بحذف المضاف ، قال الرضى معنى قولهم العطف على عاملين أن يعطف بحرف واحد معمولين مختلفين كانا فى الاعراب كالمنصوب والمرفوع ، ومتفقين كالمنصوبين على عاملين مختلفين نحو « إن زيداً ضرب عمراً وبكراً خالدا » فهذا عطف متفق الاعراب على معمولى عاملين مختلفين وقولك « إن زيداً ضرب غلامه وبكراً أخوه » عطف مختلفى الاعراب ، ولا يعطف المعمولان على عاملين بل على معموليهما فهذا القول منهم على حذف مضاف .

قال ابن هشام : أجمعوا على جواز العطف على معمولى عامل واحد نحو « إن زيدا ذاهب

السادسة : فى العطف على معمولى عاملين أجمعوا على جواز العطف على معمولى عامل واحد نحو « إنَّ زيدًا ذاهبٌ وعمْرًا جالسٌ » ، وعلى معمولات عامل واحد ، نحو « أعلمَ زيدٌ عمْرًا بكْرًا جالسًا وأبو بكرٍ خالدًا سعيدًا مُنْطلقًا » وعلى منع العطف على معمول أكثر من

وعمراً جالس » فجالس عطف على ذاهب وعمرا عطف على زيدا والعامل فى الكل إن والعطف فى الباب من عطف المفردات ، وعلى معمولات عامل نحو « أعلم زيد عمرا بكراً جالسا وأبو بكر خالدا سعيدا منطلقاً » فاعلم معمول لزيد وأبو بكر معطوف على زيد وعمراً معمول أول لأعلم وبكراً معطوف عليه بدون عاطف وجالسا معمول ثان لأعلم وكذلك جملة وأبو بكر خالداً سعيداً منطلقاً تتألف من عامل معطوف على عامل لمعمول معطوف ومعمولين آخرين معطوفين على مثلهما وعلى منع العطف على معمول أكثر من عاملين نحو « ان زيدا ضارب أبوه لعمرو وأخاك غلامه بكر » واللام فى لعمرو للتقوية مقوية للوصف لأجل العمل ، وأخاك عطف على زيد وغلامه عطف على أبوه وبكر عطف على عمرو والعامل فى الثالث لام التقوية وفى الثانى ضارب وفى الأول إن .

وأما معمولا عاملين فإن لم يكن أحدهما جارا فقال ابن مالك هو ممتنع اجماعا منعه سيبويه وغيره نحو « كان آكلا طعامك عمرو وتمرك بكر » فآكلا خبر كان وطعامك معمول لآكل وعمرو اسم لكن مؤخر ، وتمرك عطف على طعامك وبكر عطف على عمرو والعامل فى طعامك آكل وفى عمرو كان ، فاختلف العامل .

قال ابن هشام وليس كذلك بل نقل الفارسى فى العطف على معمولى عاملين الجواز مطلقا عن جماعة وقيل إن منهم الاخفش .

وإن كان أحدهما جاراً فإن كان الجار مؤخراً نحو « زيد فى الدار والحجرة عمرو » أو « وعمرو الحجرة » فنقل المهدوى أنه ممتنع إجماعاً ، وليس كذلك بل هو جائز عند الأخفش والفارسى . وإن كان الجار مقدماً نحو « فى الدار زيد والحجرة عمرو » فالمشهور عن سيبويه المنع وبه قال المبرد وابن السراج وهشام وعن الأخفش الإجازة وبه قال الكسائى والفراء والزجاج .

وفصل قوم منهم الأعلم ، فقالوا إن ولى المخفوض العاطف بأن كان الأول من المعطوفات للأول والثانى للثانى كالمثال وهو « فى الدار زيد والحجرة عمرو » جاز ، لأنه كذا سمعه ولأن فيه تعادلت المتعاطفات أى جاءت على ترتيب واحد .

وهنا قال الشمنى ، فى عبارة ابن هشام تسامح لأن الذى فيه ليس بتعادل المتعاطفات وإنما هو تناسبها ولأنه لايقال المعطوف مع المعطوف عليه متعاطفات لأن وضع التفاعل على نسبة الفعل للمشتركين فيه ولا شركة للمعطوف عليه مع المعطوف فى نسبة فعل العطف .

عاملين نحو : «إن زيداً ضارب أبوه لعمرو وأخاك غلامه بكر» وأما معمولا عاملين فإن لم يكن أحدهما جارًا ، فقال الناظم هو ممتنع إجماعاً نحو : « كان آكلا طعامك عمرو وتمرك بكر » وليس كذلك ، بل نقل الفارسي الجواز مطلقاً عن جماعة ، قيل منهم الأخفش ، وإن كان

قال ابن هشام وإلا أي إن لم تتعادل المتعاطفات امتنع نحو «في الدار زيد وعمرو والحجرة» قال ابن عرفة لأن عمرا راجع لزيد والحجرة عطف على الدار والعامل في الأول الجار وفي الثاني الابتداء . قال ابن هشام وقد جاءت مواضع يدل ظاهرها على خلاف قول سيبويه كقوله تعالى «إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون » ففي السموات خبر مقدم لإن ولآيات اسمها مؤخر منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ، وآيات الأولى منصوبة إجماعا لأنها اسم إن والثانية والثالثة قرأهما الأخوان ــ وهما حمزة والكسائي بالنصب والباقون بالرفع قال الشمني وقرأهما أيضا يعقوب بالنصب والباقون بالرفع .

وقد استدل بالقراءتين في آيات الثالثة على المسألة أما الرفع فعلى نيابة الواو مناب الابتداء وفي فإن عطف آيات الثالثة على آيات الثانية المرفوعة على أنها مبتدأ فالعامل في آيات الابتداء ، وعطف اختلاف على خلقكم والعامل في ، ففيه العطف على معمولي عاملين . وأما النصب فعلى نيابتها مناب إن وفي .

وأجيب من طرف سيبويه بثلاثة أوجه (أحدها) أن «في» مقدرة فالعمل لها ، ويؤيده أن في حرف عبد الله ــ أي في قراءته ــ التصريح بفي وعلى هذا الواو نائبة مناب عامل واحد وهو الابتداء أو إن .

(الثاني) أن انتصاب آيات على التوكيد للأولى ، ورفعها على تقدير مبتدأ أي هي آيات ، وعليهما فليست مقدرة .

(والثالث) يخص قراءة النصب وهو أنه على إضمار إن وفي ، ذكره الشاطبي وغيره . قال ابن هشام وإضمار إن بعيد ــ فيكون الجواب الثالث بعيدا ــ ومما يشكل على مذهب سيبويه أي قوله بمنع العطف على معمولي عاملين مطلقاً قوله :

هون عليك فإن الأمو ر بكف الإله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها

« منهيها» اسم ليس ، و«آتيك» مجرور بالباء و « قاصر » عطف على آتيك ، و «مأمورها» عطف على منهيها ، فاختلف العامل وهو ليس والباء . فقاصر عطف على مجرور الباء ، فإن كان

أحدهما جاراً ، فإن كان مؤخراً نحو : « زيد في الدار والحجرة عمرو » أو « وعمرو الحجرة » فنقل المهدوى أنه ممتنع إجماعاً ، وليس كذلك ، بل هو جائز عند من ذكرنا ، وإن كان الجارّ مقدما نحو « في الدار زيد والحجرة عمرو » أو « وعمرو الحجرة » فالمشهور عن سيبويه المنع ،

مأمورها عطفاً على مرفوع ليس لزم العطف على معمولى عاملين ، وإن كان فاعلا بقاصر لزم عدم الارتباط بالمخبر عنه ، إذ التقدير حينئذ فليس منهيها بقاصر عنك مأمورها .

وقد أجيب عن الثانى بأنه لما كان الضمير فى مأمورها عائداً على الأمور كان كالعائد على المنهيات لدخولها فى الأمور .

واعلم أن الزمخشرى ممن منع العطف المذكور ولهذا اتجه له أن يسأل فى قوله تعالى « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها »

فقال : فإن قلت نصب إذا معضل ، لأنك إن جعلت الواوات عاطفة وقعت فى العطف على عاملين يعنى أن إذا من قوله إذا جلاها ـ عطف على إذا المنصوبة بالقسم والمخفوضات عطف على الشمس المخفوضة بواو القسم ،قال وإن جعلتهن القسم وقعت فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه يعنى أنهما استكرها ذلك لئلا يحتاج كل قسم إلى جواب يخصه . ثم أجاب بأن فعل القسم لما كان لا يذكر مع واو القسم بخلاف الباء صارت كأنها هى الناصبة الخافضة ، فكان العطف على معمولى عامل ، قال ابن الحاجب وهذه قوة منه واستنباط لمعنى دقيق ثم اعترض على الزمخشرى بقوله تعالى « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس » فإن الجار هنا الباء وقد صرح معه بفعل القسم فلا تنزل الباء منزلة الناصبة الخافضة ، وقد أجاب عنه الرضى بأن الكلام فيه حذف مضاف أى وعظمة الليل إذا عسعس فعظمة عاملة فى الليل وفى إذا وعاملة فيما عطف عليهما فهو من العطف على معمولى عامل .

وهذان البيتان للأعور الشنى كما ورد فى الحماسة البصرية وفى شرح أبيات الكتاب للزمخشرى قال : وفى «ولا قاصر عنك مأمورها» ثلاثة أوجه .

(أحدها) أن يكون « مأمورها » مبتدأ و «قاصر» خبره ثم تكون الجملة بأسرها معطوفة على الجملة الأولى كقولك « ما زيد قائماً ولا عمرو منطلق » .

(الثانى) أن تنصب « قاصراً » وتعطف على محل « يأتيك » كأنه قال فليس منهيها آتياً لك ولا مأمورها قاصراً عنك ، والعامل فى الاسمين الأولين والمعطوف عليهما عامل واحد ، وهو «ليس» كقولك « ليس زيد قائماً ولا عمرو منطلقاً » .

وبه قال المبرد وابن السراج وهشام ، وعن الأخفش الإجازة وبه قال الكسائى والفراء والزجاج ، وفصل قوم منهم الأعلم فقالوا إن ولى المخفوض العاطف جاز وإلا امتنع ، والله أعلم .

(الثالث) أن تجر « قاصراً » وتعطفه على « آتيك » ثم لايخلو إما أن يكون مأمورها بمنزلة منهيها محمولا على ليس وهو من باب العطف على عاملين لأنك أنبت الواو مناب ليس ، والباء فى « بآتيك » زائدة .

وإما أن تجعله من قولنا « ليس أمة الله بذاهبة ولا قائم أخوها » بعطف قائم على « ذاهبة » و « أخوها » رفع بقائم . فيخبر عن أمة الله بذهابها وبقيام أخيها فتكون قد عطفت خبراً على خبر فكذلك قاصر معطوف على بآتيك ومأمورها رفع بقاصر وتكون قد أخبرت عن منهيها بقصور المأمور ، وكان القياس على هذا مأموره إلا أن المنهى لما كان بعض الأمور أنث فعله ، كذهبت بعض أصابعه . ومعنى إضافة المأمور الذى يكون مع المنهى ويذكر معه ويقرن به لأن الاضافة تكون بأدنى سبب .

وفى هذا الوجه الثالث تعسف و « قاصرعنك » أى يقصر عن إتيانك، قال السيوطى ثم رأيت البيهقى قال فى كتاب الأسماء والصفات مانصه : وأماقوله فى كف الرحمن فمعناه عند أهل النظر فى ملكه وسلطانه ومنه قول عمر بن الخطاب إن صح فيما أخبر به أبو نصر بن قتادة أبو العباس محمد ابن إسحاق الضبعى قال حدثنا الحسين بن على بن زياد حدثنا إسماعيل بن أبى أويس ، حدثنى محمد ابن عتبة الخرازعن حمادبن عمرو الأسدى عن حماد بن ثلج عن ابن مسعود قال: كان عمر بن الخطاب كثيرا مايخطب ويقول على المنبر :

خفض عليك فإن الأمو ر بكف الاله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها ولا قاصر عنك مأمورها

أى إنما أنت فى ملك الإله وقدرته .

قال ابن هشام : وبعد فالحق جواز العطف على معمولى عاملين نحو « الدار زيد والحجرة عمرو » ولا إشكال حينئذ فى الآية ، وأخذ ابن الخباز جواب الزمخشرى فجعله مستقلا فقال فى كتاب النهاية : وقيل إذا كان أحد العاملين محذوفا فهو كالمعدوم ، ولهذا جاز العطف فى نحو « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى » وما أظنه وقف فى ذلك على كلام غير الزمخشرى فينبغى له أن يقيد الحذف بالوجوب فيقول إذا كان العامل محذوفاً وجوبا ليوافق ماقاله الزمخشرى .

والله سبحانه وتعالى أجل وأعلم ، وأعز وأكرم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

تم الجزء الرابع ، ويليه الجزء الخامس ، وأوله : باب البدل

فهرس

الجزء الرابع من

شرح الأشمونى

(ا) فهرس الموضوعات «ب» فهرس أبيات الشواهد

الفهرس الأول للموضوعات

(تم فهرس الموضوعات ، ويتلوه فهرس الشواهد)

فهرس شواهد الجزء الرابع

من شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك مرتباً على القوافى

حرف الألف المقصورة

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٨١٦	٤٠٦	فَلَمَّا تَبَيَّنَّا الْهُدَى كانَ كُلُّنَا عَلَى طَاعة الرَّحْمَنِ وَالحَقِّ وَالتُّقَى	الطويل

حرف الهمزة

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٦٨٥	٢٧	بِعِشْرَتِكَ الْكِرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ فَلَا تُرَيَنْ لِغَيْرِهِمُ الْوَفَاءَ	الوافر
...	٢١٨	نِعْمَ الْفَتَاةُ فَتَاةً هِنْدُ لَوْ بَذَلَتْ رَدَّ التَّحِيَّةِ نُطْقًا أَوْ بِإِيمَاء	البسيط
٧٧٥	٢٧٧	[أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْء] فَشَرُّ كُمَا لِخَيْرِ كُمَا الْجِزَاء	الوافر
٨١٢	٣٩٠	فَلَا وَاللهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِى وَلَا لِلِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاء	الوافر

حرف الباء (الموحدة)

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
...	١٢	عَلَى حِينِ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَنَدْلًا زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ	الطويل
٦٨١	١٦	يُحَابِى بِهِ الجَلْدُ الَّذِى هُوَ حَازِمٌ بِضَرْبَةِ كَفَّيْهِ المَلَا نَفْسَ رَاكِبِ	الطويل
...	٥٥	أَمُنْجِزٌ أَنْتُمُ وَعْدًا وَثِقْتُ بِهِ أَمِ اقْتَفَيْتُمْ جَمِيعًا نَهْجَ عُرْقُوب	البسيط
٧١٢	١٠٢	[وَقَدْ ذُقْتُمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ] وَعِلْمُ بَيَانِ المَرْءِ عِنْدَ المُجَرَّبِ	الطويل
٧١٣	١٠٥	أُقَاتِلُ حَتَّى لَا أَرَى لِى مُقَاتِلًا وَأَنْجُو إِذَا غُمَّ الجَبَانُ مِنَ الْكَرْبِ	الطويل

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٧٢٠	١٢٩، ١٥٣	سَبَتْنِي الْفَتَاةُ الْبَضَّةُ الْمُتَجَرِّدُ الـ لَطِيفَةُ كَشْحُهُ، وَمَا خِلْتُ أَنْ أَسْبَى	الطويل
٧٢١	١٣١، ١٥١	بِبُهْمَةٍ مُنِيتُ شَهْمٍ قَلْبُ مُنَجَّذٍ لَاذِي كَهَامٍ يَنْبُو	الرجز
٧٢٧	١٤٩	هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً مَخْطُوطَةٌ جُدِلَتْ شَنْبَاءُ أَنْيَابَا	البسيط
٧٢٩	١٥٣	فَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا	الوافر
٧٣٠	١٥٦	(فَذَاكَ وَخْمٌ لَا يُبَالِي السَّبَّا) الْحَزْنُ بَابًا وَالْعَقُورُ كَلْبَا	الرجز
٧٣٢	١٥٩	فَرَاشَةُ الْحِلْمِ فِرْعَوْنُ الْعَذَابِ وَإِنْ تَطْلُبْ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلْبُ	البسيط
٧٣٣	١٦١	فَلَوْلَا اللهُ وَالْمُهْرُ الْمُفَدَّى لَأُبْتَ وَأَنْتَ غِرْبَالُ الْإِهَابِ	الوافر
٧٤٤	١٩٤	عَمْرَكَ مَا لَيْلِي بِنَامَ صَاحِبُهْ وَلَا مُخَالِطُ اللَّيَانِ جَانِبُهْ	الرجز
٧٤٦	١٩٨	* فَنِعْمَ أَخُو الْهَيْجَا وَنِعْمَ شِهَابُهَا *	الطويل
٧٥٤	٢١٣	نِعْمَ امْرَأَيْنِ حَاتِمٌ وَكَعْبُ كِلَاهُمَا غَيْثٌ وَسَيْفٌ عَضْبُ	الرجز
٧٦٣	٢٣٩	أَلَا حَبَّذَا لَوْلَا الْحَيَاءُ وَرُبَّمَا مَنَحْتُ الْهَوَى مَا لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ	الطويل
٧٧٣	٢٦٩	كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِهَا [حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ]	البسيط
٧٧٧	٢٨٢	فَقَالَتْ لَنَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَزَوَّدَتْ جَنَى النَّحْلِ بَلْ مَا زَوَّدَتْ مِنْهُ أَطْيَبُ	الطويل
٧٨٥	٣٠٩	فَوَافَيْنَاهُمُ مِنَّا بِجَمْعٍ كَأُسْدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشِيبِ	الوافر
٧٩٩	٣٦٥	[لَكِنَّهُ شَاقَهُ أَنْ قِيلَ ذَا رَجَبُ] يَا لَيْتَ عِدَّةَ شَهْرٍ كُلِّهِ رَجَبُ	البسيط
٨٠١	٣٧٠	يَمُتُّ بِقُرْبَى الزَّيْنَبَيْنِ كِلَيْهِمَا [إِلَيْكَ وَقُرْبَى خَالِدٍ وَحَبِيبِ]	الطويل

حرف التاء (المثناة من فوق)

حرف الجيم (الموحدة)

حرف الحاء (المهملة)

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
		حرف الدال (المهملة)	
٦٨٧	٣٠	لِأَنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ ‏ ‏ جِنَانًا مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُ	الطويل
٧٠٢	٧٤	أَتَانِي أَنَّهُمْ مَزِقُونَ عِرْضِي ‏ ‏ [جِحَاشُ الكِرْمِلَيْنِ لَهَا فَدِيدُ]	الوافر
٧٣١	١٥٧	فَاقْصِدْ يَزِيدَ الْعَزِيزَ مَنْ قَصَدَه	المنسرح
٧٤٢	١٨٩	مَا كَانَ أَسْعَدَ مَنْ أَجَابَكَ آخِذًا ‏ ‏ بِهُدَاكَ مُجْتَنِبًا هَوًى وَعِنَادَا	الكامل
٧٥١	٢٠٩	نِعْمَ الفَتَى المُرِّيُّ أَنْتَ إِذَاهُمُ [حَضَرُوا لَدَى الحُجُرَاتِ نَارَ المَوْقِدِ]	الكامل
٧٩٤	٣٤٢	وَرُبَّ أَسِيلَةِ الخَدَّيْنِ بِكْرٍ ‏ ‏ مُهَفْهَفَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ	الوافر
٨١٤	٣٩٦	لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إِنَّهَا ‏ ‏ أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاثِقًا وَعُهُودَا	الكامل
٨٢١	٤٢٥	إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ‏ ‏ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهْ	الخفيف
٨٢٥	٤٤٠	رِجَالِي حَتَّى الأَقْدَمُونَ تَمَالَأُوا عَلَى كُلِّ أَمْرٍ يُورِثُ المَجْدَ وَالحَمْدَا	الطويل
٨٣٣	٤٦٥	كَانُوا ثَمَانِينَ أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةً ‏ ‏ لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَّلْتُ أَوْلَادِي	البسيط
٨٦١	٦٤٤	تُنَاغِي غَزَالًا عِنْدَ دَارِ ابْنِ عَامِرٍ ‏ ‏ وَكَحِّلْ مَآقِيكَ الحِسَانَ بِإِثْمِدِ	الطويل
		حرف الراء (المهملة)	
٦٩٥	٥٦	[فَمَا طَعْمُ رَاحٍ فِي الزُّجَاجِ مُدَامَةٍ] تَرَقْرَقُ بِالأَيْدِي كُمَيْتٍ عَصِيرُهَا	الطويل
٦٩٩	٦٧	ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمَانِهَا [إِذَا عَدِمُوا زَاداً فَإِنَّكَ عَاقِرُ]	الطويل

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٧٠١	٠٧٢	فَتَاتَانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَشَبِيهَةٌ هِلَالًا وَأُخْرَى مِنْهُمَا تُشْبِهُ الْبَدْرَا	الطويل
٧٠٣	٠٧٦	حَذِراً أُمُوراً لَا تَضِيرُ وَآمِنٌ مَالَيْسَ مُنْجِيَهُ مِنَ الْأَقْدَارِ	الكامل
٧٠٥	٠٨١	ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غُفُرٌ ذَنْبَهُمُ غَيْرُ فُخُرْ	الرمل
٧١٦	١٢٣	حَسَنُ الْوَجْهِ طَلْقُهُ أَنْتَ فِي السِّلْمِ وَفِي الْحَرْبِ كَالِحٌ مُكْفَهِرٌّ	الخفيف
٧١٧	١٢٤	أَسِيلَاتُ أَبْدَانٍ دِقَاقٌ خُصُورُهَا وَثِيرَاتُ مَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَآزِرِ	الطويل
٧١٨	١٢٥، ١٥٣	أَزُورُ امْرَأً جَمًّا نَوَالٌ أَعَدَّهُ لِمَنْ أَمَّهُ مُسْتَكْفِيًا أَزْمَةَ الدَّهْرِ	الطويل
٧١٩	١٢٧	فَحُجْتُهَا قَبْلَ الْأَخْبَارِ مَنْزِلَةً وَالطَّيِّبِي كُلَّ مَا الْتَاثَتْ بِهِ الْأُزُرُ	البسيط
٧٣٥	١٦٧، ١٩١	يَا مَا أُمَيْلِحَ غِزْلَانًا شَدَنَّ لَنَا مِنْ هَؤُلَيَّائِكُنَّ الضَّالِ وَالسَّمُرِ	البسيط
٧٣٩	١٧٩	فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمَنِيَّةَ يَلْقَهَا حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ	الطويل
٧٤٠	١٨٥	خَلِيلَيَّ مَا أَحْرَى بِذِي اللُّبِّ أَنْ يُرَى صَبُورًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الصَّبْرِ	الطويل
٧٤٣	١٩٢	صَبَّحَكَ اللهُ بِخَيْرٍ بَاكِرِ بِنِعَمٍ طَيْرٍ وَشَبَابٍ فَاخِرِ	الرجز
٧٤٩	٢٠٤	بِئْسَ قَوْمُ اللهِ قَوْمٌ طُرِقُوا فَقَرَوْا جَارَهُمُ لَحْمًا وَحِرْ	الرمل
٧٥٢	٢١١	نِعْمَ امْرَأً هَرِمٌ لَمْ تَعْرُ نَائِبَةٌ إِلَّا وَكَانَ لِمُرْتَاعٍ بِهَا وَزَرَا	الكامل
٧٦٧	٢٥٢	* بِلَالُ خَيْرُ النَّاسِ وَابْنُ الْأَخْيَرِ *	رجز
٧٧٠	٢٥٩	وَلَفُوكِ أَطْيَبُ لَوْ بَذَلْتِ لَنَا مِنْ مَاءِ مَوْهِبَةٍ عَلَى خَمْرِ	الكامل
٧٧٢	٢٦٤	وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ	السريع
٧٨٧	٣١٩	لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ	الكامل
٧٩٠	٣٣١	[أَلَكُمْ مَسْجِدَ اللهِ الْمَزُورَانِ وَالْحَصَى] لَكُمْ قِبْصُهُ مِنْ بَيْنِ أَثْرَى وَأَقْتَرَا	الطويل

حرف السين (المهملة)

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر

حرف الطاء (المهملة)

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٧٨٤	٣٠٦	[حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ] جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ	الرجز

حرف العين (المهملة)

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٦٧٩	٩	فَإِنَّكَ وَالتَّأْبِينَ عُرْوَةَ بَعْدَ مَا دَعَاكَ وَأَيْدِينَا إِلَيْهِ شَوَارِعُ	الطويل
٠٠٠	٩	لَقَدْ عَلِمَتْ أُولَى الْمُغِيرَةِ أَنَّنِي كَرَرْتُ فَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعَا	الطويل
٦٨٢	١٨	قَدْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ أَبَا قُدَامَةَ إِلَّا الْمَجْدَ وَالْفَنَعَا	البسيط
٦٨٤	٢٤	أَكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرِّتَاعَا	الوافر
٧٦٦	٢٥٠	[وَزَادَنِي كَلَفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ] وَحُبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا	البسيط
٧٨٣	٢٩٨	أَبِيتُ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ	الطويل
٧٩٣	٣٤٠	[وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرَأٍ] فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعِ	المتقارب
٧٩٨	٣٦١، ٣٦٨	يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيًّا مُرْضَعَا تَحْمِلُنِي الذَّلْفَاءُ حَوْلًا أَكْتَعَا إِذَا بَكَيْتُ قَبَّلَتْنِي أَرْبَعَا إِذًا ظَلِلْتُ الدَّهْرَ أَبْكِي أَجْمَعَا	الرجز
٨٠٠	٣٦٩	قَدْ صَرَّتِ الْبَكْرَةُ يَوْمًا أَجْمَعَا [حَتَّى الضِّيَاءِ بِالدُّجَى تَقَنَّعَا]	الرجز
٨١٨	٤١٣	أَنَا ابْنُ التَّارِكِ الْبَكْرِيِّ بِشْرًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعَا	الوافر
٨٢٧	٤٤٣	وَلَسْتُ أُبَالِي بَعْدَ فَقْدِي مَالِكًا أَمَوْتِي نَاءٍ أَمْ هُوَ الْآنَ وَاقِعُ	الطويل
٨٣٤	٤٧٠	قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ مَا بَيْنَ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ	الكامل

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
		حرف الفاء (المعجمة)	
٦٨٥	٢٧	بِعِشْرَتِكَ الْكِرَامَ تُعَدُّ مِنْهُمْ ‏ فَلَا تُرَيَنْ لِغَيْرِهِمُ أُلُوفَا	الوافر
٦٨٩	٣٥	[تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ]	
		نَفْيَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ	البسيط
٧١٤	١٠٨	كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِ ‏ وَلَيْسَ لِحُبِّهَا إِذْ طَالَ شَافِ	الوافر
٧٧١	٢٦١	نَحْنُ بِغَرْسِ الْوَدِيِّ أَعْلَمُنَا ‏ مِنَّا بِرَكْضِ الْجِيَادِ فِي السَّدَفِ	المنسرح
٧٨٣	٣٠٤	كَأَنَّ حَفِيفَ النَّبْلِ مِنْ فَوْقِ عَجْسِهَا	
		عَوَازِبُ نَحْلٍ أَخْطَأَ الْغَارَ مُطْنِفُ	الطويل
٨٥١	٥٤٧	[تَعَلَّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفُنَا]	
		فَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ	الطويل
		حرف القاف (المثناة)	
٦٨٨	٣٣	[أَفْنَى تِلَادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ]	
		قَرْعُ الْقَوَاقِيزِ أَفْوَاهَ الْأَبَارِيقِ	البسيط
٧٠٨	٨٧	هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا ‏ أَوْ عَبْدَ رَبٍّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقِ	البسيط
٠٠٠	٤٣٣	وَإِنْسَانُ عَيْنِي يَحْسُرُ الْمَاءَ تَارَةً ‏ فَيَبْدُو وَتَارَاتٍ يَجُمُّ فَيَغْرَقُ	الطويل
٧٥٦	٢١٨	وَالتَّغْلِبِيُّونَ بِئْسَ الْفَحْلُ فَحْلُهُمُ ‏ فَحْلًا وَأُمُّهُمُ زَلَّاءُ مِنْطِيقُ	البسيط
		حرف اللام	
٦٧٧	٥	بِضَرْبٍ بِالسُّيُوفِ رُءُوسَ قَوْمٍ	
		[أَزَلْنَا هَامَهُنَّ عَنِ الْمَقِيلِ]	وافر
٦٧٨	٧	ضَعِيفُ النِّكَايَةِ أَعْدَاءَهُ ‏ [يَخَالُ الْفِرَارَ يُرَاخِي الْأَجَلْ]	متقارب
٦٨٠	١٢	يَا قَابِلَ التَّوْبِ غُفْرَانًا مَآثِمَ قَدْ ‏ أَسْلَفْتُهَا أَنَا خَائِفٌ وَجِلُ	البسيط

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	
٦٩١	٤٢	السَّالِكُ الثَّغْرَةِ الْيَقْظَانِ سَالِكُهَا مَشْىَ الهَلُوكِ عَلَيْهَا الخَيْعَلُ الفُضُلُ	البسيط
٦٩٤	٥٢	المَنُّ لِلذَّمِّ دَاعٍ بِالْعَطَاءِ فَلاَ تَمْنُنْ فَتُلْفِى بِلاَ حَمْدٍ وَلاَ مَالِ	البسيط
٦٩٦	٥٩	إِذَا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِى الخَلِيطِ المُزَايِلِ	الطويل
٦٩٧	٦٣	كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهَا [فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ]	البسيط
٦٩٨	٦٥	[وَلَيْسَ بِوَلاَّجِ الخَوَالِفِ أَعْقَلاَ] أَخَا الحَرْبِ لَبَّاسًا إِلَيْهَا جِلاَلَهَا	الطويل
٧٠٧	٨٥	مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدٌ حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ	الكامل
٧١١	٩٩	لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلاَ بِفُؤَادِهِ مَعْقُولاَ	الكامل
٧٢٦	١٤٧	وَلاَ سَيِّئِى زِىٍّ إِذَا مَا تَلَبَّسُوا إِلَى حَاجَةٍ يَوْمًا مُخَيَّسَةٍ بُزْلاَ	الطويل
٧٢٨	١٥١	تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عِدَادُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الكِرَامَ قَلِيلُ	الطويل
٧٤١	١٨٧	أُقِيمُ بِدَارِ الحَزْمِ مَادَامَ حَزْمُهَا وَأَحْرِ إِذَا حَالَتْ بِأَنْ أَتَحَوَّلاَ	الطويل
٧٤٥	١٩٦	فَنِعْمَ ابْنُ أُخْتِ القَوْمِ غَيْرَ مُكَذَّبٍ [زُهَيْرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ]	الطويل
٧٦٤	٢٤٢	[فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمُ بِمِزَاجِهَا] وَحَبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ	الطويل
٧٦٨	٢٥٦	دَنَوْتِ وَقَدْ خِلْنَاكِ كَالبَدْرِ أَجْمَلاَ [فَظَلَّ فُؤَادِى فِى هَوَاكِ مُضَلَّلاَ]	الطويل
٧٦٩	٢٥٧	تَرَوَّحِى أَجْدَرَ أَن تَقِيلِى غَدًا بِجَنْبَىْ بَارِدٍ ظَلِيلِ	الرجز

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
...	٢٧٢	وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ	الطويل
٧٧٤	٢٧٢	إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ	الكامل
٧٧٨	٢٨٤	وَلاَ عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّ سَرِيعَهَا قَطُوفٌ وَأَنْ لاَ شَيْءَ مِنْهُنَّ أَكْسَلُ	الطويل
٧٩٨	٣٢٥	وَيَأْوِي إِلَى نِسْوَةٍ عُطَّلٍ وَشُعْثًا مَرَاضِيعَ مِثْلَ السَّعَالِي	المتقارب
٨٠٣	٣٧٣	[فَتِلْكَ وُلاَةُ السُّوءِ قَدْ طَالَ مُكْثُهُمْ] فَحَتَّامَ حَتَّامَ الْعَنَاءُ الْمُطَوَّلُ	الطويل
٨١٥	٤٠٠	يَعِيدُ إِذَا وَالَتْ عَلَيْهِ دِلاَؤُهُمْ فَيَصْدُرُ عَنْهُ كُلُّهَا وَهْوَ نَاهِلُ	الطويل
٨١٩	٤١٩	[قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ] بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ	الطويل
٨٣٥	٤٧٢	فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ	الطويل
٨٣٨	٤٨٠	وَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لاَ بُدَّ مِنْهُمَا صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ فِي سَلاَسِلِ	الطويل
٨٣٩	٤٨٦	وَقَالُوا نَأَتْ فَاخْتَرْ لَهَا الصَّبْرَ وَالْبُكَا فَقُلْتُ الْبُكَا أَشْفَى إِذًا لِغَلِيلِي	الطويل
٨٤٢	٥٠٠	تُلِمُّ بِدَارٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَإِمَّا بِأَمْوَاتٍ أَلَمَّ خَيَالُهَا	الطويل
٨٤٤	٥١٦	كَأَنَّ دِثَارًا حَلَّقَتْ بِلَبُونِهِ عُقَابُ تَنُوفَى لاَ عُقَابُ الْقَوَاعِلِ	الطويل
٨٤٥	٥٢٤	وَجْهُكَ الْبَدْرُ لاَ بَلِ الشَّمْسُ لَوْ لَمْ يُقْضَ لِلشَّمْسِ كَسْفَةٌ أَوْ أُفُولُ	الخفيف
٨٤٦	٥٢٦	وَمَا هَجَرْتُكِ لاَ بَلْ زَادَنِي شَغَفًا هَجْرٌ وَبُعْدٌ تَرَاخَى لاَ إِلَى أَجَلِ	البسيط

حرف الميم

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٨٥٤	٥٨١	كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أَمْسَيْتَ مِمَّا ‌‌ يَغْرِسُ الْوُدَّ فِي فُؤَادِ الْكَرِيمِ	الخفيف
٨٥٦	٥٨٩	كَأَنَّا عَلَى أَوْلَادِ أَحْقَبَ لَاحَهَا ‌‌ وَرَمْيُ السَّفَا أَنْفَاسَهَا بِسِهَامِ جَنُوبٌ دَوَتْ عَنْهَا التَّنَاهِي وَأَنْزَلَتْ ‌‌ بِهَا يَوْمَ رَبَّابِ السَّفِيرِ خِيَامُ	الطويل

حرف النون

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٦٨٦	٠٢٨	قَالُوا كَلَامُكَ هِنْدًا وَهْيَ مُصْغِيَةٌ ‌‌ يَشْفِيكَ قُلْتُ صَحِيحٌ ذَاكَ لَوْ كَانَا	البسيط
٦٩٢	٠٤٥	قَدْ كُنْتُ دَايَنْتُ بِهَا حَسَّانَا ‌‌ مَخَافَةَ الْإِفْلَاسِ وَاللَّيَّانَا	الرجز
٦٩٣	٠٤٨	وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْـ ‌‌ ـلِ لِلذِّلَّةِ إِذْعَانُ	الهزج
٧١٥	١١٢	الْحَمْدُ لِلَّهِ مُمْسَانَا وَمُصْبَحَنَا ‌‌ بِالْخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّي وَمَسَّانَا	البسيط
٧٢٥	١٤٦	لَاحِقُ بَطْنٍ بِقَرًا سَمِينُ ‌‌ لَا خَطِلُ الرَّجْعِ وَلَا قَرُونُ	الرجز
٧٤٧	١٩٩	فَنِعْمَ صَاحِبُ قَوْمٍ لَا سِلَاحَ لَهُمْ ‌‌ وَصَاحِبُ الرَّكْبِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَا	الطويل
٧٥٣	٢١٣	لَنِعْمَ مَوْئِلًا الْمَوْلَى إِذَا حُذِرَتْ ‌‌ بَأْسَاءُ ذِي الْبَغْيِ وَاسْتِيلَاءُ ذِي الْإِحَنِ	البسيط
٠٠٠	٢٢١	فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادًا ‌‌ [تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا]	الوافر
٧٥٧	٢٢١	وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ‌‌ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا	الكامل
٧٦٥	٢٤٥	[بِاسْمِ الْإِلَهِ وَبِهِ هُدِينَا ‌‌ وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا] * فَحَبَّذَا رَبًّا وَحَبَّ دِينَا *	رجز

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٠٠٠	٣٠٤،٣٠١	وَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَأَعِفُّ ثُمَّ أَقُولُ لاَ يَعْنِينِي	الطويل
٧٩٢	٣٣٥	كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ	الوافر
٧٩٦	٣٥٣	وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنْ ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنْ	الرجز
٨٠٥	٣٧٧	* أَنْتَ بِالْخَيْرِ حَقِيقٌ قَمِنْ *	رمل
٨٠٩	٣٨٦	حَتَّى تَرَاهَا وَكَأَنَّ وَكَأَنْ أَعْنَاقَهَا مُشَدَّدَاتٌ بِقَرَنْ	الرجز
٨٢٤	٤٣٧	سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلُّ مَطِيُّهُمْ	
		وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ	الطويل
٨٢٦	٤٤٢	جُودُ يُمْنَاكَ فَاضَ فِي الْخَلْقِ حَتَّى	
		بَائِسٌ دَانَ بِالْإِسَاءَةِ دِينَا	الخفيف
٨٤١	٤٩٦	فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصِدْقٍ	
		فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي	الوافر
		وَإِلاَّ فَاطَّرِحْنِي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي	الوافر
٧٣٤	١٦٥	وَاهاً لِسَلْمَى ثُمَّ وَاهًا وَاهَا يَالَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا	الكامل
٠٠٠	١٦٥	يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَهْ [بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عَفَارَهْ]	الرجز
٧٥٥	٢١٤	تَقُولُ عِرْسِي وَهْيَ لِي فِي عَوْمَرَهْ	
		بِئْسَ امْرَأً وَإِنَّنِي بِئْسَ الْمَرَهْ	الرجز
٧٥٩	٢٢٩	إِنَّ ابْنَ عَبْدِ اللهِ نِعْـ ـمَ أَخُو النَّدَى وَابْنُ الْعَشِيرَهْ	الكامل
٨٠٤	٣٧٦	[لَكَ اللهُ عَلَى ذَاكَ] لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ	الوافر

حرف الياء (المثناة من تحت)

رقم الشاهد	ص	البيت المستشهد به	البحر
٧١٠	٠٩٦	بَاتَتْ تُنَزِّي دَلْوَهَا تَنْزِيًا كَمَا تُنَزِّي شَهْلَةٌ صَبِيًّا	الرجز

تمّ الفهرس ، والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف النبيين ، وخاتم المرسلين

وعلى آله وصحابته ، والمتمسكين بشريعته